

/ بسم الله الرحمن الرحيم

ظ ١

رب يسر يا كريم (١)

سبب ومكان وتاريخ تأليف "شرح الأصفهانية" سئل شيخ الاسلام،^(٢) وناصر السنة، فريد الدهر، وحيد العصر، بحر العلوم، بقية المجتهدين، وقدوة المحققين، تاج العارفين، ولسان المتكلمين،^(٣) امام الزاهدين، ومنار المجاهدين، ورحلة الطالبين، الامام الحجة النوراني، والعالم المجتهد الرياني،^(٤) تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، أدام الله علو قدره في الدنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمه باطنة وظاهرة،^(٥) وهو مقيم بالديار المصرية، في شهر سنة اثنتي عشرة وسبعائه^(٥) - أن يشرح عقيدة مختصرة ألفها^(٦) الشيخ شمس الدين محمد بن الأصفهاني،^(٧) الامام المتكلم المشهور، الذي قيل: انه لم يدخل الى الديار المصرية أحد من رؤس علماء الكلام مثله، وأن يبين ما فيها .

فأجاب الى ذلك، واعتذر بأنه لا بد عند شرح ذلك الكلام من مخالفة بعض مقاصده لما توجبه قواعد الاسلام؛ فان الحق أحق أن يتبع،

(١) رب يسر يا كريم : في (ص) فقط ؛ وبدلاً منها في (س) : وبه نستعين .

(٢-٣) ما بينهما في (ص) فقط .

(٣) ما كان ابن تيمية لساناً للمتكلمين ولكن لساناً لأهل السنة .

(٤) تقي الدين أبو العباس . . . الخ كذا في (ص) ؛ خ ، س : أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه ؛ ن ، ك : أبو العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه .

(٥-٥) ما بينهما في (ص ، ن ، ك) فقط، وفيها : سنة اثني عشر وسبعائة . وهو خطأ .

(٦) كذا في (ص ، ن) ، ك : أن يشرح العقيدة التي ألفها ؛ خ ، س : أن يشرح العقيدة التي رتبها .

(٧) خ ، س : الشيخ شمس الدين الأصفهاني ؛ وفي (ص ، ن) قبل كلمة "الأصفهاني" بياض بقدر كلمتين . وفي هامش (ن) نقلت ترجمة الأصفهاني من كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" للسيوطي . وفي هامش (ك) تعليق باسم محمود شكرى ، عرف فيه بالأصفهاني صاحب هذه العقيدة ، ونبه الى أنه غير شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأصفهاني (ت ٧٤٩) شارح مختصر ابن الحاجب في الأصول .

(٨) من قوله : "الامام المتكلم . . ." الى قوله في صفحة ٣ : "وأول العقيدة المذكورة قوله" ساقط من (خ ، س) .

والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ، والله تعالى يقول :
((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ^(١))) ، ((النبي أولسى
بالمؤمنين من أنفسهم ^(٢))) ، ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ^(٣))) ، ((يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خير وأحسن تأويلا ^(٤))) .

وليعلم أن الشرح المطلوب ، الآتي ذكره اشتمل - ولله الحمد ، مع
اختصاره - على غرر قواعد أصول الدين ، الذي لم ينهض بتحقيق الحق
فيه الا الجهابذة النقاد ، من سادات الأولين والآخرين كما ستشهد
ذلك ، ويشهد به وقت التأمل أهل العدل والانصاف من المحققين المحققين ،
والله سبحانه ولي التوفيق ، والهادى الى سواء الطريق ، وهو حسبنا
ونعم الوكيل .

وأول العقيدة المذكورة قوله : ^(٥)

لعقيدة الأصهبانية الحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد رسوله وعبيده .
للمعالم خالق ، واجب الوجود لذاته ، واحد ، عالم ، قادر ، حي ، مرشد ،
متكلم ، سميع ، بصير .

(١) سورة الحشر : ٥٧ .

(٢) سورة الأحزاب : ٦ .

(٣) سورة النساء : ٦٥ .

(٤) سورة النساء : ٥٩ .

(٥) ن : قواعد الدين .

(٦) فيه : كذا في (ص) ، ك : فيها ، وسقطت من (ن) .

(٧) هنا ينتهي السقط في (خ ، س) الذي أشرت اليه في الصفحة الأولى ، وجاء

الكلام فيهما كذا : شمس الدين الأصهباني وهي .

والدليل^(١) على وجود الممكنات ؛ لاستحالة وجودها بنفسها ، واستحالة وجودها بممكن آخر ، ضرورة استغناء المملول بعلة من كل ما سواه ، وافتقار الممكن الى علة .

والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه ؛ والا لما كان واجب الوجود لذاته ، ضرورة افتقاره الى ما تركيب منه ؛ ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان ؛ ان لو كان لزم وجود الاثنان بلا امتياز ، وهو محال .

والدليل على علمه ايجاد الأشياء ؛ لاستحالة ايجاد الأشياء^(٢) مع الجهل بها .

والدليل على قدرته ايجاد الأشياء^(٣) ؛ وهي اما بالذات وهو محال ؛ والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما ، وهو باطل ، فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار ، وهو المطلوب .

والدليل على أنه حي علمه وقدرته ؛ لاستحالة قيام العلم والقدرة بفسير الحي .

والدليل على ارادته تخصيصه الأشياء^(٤) بخصوصيات ، واستحالة التخصيص من غير مخصص^(٥) .

والدليل على كونه متكلما أنه آمر وناه ؛ لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك .

والدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات .

(١) ك : والدليل .

(٢) ص ، ن : ويستلزم .

(٣) ص : أن لا تكون .

(٤-٤) ما بينهما سقط من (ن) .

(٥) خ : للأشياء .

(٦) خ ، س : المخصص .

والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة [نبينا^(١)]

محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه .

ثم نقول : كل ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ،
ومنكر ونكير ، وغير ذلك من أحوال القيامة ، والصراط ، والميزان ، والشفاة ،
والجنة - والنار - فهو حق ؛ لأنه ممكن ، وقد أخبر به الصادق ، فيلزم^(٢) صدقه ،
والله الموفق .

وأول الجواب ، والشرح المطلوب من شيخنا أبي العباس أحمد بن
تيمية ، المقدم ذكره - قوله :
الحمد لله^(٥) رب العالمين .

كتاب شرح
لأصبهانية

اذكره الأصبهاني
ن مسائل فهو
حق في الجملة
ماني هذا الكلام من الاخبار بأن للعالم خالقا ، وأنه واجب الوجود
بنفسه ، وأنه واحد ، عالم ، قادر ، حي ، مرید ، متكلم ، سميع ، بصير - فهو
حق لا ريب فيه .

وكذلك مافيه من الاقرار بنبوة الأنبياء [عليهم السلام]^(٦) ، ونبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وأنه يجب التصديق بكل ما أخبر به من عذاب القبر ،
ومنكر ونكير ، وغير ذلك من أحوال القيامة ، والصراط ، والميزان ، والشفاة ،
والجنة والنار - فانه حق .

فان هذه الأسماء المقدسة المذكورة لله تعالى ، منها ما هو في كتاب
الله ؛ كاسمه " الواحد " و " العالم " و " القادر " و " الحي " و " السميع " و " البصير " .

(١) نبينا : سقطت من (ص ، ن) .
(٢) خ ، س ، ك : محمد عليه السلام .
(٣) خ ، س ، ك : فلزم .
(٤) في النسختين (ص ، ن) : أبو العباس .
(٥) والله الموفق ، وأول الجواب . . . الخ : كذا في (ص ، ن) ؛ وفي خ ، س ، ك : والله
الموفق فأجاب رضي الله تعالى عنه : الحمد لله . . . الخ .
(٦) عليهم السلام : ليست في (ص ، ن) .

/ قال تعالى : ((والسهمك اله واحد))^(١) وقال تعالى : ((رفيع الدرجات
ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق .
يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار))^(٢) .

وقال تعالى : ((الله لا اله الا هو الحي القيوم))^(٣) وقال تعالى : ((وعتت
الوجوه للحي القيوم))^(٤) .

وقال تعالى : ((والله شكور حلیم . عالم الغيب والشهادة العزيز
الحكيم))^(٥) . وقال تعالى : ((ان الله على كل شيء قدير))^(٦) . وقال تعالى :
((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))^(٧) . ومثل هذا في القرآن كثير .

" المرید " و " المتكلم " وأما تسميته سبحانه بأنه مرید ، وأنه متكلم ؛ فان هذين الاسمين
ليسا من الأسماء^(٨) الحسني ، ومعناها لم يردا في القرآن ، ولا في الأسماء الحسني المعروفة ، ومعناها^(٩) حق ، ولكن
حق الأسماء الحسني هي التي يدعى الله تعالى بها^(١٠) ، وهي التي جاءت في
الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح^(١١) والثناء بنفسها .^(١٢)

-
- (١) سورة البقرة : ١٦٣ .
 - (٢) سورة غافر : ١٦٠ ، ١٥ .
 - (٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
 - (٤) سورة طه : ١١١ .
 - (٥) سورة التفاين : ١٧ ، ١٨ .
 - (٦) سورة البقرة : ٢٠ .
 - (٧) سورة الشورى : ١١ .
 - (٨) سبحانه : ليست في (خ ، س) . وكتب أمام هذا الكلام في هامش (س) : مطلب
تسميته أنه مرید وأنه متكلم لم يردا في القرآن .
 - (٩) خ ، س : فان معناها .
 - (١٠) خ ، س ، ك : الأسماء الحسني المعروفة .
 - (١١) ن : يدعى بها الله .
 - (١٢) ص ، ن : كالأسماء التي .
 - (١٣) خ ، س : المدحة .

والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح ،
والأسماء الدالة عليها أسماء مدح ^(١) .

وأما الكلام والارادة ، فلما كان جنسه ينقسم الى محمود كالصدق
والعدل ، والى مذموم كالظلم والكذب ^(٢) ، والله تعالى لا يوصف الا بالمحمود
دون المذموم - جاء ما يوصف به من الكلام والارادة في أسماء تختص ^(٣)
المحمود ؛ كاسمه " الحكيم " و " الرحيم " و " الصادق " و " المؤمن " و " الشهيد "
و " الرؤوف " و " الحلیم " و " الفتاح " ونحو ذلك ^(٤) مما يتضمن معنى الكلام
ومعنى الارادة .

فان الكلام نوعان : انشاء واخبار ، والاخبار ينقسم الى صدق وكذب ،
والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب ^(٥) . والانشاء نوعان : انشاء تكويني
وانشاء تشريع ، فانه سبحانه له الخلق والأمر ، وانما أمره اذا أراد شيئا
أن يقول له : كن ، فيكون .

والتكوين يستلزم الارادة عند جماهير الخلائق ، وكذلك يستلزم الكلام
عند أكثر أهل الاثبات . وأما التشريع فيستلزم الكلام ، وفي استلزامه
الارادة نزاع ، والصواب أنه يستلزم أحد نوعي الارادة ، كما سيتبين ^(٦)
ان شاء الله تعالى . والانشاء يتضمن الأمر والنهي والاباحة ، والله
تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهى عن الشر ^(٨) ، فهو سبحانه لا يأمر
بالفحشاء .

-
- (١) خ ، س : والأسماء الدالة عليها صفات ، فقط .
(٢) خ ، س : كالصدق والى مذموم كالكذب . وأمام هذا في هامش (س) كتب : مطلب انقسام
الكلام والارادة الى محمود ومذموم .
(٣) ص : تخصص . ك : تخص .
(٤) خ ، س : كاسمه الحلیم والرحيم والصادق ونحو ذلك .
(٥) مما : سقطت من (س) .
(٦-٦) ما بينهما سقط من (خ ، س) .
(٧) ك : كما سنيين .
(٨) ص ، ن : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وكذلك الارادة ، قد نزه نفسه عن بعض أنواعها ؛ كقوله : ((وما الله يريد ظلما للعباد)) (٢) ، وقوله : ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)) (٣) .
 فلهذا لم يجيء في أسماءه الحسنى المأثورة ، المتكلم والمريد (٤) . وأما ما يوصف به الرب / تعالى من الكلام والارادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى .

ج ٣

اتفاق السلف على أن الله متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق ، وأنه يريد بارادة قائمة به ، وأن ارادته ليست غير مخلوقة ، وأنكروا على الجهمية من المعتزلة (٥) وغيرهم الذين قالوا :
 وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به ،

- (١) ك : بقوله تعالى .
- (٢) سورة غافر : ٣١ .
- (٣) سورة البقرة : ١٨٥ .
- (٤) المتكلم والمريد : سقطت من (خ ، س) .

(٥) الجهمية أتباع أبي محرز . جهنم بن صفوان من أهل خراسان ، وينسب الى سمرقند وترمز ، مولى لبني راسب ، أخذ عن الجعد بن درهم (انظر ترجمة الجعد فيما يأتي ص ١٦ ت ١) وكان الجهنم صاحب خصومات وكلام ، وأشهر بدعه نفي الصفات ، وأن الايمان هو المعرفة بالقلب فقط ، وأنه ليس للمعبود فعل ولا قدرة على الفعل بل ذلك لله ، وأن الجنة والنار تغنيان ، قتل بعرو سنة ١٢٨ هـ ، وقد توسع السلف في اطلاق لقب " الجهمية " على فرق أخرى قالت بنفي الصفات أو بعضها ، ذكر ابن تيمية في " التسعينية " ، ص ٤٠ - ٤٢ (ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ، ط . كردستان ١٣٢٩) - مالمخصه : الجهمية ثلاث درجات : فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسماء الحسنى قالوا : هو مجاز ، ويدخل في هذا أتباع جهنم والقرامطة الباطنية والصابئة الفلاسفة ، والثانية المعتزلة ونحوهم الذين يقررون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته ، والثالثة الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم وهم الذين يقررون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون بعضها ، كابن كلاب والأشعري ونحوهما .

انظر عن جهنم والجهمية :

الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ، ص ٦٤ وما بعدها ، خلق أفعال العباد للبخاري ، ص ١١٨ - ١٣٧ (كلاهما ضمن مجلد بعنوان " عقائد السلف " نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م) ؛ مقالات الاسلاميين ١ / ٢١٤ ، ٣٣٨ ، البدء والتاريخ ١٤٦ / ٥ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢١١ - ٢١٢ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٣ - ٦٤ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٠٩ - ١١٢ ؛ كتاب التسعينية لابن تيمية ص ٣١ - ٤٢ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١٢ / ٢٣٠ - ٢٢٩ / ٨ ، ٢٣٠ - ٢٣١ / ١٢ ، ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ ١٤ / ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٣ ؛ الخطط للمقرئزي ٢ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ؛ تاريخ الطبري ٦ / ٦ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ٢٦ - ٢٧ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٦ ، لسان الميزان ٢ / ١٤٢ ، الاعلام ٢ / ١٤١ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين المجلد الأول ٤ / ٢١ - ٢٣ .

(٦) أشهر ما قيل في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم أن الحسن البصري (ت ١١٠) سئل عن مرتكب الكبيرة ، وفي مجلسه واصل بن عطاء الفزالي (ت ١٣١ هـ) فقال واصل : ان مرتكب الكبيرة =

ان كلام الله مخلوق ، خلقه في غيره ، وانه كلم موسى بكلام خلقه في الهوا* .

معنى قول السلف من القرآن : منه بدأ واليه يعود ، من خلق في غيره ، كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم : " انه بدأ من بعض المخلوقات ، وانه سبحانه لم يقم به كلام " .

ولم يرد السلف أن كلامه^(٤) فارق ذاته ؛ فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق^(٥) الموصوف ، بل صفة المخلوق لا تفارقه وتتقل الى غيره ، فكيف

= لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين ، ثم اعتزل في مكان آخر من مسجد البصرة ، وانضم اليه عمرو بن عبيد (ت ١٤٢ أو ١٤٣) فسميا وأتباعهما من يومئذ بالمعتزلة .

المعتزلة فرق كثيرة ، لكل فرقة آراء خاصة بها ، لكن اتفقوا على خمسة أصول - تضمنت معان باطلة - التوحيد ، وجعلوا منه نفي الصفات ، وانكار الروية ، والقول بأن القرآن مخلوق ؛ والعدل ، وجعلوا منه أنه تعالى لا يشاء ما يكون ، ويكون ما لا يشاء ، وأنه لم يخلق أعمال العباد ؛ والوعد والوعيد ، قالوا : ان الله صادق لا يخلف الميعاد ولا يبد أن ينفذ ما وعد أو توعد به ، ومنه قضا على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار ؛ والمنزلة بين المنزلتين ، وهي لمرتكب الكبيرة ، حيث يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضمنوه قتال الائمة والزمام غيرهم بمذاهبهم بالسيف ومادونه .

قوى أمر المعتزلة والجهمية في عهد المأمون والمعتمد والواثق فحللوهم (سنة ٢١٨-٢٣٢) على امتحان الناس في القول بخلق القرآن .

انظر عن المعتزلة ورجالها وآرائهم :

مقالات الاسلاميين ٢٣٥/١ وما بعدها ؛ التبيين والرد للملطي ، ص ٣٥ - ٤١ ؛ أصول الدين للبيفدادى ، ص ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٩٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١١٤ - ٢٠١ ، التبيين في الدين ، ص ٣٧ - ٥٨ ؛ الفصل لابن حزم ١١٣/٢ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ٢/٣ ، ٤٣ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٩ ، ٤/٤ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ١٧١ ، ١٩٢ ؛ الملل والنحل ١/٥٤ وما بعدها ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١٣/٩٧ - ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٩/٣٤ ، ٣٥٠ ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ؛ ضحى الاسلام ٢١/٣ - ٢٠٧ ؛ مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوي ١/٣٧ - ٤٨٤ ؛ المعتزلة لزهدي حسن جار الله ، ط القاهرة ١٣٦٦ هـ . ولعبد الجبار بن أحمد الهذلي المعنزي كتاب " شرح الأصول الخمسة " حققه الدكتور/ عبد الكريم عثمان ، ط القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ، وله كتاب " المعنى في أبواب التوحيد والعدل " يقع في عشرين جزءا ، عشر على أربعة عشر جزءا منها نشرتها الدار المصرية للتأليف والترجمة . القرآن : سقطت من (ص ، ن ، ك) . وأمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب أن القرآن منه بدأ واليه يعود . (٢) خ ، س : وانه هو سبحانه . (٤) ص ، ن ، ك : انه كلام . خ ، س : ولم يريدوا . ك : لا تفارق .

تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره ! ولهذا قال الامام أحمد : كلام
الله من الله ليس بباطن منه ^(١) . [ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم
الذين يقولون : كلام الله بائن منه ^(٢)] خلقه في بعض الأجسام .
ومعنى قول السلف : اليه يعود ، ماجاء في الآثار : (ان القرآن يسرى
به ، حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ، ولا في القلوب منه آية ^(٤)) .
وقد قال تعالى عن المخلوق : ((كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان
يقولون الا كذبا ^(٦))) . ومع هذا فكلمة المخلوق لا تفارق ذاته ، وتنتقل
الى غيره .

(١) أورد ابن أبي يعلي في كتابه طبقات الحنابلة (١/٢٤١) ، عن عبدوس بن مالك العطّار
قال : " سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول : أصول السنة عندنا
التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاعتداء بهم ، وترك البدع .."
الى أن قال (١/٢٤٢) : " والقرآن كلام الله ، وليس بمخلوق ، ولا يضعف أن يقول : ليس
بمخلوق ، وأن كلام الله ليس بباطن منه ، وليس شي منه مخلوق " .
(٢-٣) ما بينهما سقط من (ص) .

(٣) ص : من .
(٤) روى ابن ماجه في سننه ١٣٤٤/٢ - ١٣٤٥ (رقم ٤٠٤٩) كتاب الفتن ، باب زهد سباب
القرآن والعلم ، عن علي بن محمد ثنا أبو معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي
ابن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يدرس
الاسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ماصيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ،
وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف
من الناس ؛ الشيخ الكبير والمعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا اله
الا الله . فنحن نقولها) .

قال البوصيري (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه . ق ٢٤٧ ، مصور بقسم المخطوطات ،
مكتبة جامعة الملك سعود رقم ٥٥٨ ص ، عن مخطوطة مكتبة الأوقاف بحلب / الأحمديسة
رقم ١٨٥) : " هذا اسناد صحيح ، رجاله ثقات " .

وروى الحديث الحاكم في المستدرک ٤/٤٧٣ ، ٤٤٥ من طريقين عن أبي معاوية بهذا
الاسناد ، وقال عنه : حديث صحيح على شرط مسلم .

وهناك أخبار وأثار كثيرة بمعنى ما أورد ابن تيمية هنا ، انظر المستدرک ٤/٤٠٤ ، ٥٠٦ ؛
سنن الدارمي ٢/٣١٥ ؛ تفسير الطبري ١٥/١٠٦ ؛ وانظر بخاصة الدر المنثور ٤/٢٠١ - ٢٠٢
عند تفسير قوله تعالى : ((ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا)) [الاسراء : ٨٦] .

(٥) خ ، س ، ك : وقد قال الله تعالى .

(٦) سورة الكهف : ٥ .
(٧) خ ، س : لم تفارق .

وما جاءت به الآثار^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين - كالحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وكتبه الى المتوكل فى رسالته التى أرسل بها اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه) . يعنى القرآن ، وفى لفظ : (بأحب اليه ما خرج منه)^(٢) .

(١) من قوله : " وما جاءت به الآثار " الى قوله نسي من ١٢ - ١٣ " ذكره الخلال فى كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد " سقط من (خ ، س) .
(٢) هي رسالة أرسلها الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان (ت ٢٦٣هـ) وزير المتوكل جوابا لكتاب منه يخبره " أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب اليك كتابا أسألك من أمر القرآن لاسئلة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة " .
وقد أورد نص هذه الرسالة عبد الله بن أحمد بن حنبل فى كتابه " السنة " ص ١٦ - ١٩ ، وأبو نعيم فى ترجمة الامام أحمد من كتابه " حلية الأولياء " ٢١٦/٩ - ٢١٩ . ونقلها عنه الذهبي فى ترجمة الامام أحمد من كتابه " تاريخ الاسلام " وقد نقل هذه الترجمة عن نسخة خطية لكتاب " تاريخ الاسلام " فى دار الكتب المصرية - الأستاذ أحمد شاكر فى مقدمة " المسند " ثم أفردها برسالة مستقلة نشرتها دار المعارف بمصر فى نفس العام الذى نشرت فيه الجزء الأول من المسند ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .
وقال الذهبي عن رسالة أحمد هذه (مقدمة المسند ١/١٢٤) : " رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة اثبات أشهد بالله أنه أملاها على ولده " .

(٣) روى الامام أحمد فى مسنده (ط الحلبي) ٢٦٨/٥ ، والترمذى فى جامعه (تحفة الاحوذى ٢٢٩/٨ - ٢٣٠) ، فضائل القرآن ، باب حدثنا أحمد بن منيع الخ بسنديهما عن بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرتاة عن أبي أمامة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أذن الله لعبيد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما وان البر ليذر على رأس العبد مادام فى صلاته ، وماتقرب العباد الى الله عز وجل بمثل ماخرج منه) . يعنى القرآن .
قال الترمذى : " هذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه ، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه فى آخر أمره " .
وأضاف المباركفورى ٢٣٠/٨ : " وليث بن أبي سليم وقد اختلط أخيرا ولم يتمييز حديثه فترك " .

وانظر فى الرجلين أيضا ميزان الاعتدال ١/٣٤٤ ، ٣/٤٢٠ - ٤٢٣ .
وروى الحديث الترمذى ٢٣٠/٨ عن زيد بن أرتاة عن جبير بن نغير عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، ولفظه : (انكم لن ترجعوا الى الله بأفضل ما خرج منه) يعنى القرآن .
وأورده الامام أحمد فى رسالته الى المتوكل [كتاب السنة لعبيد الله بن أحمد ، ص ١٧] عن جبير بن نغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأورد أيضا [المرجع السابق ، ص ١٨] عن خباب بن الارت موقوفا : (تقرب الى الله بما استطعت فانك لن تقرب الى الله بشيء أحب اليه من كلامه) . ورواه عن خباب البخارى فى كتاب " خلق أفعال العباد " ، ص ١٣٢ ضمن مجموع " عقائد السلف " ، والبيهقى فى كتاب " الاسماء والصفات " ، ص ٢٤١ .

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لما سمع كلام مسيلمة^(١) : ان هذا كلام لم يخرج من ال ، أى من رب .^(٢) وقول ابن عباس ، لما سمع قائلاً يقول لميت لما وضع في لحدّه : اللهم رب القرآن اغفر له ، فالتفت اليه ابن عباس فقال : مه ، القرآن كلام الله ليس بمربوب ، منه خرج واليه يعود . وهذا الكلام معروف عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) .

(١) أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب ، أو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث قدم سنة عشر مع قومه بني حنيفة وافدا الى رسول الله ، وسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ان جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، فأقبل اليه - وفي يده قطعة جريد - فقال : (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله) .

ثم ادعى أنه أشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، ولما مات عليه السلام زعم أنه استقل بالأمر من بعده ، واستخف قومه فأطاعوه ، فوجه اليهم أبو بكر الصديق خالد بن الوليد على رأس جيش كبير ، فكانت وقعة اليمامة في سنة ١٢ و ١١ انتهت بهزيمة المرتدين وقتل مسيلمة الكذاب .

انظر: صحيح البخارى (فتح البارى ٨٩/٨ رقم ٤٣٧٣) كتاب المغازى ، باب وفد بني حنيفة . . . الخ ؛ سيرة ابن هشام (القسم الثاني) ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ؛ طبقات ابن سعد ١/٢٧٣ ، ٣١٦ - ٣١٧ ؛ تاريخ الطبرى ٣/١٢٨ - ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٧١ - ٢٧٤ ، ٢٨١ - ٣٠١ ؛ البدء والتاريخ ٥/١٦٠ - ١٦٣ ؛ الكامل لابن الأثير ٢/٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ - ٣٦٥ ؛ البداية والنهاية ٦/٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ؛ فتح البارى ٨٩/٨ - ٩٠ ؛ الاعلام ٧/٢٢٦ .

(٢) بعد معركة اليمامة بعث خالد وفدا من بني حنيفة الى أبي بكر ، ولما قدموا عليه سألهم أن يسموه شيئا من كلام مسيلمة ، فاستمعوه ، فاعزم عليهم حتى قرأوا منه ، فقال الصديق : ويحكم ! ان هذا الكلام لم يخرج من ال ولا بر ، فاين يذهب بكم ! (انظر تاريخ الطبرى ٣/٣٠٠) .

وفي غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٢٣٠ " قوله : من ال ، يعني من رب ، ويروى عن الشعبي أنه قال في قوله : (لا يرقبون في مؤمن الا ولائمة) [سورة التوبة : ١٠] قال : الله ، أو قال : ربا ، وما يبين هذا قول جبريل وميكائيل ، انما أضيف " جبر " و " ميكا " الى " ال " ، وهو شبيه بقول ابن عباس : انما هو كقولك : عبد الله وعبد الرحمن في جبريل وميكائيل . وانظر أيضا غريب الحديث ١/٩٩ - ١٠٠ ، النهاية في غريب الحديث والأثر

٦١/١ .

(٣) أورد ابن تيمية قول ابن عباس في كتاب " منهاج السنة " تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ١٨٦/٢ - ١٨٧ ، وفي كتاب " التسعينية " ، ص ٤٧ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط كردستان ، القاهرة ١٣٢٩ هـ من رواية الامام عبد الرحمن ابن أبي حاتم نسي كتاب " الرد على الجهمية " وأورده في كتاب " التسعينية " أيضا ، ص ٦٥ من رواية الطبرانسي في كتاب " السنة " بسنديهما عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس .

وقول السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، كما هو مذكور عنهم في الكتب المنقولة عنهم بالأسانيد المشهورة - لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره ، / ولكن هذا دليل على أن الله تعالى هو المتكلم بالقرآن ، ومنه سمع ، لا أنه خلقه في غيره ، كما فسرته بذلك أحمد وغيره من الأئمة ؛ قال أبو بكر الأعمش (١) : سئل أحمد عن قوله : القرآن كلام الله ، منه خرج ، واليه يعود . فقال أحمد : منه خرج : هو المتكلم به ، واليه يعود . ذكره الخلال (٢) في كتاب السنة (٣) عن عبد الله بن

ظ ٣

- (١) أبو بكر الأعمش : كذا في (ص) ، وهو الصواب (انظر في هذه الصفحة تعليق رقم ٣) . وفي (ن) : أبو بكر الأثرم ، وفي (ك) : أبو بكر الأثرم . والأعمش هو محمد بن أبي عتاب ، واسم أبي عتاب طريف ، وقيل : الحسن بن طريف . ثقة ، نقل عن الامام أحمد أشياء ، مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ . انظر : الجرح والتمديد ٢/٢٢٩ ؛ تاريخ بغداد ٢/١٨٢-١٨٣ ؛ طبقات الحنابلة ١/٢٩٩-٣٠٠ ، ٣٣١ ؛ الوافي بالوفيات ٢/٢٣٥-٣٣٦ ؛ تهذيب التهذيب ٩/٣٣٤-٣٣٥ . والأثرم هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الطائي - ويقال الكلبى - الأثرم ، الاسكافي . تفقه على الامام أحمد وروى عنه ، وكان حافظا صادقا زكيا . توفي سنة ٢٦١ هـ وقيل ٢٧٣ هـ وذكره ابن كثير في وفيات سنة ٢٩٦ هـ انظر عنه وعن مصنفاته : تاريخ بغداد ٥/١١٠-١١٢ ؛ طبقات الحنابلة ١/٦٦-٧٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٠-٥٧٢ ؛ العبر ٢/٢١ ؛ البداية والنهاية ١/١٠٨ ؛ تهذيب التهذيب ١/٧٨-٧٩ ؛ الاعلام ١/٢٠٥ ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ٣/٢٢٩ . ولم أجد فيمن نقل عن الامام أحمد من يسمى أبو بكر الأثرم .
- (٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت ٣١١ هـ) من كبار أئمة الحنابلة ، صرف عنايته الى جمع علوم الامام أحمد وتطبيقها وسافر لأجلها وصنفها كتبا ، من كتبه " الجامع " و " العلل " و " السنة " و " الطبقات " وغيرها . انظر في ترجمته وكتبه : تاريخ بغداد ٥/١١٢-١١٣ ؛ طبقات الحنابلة ٢/١٠-١٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/٧٨٥-٧٨٦ ؛ العبر ٢/١٤٨ ؛ البداية والنهاية ١/١٤٨ ؛ الاعلام ١/٢٠٦ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٣١٣-٣١٤ ؛ تاريخ التراث العربي لغواد سرزكين ، (المجلد الأول ٣/٢٢٣-٢٢٤) .
- (٣) نقل ابن تيمية في كتابه " التسعينية " ، (ص ٦٤) ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام قول الخلال في كتابه " السنة " : " سمعت عبد الله بن أحمد قال : ذكر أبو بكر الأعمش قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود ، فقال أحمد : منه خرج هو المتكلم به واليه يعود " . وقد اطلعت على صورة لمخطوط في المتحف البريطاني (مخطوطات شرقية ٢٦٧٥) عنوانه " الجزء الأول من كتاب السنن من مسائل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . رواية أبي بكر الخلال " واشتمل هذا الجزء على أبواب في الإمامة ، والخلافة ، والقدر ، والايمان ، والقرآن . وفيه (ق ١٥٨) النص الذي نقله ابن تيمية بلفظه . ولا أرى هل هذا هو كتاب " السنة " أو لا ، الا أن سرزكين في كتاب " تاريخ التراث العربي ١/٣٢٣ ذكره على أنه " الجامع " .

[وما جاءت به الآثار مثل قول خباب بن الأرت: ^(٤) تقرب الى الله بما استطعت ، فانك لن تتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه ، وروى ذلك مرفوعاً ^(٤) ، ونحو ذلك - أولى أن لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره ، ولكن هذا دليل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع ، لا أنه خلقه في غيره ^(٢)] .

فساد قول من يقول: ^(٦) وقد بين السلف والأئمة وأتباعهم فساد قول الجهمية [وأتباعهم] - كلام الله مخلوق

الذين يقولون: كلامه مخلوق - من وجوه كثيرة؛ مثل قولهم: لو كان مخلوقاً في غيره لكان صفة لذلك المحل، ولا شق لذلك المحل منه اسم، كما في سائر الصفات؛ مثل العلم والقدرة والسمع والبصر والحياة، وكما

في الحركة والسكون، والسواد والبياض، وسائر الصفات التي يشترط لها ^(٨)

(١) ابو عبد الرحمن عبد الله بن الامام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢١٣ - ٢٩٠ هـ) ثقة حافظ، سمع من أبيه - فأكثر - ومن غيره . انظر عنه وعن كتبه : تاريخ بغداد ٩ / ٣٧٥ - ٣٧٦ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ١٨٠ - ١٨٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٦٥ - ٦٦٦ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٩٦ - ٩٧ ؛ تهذيب التهذيب ٥ / ١٤١ - ١٤٣ ؛ الاعلام ٤ / ٦٥ ؛ تاريخ الأدب العربي ٣ / ٣١٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٣ / ٢٣٢ - ٢٣٣) .

(*) هنا ينتهي السقط في (خ ، س) الذي بدأ في ص ١٠ .

(٢-٢) ما بينهما سقط من (ص) .

(٣) خ ، س : فما جاءت .

(٤) خباب بن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب التميمي . صحابي ، ممن السابقين ومن عذب في الله ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه . نزل الكوفة ، ومات بها سنة سبع وثلاثين .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ١٦٤ - ١٦٧ ؛ حلية الأولياء ١ / ١٤٣ - ١٤٧ ، ٢٥٩ - ٣٦٠ ؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٤٣٧ - ٤٣٩ ؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢ / ١٠٦ - ١٠٨ ؛ الاصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ تهذيب التهذيب ٣ / ١٣٣ - ١٣٤ ؛ الاعلام ٢ / ٣٠١ .

(٥) انظر فيما سبق ، ص ١٠ ت ٣ .

(٦) واتباعهم : زيادة من (ك) .

(٧) خ ، س ، ك : بوجوه وكتب أمام هذا الموضوع في هامش (س) : مطلب في فساد قول الجهمية من وجوه .

(٨) ك : تشترط . خ : التي لا تشترط . س : التي لا يشترط .

الحياة ، فانها اذا قامت بمحل كانت صفة لذلك المحل دون غيره ،
واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره ، فان الصفة ^(١) اذا قامت بمحل
عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره ، وسي بالاسم المشتق منها ذلك
المحل دون غيره .

وطرد هذا عند السلف وجسهور أهل الاثبات ، أسما ^(٢) الأفعال :
كالخالق والعاقل وغير ذلك .

وأما من لم يطرد ذلك ، بل زعم أنه يوصف بصفات الأفعال ، وهي
عنده المفعولات المبينة له ، ويشتق له منها اسم - فقوله متناقض ؛
ولهذا نقض المعتزلة قول هؤلاء بما سلموه لهم ، ويسط هذا له موضع
آخر .

والمقصود هنا التنبيه على الفرق بين المتكلم والمريد وغيرهما ،
حيث جاءت النصوص باسم " العليم " و " القدير " و " السميع " و " البصير " ،
ولم تأت ^(٣) باسم " المريد " و " المتكلم " بما يدل على مطلق الارادة والكلام ،
وانما جاءت بما يدل على الكلام المحمود ، والارادة المحموده ، لا باسم
يشترك فيه المحمود والمذموم ؛ وأن الكلام والارادة مما يقوم بالرب تعالى ،
ويوصف به ، ليس ذلك أمرا منفصلا عنه ، كما تزعم الجهمية والمعتزلية ،
والتنبيه على أنه لو كان كلام الله مخلوقا في محل ، لكان ذلك المحل
هو المتكلم به ، وكانت الشجرة مثلا هي القائلة ^(٤) لموسى : ((اني أنا الله
لا اله الا أنا فاعبدني)) ^(٥) ، ولوجب أن يكون ما أنطق الله به بعض مخلوقاته ^(٦) كلاما له .

-
- (١) من قوله هنا : " فان الصفة ... الى قوله : " والتنبيه على أنه " سقط من (خ ، س) .
(٢) ك : في أسما .
(٣) ولم تأت : كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : لم يأت .
(٤) هنا ينتهي السقط في (خ ، س) ، وجاء الكلام فيهما هكذا : ... واشتق لذلك المحل منها اسم
دون غيره فلو كان كلام الله مخلوقا ...
(٥) ص ، ن : القائل .
(٦) سورة طه : ١٤ .
(٧) في (ص) في هذا الموضع سهم يشير الى وجود سقط ، وكتب في الهامش : لعله ———
الجمادات .

وقد قال تعالى : ((وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء^(١))) . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم عليه الحجر ؛ وقال : (اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبيل أن أبعث ، اني لأعرفه الآن)^(٢) ، وقد سبح الحصى بيديه حتى سمع تسبيحه^(٣) ، وأشمال ذلك كثيرة^(٤) .

ج ٤ والله هو الذى أنطق هذه الأجسام ، / فلو كان ما يخلقه من النطق والكلام كلاما له ، لكان ذلك كلام الله ، كما أن القرآن كلام الله ، وكان لافرق بين أن ينطق- هو ، وبين أن ينطق غيره من المخلوقات ، وهذا ظاهر الفساد .

تطور مذهب الجهمية في كلام الله وكان قدما الجهمية تنكر أن يكون الله يتكلم^(٥) ؛ فان حقيقة مذهبهم أن الله لا يتكلم ، ولهذا قتل المسلمون أول من أظهر هذه البدعة

(١) سورة فصلت : ٢١ .
(٢) الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه ، وهو بلفظه في صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ (رقم ٢٢٢٧٧) كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ؛ وفي مسند أحمد (ط الحلبي) ٥/٨٩ ، ٩٥ .
وبلفظ مقارب في مسند أحمد (ط الحلبي) ٥/١٠٥ ؛ وفي جامع الترمذى (تحفة الأئمة) ١٠/٩٨ .
أبواب المناقب ، باب ماجاء في آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما قد خصه الله به .

(٣) أورد الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٧٩ ، ٨/٢٩٨ - ٢٩٩ عن أبي نذر الغفارى قال : (كنت أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتعلم منه ، فذهبت يوما فاذا هو قد خرج فاتبعته ، فجلس في موضع فجلست عنده . . .) وفيه (. . .) فتناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات ، أو تسع حصيات ، فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن . . .) وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

قال الهيثمي ٨/٢٩٩ : " رواه البزار باسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف ، وقد تقدم في الخلافة له طريق عن أبي نذر أيضا رواه الطبراني في الأوسط " .
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٦/١٢٢ - ١٢٣ من رواية البيهقي وأبي نعيم ، وانظره في دلائل النبوة لأبي نعيم ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ، وانظر فتح البارى ٦/٥٩٢ .

(٤) خ ، ك : كثير .

(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب انكار قدما الجهمية أن يتكلم ربنا وفيه قتل الجعد بن درهم .

(١) في الاسلام ، الجعد بن درهم ، ضحى به خالد بن عبدالله القسرى فسي يوم النحر ، وقال : ضحوا - أيها الناس - تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه . ثم انهم صاروا يقولون : انه متكلم مجازا ، ثم بعد ذلك أظهروا القول بأنه متكلم حقيقة ؛ وقرروا^(٣) ذلك بأنه خالق للكلام في غيره .

(١) الجعد بن درهم ، من الموالي ، أول من أظهر القول بنفي الصفات في الاسلام ، وقتله على ذلك بأمر الخليفة هشام بن عبدالملك الأمير خالد القسرى بواسط العراق في يوم أضحى قبل سنة ١٢٠ هـ . (ذكر الزركلي في الأعلام ١٢٠/٢) أن وفاته نحو سنة ١١٨ هـ ولم أر من حدد ذلك في كتب التاريخ والتراجم المتقدمة لكن خالد ا عزل عن العراق في جمادى الأولى سنة ١٢٠ هـ .

قال ابن تيمية في " الحموية " ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٢٠/٥ - ٢١ : " وقد قيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سميان ، وأخذها أبان عن طالسوت ابن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طالسوت من لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد بن درهم هذا - فيما قيل - من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة . . . "

وقد روى خبر مقتل الجعد البخارى في " خلق أفعال العباد " ص ١١٨ ؛ وعثمان بن سعيد الدارمي في " الرد على الجهمية " ص ٢٥٨ . وكلاهما ضمن مجموع نشرته منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٧١م بعنوان " عقائد السلف " ؛ والبيهقي في " الأسماء والصفات " ، ص ٢٥٤ ؛ وغيرهم .

وانظر ترجمة الجعد ومصدر تلقيه هذا المذهب وانتشاره في : اللباب ١/٢٨٢-٢٨٣ ؛ الكامل ٤٢٩/٥ ؛ التسعينية ، ص ٣٥ - ٣٦ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام (ط كردستان بالقاهرة) ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٢٠/٥ - ٢٣ ، ٦٦/١ - ٦٧/١٢ ، ١١٩/١ - ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٥٠٤ ، ١٣/١٧٧ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ٤/٢٣٨-٢٣٩ ؛ ميزان الاعتدال ١/٣٩٩ ؛ البداية والنهاية ٩/٣٥٠ ؛ لسان الميزان ٢/١٠٥ ، الأعلام ٢/١٢٠ .

(٢) خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد البجلي القسرى . ولاء الوليد بن عبدالملك مكة سنة ٨٩ هـ فلم يزل بها حتى عزله سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦ هـ ، ثم ولاء هشام بن عبدالملك العراق سنة ١٠٥ هـ أو ١٠٦ هـ الى أن عزله سنة ١٢٠ هـ ، ثم قتل بأمر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ . نسب الى خالد وقيل في معتقده وسيرته أشياء متناقضة . انظر : تاريخ الطبرى ٦/٤٤٠ ، ٥٢٢ ؛ ترتيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/٦٧-٨٠ ؛ اللباب ٣/٣٦ ؛ الكامل ٥/٢١٩ - ٢٢٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ؛ وفيات الأعيان ٢/٢٢٦ - ٢٣١ ؛ تاريخ الاسلام للذهبي ٥/٦٤ - ٦٥ ؛ ميزان الاعتدال ١/٦٣٣ ؛ البداية والنهاية ٩/٧٦-٧٧ ، ١٠/١٧ - ٢١ ؛ تهذيب التهذيب ٣/١٠١ - ١٠٢ ؛ الأعلام ٢/٢٩٧ .

(١) خ ، س : وفسروا .

وكان هذا من التلبيس على الناس؛ فان المتكلم عند الناس من قام به الكلام، لا من أحدثه في غيره، كما أن المرید، والرحيم، والسميع، والبصير، والعالم، والقادر، من قامت به الارادة، والرحمة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، لا من أحدث ذلك في غيره .

وكذلك الارادة، فان من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من يقول: انه

لا ارادة له، كما يقوله من يقوله من المعتزلة البغداديين، ومنهم من يقول

له ارادة أحدثها لا في محل، كما يقوله البصريون منهم،^(٢) والشيعه المتأخرون^(٣)

(١) خ، س، ك: ومن الجهمية .

(٢) ظهر الاعتزال بالبصرة على يد واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)، ويذكر الملطبي في "التنبيه والرد"، ص ٣٨ أن معتزلة بغداد أخذوا الاعتزال عن معتزلة البصرة، أولهم بشر بن المعتز (ت ٢١٠هـ) خرج الى البصرة فلقى بشر بن سعيد وأبا عثمان الزعفراني، صاحباً واصل بن عطاء فحمل عنهما الاعتزال والأصول الخمسة الى بغداد .

والمعتزلة - كما تقدم - فرق متعددة، لكن ثمة سمات تميز معتزلة البصرة عن معتزلة بغداد، يقول ابن تيمية في كتاب "درء تعارض العقل والنقل" ١/١٥٧: "والبصريون أقرب الى السنة والاثبات من البغداديين، ولهذا كان البصريون يشبّون كون الباري سميعاً بصيراً مع كونه حياً عليماً قديراً، ويشبّون له الارادة، ولا يوجبون الأصلاح في الدنيا، ويشبّون خبر الواحد والقياس، ولا يؤثمون المجتهدين، وغير ذلك"، ويقول (درء ٣٤٨/٥): "تأويل الميزان والصراط، وعذاب القبر، والسمع والبصر، انما هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية". ويذكر أيضاً اختلافهم في الارادة في درء ٣٢٩/١، وفي مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٣٠٠/١٣

(٣) سمي الشيعة بهذا الاسم لأنهم شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد صنفهم الأشعري في مقالات الاسلاميين ١/٦٥، وابن تيمية في التسمينية، ص ٤٠ ثلاث درجات، عرفها ابن تيمية كما يلي:

الأولى - الغالية، الذين يجعلون لعلي شيئاً من الالهية، أو يصفونه بالنبوة .
الثانية - الرافضة كالامامية وغيرهم، الذين يعتقدون أن علياً هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي، وأنه ظلم ومنع حقه، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما .
الثالثة - المفضلة من الزيدية وغيرهم، الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما، ويتولونهما .

ويذكر ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ط الرياض ١٣/٣٣-٣٤) أن الشيعة الأولى الذين نفي عهد علي فضلوه على عثمان ولم يفضلوه على أبي بكر وعمر رضي الله عن الجميع، وان كانت بوادر هذه الأصناف الثلاثة قد وجدت في ذلك العهد، لكن كانوا يخفون أقوالهم عن علي وشيعته . هذا وقسم الأشعري (مقالات الاسلاميين ١/٦٥-١٦٦) كل صنف من هذه الثلاثة الى فرق تحدث عنها بالتفصيل .

وذكر (١/٦٦-٨٨) أقوال الغالية وفي بعضها التشبيه والتجسيم والحلول، ثم تكلم عن الرافضة وذكر (١/١٠٦-١٠٩) اختلافهم في التجسيم على ست فرق، قالت خمس منها بالتشبيه أو التجسيم، وسمي من هؤلاء: الهشامية أصحاب هشام بن الحكم (ت ١٨٧هـ) والهشامية / =

وافقوهم على ذلك ، ولهم قولان كالمعتزلة^(١) .

وهو من أفسد الأقوال من وجهين : من جهة اثباتهم صفة لافي محل ،

ومن جهة اثباتهم حادثا أحدثه لا بارادة .

اختصارالأصبهاني
هذه العقيدة من
كتب المتكلمين
الصفاتية
فهذا المصنف احتز عن مذهب هؤلاء* ، وأحسن في ذلك ، ولكن
هذا المصنف اختصر هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاتية^(٢) ، الذين
يثبتون ما ذكره من الصفات بما نبه عليه من الطرق العقلية ، ويسمون ذلك

"العقليات" ، وأما أمر المعاد فيجعلونه كله من باب السمعيات ؛ لأنه ممكن

في العقل ، والصادق قد أخبر به .

= / أصحاب هشام بن سالم الجواليقي وقال عن الفرقة السادسة انهم نفوا ذلك وقالوا
في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج ، وهو لا قوم من متأخريهم ، فأما أوائلهم فانهم كانوا
يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه .

وكذلك ذكر (١١٤/١ - ١١٥) قولهم في أفعال العباد ، وفيه أن هشام بن الحكم قال : انها
مخلوقة لله ، بخلاف قوم منهم يقولون بالاعتزال والامامة .

وأورد (١١٥/١ - ١١٦) اختلافهم في ارادة الله على أربع فرق ، وبين أن أصحاب البشامين
قالوا : ان ارادة الله حركة ، وهي معنى لا هي الله ولا غيره ، وانها صفة لله ليست غيره ، وان
الله اذا اراد شيئا تحرك فكان ما اراد ، ثم قال : "والقائلون بالاعتزال والامامة يزعمون أن
ارادة الله ليست بحركة ، فمنهم من أثبتها غير المراد فيقول : انها مخلوقة لله لا بارادة ، ومنهم
من يقول : ارادة الله سبحانه لتكوين الشيء هو الشيء ، وارانته لأفعال العباد هي أمره
اياهم بالفعل ، وهي غير فعلهم ، وهم يأبون أن يكون الله سبحانه اراد المعاصي فكانت ."

وقد أشار ابن تيمية في غير موضع الى غلو متقدمي الشيعة كالبشامين في الاثبات ، بضد
متأخريهم الذين صنفوا في أواخر المائة الثالثة - كالنويختي أبي محمد الحسن بن موسى
(ت ٤٣١هـ) وأمثاله ، ومن جاء بعدهم كالنفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)
وأتباعه كالموسوي أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت ٤٣٦هـ) والطوسي أبي
جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ) - فانهم أخذوا أقوال المعتزلة . انظر "التسعينية"
ص ٣٩ - ٤٠ ؛ منهاج السنة (تحقيق الدكتور / رشاد سالم) (١/٤٥ - ٤٦ ، ٢/٧٢ ، ١/٧١ .

وانظر أيضا عن الشيعة وفرقها ورجالها : التنبيه والرد ، ص ١٨ - ٣٥ ، ١٥٦ - ١٦٥ ، أصول
الدين للبغدادي ، ص ١٩ ، ٧٤ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ ، ٣٣١ - ٣٣٢ ،
الفرق بين الفرق ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٩ ، ٧٢ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ الفصل لابن حزم ١١٣/٢ ، ٥٤/٣ ،
٤/٤٥٤ ، ١٧١/١ ، ١٧٩ - ١٨٨ ؛ التبصير في الدين ، ص ٣٢ - ٤٥ ؛ الملل والنحل
للمهرستاني ١/١٩٥ - ٢٢٤ ، ٢/٢٠٢ - ٣٦ ؛ الحور العين ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ - ١٧٨ ،
١٨٩ ، ٢٧٢ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٧٧ - ٩٥ ؛ منهاج السنة النبوية في نقض
كلام الشيعة القدريية (تحقيق د/ رشاد سالم) خاصة ١/١ - ٤٧ ، ٢/٦٠ ، ٦٤ ؛ ضحى

الاسلام ٣/٢٠٨ - ٢٧٦ .

(١) ولهم قولان كالمعتزلة : سقطت من (خ ، س) .

(٢) "الصفاتية" يطلق على من يثبتون صفات الله تعالى خلافا للنفاة ، فيدخل فيه ثلاثة أصناف :
أهل السنة ، ومن يزيد في الاثبات كالكرامية والبالمية ، ومن ينقص لكنه يثبت في الجملة = /

وأما المعتزلة والفلاسفة (١) والكرامية (٢) وغيرهم ، وكثير من أهل الحديث

والفقه من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وكثير

= / كالكلابية والأشعرية (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١١٦/١ - ١١٩) ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ط (الرياض ٤٠/٦) .

وابن تيمية حينما يطلق هذا الوصف قد يريد الأصناف الثلاثة (مجموع الفتاوى ٤٠/٦) وقد يريد وهو الغالب الصنف الثالث بوضحا ذلك أحيانا بأن يزيد في وصفهم بالمتكلمين ونحوها ، وهو في هذا الصدد يصف أبا محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب بامام الصغائية ، (مجموع الفتاوى ٥٢٠/٦ ، ٢١٧ ، ٢٩٥/٥) .

ولنفي هو لا * بعض الصفات يعدون أيضا صنفا من الجهمية (التسعينية ، ص ٤٢) ، ثم ان متقدمهم أقرب الى أهل السنة منهم الى الجهمية بخلاف متأخريهم .

يقول ابن تيمية في " التسعينية " ، ص ٤٢ عن المتقدمين منهم : " فان هو لا * ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه ، وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقد موهم على أهل السنة والاثبات وخالفوا أوليهم " . وسيأتي في كلام ابن تيمية بيان أن أبا عبدالله الرازي الذي سلك الأصبهاني مسلكه هو من هو لا * المتأخرين .

(١) لفظ " فلسفة " في الأصل اليوناني مركب من كلمتين " فيلو " ومعناها محبة ، و " سوفي " ومعناها الحكمة .

قال ابن القيم في " اغائة اللهفان " ٢٥٤/٢ : " الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها " وقال (٢٦٠/٢) : " والفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم ، بل هم موجودون في سائر الأمم ، وان كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان " .

وابن تيمية يطلق اسم " الفلاسفة " و " أهل الفلسفة " ويريد في الغالب أوائل الفلاسفة في الاسلام كالفارابي (ت ٣٣٩ هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) وأمثالهما من أتباع أرسطو (ت ٣٢٢ ق م) وأصحابه المشائين ، وقد يريدهم وأسلافهم ، وربما خص الفلاسفة في الاسلام دون أسلافهم بلقب " المتفلسفة " .

انظر عن معنى الفلسفة وتطوره ، وعن أصناف الفلاسفة وعلومهم : مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ص ١٠٩ وما بعدها ؛ المنقذ من الضلال للغزالي ، في النص الذي نقله ابن تيمية في كتابنا هذا ، ص ٥١١ - ٥١٤ ، ٥٢٨ - ٥٢٩ ؛ صدر كتاب تهافت الفلاسفة " ، ص ٧٣ - ٨٧ ، الملل والنحل ١٥٥/٢ وما بعدها ؛ تلبيس ابليس ، ص ٤٥ - ٥٠ ؛ اغائة اللهفان ٢٥٣/٢ - ٢٦٤ ، وانظر أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل (ط القاهرة ١٩٧٩ م) ، ص ٤٥ - ٥١ ؛ التفكير الفلسفي الاسلامي للدكتور سليمان دنيا (ط الأولى ١٣٨٧ هـ) ، ص ١٤ - ٢٨ ؛ مقدمة في الفلسفة الاسلامية للدكتور عمر محمد التومي الشيباني (ط الثانية ١٣٩٥ هـ) ، ص ١٧ - ٩٢ .

(٢) أتباع أبي عبدالله محمد بن كرام بن عراق بن حزابة السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) . والكرامية يثبتون الصفات ، بل يزيدون في الاثبات ، فيسمون الله تعالى جسما ، ويسمونه الصفات أعراضا ، ويقولون : ان الله كان ولا يفعل ولا يتكلم ثم حدث له الفعل والكلام ، ويثبتون القدر ، ويقولون : ان العقل يوجب ويمنع ، ويحسن ويقبح ، والايمان عندهم قول اللسان فقط ، وان كان مع عدم تصديق القلب ، فعملوا المناق موثنا لكن قالوا بتخليده في النار . = /

من الصوفية^(١)، وسلف الأمة وأئمتها - فيجعلون المعاد أيضا من
المقلبات، ويثبتونه بالعقل، ويخوض أهل التأويل منهم فيه^(٣)، كما خاض^(٤)
الصفاتية في ذلك .

=/ انظر عن الكرامية وابن كرام : مقالات الاسلاميين ١/٢٢٣؛ البدء والتاريخ ٥/١٤١، ١٤٥ ؛
أصول الدين للبغدادي، ص ٢٩٥، ٣١، ٤٣، ٧٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٠٦، ١١٣،
١٢٢، ١٦٧، ٢٥٠، الفرق بين الفرق، ص ٢١٥-٢٢٥، الفصل لابن حزم ٤/٤٥، ٢٠٤،
٢٠٥، التبصير في الدين، ص ٩٩-١٠٤؛ الملل والنحل ١/٣٧، ١٤٤-١٥٤؛ در تعارض
العقل والنقل ١/٢٠٦، ٣٠٦، ٧٦، ١٨١، ٢١٩، ٢٥٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٣١،
٣٨٩، ٣، ٦٣-٦٤، ٤٣٤، ٤٣٤، ١٩-٢٠، ٩٣، ٩٢، ٢٩٣-٢٩٦، ٥/٢٤٦، ٦٥؛ مجموعة
تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية، ص ٣٠٩-٣١٠، ٤٠٦؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن
تيمية (ط الرياض) ٥/٤٢٨، ٦٤، ٣٦، ١٠٢، ١٢، ١٧٢-١٧٣؛ شرح الأصبهانية، ص
٣٢٨؛ كسستاب التجسيم عند المسلمين "مذهب الكرامية" لسهر محمد مختار،
ط ١٩٧١؛ الباب ٣/٣٢-٣٣؛ ميزان الاعتدال ٤/٢١-٢٢؛ لسان المميزان
٥/٣٥٣-٣٥٦؛ الأعلام ٧/١٤٠.

(١) قال القشيري في تعريف لفظ "الصوفية" [الرسالة القشيرية ٢/٥٥٠]: "الصفاء محمود بكل
لسان، وضده الكدورة وهي مذمومة... ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة... وليس
يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب، فأما
قول من قال: إنه من الصوف... فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف".
ثم أورد (٢/٥٥٠-٥٥١) قول من يقول: إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم، أو إنه مشتق من الصفاء، أو من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم ورد كل
ذلك بأن اللغة لا تقتضيه .

ورجح ابن تيمية أنه نسبة إلى لبس الصوف، وذكر أنه لم يشتهر إلا بعد القرون الثلاثة، وأن أول
ظهور للتصوف بمعنى المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك كان من البصرة، وأن
الناس تنازعوا - بل غلوا - في الصوفية بين مباح وذام، والصواب أن فيهم السابق والمقتصد
والظالم لنفسه، كما انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة. انظر مجموع فتاوى شيخ
الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١١/٥-١٣، ٧-١٣، ٢٠، ١٠، ٨٢-٨٣، ٣٥٨، ٣٥٩-٣٦٧،
٣٧٠، ٢/٢٩٩، درء تعارض العقل والنقل ٨/٦٨-٦٩، وانظر تعليقات ابن تيمية على
مواضع من الرسالة القشيرية في كتابه "الاستقامة" ١/٨١ وما بعدها، وانظر المنقذ من الضلال
للغزالي، ص ١٣٠-١٣٣، ١٤٢؛ تلبس إبليس لابن الجوزي، ص ١٦١ وما بعدها .
وقد اهتم غير واحد بالترجمة لمشاهير الصوفية وبيان طريقهم وجمع كلامهم، كابن عبد الرحمن
السلمي (ت ٤١٢هـ) في "طبقات الصوفية"، وأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في "حليّة
الأولياء"، وأبي الفرج بن الجوزي (ت ٩٧٥هـ) في "صفة الصفة". كما صنف في ذلك ونسي
تفسير مصطلحاتهم أبو بكر الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ) في "التعرف لمذهب أهل التصوف"، وأبو
القاسم القشيري (ت ٤٦٥هـ) في "الرسالة القشيرية". وجميع هذه الكتب مطبوعة .

(٢) خ، س: وأما الفلاسفة والمعتزلة فيجعلون... .

(٣) كذا في (ص، ن، ك): ويخوض أهل التأويل فيه . خ، س: ويخوضون في التأويل فيه .

(٤) ك: خاضت .

متابعة الأصبهاني للرازي في طريقة الاستدلال على الصفات السبع واقتصاره عليها ولم يثبت شيئا من الصفات الخبرية .
 ولكن المصنف ^(١) سلك في ذلك طريقة أبي عبدالله الرازي ^(٢) : فأثبت العلم

وأما من قبل هؤلاء كأبي المعالي الجويني ^(٣) وأمثاله ، والقاضي أبي يعلى ^(٤) وأمثاله ، فيثبتون جميع هذه الصفات بالعقل ، كما كان يسلكه

(١) من قوله : " ولكن المصنف . . . الى قوله في صفحة ٢٤ : " وهذا مذهب السلف والأئمة " سقط

من (خ ، س) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي - طبقا لما في أغلب الكتب الأصلية في ترجمته - التيمي البكري الرازي ، الملقب فخر الدين ، ويقال له : ابن الخطيب وابن خطيب الري . ولد سنة ٥٤٤ هـ وقيل ٥٤٣ هـ . وتوفي بهراة سنة ٦٠٦ هـ . شافعي ، من كبار متأخري الأشاعرة ، صنف في فنون عديدة . انظر : تاريخ الحكماء ، ص ٢٩١-٢٩٣ ؛ عيون الانبياء ، ص ٤٦٢-٤٧٠ ؛ وفيات الأعيان ٤/٢٤٨-٢٥٢ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/٢٨٠ ، ٥٥٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٥٦٣-٥٦١ / ٥ ، ٥٥٠ / ٦ ، ٥٥٠ / ٧ ، ٣٠٧ / ٨ ، ١٣ / ١٦٠ ، ١٨٠ / ٢١٣-٢١٤ ، ٢٣٦ ، ٤٥٢ ؛ العبر ٥/١٨-١٩ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٣٤٠ ، الوافي بالوفيات ٤/٢٤٨-٢٥٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٨١-٩٦ ؛ البداية والنهاية ١٣/٥٥-٥٦ ؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٨١-٨٤ ؛ لسان الميزان ٤/٤٢٦-٤٢٩ ؛ طبقات المفسرين للداودي ٢/٢١٣-٢١٧ ؛ الأعلام ٦/٣١٣ .

(٣) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الملقب بامام الحرمين (٤١٩-٤٧٨ هـ) من علماء الشافعية وكبار أئمة الأشاعرة . ولد في جوين من نيسابور ، ورحل الى بغداد ، ثم مكة ثم المدينة ، ثم عاد الى نيسابور وتوفي فيها . انظر في ترجمته وكتبه : تبين كذب المفترى ، ص ٢٧٨-٢٨٥ ؛ اللباب ١/٣١٥ ؛ وفيات الأعيان ٣/١٦٧-١٧٠ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/١٧-١٨ ، ١٦١ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٨ / ٥ ، ١٠٠-١٠١ / ٦ ، ٥٢ ؛ العبر ٣/٢٩١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٦٥-٢٢٢ ؛ طبقات الشافعية للاسنوي ١/٤٠٩-٤١٢ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٢٨-١٢٩ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٥٨-٣٦٢ ؛ الأعلام ٤/١٦٠ .

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء (٣٨٠-٤٥٨ هـ) من كبار أئمة الحنابلة ، من أهل بغداد ، له تصانيف كثيرة في الأصول والفروع . انظر عنه وعن كتبه :

تاريخ بغداد ٢/٢٥٦ ؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/١٩٣-٢٣٠ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٢٧-٦٢٨ ؛ اللباب ٢/٤١٣-٤١٤ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٤/١٦٦ ، ٥٤ / ٦ ، ٨٣ / ١٢ ؛ العبر ٣/٢٤٣-٢٤٤ ؛ الوافي بالوفيات ٣/٧-٨ ؛ البداية والنهاية ١٢/٩٤-٩٥ ؛ الأعلام ٦/٩٩-١٠٠ .

القاضي أبو بكر،^(١) ومن قبله كأبي الحسن الأشعري،^(٢) وأبي العباس القلانسي،^(٣) ومن قبلهم كأبي محمد بن كلاب،^(٤) والحارث المحاسبي وغيرهما.^(٥)

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني . مالكي ، من كبار أئمة الأشاعرة ومن أقربهم إلى موافقة أهل السنة ، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـ . انظر عنه وعن مؤلفاته : تاريخ بغداد ٣٧٩/٥ - ٣٨٣ ؛ ترتيب المدارك ٥٨٥/٤ - ٦٠٢ ، تبين كذب المعتزى ، ص ٢١٧ - ٢٢٦ ؛ اللباب ١١٢/١ ؛ وفيات الأعيان ٢٦٩/٤ - ٢٧٠ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط الرياض) ١٧/٤ ، ١٧/٥ ، ١٧/٦ ، ٥٢/٦ ؛ المعبر ٨٦/٣ ؛ الوافي بالوفيات ١٧٧/٣ ؛ البداية والنهاية ١١/٣٥٠ - ٣٥١ ؛ الديباج المذهب ، ص ٢٦٧ ؛ شذرات الذهب ١٦٨/٣ - ١٧٠ ؛ الأعلام ١٧٦/٦ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين (المجلد الأول ٤٧/٤ - ٥١) ، وانظر نشرة الأب ، وتشرد يوسف مكاري اليسوعي لكتاب "التصعيد" للباقلاني .

(٢) أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق الأشعري ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ (على أصح الأقوال في تاريخهما) إليه ينسب الأشاعرة . وقد كان أبو الحسن معتزليا أربعين عاما ثم رجع عن الاعتزال وصرح بانتسابه الى امام أهل السنة أحمد بن حنبل ، وبين ضلال المعتزلة وتناقض أقوالهم وفسادها ، لكن خبرته الطويلة بالكلام لم يقابلها خبرة كافية بالسنة فظل موافقا للجهمية في بعض أصولهم معتقدا أنه يمكن الجمع بين تلك الأصول والانتصار للسنة . انظر عنه وعن كتبه :

تاريخ بغداد ٣٤٦/١١ - ٣٤٧ ؛ تبين كذب المعتزى ، ص ٣٤ - ٤٥ ، ٤٤٥ - ٤٥١ ، ١٣٧ - ١٤٨ ، ١٦٣ ؛ اللباب ٦٤/١ - ٦٥ ؛ وفيات الأعيان ٢٨٤/٣ - ٢٨٦ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٢٢٧/٣ - ٢٢٨ ، ٢٢٨ / ٤ ، ١٧/٤ - ١٩ ، ٢٨ ، ١٦٧ ، ٧٢ ، ٥٢/٦ ، ٥٢/٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ - ٣٦٩ ، ٨١ ، ٣٦٠ - ٣٣٩ ، ٨١ ، ٣٢٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٠ ، ١٢٠ ، ١٧٨ / ١٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ١٣٠ ، ٩٩ / ١٦ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٤٧١ ؛ شرح الأصبهانية ، ص ٣٢٥ - ٣٢٣ ، ٣٢٨ - ٣٣٥ ؛ المعبر ٢٠٢/٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٧/٣ - ٤٤٤ ؛ البداية والنهاية ١١/١٨٧ ؛ شذرات الذهب ٢/٣٠٣ - ٣٠٥ ؛ الأعلام ٤/٢٦٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤/٣٥ - ٣٩) .

(٣) أبو العباس القلانسي من كبار تلامذة ابن كلاب . ذكره ابن عساكر في تبين كذب المعتزى ، ص ٣٩٨ وسماه أبا العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي . وقال عنه البغدادي في أصول الدين ، ص ٣١٠ : زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتابا . انظر فيه وفي آرائه : أصول الدين ، ص ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٥٢ ؛ طبقات الشافعية للبغدادى ، ص ٢٧ ؛ الملل والنحل ١/٣٦ ، ١١٨ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٥٥٧ ، ٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ١٢ ، ٣٦٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣٠٠/٤ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، امام المتكلمين الصفاية ، توفي بعد سنة ٢٤٠ هـ بقليل . انظر عنه وعن كتبه وآرائه :

الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ؛ طبقات الفقهاء الشافعية للبغدادى ، ص ٧٠ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٩٩ - ٣٠٠ ؛ طبقات الشافعية للاستوى ٢/٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١/٢٣ ، لسان الميزان ٣/٢٩٠ - ٢٩١ ؛ الأعلام ٤/٩٠ .

مقالات الاسلاميين ١/٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٢/٢٢٦ - ٢٢٧ ؛ أصول الدين ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١٢٣ ، ٤/٢٠٨ ؛ نهاية الاقدام في علم الكلام ، ص ١٨١ ، ٣٠٣ ؛ الملل والنحل ١/٣٦ ، ١١٨ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٥٥٩ - ٥٥٨ ، ٥٢٠/٦ - ٥٢١/١٢ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٦ - ٣٦٧ ، ٣٧٦ - ٣٧٧ ، شرح الاصبهانية ، ص ٣٢٤ - ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤/٢٨ - ٢٩ .

(٥) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من أصحاب ابن كلاب ، ومن اعلام الصوفية ، ولد ونشأ =

وهكذا السلف والأئمة ؛ كالامام أحمد بن حنبل وأمثاله ، يثبتون هذه الصفات بالعقل ، كما ثبتت^(١) بالسمع ، وهذه الطريقة لعلها وأشرف مسن طريقة هؤلاء المتأخرين ، كما سيتبين ان شاء الله تعالى .^(٢)

وأيا فائمة الصفاتية المتقدمون ؛ كابن كلاب ، والحارث المحاسبي ، والأشعري ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي عبد الله بن مجاهد^(٣) ، وأبي الحسن الطبري^(٤) ، والقاضي أبي بكر الباقلاني^(٥) ، وأبي اسحاق الاسفراييني^(٦) ، وأبي بكر بن

= / بالبصرة ، وتوفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ . انظر عنه وعن مصنغاته : طبقات الصوفية ، ص ٥٦ - ٦٠ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٧٣ - ١١٠ ؛ تاريخ بغداد ٨ / ٢١١ - ٢١٦ ؛ الرسالة التشريعية ١ / ٨٩ - ٩١ ؛ صفة الصفوة ٢ / ٣٦٧ - ٣٦٩ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٥٧ - ٥٨ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥ / ٦٥ ، ٥٥٢ ، ٦٠٥٢ / ٦ ، ٥٢١ - ٥٢٢ ، ١٢ / ٩٥ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠ - ٤٣١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٧٥ - ٢٨٤ ؛ تهذيب التهذيب ٢ / ١٣٤ - ١٣٦ ؛ الطبقات الكبرى للشحراني ١ / ٧٥ - ٧٦ ؛ الاعلام ٢ / ١٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤ / ١١٣ - ١١٩) .

(١) ن : تثبت .

(٢) ن : سنين .

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي ، صاحب أبي الحسن الأشعري وشيخ القاضي أبي بكر الباقلاني ، مالكي المذهب ، سكن بغداد وتوفي سنة ٣٧٠ هـ تقريبا . ترجمته في : تاريخ بغداد ١ / ٣٤٣ ؛ ترتيب المدارك ٤ / ٤٧٦ - ٤٧٨ ؛ تبين كذب المفترى ، ص ١٧٧ ؛ العبر ٢ / ٣٥٨ ؛ الوافي بالوفيات ٢ / ٤٦ ؛ الديباج المذهب ، ص ٢٥٨ ؛ الاعلام ٥ / ٣١١ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري . صحب أبا الحسن الأشعري بالبصرة وأخذ عنه .

ترجمته في : طبقات الفقهاء الشافعية للعبادي ، ص ٨٥ ؛ تبين كذب المفترى ، ص ١٩٥ -

١٩٦ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٤٦٦ - ٤٦٨ ؛ معجم المؤلفين ، ٧ / ٢٣٤ . وفيه أنه توفي

في حدود سنة ٣٨٠ هـ ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ٤ / ٤٤ - ٤٥ .

(٥) أبي بكر الباقلاني : كذا في (ص) ، وفي (ن ، ك) : أبي بكر بن الباقلاني . وكلاهما صحيح ،

انظر مصادر ترجمته فيما سبق ، ص ٢٢ ت ١ .

(٦) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفراييني . شافعي ، أصولي ،

أشعري . توفي بنيسابور سنة ٤١٨ هـ . انظر عنه وعن مؤلفاته وآرائه : أصول الدين ، ص

٢٥٣ ؛ نهاية الاقدام في علم الكلام ، ص ١١ - ١٢ ، ٨٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ؛

تبين كذب المفترى ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ اللباب ١ / ٥٥ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٢٨ ؛ العبر

٣ / ١٢٨ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٥٦ - ٢٦٢ ؛ طبقات الشافعية للاسنوي

١ / ٥٩ - ٦٠ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٢٤ ؛ الاعلام ١ / ٦١ .

فورك^(١) ، وغيرهم - يثبتون الصفات الخيرية : التي ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بها ، وكذلك سائر طوائف الاثبات ؛ كالسالمية^(٢) ، والكرامية ، وغيرهم ، وهذا مذهب السلف والأئمة^(٤) .

ولاريب أن ما أثبتته هؤلاء الصفاتية المتأخرون^(٥) من صفات الله ثابت بالشرع مع العقل ، وهو متفق عليه بين سلف الأمة وأئمتها ، وانما خصصوا هذه الصفات بالذكر دون غيرها لأنها هي التي دل العقل عليها^(٦) عندهم^(٧) ، كما نبه عليه المصنف .

-
- (١) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦ هـ) شافعي ، أصولي ، من أئمة الأشاعرة ، طلب العلم بالبصرة وبغداد ، واشتهر بنيسابور ، ودفن فيها . انظر عنه وعن مصنفاً له : تبين كذب المعتزى ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ؛ وفيات الأعيان ٢٧٢/٤-٢٧٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٦/٥٢ ، ٥٤ ، ٥٤ ، ١٦/٨٩-٩٦ ؛ العبر ٣/٩٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢/٣٤٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٤/١٢٧-١٣٥ ؛ طبقات الشافعية للاستوى ٢/٢٦٦-٢٦٧ ؛ النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ ؛ الاعلام ٦/٨٣ ؛ تاريخ الأدب العربي ٣/٢١٧-٢١٩ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول ٤/٥١-٥٤) .
- (٢) ان الرسول : كذا في (ص) وفي (ن ، ك) : أن رسول الله .
- (٣) السالمية أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصرى (ت ٣٥٦ هـ) ، صاحب سهيل ابن عبد الله التستري ، وعنه أخذ أبو طالب المكي .
- عد ابن تيمية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ١٠/٣٦١ أبا الحسن وأبا طالب من خلط التصوف بالحديث والكلام .
- نسب الى السالمية القول باثبات العلو لله مع نوع من الحلول ، وقالت السالمية في كلام الله : انه حروف وأصوات قديمة أزلية ، لازمة لنفس الله تعالى أزلاً وأبداً ، لا تتعلق بمشيئته وقدرته . انظر عن السالمية وابن سالم :
- درء تعارض العقل والنقل ٤/١١١ ، ١٢٧-١٢٩ ، ٦/٣٠٤ ، ١٠/٢٨٦-٢٨٧ ، مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٢/٢٩٩ ، ١٢٦/٣١٩ ، ٣/٣٧١ ، ٥٢٧ ؛ الكامل لابن الأثير ٨/٥٨٢ ؛ العبر ٢/٣٢٠ .
- (٤) هنا انتهى السقط في (خ ، س) الذي بدأ في صفحة ٢١ .
- (٥) المتأخرون : سقطت من (خ ، س ، ك) .
- (٦) خ ، س ، ك : من صفات الله تعالى .
- (٧) عندهم : سقطت من (خ ، س) وأمام هذا الموضع في هامش (س) كتب : مطلب في وجه تخصيص ما ذكره من الصفات بالذكر .

السمع والعقل أثبتنا ولكن لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول ؛ فلا يلزم نفسي صفات أخرى مع هذه السمع (١) ماسوى هذه من الصفات ، والسمع قد أثبت صفات أخرى .
(٢) وأيضا فان الرازى ونحوه ، ممن لم يثبت السمع طريقا الى اثبات الصفات .

ولا نزاع بينهم أنه طريق صحيح ، لكن يفرقون بين ما أثبتوه وبين ما توقعوا في ثبوته ؛ بأن العقل دل على ما أثبتناه ولم يدل على ما توقعنا فيه ، ولهم فيما لم يثبتوه طريقان ؛ منهم من نفاه ، ومنهم من توقف فيه ، فلم يحكم فيه باثبات ولا نفي ؛ وهذه طريقة محققهم كالرازى والآمدى وغيرهما ، (٣) ومن الناس (٤) من يثبت صفات أخرى بالعقل .

فالذى اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه في صفات الله ربما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تشييل ؛ (٥)
ج ه فانه قد علم بالسمع (٦) مع العقل أن الله ليس كمثل شي * ، لافي ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ؛ كما قال تعالى : ((ليس كمثل شي *)) ، وقال تعالى : ((هل تعلم له سميا)) ، وقال تعالى : ((فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)) ، وقال تعالى : ((ولم يكن له كفوا أحد)) . (٧) (٨) (٩) (١٠)

- (١) ص ، ن : فقد .
(٢-٣) ما بينهما سقط من (خ ، س) .
(٣) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي - هكذا ذكر أكثر أصحاب المراجع الأصلية في ترجمته - الملقب سيف الدين الآمدى (٥٥١-٦٣١ هـ) أصولي ، من كبار متأخري الأشاعرة ، ولد بآمد ، وتعلم في بغداد والشام ، واشتهر في القاهرة . وتوفي بمدينة مشق . انظر عنه وعن مؤلفاته :
عيون الانبياء ، ص ٦٥٠-٦٥١ ؛ وفيات الأعيان ٣/٢٩٣-٢٩٤ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٥/٢٩٤ ، ٥٦٢ ، ٧/٩ ؛ العبر ٥/١٢٤-١٢٥ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٢٥٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٠٦-٣٠٨ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٤٠-١٤١ ؛ لسان الميزان ٣/١٣٤-١٣٥ ؛ شذرات الذهب ٥/١٤٤-١٤٥ ؛ الأعلام ٤/٣٣٢ .
(٤) خ ، س ، ك ؛ بل ومن الناس .
(٥) أمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب اتفق السلف على أن يوصف الله بما وصف به نفسه .
(٦) خ ، س ، ك ؛ بالشرع .
(٧) سورة الشورى : ١١ .
(٨) سورة مريم : ٦٥ .
(٩) سورة البقرة : ٢٢ .
(١٠) سورة الاخلاص : ٤ .

وقد علم بالحقل أن المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر،
ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ؛ فلو كان المخلوق مثلاً^(١)
للخالق للنزاهة اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع ، والخالق يجب وجوده ،
وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه وامكانه ،
فلو كانا متماثلين للنزاهة اشتراكهما في ذلك ؛ فكان كل منهما يجب وجوده
وقدمه ؛ ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ، ويجب حدوثه وامكانه ؛ فيكون كل
منهما واجب القدم ؛ واجب الحدوث ، واجب الوجود ؛ ليس واجب
الوجود ، يمتنع قدمه- ، لا يمتنع قدمه ، وهذا جمع بين النقيضين .^(٢)

فاذا عرف^(٣) هذا ، فنقول : ان الله سمي نفسه في القرآن بالرحمن
الرحيم ، ووصف نفسه في القرآن بالرحمة والمحبة ؛ كما قال : ((ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما))^(٤) ، وقال : ((ورحمتي وسعت كل شيء))^(٥) ، وقال :
((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه))^(٦) ، وقال : ((ان الله يحب المتقين))^(٧)
و ((يحب المحسنين))^(٨) و ((يحب الصابرين))^(٩) و ((يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص))^(١٠) ونحو ذلك .^(١١)

ومن الناس من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة ، كما جعل
بعضهم ارادته عبارة عما يخلقه من المخلوقات ، وهذا ظاهر البطلان ، لاسيما
على أصل الصفاتية .

- (١) س ، ك : مماثلاً .
- (٢) ص ، ن : ويمتنع .
- (٣) ك : عرفت .
- (٤) ن : فيقال .
- (٥) س : بالقرآن .
- (٦) سورة غافر : ٧ .
- (٧) سورة الأعراف : ١٥٦ .
- (٨) سورة المائدة : ٥٤ .
- (٩) سورة التوبة : ٤ .
- (١٠) سورة البقرة : ١٩٥ . وهذه الآية سقطت من (ن) .
- (١١) سورة آل عمران : ١٤٦ .
- (١٢) سورة الصف : ٤ .
- (١٣) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب من الناس من جعل حبه ورحمته ما يخلقه من
النعمة .

ومنهم من جعل حبه ورحمته هي ارادته ، ونفى أن يكون له صفات هي
الحب والرضا والرحمة والغضب غير الارادة .

مناقشة من يثبت
بعض الصفات
دون بعض

فيقال لهذا^(٢) : لم أثبت له ارادة ، وأنه يريد حقيقة ، [ونفيت حقيقة^(٣)]
الحب والرحمة ونحو ذلك .

فان قال : لأن اثبات هذا تشبيه ؛ لأن الرحمة رقة تلحق المخلوق ،
والرب منزه^(٤) عن مثل صفات المخلوقين .

قيل له : وكذلك يقول لك منازعك^(٥) في الارادة : ان الارادة المعروفة ميل
الانسان الى ماينفعه وما يضره ، والله^(٦) منزه عن الاحتياج^(٧) الى عبادته ، وهم
لا يبلغون ضره ولا نفعه ، بل هو السفني عن خلقه كلهم .

فان قلت : الارادة التي ثبتها^(٨) لله ليست مثل ارادة المخلوقين ؛ كما
أنا قد اتفقنا وسائر المسلمين على أنه حي ، عليم ، قدير ، وليس هو مثل
سائر الأحياء العلماء القادرين .

قال لك أهل الاثبات : وكذلك الرحمة والمحبة التي ثبتها لله ليست^(٩)
مثل رحمة المخلوق ، ومحبة المخلوق .

فان قلت : لا أعقل من الرحمة والمحبة الا هذا^(١٠) .

قال لك / النفاة : ونحن لانعقل من الارادة الا هذا .

ظه

-
- (١) خ ، س ، ك : تكون .
 - (٢) خ ، س ، ك : فيقال لهذا القائل .
 - (٣) ونفيت حقيقة : سقطت من (ص ، ن) .
 - (٤) ن ، س ، ك : ينزه .
 - (٥) خ : يقول منازعك ، س : يقول منازعنا ، ك : يقول من ينازع .
 - (٦) ن ، ك : والله تعالى .
 - (٧) خ ، س ، ك : عن ان يحتاج .
 - (٨) ن ، س ، ك : ثبتها .
 - (٩) خ ، س ، ك : المخلوق .
 - (١٠) ك : وليست .
 - (١١) ص : ولا المحبة .

ومعلوم عند كل عاقل أن ارادتنا ورحمتنا ومحبتنا^(١) بالنسبة للإنسان ،
كإرادته ورحمته ومحبته بالنسبة إليه ، فلا يجوز التفريق بين المتماثلين ؛
فتثبت له إحدى الصفتين وتتغنى الأخرى^(٥) ، وليس في العقل ولا في السمع
ما يوجب التفريق ، إذ أكثر ما يقال : اني أثبت الإرادة بالعقل ، لأن وجود
التخصيص في المخلوقات دل على الإرادة^(٦) .

فيقال لك : انتفاء الدليل المعين لا يقتضي انتفاء المدلول ، فهسب
أن مثل هذا الدليل لا يثبت في الرحمة والمحبة ، فمن أين نفيت ذلك ؟
ثم يقال : بل السمع أثبت ذلك أيضا .

وقد يسلك^(٧) في إثبات ذلك نظر الطريق العقلي الذي أثبت به
الإرادة ؛ فيقال : ما في المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين ، وكشف
الضر عن المضرورين ، والاحسان إلى المخلوقات ، وأنواع الرزق والهسدى
والمسرات - هو دليل على رحمة الخالق سبحانه .

اثبات القرآن
دلائل الربوبية
بالطريق العقلي

والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذه الطريق^(٩) ؛ تارة يدلهم بالآيات
المخلوقة^(١٠) على وجود الخالق ، ويثبت علمه وقدرته ومشيتته^(١١) ؛ وتارة يدلهم
بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته .

وهذا كثير في القرآن - وان لم يكن مثل الأول أو أكثر منه ، لم

(١) كذا في (ص) ، النسخ الأخرى : ومحبتنا ورحمتنا .

(٢) ص ، ن : وإرادته .

(٣) ص : ومحبته ورحمته .

(٤) ص ، ن ، ك : فيثبت .

(٥) ص : وينفى .

(٦) س ، ك : الإرادات .

(٧) ن : سلك . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب الدليل العقلي على

إثبات الرحمة والصحة .

(٨) خ ، س : إلى المحتاجين .

(٩) س ، ك : بهذا .

(١٠) في (س) وضع سهم يشير إلى الهامش وكتب فيه : نسخة المنزلة صح .

(١١) ص : وقدرته وحياته ، ن : وقدرته وخشيته .

يكن (١) أقل منه بكثير - كقوله تعالى : ((يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسما بنا ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)) (٢) ، وقوله : ((أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)) (٣) ، وقوله في سورة الرحمن بعد ذكر كل نوع من هذه الأنواع : (فبأى آلاء ربكما تكذبان)) .

وفي الجملة فما (٥) ذكره في القرآن من الأمثال والآيات ؛ تارة يقرر بها نفس مشيئته وقدرته وخلقته ، وتارة يقرر بها احسانه وانعامه ورحمته ، وهذه الطريق مستلزمة للأولى من غير عكس ؛ فإنه يلزم من وجود الاحسان والرحمة ، وجود القدرة والمشيئة من غير عكس . (٧)

وقس على هذا غيره من الصفات ؛ مثل اثبات (٨) حكمته ومحبته التي ينبنى عليها حكمة خلقه وأمره ، هو أيضا ما يعلم بالسمع وبالعقل أيضا ، كما تعلم ارادته ، وكما تعلم محبته ، وهذه المسائل مبسطة في مواضع ، وانما ذكرنا في هذا الشرح ما يناسب حال هذه العقيدة المختصرة / المشروحة . ج ٦

أقوال الناس في محبة الله
وقد بسطنا في غير هذا الموضوع الكلام (١٠) في محبة الله ، وذكرنا أن للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال :

- (١) ك : ولم يكن .
- (٢) سورة البقرة : ٢٢ ، ٢١ .
- (٣) سورة السجدة : ٢٧ .
- (٤) ن ، ك : بعد أن ذكر .
- (٥) س : وفي الجملة فيما ، ك : وبالجملة ما .
- (٦) ن : يقرر بها خشيته وقدرته .
- (٧-٧) ما بينهما سقط من (ن) .
- (٨) من قوله : (مثل اثبات . . .) الى قوله ص ٣٠ : " من متأخري أهل الكلام والرازي " سقط من (خ ، س) .
- (٩) مثل اثبات حكمته ومحبته التي ينبنى عليها حكمة خلقه . هذا الكلام سقط من (ك) .
- (١٠) ن : وقد بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع .

أحدها - أن الله تعالى يحب ويحب ؛ كما قال تعالى : ((فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ^(١))) ، فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه ، وهو سبحانه يحب ما أمر به ، ويحب عباده المؤمنين ، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها ، وقول أئمة شيوخ المعرفة .

والقول الثاني - أنه يستحق أن يحب ، لكنه لا يحب الا بمعنى أنه يريد ، وهذا قول كثير من المتكلمين ، ومن وافقهم من الصوفية .

والثالث - أنه لا يحب ولا يحب ، وانما محبة العباد له ارادتهم طاعته ، وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام والرازي ^(٢) .

ومما يوضح ذلك ، أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر به الله ورسوله ^(٤) من صفاته ، ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها ، فانه ما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به ، وان لم نعلم ثبوته بعقولنا .

ضلال من قدم العقل على النقل
ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم : ((قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته)) ^(٧) ، ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ، ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ، ولان فرق عنده

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) وقول : كذا في (ص) ؛ ن ، ك : وهذا قول :

(٣) هنا ينتهي السقط في (خ ، س) الذي بدأ في الصفحة السابقة .

(٤) بما أخبر به الله ورسوله : كذا في (ص) ، النسخ الأخرى : بما أخبر الله به ورسوله . وأممام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب في وجوب تصديق كل مسلم بما ورد من الصفات .

(٥) خ ، س ، ك : . . . ان يقوم عليه دليل .

(٦) س : حتي يقبله بعقله .

(٧) سورة الانعام : ١٢٤ .

(٨) خ : هذه .

بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك ، أو لم يخبر به ^(١) ؛ فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به ، بل يتأوله أو يفوضه ؛ وما لم يخبر به ان علمه بعقله آمن به ، والا فلا .

[فلا] ^(٣) فرق عند من سلك هذه ^(٤) السبيل بين وجود الرسول واخباره ، وبين عدم الرسول وعدم اخباره ، وكان ما يذكر ^(٥) من القرآن والحديث والاجماع [في هذا الباب] ^(٦) عديم الأثر عنده ، وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق .

ثم الطريق النبوية فيهم ^(٧) من يحيل على القياس ، وفيهم ^(٩) من يحيل على الكشف ؛ وكل من الطريقين ^(١٠) فيها من الاضطراب والاختلاف مالا ينضبط ، وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية .

والطريق النبوية تحصل الايمان النافع في الآخرة بدون ذلك ، ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا ، مع أن القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل ^(١٢) على مثل ما في القرآن ، كما قال تعالى : ((سنريهم آياتنا / في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) ^(١٤) فأخبر انه يري عبادته من الآيات المشهورة - ^(١٥)

ظ ٦

-
- (١) ص : أو لم يخبر .
 - (٢) س : اذا لم يقبله .
 - (٣) فلا : زيادة في (خ) فقط .
 - (٤) س ، ك : هذا .
 - (٥) ك : ما يذكره .
 - (٦) في هذا الباب : سقطت من (ص ، ن) .
 - (٧) خ ، س ، ك : فمنهم .
 - (٨) على : سقطت من (ن) .
 - (٩) خ ، س ، ك : ومنهم .
 - (١٠) ك : الطريقتين .
 - (١١) ن : بها يحصل .
 - (١٢) خ ، س : فوافق .
 - (١٣) ن : التي بها نستدل . خ ، س : التي يستدل بها .
 - (١٤) سورة فصلت : ٥٣ .
 - (١٥) س : المشهورة .

التي هي أدلة عقلية - مايبين أن القرآن حق .^(١)

وليس لقائل أن يقول : انما خصت^(٢) هذه الصفات بالذكر، لأن السمع موقوف عليها دون غيرها ؛ فان الأمر^(٣) ليس كذلك ، لأن التصديق بالسمعيات ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك .

فصل

استمرار في مناقشة من اثبت بعض الصفات دون بعض

فان قيل : انما نفينا الرحمة والمحبة^(٤) والرضا والغضب ونحو ذلك من الصفات ، لأنه لا يعقل لها حقيقة تليق بالخالق الا الارادة ؛ فالمحبة والرضا ارادة الاحسان ، والغضب ارادة العقاب منه ، فالفرق بينهما بحسب تملقاتها ، لا أن هذه في نفسها ليست هذه .^(٥)

قيل : هذا باطل ؛ فان نصوص الكتاب والسنة والاجماع مع الأدلة العقلية تبين الفرق ، فان الله سبحانه يقول : ((ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم))^(٦) ، وقال تعالى : ((ان يبيتون مالا يرضى من القول))^(٧) ؛ فبين أنه لا يرضى هذه المحرمات مع أن كل شيء كائن بسببه^(٨) ، وقال تعالى : ((والله لا يحب الفساد))^(٩) .

وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، واجماع سلف الأمة - قيل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم - أن الله يحب الايمان والعمل

(١) خ ، س : ماتبين . ك : مايتبين .

(٢) ك : خصت .

(٣) خ ، س : لان الأمر .

(٤) من قوله : " فصل فان قيل : انما نفينا الرحمة والمحبة " الى قوله في صفحة ٣٣ .

" ويكفرون من خالفهم فيها " سقط من (خ ، س) .

(٥) لا أن : كذا في (ص) ، وفي (ن ، ك) : لأن .

(٦) سورة الزمر : ٧ .

(٧) سورة النساء : ١٠٨ .

(٨) بسببه : كذا في (ن ، ك) . وفي (ص) : بسببه .

(٩) سورة البقرة : ٢٠٥ .

الصالح ، ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان ، وأنه يرضى هذا ولا يرضى هذا ، والجميع بمشيئته وقدرته .

والذين لم يفرقوا ، لهم تأويلات :

تارة - يقولون : لا يرضاه لعباده المؤمنين ، فهم يقولون : لا يحسب الايمان والعمل الصالح من لم يفعله ، كما لم يرد من لم يفعله ويقولون : انه يحب الكفر والفسوق والعصيان من فعله ، كما أراد من فعله . وفساد هذا القول مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام مع دلالة الكتاب والسنة واجماع السلف على فساده .

وتأويلهم الثاني - قالوا : لا يرضاه ديننا ، كما يقولون : لا يريد ديننا ؛ ومعناه عندهم أنه لا يريد أن يثيب^(١) فاعله ، ان جميع الموجودات والأفعال عندهم بالنسبة اليه سوا* ؛ لا يحب منها شيئا دون شي* ، ولا يبغض منها شيئا دون شي* .

وقد بسط الكلام على فساد هذا القول وتناقضه في مواضع أخرى ، وانما المقصود هنا التنبيه على أن ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ، ليس مقصورا على ما ذكره هؤلاء* ، مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها/ بالسمع . فان من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم الى تسلك الأقوال حصل له العلم والرحمة ؛ فعلم الحق ، ورحم الخلق ، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء* والصالحين ، وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فانهم يتبعون الحق ، ويرحمون من خالفهم باجتهاده^(٢) ، حيث عذره الله ورسوله ، وأهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ، ويكفرون من خالفهم فيها^(٣) .

(١) ك : يثيت .

(٢) ن : باجتهاد .

(٣) هنا انتهى السقط في (خ ، س) الذي بدأ في الصفحة السابقة .

[فصل^(١)]

الأحكام التي يذكرها أهل السنة في عقائدهم المختصرة

ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة ، على مذهب أهل السنة والجماعة - أن يذكروا ما يميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين ؛ فيذكرون اثبات الصفات ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى يرى في الآخرة ، خلافا للجهمية من المعتزلة وغيرهم .

ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مرید لجميع الكائنات ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، خلافا للقدرية من المعتزلة^(٥) وغيرهم .

ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام ، والوعد والوعيد ، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ، ولا يخلد في النار ، خلافا للخوارج^(٦) والمعتزلة .

- (١) فصل : سقطت من (ص ، ن) .
- (٢) أهل : سقطت من (س) .
- (٣) ن ، ك : تتميز .
- (٤) ك : وأنه ماشاء الله كان .
- (٥) القدرية غلاة ومقتصدة :

فالفلاة - وهم قلة - الذين أنكروا القدر السابق ، وقد حدثت بدعتهم في آخر عصر الصحابة ، ففي صحيح مسلم ٣٦/١ - ٣٨ رقم ٨ كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ووجوب الايمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنني (ت ٨٠ هـ) وذكر يحيى لعبد الله بن عمر بن الخطاب " أنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف " .

قال عبدالله : " فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني برىء منهم ، وأنهم برآء مني ، والسذى يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر " وذكر عنه أبيه حديث جبريل .

ثم كثر الخوض في القدر ، فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق ، لكن ينكروا عموم مشيئة الله وقدرته ، فيقولون : انه لم يرد الا ما أمر به فلا يريد الكفر والمعاصي ، ولم يخلق أفعال عباده .

وهذا أحد أصول المعتزلة الخمسة ، انظر مراجع التعريف بالمعتزلة فيما تقدم ، ص ٧ ت ٦ . وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٣٦/١٣ - ٣٧ .

(٦) الخوارج فرق يجمعها القول بالتبرى* من أميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ووجوب الخروج على الامام اذا جار ، وتكفير مرتكب الكبيرة وخلوده في النار . وقد ظهر التكلم بدعتهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، حينما قام رجل معترضاً على قسمته عليه الصلاة والسلام ، فأخبر بخروجهم ، وذكر صفاتهم ، وحرش على قتلهم ، ونسبهم بقائلهم .

أما أول خروج مسلم لهم فكان على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما اعترضوا / =

ويحققون القول في الايمان ، ويشبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا ،
خلافا للمرجئة .^(١)

ويذكرون امامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم ، خلافا للشيمية من
الرافضة وغيرهم .

وأما الايمان بما^(٢) اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى ،
والايمان برسله ، والايمان باليوم الآخر ، فهذا لا يد منه ، وأما دلائل
هذه المسائل فخصي الكتب المبسطة الكبار .

=/ على التحكيم الذى اتفق عليه المسلمون اثر اقتتالهم في صفين . ففارقوا عليا وجماعة
المسلمين الى مكان يقال له : حرورا ، وكف عنهم علي الى أن استحلوا دمـسـاء
المسلمين وأموالهم فعلم أنهم الذين ذكرهم رسول الله ، فقاتلهم .
انظر : صحيح البخارى (فتح البارى ١٢/٢٨٢-٣٠٢) كتاب استتابة المرتديين
والمعاندين وقاتلهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد اقامة الحجة عليهم ، باب
من ترك قتال الخوارج للتألف ولثلا ينفر الناس عنه ؛ وصحيح مسلم ٢/٢٤٠-٢٥٠
كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، باب التحريض على قتل الخوارج ، باب
الخوارج شر الخلق والخليقة .
وانظر حوادث سنة سبع وثلاثين للهجرة ، في تاريخ الطبرى ٤/٥٤ وما بعدها ونفسى
البداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٧٧ وما بعدها .
وانظر مقالاتهم في مقالات الاسلاميين ١/١٦٧-٢١٢ ؛ والتنبيه والرد ، ص ٤٧-١٧٨ ،
١٨٥ ؛ وأصول الدين للبغدادى ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ؛ والفرق بين
الفرق ، ص ٧٢-١١٣ ؛ والفصل لابن حزم ٢/١١٣-٤/١٨٨-١٩٢ ؛ والتبصير في الدين ،
ص ٤٦-٥٩ ؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥-١٨٦ ؛ والحوار العين ، ص ١٧٠ -
١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٧٣ ؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٤٦-٥١ ؛
ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط الرياض) ٧/٤٧٩-٤٨٤ ، ١٣/٣٠-٣٣ ، ٣٥ ،
٤٨-٤٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ؛ والخطط للمقرئى ٢/٣٥٠-٣٥٦ .
(١) الارزاء لغة التأخير ، والمرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن الايمان ، وهم فرق أبرزها أربع :

الجهمية قالوا : الايمان هو المعرفة بالقلب .
الكرامية قالوا : الايمان هو القول باللسان .
الأشاعرة وبعض الحنفية قالوا : الايمان هو التصديق بالقلب .
أكثر الحنفية قالوا : الايمان هو التصديق بالقلب والقول باللسان .
وغلاة المرجئة يقولون : لا يضر مع الايمان ذنب ، ولا يدخل النار من أهل القبلة أحد .
انظر : مقالات الاسلاميين ١/٢١٣-٢٣٤ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١١١-١١٢ ؛ الارشاد ، ص
٣٩٦-٣٩٧ ؛ الملل والنحل ١/١٨٦-١٩٥ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ٧/١٨١ ،
١٩٥ ، ٤٢٣ ؛ شرح الأصبهانية ، ص ٥٨٥-٥٨٨ ؛ الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح ملا علي القارى
، ص ٧٦-٧٨ .
(٢) ن : وأما الايمان الذى . وكتب (الذى) في الهامش .

الأصبهاني لم يستوف هذه الأحكام وما ذكره أشار إلى دليله إشارة مختصرة التي تذكر في المعتقدات .

(١) وهذا المصنف لم يسلك هذه الطريق ، بل أشار إشارة مختصرة إلى دليل ما ذكره من الأحكام ، ولم يستوف [الأحكام] (٢)

وعذره في ذلك (٣) أن يقول : ذكرت جمل الاقرار بالربوبية والرسالة والمعاد : فذكرت صفات الله الثبوتية ، وذكرت الرسالة ، وما جاء به النبوات من الايمان بالمعاد ؛ وقولي : انه متكلم ، يناقض قول من قال : القرآن مخلوق ، فان حقيقة قول أولئك أنه ليس بمتكلم ؛ وأثبتت الارادة عامة يتناول جميع الكائنات ، وأثبتت القدرة المطلقة يتضمن أنه خالق كل شيء بقدره (٤) ، وبهذين يخرج قول المعتزلة في الكلام والقدر .

والمعتزى عليه يقول : اقتصر على بعض الصفات دون بعض ، فان كنت اقتصر على ما يعلم بالعقل عندك ، فقد ذكرت السمع والبصر والكلام ، وأثبت ذلك بالسمع ، وان كنت ذكرت ما يتوقف تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم عليه (٥) فهو لا يتوقف عندك / على اثبات السمع والبصر والكلام ، لأنك أثبت ذلك بالسمع .

وحقيقة الأمر أنه (٦) أثبت هذه الصفات السبع لأنها هي المشهورة عند المتأخرين من الكلابية ، كأبي المعالي وأمثاله بأنها العقلية ، ولكن لم يثبتها (٧)

- (١) ن ، ك : هذا . وكتب أما م هذا الموضع في هامش (س) : مطلب المصنف لم يسلك مسلك القوم في عقيدته .
- (٢) الاحكام : سقطت من (ص ، ن) .
- (٣) من قوله : " وعذره في ذلك " إلى قوله في صفحة ٣٧ : " يعلم به جنس ما يثبت به من الأدلّة " سقط من (خ ، س) .
- (٤) ص ، ن ، ك : ذكر . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٥) ن : تتناول .
- (٦) يتضمن : كذا في (ص ، ن) ، ك : تتضمن .
- (٧) ص ، ن : بقدره ، ك : بقدرته ، ولعل الصواب ما أثبت .
- (٨) عليه : سقطت من (ن) .
- (٩) أنه : كذا في (ص) ؛ ن ، ك : أنك .
- (١٠) ص : تثبتها .

(١) جميعها بالعقل، بل أثبت بعضها بالسمع موافقة للرازي، فلهذا لم يطرد له في ذلك طريق واحد .

وهو قد نبه على الأدلة تنبيها، لم يقصد استيفاءها وتقرير مقدماتها، بل نبه الناظر على الدليل تنبيها^(٢) يعلم به جنس ما ثبتت به من الأدلة^(٤)، وألا فما ذكره من الأدلة لا يكفي^(٦) في العلم بهذه الأحكام؛ فان الدليل ان لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم، فكيف اذا لم تقرر مقدماته، بل ولا ثبتت^(٧)، ونحن هنا ننبه على ما ذكره وعلى وجه تقريره .

دليل الأصبهاني على وجود الخالق
فأما قوله: " فالدليل على وجود الممكنات؛ لاستحالة وجودها بنفسها، واستحالة وجودها بممكن آخر، ضرورة استغناء المعلول بعلة من كل ماسواه، وافتقار الممكن الى علة ."

شرح ابن تيمية هذا الدليل مبني على مقدمتين
المقدمة الأولى - أحدهما - أن الممكنات موجودة، والثانية - أن الممكن لا يوجد الا بوجوده .
فهذا الدليل مبني على مقدمتين:

- (١) يطرد : كذا في (ص) ؛ ن ، ك : تطرد .
- (٢-٣) ما بينهما في (ص) فقط .
- (٣) به : سقطت من (ن) .
- (٤) هنا انتهى السقط في (خ، س) الذي بدأ في الصفحة السابقة .
- (٥) خ، س : وما ذكره .
- (٦) خ، س : لا تكفي .
- (٧) ولا ثبتت : كذا في (ن) ؛ وفي (ص) غير منقوطة ؛ وفي النسخ الأخرى : ولا تثبت . وهنسا تتوقف مخطوطة (ن) ، وتعود في صفحة ١٧٥ عند قوله : " والا فكثير من النظار كابن كلاب وموافقيه"
- (٨) ونحن هنا ننبه : كذا في (ص) ؛ خ : ونحن ننبه ؛ س، ك : ونحن نزيد .
- (٩) والثانية : كذا في (ك) ؛ ص، خ : والثاني ؛ س : . . أحدهما . . . والثاني .

والمقدمة الأولى لم يقررها بحال ، ولا يمكن أن يسلك في ذلك
طريقة ابن سينا (١) وأمثاله من المتفلسفة ، الذين قالوا : نفس الوجود يشهد
في اثبات (٢) بوجود واجب ، فان الوجود اما ممكن واما واجب ، والممكن مستلزم للواجب ،
وواجب الوجود (٣) فيثبت وجود الواجب على التقديرين . (٤)

تعليق ابن تيمية فان هذه الطريقة (٥) وان كانت صحيحة بلا ريب ، لكن نتيجتها اثبات
وجود واجب ، وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعترين ، ولا هو من
المطالب العالية ، ولا فيه اثبات الخالق ، ولا اثبات وجود واجب أبعد
السوات والأرضي - كما يسلكه الالهيون من الفلاسفة الاسلاميين ، المتبعين
للفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأتباعه المشائيين ، (٦)

(١) هو أبو علي الحسن بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا (٣٧٠-٤٢٨) أصله من بلخ ،
ولد ونشأ في بخارى ومات بهمدان . يلقب بالشيخ الرئيس ، صنف في الطب والفلسفة
وغيرهما ، نقل عنه مترجموه خبره عن نفسه ، ومنه (تاريخ الحكماء ، ص ٤١٣) : " وكان أبي
من أجاب داعي المصريين ؛ ويعد من الاسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل
على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي ، وكنا ربما تذاكرا بينهما وأنسا
أسمع منهما ، وأدرك ما يقولانه ، وابتداء يدعوانني أيضا اليه ، ويجريان على لسانهما
ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند انظر ماتقدم في تعريف الفلاسفة ، ص
١٩ ت ١ ، وانظر : تاريخ الحكماء ، ص ٤١٣-٤٢٦ ؛ عيون الأنبا في طبقات
الأطباء ، ص ٤٣٧-٤٥٩ ؛ وفيات الأعيان ١٥٧/٢-١٦٢ ؛ البداية والنهاية ٤٢/١٢-٤٣
؛ لسان الميزان ٢٩١/٢-٢٩٣ ؛ معجم المؤلفين ٢٠/٤-٢٣ ؛ الأعلام ٢٤١/٢-٢٤٢ ؛
ابن سينا بين الدين والفلسفة للدكتور حمود غرابية (ط القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .

(٢) س ، ك : بوجود واجب الوجود .

(٣) فيثبت : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : فيثبت .

(٤) على التقديرين : كذا في (ص) ؛ خ ، س : على التقرير ، ك : على هذا التقرير . قال ابن
سينا في كتاب " الاشارات والتنبهات " (القسمان الثالث والرابع) ، ص ٤٤٧ : " كل موجود اذا
التفت اليه من حيث ذاته من غير التفات الي غيره فاما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه
أولا يكون ، فان وجب فهو الحق بذاته ، الواجب الوجود من ذاته وهو القيوم ، وان لم يجب لم
يجز أن يقال : انه متمتع بذاته بعد ما فرض موجودا . . . فيكون باعتبار ذاته الشيء الذي
لا يجب ولا يتمتع ، فكل موجود اما واجب الوجود بذاته أو ممكن الوجود بذاته " .

وقال (ص ٤٨٢) : " تأمل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأول ووحدانيتها وبرائه عن الصفات ، الي
تأمل لغير نفس الوجود ، ولم يحتج الي اعتبار من خلقه وفعله ، وان كان ذلك دليلا عليه . لكن
هذا الباب أوثق وأشرف ، أي اذا اعتبرنا حال الوجود يشهد به الوجود من حيث هو وجود ،
وهو يشهد بمد ذلك على سائر ما بعده في الوجود " .

(٥) ص : الطريق .

(٦) . . . والأرض - كما يسلكه . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : والأرض ، كما يسلكه الالهيون / =

١) وأن كان بين قول ابن سينا وأتباعه ، وقول أرسطو وأتباعه فروق مبسوطه في غير هذا الموضوع (١) - وإنما فيه أن نفي الوجود وجودا واجبا (٢) ، وهذا يسلمه منكرو الصانع (٤) كفرعون ، والدهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم ، ويقولون : ان هذا الوجود واجب الوجود بنفسه .

والى هذا يؤول قول أهل الوحدة (٥) ، القائلين بأن الوجود واحد ؛ فانهم يقولون / في آخر الأمر (٦) : ما ثم موجود مباين للسموات والأرض (٧) ، وما ثم غير وجود الموجود الممكن .

ج ٨

= / من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه المشائين .
وأرسطو هو أرسطو طاليس بن نيقوماخوس ، (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) يسمونه " المعلم الأول " ولد في مدينة اسطاغيرا اليونانية ، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره جاءه الس أثينا حيث التحق بأكاديمية أفلاطون ، ولبث فيها عشرين سنة حتى مات أفلاطون (٣٤٧ ق م) ففادر أرسطو أثينا ثم عاد إليها مرة أخرى ، وأسس مدرسة في مكان يسمى " لوقيون " ، وكان أفلاطون يعلم الفلسفة ماشيا وتابعه على ذلك أرسطو ، فسمي هو وأصحابه " المشائين " . انظر عن أرسطو : الفهرست ، ص ٣٠٧ - ٣١٢ ؛ طبقات الأطباء والحكام ، ص ٢٥ - ٢٧ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ٣ / ٣٧ - ٦٣ ، تاريخ الحكماء ص ٢٧ - ٥٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط الرياض) ١١ / ١٧١ - ١٧٢ ؛ الرد على المنطيين ، ص ١٨٦ ، ٢٨٣ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٣٦ - ١٤٠ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراندرسل ترجمة د / زكي نجيب محفوظ ، ص ٢٥٨ - ٣٣١ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ، ص ١١٢ - ٢٠٨ ؛ الفلسفة عند اليونان لأميرة حلبي مطر ، ص ٢٤٣ - ٣٥٨ .

(١-١) ما بينهما في (ص) فقط .

(٢) س : أن من .

(٣) ك : أن الوجود وجود واجب .

(٤) ص : . . . وجودا واجبا فهذا منكر للصانع .

(٥) ص : أهل الوحدة والعرفان .

(٦) ص : في أحد الأمرين .

(٧) س : السموات .

ومصنّف العقيدة أثبت الصانع بهذه الطريقة^(١)؛ فإنه لما أثبت أنه
الاصبها في الطريقة
ابن سينا وأتباعه
صنع الممكنات أثبت علمه وقدرته ، فلا بُدَّ أن يثبت أولاً وجود شيء ممكن^(٢) ،
ليبني عليه ثبوت وجود واجب مبدع لوجود ممكن ، ليتم ماسلكه ، وأما
مجرد إثبات وجود واجب فلا يفيد هذا المطلوب ، فليفهم اللبيب هذا .
لكن هذه الطريقة^(٣) التي سلكها تقتضي إثبات موجود واجب ، وهي
طريقة ابن سينا ومن تبعه ، فإنهم يقررون بطريقتهم في التوحيد بيان
إمكان الأجسام ، فيلزم من ذلك أن يكون الواجب مفايرا لها ، وعلى هذه
الطريقة اعتمد في التوحيد كما سيذكره ، لكنها طريقة ضعيفة كما سننبه
عليه إن شاء الله تعالى^(٤) .

ولا ريب أنه اختصر هذه العقيدة من كتب أبي عبد الله ابن الخطيب
الرازي^(٥) ، وقد تكلمنا على ما ذكره أبو عبد الله الرازي مبسوطا في مواضعه^(٦) .

ونحن نقرر وجود الممكنات ليم ما ذكره هذا المصنّف من الدليل ،
تقرير ابن تيمية
لهذه المقدمة
ويتبين أن هذه الطريقة^(٧) أصح في العقل ، وأبين ما يُذكر في كتب الأصول^(٨)
الأمهات التي اختصرت منها هذه العقيدة ، لكونها موافقة لطريقة القرآن ،
^(٩)
^(١٠)
^(١١)

-
- (١) ك : بهذا .
(٢) ... شيء ممكن : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : شيء ممكن ليس بواجب .
(٣) من قوله : " لكن هذه الطريقة " الى قوله : " كما سننبه عليه ان شاء الله تعالى " انفردت به
(ص) .
(٤) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) .
(٥) الرازي : في (ص) فقط .
(٦) الرازي ممن سلك مسلك ابن سينا في اثبات واجب الوجود ، وقد ناقش ابن تيمية
مسلك الرازي في مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب " درر " تعارض العقل والنقل
انظر مثلا الصفحات ، ٧٢٢ ، ٧٢٤ ، ١٠٦ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٦٧ .
(٧) ك : نقدر .
(٨) هذا : في (ص) فقط .
(٩) ص : وسى . بلا نقط .
(١٠) ك : هذا .
(١١) الأمهات : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : والأمهات . وأمام هذا الموضوع كتب في هامش (س)
: مطلب في كلام شيخ الاسلام الموافق للدليل العقلي .

فان الناظر اذا تأمل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر^(١) في القرآن من الطرق^(٢) ، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع .

فنعول : إنه يمكن تقريرها بما نشاهد من حدوث الحوادث ؛ فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن ، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك^(٤) ؛ وهذه الحوادث ليست متممة ، فإن المتمتع لا يوجد ، ولا واجبة الوجود بنفسها ، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفي وجودها ، ووجودها ينفي امتناعها . وهذا دليل قاطع ، واضح ، بين ، على ثبوت الممكنات .

لكن من سلك هذه الطريق لم يحتج إلى أن يثبت إمكانهم بحدوثها ، ثم يستدل بإمكانها على الواجب ، بل نفس حدوثها دليل على إثبات المحدث لها ؛ فإن العلم بأن المحدث لا بد له من محدث أئين من العلم بأن الممكن لا بد له من واجب ، فتكون تلك الطريق أئين وأقصر وهذه الطريق أخفى وأطول ؛ حيث يستدل بالحدوث على الإمكان ، ثم بالإمكان على الواجب .

وان كان بعض الناس يستدل بالحوادث^(٦) على المحدث ، فإن الحوادث لا تختص بما هي عليه إلا بمخصّص ، فإنه يجوز أن تقع على خلاف

ظ ٨

-
- (١) ص : ما يذكر .
(٢) من الطرق : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : من الطرق العقلية .
(٣) س ، ك : فانا نشاهد من حدوث الحوادث حدوث الحيوان . .
(٤-٤) ما بينهما في (ص) فقط .
(٥) الطريق : في (ص) فقط .
(٦) ص : بالحدوث .

ما وقعت عليه ، فتخصيصها بوقت دون وقت ، وبوصف دون وصف ، لا بُدَّ له
من مخصّص (١) .

ومنهم من يقول (٢) : تخصيص الممكن بالوجود لا بد له من مخصّص ، ويقول :
إن الممكن إنما يفتقر إلى العلة في وجوده ، لافى عدمه ، وإن العدم
المستمر لا يحتاج إلى علة ، وهذا قول جماهير نظّار المسلمين .

وإنما قال : يحتاج في كل من الطرفين إلى مخصّص ، طائفة من
المتأخرين المتفلسفة ومن وافقهم ، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا
الموضع ، وبيّن أن عدم المرجّح المخصّص يستلزم عدمه ، لا أنه هو
الموجب لعدمه ، وبسط الكلام على تنازعهم في علة الافتقار إلى المؤثر ؛
هل هو الحدوث ، أو الإمكان ، أو مجموعهما ، أو كل منهما ؟ ، وبيّن أن
نفس الحقائق المخلوقة مستلزمة الافتقار إلى الخالق تعالى ، وأن ما اتصفت
به من حدوث وإمكان هو دليل على افتقارها إلى الصانع ، لا أن هذه
الصفات هي الموجبة للافتقار ، فإن بسط هذه الأمور ، وما وقع فيها من
اشتباه واضطراب ، مبسوط في غير هذا الكتاب (٣) .

وهذا الاستدلال بالتخصيص على المخصّص وإن كان صحيحاً ، فليس
بمسلك سديد على الإطلاق (٥) ، فإن العلم بأن المحدث لا بد له من
محدث أبين من هذا ، فلا يحتاج (٦) إلى هاتين المقدمتين اللتين هما
أخفى من ذلك .

-
- (١) على خلاف ما وقعت عليه . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك . . . على خلاف ما وقعت عليه
عليه ، فتخصيص أحد طرفي الممكن لا بد له من مخصّص .
(٢) من قوله : " ومنهم من يقول " إلى قوله مبسوط في غير هذا الكتاب " انفردت به (ص) .
(٣) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) .
(٤) وهذا الاستدلال . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : فهذا الاستدلال وإن كان صحيحاً .
(٥) على الإطلاق : في (ص) فقط .
(٦) س ، ك : أبين من هذا المحتاج .

ومن استدلال على الجلي بالخفي ، فإنه وإن تكلم بحق^(١) فلم يسلك طريق الاستدلال ؛ فإن كل مستلزم للشيء يصلح أن يكون دليلا عليه ، إن يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم ، والدليل ملزوم للمدلول عليه^(٢) ، وهذا من شأن الدليل ، فإنه يلزم من ثبوته ثبوت المدلول عليه ، ولهذا يجب طرد الدليل ، ولا يجب عكسه ، لكن إذا كان اللازم المدلول عليه^(٤) أظهر من الملزوم - الذي هو الدليل - كان الاستدلال بالملزوم على اللازم خطأ في البيان والدلالة .

وإن سلك المصنّف في تقرير إثبات الممكنات ، تقرير إمكان الأجسام كلها ، فهذا دليل طويل ، وفيه مقدمات متنازع فيها نزاعا طويلا ، وكثير من الناس يقدر فيها بما لا يمكن دفعه ، فأثبت الصانع بمثل هذه المقدمات^(٧) ، لو كانت صحيحة خطأ^(٨) ، وإن لم تكن صحيحة كان الدليل باطلا .

وأما / المقدمة الثانية ؛ وهي أن الممكن لا بد له من واجب ، فقد نبّه على هذه المقدمة بقوله : " لاستحالة وجودها بنفسها " ، فإن الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم ، كما نشاهده من المحدثات ، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه ، كما أن المحدث لا يكون وجوده بنفسه ، كما قال تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)^(٩) يقول سبحانه : أهدّثوا من غير محدث ، أم هم أهدّثوا أنفسهم ؟ .

ج ٩
المقدمة الثانية -
أن الممكن لا بد له من واجب

- (١) س ، ك : وإن تكلم حقا .
- (٢) عبارة " ملزوم للمدلول عليه " في (ص) فقط .
- (٣) ص : بأنه .
- (٤) اللازم المدلول عليه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : اللازم والمدلول عليه .
- (٥) تقرير : في (ص) فقط .
- (٦) س ، ك : بما لم يمكن .
- (٧) ص : . . . يقدر فيها ، فأثبت الصانع بما لا يمكن دفعه بمثل هذه المقدمات .
- (٨-٨) ما بينهما سقط من (س ، ك) .
- (٩) سورة الطور : ٣٥ .

ومعلوم أن الشيء المحدث ^(١) لا يوجد بنفسه ^(٢) ، فالممكن - الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم - لا يكون موجودا بنفسه ، بل إن حصل ^(٣) ما يوجد به إلا كان معدوما ، وكل ما أمكن وجوده ^(٤) بدلا عن عدمه ، وعدمه بدلا ^(٤) عن وجوده ، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له ^(٥) .

وهذا ^(٦) بين ، وما يقرره أن ما يمكن عدمه بدلا عن وجوده ، لا يكون وجوده بنفسه ؛ إن لو كان وجوده بنفسه لكان واجبا بنفسه ، [ولو كان واجبا بنفسه] ^(٧) لم يقبل العدم ، وهو قد قبل العدم فليس موجودا بنفسه .

تقدير ذلك : ما كان ^(٨) موجودا ، فإما أن يكون مفتقرا في وجوده إلى غيره ، وإما أن لا يكون ، فإن كان مفتقرا في وجوده إلى غيره لم يكن وجوده بنفسه ، بل بذلك الغير الذي هو مفتقر إليه ، أو به وبذلك الغير ، فعلى التقديرين لا يكون وجوده بنفسه ، وإن لم يكن مفتقرا في وجوده إلى غيره كان موجودا بنفسه .

فالموجود بنفسه لا يكون مفتقرا إلى غيره ، والمفتقر إلى غيره لا يكون موجودا بنفسه ، [فالموجود بنفسه الذي لا يفتقر إلى غيره واجب بنفسه ، إن نفسه] ^(٩) كافية ^(١٠) في وجوده ، فلا يتوقف وجوده على شيء غير انبئته ^(١١) ، إن قدر أن انبئته شيء غير وجوده .

-
- (١) المحدث : في (ص) فقط .
 - (٢) بنفسه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : نفسه .
 - (٣) له : في (ص) فقط .
 - (٤) ك : بدل . (في الموضعين) .
 - (٥) لازم له : في (ص) فقط .
 - (٦) خ : وما نقرره .
 - (٧) عبارة : ولو كان واجبا بنفسه . سقطت من (ص) .
 - (٨) تقدير ذلك ، ما كان : كذا في (ص) ، خ : نقرر ذلك أن ما كان . س ، ك : يقرر ذلك أن ما كان .
 - (٩) ما بين المعكوفين ساقط من (ص) .
 - (١٠) ص : كانبئته .
 - (١١) قال الجرجاني في كتاب " التمرينات " ، ص ٣٩ : " الانية تحقق الوجود العميني من حيث رتبته الذاتية " وقال أبو البقاء في كتاب " الكليات " ، ص ٧٦ : " ان ، بالكسر والتشديد ، هي في لغة العرب تفيد التأكيد والقوة في الوجود ، ولهذا أطلقت الفلاسفة لفظ " الانية " على واجب الوجود لذاته ، لكونه أكمل الموجودات في تأكيد الوجود وفي قوة الوجود ، وهذا لفظ محدث ، ليس من كلام العرب " . وقال أبو نصر الفارابي في كتاب " الحروف " ، ص ٦١ : " معنى " ان " الثبات والدوام والكمال = /

وَأَنَّ قَدْرَ أَنْ إِنِّيَّةً - التي هي ماهيته - هي وجوده ، كما هو قول
أهل السنة - كان قول القائل : موجود بنفسه ، أي هَوِيَّتُهُ ثابتة بِهَوِيَّتِهِ ،
فحيث قَدَّرت هويته لم يمكن عدمها ، فالموجود بنفسه لا يقبل العدم ، وما قبل
العدم فليس موجودا بنفسه ؛ فيفتقر الى غيره ، فكل ممكن مفتقر الى غيره .
وهذه المقدمات ^(٤) ثابتة في نفس الأمر ، ويمكن تحريرها بوجوه من الطرق
والعبارات ، والمعنى فيها واحد ، فتبين قول المصنف : " لاستحالة وجود
الممكنات بأنفسها " .

= / والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء . . . ولذلك تسمى الفلاسفة الوجود الكامل انيسة
الشيء ، وهو بيمينه ماهيته ، ويقولون : وما انية الشيء ؟ يعنون ما وجوده الأكمل ؟ وهو
ماهيته " .

(١) عبارة : التي هي ماهيته . في (ص) فقط .
(٢) قال ابن سينا في كتاب " الاشارات والتبسيهات " (القسمان الثالث والرابع) ، ص ٤٧٧ : " وأما
الوجود فليس بماهية لشيء ، ولا جزء من ماهية شيء ، أعني الأشياء التي لها ماهية ، لا يدخل
الوجود في مفهومها ، بل هو طارىء عليها " . وانظر في هذا الكتاب أيضا ، ص ٤٥٨ - ٤٦٢ ،
٤٨٠ .

وقال في كتاب " النجاة " ، ص ٢٠٩ : " وليس الواحد مقوما لماهية شيء من الأشياء ، بل تكون
الماهية شيئا : اما انسانا واما فرسا أو عقلا أو نفسا ، ثم يكون ذلك موصوفا بأنه واحد
وموجود " . وانظر أيضا في نفس الكتاب ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، وانظر الوجه الخامس من
وجوه التركيب عند الفلاسفة في هامش ص ٥٦ فيما سيأتي .

وقد بين ابن تيمية في كتاب " الرد على المنطقيين " ، ص ٦٤ - ٦٩ غلط ابن سينا ونحوه في الفرق
بين " الماهية " و " وجودها " ، وقال ما حاصله : ان شمة شبيهة نشأت من جهة أنه غلب على
أن ما يوجد في الذهن يسمى " ماهية " ، وما يوجد في الخارج يسمى " وجودا " ، لأن الماهية
- وهي من الأسماء المولدة - هي العقول في جواب " ماهو ؟ " بما يصور الشيء في نفس
السائل ، وهو الثبوت الذهني ، سواء كان ذلك العقول موجودا في الخارج أو لم يكن .
وهذا أمر لفظي اصطلاحي ، فاذا قيد ، وقيل : " الوجود الذهني " كان هو الماهية التي
في الذهن ، واذا قيل : " ماهية الشيء في الخارج " كان هو عين وجوده الذي في الخارج ،
فوجود الشيء في الخارج عين ماهيته في الخارج ، كما اتفق على ذلك أئمة النظار من
أهل السنة وسائر أهل الاثبات .

وانظر الفصل لابن حزم ١٧٤/٢ - ١٧٥ ، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص ١٣١٣ -
١٣١٦ .

(٣) ص : الي هويته . ذكر التهانوي في " كشاف اصطلاحات الفنون " ، ص ٥٣٩ ان الهوية مأخوذة من
لفظة " هو " وقال قيل ذلك : " الهوية بضم الهاء " ، ويا النسبة ، هي عبارة عن التشخص ، وهو المشهور
بين الحكماء والمتكلمين ، وقد تطلق على الوجود الخارجي ، وقد تطلق على الماهية مع التشخص ، وهي
الحقيقة الجزئية " . . . وما قاله أبو البقاء في " الكليات " ، ص ٣٨٣ : " قال بعضهم : الأمر المتعقل من
حيث أنه مقول في جواب " ماهو " يسمى " ماهية " ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى " حقيقة " ، ومن حيث
امتيازها عن الأعيان يسمى " هوية " ، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى " ذاتا " ، ثم الأحق باسم
" الهوية " من كان وجود ذاته من نفسها وهو المسمى " بواجب الوجود " .

(٤) المقدمات : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : المقامات .

) وقد بسط الكلام على ما أورد المتأخرون في هذا الموضع من الشبه والاشكالات ، وتقرير ذلك بإبطال الدور والتسلسل ، والفرق بين الدور المعيني^(١) الاقتراني ، والدور القبلي والبقدي ، وأن الممتنع هو هذا الثاني دون الأول ، والفرق بين التسلسل في المؤثرات ؛ وهو التسلسل في الفاعلين ؛ بحيث يكون لكل فاعل / فاعل ، وبين التسلسل في الآثار والمعولات^(٢) ؛ وهو جواز دوام الفعل والآثار ، وأن الأول متفق على إبطاله بين العقلاء ، وإنما تنازعوا في الثاني ، وذكر ماتكلم به عامة العقلاء في هذه المقدمات - في غير هذا الموضع .)

ظ ٩

شرح قول الأصبهاني عن الممكنات: واستحالة وجودها يمكن آخر ، ضرورة استغناء المعلول بعلة عن كل ما سواه ، وافترار المعلول إلى علة - - - - - فنقصه أن يبين أن الممكنات كما لا توجد بأنفسها فلا توجد بممكن آخر ، فيلزم أنه لا يسد لها من واجب بنفسه .

وذلك لأنها لو وجدت بممكن^(٤) ، استغنت به عن سواه ؛ لأن ذلك الممكن ان لم يكن علة تامة لوجودها لم توجد به^(٦) ، وإن كان علة تامة لوجودها استغنت به عما سواه ، فإن العلة التامة تستلزم وجود المعلول ، فلا يفترار المعلول إلى غيرها .

فلو وجدت الممكنات بممكن لزم أن تستغنى به عما سواه ؛ وذلك الممكن من جملة الممكنات ، والممكن مفتقر إلى غيره ، فيلزم أن يكون مفتقراً إلى علة غير نفسه ، والمفتقر إلى غيره لا يكون مستغنياً بنفسه ، فيلزم

(*) - : ما بينهما " وقد بسط الكلام . . . في غير هذا الموضع " انفردت به (ص) . وسيأتي فسي كتابنا هذا كلام عن الدور والتسلسل .

(١) الأصل (ص) : والمعنى .

(٢) الأصل (ص) : والمعقولات .

(٣) ك : له .

(٤) ص : بممكن آخر .

(٥) عن : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : عما .

(٦) به : سقطت من (ص) .

(٧) تستغنى : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : يستغنى .

أن يكون مفترقا إلى غيره ؛ غير مفترقا إلى غيره ، غنياً بنفسه ؛ ليس بغني
بنفسه ، وهو جمع بين النقيضين .

فلو كان فاعل الممكنات كلها ممكناً لزم أن يكون هذا الممكن غنياً
بنفسه ؛ ليس بغني بنفسه ، فقيراً إلى غيره ؛ غير فقير إلى غيره ، حيث
جعل ممكناً ، وجعل مفترقا إلى غيره ؛ علّة تامّة فلا يفتقر ، فيلزم التناقض .^(٢)
والأمر في هذا أوضح من هذا التطويل ؛ ولنا سلك هذا المصنف طريقة
أبي عبد الله بن الخطيب الرازي ، فإن هذه طريقته ، وكان ينسج على منواله ،
والإفالم بأن جميع الممكنات تفترق إلى غيرها ، كالعالم بأن هذا الممكن
مفترق إلى غيره .

فإن الافتقار إذا كان من جهة كونه ممكناً ، سواء كان الإمكان دليلاً
الافتقار أو علّة الافتقار ، فهو يعمها كلها ، فأى شيء تُقدّر ممكناً كان
الغفر ثابتاً فيه إلى غيره ، فلا بد لكل ممكن من غير يفتقر إليه ، كما لا بد
لهذا الممكن من غير يفتقر إليه ،^(٥) فإذا كان بمجموع نفسه لا يكون موجوداً ،
فإن لا يكون موجوداً ببعض ذلك أو لى .^(٥)

ومعلوم أن افتقار الشيء إلى بعضه أشد من افتقاره إلى نفسه ، بمعنى^(٧)
أنه إذا لم يستغن بنفسه فإن لا يستغني ببعض نفسه أو لى ، فإذا كان
الممكن لا يوجد بنفسه ؛ ولا يكون موجوداً بنفسه ، فكيف يكون موجوداً ببعضه
؛ وكيف يتصور أن يكون مجموع الممكنات موجودةً بممكن من الممكنات وهي
لا يكفي في وجودها مجموع الممكنات !^(٩)

-
- (١) خ ، س : عن نفسه . وكتب في هامش (خ) : لعله بنفسه .
(٢) حيث جعل ممكناً ، وجعل . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : . . . حيث جعل ممكناً مفترقا ،
وجعل معلولا بعلة تامّة فلا يفتقر .
(٣) طريقته : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : طريقته .
(٤) من غير يفتقر إليه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : من مفترق إليه .
(٥-٥) ما بينهما انفردت به (ص) . وأصله : فإذا كان مجموع نفسه يكون موجوداً . . . الخ ، ولعل الصواب
ما أثبتته .
(٦) ك : التي بعض .
(٧-٧) ما بينهما انفردت به (ص) .
(٨) ص ، خ : فكيف .
(٩) خ ، س : لا تكفي .

والهيئة الاجتماعية لاتخرجها عن الإمكان، الذي هو علة الافتقار
أو دليل الافتقار، فإن الهيئة الاجتماعية مفتقرة أيضا إلى غيرها، / فهي
من الممكنات^(١)، وهذا بينٌ ولله الحمد .

ج ١٠

واعلم أنه مامن حق ودليل^(٢) إلا ويمكن أنه يريد عليه شبه سوفسطائية،
فإن السفسطة^(٣) إما خيال فاسد وإما معاندة للحق، وكلاهما لا ضابط له،
بل هو بحسب ما يخطر للنفوس من الخيالات الناسدة والمعاندات الجاحدة،
ومن هذا الباب أوردتها طائفة من المتأخرين على هذا الموضع، وقد بسط^(٤)
الكلام عليها وبين فسادها في غير هذا الموضع .

ومما يبين سعة طرق إثبات الصانع سبحانه أن تقسيم الوجود إلى واجب
وممكن، والاستدلال بالممكن على الواجب - ممكن من جنسه ما هو أبين منه؛
مثل تقسيم الموجودات إلى محدث وقديم، والاستدلال بالمحدث على
القديم؛ فإذا قال القائل: إن الموجود إما ممكن وإما واجب؛ والممكن
لا بد له من واجب؛ فيلزم ثبوت الواجب على كل تقدير - أمكن أن يقال:
الموجود إما حادث وإما قديم، والحادث لا بد له من قديم، فيلزم ثبوت
القديم على كل تقدير .

سعة طرق
اثبات الخالق

ويقال: الموجود إما غني وإما فقير، والفقير لا بد له من غني يحصل به
ملا يوجد الفقير إلا به، فيلزم وجود الغني بنفسه على كل تقدير:
ومثل أن يقال: الموجود إما مخلوق وإما غير مخلوق؛ والمخلوق لا بد له
من خالق؛ فيلزم ثبوت الخالق الذي ليس بمخلوق على كل تقدير .
وهذا المعنى الذي صار كثير من متأخري النظار، مثل صاحب هذه

(١-١) ما بينهما انفردت به (ص) .

(٢) من قوله: "واعلم أنه مامن حق ودليل . . ." إلى قوله في ص ٥٥: "بل هو سبحانه الغني بنفسه،

المفني لما سواه". انفردت به (ص) .
(٣) السفسطة لفظ معرب، مركب في اليونانية من "سوفى" وهي الحكمة، و"اسطس" وهي الموهبة، فمعناه
الحكمة الموهبة، وهو يطلق عبارة عن التموهية والصفالطة في الكلام والمجادلة لجحد الحقائق .
ويتحدث مؤرخو الفلسفة اليونانية عن سوفسطائيين، وهم أناس عرفوا بهذا النوع من الجسدل
واشتهروا في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد .

انظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (١/٣٢٢-٣٢٤)، التسعينيات ص ٣٦-٣٧، احصاء العليوم
للفارابي، ص ٨١؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٤٥ وما بعدها؛ الفلسفة عند اليونان
للدكتورة أميرة حلمي مطر، ص ١١٨-١٢١ .

(٤) في الاصل (ص): قد بدون الواو .

العقيدة وأمثاله ، يقررون به إثبات العلم بالخالق فيثبتون أنه واجب الوجود - هو معنى صحيح ، وهو بعض ما دلت عليه النصوص الإلهيية وأسماؤه الحسنى .

لكن النصوص تدل على معان تجمع هذا المعنى وغيره من صفات الكمال - لا تقتصر على مجرد ذلك - مثل كونه تعالى قيُّوماً ، وكونه صمداً ، كما قد بسطنا في تفسير معنى اسمه " القيُّوم " ، ومعنى اسمه " الصمد " ، بل ومعنى اسمه " الرب " و " الإله " ، وغير ذلك من أسماء الحسنى .

وذكرنا تفسير (قل هو الله أحد) في مصنف مفرد ، وكذلك القول على كونها تعدل ثلث القرآن في مصنف مفرد أيضاً ، ^(١) وبيننا أن من معاني اسمه " الصمد " ، أنه الغني عن كل ما سواه ، وأن كل ما سواه مفتقر إليه ، وهذا يتضمن كونه واجب الوجود بنفسه ، وكون كل ما سواه موجوداً به ، فقيرا إليه ، وهو يتضمن أن الممكنات كلها موجودة به ، مفتقرة إليه .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن الغتر والحاجة للمخلوقات - وهي الممكنات - وصف لازم لها ؛ فهي مفتقرة إليه دائماً ؛ حال الحدوث وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارها إليه في حال الحدوث فقط ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم أو في حال البقاء فقط ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين / بمساواة ^(٢) العالم له ، وكلا القولين خطأ ؛ بل الامكان والحدوث متلازمان ، وكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ،

ظ . ١

(١) طبع هذا الكتابان غير مرة ، الأول بعنوان " تفسير سورة الاخلاص " ، والثاني بعنوان " جواب أهل العلم والايان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن " . وضمهما الجزء السابع عشر من مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط . الرياض) .
(٢) عبارة " بمساواة " في الأصل (ص) رسمت هكذا : نما مساوون ، ورجحت أن تكون " بمقارنة " أو " بمساوقة " ، ثم رأيت الشيخ محمد بن أحمد السفاريني في كتابه " لوايح الأنوار البهيسة " ص ٤٤ نقل عن هذا الموضع من كتاب شرح الأصبهانية ، وجاءت الجملة كما أثبت ، والله أعلم .

والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفقورة إليه ، لا تستغنى عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصد إليه جميع المخلوقات ، ولا يصد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه الغني بنفسه ، المفني لما سواه^(١) .

فصل

فلما قرّر إثبات الصانع سبحانه أخذ يثبت وحدانيته ؛ فقال : " والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه ، والا لما كان واجب الوجود لذاته ؛ ضرورة افتقاره الى ما تركّب منه ، ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان ، إذ لو كان لزم وجود الاثنان بلا امتياز وهو محال " .^(٢)

وهذا الدليل أخذه^(٤) من كلام أبي عبد الله الرازي ، وهو سلك فيسه سلك المتفلسفة كابن سينا وأمثاله ، فان هذا هو عمدتهم فيما يدعونونه من التوحيد ، وهو حجة باطلة ، ومقصودهم فيما يدعونونه نفي الصفات ، وقد بين علماء المسلمين بطلانها^(٦) ؛ كما بينه أبو حامد الفزالي في^(٧)

دليل الأصفهاني على وحدانية الخالق

شرح ابن تيمية متابعة الأصفهاني للمتفلسفة في الاستدلال على الوحدانية بنفي التركيب

(١) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) ، وبدأ في ص ٤٨ .

(٢) سبحانه : في (ص) فقط .

(٣) ص : للزم .

(٤) ص : . . . وهو محال . قلت : أخذه .

(٥) ومقصودهم فيما يدعونونه نفي الصفات : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : ومقصودهم فيما يدعونونه من التوحيد .

(٦) وقد بين علماء المسلمين بطلانها : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وقد بين ذلك علماء المسلمين .

(٧) هو الامام الشافعي الأشعري الصوفي محمد بن محمد بن محمد الفزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) ، نسبته الى صناعة الفزل ، أو السى غزاله من قرى طوس ، تفقه على امام الحرمين ، وله مصنفات منتشرة في فنون عديدة ، انظر كلامه عن نفسه وكلام بعض العلماء فيه وتعليق ابن تيمية على ذلك في كتابنا هذا ، ص ٥٠٧ وما بعدها وانظر أيضا تبیین كذب المغترى ، ص ٢٩١ - ٣٠٦ ؛ وفيات الأعيان ٢١٦ / ٤ - ٢١٩ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ١٩١ / ٦ - ٢٨٩ ؛ البداية والنهاية ١٧٣ / ١٢ - ١٧٤ ؛ الأعلام ٢٢ / ٧ - ٢٣ ؛ سيرة الفزالي وأقوال المتقدمين فيه لعبد الكريم العثمان .

"تهافت الفلاسفة" (١) وكما قدح الرازي وغيره في هذه الطريق (٣) في مواضع آخر (٤).

وأما قوله: "ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان؛ إذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال". فطريقتهم في تقرير هذا أنه لو كان اثنان واجبا الوجود لكنا مشتركين في وجوب الوجود؛ فإن كان كل منهما ممتازاً عن الآخر بنفسه (٥)، كان كل منهما مركباً ما به الاشتراك وما به الامتياز فيكون كل منهما مركباً، وقد تقدم أن التركيب / محال؛ وان لم يكن أحدهما ممتازاً عن الآخر، لزم وجود اثنين بلا امتياز.

ج ١١

وبهذه الحجة يثبتون إمكان الأجسام كلها؛ لأنهم يقولون: الجسم مركب، أما من المادة والصورة، وأما من الجواهر المنفردة (٦)؛ وكل مركب ممكن.

اعتماد الفلاسفة في نفي الصفات على حجة التركيب
فهذه الحجة نفوا (٧) الصفات (٨)، وكانوا من أشد الناس تجهماً، لأنهم زعموا أن إثبات الصفات ينافي هذا التوحيد.

فساد هذه الحجة من وجوه
وقد تفتن لفساد هذه الحجة بعض العقلاء، كأبي حامد الفزالي وغيره (٩)، وذلك من وجوه:

الوجه الأول
أحدها - أن يقال: قول القائل: انه يلزم افتقاره إلى ما ركب منه، وذلك ينافي وجوب الوجود - ممنوع؛ لأن غاية ما فيه: أن ما ركب منه جزء

- (١) انظر تعليق رقم (١٠) من نفس الصفحة.
- (٢) س، ك: وكما قد صرح.
- (٣) الطريق: كذا في (ص)؛ خ، س، ك: الطرق.
- (٤) سيورد ابن تيمية كلام الرازي في تقرير هذه الحجة وكلامه في القدح فيها، ص ٦٦ وما بعدها. في (ص) ترك الناسخ بياضاً بقدر ثمانية سطور يفصل بين نهاية هذا الكلام وبداية الذي يليه، ولم يشر الى سبب ذلك.
- (٥) بنفسه: كذا في (ص)؛ خ، س، ك: بتمعينه.
- (٦) ك: الفردة.
- (٧) ص: بهذه الحجة: بسقوط الفاء. خ: في هذه الحجة، وبهذه الحجة.
- (٨) س، ك: تقوم.
- (٩) وقد تفتن لفساد... الخ: كذا في (ص)؛ خ، س، ك: وقد تفتن لفساد هذه الحجة من تفتن لها من الفضلاء كأبي حامد... الخ.
- (١٠) ألف الفزالي كتاب تهافت الفلاسفة "للرد على الفلاسفة واطهار تناقضهم، ويبدو أن ابن تيمية في بعض ما يذكره من الوجوه التالية أفاد من هذا الكتاب، انظر بوجه خاص كلام الفزالي، ص ١٦٠ - ١٨٣ في المسألة الخامسة في بيان عجزهم عن اقامة الدليل على أن الله واحد، وفي المسألة السادسة: ابطال هذه الصفات.

من أجزائه ، وقول القائل : إن المركب مفتقر إلى جزئه ، ليس بأعظم من قوله : إنه مفتقر إلى كله ؛ فإن الافتقار إلى المجموع أشد من الافتقار إلى بعض المجموع ، فالمفتقر إلى المجموع مفتقر إلى كل جزء منه ، والمفتقر إلى جزء منه لا يلزم أن يكون مفتقراً إلى الجزء الآخر ، ومعلوم أن افتقاره إلى الجميع هو افتقاره إلى نفسه ؛ (١) وقول القائل : مفتقر إلى نفسه ، هو معنى قوله : هو واجب بنفسه ؛ فعلم أن وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المنافي لوجوب الوجود .

الوجه الثاني - أن يقال : وجوب الوجود الذي دلّ عليه الدليل ينفي أن يكون مفتقراً إلى شيء خارج عن نفسه ، إذ كانت الممكنات لا بد لها من موجود غير ممكن : موجود بنفسه ، وهذا ينفي أن يفتقر إلى شيء خارج عن نفسه ؛ فلو قيل : إنه موجود بنفسه ، مستغنى عن غيره ، وإنه مفتقر إلى غيره - لزم (٥) الجمع بين النقيضين ، فأما ما هو داخل في مسمى نفسه فليس هو شيئاً خارجاً عن نفسه ، حتى يقال : افتقاره إليه ينافي وجوده بنفسه .

الوجه الثالث - أن يقال : اسم " الفير " فيه اصطلاحان : أحدهما - أن حدّ الفيرين : مجاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر . والآخر - أن الفيرين مجاز مفارقة أحدهما للآخر ، بوجود أو مكان (٧) أو زمان ، والأول اصطلاح المعتزلة والكرامية ، والثاني اصطلاح طوائف من (٨)

(١-١) ما بينهما سقط من (س ، ك) .

(٢) ينفي أن يكون مفتقراً : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : ينفي أن يفتقر إلى أن يكون مفتقراً .

(٣) ص : إذا كان .

(٤) س ، ك : وجود .

(٥) لزم : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : للزم .

(٦) للآخر : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : الآخر .

(٧) أو مكان : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : أو مكان .

(٨) طوائف من : في (ص) فقط .

الكَلَابِيَّة والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة .

وأما الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره ، فإن لفظ " الفير " عندهم يحتمل هذا وهذا ؛ ولهذا كان السلف لا يطلقون القول : بأن صفات الله غيره ، ولا أنها^(١) ليست غيره ؛ فلا يقولون : كلام الله غير الله ، ولا يقولون : ليس غير الله . بل يستفسرون القائل عن مراده ، فتد يريد الأول ، وقد يريسد الثاني ، وهذه طريقة حذاق النظر ، وقد بسط / الكلام على هذا في موضع آخر .

ظ ١١

فإن تكلم بالاصطلاح الثاني ، فجزء الشيء اللازم وصفته اللازمة ليس بغير له ، فلا يكون ثبوته موجباً لافتقاره إلى غيره ؛ وإن تكلم^(٢) بالأول فثبوت الفير بهذا التفسير لا بد منه ، فإنه يمكن العلم بوجوده ، [والعلم بوجوده]^(٥) ، والعلم بأنه خالق ، والعلم بعلمه ، والعلم بإرادته ، وهم يعبرون عن ذلك بالمعقل والعناية ، وهذه المعاني أغيار على هذا الاصطلاح ، وثبوتها لازم لواجب الوجود ، وإذا كان ثبوت هذه الأغيار لازماً له ؛ لم يجز القول بنفيها ؛ لأن نفيها يستلزم نفي واجب الوجود ، وعلم أن مثل هذا وإن سمي تركيباً فليس منافياً لوجوب الوجود .

فإذا قيل : واجب الوجود لا يفتقر إلى غيره .

قيل : لا يفتقر إلى غير يجوز مفارقتها له ، أم إلى غير لازم لوجوده ؟^(٧)

(*) ما بينهما * ومن وافقهم . . . في موضع آخر * انفردت به (ص) .

(١) الأصل (ص) : . . . بأن صفات الله غيره لأنها . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ص : فإن تكلم بالاصطلاح الثاني ، فإن قيل بالثاني فجزء الشيء اللازم . . . الخ . وفي (خ ، س ، ك) : فإن قيل بالثاني فجزءه وصفته ليس بغير له .

(٣) وإن تكلم : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وإن قيل .

(٤) ك : التفسير .

(٥) والعلم بوجوده : سقطت من (ص) .

(٦) ص : وهم يفسرون عن .

(٧) ك : أم هو لازم لوجوده .

فالأول حق ، وأما الثاني - إذا أريد بالافتقار أنه مستلزم له - فممنوع .
(٢) ويتبين ذلك بـ

الوجه الرابع - وهو أن يقال : استعمال لفظ " الافتقار " في مثل هذا ليس هو المعروف في اللغة والعقل ، فإن هذا إنما هو تلازم ؛ بمعنى أنه لا يُوجد المركَّب إلا بوجود جزئه^(٣) ، أو لا يُوجد أحد الجزئين إلا بوجود الآخر ، أو لا يُوجد الجزء إلا بوجود الكل ، أو لا توجد الصفة إلا بوجود الموصوف ، أو لا يوجد الموصوف إلا بوجود الصفة .

ومعلوم أن الشيئين المتلازمين في الوجود لا يجب أن يكون أحدهما مفتقرا إلى الآخر ، بل إن كانا ممكنين جاز أن يكونا معلولين على واحدة أوجبتهما ، من غير أن يفترق [أحدهما]^(٥) إلى الآخر^(٦) ؛ فإن افتقار الشيء إلى غيره إنما يجوز إذا كان ذلك الغير مؤثرا في وجوده كتأثير العلة ، فأما المتلازمان اللذان يكون وجود أحدهما مستلزما لوجود الآخر معه ؛ فإنه وإن قيل : إن وجوده شرط لوجوده ، لكن لا يلزم أن يكون مفتقرا إليه بحيث يكسونه علة له .

ولذا قال القائل^(٨) : أنا أقول : إن كل واحد من المتلازمين مفتقر إلى الآخر ؛ كافتقار المشروط إلى شرطه المستلزم له .

- (١) وأما الثاني إذا . . . الخ : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وأما الثاني فممنوع .
- (٢) خ ، ك : وتبين .
- (٣) س ، ك : جزء .
- (٤) س : لا يوجب .
- (٥) أحدهما : سقطت من (ص) .
- (٦) إلى الآخر : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : إلى الآخر ، وأما الأمور المتلازمة كالأبوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما مفتقرا إلى الآخر . وكتبت هذه الزيادة في "خ" في الهامش ، وستأتي تريبا في (ص) في مكانها المناسب .
- (٧) إنما يجوز : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : إنما يكون .
- (٨) من قوله هنا : " وإذا قال القائل . . . " إلى قوله في صفحة ٧٩ : " كما هو حال عامة أرسطاب العقائد الفاسدة إذا تبين لهم الحق الذي لا ريب فيه " ، انفردت به (ص) . وجاء هنا في (خ ، س ، ك) ما يلي : " . . . علة له ، وإذا كان المراد بالافتقار هنا التلازم فذلك لا ينافي وجوب الوجود ، يوضح ذلك الوجه الخامس وهو أن يقال : . . . الخ " راجع صفحة ٧٩ .

أنواع الدور قيل له : فبقي النزاع لفظياً ، كالنزاع في لفظ " الدور " ؛ فإن الدور يبراد به الدور العلمي ، الذي يذكر في حساب الجبر والمقابلة ؛ ويراد به الدور الحكمي ، الذي يتكلم به الفقهاء ؛ ويراد به الدور العقلي ، الذي يتكلم به النظار .

الصواب أن الدور العقلي نوعان ويطلق طائفة منهم : أن الدور باطل ، وآخرون منهم يفصلون ؛ فيقولون : الدور نوعان :

أحدهما - الدور القبلي ؛ وهو أنه لا يكون هذا إلا بعد ذلك ، ولا يكون ذلك إلا بعد / هذا - فهذا ممتنع في صريح العقل ؛ فإنه يستلزم كسوت الشيء سابقاً للسابق على نفسه ، ومتأخراً عن المتأخر عن نفسه ، فيستلزم أن يكون قبل نفسه بدرجتين ، وأن لا يكون إلا بعد نفسه بدرجتين ، وكونه موجوداً قبل نفسه ، أو لا يوجد إلا بعد نفسه - محال ، فكيف إذا كان هذا الممتنع متكرراً !

وأما النوع الثاني - فهو الدور المعيني الاقتراني ، وهو أن لا يكون هذا إلا مع ذلك ، ولا يكون ذلك إلا مع هذا ؛ كما لا توجد الأبوة إلا مع البنوة ، ولا البنوة إلا مع الأبوة ، ولا توجد الذات الواجبة إلا مع صفاتها اللازمة ، ولا توجد صفاتها اللازمة إلا مع الذات - فهذا الدور جائز ، وهذا الدور في الشروط ، والأول دور في العلل^(١) .

فكذلك لفظ " الافتقار " ؛ فإن مرادهم بافتقار المركب إلى جزئه ليس هو افتقار المفعول إلى الفاعل ، ولا المفعول إلى العلة الفاعلة ، بل المراد بالافتقار التلازم ؛ والأمور المتلازمة كالأبوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما مفترقاً إلى الآخر ، لاسيما على أصل الذين يقولون : إنه يستلزم لمفعولاته ؛ فإذا كان وجود وجوده لا ينافي استلزامه لأفعاله الممكنة ،

(١) لمزيد من الايضاح لأنواع الدور ينظر كتاب " الرد على المنطقيين " ، ص ٢٥٧ . وكتاب " الكليات " لأبي البقاء ، ص ١٨٤ .

فكيف ينافي استلزامه لصفاته اللازمة لذاته ؟ !

وهذا مما يبيِّن تناقض هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفات وأن أقوالهم من أفسد الأقوال في العقل ؛ فإنهم يقولون : ان واجب الوجود موجب للعالم ، ولا يمكن وجوده بدون وجود العالم ، مع تغيير العالم .

وهذا الإيجاب والاستلزام لا ينافي وجوب وجوده عندهم ، ثم يقولون مع ذلك : وجوب الوجود ينافي استلزامه للصفات ، ويسمون ^(١) هذا الاستلزام والإيجاب افتقارا ، ويقولون : لو كان موصوفا بالصفات لكان مركبا من الذات والصفات ، والمركب مفتقر ^(٢) إلى جزئه ، وجزؤه غيره ، وواجب الوجود لا يكون مفتقرا إلى غيره .

أنواع التركيب عند الفلاسفة وقالوا ما ذكره عنهم أبو حامد الفزالي في " التهافت " ^(٣) :

- (١) ويسمون : بهذه العبارة ابتداء الناسخ السطر بعد فسحة قصيرة بقدر كلمة ، على غير عادته .
- (٢) الأصل (ص) : مفتقرا . بالنصب ، وهو خطأ .
- (٣) قال الفزالي في كتاب " تهافت الفلاسفة " ، ص ١٦٢ - ١٦٤ يحكي كلام الفلاسفة : " بل زعموا أن التوحيد لا يتم الا باثبات الوحدة لذات البارئ سبحانه من كل وجه ، واثبات الوحدة بنفي الكثرة من كل وجه ، والكثرة تنطرق إلى الذات من خمسة أوجه .
- الأول - بقبول الانقسام فعلا أو وهما ، فلذلك لم يكن الجسم الواحد واحدا مطلقا ، فانه واحد بالاتصال القائم القابل للزوال ، فهو منقسم في الوهم بالكمية ، وهذا محال في المبدأ الأول .
- الثاني - أن ينقسم الشيء في العقل إلى معنيين مختلفين ، لا يطريق الكمية كانقسام الجسم إلى الهيولي والصورة ، فان كل واحد من الهيولي والصورة وان كان لا يتصور أن يقوم بنفسه دون الآخر ، فهما شيان مختلفان بالحد والحقيقة ، يحصل من مجموعهما شيء واحد هو الجسم ، وهذا أيضا منفي عن الله سبحانه وتعالى . . .
- الثالث - الكثرة بالصفات ، بتقدير العلم والقدرة والارادة ، فان هذه الصفات ان كانت واجبة الوجود ، كان وجوب الوجود مشتركا بين الذات وبين هذه الصفات ، ولزمت كثرة في واجب الوجود ، وانتفتت الوحدة .
- الرابع - كثرة عقلية تحصل بتركب الجنس والفصل ، فان السواد سواد ولون ، والسوادية غير اللونية في حق العقل ، بل اللونية جنس والسوادية فصل ، فهو مركب من جنس وفصل . . . وهذا نوع كثرة ، فزعموا أن هذا أيضا منفي عن المبدأ الأول .
- الخامس - كثرة تلزم من جهة تقدير ماهية ، وتقدير وجود لتلك الماهية ، فان للانسان ماهية قبل الوجود ، والوجود يرد عليها ويضاف اليها ، وكذا المثلث مثلا ، له ماهية وهي أنسه شكل تحيط به ثلاثة أضلاع ، وليس الوجود جزءا من ذات هذه الماهية مقوما لها ، ولذلك يجوز أن يدرك العاقل ماهية الانسان وماهية المثلث ، وليس يدري أن لهما وجودا في الأعيان أم لا ، ولو كان الوجود مقوما لماهيته لما تصور ثبوت ماهيته في العقل قبل وجوده ، فالوجود مضاف إلى الماهية ، سواء كان لازما بحيث لا تكون تلك الماهية الا موجودة كالنساء ، أو عارضا بعد ما لم يكن ، كما هي الانسان في زيد وعمرو ، وماهية الأعراض والصور الحادثة فزعموا أن هذه الكثرة أيضا =

إن التركيب خمسة أنواع :

أحدها - التركيب من وجود وماهية .

والثاني - التركيب من ذات وصفات .

والثالث - التركيب من أمر عام وخاص ؛ كما يقال : يشارك العالم في الوجود ، ويمتاز عنه بالوجود . وقد يُسمون العام " جنساً " ، وقد يُسمونه " عرضاً عاماً " ؛ ويقولون : الجنس هو الذاتي المشترك ، والعرض العام : المرضي المشترك ، كما أن " الفصل " هو الذاتي المميز ، و " الخاصة " هي المرضي المميز ، و " النوع " هو المركب من الجنس والفصل ، وهذه الخمسة هي الكليات الخمس المذكورة في منطقهم اليوناني .^(١)

= / يجب أن تتفي عن الأول ان لو ثبت له ماهية لكان الوجود الواجب لازماً لتلك الماهية ، غير مقوم لها ، واللازم تسابع ومعلول ، فيكون الوجود الواجب معلولاً ، وهو مناقض لكونه واجباً .
(١) ذكر الفزالي في " معيار العلم " ، ص ٩٣ - ١٠٢ ، ١٠٦ ماملخصه : الموجودات تنقسم إلى موجودات شخصية معينة ، وتسمى أعياناً وأشخاصاً وجزئيات ؛ وإلى أمور غير متعينة ، وتسمى الكليات والأمور العامة .

فأما الأعيان الشخصية فهي الأمور المدركة أولاً بالحواس كزيد ، وهذا الفرس ، وهذه الشجرة ، وكذلك هذا البياض وهذه القدرة ، فان التعيين يدخل على الجواهر والأعراض جميعاً .
ثم هذه الأشخاص لا تشترك في أعيانها ، الا أنها تتشابه بأمر ، كتشابه الفرس والانسان - دون الشجرة - في الحيوانية ، وكتشابه هذه الثلاثة في الجسمية ، فما به التشابه للأشياء يسمى الكليات والأمور العامة .

وكل معنى ينسب إلى شيء ، فاما أن يكون ذاتياً له مقوماً لذاته ، أي قوام ذاته به كالحيوان للانسان ؛ واما أن يكون غير ذاتي مقوم ، وحينئذ فاما أن يكون عرضياً لازماً كالمخلوق للانسان ؛ واما أن يكون عرضياً مفارقاً كالأبيض للانسان .

ولا ظهار الفرق بين " الذاتي المقوم " و " العرضي اللازم " - معياران :

الأول - أن مالا يرتفع في الوجود والوهم جميعاً فهو " ذاتي " ، وما يرتفع في الوجود والوهم فهو " عرضي مفارق " ، وما يقبل الارتفاع في الوهم دون الوجود فهو " عرضي لازم " .

الثاني - أن كل معنى اذا أحضرته في الذهن مع الشيء الذي شككت في أنه لازم له " أو " ذاتي " ، فان لم يمكنك أن تفهم ذات الشيء ، الا أن تكون قد فهمت له ذلك المعنى أو لا فاعلم أنه " ذاتي " ، وان أمكنك أن تفهم ذات الشيء دون أن تفهم المعنى ، أو أمكنك الفطنة عن المعنى بالتقدير فاعلم أنه " غير ذاتي " ، ثم ان كان يرتفع وجوده فاعلم أنه عرضي مفارق ، وان كان لا يفارقه أصلاً فهو لازم .

والعرضي - سواء كان لازماً أو مفارقاً - ينقسم بالاضافة إلى ما هو عرض له ، إلى ما يعمه وغيره فيسمى " عرضاً عاماً " ، وإلى ما يختص به فيسمى " خاصة " ، كالشيء والاكل فانه بالاضافة إلى الحيوان " خاصة " ان لا يوجد لغيره ، فان أضيف إلى الانسان كان " عرضاً عاماً " ان ليس مخصوصاً به .
ويلاحظ أنه لا يراود بالعرض هنا الذي يقابل الجوهر ، فان العرض هنا قد يكون جوهرًا كالأبيض والعرض هناك لا يكون جوهرًا كالبياض .

أما الذاتي المقوم فينقسم إلى مالا يوجد شيء أمم منه وهو داخل في الماهية أي يمكن أن يذكر / =

وقد بيّنا ما في هذا الكلام المذكور في المنطق ؛ من حق وما ظل في غير هذا الموضوع ، وبيّنا أن ما يدكرونه من الفرق بين الذاتيّ المقوم ؛ الداخِل في الماهية ، والمرضي اللازم للماهية ؛ الخارج عنها - لا يرجع إلى حقيقة موجودة ولا معقولة ، وإنما هو / تحكُّم اصطلاحِي ، كما أن ما يدعونهُ من التركيب من الجنس والفصل ليس تركيباً حقيقياً في الخارج (١) ؛ وإنما هو تركيب ذهني اعتباري ؛ وحقيقته ذات متصفة بصفات (٢) ، ولهم في هذه المواضع [أخطاء] (٣) ، وقد بيّن نظار المسلمين من خطئهم في المنطق والإلهي ما ذكره غير واحد منهم .

ظ ١٢

الرابع - التركيب العقلي من مادة وصورة .

الخامس - التركيب من الأجزاء التي هي الجواهر المنفردة .

وهذان التركيبان إنما يصح القول بإثباتهما عند من يسلم أن الجسم مركب من المادة والصورة ، أو من الجواهر المنفردة ، فأما من نفى هذا وهذا من النظار وغيرهم فلا .

والمقصود هنا أنهم يقولون : إذا كان متمصفاً بالصفات كان مركباً ، والمركب مفترقاً إلى جزئه ، وجزؤه غيره ، وواجب الوجود لا يكون مفترقاً إلى غيره . ولفظ " المركب " يراد به ما ركبته غيره ، وما كانت أجزاؤه متفرقة فاجتمعت ، أو ما يقبل انفصال بعضه عن بعض . وأهل الإثبات للصفات يسئلون أن هذه المعاني الثلاثة متمتعة على الله تعالى ؛ فلا يجوز أن يكون مركباً لا بهذا المعنى ، ولا بهذا ، ولا بهذا .

= / في جواب ما هو؟ ويسمى " جنساً " كالحيوان للإنسان والفرس ، وإلى ما يوجد أعم منه دون ما هو أخص منه ، ويمكن أن يذكر في جواب ما هو؟ ويسمى " نوعاً " كالإنسان لزيد وعمرو ، وإلى ما يذكر في جواب أي شيء هو؟ ويسمى " فصلاً " كالناطق للإنسان .

فإن انقسم الذات إلى الجنس، والنوع، والفصل ؛ والعرضي إلى الخاصة، والعرضي إلى العام ؛ فإن الكليات بهذا الاعتبار خمس، ويسمى المنطقيون " الخمسة المنفردة " . وانظر أيضاً كتاب " النجاة " لابن سينا ، ص ٦ - ١٠ .

(١) الأصل (ص) : للخارج .
(٢) بين ابن تيمية ذلك في كتاب " الرد على المنطقيين " ، ص ٥٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٠ - ٧٤ .

(٣) أخطاء : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .

لكن نفاة الصفات يسمون إثبات الصفات تركيبيا ، ويقولون : الذات الستى
لها صفات هي مركبة ، ويقولون : المركب مفتقر إلى جزئه ،

والمراد بذلك أنه مستلزم لصفاته ، لا يوجد بدون وجود الصفة ، ليس
المراد بكونه مفتقرا إلى الجزء أن الجزء فاعل له ، فإن هذا لا يقوله عاقل ،
لا يقول عاقل : إن جزء المجموع يجب أن يكون فاعلا له ، بل يتمتع أن يكون
جزء الشيء فاعلا له باتفاق العقلاء .

ولكن قد يكون جزؤه لازما له ، وملتزما له ؛ فإذا قيل : هو مفتقر إلى
جزئه ؛ بمعنى أن المجموع لا يوجد إلا بوجود البعض - كان هذا ممكنا ، وكذلك
إذا قيل : ذلك الجزء لا يوجد إلا مع جزء آخر ، أو مع المجموع ؛ كان هذا
ممكنا .

وهم يسمون صفات الله تعالى وغيره من الموصوفات أجزاء ، ويقولون : إن
أثبتتم له الصفات ، فقد أثبتتم له الأجزاء ، ثم يقولون : ذلك محال ؛ لأنسه
يقتضي أنه مركب ، والمركب مفتقر إلى أجزائه ، بمعنى أنه مستلزم لأجزائه .
أو يقولون : إن كانت الصفات التي تثبتونها ذاتية ، داخلة في الماهية
- كانت أجزاء مقومة له ؛ وهو متمتع ، وإن كانت عرضية له ، افتقر فيها إلى غيره .

فيقال لهم : عندكم أنه مستلزم لمفعولاته المعتبرة ، ولا يمكن وجوده
بدون وجودها ، ومع هذا فهذا لا ينافي وجوب وجوده بنفسه ، ولا يكون
امتناع بدون تلك اللوازم المنفصلة المعتبرة متمتعاً^(١) ؛ فكيف يكون استلزامه
لصفاته اللازمة له متمتعاً ؟ فإن كان هذا الاستلزام هو افتقار إلى
صفاته - التي سميتها أجزاء - فذاك الاستلزام هو افتقار إلى مفعولاته ،
ومعلوم أن افتقار الواجب بنفسه إلى مفعوله أعظم امتناعا في العقل / من

تناقض الفلاسفة
في قولهم
باستلزام الله
لمفعولاته
وامتناع استلزامه
لصفاته

(١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل أصل العبارة : ولا يكون امتناع وجوده بدون تلك اللوازم المنفصلة
المعتبرة - متمتعاً .
(٢) في الأصل (ص) : مفعوله .

افتقارة إلى أجزائه أو صفاته .

فإن كنتم لا تسمون هذا الإيجاب والاستلزام لمفهولاته افتقاراً، كان هذا الإيجاب والاستلزام لصفاته - التي قلتم : هي أجزاؤه - أولى أن لا يُسَمَّى افتقاراً .

ولن سَمِّيَ ذلك افتقاراً ، وقلتم : هذا الافتقار ليس بمتنع ؛ لأنه هو الموجب لأفعاله ، فإذا قيل : هو مفتقر إلى مفعوله ، الذي هو مفتقر إليه - لم يكن في الحقيقة مفتقراً إلا إلى نفسه .

قيل لكم : فهذا الافتقار إلى صفاته ، التي توجبها ذاته وتستلزمها - أولى أن لا يكون متنعاً ؛ لأنه في الحقيقة لم يفتقر إلا إلى نفسه .

وإن قلتم : هذا يقتضي كون الذات فاعلةً للصفات وقابلةً لها ، والشئ الواحد لا يكون فاعلاً قابلاً ؛ لأن ذلك يفضي إلى التركيب ، والواحد لا تركيب فيه .

قيل : أنتم إنما قلتم : إن الشئ الواحد لا يكون فاعلاً وقابلاً ؛ لئلا يستلزم التركيب - فلا يجوز أن تجعلوا هذا دليلاً على نفي التركيب ؛ لأن ذلك دور ؛ مضمونه أنكم تنفون كونه فاعلاً وقابلاً لئلا يلزم التركيب ، وتنفون التركيب لئلا يلزم كونه فاعلاً وقابلاً ، فيكون هذا إثباتاً لكل منهما بنفسه ؛ وذلك مصادرة على المطلوب ؛ باطلة في النظر والمناظرة باتفاق العقلاء .^(١)

وأيضاً فالتركيب الذي نفيتوه ، إنما نفيتوه لئلا يفضي إلى الافتقار إلى الغير ، والافتقار المراد به استلزامه للغير ، وعندكم هو مستلزم للغير ،^(٢)

(١) في " المعجم الفلسفي " إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١٨٥ " مصادرة على المطلوب : جعل المطلوب أو ما يساويه مقدمة للبرهنة عليه " . وفي " الكليات " لأبي البقاء ، ص ١٨٤ " والمصادرة كون المدعى عين الدليل ، أو عين مقدمة الدليل ، أو عين ما يتوقف عليه مقدمة الدليل ، أو جزء ما يتوقف عليه مقدمة الدليل ، والأولان فاسدان بلا خلاف ، والآخران مع الخلاف " .

(٢) في الأصل (ع) : . . إلى الغير والمراد به . ووضع الناسخ بعد كلمة " الغير " سهما وكتب في الهامش : والافتقار .

فأنتم جميع ما نفيتوه في هذا المقام ، إنما نفيتوه لئلا يكون مستلزماً لغيره ، وعندكم هو مستلزم لغيره ، بل جعلتموه مستلزماً لغيره هو مفعول متغير ، ونفيتم كونه مستلزماً لصفات قائمة بذاته ، ثابتة ، لازمة له .

ومعلوم أن إيجابه لما هو قائم به ، لازم ، ثابت ، دائم ؛ أولى من إيجابه لما هو منفصل عنه ، متغير ، فإذا كان على اصطلاحكم كونه مفتقراً إلى ماهو متغير ، مفعول ، لا ينافي وجوبه بنفسه - فكيف يكون افتقاره إلى ماهو لازم له دائم ، ينافي وجوبه ! وإذا كان هذا على اصطلاحكم ؛ افتقاره إلى المنفصل عنه لا ينافي وجوبه ؛ فكيف افتقاره إلى ماهو قائم بذاته !

وإذا قلت : هذا يفضي إلى الكثرة في ذاته ، بخلاف ذاك .

قيل لكم : الكثرة في ذاته هي التركيب عندكم ، ومرادكم بالعبارتين واحد ، وإنما نفيتم ذلك بنفي هذا اللازم ؛ الذي أثبتم ماهو أبلغ منه في الامتناع على أصلكم ، فإن وجب نفي هذا اللازم لما فيه من الافتقار ؛ لزم نفي ذلك الذي هو أبلغ في الافتقار منه ، وإن لم يجب نفي هذا الأبلغ لم يجب نفي ذلك بطريق الأولى .

الكثرة هي التركيب

فتبين أن القوم ينفون الشيء لمعنى ، ويثبتون ماهو أبلغ في إثباتات ذلك المعنى منه ، وأنهم من أعظم الناس تناقضاً ، وأنهم يصفون واجب الوجود بما يوجب أن يكون ممتنع الوجود ، / فيجمعون بين النقيضين اللذين هما في غاية التناقض ؛ فإن مناقضة الوجوب للامتناع أبلغ من مناقضة الوجود للمعدم .

ظ ١٣

وأصل ذلك ، أن القوم أرادوا أن يثبتوا وجوداً مطلقاً ؛ لا يختص بحقيقة يمتاز بها عن غيره ، وإنما يمتاز بأمر سلبية ، وهذا إنما يقدر نفسي الأذهان ، وأما إثباته في الخارج فممتنع لذاته ، كما قد بسط في موضعه .

وأصل الاشتباه في هذا المقام ، الذي ضلّ فيه طوائف من النظار،
أن مسمى " واجب الوجود " فيه إجمال واشتراك ، كما في لفظ " القديم " عند
المعتزلة نفاة الصفات .

ضلال الفلاسفة
في لفظ " واجب
الوجود " كضلال
المعتزلة في
لفظ " القديم "

فإن الأمر المعلوم أن الله قديم ، فالقديم وهو الله الذي لا إله
إلا هو ، فجعلت المعتزلة القديم هو الذات المجردة عن الصفات ؛ وقالوا :
إذا أثبت الصفات قلتم بتعدد القدما .

ولفظ " تعدد القدما " مجمل ؛ فإن أريد به تعدد الآلهة والخالقين
والأرباب فهذا باطل ؛ فإن صفات الله ليست آلهة ولا خالقة ولا أرباباً ،
وإن أريد بالقدما تعدد صفات قديمة لذات قديمة ؛ فنفي هذا مصادرة
على المطلوب ، فلبسوا على المسلمين بقولهم : إن اثبات الصفات يقتضي
تعدد القدما .

ولهذا ذكر الإمام أحمد في رده على الجهمية :^(١) " أنهم قالوا لأهل
السنة : إنكم إذا قلتم : كلام الله وعلمه ، وقدرته ، ونوره ، فقد قلتم^(٢)
بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته " .
فقال أحمد : " لا نقول :^(٣) إن الله لم يزل وقدرته ، ولم يزل ونوره ؛ ولكن
نقول : لم يزل بقدرته ، ونوره ، لامتي قدر ، ولا كيف قدر .

-
- (١) الأصل (ص) : وأن ، ورجحت أن الصواب اسقاط الواو .
(٢) كذا في الأصل (ص) ، ولعل الصواب : فالقديم هو . من دون الواو .
(٣) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ، ص ٩١-٩٢ ضمن مجموع بعنوان " عقائد السلف " جمعه
علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبيني ونشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .
(٤) الرد : . . . فقالت الجهمية ، لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره ، والله
وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلتم . . . الخ .
(٥) الرد : . . . وقدرته قلنا لا نقول .

فقالوا : لا تكونون موحدّين أبداً حتى تقولوا : قد كان [الله] ولا شيء^(١) .
فقلنا : نحن نقول : قد كان الله ولا شيء ، ولكن إذا قلنا : إن الله لم
يزل بصفاته كلها ، [أليس] إنما نصف^(٢) إليها واحداً بجميع صفاته ؟ . وضرينا
لهم في ذلك مثلاً ؛ فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة ، أليس لها جذع
وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ، واسمها شيء واحد^(٣) ، وسميت نخلة
بجميع صفاتها .

وكذلك^(٤) الله - وله المثل الأعلى - بجميع صفاته إليه واحد ؛ لانقول :
إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق قدرته^(٥) ، والذي ليس
له قدرة فهو عاجز ، ولا نقول : قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى
خلق له علماً فعلم ، والذي لا يعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله
عالماً قادراً ، لامتي ، ولا كيف .

وقد سَمَّى الله رجلاً كافراً ، اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال^(٧) :
(نَزَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً^(٨)) ، وقد كان هذا الذي سماه وحيداً ، له عينان
وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله
وحيداً بجميع صفاته ، فكذلك الله^(٩) - وله المثل الأعلى - / هو بجميع صفاته
إليه واحد .

ج ١٤

-
- (١) الأصل (ص) : قد كان ولا شيء ، والمثبت من " الرد " .
(٢) الأصل (ص) : كلها إنما نصف ، والمثبت من " الرد " .
(٣) الرد : واسمها اسم شيء واحد .
(٤) الرد : فكذلك .
(٥) الرد : حتى خلق له قدرة .
(٦) الرد : هو .
(٧) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، يكنى أبا عبد شمس ، من زعماء كفار قريش ،
هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر وله خمس وتسعون سنة .
انظر : السيرة النبوية لابن هشام (القسم الأول) ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٣٦١ - ٣٦٤ ،
٤٩٥ - ٣٩٦ ، ٤١٠ - ٤١٢ ؛ الكامل لابن الأثير ٢/٦٣ ، ٧١ - ٧٢ ، ١١٩ ؛ الأعلام ٨/١٢٢ ؛
وانظر في تفسير سورة المدثر الآية الحادية عشرة وما بعدها تفسير الطبري ٢٩/٩٦ ؛ الدر المنثور
٢٨٢/٦ .
(٨) سورة المدثر : ١١ .
(٩) الأصل (ص) : فكذلك انه ، والمثبت من " الرد " .

قلت : وهو "المتفلسفة - موافقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم في تعطيل الصفات - نفوا عن مسمى " واجب الوجود " من التركيب ما ينفون به الصفات ، كما نفت الجهمية من المعتزلة وغيرهم عن " القديم " من التركيب ما ينفون به الصفات .

والنفاة من الجهمية والمتفلسفة والباطنية أكثر نفيا وتعطيلاً من المعتزلة ، فأخذوا اسم " واجب الوجود " مجعلاً مشتبهاً مشتركاً ، فوجب الوجود الذي دل عليه ثبوت الممكنات هو الموجود بنفسه ، الذي لا يقبل العدم ، ولا يفتر إلى ما هو غني عنه ، وهذا القدر يوجب إثبات الصفات له من طرق متعددة ، كما قد بسط في موضعه .

(١) الباطنية هم الذين جعلوا لنصوص الكتاب والسنة باطنياً يخالف ظاهرها ، واشتهر باسم " الباطنية " طوائف معينة ، تتستر بالاسلام ويظهر أكثرها الرفض ، وهم زنادقة منافقون . وعد المؤرخون لهم ، أسماء كثيرة ، منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعضهم ، فمن أسمائهم : القرامطة ، الاسماعيلية ، النصيرية ، الخرمية ، التعليمية ، الملاحدة ، الاباحية ، وغيرها ، وذكروا أنهم بنوا مذهبهم على شي من دين المجوس ، وشي من دين الصابئة ، وأنهم ينتهون إلى القول بقدوم العالم وابطال النبوة والشرايع . وذكر البغدادي في " الفرق بين الفرق " ، ص ٢٦٦ أن الذين أسسوا دعوة الباطنية ، جماعة منهم ميمون بن ديسان القداح (ت نحو ١٢٠) ومحمد بن الحسين الملقب بدندان ، ثم حمدان قرمط (ت ٢٩٣) ثم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي (ت ٣٠١) . ولكن ابن تيمية في " بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية " ٢٥٩ / ١ - ٢٦١ يقول مالمخصه : وحقيقة الأمر أن اسم " الباطنية " قد يقال في كلام الناس على صنفين : أحدهما ، من يقول : ان للكتاب والسنة باطنياً يخالف ظاهرها ، فهو "الباطنية" هم المشهورون عند الناس باسم " الباطنية " من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة . وهو "الباطنية" في الأصل قسمان : قسم يرون ذلك في العمليات ، والعمليات ، فيرون أن الخطاب المبين لوجوب الواجبات وتحريم المحرمات ، ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور ، ولكن لذلك أسرار وبواطن يعرفونها ، كما يقولون : الصلاة معرفة أسرارنا ، والصوم كتمان أسرارنا ، والحج الزيارة إلى شيوخنا المقدسين . وهذا الصنف يقع في القرامطة المظهرين للرفض ، ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية ، ويقع في غالبية المتكلمين . وأما عقلاً ، هذه الطائفة الباطنية ، فانهم يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العمليات ، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها ، وهذا قول عقلاً الفلاسفة المنتسبين إلى الاسلام ، مع أنهم في التزام الأعمال الشرعية مضطربون لما في قلوبهم من المرض والنفاق . الثاني ، الذين يتكلمون في الأمور الباطنية من الأعمال والعلوم ، لكن مع قولهم : انها توافق الظاهر ، كما للانسان بدن وقلب ، وهو "الباطنية" هم المشهورون بالتصوف عند الأمة ، وهم فيما يتكلمون فيه من العلم والعمل الباطن يستدلون بالأدلة الشرعية ، ولكن يوجد فيهم من جنس ما يوجد في بقية الطوائف من البدعة والنفاق . وانظر عن الباطنية وطوائفها : / =

فقالوا: واجب الوجود كما لا يفتقر إلى علة فاعلة لا يكون مفتقرا إلى علة قابلة، فالصفات لا تكون واجبة الوجود لافتقارها إلى الذات، وإذا لم تكن واجبة كانت ممكنة؛ فتكون الذات موجبة لها وقابلة لها.

فيقال لهم: مدلول الدليل أنه لا يكون مفتقرا إلى ماهو مستغن عنه كما تقدم، وأما كون الصفات واجبة الوجود أو ممكنة؛ فإن أريد بواجب الوجود ماليس له فاعل فالصفات واجبة الوجود، وإن أريد به ماليس له محل يقوم به فليست واجبة بنفسها - بهذا التفسير - بل بغيرها، وحينئذ فالذات موجبة لها وقابلة لها.

وهذا إنما منعه لثلا يفضي إلى ماسموه تركيبا، فلا يجوز أن يحتجوا على نفي التركيب بنفي هذا؛ لأنه يفضي إلى الدّور في الاستدلال؛ فلا يستدلون على هذا إلا بهذا، ولا على هذا إلا بهذا؛ وإذا كان كل من الشيئين لم يستدل عليه إلا بالآخر لم يكن على واحد منهما دليل، وكلام هؤلاء كسهم يدور على هذا الأصل.

وهذا الأصل وقع في كلام المتأخرين من النُّظار كالرازي والآمدي وأمثالهما، وهم تارة ينفون هذا كما نفته المتفلسفة، وتارة يثبتون كسلام المتفلسفة. وهؤلاء المتفلسفة ابن سينا وأمثاله من أتباع أرسطو.

وأما جماهير الفلاسفة الأساطين القدماء، الذين كانوا قبل أرسطو، فكما أنهم لم يكونوا يقولون بقدوم صورة العالم، ولم^(١) يكونوا يقولون بنفي الصفات، بل يثبتون الصفات، بل والأفعال القائمة به، كما قد نُقلَ أُلغاظهم ونُقلَ الناقلين عنهم في غير هذا الموضوع^(٢).

/ = التثبية والرد للملطي، ص ٢٠-٢٢؛ الفسرق بين الفسرق، ص ٢٦٥-٢٩٩؛
السفصل لابن حزم ٣٤/١؛ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة لمحمد بن مالك بن
أبي الغضائل؛ فضائح الباطنية للفرزالي؛ الملل والنحل ٢/٢٩-٣٦؛ تلبيس إبليس، ص ١٠٢-١١١،
قواعد عقائد آل محمد (الباطنية) لمحمد بن الحسن الديلمي؛ كتاب التسعينية لابن تيمية، ص ٤٠؛
الرد على التصيرية؛ الخطط للمقرئزي ٢/٣٥٧؛ مذاهب الإسلاميين لبدوي ٢/٧ وما بعدها.
(١) ولم: كذا في الأصل (ص)، ولعل الصواب: لم. بحذف الواو.
(٢) سياأتي شي من ذلك في كتابنا هذا، ص ٦٣ (١) وما بعدها.

وكذلك كثير من الفلاسفة المتأخرين ؛ كأبي البركات صاحب "المعتبر"^(١)
وغيره يثبتون لله تعالى الصفات والأفعال القائمة به ، وقد ردوا على من
نفى ذلك من أصحابهم الفلاسفة بكلام بينوا فيه / خطأهم ، كما قد بسط
في موضعه .^(٢)

ظ ١٤

واعلم أن كثيراً من النظائر كثر خوضهم في توحيد الله وصفاته بلفظ
"التركيب" وغيره من الألفاظ المجتعة ، ومثبتة الصفات تارة يبينون فساد
حجة النفاة بذلك ، وتارة يقررونها ؛ كما يقع مثل ذلك في كلام أبي عبد الله
الرازي وأبي الحسن الأمدى وغيرهما ، حتى قال أبو عبد الله الرازي في آخر
كتابه المسمى بـ "الأربعين" :^(٣)

اضطراب كلام
الرازي في
"الكثرة"

"واعلم أن ههنا مقدمتين يقرّع المتكلمون والفلاسفة أكثر مباحثهم
عليهما : المقدمة الأولى - مقدمة الكمال والنقصان . وتكلم عليهما ، ثم قال :^(٤)
^(٥)

كلام الرازي في
كتاب الأربعين
في نفي الكثرة

"أما المقدمة الثانية - فهي مقدمة الوجوب والإمكان ، وهذه المقدمة
في غاية الشرف والعلو، وهي غاية عقول العقلاء ، قالوا : الوجود^(٧) إما واجب
وإما ممكن^(٨) ، والممكن لا بد له من واجب^(٩) ، وذلك الواجب لا بد أن^(١٠)
^(١١)

(١) هو أبو البركات هبة الله بن ملكا - وقيل ابن علي بن ملكا - الطبيب الفيلسوف، كان يهودياً أكثر
عمره ثم أسلم في آخره . سكن بغداد وعاش نحو ثمانين سنة وتوفي سنة ٥٤٧ وقيل ٥٦٠ . طبع
كتابه "المعتبر" الطبعة الأولى بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٧ هـ .
انظر: تاريخ الحكماء، ص ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص ٣٧٤ - ٣٧٦ ؛ نكت
الهميان، ص ٣٠٤ ؛ الأعلام ٨ / ٧٤ - ٧٥ ؛ وانظر مقالة كتبها سليمان الندوي في آخر المعتبر
٢٣٤ / ٣ - ٢٥١ .

(٢) أورد ابن تيمية كلام أبي البركات في "المعتبر" في كتابنا هذا، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين (الطبعة الأولى) ، ص ٤٨١ .

(٤) في الأربعين، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ، وقد قال بعد الكلام السابق مباشرة : "كقولهم : هذه الصفة من
صفات الكمال فيجب اثباتها لله تعالى ، وهذه الصفة من صفات النقصان فيجب نفيها عن الله
تعالى ، وأكثر مذهب المتكلمين متفرعة على هذه المقدمة " . وانظر تعليق ابن تيمية بعد نهاية
كلام الرازي .

(٥) ص : ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٦) الأربعين : وأما . (٧) الأربعين : الموجود . (٨) الأربعين : أو ممكن .

(٩) الأربعين : موجب . (١٠) الأربعين : الموجب .

(١١) الأربعين : لا بد وأن .

يكون واجبا في ذاته وفي صفاته ، إذ لو كان ممكنا لافتقر إلى موثر آخره .
أما المقدمة الأولى ؛ وهي أنه واجب لذاته فهذا له بلا زمان :

الأول - أن يكون منزهاً في حقيقته عن الكثرة ، ثم يلزم من فردانيته في ذاته

أسور :

أحدها^(١) - أن لا يكون متحيزاً ؛ لأن كل متحيز منقسم ، والمنقسم لا يكون

فرداً، وإذا لم يكن متحيزاً لم يكن في جهة .

وثانيها^(٢) - أن لا يكون واجب الوجود أكثر من واحد ، ولو كان أكثر ممن

واحد لا شتركا في الوجوب وتباينا في التعيين^(٤) ، ومابه المشاركة غير مابه

المايزة ، فيلزم كون كل واحد منهما في نفسه مركباً ، وقد فرضناه فرداً ،

هذا خلف .

اللازم الثاني لكونه واجب الوجود لذاته - أن لا يكون^(٥) حالاً ولا محلاً

وإلا لعاد الافتقار .

قلت : قد ذكرت في غير هذا الموضع^(٦) أن مقدمة الكمال والنقصان أشرف ،

تعليق ابن تيمية

وعليها يعتمد أئمة النظار من أهل الكلام والفلسفة ، كما يعتمد عليها

أكثرهم ، وعليها يعتمد أساطين الفلسفة كأرسطو وغيره .

وأما مقدمة الوجوب والإمكان فهي معروفة عن ابن سينا ومن وافقه من نظار

المتفلسفة والمتكلمين ، وهو سلك في الإلهيات مسلماً أخذ بعضه من أصول

الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، وبعضه من أصول سلفه الفلاسفة .

(١) الأربعيين : أمران : أحدهما .

(٢) الأربعيين : وثانيهما .

(٣) الأربعيين : إذ لو كان .

(٤) الأربعيين : التعيين .

(٥) الأربعيين : . . . هذا خلف ، الثاني كون واجب الوجود لذاته لا يكون .

(٦) ذكر ابن القيم في رسالة " أسماؤه مؤلفات ابن تيمية " ، ص ٩٠ ، وابن عبد الهادي في كتاب

" العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية " ، ص ٥٣ أن لابن تيمية كتابا في مجلد يس

شرح فيه مسائل من كتاب الأربعيين للرازي .

ومقدمة الوجوب والإمكان لم يتكلم بها أحد من الفلاسفة القدماء،
الذين عرفت أقوالهم كأرسطو وأتباعه ولا غيره، ولا أثبت أحد منهم واجب
الوجود بطريقة الوجوب والإمكان، وإنما [فعل ذلك ابن سينا ومن] سلك
مسلكه كالرازي ونحوه^(١)، وأما نظار الملل: كالمسلمين واليهود والنصارى
وغيرهم فهم أبعد عن تعظيمها والثناء عليها من أرسطو وغيره، ولا يوجد
تعظيمها والثناء عليها في كلامهم، إلا في كلام بعض متأخريهم، الذين
أخذوا ذلك عن ابن سينا وأمثاله، كالرازي وأمثاله.

ج ١٥

وهذا الكلام الذي ذكر الرازي هنا أنه يلزم من واجب الوجود
نفي^(٢) الكثرة، المستلزم نفي الصفات - بين هو فساد في مواضع أخرى؛
كما ذكر في مسائل الصفات من كتابه المسمى بـ "نهاية العقول" وهو
أجل كتبه في الكلام، لما ذكر شبه نفاة الصفات، فقال^(٣):

"الثاني - أن ذات الله لو كانت موصوفة بصفات قائمة بها، لكانت^(٤)
الحقيقة الإلهية مركبة من تلك الذات ومن تلك الصفات، ولو كانت كذلك
لكانت ممكنة؛ لأن كل حقيقة مركبة فهي محتاجة إلى أجزائها، وكل واحد
من أجزائها غيرها، فإن كل حقيقة مركبة فهي محتاجة إلى غيرها، وذلك في
حق الله تعالى محال، فإن يستحيل اتصاف ذاته بالصفات^(٥)."

كلام الرازي في
كتاب "نهاية
العقول" في
وتوع الكثرة

(١) في الأصل (ص): وإنما سلك مسلكه... الخ، ولعل ما زدته يقيم الكلام.

(٢) الأصل (ص): من واجب الوجود من نفي... .

(٣) رجعت لمقابلة النص التالي إلى نسخة خطية لكتاب "نهاية العقول في دراية الأصول" بدار
الكتب المصرية (علم الكلام ٧٤٨)، ويوجد هذا النص في الجزء الأول منه، وهذا الجزء غير
مرقم، وقد ذكر الرازي تحت عنوان: "الأصل السابع في الصفات" شبه نفاة الصفات، وما قال:
"... وهي على وجهين: منها ما يدل على نفي الصفات مطلقاً، ومنها ما يدل على نفي كل واحد
واحد من الصفات على الخصوص، أما الوجوه العامة فعشرة: الأول - وهي حجة الفلاسفة
... الثاني... الخ.

(٤) نهاية العقول: الله تعالى.

(٥) نهاية العقول: كانت.

(٦) الأصل (ص): فإن، والمثبت من "نهاية العقول".

(٧) نهاية الوجه الثاني في "نهاية العقول".

وقال في الجواب عن هذا^(١) : " قوله : يلزم من إثبات الصفات وقسوع
الكثرة في الحقيقة الإلهية ؛ فتكون تلك الحقيقة ممكنة - قلنا : إن عنيتم
به احتياج تلك الحقيقة إلى [سبب^(٢)] خارجي فلا يلزم ؛ لاحتمال استناد
تلك الصفات إلى الذات الواجبة لذاتها . وإن عنيتم به توقف الصفات
في ثبوتها على [تلك^(٣)] الذات المخصوصة - فذلك ما نلتزمه ، فأين المحال ؟
وأيضاً فعندكم الإضافات صفات وجودية في الخارج فيلزمكم ما ألزمتونا^(٤) .
وقال أيضاً :^(٥) " والذي يحقق فساد قول الفلاسفة في قولهم : الشيء^(٦)
الواحد لا يكون مؤثراً وقابلاً - أنهم اتفقوا على أن الله عالم بالكميات ،
واتفقوا على أن العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في
العالم واتفقوا على أن صور المعلومات موجودة في ذات البارئ تعالى ،
حتى إن ابن سينا قال :^(٧) إن تلك الصور إذا كانت [غير^(٨)] داخلية في
الذات ؛ بل كانت من لوازم الذات ، لم يلزم منها محال ، وإذا كان
كذلك فذاته مؤثرة في تلك الصور^(٩) وقابلة لها . ومن كان ذلك مذهباً
له كيف يمكنه انكار الصفات^(١٠) ."

-
- (١) في " نهاية العقول " بعد ست ورقات من النص السابق .
 - (٢) سبب : ساقطة من الأصل (ص) : وأثبتها من " نهاية العقول " .
 - (٣) تلك : ساقطة من الأصل (ص) : وأثبتها من " نهاية العقول " .
 - (٤) نهاية العقول : "... ما ألزمتونا ، وأيضاً يلزمكم في الصورة المرترسة في ذاته من المعقولات ما ألزمتونا " .
 - (٥) هذا القول : " والذي يحقق فساد ... والا فلا نزاع في المعنى " في " نهاية العقول " قبل النص السابق : " قوله : يلزم من إثبات الصفات ... الخ " بخمسة سطور .
 - (٦) نهاية العقول : ثم الذي .
 - (٧) " " : قول الفلاسفة : ان الشيء .
 - (٨) " " : الله تعالى .
 - (٩) " " : حتى قال ابن سينا .
 - (١٠) غير : ساقطة من الأصل (ص) ، وأثبتها من " نهاية العقول " .
 - (١١) نهاية العقول : كذلك كانت ذات الله تعالى .
 - (١٢) " " : الصورة .
 - (١٣) " " : الصفة .

قال: ^(١) " وبالجملة فلا فرق بين الصفاتية وبين الفلاسفة إلا أن الصفاتية يقولون: "الصفات قائمة بالذات ، والفلاسفة يقولون: ^(٢) هذه الصور العقلية عوارض متقومة بالذات ، والذي يسميه الصفاتية "صفة" يسميه الفلاسفة "عارضاً" ، والذي يسميه الصفاتية "قياماً" يسميه الفلاسفة "قواماً أو مقوماً" ، فلا فرق إلا في العبارة ، وإلا فلا نزاع في المعنى ."

فهذا الكلام من الرازي يبين أن وقوع الكثرة ما لا بد منه ، وأن الممتع في واجب الوجود إنما هو احتياجه إلى أمر خارجي ، وأما كون ما يدخل في معنى " واجب الوجود " ما يتوقف بعضه على بعض - فذلك لا ينافي وجوب الوجود .

لكن لم يجب الرازي عن شبهة " التركيب " بحلها وبيان فسادها ، ولكن أجاب عنها بالمعارضة ؛ وهو أن هذا المعنى الذي سميتوه تركيباً نحن نلتزمه ، وهو / أيضاً لازم لكم ، فليس لنا ولا لكم عنه محييد ، والطائفتان جميعاً تقولان بما يستلزم ثبوت الصفات .

وليست هذه المعارضة معارضة جدلية ؛ حتى يقال : فقد يكون قول الطائفتين في نفس الأمر ليس حقاً ، وإنما الصواب هو النفي المطلق ، كما دلت عليه حجة التركيب ، بل هي معارضة برهانية ؛ فان الأدلة الستة الجأت [الصفاتية] ^(٤) إلى اثبات الصفات أدلة برهانية لا سبيل إلى نقضها ، وكذلك ما أثبتته الفلاسفة من الأمور الثبوتية لواجب الوجود ألجأهم إليها البرهان الذي لا يمكن نقضه ، وحجة التركيب تناقض موجب البرهان .

(١) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٢) ما بينهما ساقط من " نهاية العقول " .

(٣) الأصل (ص) : الصفاتية ، والمثبت من " نهاية العقول " .

(٤) الأصل (ص) : الجأت إلى اثبات . ولعل ما زدت به يستقيم به الكلام .

فهذا حاصل ما ذكره الرازي من الجواب ، ولكن غايته ^(١) بيان عجز الطائفتين عن الجمع بين ما أثبتوه وبين القول بموجب حجة التركيب ، وأن كلا من الطائفتين ، وإن كان يقول بموجبها في موضع فقد يخالف موجبها في موضع آخر لبرهان أوجب ذلك .

حيرة أهل الكلام وشكهم
ومثل هذا النظر - وهو تعارض الأدلة التي يظن صاحبها أنها أدلة عقلية - يوجب الحيرة والشك والتوقف ^(٢) ؛ ولهذا صرح طائفة من هؤلاء بالتوقف والحيرة في مسائل الصفات ، وهذا شأن الرازي والآمدي وغيرهما في مسائل لهم ، وهو منتهى نظر أهل النظر والكلام المذموم في الشرع ، فإنه ينتهي بهم الأمر إلى الحيرة والشك ، كما قال ابن عقيل ^(٣) وغيره من العلماء : آخر المتكلمين الخارجين عن الشرع هو الشك ، وآخر الصوفية الخارجين عن الشرع هو الشطح ^(٤) .

(١) الأصل (ص) : غاية ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) الأصل (ص) : والتوقف . وهو تصحيف .

(٣) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الحنبلي (٤٣١ - ١٣ هـ) ذكي كثير التصانيف ، تفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وسمع من غيره ، كان يتردد إلى ابن الوليد وأبى التبان المعتزليين ثم تاب من ذلك ، قال عنه ابن رجب في الذيل (١/١٤٤) : " ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات ، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله " انظر عنه : مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ ؛ در تعارض العقل والنقل ٨/٦٠ - ٦١ ؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط . الرياض) ٣/٢٢٨ ، ٤/١٦٤ ، ٦/٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٨٤ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١/١٤٢ - ١٦٥ ؛ لسان الميزان ٤/٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الأعلام ٤/٣١٣ .

(٤) نقل ابن تيمية في كتاب " در تعارض العقل والنقل " ٨/٦١ - ٦٨ نصا طويلا من كتاب " الفنون لابن عقيل - وهو كتاب كبير جدا غير مطبوع - في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ، وجاء فيه (در ٨/٦٦) " فنصيحتي لاخواني من المؤمنين الموحدين أن لا يقصر أبكار قلوبهم كلام المتكلمين ، ولا تصفى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين . . . وقد خبرت طريقة الفريقتين : غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح " .

في القاموس المحيط " شِطْحٌ ، بالكسر وتشديد الطاء : زجر للمعريض من أولاد المعز " . ولم يذكر في هذه المادة غير هذا ، وعلق الزبيدي في " تاج العروس " مادة " شطح " بقوله : " لم يتعرض لها أكثر أئمة اللغة ، وإنما ذكر بعض أهل الصرف هذا اللفظ الذي ذكره المصنف في أسما الأصوات " .

ثم نقل الزبيدي عن بعض اللغويين قوله في لفظة " الشطحات " المشتهرة بين الصوفية : " كأنها عامية " وقول آخر : " هي في اصطلاحهم عبارة عن كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الحق تعالى عليهم ، بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق ، كقول بعضهم : أنا الحق ، وليس في الجبة إلا الله ، ونحو ذلك " . = /

وهو كما قالوا ؛ فان من تدبّر كلام كثير منهم الثابت عنهم ووجد
منتهى أمرهم إلى الشك والتوقف ، كما يوجد في كلام الرازي وغيره ؛ فإنه واقف
في " مسألة الجوهر الفرد " و " مسألة الصفات والأفعال " ، وغير ذلك ، كما
أخبر به عن نفسه ، وكما يوجد في كتبه . وكذلك أبو حامد الغزالي واقف في
كثير من المسائل ، وكذلك أبو المعالي حصل له التوقف قبل أن يموت في
الصفات الخيرية ؛ كالاستواء ، وفي قيام الأمور الاختيارية به . وابن عقيل يوجد
في كلامه قول المشبه للصفات الخيرية تارة ، وقول النفاة المعطلة تارة ، وقول
الواقفة تارة ^(١) ، وبوجوب تأويلات الجهمية تارة ، ويحرصها تارة .

= / وفي احيا علوم الدين ٣٤ / ١ عاب الغزالي ما يواظب عليه أكثر الوعاظ في زمانه من القصص
والأشعار والشطح والطامات ، ثم عرف " الشطح " بقوله (٣٦ / ١) : " وأما الشطح فنعني به
صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية :
أحدهما : الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى ، والوصال المعني عن الأعمال
الظاهرة ، حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالروية والمشاهدة
بالخطاب

الثاني - كلمات غير مفهومة ، لها ظواهر رائقة ، وفيها عبارات هائلة ، وليس وراءها طائل ، اما
أن تكون غير مفهومة عند قائلها ، بل يصدرها عن خيط في عقله ، وتشويش في خياله ، لقلته
احاطته بمعنى كلام قرع سمعه ، وهذا هو الأكثر ، واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على
تفهمها ، وايرادها بعبارة تدل على ضميره ، لقلته ممارسته للعلم ، وعدم تعلمه طريق التعبير
علن المعاني بالألفاظ الرشيقة

(١) يريد ابن تيمية هنا الذين يقفون ، فلا يشبتون الصفات الخيرية ولا ينفونها (وانظر كتابه در
تعارض العقل والنقل ٣ / ٣٨٣) .

وذكر ابن تيمية في مواضع من كتبه ، الواقفة الذين يقفون في الوعيد كالأشعري والباقلاني ،
فلا يهزمون بدخول أحد من أهل التوحيد النار (انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط . الرياض)
١٣ / ١٣٩ ، ١٦ / ١٩ ، ١٩٦) .

وفي آخر كتابنا هذا ، ص ٦٣٢ تحدث عن الفلاسفة ، وقال : " ومنهم قوم واقفة متحيرون
لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم " .

وذكر أبو الحسن الأشعري في " مقالات الاسلاميين " ١ / ١٠٣ من أصناف الرافضة -
الواقفة المبطورة ، وقال عنهم : " يسوقون الامامة حتى ينتهوا بها إلى جعفر بن محمد ، ويزعمون
أن جعفر بن محمد نص على امامة ابنه موسى بن جعفر ، وأن موسى بن جعفر حي لم يموت ، وهذا
الصنف يدعون " الواقفة " ؛ لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر ، ولم يجاوزوه إلى غيره " .
ولكن المشهور بلقب " الواقفة " أو " الواقفة " الذين يقفون في القرآن ؛ فلا يقولون :
مخلوق ، ولا غير مخلوق . وسيسير ابن تيمية إلى هو " الواقفة " في كتابنا هذا ،
ص ٤١٦ .

والمقصود هنا الكلام على حجة التركيب وبيان فسادها، فإنه دار عليها وعلى ما يناسبها كلام أكثر النفاة للصفات، أو كثير منهم، وهي عمدة طوائف منهم، ونحن قد بينا فسادها وحلها من وجوه كثيرة، ونبينها على ما نفي لفظ " واجب الوجود " من الاجمال .

مذهب الفلاسفة
في علم الله
(١) وما ذكره الرازي من اتفاق الفلاسفة على أن الله تعالى عالم بالكلية ؛ فهو اتفاق ابن سينا وأمثاله، بخلاف أرسطو وأتباعه^(٢). وكذلك ما ذكره من قولهم

ج ١٦
بإثبات صور / المعلومات لذاته، وأنها عارضة لذاته، هو قول ابن سينا
وموافقيه، صرح بذلك في الإشارات^(٣).

(١) في النص الذي نقله ابن تيمية قبل صفحات من كتاب " نهاية العقول " .
(٢) كلام أرسطو يدل على أن الله عنده عالم بذاته فقط، فقد قال في مقالة اللام من كتاب " ما بعد الطبيعة " التي نشرها عبدالرحمن بدوي في كتاب " أرسطو عند العرب "، ص ٩ - ١٠ : "
وأيضاً فإن كان الجوهر بهذه الصفة أعني أنه عقل، فليس يخلو أن يكون عاقلاً لذاته أو لشيء آخر، وإن كان عاقلاً لشيء آخر فما يخلو أن يكون عقله دائماً لشيء واحد، أو لأشياء كثيرة، فمعقوله على هذا منفصل عنه، فيكون كما له اذن لا نفي أن يعقل ذاته، لكن نفي عقل شيء آخر، أي شيء كان، إلا أنه من المحال أن يكون كماله بعقل غيره، إذ كان جوهرًا في الغاية من الالهية والكرامة والعقل، ولا يتغير، فالتغير فيه انتقال الى الانقاص، وهذا هو حركة ماء، فيكون هذا العقل ليس عقلاً بالفعل، لكن بالقوة، وإذا كان هكذا فلا محالة أنه يلزمه اللال والتعب من اتصال العقل بالمعقولات، ومن بعد فانه يصير فاضلاً بغيره فان لا يبصر بعض الأشياء أفضل من أن يبصر، فكمال ذلك العقل ان كان أفضل الكمالات يجب أن يكون بذاته وهذا يوجد هكذا دائماً من دون تعرف أو حس أو رأى أو فكر وانظر أيضاً الملل والنحل للشهرستاني ٤٠/٣ ؛ در* تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣٩٨/٩ ، وما بعدها ؛

أما ابن سينا فقد قال في كتاب " النجاة "، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ : " وليس يجوز أن يكون واجب الوجود يعقل الأشياء من الأشياء، والا فذاته اما متقومة بما يعقل، فيكون تقومها بالأشياء، واما عارض لها أن تعقل، فلا تكون واجبة الوجود من كل جهة، وهذا محال ولأنه كما سنين مبدأ كل موجود، فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وبوجه آخر لا يجوز أن يكون عاقلاً لهذه المتغيرات مع تغيرها وكما أن اثبات كثير من الأفعال للواجب الوجود نقص لله، كذلك اثبات كثير من التعقلات، بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو كلي، ومع ذلك فلا يعزب عنه شيء شخصي، فلا يعزب عنه مشقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وهذا من العجائب التي يحوج تصورها الى لطف قريحة " .

(٣) قال ابن سينا في كتاب " الاشارات والتنبيهات (القسمان الثالث والرابع)، ص ٧١٠ - ٧١٦ إشارة : " ادراك الأول للأشياء من ذاته في ذاته، هو أفضل أنحاء كون الشيء مدركا ومدركا، ويتلوه ادراك الجواهر العقلية اللازمة للأول باسراق الأول، ولما بعده من ذاته، وبعدمها الادراكات النفسانية التي هي نقش ورسم، عن طبائع عقلية متبددة المبادئ والمناسب .
وهم وتنبيه : ولعلك تقول : ان كانت المعقولات لا تتحد بالعاقل، ولا بعضها مع بعض لما ذكرت ثم قد سلمت أن واجب الوجود يعقل كل شيء فليس واحدا حقا، بل هناك كثرة . = /

وهو ما اعترف الفلاسفة بتناقض ابن سينا وأمثاله بذلك في مسألة توحيدهم ونفي الصفات ، حيث قالوا بنفي الصفات الثبوتية مطلقا ، ثم قالوا بإثبات صور وجودية علمية قائمة بذاته . وهو تصريح بإثبات الأمور الوجودية القائمة بذاته .

ولهذا لما رأى الطوسي شارح " الإشارات" ^(١) تناقض ابن سينا في ذلك ، وأراد أن ينصر طريقة سلفه نفاة الصفات - جنح إلى كلام حاصله أن العلم هو المعلوم نفسه ليس هو شيئا زائداً عليه ، ^(٢)

= / فنقول : انه لما كان تعقل ذاته بذاته ، ثم يلزم قيوميته عقلا بذاته لذاته أن يعقل الكثرة ، جاءت الكثرة لازمة متأخرة ، لا داخلية في الذات مقومة بها ، وجاءت أيضا على ترتيب . وكثرة اللوازم من الذات - مباينة أو غير مباينة - لا تنظم الوحدة ، والأول تعرض له كثرة لوازم اضافية وغير اضافية ، وكثرة سلوب ، وبسبب ذلك كثرة أسماء ، لكن لا تأثير لذلك في وحدانية ذاته .
(١) النصير الطوسي محمد بن محمد بن الحسن (٥٩٧-٦٧٢) ، المنجم ، الفيلسوف ، وزر لأصحاب قلاع الأموت من الاسماعيلية ثم وزر لهولاكو ، قال عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٩٣/٢ " كافر في قوله وعمله " .

انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٩٢/٢-٩٣، ١٣، ٢٠٧/٣٥، ١٥١-١٥٢ ؛ اغاثة اللفهان من مصادد الشيطان ٢٦٣/٢ ؛ البداية والنهاية ١٣/٢٦٧-٢٦٨ ؛ الأعلام ٧/٣٠-٣١ .
(٢) ما قاله الطوسي في شرحه ، ص ٧١٤-٧١٦ للكلام ابن سينا السابق : " العاقل كما لا يحتاج في ادراك ذاته لذاته ، الى صورة غير صورة ذاته التي بها هو هو ، فلا يحتاج أيضا في ادراك ما يصدر عن ذاته لذاته الى صورة غير صورة ذلك الصادر التي بها هو هو . . .
وانا تقدم هذا فأقول : قد علمت أن الأول عاقل لذاته من غير تغاير بين ذاته وبين عقله لذاته في الوجود ، الا في اعتبار المعتبرين على ما مر ، وحكمت بأن عقله لذاته علة لعقله لمعلوله الأول ، فاذا حكمت بكون العلتين أعني ذاته وعقله لذاته شيئا واحدا في الوجود من غير تغاير ، فاحكم بكون المعلولين أيضا أعني المعلول الأول وعقل الأول له شيئا واحدا في الوجود من غير تغاير يقتضي كون أحدهما مباينا للأول والثاني متقرا فيه .
وكما حكمت بكون التغاير في العلتين اعتباريا محضا ، فاحكم بكونه في المعلولين كذلك ، فان وجود المعلول الأول هو نفس تعقل الأول اياه من غير احتياج الى صورة مستأنفة تحل ذات الأول تعالي عن ذلك .

ثم لما كانت الجواهر العقلية تعقل ما ليس بمعلولات لها ، بحصول صور فيها ، وهي تعقل الأول الواجب ، ولا موجود الا وهو معلول للأول الواجب ، كانت جميع صور الموجودات الكلية والجزئية على ماهي عليه في الوجود حاصلة فيها ، والأول الواجب يعقل تلك الجواهر مع تلك الصور ، لا بصور غيرها ، بل بأعيان تلك الجواهر والصور ، وكذلك الوجود على ماهو عليه " .

وهذا القول الذي صار إليه أنسد^(٢) ما قيل في العلم ؛ فإن غيره كان يقول : العلم هو العالم ، ويقولون : العلم هو القدرة ، وهو الإرادة والعلم والقدرة والإرادة هي العالم القادر المرید ، فيجعلون كل صفة هي الأخرى ، ويجعلون الصفات هي الموصوف . وهذا القول وإن كان بعد تصور التام معلوم فساد ، بضرورة العقل ؛ فالقول بأن العلم^(٣) هو المعلوم نفسه ، أشد فساداً منه .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضوع ، وبيننا أن الذين نفوا علمه بالجزئيات من الفلاسفة فروا من شيئين : من وقوع الكثرة ، ومن وقوع التغير ، وظنوا أن إثبات الصفات كثرة باطلة ، وأن علمه بأن قد كان الشيء ، بعد علمه بأن سيكون ، يستلزم تغيراً باطلاً ، وأن نظار المسلمين ردوا عليهم .

أما الصفاتية فإنهم يلتزمون إثبات الصفات ، والمعتزلة وإن نفوا الصفات ؛ فانهم يعترفون بما يستلزم إثباتها ، فإنهم يشبّهون كونه حياً عالماً قادراً ، وهذا بعينه يستلزم إثبات الصفات ، وأما بحثهم مع من أثبت أحوالاً زائدة على الصفات ؛ فأثبت العالسية

(١) الأصل (ص) : وهو . وكتب في الهامش : لعله وهذا .

(٢) الأصل (ص) : الغسد ، ولعله تعريف .

(٣) الأصل (ص) : فالقول بالعلم ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) انظر في صفحة ٧٢ ت ١ .

(٥) الأصل (ص) : بانهم .

(٦) بحث الشهرستاني "مسألة الأحوال" في كتابه "نهاية الاقدام" ، ص ١٣١-١٤٩ ، فذكر (ص ١٣١) أن أبا هاشم الجبائي المعتزلي هو الذي أحدث الكلام في الأحوال ، فقال بإثباتها ، فسأل الشهرستاني "وأثبتها القاضي أبو بكر الباقلاني رحمه الله بعد تردد الرأي فيها على قاعدة غير ما ذهب إليه أبو هاشم . . . وكان امام الحرمين من المثبتين في الأول والنافين في الآخر" . ثم قال (ص ١٣١-١٣٣) : "اعلم أنه ليس للحال حد حقيقي . . . فانه يؤدى الى اثبات الحال للحال ، بل لها ضابط وحاصر بالقسمة . وهي تنقسم الى ما يعلل والى ما لا يعلل أما الأول فكل حكم لعله قامت بذات يشترط في ثبوتها الحياة عند أبي هاشم ، ككون الحي حياً ، عالماً ، قادراً ، مریداً ، سمياً ، بصيراً ، . . . فتقوم الحياة بمحل وتوجب كون المحل حياً ، وكذلك العلم والقدرة والإرادة وكل ما يشترط في ثبوتها الحياة ، وتسمى هذه الأحكام أحوالاً ، وهي صفات زائدة على المعاني التي أوجبتها . / =

معنى زائداً على العلم،^(١)

وأما المقدمة الثانية^(٢)، فمن النُّظَار من منح تجدد شيء*؛ وادّعى أن المتجدد إنما هو نسبة وإضافة، ومنهم من التزم هذا اللازم، وبين أن نصوص الكتاب والسنة تدل على مثل ذلك، وأن إثبات هذا هو غاية الكمال، وليس في العقل ما يعني ذلك، وهذه طريقة كثير من أساطين الفلاسفة

= / وعند القاضي كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود فهي حال، سواء كان المعنى الموجب مما يشترط في ثبوته الحياة أو لم يشترط، ككون الحي حياً وعالماً وقادراً، وكون المتحرك متحركاً، والساكن ساكناً، والأسود، والأبيض إلى غير ذلك . . .
وأما القسم الثاني فهو كل صفة اثبات لذات من غير علة زائدة على الذات، كتحيز الجوهر، وكونه موجوداً، وكون العرض عرضاً، ولونا، وسواداً .

والضابط، أن كل موجود له خاصية يتميز بها عن غيره، فانما يتميز بخاصية هي حال، وماتتائل المتماثلات به وتختلف المختلفات فيه فهو حال، وهي التي تسمى صفات الأجناس والأنواع .
والأحوال عند المثبتين ليست موجودة ولا معدومة، ولا هي أشياء*، ولا توصف بصفة ما، وعند [أبي هاشم] ابن الجبائي ليست هي معلومة على حياها، وانما تعلم مع الذات* .

ثم أورد أدلة مثبتة الأحوال ونفاتها وذكر وجه خطأ كل، وختم كلامه بقوله (ص ١٤٧ - ١٤٨) :
" فالحق في المسألة أن الانسان يجد من نفسه تصور أشياء* كلية عامة مطلقة، دون ملاحظة جانب الألفاظ، ولا ملاحظة جانب الأعيان، ويجد من نفسه اعتبارات عقلية لشيء واحد . . . هي معان موجودة محققة في ذهن الانسان، ومن حيث هي كلية عامة لا وجود لها في الأعيان فلا موجود مطلقاً في الأعيان، ولا عرض مطلقاً، ولا لون مطلقاً، بل هي الأعيان، بحيث يتصور العقل منها معنى كلياً عاماً فتصاغ له عبارة تطابقه وتنص عليه، ويعتبر العقل منها معنى ووجها فتصاغ له عبارة . . . " .

وانظر كلاماً مشابهاً وأكثر بياناً في غاية المرام في علم الكلام للآمدى، ص ٢٧ - ٣٧؛ وانظر أيضاً أصول الدين للبيهقي، ص ٩٢، الفرق بين الفرق، ص ١٩٥ - ١٩٦؛ التمهيد للباقلاني (ط. دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦ - ١٩٤٧ م)، ص ١٥٢ - ١٥٥؛ الارشاد، ص ٨٠ - ٨٤، شامل، ص ٦٢٩ - ٦٤٥، الفصل لابن حزم ٤٩/٥ - ٥٣، الطل والنحل ١/١٠١ - ١٠٤ .

(١) في الكلام سقط، والظاهر أن الضمير في قوله: " بحثهم " يعود الى نظار المسلمين، ولعل الكلام يتم بما يلي: وأما بحثهم . . . على العلم، والقادرية معنى زائد على القدرة، وقال: انها لا موجودة ولا معدومة - فكثير منه لفظي، وقول مثبتة الأحوال يستلزم قول مثبتة الصفات، لكن الصواب أن الأحوال كالكليات لها وجود في الأذهان لا في الأعيان .

انظر التعليق السابق، وانظر لابن تيمية كتاب در* تعارض العقل والنقل ٣٥/٥ - ٤٥، ٣٩٥/٩،

٢٣٤/١٠ .

(٢) لعل المراد بالمقدمة الثانية وقوع التفسير المذكور في قوله في الصفحة السابقة: " فروا من شيئين

: من وقوع الكثرة، ومن وقوع التفسير " .

ومتأخريهم كأبي البركات وغيره ، وكما قد بسط في موضعه (١) .

وهذا المعنى ذكره أبو حامد الفزالي في "تهافت الفلاسفة" وغيره ، وبين أن واجب الوجود الذي أثبته البرهان هو ما يكون مبدعاً للممكنات ، وأما مانفوه من إثبات الصفات وتعدد ها ؛ وسموه تركيباً ؛ وما ادَّعوه من أنه وجود مجرد ، ليس له حقيقة وراء الوجود المجرد ، لأن ذلك تركيب - فلم يقم البرهان على إثبات واجب الوجود بهذا التفسير .

قلت : منشأ الضلال في هذا الموضع - كما تقدم التنبيه عليه - أن

مسمى / " واجب الوجود " عبّروا به عن عدة معان :

أحدها - الذي يكون موجوداً بنفسه ، لا يفتقر إلى مبدع . وهذا هو الذي

يدل عليه وجود الممكنات .

والثاني - الذي لا يكون له تعلقٌ بغيره ، ولا ملازمة بينه وبين غيره .

ونفي الصفات إنما يصح على هذا التفسير ، لا على المعنى الأول ، وهم

من أعظم الناس تناقضاً في هذا الباب ؛ فإنهم يجعلون وجوده لا ينفك عن

وجود معلوله ، وهذا التعلق (٢) من لوازم وجوده ، ثم مع هذا ينفون عنه

الصفات لئلا يكون له تعلقٌ بغيره ، ومعلوم أن استلزامه لصفات أولسى

بالجواز من استلزامه لمفعولاته .

الثالث - أن يراد بواجب الوجود مالا يكون له محل يقوم به .

وعلى هذا صفاته لا تسمى واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وتسمى واجبة

الوجود بالاعتبار الأول ؛ وهو ما ليس له فاعل .

(١) تكلم ابن تيمية طويلاً عن مسألة " علم الله " في آخر الجزء التاسع وأول العاشر من كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ونقل عن كتاب " المعبر " لأبي البركات ابن ملكا أقوال الفلاسفة في هذه المسألة ونقد أبي البركات لها ، وعلق عليه ، انظر ٤٠٢/٩ وما بعدها .

(٢) الأصل (ص) : التعليق ، ولعل الصواب ما أثبته .

الرابع - أن يراد بواجب الوجود مالا يكون ملازماً لغيره بحيث يكون كل منهما لازماً ولتزاماً .

وعلى هذا ، فإذا قيل بإثبات الذات والصفات لم يكن واحد منهما واجب الوجود ، بل واجب الوجود مجموعهما ، لكن واجب الوجود بهذا التفسير - وهو عدم التلازم من الطرفين - ما لا يقوم دليل على ثبوته ، بل على نفيه ، وكل العقلاء لا بدّ لهم من إثبات المعاني المتلازمة في واجب الوجود .

فلما دخل في اسم " واجب الوجود " هذا الاشتراك والتبليس والاضطراب - عظم الخطأ والضلّال في هذا الباب ، ولهذا قال بعض الفضلاء : لسا ستّوا رب العالمين واجب الوجود خرب العالم .

إذا تبين هذا ، فقول القائل^(١) : " الواجب بذاته له لازمان : أحدهما - أن يكون منزهاً في حقيقته عن الكثرة " كلام مجمل ، فإذا أريد به أنه منزّه عن أن يكون ذوات متعددة مستقلة بأنفسها ، فلا ريب أنه ليس في الوجود واجبان بهذا الاعتبار ، لكن دلالة وجوب الوجود على نفي هذا التعدد ، لكون ذلك مستلزماً للتركيب في واجب الوجود ، دليل باطل . ولكن إذا تبين أن واجب الوجود لا بدّ أن يكون فاعلاً للممكنات ، وتبين أن اشتراك الفاعلين في الفعل ممتنع - فهذه طريقة صحيحة ، وهي طريقة نظار المسلمين كما قرّر ذلك في موضعه .

وإن أريد بكونه منزهاً عن حقيقة الكثرة ، أنه لا يتصف بمعان متعددة ولا تقوم به معان متعددة ، أو لا يتضمن معاني متعددة ، أو نحو ذلك من العبارات ، سواء سميت تلك المعاني أجزاءً أو لم تسم - فليس في كونه موجوداً بنفسه ، غنياً عن الفاعل ؛ ما يوجب نفي هذا .

(١) وهو الرازي في النص المنقول عنه فيما تقدم ، ص ٦٧ .

فلو كان علةً لعلته للزم تقدمه على نفسه لكونه علة العلة ، وتأخره عن نفسه لكونه معلول العلة ، وذلك جمع بين التقيضين ، ولهذا كان الدَّورُ القَلْبِيُّ محالاً . وقد بَسَطَ الكلام عليها وعلى ما قيل عليها من الكلام في مسألة إثبات الصانع ^(٢) وغيرها ^(١) .

ولا يمتنع أن يكون شيان كل ^(٣) منهما شرط في الآخر ؛ لأن ذلك إنما يستلزم أن يكون كل منهما مع الآخر ، وليس ذلك بمتنع ، ولهذا قيل : الدور المعني ليس بمتنع ^(٤) .

والمركب ^(٥) غاية أن يكون كل من أجزائه مشروطاً بالجزء الآخر ، وأن يكون هو مشروطاً بأجزائه ، لا يقتضي ^(٦) التركيب وجود جزء قبل جزء ، ولا وجود جزء منه قبل سائر أجزائه ^(٧) .

فإن قيل : إنه مفترق إلى جزئه ، كان معناه أنه ^(٨) لا يوجد إلا بوجود جزئه معه ، لا يستلزم ذلك وجود جزئه قبله ^(٩) ، ثم ذلك الجزء ليس هو علةً فاعلةً ^(١١) له ، ولا هو خارجاً عن نفسه ؛ فالقول بأن وجوده يستلزم وجود الجزء ^(١٢) ، والتعبير عن ذلك بأنه يقتضي أن يكون مفترقاً إلى جزئه ، وجزؤه غيره - ليس له معنى إلا ذلك .

وهذا لا يقتضي أنه مفترق إلى علة ، ولا محتاج إلى علة فاعلة ، ولا فيهِ شرط ^(١٣) خارج عن واجب الوجود ، ولا دور قَلْبِي .

(١-١) ما بينهما انفردت به (ص) .

(٢) انظر فيما تقدم ص ٣٧ كلام ابن تيمية على دليل الأصبهاني على وجود الخالق ، وانظر فيما سيأتي ص ٢٦٠ فصل وكذلك ما يستدلون به على إثبات الصانع .

(٣) ص : وكل .

(٤) خ ، س ، ك : ليس بمحال .

(٥) خ ، س ، ك : فالمركب .

(٦) ك : ولا يقتضي .

(٧) خ ، س ، ك : ولا وجود جزء قبل أجزائه .

(٨) أنه : في (ص) فقط .

(٩) قبله : في (ص) فقط .

(١٠) ك : ولا يستلزم .

(١١) فاعلة : في (ص) فقط .

(١٢) خ ، س ، ك : . . . إلى علة ولا شرط .

(١٣) خ ، س ، ك : . . . وجود الجزء حق .

وأما ما فيه من الدُّورِ المَعِيّ فليس ذلك بِمَحَالٍ ، ولا يَنافي وجوب الوجود ؛ إلا أن يثبت أن مثل هذا التعدد ينافي وجوب الوجود ، وهم لم يثبتوا أن التعدد ينافي وجوب الوجود إلا / بهذا ، فبطل أن يكون هذا دليلاً على بطلان التعدد (١) في وجوب الوجود .

ظ ١٧

الوجه السادس [الوجه (٢)] السادس - أن يقال : قول القائل : واجب الوجود بنفسه ، هل

يقتضي أن يكون مفقراً إلى نفسه ، أم لا يقتضي ذلك ؟ فإن اقتضاه كان افتقاره إلى جزئه أولى وأحرى بالالتزام فلا يكون مستعاضاً ، وإن قيل : لا يقتضيه قيل : وكذلك [التركيب (٣)] لا يقتضي أن يكون المركب مفقراً إلى جزئيه ؛ فإنه إذا كانت نفسه لا توجد إلا بنفسه ، ولم يجز أن يقال : هو مفقّر إليها ، فالجميع - الذي لا يوجد إلا بأجزائه - أولى أن لا يقال : هو مفقّر إلى واحد منها ؛ إذ المركب ليس إلا الأجزاء ، وصورة التركيب .

الوجه السابع [الوجه (٦)] السابع - أن يقال : المعنى المعروف من لفظ " التركيب "

أن يكون (٧) جزءان مفترقان (٨) فيركبهما جميعاً مركباً ؛ لأن المركب اسم مفعول رُكِبَ يركبُ فهو مركبٌ ؛ كما يركب الطبيب من أجزائه ، والثوب من أجزائه ، والأدوية المركبة من أجزائها ، وأمثال ذلك .

ومعلوم أن المركب بهذا الاعتبار مفقّر إلى أن يركبه غيره ؛ إذ لو

(١) في (خ) انتهت الصفحة عند هذه الكلمة وكتب في الهامش : بلغ مقابلة حسب القدرة بحمد الله .

(٢) الوجه : ليست في (ص) .

(٣) التركيب : سقطت من (ص) .

(٤) خ ، س ، ك : ولم يحسن .

(٥) ك : أن لا يقال له .

(٦) الوجه : ليست في (ص) .

(٧) ص : ان لا يكون .

(٨) خ ، س ، ك : الجزءان مفترقين .

(٩) ركب يركب : كذا في (ص) ، خ ، س ، : ركه مركبه ، ك : ركه مركب .

(١٠) والثوب من أجزائه : ساقطة من (س ، ك) .

(١١) إلى أن : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : إلى من .

كانت ذاته تقتضي التركيب لم يجز عليه التفريق ، وواجب الوجود بنفسه لا يكون مفترقاً إلى شيء خارج عن نفسه ؛ لأن ذلك جمع بين النقيضين . ولا ريب أن مثبتة الصفات ليس فيهم ، بل ولا في سائر فرق الأمة من يثبت هذا التركيب في حق الله تعالى .

ولكن المتفلسفة يُسمون الموصوف مركباً ، ويسمّون الصفات أجزاءً ؛ فيقولون : الانسان مركّب [من^(١)] الحيوانية والناطقية ، والنوع مركّب من الجنس والفصل ؛ فإما أن يريدوا بالحيوانية والناطقية جوهرًا أو عرضاً ؛ فإن أرادوا بهما^(٢) جوهرًا وهو الحيوان والناطق ؛ فالحيوان والناطق هما الإنسان ، ليس الجوهر الذي هو الناطق غير الجوهر الذي هو الإنسان ، ولا هو غير الجوهر الذي هو حيوان ناطق ، لكن الذهن يجرد هذه المعاني في الذهن فيتصور الناطق مطلقاً ، والحيوان مطلقاً ، والإنسان [مطلقاً^(٤)] ؛ لكن تجريد الذهن لها لا يقتضي أن يكون في الخارج ثلاثة جواهر ، والعلم بهذا ضروري .

وإن أرادوا أنه^(٥) مركّب من الحيوانية والناطقية وهما عرضان - فالعرض لا يقوم إلا بالجوهر ، والحيوانية والناطقية صفة للإنسان^(٦) ، فكيف يكون الجوهر [مركباً^(٧)] من صفاته ؛ وصفاته لا قيام لها إلا به ؛ وهي مفترقة إليه ؟ وإذا قالوا : سمينا^(٨) هذا تركيباً ؛ لم ننازع في الألفاظ نزاعاً لا فائدة فيه ، بل [نقول] : كسل^(٩) موجود فلا بد أن يكون مركباً بهذا الاعتبار ؛

-
- (١) من : ساقطة من (ص) .
 - (٢) بهما : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : بها .
 - (٣-٣) ما بينهما ساقط من (س) .
 - (٤) مطلقاً : ساقطة من (ص) .
 - (٥) وأن أرادوا أنه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : وان قيل انه .
 - (٦) س ، ك : الانسان .
 - (٧) مركباً : ساقطة من (ص) .
 - (٨) وإذا قالوا سمينا : كذا في (ص) ، خ ، س ، ك : لو سمينا .
 - (٩) كذا في (خ) ، ص : بل كل ، س ، ك : نقول كل بسقوط بل .

فإن وجود ذاتٍ عَرَبِيَّةٍ^(١) عن جميع الصفات ممتنع ، ووجود موجود مطلق لا يتبعين ولا له حقيقة يختص بها عن سائر الحقائق ممتنع ، وكل ما اختص وتميز عن غيره فلا بُدَّ له من خاصة ، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع .

ولسنا محتاجين هنا إلى إثبات وجوب مثل هذا ، بل يكفي أن نقول :

لأنَّ امتناع مثل هذا المعنى / الذي سميتوه تركيبياً .

ج ١٨

[وكثير من المتكلمين لا يُستون الاتصاف تركيبياً^(٢) ، بل يُستون التقدير

تركيبياً ؛ لأنَّ المقدَّرَ مركَّبٌ من الأجزاء المنفردة^(٣) ، أو من المادة والصورة ،

وهذا أيضا فيه نزاعٌ وطوائفٌ من أهلا الكلام : كالهشامية^(٤) ، والضاررية^(٥) ،

(١) ك : عارية .

(٢-٣) ما بينهما ساقط من (ص) .

(٣) خ ، س : المفردة ، ك : الفردة .

(٤) وطوائف : كذا في (ص) ، وفي النسخ الأخرى فطوائف .

(٥) الهشامية من فرق الرافضة ، انظر ما ذكرته عنهم فيما تقدم ، ص ١٧ ت ٣ .

(٦) عد بعض أصحاب المقالات الضرارية من الجبرية ، وبعضهم من المعتزلة ، ورأسهم ضرار بن عمرو القاضي - (ذكر الزركلي في الأعلام أن وفاته نحو سنة ١٩٠) - كان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء ، ثم خالفه في مسائل .

قال الأشعري في مقالات الاسلاميين ١/٣٣٩-٣٤٠ : " والذي فارق ضرار بن عمرو به المعتزلة قوله : ان أعمال العباد مخلوقة ، وان فعلا واحدا لفاعلين : أحدهما خلقه وهو الله ، والآخر اكتسبه وهو العبد ، وان الله عز وجل فاعل لأفعال المباد في الحقيقة ، وهم فاعلون لها في الحقيقة ، وكان يزعم أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ، وأنها بعض المستطيع ، وأن الانسان أعراض مجتمعة ، وكذلك الجسم . . . وأن الأعراض قد يجوز أن تنقلب أجساما . . . ، وكان يزعم أن كل ماتولد عن فعله ، كالألم الحادث عن الضربة . . . فعل لله سبحانه وللانسان ، وكان يزعم أن معنى أن الله عالم قادر : أنه ليس بجاهل ولا عاجز ، وكذلك كان يقول في سائر صفات الباري لنفسه ، وحكي عنه أنه كان ينكر حرف ابن مسعود ويشهد أن الله سبحانه لم ينزله ، وكذلك حرف أبي بن كعب ، وأنه كان يزعم أنه لا يدري لعل سرائر العامة ، كلها كفسر وتكذيب . . . وكان يزعم أن الله يخلق حاسة سادسة يوم القيامة للمؤمنين يرون بها ماهيته " .

وانظر أيضا البدء والتاريخ ١/١٤٦ ؛ أصول الدين للبغدادي ، ص ٢٥ ، ٤٧ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛

الفرق بين الفرق ، ص ١٥ ، ٢٥ ، ٢١٣ - ٢١٥ ؛ الفصل لابن حزم ٢/١١٢ ، ١٢٣ - ١٧٤ ، ٣ /

١٦٤ ، ٥٤ ، ١٩٢ / ٤ ؛ التبيصير في الدين ، ص ٩٥ ؛ الملل والنحل ١/١٠٩ ، ١١٤ -

١١٦ ؛ الحور العين ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ١٠٦ ؛

ميزان الاعتدال ٢/٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ لسان الميزان ٣/٢٠٣ ؛ الأعلام ٣/٢١٥ ؛ تاريخ

الترات العربي لسزكين (المجلد الأول) ٤/٦١ .

والتجارية^(١)، والكلابية^(٢)، يقولون: ليس بمركب بحال؛ ومن قال: إنه مركب، قال: لا يمكن وجود أجزائه بدون وجوده، كما لا يمكن وجوده بدون أجزائه؛ وحينئذ يقال لهم كما يقال^(٣) للمتلففة .

وهو لا يُسمون^(٤) نفي مثل هذا التركيب توحيدا؛ ويُدخلون نفي ذلك نفي الصفات؛ فيجعلون نفي علم الله وقدرته وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته - من التوحيد، ويُسَمون أنفسهم الموحدين؛ كما يدَّعي المعتزلة أنهم أهل التوحيد والعدل، ويعنون بالتوحيد نفي الصفات .

ولما كان أبو عبدالله محمد بن التومرت^(٥) على مذهب

(١) التجارية أتباع أبي عبدالله الحسين بن محمد النجار الرازي (في الأعلام أن وفاته نحو سنة ٢٢٠هـ). وانفوا المعتزلة في نفي الصفات ونفي رومية الله تعالى بالأبصار، وقالوا بقول الأشاعرة في أن الله خالق لأفعال العباد والعباد مكتسبون لها وأن الاستطاعة مع الفعل لا تتقدم عليه، وأن الايمان عبارة عن التصديق .

وهم ثلاث فرق: البرغوثية والزعفرانية والمستدركة .

انظر عنهم: مقالات الاسلاميين ١/٢١٦، ٣٤٠-٣٤٢، أصول الدين للبيضاوي، ص ٢٥، ٩١، ٣٣٤، الفرق بين الفرق، ص ٢٢، ٢٥، ٢٠٧-٢١١؛ الفصل لابن حزم ٢/١١٢، ٢٢/٣، ٤٥/٤؛ التبصير في الدين، ص ٩٣-٩٤، الملل والنحل ١/١٠٩، ١١٤؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص ١٠٤-١٠٥؛ الفهرست للندي، ص ١٧٩؛ الأعلام ٢/٢٥٣ .

(٢) الكلابية أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب، تقدم الكلام عنه، ص ١٨ ت ٢، ص ٢٢٢ .

(٣) كما يقال: كذا في (ص)، خ، س، ك: كما قيل .

(٤) س: وهم لا يسمون، ك: وهم يسمون .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت (٤٨٥-٥٢٤) صاحب دعوة الموحدين، وهو من قبيلة هرغة من المصامدة، في جبل السوس بالمغرب، وهناك نشأ، ثم رحل الى العراق في طلب العلم، وكان يظهر الزهد والعبادة، ولما رجع الى المغرب أخذ في انكار المنكرات وتعليم قومه، يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١١/٤٧٧): "واستجاز أن يظهر لهم أنواعا من المخاريق، ليدعوهم بها الى الدين" .

ويقول أيضا (مجموع الفتاوى ٣٥/١٤٣): "كان فيه نوع من رأى الجهمية الموافق لرأى الفلاسفة، ونوع من رأى الخوارج الذين يرون السيف ويكفرون بالذنب" .

ويقول السبكي في طبقاته انه "على مذهب الأشعرى في أكثر المسائل الا في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة، وكان يبطن شيئا من التشيع" .

وقد عظم شأن ابن تومرت، وتلقب بالمهدى، وسمى أتباعه الموحدين، فكانت له وقعات مع جيوش ملك مراکش يوسف بن علي بن تاشفين، وتوفي بعد أن مهد الطريق وعهد بالأمر لكبير أصحابه عبد المؤمن بن علي .

انظر عن ابن تومرت ودولة الموحدين: الكامل لابن الأثير ١/٥٦٩-٥٧٨؛ وفيات الأعيان ٥/٤٥-٥٥؛ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١/٤٧٦-٤٧٨، ٤٨٥، ٤٨٦-٤٨٩)؛

المعتزلة^(١) في نفي الصفات لقب أصحابه بالموحدِين ، وقد صرح في كتابه الكبير بنفي الصفات^(٢) ، ولهذا لم يذكر في " مرشدته " شيئاً من الصفات الشبوتية : لا علم الله ، ولا قدرته ، ولا كلامه ، ولا شيئاً من صفاته الشبوتية ، وإنما ذكر السلوب .

توحيد الرسل^(٤) والتوحيد الذي بعث الله به رسوله ، وأنزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو توحيد ألوهيته ، المتضمن توحيد ربوبيته كما قال تعالى : (والهيكم اله واحد)^(٥) ، وقال تعالى : (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد فايأى فارهبون)^(٦) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون)^(٧) ، وقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)^(٨) .

والمشركون كانوا يقولون بأن الله رب العالمين واحد ، لكن كانوا يعبدون معه غيره ؛ كما قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)^(١٠) ، وقال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)^(١١) ،

= / طبقات الشافعية للسبكي ١٠٩/٦ - ١١٧ : البداية والنهاية ١٢/١٨٦ - ١٨٧ : تاريخ ابن خلدون ٤٦٤/٦ - ٤٧٢ : الأعلام ٦/٢٢٨ - ٢٢٩ .

ولعبد الله علي غلام كتاب " الدعوة الموحدية بالمغرب " ط . المعرفة ، القاهرة ١٩٦٤ م ، وكتاب " الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي " ط . المعارف بمصر .

- (١) ص : على مذهب الجهمية .
- (٢) قال ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنقل " ٢٠/٥ : " ولهذا رأيت لابن التومرت كتاباً في التوحيد صرح فيه بنفي الصفات " وقال في مجموع الفتاوى " ١١/٤٨٥ ان ابن تومرت ذكر في كتاب له كبير شرح فيه مذهبه أن الله تعالى وجود مطلق ، ولم يسم ابن تيمية هذا الكتاب .
- (٣) المرشدة عقيدة مختصرة لابن تومرت ، تضمنها كتاب له عنوانه " أعز ما يطلب " ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ (ط . الجوائز ١٣٢١ - ١٩٠١) ، وساقها السبكي في " طبقات الشافعية " في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٨/١٨٥ - ١٨٦ .
- (٤) في هامش (س) كتب أمام هذا الكلام : مطلب توحيد الألوهية .
- (٥) سورة البقرة : ١٦٣ .
- (٦) سورة النحل : ٥١ .
- (٧) سورة الأنبياء : ٢٥ .
- (٨) سورة النحل : ٣٦ .
- (٩) الله : في (ص) فقط .
- (١٠) سورة لقمان : ٢٥ .
- (١١) سورة يوسف : ١٠٦ . في (خ ، س ، ك) قدمت هذه الآية قبل آية سورة لقمان .

وقال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل
 أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون
 لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
 عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون)^(١)

عود لبيان دليل
 الأصهباني على
 الوحدانية

ونحن نوجه ذلك بعد ذكر حجته ؛ ووجه نظمها أن يقال : واجب
 الوجود لا تركيب فيه ، ومالا تركيب فيه فهو واحد ؛ فواجب الوجود واحد ؛
 وإنما قلنا : لا تركيب فيه ، لأن المركب مفتقر إلى متركب منه ، ومتركب منه
 غيره ، وواجب الوجود لا يفتقر إلى غيره ؛ فواجب الوجود لا تركيب فيه .

[وهذا معنى قوله : " والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه "]^(٢) بوجهه ،
 وإلا لما كان واجب الوجود لذاته " أى لو كان فيه تركيب بوجه لما كان
 واجب الوجود لذاته ، ثم قال : " ضرورة افتقاره إلى متركب منه " . أى لو كان
 مركباً للزم ضرورة أن يفتقر إلى متركب منه^(٣) ، ثم إنه حذف تمام الحجة -
 فانه لا يحتاج إلى ذكره -^(٤) وهو أنه^(٥) اذا افتقر إلى متركب منه كان مفتقراً
 إلى غيره ، وواجب الوجود لا يفتقر إلى غيره .

ظ ١٨

وأما قوله : " ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوع اثنان ، إذ لو كان
 اثنان واجبا الوجود ؛ فإن كان بينهما امتياز لزم تركيبهما ما به الاشتراك
 وما به الامتياز ، وإلا لزم عدم التعيين " .^(٦)

فيقال : الجواب عن ذلك من طريقين :

(١) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٦ .
 (٢) ما بين القوسين المعكوفين ساقط من (ص) .
 (٣) إلى متركب منه : كذا في (ص) ؛ خ ، س ، ك : إلى ماركب منه .
 (٤) عبارة : " فانه لا يحتاج إلى ذكره " : في (ص) فقط .
 (٥) انه : سقطت من (ك) .
 (٦) هذا معنى ما ذكره الأصهباني ، لالفظه .

أحدهما - أنهما إذا اشتركا في وجوب الوجود ، وامتاز كل منهما بتعيينه^(١)؛ فمعلوم أن وجوب أحدهما ليس هو عين وجوب الآخر، كما أن عينه ليست عينه ، بل هذا واجب وهذا واجب ، كما أن هذا عين وهذا عين ، واشتراكهما في وجوب الوجود المطلق كاشتراكهما في التعيين المطلق ، والمطلق إنما يكون مطلقا في الأذهان لاني الأعيان ، فعين هذا واجبة وجوبا يخصصها ، وعين هذا واجبة وجوبا يخصصها ، والذهن مجرد وجوبا مطلقا وتعيينا^(٢) مطلقا .

وإذا كان كذلك بطل قول القائل : إن كلا منهما مركب مما به الاشتراك وما به الامتياز ، بل ما به الاشتراك عندهم^(٣) وهو الوجوب هو مثل ما به الامتياز عند [هم]^(٥) وهو التعيين .

وهذه الحجة كثيرة في كلامهم ، والغلط فيها قاطع لا حيلة فيه ، وإنما نشأ الغلط حيث أخذوا في الوجوب ما يشتركان فيه ، وفي التعيين ما يخص ، وهذا يمكن معارضته بمثله ؛ بأن يقال : هما مشتركان في التعيين ؛ إن هذا معين وهذا معين ، ويمتاز كل منهما بوجوبه ؛ إن لكل منهما وجوب يخصه^(٧) ، وإذا [أمكن]^(٨) العكس تبين أن ما فعلوه تحكّم محض .
الطريق الثاني - أن يقال : هب أن هذا تركيب^(٩) ما به الاشتراك والامتياز ، لكن دليلهم^(١٠) على نفي مثل هذا التركيب باطل كما تقدم .

- (١) بتعيينه : كذا في (خ) ، وفي (ص ، س ، ك) : بتعيينه .
- (٢) وتعييننا : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : وتعييننا .
- (٣) عندهم : في (ص) فقط .
- (٤) هو : ليست في (ك) .
- (٥) ص : عند . وسقطت الكلمة من النسخ الأخرى .
- (٦) ك : واقع .
- (٧) يخصه : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : يخصه .
- (٨) أمكن : ساقطة من (ص) .
- (٩) تركيب : كذا في (س) ؛ ص : تركيبها ، خ ، ك : تركيب .
- (١٠) س ، ك : دليله .

وما ينبغي أن يُعلم أن كثيراً من متأخري النظار اضطربوا في معرفة التوحيد وأدلته العقلية ؛ حتى ظن منهم طائفة أنه لا يقوم عليه دليل عقلي ، وأخذ هذا عنهم بعض النفاة ، ولما ذكر ذلك تكلم الناس في تكفيره .^(٢)
والآمدى ذكر طرق الناس في التوحيد وزيفها ، وذكر طريقة أضعف من غيرها ،^(٣) وابن عربي الطائفي^(٤) اغترّب بذلك وظن أن ما ذكره الآمدى من الدليل على التوحيد هو أمر عظيم لم يُسبق إليه .^(٥)

(١) من قوله هنا : " وما ينبغي أن يعلم . . . " الى قوله في صفحة ١٢٥ : " ولم يكن له من الخبرة بأقوال المتكلمين ماله من الخبرة بأقوال المتفلسفة ، والا " انفردت به (ص) .
وهناك ستنضم اليها (ك) ، أما (خ ، س) فيستمرانقطاعهما حتى صفحة ٣٤٤ . حيث تعمودان عند قوله : " فصل ، وأما قوله : والدليل على علمه . . . " .

(٢) الأصل (ص) : واحد ، بلا نقاط . ولعل ما أثبتته هو المراد .

(٣) في كتاب " غاية المرام في علم الكلام " ، ص ١٥١ - ١٥٥ قال الآمدى : ان عامة المتكلمين سلكوا في اثبات التوحيد مسلكين ضعيفين ، ذكرهما وبين ضعفهما ، ثم ذكر مسلكا ثالثا ، قال : انه الصواب ، ودافع عنه .

لكنه في كتاب " أبحاث الأفكار " (مخطوط) ج / ١ - ١٦٧ - ظ ١٧١ وضع هذا المسلك المعسوب والسلكين الضعيفين ضمن سبعة مسالك قال : انها ضعيفة ، ونقدها ثم قال (١ / ظ ١٧١ - ج ١٧٢) : " وعلى هذا فاذا كانت الطرق العقلية الدالة على الوجدانية مضطربة غير يقينية ، فالأقرب في الدلالة انما هو الدلالة السمعية على ما ذهب اليه حذاق المعتزلة ، وذلك قولسه تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) .

ووجه الاحتجاج به أنه أخبر بلزوم الفساد من تقدير وجود الآلهة ولافساد ، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم " . ثم أورد اعتراضات على هذا الدليل وأجاب عنها .

(٤) الأصل (ص) : وابن عدى ، وهو خطأ ، انظر التعليق رقم (٥) .

وابن عربي هو محمد بن علي بن محمد بن عربي - قال الشعراي في الطبقات الكبرى (١ / ١٨٨) : " ابن العربي ، بالتعريف ، كما رأيت بخطه " - الحاشي الطائفي الأندلسي (٥٦٠ - ٦٣٨) من صوفية الفلاسفة ومن أئمة أهل وحدة الوجود .

انظر عنه : ميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ البداية والنهاية ١٣ / ١٥٦ ؛ لسان المميزان ٥ / ٣١١ - ٣١٥ ؛ الطبقات الكبرى للشعراي (١ / ١٨٨) ؛ الأعلام ٦ / ٢٨١ - ٢٨٢ ؛ وانظر المجلد الأول من الفهارس العامة لمجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط . الرياض) ، ص ٣٢ - ٣٩ .

(٥) أشار ابن تيمية في كتاب " درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٢٦٣ الى ما ذكره الآمدى في التوحيد ، ثم قال : " وكان ابن عربي صاحب " الفصوص " و " الفتوحات " وغيرهما يعظم طريقته ، ويقول : ان الطريقة التي ابتكرها في التوحيد طريقة عظيمة أو ما هو نحو هذا ، حتى أفض الأمر ببعض أعيان القضاة الذين نظروا في كلامه الى أن قال : التوحيد لا يقوم عليه دليل عقلي ، وانما يعلم بالسمع . . . " . وقد تصفحت كتاب " فصوص الحكم " وكتاب " الفتوحات المكية " ولم أقف على ذكر للآمدى ، لكن ابن عربي قال في الفتوحات المكية ٢ / ٨٨ (ط . الهيئة المصرية) : " وهذه الأشياء لا توجد في الله تعالى ، فلا يعلمه العقل أصلا من حيث هو ناظر وباحث . . . ولو نظر العاقل . . . لعلم أن الله تعالى لا يعلم بالدليل أبدا ، . . . فمن أراد أن يعرف لباب التوحيد فليُنظر في الآيات الواردة في التوحيد " . وانظر أيضا صفحة ١٠٠ .

وهذا الدليل الفلسفي الذي ذكره مصنف هذه العقيدة على التوحيد؛
لما كان فاسداً حدثني الثقة من أصحابنا عن شيخ من أهل^(١) أنه سمع هذا
المصنف يقول للشيخ إبراهيم الجعبري^(٢) - رحمهما الله تعالى - : بئس البارحة
أفكر في دليل عقلي على التوحيد ليس له معارض فلم أجد ، فأجاب الجعبري
بما يناسب حال نفسه ؛ وقال له : كنت قلت : (قل هو الله أحد . الله الصمد .
لم / يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد .) .

ج ١٩

فصل

أنواع التوحيد والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع :
أحدها - الكلام في الصفات .
والثاني - توحيد الربوبية ، وبيان أن الله خالق كل شيء * .
والثالث - توحيد الإلهية ؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له .
توحيد الصفات أما الأول - فان نفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في معنى " التوحيد " ،
وهذه الطريق التي سلكها هؤلاء المتخلفة النفاة للصفات في أن الواجب
لا يكون معنيين ؛ قصدهم بها نفي ثبوت الصفات لله تعالى ، قالوا : لأن إثبات
الصفات لله تعالى يستلزم تعدد الواجب .

والفرق بين مسلك ابن سينا ونحوه سلكوا في الإلهيات مسلماً مركباً من كلام سلفهم
ومسلك اليونانيين وكلام المعتزلة ، فإن قدامهم الفلاسفة اليونانيين ؛ كلامهم نفي
الإلهيات قليل ، وعلمهم بها ناقص جداً - وعامة كلامهم في الطبيعيات - ويسمون

(١) من أهل : كذا في الأصل (ص) ، ويبدو أن ثمة كلمة ساقطة قد تكون اسم بلد .
(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، الشافعي ، ولد سنة ٦٤٠ هـ بقلعة
جعبر على الفرات ورحل إلى بغداد وسكن دمشق مدة وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرئ
الناس إلى أن مات بها سنة ٧٣٢ هـ ، صنف في القراءات والعربية والعروض .
انظر عنه فوات الوفيات ٣٩١/١ - ٤١ ، الوافي بالوفيات ٧٣/٦ - ٧٦ ، طبقات الشافعية
للمسكي ٣٩٨/٩ - ٣٩٩ ؛ البداية والنهاية ١٤/١٦٠ ؛ الدرر الكامنة ٥١/١ - ٥٢ ؛ الأعلام

هذا العلم " علم ما قبل الطبيعة " باعتبار وجوده ، أو " علم ما بعدها " باعتبار معرفته ؛ لكون الأمور الطبيعية يستدل بها عليه ، وهم يُسْتَوْن ذلك " الحكمة العليا " و " الفلسفة الأولى " .

وجعلوا موضوع هذا العلم هو الوجود المطلق بأقسامه الكبار ؛ مثل انقسام الوجود إلى جوهر وَعَرَضٍ ، وإلى واجب وممكن ، وإلى قديم ومحدث ، وإلى علّة ومعلول ، وإلى واحد وكثير .

ومن المعلوم أن الوجود الكلي المنقسم إلى هذه ؛ هو وجميع أقسامه الكلية لا يثبت كلياً إلا في الأذهان لاني الأعيان ، ان ليس في الخارج وجود كلي مطلق ، بشرط كونه كلياً مطلقاً ، ولا جوهر كلي مطلق ، ولا عرض كلي مطلق ، بل تقسيم الوجود إلى هذه الأنواع من جنس تقسيم الذات أو الماهية أو الحقيقة أو المعلوم ، وإن كان بعض هذه الأسماء أعم من بعض ؛ فإن لفظ " المعلوم " يدخل فيه الموجود والمعدوم .

وكذلك لفظ " الذات " ، و " الماهية " عند من يزعم أن لها تحققاً في العدم ، وإن كان هذا القول خطأً ، ان^(١) كان الصواب أن المعدوم ليس بشيء في الخارج ؛ وإن كان شيئاً في العلم .

وكذلك ماهيات الأشياء وحقائقها ليست في الخارج غير^(٢) الموجودات الثابتة في الخارج ، ولكن الذهن قد يتصورها وإن لم توجد ؛ فتكون ثابتة في التصور لاني الخارج . فأما أن يكون الذهن إذا تصوّر شيئاً ؛ ولم يعلم وجوده في الخارج ؛ يجب أن يكون له وجود في الخارج - فهذا خطأ بين ، به يظهر خطأ^(٣) من جعل الوجود في الخارج أمراً زائداً على الحقائق الثابتة في الخارج . وأما من فرّق بين الحقائق والماهيات وبين وجودها ؛ وأراد بالماهيات ماني الذهن ، وبالوجود ماني الخارج فقد أصاب .

(١) في الأصل (ص) : اذا . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) في الأصل (ص) : عند . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) في الأصل (ض) : فهذا خطأ بين به خطأ يظهر خطأ .

والمقصود هنا أنه إذا قيل : العلم الأعلى هو أمر كليّ مطلق ، لم يكن المعلوم شيئاً موجوداً في الخارج ؛ لا واجباً ولا ممكناً ، وليس هذا هو العلم بالله تعالى ، ولكنه عِلْمٌ / بمعنى كليّ عام ؛ يتناول الواجب والممكن كالعلم بمسئى " الذات " ومسئى " الحقيقة " ومسئى " الشئ " ونحو ذلك .

ظ ١٩

فإن قيل : الشئ ينقسم إلى واجب وممكن ، وقديم ومحدث ؛ لم يكن العلم بمسئى " الشئ " أعلى العلوم ؛ وإن كان علماً بالمسمى الذى هو أعم من غيره ، سواء كان هو الأعم مطلقاً أو لم يكن .

بل العلم الأعلى هو العلم بالله نفسه ؛ الذى هو في نفسه أعلى العلوم بالله تعالى الموجودات ، والعلم به أعلى العلوم ، وإرادة وجهه أعلى الإرادات ، وذكره أعلى الأذكار ، واسمه أعلى الأسماء ؛ قال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق نسوى . والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غشياً أحوى .) (١) ، فانه سبحانه هو في نفسه غنى عن كل ماسواه ؛ وكل ماسواه منتقز إليه ، وهو رب كل ماسواه ومبدئ ؛ فوجود كل ماسواه منتقز إلى وجوده ، ووجوده غنى عن وجود كل ماسواه .

وكذلك العلم به باعتبار أشرف نوعي الاستدلال ؛ الذى يسمى برهان " لم " ، ويسمى برهان العلة - أصل للعلم بكل ماسواه ، والعلم بما سواه فرع للعلم به

(١) سورة الأعلى : ١ - ٥ .

(٢) في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١٥٠ / ١ " البرهان اما برهان " لم " ، ويسمى برهاناً ليميا وتعليلياً أيضاً ، أو برهان " ان " ، ويسمى برهاناً انياً واستدللاً أيضاً . لأن الحد الأوسط في البرهان لا بد أن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر في الذهن ، أى علة للتصديق بثبوت الأكبر للأصغر فيه ، فان كان مع ذلك علة لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً فهو برهان " لمي " ، لأنه يعطي اللمية في الخارج والذهن ، كقولنا : هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفن الأخلاط فهو محموم ، فهذا محموم . فتعفن الأخلاط كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن كذلك علة لثبوتها في الخارج .

وان لم يكن علة لوجودها في الخارج ، بل في الذهن فقط ، فهو برهان " اني " ، لأنه مفيد انية النسبة في الخارج ، دون لमितها ، كقولنا : هذا محموم ، وكل محموم متعفن الاخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط . فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن ، الا أنها ليست علة له في الخارج ، بل الأمر بالعكس .

والحاصل أن الاستدلال من المعلول على العلة برهان " اني " ، وعكسه برهان " لمي " . / =

باعتبارات متعددة ، فلا يكون الإنسان عالماً بغيره على الوجه الذى ينبغي حتى يعلم مابهِ وُجِدَ وتحقق ، وذلك لا يكون إلا مع العلم بالله تعالى ؛ ولهذا لا يزال العقل يَطْلُبُ للموجود - الذى لم يوجد بنفسه - مابهِ وُجِدَ ؛ سواءً سُمِّيَ ذلك مؤثراً أو فاعلاً أو علة فاعلة أو صناعاً أو رباً ، حتى ينتهـي النظر إلى الله سبحانه وتعالى فحينئذٍ يقف الطلب .

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .) (١) فبيّن (٢) أنه هو الذى خلق الأعيان الموجودة ، وعلم العلم ؛ فوجوده أصل كل وجود ، وعلمه أصل كل علم .

والمصدر يضاف إلى الفاعل تارة ، وإلى المفعول أخرى ؛ كما يقول : (نكّر الله) . يريد الذكر الذى هو ذكره وهو كلامه ، ويريد به ذكر العبد ربه . ويقول : (خلّق الله) . يريد به أنه خالق ، ويقول : (خلّق السموات والأرض) . يريد به كونها مخلوقة .

فعلمُ الله بالمعنى الأول هو كونه عالماً ، وبالمعنى الثانى كونه معلوماً ، وهو يكلا الاعتبارين أصل لما سواه ؛ فإن الناس لا يحيطون بشيٍ من علمه الا بما شاء ، وعلمُ المخلوقات من علمه ماشاء ، والعلم به أعلى العلوم ، وغاية العلوم ومنتهى العلوم ، وتحقيق العلوم ، وأصل العلوم . وإن كان العلم ^(٣) بغيره أسبق إلى بعض الأذهان من العلم به ، أو يكون دليلاً على العلم به - فالعلم به مع كونه أعلى وأكمل وأنفع ، فإن الحاجة اليه ضرورية ، وإنه لا صلاح للعبد إلا به ، ولا سعادة بدونهُ ، فهو أصل لتحقيق تلك العلوم التى به تستحق أن تكون علوماً .

/ = وانظر كتاب " منهاج السنة " لابن تيمية ١٢٧/١ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ؛ وكتاب " الحروف للغارابي " ص ٢٠٤ ؛ وكتاب " البرهان " لابن سينا ، ص ٧٨ - ٨٤ ، وهو الفن الخامس من منطق كتاب الشفا ، تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي . ط . الأمايرية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م ، والمعجم الفلسفي ، ص ٣٣ .
 (١) سورة العلق : ١ - ٥ .
 (٢) الأصل (ص) : فيبين .
 (٣) الأصل (ص) : العلوم . ولعل الصواب ما أثبتته .

وكلام الفلاسفة اليونانيين كأرسطو وأتباعه في الإلهيات؛ مع كونـــ
قليلاً ففيه خطأ / كثير ، وليس في كلامهم ذكر واجب الوجود ؛ وإنما يقولون :
" العلة الأولى " .

وهم لم يسلكوا في إثباته الطريقة التي سلكها متأخروهم المنتسبون
للإسلام كابن سينا ، وإنما أثبتوه بطريق الحركة ؛ فأثبتوا أنه علةٌ غائيةٌ ؛
بمعنى أن الفلك يتحرك للتشبه به ، فإنهم لما اعتقدوا أن حركة الفلك شوقية
اختيارية قالوا : إن الحركة الشوقية لا يبد لها من محرّك لا يتحرك ، وهو
يحرّكها كما يحرك المعشوق عاشقه ، وليس هو عندهم أنه يحب ذات الرب ،
بل يحب التشبّه به ؛ فتحرّيكه له كتحرّيك الامام المقتدى به للمأموم المقتدى ،
هذا هو الذي صرح به أرسطو في آخر كلامه في الإلهيات ، وهي مقالة " اللام " .^(١)

وقد سلك مسلكهم من تصوف على طريقهم من المتأخرين ؛ ولهذا
قالوا : " إن الفلسفة هي التشبّه بالإله على قدر الطاقة " ، فجعلوها من
جنس تحريك المراد للمريد ، كتحرّيك الطعام للاكل ، والمحبوب للمحبّ .
قالوا : وذلك أن الفلك يتحرك للتشبه بالعلة الأولى ، ولا قوام له إلا
بالطبيعة ،^(٢) ولا قوام لطبيعته إلا بحركته ، ولا قوام لحركته إلا بالمحبوب الذي
يتحرك الفلك للتشبه به .

(١) الأصل (ص) : اثبات : ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : الشبيه .

(٣) وردت هذه الفكرة في " مقالة اللام " ضمن كتاب " أرسطو عند العرب " لعبد الرحمن بدوي ،
فيها يقول أرسطو (ص ٥ - ٦) : " . . . فان كانت السما تتحرك حركة دائمة أزلية ، فالمحرك
لها بهذه الصفة ، وان كان هاهنا شيء يحرك بأن يتحرك ، فيجب أن يوجد شيء يحرك
من غير أن يتحرك هو جوهر ، وذاته فعله ، وتحرّيكه انما هو على طريق أنه معشوق ومعقول ،
فالأشياء المحركة على هذه الجهة انما تحرك من غير أن تتحرك ، وفي المبادئ الأول ،
المعشوق والمعقول هما شيء واحد " .

(٤) الأصل (ص) : بالطبيعية .

وهذا الذي ذكروه مع ما فيه من المقدمات الباطلة ؛ غايته أنهم جعلوا حركة الفلك علة غائية ، لاعة فاعلة ، ولم يشبتوا واجبا بنفسه أبدع الأفلاك ، وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن ابن سينا وأتباعه ركبوا مذهباً من قولهم ومن قول الجهمية نفاة الصفات من المعتزلة وغيرهم - كما سنبين طريقة أولئك - فأثبتوا واجب الوجود : بأن الوجود لا بد له من واجب ، ثم أخذوا يصفون الواجب الذي ادَّعوا ثبوته بما لا دليل عليه ، وسَمَّوا هذا " العلم الإلهي " ، وذكروا ما يُقَرِّبه إلى ما جاء به الأنبياء ، وتكلموا في النبوات بما لا يناقض أصول سلفهم ؛ إذ كان أولئك الفلاسفة ليس لهم في النبوات كلام معروف ، وليس لها ذكر في كتب أرسطو وأسأله لابننفي ولا بإثبات .

والجهمية وغيرهم أثبتوا الصانع بطريقة الاستدلال بحدوث الأجسام ؛ وأنها لا تخلو عن الحوادث ؛ وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث . وبنوا على ذلك نفي صفات الرب تعالى ؛ وأنه لو قامت به الصفات والأفعال للزم أن يكون محدثاً ، وقالوا : التوحيد هو أن يجعل القديم شيئاً واحداً ، فلا تثبت له صفة قديمة ؛ لأن إثبات صفة للقديم يوجب تعدد القديم .

فلما كان شعار هؤلاء أن القديم لا يتعدد ، أخذ ابن سينا وأتباعه معنى ذلك منهم ؛ وقالوا : الواجب لا يتعدد ، وصار هؤلاء يدَّعون وحدة الواجب ، كما يدعى أولئك وحدة القديم ، ويدعى كل من هؤلاء أن هذا هو التوحيد ، وأن / إثبات الصفات تشبيه وتركيب .

ظ ٢٠

ومن المعلوم لكل من عرف ما جاءت به الرسل أن التوحيد الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه لم يتضمن نفي صفات الله ، بل الكتب الإلهية ملوثة بإثبات صفات الله تعالى ، وكذلك العقل الصريح هو موافق لما جاءت به الكتب الإلهية من إثبات صفات الكمال لله تعالى .

وقول هو "لا" بامتناع إثبات واجبيّن قديميّن : لفظ فيه إجمال وإبهام؛
فإن أريد بذلك نفي إلهيّن واجبيّن أو إلهيّن قديميّن فهذا حق لا ينزع
فيه مسلم ، وكذلك إن عنوا نفي موجوديّن قائميّن بأنفسهما واجبيّن أو قديميّن
فهذا حق .

فهم وإن كان هذا بعض مرادهم فلم يقتصروا عليه ، بل أرادوا نفسي
صفات الله الواجبة القديمة : كعلمه وقدرته ، وحينئذ فنفي واجبيّن قديميّن
بهذا الاعتبار باطل .

وهم قد يقولون : لو كانت الصفة [ثابتة] لكانت مشاركة له فسي
أخص صفاته فتكون الصفة لها ، ويدّعون أن من أثبت الصفات فقد قال بقول
النصاري ؛ كما حكاه الإمام أحمد وغيره من أئمة السّنة عنهم ^(١) ، وهو موجود
في كلامهم ، وهذا باطل .

ومن المعلوم أن صفة الموصوف المحدث الممكن : إذا وافقته في كونها
محدثة ممكنة - لم يلزم أن تكون مماثلة له ؛ فليست صفة النبي نبياً ، ولا صفة
الإنسان إنساناً ، فكيف يجب أن تكون صفة الإله إلهاً ؟ بل هو سبحانه
إله واحد ، مختص ^(٢) بما لا يماثله فيه غيره من صفات الكمال ، متّزه عن صفات
النقص مطلقاً ؛ وعن أن يكون له كعقو في شيء من صفات الكمال ، وهذا
الذي نبهنا عليه هنا هو مبسوط في موضع آخر .

ومعرفة هذا من أهم الأمور ؛ فإن نفاة الصفات أدخلوا ذلك فسي
مسمى " التوحيد " ، وجعلوا هذا جزءاً من مسمى " التوحيد " ، فلبسوا بذلك

(١) الأصل (ص) : لو كانت الصفة لكانت . وقد رأيت محمد بن أحمد السفاريني في كتابه " لوامع
الأنوار البهية " ، ص ١٤٧ - ١٤٨ نقل هذا الكلام عن كتاب " شرح الأصبهانية " وجاءت هذه
العبارة كما أثبت .

(٢) تقدم نص كلام الامام أحمد في ذلك ، ص ٦٢ .

(٣) الأصل (ص) : مسح . بلا نقاط .

على كثير من الناس؛ إذ كان سمي " التوحيد " في غاية العظمة عند أهل الملل، فإذا ظنَّ من لم يعرف حقائق الأمور أن ما ذكره من النفي المستلزم للتعطيل: هو من التوحيد الذي بعث الله به الرسول، انقلب دين الإسلام في نفسه، فجعل ما هو داخل في التعطيل - الذي ذمَّ الله به فرعون وغيره من الكافرين - هو من التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، ولهذا كان علماء الحديث يصنّفون الكتب في التوحيد، ويذكرون إثبات^(١) ما أثبتته الله ورسوله من الأسماء والصفات مناقضة لهؤلاء النفاة .

ولما كان قول هؤلاء مستلزماً لتعطيل الخالق تعالى؛ ولم يكن^(٢) عامتهم يهتدون الى هذا التلازم - صاروا بين أمرين: إما أن يعطّلوا العبادة، ويفلب عليهم النفي واتباع الهوى والشهوات؛ وإما أن تكون فيهم عبادة وتألّه، / وإذا صار فيهم عبادة وتألّه، فالغالب عليهم الشرك بعبادة غير الله تعالى؛ تارة يعبدون سبباً معيناً من المخلوقات - إما مع القول بالحلول والاتحاد فيه وإما بدون ذلك - وتارة يقولون بالحلول والاتحاد في جميع المخلوقات، فإن القائلين بالحلول والاتحاد: منهم من يقول به في شيء معين كالنصارى وأهل الإلحاد من الشيعة وغلاة الصوفية وغيرهم من المنتسبين إلى الإسلام، ومنهم من يقول به في كل شيء كالجهمية القائلين بأن ذاته في كل مكان، أو أنه وجود كل موجود ونحو ذلك؛ فمن غلب عليه التعطيل من الجهمية لا يعبد شيئاً، ومن عبد منهم شيئاً صار إلى الحلول؛ ولهذا - كما قيل - متكلّمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوّفة الجهمية يعبدون كل شيء .

ج ٢١

(١) الأصل (ص): يذكرون . وزدت الواو .
(٢) الأصل (ص): وان يكن . ولعل الصواب ما أثبتته .

(١) وينظم هذا اسمُ الانسان ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح : (أصدق الأسماء الحارث وهمام)^(٢) . فكل إنسان
حارث : أى كاسب عامل ، وهو همام : كثير الهَمِّ ، الذى هو ميسداً
الإرادة ، وهو - كما يقال - متحرك بالإرادة ، فكل إنسان لا بد له من
العمل بإرادته ؛ ولا بد للإرادة من مراد ، والشئ إما أن يراد لنفسه
وإما يراد لغيره ، وما أريد لغيره فذلك الغير إما أن يكون مراداً لنفسه، وإما
أن [يكون] مراداً لغيره ، والتسلسل في العلل متمتع بالضرورة وإتساق
العقلاء سواء كانت العلة فاعلية أو غائية ، فلا بد أن ينتهي الأمر إلى
مراد لنفسه .

ولا يصلح أن يكون غير الله مراداً مقصوداً لنفسه ، كما لا يكون غيره
موجوداً بنفسه ، بل وحدانيته واجبة : في كونه رباً خالقاً ، وفي كونه إلهاً
معبوداً ، فمن لم يكن الله معبوده الذى هو غاية مراده ، فلا بد أن يعبد
ماسواه ، فيكون ذلك مراده ، وحينئذ فيكون فاسد الإرادة ، فاسد العمل ،
يضره ذلك ولا ينفعه ، وهذا مما يبيِّن بعض معنى قوله تعالى :

(١) الأصل (ص) : ونصم ، بلا نقاط ، ولعل الصواب ما أثبتته ، جاء في " الصحاح " مادة " نظم " :
" نظمت اللؤلؤ " ، أى جمعت في السلك . . . والنظام : الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . . .
والانتظام : الاتساق .

(٢) الحارث وهمام : كذا في الأصل (ص) ، وكذا أورده ابن تيمية في " درة " تعارض العقل والنقل
٣٧٣/٩٠٤٥٧/٨ .

والحديث في مسند الامام أحمد (ط . الحلبي) ٣٤٥/٤ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود)
٢٩٣/١٣ كتاب الأرب ، باب في تفسير الأسماء ؛ الأرب المفرد للبخارى ، ص ٢١١ ، عن عقيل
ابن شبيب عن أبي وهب الجشمي - وكانت له صحبة - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ،
وأقبحها حرب ومرة) .

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٥٤/٧ عن عقيل بن شبيب : " ذكره ابن حبان في الثقات
وقال ابن القطان : مجهول الحال ، وكذا قال أبو حاتم في كتاب العلل " .

وقال ابن الأثير في النهاية ٣٦٠/١ " الحارث هو الكاسب ، والانسان لا يخلو من الكسب طبعاً
واختياراً " . وفي (٢٧٤/٥) : " همام هو فعال من هم بالأمر بهم ، اذ اعزم عليه ، وانما كسان
أصدقها لأنه مامن أحد الا وهو بهم بأمر خيراً كان أو شراً " .
الأصل (ص) : واما أن مراداً . ولعل ما زدته يستقيم به الكلام .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْغِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)^(١) ، وقوله تعالى : (لو كان فيهما آلِهَةٌ
إلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(٢) .

والمعبود المراد المحبوب لا يكون إلا موجوداً ؛ فإن المعدوم لا يبراد
لذاته ، وما كان منفي الصفات لم يكن إلا معدوما ؛ فإن إثبات ذات بلا
صفات ، أو وجود مطلق لا يتعين - إنما يتحقق في الأذهان لافي الأعيان ،
فمن لم يثبت لله الصفات لم يحقق عبادته له ، فلهذا وغيره كان الشرك
بعبادة غير الله واقعاً في نفاة الصفات .

فصل

توحيد الربوبية والنوع الثاني - توحيد الربوبية ؛ كالإقرار بأن الله خالق كل شيء ، وأنه
ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا التوحيد حقيق
لاريب فيه ، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية .
وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ،
ظ ٢١ ولم يُعرف عن أحد من الطوائف / أنه قال : " إن العالم له صانعان
قول الثنوية متماثلان في الصفات والأفعال " ، فإن الثنوية من المجوس والمانوية^(٤)

(١) سورة النساء : ٤٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٢ .

(٣) الأصل (ص) : نقيضه .

(٤) الثنوية هم الذين قالوا بصدور العالم عن أصليين : النور والظلمة .

ويظهر من كلام الشهرستاني في الملل والنحل ٢ / ٧٢-٩٣ أنه يقسم الثنوية إلى قسمين ، فهـو
يتحدث أولاً (٢ / ٧٢-٨٠) عن يسميهم "المجوس الأصلية" ، وهو "لا" قالوا : ان الأصليين لا يجوز
أن يكونا قد يمين أزليين ، بل النور أزلي ، والظلمة محدثة ، ثم يتحدث (٢ / ٨٠-٩٣) عن الثنوية
أصحاب الاثنين الأزليين القديمين .

وقال عن المجوس الأصلية : ان لهم اختلافا في سبب حدوث الظلمة " أمن النور حدثت؟
والنور لا يحدث شرا جزئيا ، فكيف يحدث أصل الشر ! أم شي " آخر ؟ ولا شي " يشترك [مع]
النور في الاحداث والقدم ، وبهذا يظهر خبط المجوس " .

وفصل أقوال فرق هذا القسم ، فذكر (الكيومرثية) أصحاب كيومرث ، وهو "لا" قالوا : " ان يزدان
[بالفارسية يعني النور] فكر في نفسه أنه لو كان لي منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة رديئة غـبير
مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة ، وسمى " أهر من " [بالفارسية يعني الظلمة] .
وأوضح كيف أن الظلمة خالفت النور ، وجرت محاربة بين عسكريهما ، وتوسط الملائكة وصالحوهما .
ونذكر (الزروانية) الذين قالوا : ان النور أبدع أشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ، لكن / =

القائلين بالأصلين : النور والظلمة ، وأن العالم صدر عنهما - متفقون على أن النور خير من الظلمة ؛ وهو الإله المحمود عندهم ، وأن الظلمة شريرة مذمومة ، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة ؟ فلم يثبتوا^(١) رأيين متماثلين .

قول النصارى وأما النصارى القائلون بالتثليث فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة آلهة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض ، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد ؛ ويقولون : باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد .

= / الشخص الأعظم الذى اسمه زروان شك في شي * من الأشياء فحدث اهرمن : من ذلك الشك ، وقالت هذه الفرقة بنحو ما قالت الكيومرثية من الخلاف والحرب وتوسط الملائكة والصلح . ثم ذكر (المسخية) و (الخرمدينة) ، وهو * قالوا : ان النور كان وحده نوراً محضاً ، ثم انسخ بعضه فصار ظلمة .

وذكر (الزرادشتية) وهم يعتقدون أن الله بعث زرادشت بن بورشبن نبيا رسولا ، وأنه قال : النور والظلمة أصلان متضادان ، وهما مبدأ موجودات العالم ، والبارى تعالى خالقهما ومبدعهما ، وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، ولا يجوز أن ينسب اليه وجود الظلمة ، لكن انما حصل الخير والشر من امتزاج النور والظلمة ، والبارى مزجها لحكمة ، وربما قال : النور أصل أبدعه الله ، وحصلت الظلمة تبعا ، لا بالقصد الأول .

ثم فصل الشهرستاني أقوال فرق القسم الثاني ، فذكر (المانوية) أصحاب ماني بن فاتك ، وكان بعد عيسى عليه السلام ، وأخذ دينا بين المجوسية والنصرانية ، و (المزدكية) أصحاب مزدك الذى ظهر في أيام قباد والد أنوشروان ، وهو القائل باشتراك الناس في النساء والأموال ، و (الديصانية) أصحاب ديسان ، وهو أقدم من ماني ، و (المرقونية) . وقال ان (المرقونية) أثبتوا أيضا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع بين النور والظلمة ، ومنزلته دون النور وفوق الظلمة ، ونقل أن (الديصانية) زعموا أن المعدل هو الانسان ، ان هو ليس بنور محض ولا ظلام محض .

لمزيد من البيان عن الثنوية يراجع : سائر كلام الشهرستاني في الملل والنحل ٢/ ٢٢ - ٩٣ ؛ أصول الدين للبغدادي ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٢٥ ؛ الفصل لابن حزم ١/ ٣٤ - ٤٤ ؛ الشامل للجويني ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الحور العين لنشوان ، ص ١٣٥ - ١٤٣ ؛ تليبيس ابليس ، ص ٤٣ - ٤٥ ، ٤٥ ، ٧٥ - ٧٧ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين للرازي ، ص ١٣٤ - ١٤٢ ؛ اغاثة اللفغان من مصايد الشيطان ٢/ ٢٣٩ - ٢٤١ ؛ الخطط للمقريزي ٢/ ٣٤٤ .

(١) الأصل (ص) : الالهة .

(٢) الأصل (ص) : يسوو .

وقولهم في التثليث قول متناقض في نفسه ، وقولهم في الحلول أنفسد منه ؛ ولهذا كانوا مضطربين في فهمه وفي التعبير عنه ، وكانوا يكتبون قولهم عن كثير من أصحابهم ؛ فإنهم إذا فهموه نفروا عنه بغطرة عقولهم . وكذلك الجهمية تكتم حقيقة قولها عن أتباعهم ، وكذلك الملاحدة يكتبون حقيقة قولهم عن أكثر أتباعهم ؛ لأن المقالات الفاسدة في الإلهيات قد فطر الله عباده على العلم بفسادها بعد التصور التام .

ولهذا لا يكاد أحد من النصارى يعبر عن قولهم بمعنى معقول ، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد ؛ فإنهم يقولون : " هو واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم " ، والأقنوم تفسر تارة بالخواص ، وتارة بالصفات ، وتارة بالأشخاص .

ويقولون : " إن الأقنوم هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس " ، ويفسرون الأب بالوجود ، والابن يعبرون عنه بالكلمة وبالعلم ، وروح القدس بالحياة وتارة يقولون : هو القدرة .

فتارة يقولون : هو موجود حي عليم ، أو موجود حي عليم ناطق ، وتارة : موجود حي عليم قدير ، ويقولون : إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة .

وكثير منهم يقول : إن هذا مثل قولك : " زيد الكاتب الحاسب الطيب " ، فهو مع الكتابة شي * ومع الحساب شي * ومع الطب شي * ؛ فهكذا الخالق مع وجوده شي * ومع علمه ومع حياته شي * ، وهذا عند التحقيق يرجع إلى إثبات الصفات لموصوف واحد ، لكن ضلوا في جعلها ثلاث صفات فقط ، إذ لافرق بين العلم وبين القدرة .

وأیضا فهم يجعلون ^(١) أقنوم الكلمة إلها وأقنوم الروح إلها ، مع قولهم :

(١) في الأصل (ص) : ويجعلون .

"إن الإله واحد" ، ويقولون : "إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة، وإن المسيح هو إله يخلق ويرزق".

وهذا تناقضٌ بيّن ؛ فإن المتحد بالمسيح إن كان هو الذات الموصوفة فهو الأب ، فيكون المسيح هو الأب^(١) والابن وروح القدس ، وهم مع قولهم : "إنه الله" يقولون : "إنه ابن الله" ولا يقولون : إنه الأب .

وإن كان المتحد بالمسيح هو صفة العلم والكلام : فالصفة لا تقوم بنفسها ولا تكون إلها ، ولا تخلق ولا ترزق .

وإن قالوا : "المتحد هو الذات مع هذه / الصفة ، دون الصفة الأخرى" ، فالصفة الأخرى لا تفارق الذات ، ولا تقوم [بغير الذات]^(٢) وليس هنا ثلاث ذوات قائمة بأنفسها .

وفي الجملة فقولهم متناقض في نفسه باتفاق كل عاقل تصوّر قولهم، لكنهم مع هذا لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين .

ومبدأ ضلالهم تسكهم بالألفاظ متشابهة لم يردوها إلى المحكم ؛ فإن [ما] ينقلونه^(٣) في الإنجيل الذي بأيديهم ، إن كان حقاً ، وأن المسيح قال لهم : "عبدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس"^(٤) ، فالاسم "الأب" في لفتهم بمعنى الربّي ، وهذا كثير في الإنجيل الذي بأيديهم ؛ كقوله : "تشبهوا بأبيكم السماوي" وقوله : "أبي وأبيكم"^(٥) .

(١) الأصل (ص) : الأرب .

(٢) الأصل (ص) : ولا تقوم . ولعل ما زدته يقيم الكلام .

(٣) الأصل (ص) : فان ينقلونه .

(٤) في انجيل متى ، الاصحاح الثامن والعشرين ، (ص ٥٠) من العهد الجديد ضمن الكتاب المقدس طه . العيد المئوي ٩٨٣ م ، ورد القول التالي منسوباً للمسيح : "فذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعبدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" .

(٥) في انجيل متى ، الاصحاح الخامس ، (ص ٩) ورد منسوباً الى المسيح ما يلي : "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات . . . فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات كامل" ، وفي الاصحاح السادس ، (ص ١٠) : "يفغر لكم أيضا أبوك السماوي" ، وفي الاصحاح الثامن عشر ، (ص ٣١) : "فهكذا أبي السماوي يفعل بكم" .

وفي انجيل يوحنا ، الاصحاح العشرين ، (ص ١٦٩) النص التالي : "قال لها يسوع : يا مريم ! =

وحيثُذا فالابن بمعنى المرّي المصطفى ، وروح القدس هو جبريل ، والمعنى يتضمن الإيمان بالله ، وبنبيّه الذي أرسله ، وبالملك الذي جاءه بالوحي ، وبهذا يتم الإيمان . أو يراد بروح القدس الوحي الذي أنزل عليه وهو الكتاب ، أو مجموع الأمرين ؛ قال تعالى : (وَأَتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)^(١) ، وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا)^(٢) ، وقال تعالى : (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)^(٣) .

وأصل ضلالهم أنهم فرّقوا بين المتماثلين في صفات الله تعالى وصفات رسوله ، فلا يمكنهم إثبات خصيصة للمسيح يكون بها أفضل من إبراهيم وموسى ، بل كل ما يدّعون في المسيح : إن كان ممكناً فهو ممكن لإبراهيم وموسى ، وإن كان ممتنعاً فهو ممتنع في المسيح وغيره ، وهذا مبسوط في موضعه .^(٤)

والمقصود هنا أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره ؛ ومنهم من اعترف بالمعجز عن تقرير هذا بالعقل ، وزعم أنه يُتلقى من السمع ؛ ومنهم من يطمئن في طرق غيره ، ويذكر طريقة أضعف مما زيّفه كالآمدى ونحوه .

= / فالتفتت تلك ، وقالت له : ربوني ! - الذي تفسيره يامعلم - قال لها يسوع : لا تلمسيني ، لأنني لم أضعد بعد إلى أبي ، ولكن اذهبي إلى أخوتي ، وقولي لهم : اني أضعد إلى أبي وأبيكم والهي والهكم .

وانظر مادة " أب " في " الفهرس العربي لكلمات المعهد الجديد اليونانية " للقس غسان خلف (ط . دار النشر المعمدانية ، بيروت ، ص ٥٩٣ - ٥٩٦ .

(١) سورة البقرة : ٨٧ .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ .

(٣) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٤) في كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " تكلم ابن تيمية عن غلو النصارى في المسيح عليه السلام ، وقولهم بالتثليث ، واعتمادهم على الفاظ متشابهة في أناجيلهم التي بسّين أيديهم . انظر على وجه الخصوص ١ / ١٧٠ - ١٧٤ ، ٢٣٥ - ٢٤١ ، ٢ / ٩٠ ، ٣ / ١٩٦ -

والمشهور عند النظر إثبات هذا بدليل التمانع ، وهو دليل صحيح في نفسه ، لكن من المتأخرين من لم يفهم وجه تقريره كالأمدى وغيره فزيفوه .^(١)

صحة دليل التمانع وخطأ الأمدى في الاعتراض عليه

وذلك أن وجه تقريره المشهور : أنه لو كان للعالم صانعان متكافئان ؛ فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تسكينه ، أو يريد الآخر إحياءه ويريد الآخر إماتته - إما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ؛ والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ؛ والثالث ممتنع ، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع ، ويلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً ، ولأن المانع من فعل أحدهما هو فعل الآخر ، فلو امتنع مرادهما لزم كون كل منهما مانعا للآخر ومنوعا / للآخر ، وذلك يستلزم كون كل منهما قادراً ؛ لأن كونه مانعا يقتضي القدرة ، وكونه ممنوعا يقتضي العجز ، وذلك تناقض .^(٢) وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر ؛ والآخر عاجز لا يصلح للالهية .

ظ ٢٢

فأوردوا عليهم سوء الآ ؛ وهو أنه يجوز أن يتفقا فلا يختلفا ؛ وحينئذ فلا يلزم ما ذكرتم .

فأجابوا عنه بأجوبة متعددة ؛ كقولهم : إن جواز اختلافهما ممكن من كل منهما حال انفراده ، فإن كلاً منهما قادر على التحريك والإحياء ، وعلى التمسكين والإماتة ، لولا معارضة الآخر ، وذلك ممكن منه ؛ فلو قُدِّرَ ممتنعاً حال وجود الآخر لزم أن يكون كل منهما ممنوعاً بالآخر وهذا عجز ينافي الإلهية .

(١) انظر نقد الأمدى لدليل التمانع في كتاب " غاية المرام " ، ص ١٥١-١٥٢ ، وفي كتاب " أيكسار الأفكار " (مخطوط) الجزء الأول وجه وظهر ورقة ١٦٨ ، ووجه ورقة ١٦٩ .
(٢) الأصل (ص) : سامص به : بلا نقاط .

فقال المعترض : هذا بمنزلة القدرة على كل من الضدين على سبيل البديل
لاعلى سبيل الجمع ؛ فإن القدرة ثابتة على تحريك الجسم المعين وعلى
تسكينه لكن على سبيل البديل ، فأما على سبيل الجمع فلا ؛ فذلك قدرة كل
منهما على [نذلك] تكسون^(١) حال الانفراد ، لا حال الاجتماع .

وهذا مما اعترض به الآمدى وغيره ، وهو باطل ؛ فإن القدرة على كل
من الضدين على سبيل البديل لا توجب عجز القادر ولا تتأني كمال قدرته ؛
إن الجمع بين الضدين ممتنع لنفسه ، وليس بشيء باتفاق العقلاء ، فلا يدخل
في معنى قوله تعالى : (على كل شيء قدير) . إذ لا حقيقة لهذا في الخارج
أصلاً ، ولكن الذهن يفرضه ليعرف امتناع ثبوت في الخارج ، وأما القادر إذا
كان ممنوعاً من غيره لا يقدر مع وجود الغير على ما يقدر^(٢) عليه حال عدمه ؛ فإنه
يلزم أن يكون عاجزاً ممنوعاً بغيره ، وهذا يقدر في قدرته .

والعقل الصريح يفرق بين من لا يكون قادراً متمكناً إلا في حال انفراده ،
لا في حال وجود نظيره ، وبين من يكون قادراً مطلقاً ، فيعلم أن الأول عاجز ،
قدرته مشروطة^(٣) بتمكن الغير له ، بخلاف الثاني .

وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى :
(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا^(٤)) ، لاعتقادهم أن توحيد الربوبية
الذي قرروه ، هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن ، ودعت إليه الرسل

(١) الأصل (ص) : على تكون . ولعل الكلام يستقيم بما زدته .

(٢) بعد أن ذكر الآمدى دليل التمانع في كتابه " أبقار الأفكار " قال (١ / ظ ١٦٨) : " وفيه نظر ؛ إذ
لقابل أن يقول : ما ذكرتموه من الأقسام المحالة إنما هو فرع تصور اختلاف الإلهين فسي الإرادة ،
وهو غير مسلم ، فلئن قلت : دليل تصور ذلك من خمسة أوجه . . . " وذكر هذه الوجوه واعتراضها
(١ / ظ ١٦٨ - ج ١٦٩) ، ومنها الوجه الذي ذكره ابن تيمية هنا .

(٣) الأصل (ص) : ما عدر ، بلا نقاط .

(٤) سورة الأنبياء : ٢٢ .

وليس الأمر كذلك ، بل التوحيد الذى دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب ، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

فإنَّ المشركين من العرب كانوا يُقرِّون بتوحيد الربوبية ، وأنَّ الله خالق السموات والأرض واحدًا ؛ كما أخبر عنهم تعالى بقوله : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (١) ، وقال تعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢) (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٣) ، وقال تعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (٤) ، وقال تعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (٥) .

إقرار مشركي
العرب بتوحيد
الربوبية

٢٣ ج

وأيضاً ففي القرآن العزيز من باب استفهام الإنكار، الذى يتضمن إقرارهم بتوحيد الربوبية ، ما يطول ذكره هنا ؛ كقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) (٦) ، وقوله تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَايِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَدِيمٍ لَكُمْ) (٧) .

(١) سورة لقمان : ٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦١ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٣ .

(٤) سورة الزخرف : ٩ .

(٥) سورة الزمر : ٣٨ .

(٦) سورة الأنعام : ٤٦ .

(٧) سورة النمل : ٦٠ .

وهذا في القرآن كثير، ما يحتج عليهم في إثبات توحيد الإلهية

بما اعترفوا به من توحيد الربوبية .

وقال تعالى : (قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ

قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) الآيات الثلاث (١)

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم ، بل

غالب شرك الأمم كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر من سببين :

١- تعظيم قبور وغيرهم : تارة يعتقدون أنها تماثيل قوم صالحين من الأنبياء ، الصالحين ، وتماثيل الصالحين ويتخذونهم شفعا يتوسلون بهم إلى الله .

وهذا كان أصل شرك العرب ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى

الله عليه وسلم : (أن عمرو بن لُحَيِّ بن قَمْعَةَ بن خِنْدِف هو أول من غيَّر

دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ونصب الأَنْصَاب حول البيت ، وَسَيَّب

السوائب ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم : (أنه رآه يَجْرُ قَصَبَهُ فِي النَّارِ)

أى أمعاءه . (٢)

(١) وهي قوله جل وعز : (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا

تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله

قل فاني تسحزون .) سورة المؤمنون : ٨٤-٨٩ .

(٢) في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/٥٤٧ رقم ٣٥٢١) كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة ؛ وصحيح

مسلم (٤/٢١٩٢ رقم ٢٨٥٦) كتاب الجنة . . . ، باب النار يدخلها الجبارون . . . ؛ مسند

أحمد (طه المعارف ١٦/٣١٩ - ٣٢٠ رقم ٨٧٧٣) عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه

وسلم : (رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب) ، زاد أحمد (وبحر البحيرة) .

وجاء اسم عمرو كما أثبت ابن تيمية هنا في روايات أخرى لحديث أبي هريرة ، في صحيح البخارى

٥٤٧/٦ (رقم ٣٥٢٠) ، وفي صحيح مسلم ٤/٢١٩١ .

وروى ابن جرير الطبرى (طه . المعارف ١١/١١٧ - ١١٨ بسنده - وهو في السيرة النبوية لابن

هشام ١/٧٨ - ٧٩ عن محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي صالح

السمان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي :

(يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعنة بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل

منك به ، ولا به منك) فقال أكثم : عسى أن يضرنى شبيهه ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : (لا ، انك مؤمن وهو كافر ، انه أول من غير دين اسماعيل - في السيرة زيادة : فنصب

الأوثان - وبحر البحيرة ، وسب السائبة - في السيرة زيادة : ووصل الوصيلة - وحمى الحامي) .

وروى ابن جرير ١١/١١٩ ، والحاكم في المستدرک ٤/٦٠٥ باسناديهما عن محمد بن عمرو

عن أبي سلمة عن أبي هريرة قريبا من هذا ، وفيه عند ابن جرير : (وهو أول من غير دين ابراهيم) / =

وكانت خزاعة ولاية البيت الحرام قبل قريش ، وكان عمرو هذا - فيما ذكره أهل السير - قد قدم أرض البلقاء من الشام فوجدهم يعبدون الأصنام ، ويقولون : إنهم يطلبون بهم الرزق والنصر . فجلب الأصنام إلى مكة ؛ فكان ذلك أول الشرك الذي غير به دين إبراهيم .^(١)

وقد قال تعالى : (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يفتوت ويعوق ونسراً . وقد أضلوا كثيراً)^(٢) . وقد ثبت في صحيح البخارى وكتب التفسير وقصص الأنبياء وغيرها ، / عن ابن عباس وغيره من السلف ، أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، وأن هذه الأصنام

ظ ٢٣

= / وعند الحاكم : (وغير عهد ابراهيم) ، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه " ، وصحح محمود شاكر هذين الخبرين في تفسير الطبرى ١١ / ١١٨ ، ١١٩ .
وقد فسر سعيد بن المسيب - كما في صحيح البخارى (رقم ٣٥٢١) وصحيح مسلم ٤ / ٢١٩٢ :
" البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، والسائبة التي يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء " ، وفي صحيح البخارى (٨ / ٢٨٣ رقم ٤٦٢٣) كتاب التفسير ، باب (ما جعل الله من بحيرة . . .) زيادة : " والوصيلة الناقة البكر تكرر في أول نتاج الابل بأثنى ، ثم تشنى بعد بأثنى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم أن وصلت احداهما بالأخرى ، ليس بينهما ذكر ، والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود ، فاذا قضي ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه من الحمل ، فلم يحمل عليه شيء " ، وسموه الحامي .

وفيه أحاديث أخرى ، في صحيح البخارى (٣ / ٨١) ومسلم (٢ / ٦١٩) وسنن النسائي (٣ / ١٠٧) عن عائشة ، وفي صحيح مسلم (٢ / ٦٢٢) ومسنند أحمد (طه . الحلبي) ٣ / ٣٧٤ عن جابر ، وفي مسند أحمد (طه . المعارف / ٦ / ١٣٠) عن عبد الله بن مسعود .
(١) كانت ولاية البيت الحرام بعد اسماعيل عليه السلام في ولده ، ثم في جرهم ، ثم في خزاعة حيث صارت الى عمرو هذا ، ثم في قريش .

انظر عن ذلك ، وعن عمرو : اسمه وسيرته وخبر خروجه الى الشام وقدومه بالأصنام ودعوته العرب لعبادتها - : كتاب " الأصنام " لابن الكلبي ، ص ٨ - ٩ ، ٥٣ ؛ السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٧٨ - ٨٢ ؛ تبيين ابليس ، ص ٥٣ - ٥٦ ؛ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢ / ٢٠٣ - ٣٠٧ ؛ البداية والنهاية ٢ / ١٨٤ - ١٩٣ ؛ فتح البارى ٦ / ٥٤٧ - ٥٤٩ ؛ الأعلام ٥ / ٨٤ .

(٢) سورة نوح : ٢٣ - ٢٤ .

بمعينها صارت إلى قبائل العرب؛ ذكرها ابن عباس قبيلةً قبيلةً^(١).
فتبين أن شرك العرب كان من جنس شرك قوم نوح، وأن الأصنام أصلها
تأثيل قوم صالحين، وشرك النصارى من هذا الجنس؛ فإنهم يصوّرون في الكنائس
صور من يحسنون به الظن ويتخذونه شفيماً ووسيلة إلى الله.
وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قال: قال لي علي بن
أبي طالب رضي الله عنه: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ؟ أَمْرِنِي أَنْ لَا أَدْعَ قَبْرًا مَشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تَمَثَّلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ^(٢). وفي
الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضٍ مَاتَ فِيهِ:
(لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).

(١) روى البخاري في صحيحه (فتح الباري ٦٦٧/٨ رقم ٤٩٢٠) كتاب التفسير، باب (ودا ولا سواعا
...) عن ابن عباس رضي الله عنهما: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بمعد،
أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يافوث فكانت لمراد، ثم
لبني غطفان بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير؛ لآل ذي الكلاع
. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى
مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك
أولئك وتنسخ العلم عبدت".

وأورد الطبري في تفسيره (ط. الحلبي) ٩٩/٢٩ عن قتادة.
وذكر ابن الكلب في كتاب "الأصنام" ص ٥٣-٥٧ أن ما الطوفان قذف هذه الأصنام
إلى أرض جدة، فسفت الريح عليها حتى وارتها، ثم إن عمرو بن لحي كان كاهناً له رثي من الجن،
فقال له: عجل بالمسير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، أئت صف جدة، تجد فيها
أصناماً معدة، فأوردتها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، فأتى شط جدة
فاستأثرها، ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة. ومن
أجابته دافع إليه صنما منها، فصارت اليهم كما ذكر ابن عباس وقتادة ولكن أول صنم نصبه عمرو هو
الذي قديم به من الشام. وقد ذكر ابن هشام في السيرة ٧٩/١ أنه يقال له: هبل. ولم تنزل
هذه الأصنام وغيرها تعبد حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فسامر بهدمها.
هو أبو الهياج حيان بن حصين الأسدي، الكوفي، ثقة، روى عن عمر وعلي.
انظر الجرح والتعديل ٢٤٣/٣، خلاصة تذهيب تذهيب الكمال، ص ٩٦.

(٢) الحديث في صحيح مسلم ٦٦٦/٢ - ٦٦٧ (رقم ٩٦٩) كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبور؛
سنن أبي داود (عون المعبود ٣٥-٣٦) كتاب الجنائز، باب في تسوية القبور، سنن النسائي
٧٣/٤، كتاب الجنائز، باب تسوية القبور؛ جامع الترمذي (تحفة الأحمدي ١٥٠/٤) أبواب
الجنائز، باب ماجاء في تسوية القبور؛ مسند أحمد (ط. المعارف) ١٠٥/٢ (رقم ٧٤١) ٢٣٦/٢
- ٢٣٧ (رقم ١٠٦٤).

ولم يرد في هذه المواضع عبارة "أمرني"، وقوله: (أن لا أدع...) إلى آخره، هو لفظ سنن أبي
داود، لكن في صحيح مسلم: (أن لا تدع تماثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)، وفي رواية
لمسلم: (ولا صورة إلا طمستها).

يُحذِّر مافعلوا، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يُتَّخَذَ
مسجداً (١).

وفي الصحيحين أنه ذكر له صلى الله عليه وسلم في مرضي موته كنيسة
بأرض الحبشة ؛ وذكر من حسناتها وتصاوير فيها . فقال صلى الله عليه وسلم :
(إن أولئك إنا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوّروا فيه
تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) (٢) . وفي صحيح مسلم
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس : (إن من كان قبلكم كانوا
يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن
ذلك ، ولو كنت متَّخذاً من أهل الأرض خليلاً لا تتَّخذت أبا بكر خليلاً) (٣).

(١) في صحيح البخارى (فتح البارى / ١ / ٥٢٢ رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦) كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو
اليمان قال أخبرنا شعيب . . . ، وصحيح مسلم (١ / ٣٧٧ رقم ٥٣١) كتاب المساجد . . . ،
باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . ، عن عائشة وعبد الله بن عباس قالا : لما نزل برسول
الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ،
فقال :- وهو كذلك - (لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر
ما صنعوا .

وفي صحيح البخارى (فتح البارى / ٣ / ٢٥٥ رقم ١٣٩٠) كتاب الجنائز ، باب ماجاء في قبر
النبي صلى الله عليه وسلم . . . ، وصحيح مسلم (١ / ٣٧٦ رقم ٥٢٩) عن عائشة قالت : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد) ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه حشى - أو حشى - أن يتخذ مسجداً . هذان
لفظ البخارى ، ورواهما في مواضع أخر بالفاظ متقاربة ، وروى البخارى ومسلم بمعناهما عن أبي
هريرة أيضا .

(٢) الحديث عن عائشة ، أوله : أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير . . .
الخ .

وهو في صحيح البخارى (فتح البارى / ١ / ٥٢٣ - ٥٢٤ رقم ٤٢٧) كتاب الصلاة ، باب هل
تنبش قبور مشركي الجاهلية . . . ، وصحيح مسلم (١ / ٣٧٥ رقم ٥٢٨) ، كتاب المساجد . . . ،
باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . .

(٣) في صحيح مسلم (١ / ٣٧٧ - ٣٧٨ رقم ٥٣٢) كتاب المساجد . . . ، باب النهي عن بناء
المساجد على القبور . . . ، عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل
أن يموت بخمس ، وهو يقول : (اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله تعالى قد
اتخذني خليلاً ، كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا تتخذت أبا بكر
خليلاً ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا
القبور مساجد ، اني أنهاكم عن ذلك) .

ومن أسباب الشرك عبادة الكواكب واتخاذ [الأصنام لها] بحسب ما يظن (١) أنه مناسب للكواكب من طبائعها وغير ذلك، وشرك قوم إغراهيم عليه الصلاة والسلام كان فيما يقال من هذا الباب، وكذلك الشرك بالملائكة والجن واتخاذ الأصنام لهم .

وهؤلاء المشركون كانوا مقرّين بالصانع سبحانه، وأنه ليس للعالم صانعان؛ ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعا؛ كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَبْتَئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢). وقال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَنْ نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (٣).

وقال تعالى عن صاحب يس: (وَمَالِي لَا أُعْبِدُ الذِّي فَطَرَنِي وَالِيهِ تَرْجِعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ . إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) (٤). وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (٥). وقال تعالى: (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِلَّهِ) (٦).

ولهذا يقول سبحانه: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلِهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (٧). فإن الله تعالى

(١) الأصل (ص): واتخاذ بحسب. وزدت ما بين المعكوفين .

(٢) سورة يونس: ١٨ . في الأصل (ص): ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم .

(٣) سورة الأنعام: ٩٤ .

(٤) سورة يس: ٢٢-٢٥ .

(٥) سورة الزمر: ٣ .

(٦) سورة البقرة: ١٦٥ .

(٧) سورة المؤمنون: ١١٧ .

لم ينزل بهذا الشرك كتابا ، ولا أرسل به رسولا ؛ كما قال تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آية يعبدون)^(١) .
وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)^(٢) .

وقال تعالى عن أهل الكهف : (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آية لولا يأتون عليهم بسلفان بين)^(٣) . وقال تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه واتقوه واقموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) .
الى قوله : (اذا هم يقنطون)^(٤) .

وكذلك قوم ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يكونوا معطلة للصانع سبحانه ، ولا كان استدلال ابراهيم بالأقول على اثبات الصانع ، كما تظنه طائفة من أهل الكلام ؛ بل كانوا مشركين مقرين بالصانع ؛ ولهذا قال الخليل : (أفرايتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لي الا رب العالمين)^(٥) .
وقال تعالى : (فلما أفلت قال يا قوم اني برى مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون)^(٦) .

(١) سورة الزخرف : ٤٥ .

(٢) سورة الانبياء : ٢٥ .

(٣) سورة الكهف : ١٥ .

(٤) وهو قوله تعالى : (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أنزقهم منه رحمة اذا فريق منهم برىهم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون . أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون . واذا أنقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون .) سورة الروم : ٣٠ - ٣٦ .

(٥) سورة الشعراء : ٧٥ - ٧٧ .

(٦) سورة الأنعام : ٧٨ - ٨١ .

وقال تعالى : (وان قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون .
الا الذي فطرني فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون) .^(١) وقال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه ان قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) .^(٢)

فلو أقر الرجل بتوحيد الربوبية الذي يقربه هو^١ النظر، ويفسني
فيه كثير من أهل التصوف ويجعلونه غاية السالكين ؛ كما ذكره صاحب " منازل
السائرين " ^(٣) وغيره ، وهو مع ذلك لم يعبد الله وحده ويبرأ من عبادة
ماسواه - كان مشركا من جنس أمثاله من المشركين .

(١) سورة الزخرف : ٢٦ - ٢٨ .

(٢) سورة المتحنة : ٤ .

(٣) هو أبو اسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) يدعى
شيخ الاسلام ، نقيه حنبلي ، وأمام في التفسير والحديث والتصوف ، توفي بهراة .
انظر عنه : طبقات الحنابلة ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٥٠ - ٦٨ ؛
مناقب الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ، ص ٦٣٢ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ١٣٥ ؛
الأعلام ٤ / ١٢٢ .

وقد طبع كتاب " منازل السائرين " ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م بمصر ، وشرحه
ابن قيم الجوزية في كتاب " مدارج السالكين " وبين ابن القيم في مدارج السالكين مالمخصه : أن
الفناء مصدر فني يفنى فنا ، اذا اضمحل وتلاشى وعدم ، . . . ولكن القوم اصطلموا على وضع
هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية ، والغيبية عن شهود الكائنات .
وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان : الفناء عن وجود السوى ، والفناء عن شهود السوى ، والفناء
عن ارادة السوى .

فأما الفناء عن وجود السوى ، فهو فنا الملاحظة القائلين بوحدة الوجود ، وأنه ماشم غير . .
وأما الفناء عن شهود السوى ، فهو الفناء الذي يشير اليه أكثر الصوفية المتأخريين ،
ويعدونه غاية ، وهو الذي بنى عليه أبو اسماعيل الأنصاري كتابه ، وجعله الدرجة الثالثة فسي
كل باب من أبوابه ، وليس مرادهم فنا وجود ماسوى الله في الخارج ، بل فناؤه عن شهودهم
وحسبهم ، فحقيقته غيبية أحدهم عن سوى مشهوده ، بل غيبته أيضا عن شهوده نفسه ، لأنه يغيب
بمعبوده عن عبادته ، ومدكوره عن ذكره . . . وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية .
والفناء عن ارادة السوى هو فنا خواص الأولياء والمقربين ، وهو أن يفنى بعبادة محبوبه
عن عبادة ماسواه ، ويحب وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه ، عن حب ماسواه
وخوفه ورجائه والتوكل عليه .

انظر سائر كلامه ١ / ١٥٤ - ١٦٩ .

والقرآن ملوؤ من تقرير هذا التوحيد ، وبيانه ، وضرب / الأمثال له ؛ ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية ، ويبين أنه لا خالق غير الله ، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد الا الله ؛ فيجعل الأول دليلا على الثاني ، ان كانوا يسلمون الأول وينازعون في الثاني ؛ فبين لهم سبحانه أنه اذا كنتم تعلمون أنه لا خالق الا الله ، وهو الذى يأتي العباد بما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم ، لا شريك له في ذلك - فلماذا تعبدون غيره ؟ وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ .

كقوله تعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون) . الى قوله : (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أأله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) . (١) يقول تعالى : أأله مع الله فعل هذا ؟ . وهذا استفهام الانكار يتضمن نفي ذلك ، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله ، فاحتج بذلك عليهم .

وليس المعنى أنه استفهام : هل مع الله إلهة ؟ . كما ظنه بعضهم ؛ فان المعنى لا يناسب سياق الكلام ، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى ، كما قال تعالى : (أأنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد) . (٢) وكانوا يقولون : (أجعل الآلهة إلهها واحدا ان هذا الشيء عجاب) . (٣) لكنهم ما كانوا يقولون : ان معه إلهها جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا ، بل هم مقررون بأن الله وحده فعل هذا ، وهكذا سائر الآيات بعد هذه الآية .

(١) (. . .) أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أأله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا . . . لا يعلمون) سورة النمل : ١٩ - ٦١ .

(٢) سورة الانعام : ١٩ .

(٣) سورة ص : ٥٠ .

(٤) الأصل (ص) : بل هم مقرين بالله .

كما تقولهُ الثنوية في الظلمة ، وكما تقولهُ القدرية في أفعال الحيوان ، وكما تقولهُ الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك ، أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، فان [هؤلاء و] نحوهم^(١) يثبتون أموراً محدثة بدون أحداث الله تعالى إياها ؛ فهم شركون^(٢) في بعض الربوبية ، وكثير من شركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئاً من هذا ، وأنها تنفعه وتضره ، بدون أن يخلق الله ذلك . فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجوداً في الناس ، بين القرآن بطلانه ؛ كما في قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض)^(٤) .

وبيانه أن تقدم مقدمة تبين أن وجود العالم عن صانعين متماثلين^(٥) ممنوع لذاته ، وأن العلم بذلك مستقر في الفطرة ، معلوم بصريح العقل ، بل ممنوع في جميع ما يقدر مؤثراً ، سواء سمي علة أو فاعلاً أو غير ذلك ؛ يمتنع أن يجتمع [في] الأثر الواحد مؤثران كل منهما مستقل بالتأثير .

مقدمة في بيان امتناع وجود العالم عن خالقين متماثلين

وامتناع هذا متفق عليه بين العقلاء ؛ فانه إذا قدر أن هذا وحده استقل بالتأثير امتنع أن يكون له شريك ، فضلاً عن أن يكون غيره مستقلاً بالتأثير وحده . وذلك أنه إذا قدر للعالم صانعان متماثلان ، فلا بد أن يكونا متساويين في القدرة ، بل إذا قدر صانعان متماثلان ، أو غير متماثلين ، فلا بد من كون كل منهما قادراً ؛ إذ الفعل بدون القدرة ممنوع .

وحينئذ فاما أن يكون كل منهما حال انفراده قادراً ، واما أن لا يكون قادراً إلا مع الآخر ، والثاني ممنوع لذاته ؛ وذلك أنه إذا لم يكن هذا

(١) الأصل (ص) : فان نحوهم ، ولعل ما زدتَه يستقيم به الكلام .

(٢) " " : فهم الشركون .

(٣) " " : في الهية شيء .

(٤) سورة المؤمنون : ٩١ .

(٥) الأصل (ص) : وبيان أن تقدم مقدمة تبين ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٦) " " : يجتمع الأثر . وزدت " في " ليستقيم الكلام .

حال انفراده قادرا ولا هذا حال انفراده قادرا : فعند اجتماعهما اما أن يحصل شيء ما كان حاصلًا حين انفرادهما ، واما أن لا يحصل ، والأول ممتنع ، فتمين الثاني ؛ وحينئذ فيلزم أنهما اذا كانا مسلوبى القدرة حال الانفراد ، أن يكونا مسلوبى القدرة حال الاجتماع .

وبيان امتناع الأول ، أنه حال الاجتماع لو حصل لهما قدرة لم تكن حال الانفراد : فاما أن تحصل منهما أو من غيرهما ، وكلاهما ممتنع ؛ أما منهما^(١) فلا يحصل ذلك ، [لأنه]^(٢) انما يحصل اذا كان لأحدهما قدرة حال انفراده ، واما اذا لم يكن لواحد منهما قدرة حال انفراده : امتنع أن يجعل غيره قادرا حال اجتماعه معه ؛ لأن ذلك يستلزم الدور القبلي ، وهو الدور/ في المؤثرات الذى هو باطل باتفاق العقلاء .

ظ ٢٥

فانه اذا كان كل منهما غير قادر حال الانفراد ، امتنع أن يجمع لأحدهما الآخر قادرا حين الاجتماع ؛ فان الاقدار فرع على القدرة فمن لا يكون في نفسه قادرا : امتنع أن يجعل غيره قادرا ، واذا كان هذا لا يقدر حتى يجعله ذاك قادرا ، وذاك لا يكون قادرا حتى يجعله هذا قادرا - لم يصير واحد منهما قادرا ، كما أنه اذا لم يصير هذا فاعلا أو موجودا حتى يجعله ذاك^(٣) فاعلا أو موجودا - امتنع أن يصير واحد منهما فاعلا وموجودا .

بخلاف هذا ، الدور المعنى الاقتراضي ؛ كما اذا قيل : لا تحدث الأبوة الا مع البنوة ، ولا البنوة الا مع الأبوة ، فان هذا ممكن ، اذا لم يكن أحدهما مؤثرا في حدوث الآخر ، ولا جزءا من المؤثر ، بل كلاهما حادث عن سبب منفصل ؛ فان ايلاد الأب أوجب أبوته وبنوة الابن في حال واحد .

(١) الأصل (ص) : ممتنع مبهما أما مبهما .

(٢) " " : انما يحصل ، وزدت "لأنه" .

(٣) كذا في الأصل (ص) ولعل الصواب : هذا .

والقدرة^(١) بها يعبر الفاعل فاعلا ؛ فاذا كان يتمتع أن يكون فعل كل منهما موثرا في كون الآخر فاعلا ؛ فامتناع أن تكون قدرة كل منهما هي الموثرة في كون الآخر قادرا أظهر وأظهر ، بخلاف ما اذا كان لهذا نوع قدرة ولهذا نوع قدرة ، فانه عند الاجتماع تجتمع القدرتان ، فتكون قدرة الاثنين حال الاجتماع أقوى من قدرة أحدهما حال الانفراد ، وكذلك اذا كان هذا فاعلا بنفسه وهذا فاعلا بنفسه ؛ فانهما اذا تعاونوا كان فعلهما أقوى من فعل أحدهما وحده .

وأما اذا قدر أحدهما حال انفراده لاقدره له أصلا ، ولافعل له أصلا ، امتنع أن يصيرا حال الاجتماع قادرين فاعلين ، الا [أن] يحدث لهما ذلك من ثالث غيرهما ، وهذا هو التقدير الثاني ، وهو أن يقال : انه لاقدره لواحد منهما حال الانفراد أصلا ، لكن حال الاجتماع يصيران قادرين بسبب من غيرهما .

فيقال : هذا مستنع في حق الربين اللذين قدر أنهما خالقان لكل ماسواهما ؛ ان ليس فوقهما أحد يعطيها قدرة ولاغيرها ، ولأن الرب الخالق متى جعله غيره قادرا ، كان ذلك الذي أقدره هوربه ؛ وهو أحق بأن يكون الخالق دونه ، ان كان في نفسه عاجزا ، لم تحصل له القدرة الا من ذاك .

وبهذا يتبين لك الفرق بين اشتراك الاثنين المخلوقين وبين تقدير اشتراك الاثنين الخالقين ؛ فانه مثلا اذا جمع^(٤) بين الأجزاء المختلطة ، كأجزاء الطبيخ وأجزاء البناء ونحو ذلك ، فقد تحدث بالاجتماع حال ثالثة لم تكن لأحدهما حال الانفراد ، لكن تلك تكون بسبب منفصل عنهما أو بشركة في فعلهما ، أما اذا قدر أنه لاقدره لواحد منهما حال انفراده ، ولاهناك

(١) الأصل (ص) : والقدرة .

(٢) " " : الا يحدث . ولعل زيادة " ان " يستقيم بها الكلام .

(٣) " " : الذي .

(٤) " " : أجمع .

ثالث غيرها يعطيها قدرة حال اجتماعهما ، امتنع أن يصيرا حال الاجتماع
قادرين ، إلا أن يكونا حال الانفراد قادرين .

فتبين بهذا البيان الباهر، أن تقدير ريبين للعالم، لا يكونان / قادرين ،
إلا حال الاجتماع متمتع لذاته ، وإن كان ذلك ممكنا في اثنين مخلوقين ،
يحدث لهما^(١) حال الاجتماع صفة لم تكن حاصلة لهما حال الانفراد ؛ فذاك
من غيرهما ، أو بسبب قوة فيهما حال الانفراد ، فأما مع انتفاء هذين فمتنع ،
وهذا المعنى قد ذكره غير واحد من النظار: كالقاضي أبي بكر الباقلاني والقاضي^(٢)
أبي يعلى وغيرهما .^(٣)

وسا يبين ذلك أن الصانع للعالم لا بد أن تكون له قدرة من لوازم
ذاته ، يتمتع أن تكون قدرته مستفادة من غيره ؛ فان ذلك الغير ان كان
مصنوعا له لزم الدور القبلي : وهو أن يكون هذا هو الذي أقدره هذا ،
وذلك متمتع بصريح العقل واتفاق العقلاء كما تقدم بيانه ، كما يتمتع أن يكون
هذا هو الذي خلق هذا ، وهذا هو الذي خلق هذا . وان كان مصنوعا
لغيره لزم التسلسل في العلل والمؤثرات ، وهذا فاسد بالضرورة واتفاق
العقلاء كما قد بسط هذا في موضع آخر . وان لم يكن مصنوعا له ولا لغيره
لزم أن يكون قديما واجب الوجود بنفسه .

وحينئذ فقد رت ان كانت من لوازم نفسه ، ثبت أن قدرة الرب القديم
الواجب من لوازم نفسه ، وهو المطلوب ، وان كانت من غيره لزم الدور القبلي
والتسلسل في التأثير ، وكلاهما متمتع بالضرورة واتفاق العقلاء . واحترزنا بذلك

(١) الأصل (ص) : يحدثه لها ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ذكر الباقلاني في كتاب " الانصاف " ، ص ٣٠ دليل التمانع ، ثم قال ص ٣٠ - ٣١ : " فان قيل : فيجوز
أن لا يختلفا في الارادة ، قلنا هذا القول يوردى الى أحد أمرين : اما أن يكون ذلك لقول أحدهما
للآخر : لا ترد الا ما أريد ، فيصير أحدهما آمرا والآخر مأمورا ، والمأمور لا يكون لها ، والامر
على الحقيقة هو الاله ، أو يكون كل واحد منهما لا يقدر أن يريد الا ما أراد ، الآخر ، ولو كان
كذلك دل على عجزهما ، ان لم يتم مراد واحد منهما الا بارادة الآخر معه ، وانما ثبت هذا بطل
أن يكون الاله الا واحدا ، على ما قررناه " .

(٣) في كتاب " المعتمد " ، ص ١٤ ذكر القاضي أبو يعلى دليل التمانع ، ولم يزد عليه .

عن التسلسل في الآثار فان فيه نزاعا ؛ وأكثر أئمة الحديث وأئمة الفلاسفة يجيزونه ، وكثير من أهل الكلام يمنعه .

وإذا كانت قدرة صانع العالم من لوازم نفسه : فإذا قدر صانعان لزمت أن تكون قدرة كل منهما من لوازم نفسه ، إذ لو كانت قدرته مستفادة من الآخر ، أو بالثالث ، لزم الدور . أو التسلسل الباطلان .

وهذا المعنى صحيح ثابت ، كلما أمعن النظر فيه ازداد بيانا ووضوحا ؛ وذلك أن كون الفاعل الخالق لا بد أن يكون قادرا هو من المعلوم بضرورة العقل ؛ فإذا قدر خالقان فلا بد أن يكون كل منهما قادرا ، ويمتنع أن لا يصير هذا قادرا الا بهذا ، ولا يصير هذا قادرا الا بهذا ، كما يمتنع أن لا يكون فاعلا مؤثرا الا به ، وكما يمتنع أن لا يكون موجودا الا به ؛ فان كونه موجودا بنفسه ، قادرا بنفسه ، فاعلا بنفسه - من لوازم كونه واجبا بنفسه .^(١)

وحيثئذ ، فإذا كان لا بد من قدرة كل منهما حال الانفرد : فمن هنا يظهر صحة دليل التمانع ، الذي استدلل به النظار ، وغيره من الأدلة ، وببسيان أن كثيرا من النظار ، إنما لم يقرر هذه المقدمة لظهورها ووضوحها ، وكونها من المقدمات الضرورية ؛ مثل امتناع الدور القبلي وتسلسل الفاعل ؛ فان أكثر النظار لم يحتاجوا الى تقدير ذلك بالدليل ؛ لكونه من العلوم الضرورية التي تحصل عند التصور التام حصولا لا يمكن دفعه ، وإنما تشبه على بعض الناس لعدم التصور التام المستلزم للعلم الضروري ، وقد يكون بعض النظار يترك تقدير بعض المقدمات لأسباب أخر .

وكان عادة بعض النظار يأخذون وجوب كون الصانع قادرا حال الانفرد مسلما ؛ لأن كل واحد يعلم أن الصانع لا بد أن يكون قادرا ، وأن المشتركين المتعاونين على الفعل لا بد أن تكون لأحدهما قدرة على معاونة الآخر ، وتسلك

القدرة حاصلة حال انفراده - وان كانت بمشاركة الآخر تزيد القوة - وان لم تكن له حال الانفراد^(١) قوة : فما يحدث حال الاجتماع لا بد فيه من سبب ثالث؛ ولهذا لم يحتج بيان القرآن الى ذكر هذه المقدمة لظهورها .

اذا تبين هذا ظهر امتناع وجود خالقين من وجوه متعددة :
أحدها - أن يقال : اذا كان كل منهما قادرا حال الانفراد : فقدرت من لوازم ذاته ؛ ليست مستفادة من غيره ، وقد فرضنا أنهما متماثلان - ان التقدير الآخر سيأتي الكلام عليه - فلا بد حينئذ أن يقدر كل منهما حال انفراده على ما يقدر عليه الآخر حال انفراده ، والا لم يكونا متماثلين .

ظهور امتناع وجود خالقين من وجوه : الوجه الأول :

وانا كان كذلك ، فعند الاجتماع اما [أن] لا تبقى^(٢) قدرة كل منهما كما كانت واما أن تبقى ؛ فان كان الأول لزم أن يقدر كل منهما على كل ما يقدر عليه الآخر حال الاجتماع ، لكن هذا مستنع لذاته ؛ لأن أحدهما حال الانفراد يقدر على تحريك هذا ان شاء ، وعلى تسكينه ان شاء ، وفي حال الاجتماع ، اذا جعل هذا قادرا على التحريك والتسكين ، كان هذا متمعا لذاته سواء اتفقا أو اختلفا .

أما [اذا] اتفقا^(٤) ، فلأن أحدهما لا يمكنه تحريك هذا الا اذا لم يحركه الآخر ، والا فوجود المفعول الواحد من كل منهما على التمام متمنع لذاته ، وهذا هو الذي يقال فيه : يتمتع وجود مقدور واحد بين قادرين مستقلين ؛ وأثر واحد بين مؤثرين مستقلين ، وفعل واحد بين فاعلين مستقلين ؛ فان الاستقلال يقتضي أن هذا فعله وحده ، وهذا يناقض كون الآخر فعل^(٥) بعضه ، فضلا عن أن يكون الآخر فعله كله .

(١) الأصل (ص) : الانفراده .

(٢) " " : سدر . بدون نقاط .

(٣) " " : اما لاسى . بدون نقاط .

(٤) " " : أما اعما . بدون نقاط .

(٥) " " : فعله .

وهذا بين واضح ، مستقر في العقول بعد تصوره ؛ فان الانسان يعلم أنه يمتنع أن يكون هذا وحده بنى هذه الدار، وهذا وحده بناها بعينها ، حال بناء الأول ، وكذلك في سائر المفعولات .

واذا كان صدور المقدور عن كل منهما على سبيل الاستقلال حال صدوره عن الآخر ، ممتنعا لذاته ؛ لأنه يستلزم الجمع بين النقيضين ، ويلزم أن يكون كل منهما هو الذي فعله وهو لم يفعله - تبين أن كون أحدهما قادرا على أن يفعل شيئا حال ما يكون الآخر قادرا على أن يفعله [- ممتنع]^(١) .

وهذا موجود في المخلوقين ؛ فان القادرين على الفعل ، لا يمكن أحدهما فعله الا في حال لم يفعله الآخر فيه ، فلا يكون أحدهما قادرا على الفعل حال كون الآخر قادرا عليه ، واذا قيل : " هما قادران " ، فالمراد أنهما قادران على البذل ؛ أى هذا قادر [على الفعل]^(٢) في حال لا يمكن الآخر أن يفعله أيضا في تلك الحال ، وهذا ان القادران لا يكون أحدهما متمكنا من الاستقلال بالفعل الا اذا مكنه الآخر ، فلم يفعله ، ولم يشاركه فيه ، كما هو / المفعول في الفاعلين ؛ فاذا كانت قدرة كل منهما على كل مقدور الآخر : من لوازم ذاته ، وفي حال الاجتماع تمتنع هذه القدرة - لزم في حال الاجتماع زوال قدرة كل منهما ، وهذا ممتنع من وجوه :

ج ٢٧

منها أن لوازم ذات واجب الوجود لا تعدم الا بعدم ذاته ؛ فان اللازم لا يعدم الا اذا عدم الملزوم ، والا لم يكن لازما ، وعدم ذات واجب الوجود ممتنع ؛ فعدم لوازم ذاته ممتنع ؛ فعدم قدرته ممتنع ، ووجود قادر مستقل حال قدرته عليه ممتنع ؛ لاستلزامه الجمع بين النقيضين كما تقدم ، ووجود مساو له في القدرة ممتنع ، وهذا هو المطلوب ؛ أن وجود ربيين

متماثلين في القدرة ممتنع لذاته .

- (١) ممتنع : ليست فسي الأصل (ص) : وأضفتها ليتم الكلام .
- (٢) علي الفعل : ليست في الأصل (ص) : وأضفتها ليستقيم الكلام .
- (٣) الأصل (ص) : وهذا ان .
- (٤) " " في الموضوعين : بوجود ، ولعل الصواب ما أثبتته .

ومنهما أنه اذا كان كل منهما قادرا حال الانفراد ، امتنع زوال قدرته
حال الاجتماع ؛ لأن المؤثر في زوال قدرة كل منهما [قدرة كل منهما]^(١) حال
عدم قدرة كل منهما ، وهو جمع بين النقيضين .

ومنهما أنه اذا قدر زوال قدرتهما حال اجتماعهما لزم امتناع الفعل
حال الاجتماع ؛ فيكون صدور الفعل منهما حال الاجتماع ممتنعا ، وهذا هو
المطلوب .

ومنهما أن الحوادث موجودة ضرورة ، وصدورها [عن خالقين] متفقين^(٢)
ممتنع ؛ فيلزم امتناع اثنين متفقين مستقلين متماثلين ، وهو المطلوب .

فهذا اذا قدر اتفاقهما ، وأما اذا قدر اختلافهما ، بحيث يريد^(٣)
أحدهما ضد مراد الآخر - والتقدير أنها متماثلان في القدرة - فممتنع أيضا^(٤) ،
لأنه حينئذ يمتنع وجود أحد المرادين لتساوي القادرين ، فترجيح أحدهما
مع التساوي ممتنع ؛ فلا يوجد مراد واحد منهما ؛ فيلزم عجز كل منهما عن
بلوغ مراده وعدم قدرته عليه ، فيلزم عدم قدرة كل منهما عند الاختلاف ،
كما يلزم عدم قدرة كل منهما عند الاتفاق ، اذا قدر كل منهما مستقلا
بالفعل .

لكن عدم قدرة كل منهما محال ، لما تقدم من أنها ممتنعة العدم ؛
لأنها من لوازم ما يمتنع عدمه ، وما امتنع عدمه امتنع عدم شيء من لوازمه ؛ فان
عدم اللازم يوجب عدم الملزوم ، فاذا كان عدم الملزوم ممتنعا كان عدم لوازمه
ممتنعا .

وأیضا فلأنه لو عدت قدرة كل منهما بالآخر ، كان كل منهما قادرا حين
لا يكون قادرا ؛ فانه انما تمتنع قدرة الآخر بقدرته ، فيمتنع أن يكون هذا

(١) ما بين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ورجحت أن يكون ساقطا .

(٢) ما بين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ولعل المطلوب ما أثبتته .

(٣) الأصل (ص) : بحسب .

(٤) " " : ممتنع .

مانعا لقدرة هذا ؛ وهذا مانعا لقدرة هذا، كما يمتنع أن يكون هذا محصلا
لقدرة هذا ؛ وهذا محصلا لقدرة هذا .

فتبين أن وجود ريين قادرين مستقلين ممتنع لذاته سواء فرض اتقاقهما
أو اختلافهما ، وقد تبين امتناع وجود ريين غير مستقلين ؛ فثبت امتناع وجود
ريين للعالم على كل حال ، وهو المطلوب .

الوجه الثاني

ومن وجه آخر ؛ أن يقال : اذا كان كل منهما قادرا حين الانفرد كما
تقدم : أمكن وجود مقدوره ، والا لم يكن قادرا ، وحينئذ فيمكن أن
يريد تحريك ما أراد الآخر تسكينه ، ان لو لم يتمكن من هذه الارادة لكان
عاجزا ، وحينئذ فاذا أراد أحدهما ضد مراد الآخر ، امتنع حصول مرادهما
جميعا ، وعدم مرادهما جميعا ، ولزم وجود مراد أحدهما دون الآخر ، والذي^(١)
حصل مراده هو القادر فهو الرب ، والآخر ليس بقادر فليس برب .

ظ ٢٧

وذلك أنه ان حصل مرادهما لزم اجتماع الضدين وهو محال ، وان لم
يحصل مراد أحدهما لزم كون كل منهما غير قادر على تحصيل مراده ؛ وقد ثبت
أن كلا منهما قادر^(٢) على مثل مقدور الآخر ؛ فيلزم أن يكون كل منهما قادرا
على تحصيل مراده ؛ وأن لا يكون قادرا على تحصيل مراده وهذا جمع بين
النقيضين ، وأن يكون كل منهما قادرا على مثل مقدور الآخر ، غير قادر على مثل
مقدور الآخر ، وهو جمع بين النقيضين أيضا .

فان أحدهما حال الانفرد هو قادر على مثل مقدور الآخر ، فاذا كان
غير قادر حال الاجتماع ، يلزم زوال قدرة كل منهما ، وهو ممتنع كما تقدم ،
فتبين أن تقدير ريين متماثلين ممتنع لذاته ، مستلزم أن يكونا قادرين ، غير
قادرين ، وذلك ممتنع لذاته .

(١) الأصل (ص) : لا . بلا نقاط ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) " " : قادرا ، وهو خطأ .

الوجه الثالث

ومن وجه آخر ؛ أن يقال : اذا قدر ريان ؛ فاذا أراد أحدهما فعلا ، فان أمكنه أن يستقل به ، لزم قدرة كل منهما على أن يستقل بما لا يستقل به الآخر ، وذلك يستلزم الجمع بين النقيضين ؛ لاستلزام ذلك كون الفعل الواحد بين الفاعلين المستقلين ، وهو ممتنع ، مستلزم للجمع بين النقيضين كما تقدم . وان لم يمكنه أن يستقل به ، بل لا بد من معاونة الآخر له ، لزم أن لا يكون أحدهما حال الانفراد قادرا على شيء* ، بل يصيران قادرين حال الاجتماع ، بدون سبب يوجب ذاك لانهما ولا من غيرهما ، وهذا ممتنع ، وقد تقدم أن هذا ممتنع ، ومستلزم للدور القبلي ، الباطل بصريح العقل واتفاق العقلاء .

وأیضا فلا بد أن تكون للرب قدرة من لوازم نفسه ، لا يفترق فيها السى غيره ، والا لزم الدور القبلي والتسلسل في المؤثرات ؛ وحينئذ فيمتنع أن تكون قدرة أحدهما موقوفة على غيره ، وافتقاره الى من يعينه يستلزم أن تكون قدرته موقوفة على غيره .

وهذه الأدلة وما أشبهها ، كلما فهمها الانسان ازداد بصيرة ، وعلم أنه من الممتنع أن لا يكون الرب قادرا ؛ ومن الممتنع لذاته وجود ريبين متماثلين في القدرة .

وحيئنذ فاذا قدر ريان فلا بد أن يكون أحدهما مختصا بقدرة لا يماثله فيها الآخر ؛ وحينئذ فيلزم أن يذهب كل اله بما خلق ، ويعلو بعضهم على بعض .

لازما تقديير خالقين متفاضلين

أما اللازم الأول - وهو نهاب كل اله بما خلق - فهذا لازم ، سواء فرضنا متماثلين في القدرة أو متفاضلين فيها ، وان كان كل / من التقديرين ممتنعا ، لكن بطلان هذا اللازم مما يدل على امتناع كل منهما ؛ وذلك لأنه قد تبين أنه يمتنع أن يكون المفعول الواحد فعلا^(١) لكل منهما على سبيل

اللازم الأول : نهاب كل اله بما خلق ٢٨ ج

(١) الأصل (ص) : فعل ، وهو خطأ .

الاستقلال ، ويمتنع أيضا التعاون : بحيث لا يصير أحدهما قادرا الا اذا أعان الآخر ، ولا يصير فاعلا الا اذا [أعانه] الآخر^(١) .

ويبين ذلك ، أن ذلك تمتنع لذاته ، بل لا بد أن يكون أحدهما قادرا على الفعل ؛ يفعل بإرادته دون معاونة الآخر ، واذا كان كذلك ، وجب أن يتميز مفعوله عن مفعول الآخر ، وأن يذهب بمفعوله ؛ لأنه لا يجب اختلاط المفعولين الا اذا احتاج أحد الفاعلين الى الآخر ؛ كالحاملين للخشبة ، لا يقدر أحدهما على حملها الا بمعاونة الآخر ، فلا يتميز أثره في الخشبة عن أثر الآخر .
فأما القادر - الذي يمتنع افتقاره الى من يعينه ، وقدرته من لوازم ذاته ، الغنية عن أن يجعله غيره قادرا - فهذا مقدوره متميز مستقل .

فان اختلاط أحد المقدورين بالآخر ، ان كان لحاجته اليه ، لزم افتقار القادر الغني عما سواه الى غيره ، وهو جمع بين النقيضين ، وان اختلط بغيره مع استقلاله وغناه عن غيره ، كان هذا متنتما مستلزما للجمع بين النقيضين أيضا .

لأن الاختلاط حينئذ أمر ممكن - ليس بواجب - فلا بد له من فاعل ، والفعل لا يخرج عنهما ؛ فان كان أحدهما خلط مفعول الآخر بمفعوله : لزم من هذا أن يكون أحدهما موثرا في الآخر ، غالبا له ، مغيرا لمفعوله ؛ سواء كان بمشيئة الآخر وقدرته ، أو بدون مشيئته وقدرته .

ومعلوم أن مفعولاته من لوازم مشيئته وقدرته ؛ فان القادر اذا شاء شيئا فعله ، وقدرته ومشيئته من لوازم نفسه ؛ فيلزم من تغيير اللازم تغيير الملزوم ؛ فاذا فرض أن غيره غير مقدوره بدون مشيئته وقدرته ، لزم من ذلك أن يكون مغيرا لذاته ، وحينئذ فيلزم أن يكون هذا مغيرا لهذا ، وهذا مغيرا لهذا .
وقد تقدم أن ذلك تمتنع ؛ ان قدرة كل منهما ومشيئته من لوازم ذاته

(١) في الأصل (ص) : الا اذا الآخر . ولعل الصواب ما أثبتته .

التي لا تقبل العدم ، ولا يمكن غيره أن يُعَدَم ذلك ، وما كان من لوازم ذاته -
التي يجب وجودها ووجود لوازمها - إذا قُدِّرَ زواله لزم الجمع بـ
النقيضين ، فتبين أنه يمتنع^(٢) كون المفير قادراً على ذلك .

ولأن قدرة كل منهما على تغيير قدرة الآخر مشروطة بنفاذ قدرته ،
وحيث أن يكون كل منهما قادراً حين لا يكون قادراً .

وكما^(٤) أن الدور القَبلي ممتنع في الإيجاد ، فكذلك هو ممتنع فـ
الإعدام ؛ فإذا كان يمتنع أن لا يصير أحدهما قادراً إلا بإقدار الآخر :
فيمتنع أن لا يصير كل منهما غير قادر إلا بأن يصيره الآخر غير قادر ،
فتأثير قدرة كل منهما في قدرة الآخر ، كتأثير قدرة كل منهما في عدم قدرة
الآخر .

وتأثير عدم قدرة كل منهما في عدم قدرة الآخر ، أو في قدرته :
أولى بالبطلان ؛ فإن هذه الأمور تستلزم / من الجمع بين النقيضين ، أكثر
ما يستلزمه تأثير قدرة كل منهما في وجود قدرة الآخر .

وهذا كله ممتنع ؛ إنْ خَلَطَ أحدهما مفعوله بمفعول الآخر بمشيئته
وقدرته ، أو قيل : إنه بدون مشيئته وقدرته ، فإنه يلزم أن يكون كل منهما
مؤثراً أيضاً في قدرة الآخر ومشيئته .

وقد تقدم أن تعاونهما ممتنع لذاته ؛ سواء قُدِّرَ أن كلاهما يقدر
على الاستقلال ، أو قُدِّرَ أنه لا يقدر على الاستقلال ، وتناحها ممتنع لذاته .
وخلطُ أحد المفعولين بالآخر لا يخرج عن التمانع والتعاون ؛ فإنه
إن كان بمشيئة الآخر لزم التعاون ، وإن كان بدون مشيئته لزم التمانع ،

(١) الأصل (ص) : ولا ما ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : ممتنع ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) الأصل (ص) : مشروط بنفا ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) الأصل (ص) : كما ، بدون الواو .

(٥) الأصل (ص) : هذا .

وكلاهما ممتنع لذاته في الرَبِّينَ المَقْدَرَيْنِ ، وما لزم منه المستتبع [فهو ممتنع^(١)].
فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ تَخْلُقُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ،
والموجود خلاف هذا ؛ فإن العالم مرتبط بعبده ببعض ، متعلق بعبده
ببعض ، مامن مخلوق إلا وهو متصل بغيره من المخلوقات ؛ محتاج إليه ؛
مرتبط به .

فالحَيوان الواحد ، والنبات الواحد ، من أصل ، وذلك الأصل من غيره ،
وهلمَّ جراً ، وهو أيضاً مُفْتَقِرٌ إِلَى الهَوَاءِ والماء والتراب ، بل وإلى أنسواع
النباتات والحَيوانات ، ومُفْتَقِرٌ إِلَى أَشْرَ الشَّمْسِ والقمر والليل والنهار وغير ذلك .
والفلك مرتبط بعبده ببعض ، والأفلاك مُفْتَقِرَةٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، والعالم
العلويّ مرتبط بالعالم السفليّ .

فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ صَانِعَ الْأَرْضِ غَيْرَ صَانِعِ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُ مُسْتَفْنٍ عَنْهُ ، لَا يُغَيَّرُ
أحدهما مصنوع الآخر : لزم من ذلك أن لا يكون مافي السماء مؤثراً فسي
الأرض ؛ فلا تؤثر الشمس والقمر في الأرض ، وأن يكون ما يصعد من الأبخرة
والأدخنة لا تؤثر في نور الشمس والقمر .

والهواء ، إن كان لربِّ السماء لزم أن لا تؤثر فيه الأبخرة والأدخنة
والأغبرة ، وإن كان لربِّ الأرض لزم أن لا تؤثر فيه الشمس ولا غيرها بالتسخين
ولا غيره^(٢) ، من حوادث الجو : كالسحاب والمطر وغير ذلك ، من الحوادث التي
تحدث بأسباب سماوية ، وهذا أمر واسع لمن اعتبره .

فَتَبَيَّنَ انْتِفَاءَ اللّازِمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) ،
وحذف سبحانه نفي اللّازم لظهوره ووضوحه ؛ فإن ذهب كل إله بمخلوقه ،
وانفراد به ، واستقلاله به ؛ أمر يظهر بطلانه لعموم العقلاء ، والمقدمات
الظاهرة البينة لا يحتاج إلى ذكرها في البيان الفصيح ، الذي هو طريقة القرآن .

(١) الكلام في الأصل (ص) : ناقص ، ولعله يتم بما زنته .

(٢) الأصل (ص) : ولا غير .

واختصار ذلك ، أن الخالق لا بد أن يكون قادرا ، وأن يكون كونه قادرا من لوازمه ، لا يفتقر في ذلك إلى غيره .

والعلم بأن الفاعل لا بد أن يكون قادرا ، هو من العلوم الضرورية البينة بنفسها بعد التصور الصحيح ؛ لكونه فاعلا ، ولهذا كان وصف الرب تعالى بكونه قادرا هو ما نطقت به جميع الكتب ، / وقال به جماهير العقلاء من المسلمين وأهل الكتاب والمشركين .

ج ٢٩

قوله بعض الفلاسفة : أن الرب موجب بذاته موجبا بذات قادرة مختارة ، فهذا ما يُعزّ به جمهور المسلمين نُظائرهم وغير نُظائرهم . وما يقوله بعض المتفلسفة من كونه موجبا بذاته ، إن أريد به كونه موجب بذاته موجبا بذات قادرة مختارة ، فهذا ما يُعزّ به جمهور المسلمين نُظائرهم وغير نُظائرهم .

فإن القدرة التامة ، مع الإرادة التامة ، تستلزم وجود المقدور ، ومع عدم واحدة^(١) منهما يمتنع وجود شيء ؛ فإنه سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فما شاءه وجب وجوده بمشيئته المستلزمة لقدرته ، ومالم يشأه امتنع وجوده بعدم مشيئته ؛ وإن كان ممكنا مقدورا عليه .

وإن أريد بكونه موجبا بذاته ، أنه موجب لمفعوله بذات عارضة عن المشيئة والقدرة - فهذا ممتنع لوجوه :

منها أن فعل الفاعل بدون قدرة ممتنع ، والمتفلسفة يُسَلِّمون وجود القوى فيما يفعل بطبعه من الأجسام الطبيعية ، وفيما يفعل بإرادته من الحيوان ، فلا يعرفون فاعلا قط بدون قوة يتصف بها الفاعل ، واتصافه بالقدرة على الفعل^(٢) صفة كمال .

وليس المراد هنا ما يقال في ماهو بالقوة وماهو بالفعل ؛ فإن ذاك يُعني به الاستعداد ، وإنما المراد ما يفعل الأفعال بقوة فيه .

(١) الأصل (ص) : واحد .

(٢) الأصل (ص) : على الفعل .

فإذا لم يُعرف فاعل إلا بالقوة ، والقوة صفة كمال - فإثبات الفاعل

لكل شيء ، أنه بلا قوة ، من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضا ؛

وإذا كان لا بدّ من كونه قادرا ، فقدرتَه ^(١) من لوازم نفسه ، لامتناع

افتقاره إلى غيره ، فإن ذلك الغير : إن كان مخلوقا له لزم الدور القَبْلِيّ

المتنع ، وإن كان خالقا آخر لزم التسلسل في الفاعلين ؛ وهو أيضا ممتنع .

وامتناع كلاهما متفق عليه بين العلماء ، معلوم بضرورة العقل بعد

التصور التام ، وبالنظر والاستدلال أيضا .

فإنه إذا قيل : لا يوجد هذا إلا بعد ذاك ؛ ولا يوجد ذاك إلا بعد

هذا ، [فهذا] ^(٢) ما يعلم فساده وامتناعه بنفس تصوره التام .

وكذلك إذا قيل : لا يوجد شيء إلا بعد أن يكون له فاعل ، ولا يكون

فاعل إلا مفعولا لغيره .

فتقدير وجود مفعولات متسلسلة ، كل منها فاعلٌ مفعولٌ ، ليس فيها

فاعل موجود بنفسه ، مع العلم بأن الفاعل لا يكون إلا موجوداً - فإن هذا

يستلزم أن تكون مفعولات متسلسلة ليس لها فاعل ، وفرض مفعول واحد

لا فاعل له ممتنع ، فإذا قُدِّرَ كثرتها وتسلسلها إلى غير نهاية ، كان ذلك

أبعد في كثرة الممتنعات .

كما إذا قُدِّرَ معدومٌ وُجد بنفسه ، فإن هذا ممتنع ، فإذا قُدِّرَ مع

ذلك كثرة ذلك ، أو وجود مالا نهاية منه ، كان أبلغ في الامتناع .

وإذا عُرِفَ أنه لا بدّ أن يكون قادرا بنفسه ، لا يفتقر إلى غيره - فتقدير

خالقين قادرين بأنفسهما [ممتنع] ؛ فإنه يمتنع ^(٣) فعل كل منهما لشيء واحد

على سبيل الاستقلال ؛ لأنه يوجب كون هذا وحده هو الفاعل لامشارك له فيه ،

(١) الأصل (ص) : وقدرتَه ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) فهذا : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الأصل (ص) : بأنفسهما فانه ممتنع . ولعل الصواب ما أثبتته .

والآخر كذلك ، فيلزم أن يكون كل منهما فاعلا له وحده ، غير فاعل له وحده ، وهو جمع بين النقيضين .

/ وإذا لم يكونا مستقلين كانا متعاونين ؛ فإن [كان] كل منهما محتاجا إلى إعانة الآخر ؛ لا يمكنه الفعل إلا به - لم يكن واحد منهما قادرا بنفسه ، وقد تبين أنه لا بد من وجود القادر بنفسه .

وإن كان كل منهما غنياً عن الآخر في فعل شي* - كان مستقلا بذلك ، فيكون مفعول هذا ممييزاً^(١) عن مفعول ذلك ؛ فيذهب كل إليه بما خلق .

فاستقلال كل منهما بالجميع جمع بين النقيضين ، واحتياج كل منهما إلى الآخر في فعل كل شي* ، يوجب أن لا يكون واحد منهما قادراً بنفسه ، فلم يبق إلا أن يكون كل منهما مستقلا بشي* يقدر بنفسه عليه ، وحينئذ فيلزم أن يتميز مفعول هذا عن مفعول هذا ؛ فيذهب كل إليه بما خلق ، وسواء قدر أنهما متماثلان في القدرة أو مختلفان فيها .

وأيضاً فتماثلهما في القدرة يوجب أن لا يكون واحد منهما قادراً ؛ فإن قدرة كل منهما على ما يقدر عليه الآخر ، توجب أن لا يقدر واحد منهما على شي* مما يقدر عليه الآخر ؛ فإنه إذا قدر [كل منهما قادراً على] فعل شي* استقلالاً - لم يقدر عليه إلا إذا لم يفعله الآخر ؛ فيكون كل منهما ممنوعاً من فعل ما يفعله الآخر ؛ فلا يكون أحدهما قادراً على شي* في الحال التي يكون [فيها] الآخر قادراً على [نفس] الشي*^(٥) ، وإذا كانا عادسي القدرة لزم أن لا تكون لواحد منهما قدرة على شي* ؛ فيلزم من قدرتهما انتفاء قدرتهما ، وهو جمع بين النقيضين .

(١) الأصل (ص) : فان كل منهما محتاجا . وأجرى على العبارة تعديل بحيث تقرأ : فان كلا منهما محتاج . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : مسير . بدون نقاط .

(٣) الأصل (ص) : واحدا .

(٤) ما بين المعكوفين بياض في الأصل (ص) : ، ولعل تمام الكلام يحصل بما أثبتته .

(٥) الأصل (ص) : في الحال التي يكون الآخر قادراً على الشي* ، وأضفت ما بين المعكوفين .

فامتنع تماثلهما في القدرة ولزم تفاضلهما ، وحينئذ فالأعلى يقهر الأدنى ، مع زهابه بما خلق ، فيلزم أن يعلو بعضهم على بعض ، مع زهاب كل منهم بما خلق .

اللازم الثاني -
علو بعضهم على بعض
وأما الدليل الثاني الذي ذكره سبحانه في قوله : (ولعل بعضهم على بعض) ؛ فقد تبين امتناع رتبين متماثلين في القدرة ، وحينئذ فإذا قُدِّرت آلهة فلا بدّ أن يكون أحدهما له من القدرة ما ليس للآخر ، ومن المعلوم بالاضطرار أن الأقدر يعلو على من دونه في القدرة .
ومما يبين ذلك أن المرجوح إما أن يكون مستغنياً عن الآخر في كل شيء ، بحيث يستقل بمفعولاته ، ويمكنه دفع الآخر عن معارضته ؛ أو لا يكون كذلك .

فإن فرض أنه قادر على الاستقلال ودفع الآخر لم يكن دونه في القدرة ؛ فإن القادر على منع غيره لا تكون قدرته دون قدرته ؛ بل لا بدّ أن تكون قدرته مثل قدرته أو أقوى .

والا فالقادران إذا اختلفا ، فإن كانا متماثلين ^(١) تانعا وندافعا ، وإن كان أحدهما أقوى من الآخر قهر القوى الضعيف ، ونفذ مراد القوى دون مراد الضعيف .

فإذا قُدِّر أن أحدهما لو أراد مخالفة الآخر في شيء من مفعولاته ، ويفيّر ذلك : لم يقدر على ذلك بمنع الآخر له - لم يكن المانع الدافع أضعف من المنوع المدفوع .

فتبين أنه إذا كان أحدهما أضعف من الآخر لم يكن قادراً على مناعته ، وحينئذ فلا يتمكن من شيء إلا بتكين الآخر له وتخليته ، والمحتاج إلى غيره / المفترق إليه يكون مفلوباً مقهوراً معه ، ويكون الآخر قاهراً غالباً .

ج ٣٠

(١) الأصل (ص) : متماثلان ، وهو خطأ .

فثبت أنه لو كان معه آلهة لعلا بعضهم على بعضي ، وثبتت أن
الوحدانية والمقهر متلازمان ؛ كما قال تعالى : (وَبَرُّوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)^(١) ،
وأن قول : " الله أكبر " ملازم لقول : " لا إله الا الله " .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم : (يَا عَدِي ،
مَا يُفْرِكُ ؟ أَيْفِرُكَ أَنْ يُقَالَ : لا إِلَهَ الا اللهُ ، فهل تعلم من اله غير الله ؟
ياعدي أيفرك أن يقال : الله أكبر ، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ؟) . رواه
أحمد والترمذي وصححه^(٢) .

ومنه قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيراً)^(٣) .
وكلمات الأذان مؤلفة من الشهادات والتكبير ، لا يخرج عن ذلك إلا
دعوة الخلق بالحيعلتين .

ولما كان الخلق هو الدال على قدرة الرب ، وغير ذلك من صفاته ،
كان أول ما أنزل من القرآن : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ)^(٤) فعم الخلق وخص الإنسان ، ثم ذكر التعليم والهداية التي هي
كمال الإنسان ، كما قال موسى : (رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)^(٥) .
وقال تعالى : (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)^(٦) .
[وهذا]^(٧) ما يُستقرأ في الموجودات ، فلا يكون اثنان يشتركان في أمر إلا
وفوقهما ثالث^(٨) يطيعونه ، أو يكون أحدهما مطيعاً للآخر .

(١) سورة ابراهيم : ٤٨ .

(٢) هذا المعنى جزء من حديث في مسند الامام أحمد (طه . الحلبي) ٤ / ٣٧٨ وسنن الترمذي
(تحفة الأحوذى ٢٨٢ / ٨) تفسير القرآن ، سورة فاتحة الكتاب في المسند : (ما أفرك أن يقال
...) وفي سنن الترمذي : (ما يفرك أن تقول ...) وقال الترمذي (٢٨٩ / ٨) : " هذا حديث
حسن غريب " .

(٣) سورة الاسراء : ١١١ .

(٤) سورة طه : ٥٠ .

(٥) سورة الأعلى : ١ - ٣ .

(٦) وهذا : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .

(٧) الأصل (ص) : الثالثة .

(٨) سورة العلق : ١ - ٢ .

يُمتنع أن يكونا متكافئَيْن وليس فوقهما غيرهما، فإن تماثلهما يوجب التماثل؛ فإن هذا إذا كان لا يريد حتى يريد ذاك، وذاك لا يريد حتى يريد هذا - لم يرد أحدهما شيئاً، فلا يعلن شيئاً .

وإذا أراد كل منهما بدون إرادة الآخر؛ فإن كان لا يفعل حتى يمكنه الآخر لزم التماثل، وأن لا يفعل واحد منهما؛ وإن أمكن كلا منهما الفعل بدون تمكين الآخر، استقل كل منهما بفعله، ولم يكن الآخر مشاركاً، فذهب كل منهما بما فعل .

وإذا لم يكونا متماثلين، كان الأضعف مقهوراً مع الأقوى، إما محتاجاً إلى إعانته، وإما إلى تخليته وترك ممانعته؛ وكل من كان لا يمكنه الفعل إلا بأن يعينه غيره، أو بأن يخليه^(١) ولا يعوقه ولا يمنعه^(٢)، وذلك الغير مستقل بالفعل دون هذا، من غير معاونة ولا ممانعة - كان ذلك الغير هو القاهر العالي على ذلك الضعيف العاجز .

فساد قول
الثنوية

وهذا مما يظهر به فساد قول الثنوية من المجوس والمانوية؛ فإن الظلمة إما أن تكون محدثة وإما أن تكون قديمة، ولهم في ذلك قولان. فإن كانت الظلمة محدثة، أحدثها النور أما بفكرة رديعة فكرها النور كما يقولونه بعضهم، أو بغير ذلك؛ فيكون النور هو خالق الظلمة، كما هو خالق سائر الأشياء؛ وهذا يبطل أن يكون شيء من العالم صدر عن أصليين^(٣)، ثم إنهم نزهوا النور أن يضيفوا إليه شراً، وجعلوه قد [خلق] أصل كل شيء^(٤) شر.

(١) الأصل (ص): جلسه . بلا نقاط .

(٢) الأصل (ص): الا .

(٣) الأصل (ص): ألس ، بلا نقاط .

(٤) الأصل (ص): وجعلوه قد أصل، ولعل الصواب ما أثبتته، قال ابن تيمية في كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" ١/١٩١ رد على هؤلاء "نقال لهم أهل التوحيد: أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا إلى الرب سبحانه وتعالى خلق ما في العالم من الشر، وجعلتموه خالفاً لأصل الشر".

ثم إما أن يقولوا بقول أهل السنة : إن الله خالق أفعال الحيوان ، وإما أن / يقولوا بقول القدرية ؛ فإن قالوا بالأول ، لزم أن يكون خالقاً لجميع أفعال الظلمة التي خلقها ، وهذا ينقض قولهم ، وإن قالوا بالثاني فهذا قول القدرية من أهل الملل ، وحينئذ فالظلمة كسائر الحيوانات لا فرق بين هذا وهذا .

ظ . ٣٠

وأما قول من جعل الظلمة قديمة ، فإن كانت قدرتها مساوية لقدرة النور كان ذلك مستعماً كما تقدم ، وإن كان النور أقوى منها كان غالباً قاهراً لها .

وحينئذ فيما أن يكون مُعِيناً لها أو قادراً على منعها ، وإذا كان لا يفعل إلا خيراً - ومنع الظلمة من الشر [خير^(١)] - وجب أن يمنع الظلمة ، فإن لم يمنعها لزم أن لا يكون قادراً ، وإما أن لا يكون مريداً للخير ، [وهذا^(٢)] على أصلهم وكلامهم يبطل مذهبهم .

والكلام على هذا قد بسط في غير هذا الموضع ، لكن لما بيننا فساد ما ذكره هؤلاء في معنى التوحيد وفساد دليلهم - ذكرنا من معنى التوحيد ودليله ، ما يليق بجواب هذا السؤال الذي طُلب في شرح هذا الاعتقاد ، مع أن كثيراً من متأخري النظار قصّروا في هذا الباب - حكماً ودليلاً - تقصيراً ظاهراً يعرفه من له خبرة بما قالوه .

لمصل

وهذا المصنف لم يذكر مسألة " حدوث العالم " في هذه العقيدة ، وكأن ذلك لما رأى فيها من الاضطراب ، لاسيما فيما عنده من طريقة الرازي وأمثاله ؛ فإن كلامهم فيها يوجب الحيرة والشك .

سألة " حدوث
العالم
فقال الأصمعي
في هذه المسألة

- (١) الأصل (ص) : أو قادر ، وهو خطأ .
- (٢) ما بين المعكوفين بياض في الأصل (ص) بقدر كلمة ، ولعل ما أثبتته يتم الكلام .
- (٣) وهذا : ليست في الأصل (ص) وزدتها ليستقيم الكلام .

أو لاعتقاده^(١) أن ما ذكره من الطريق إلى إثبات الصانع لا يحتاج إلى إثبات حدوث العالم ؛ فيمكن مع ذلك العلم به من جهة السمع ، كما يقول ذلك طوائف من النظَّار كما هو قول الرازي وغيره .

انكار أئمة الاسلام
طريقة الجهمية
وموافقهم في
اثبات الصانع
وحدوث العالم

وهو^١ : أنكروا على من زعم أن إثبات الصانع لا يمكن إلا بمعرفة حدوث
[العالم]^(٢) ، وذلك لا يمكن إلا بمعرفة حدوث الأجسام ؛ ومعرفة حدوث
الأجسام هو بمعرفة استلزامها للحوادث ؛ وأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث وهذه طريقة الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الكلامية وغيرهم .
- كما فعل ذلك^(٣) كثير من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة وغيرهم ، وجسَّأوا
القول بذلك عن الأئمة الكبار من أتباع الأربعة وسائر أئمة المسلمين - وهو^١ :
أخطأوا من وجوه :

منها دعواهم أن الربَّ تعالى لا يُعرف إلا بهذه الطريق .
ومنها دعواهم أنها أول واجب على العباد^(٤) .
ومنها التزامهم للوازمها ؛ كنفى الصفات والأفعال ، أو رؤية الله ، أو غير
ذلك من اللوازم المبسوطة في غير هذا الموضع .
وقد علَّم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول لم يدع أحداً بهنذه
الطريق ، فضلاً عن أن يوجبها على كل مكلف ، ولا سلك هذه أحد من الصحابة .
بل لما / أحدثها من أحدثها من أهل الكلام تطابقت أئمة الإسلام
على ذمِّ هذا الكلام ؛ كما هو مشهور عنهم متواتر ؛ كما هو معروف عن مالك

ج ٣١

-
- (١) الأصل (ص) : أولاً لاعتقاده ، ولعل الصواب ما أثبتته .
(٢) العالم : ليست في الأصل (ص) ، وفيه بعد كلمة " حدوث " سهم يشير إلى الهامش دون أن يكتب فيه شيء ، ولعل ما أثبتته هو الصواب .
(٣) أي الانكار على من زعم أن إثبات الصانع لا يمكن إلا بهذه الطريقة .
(٤) الأصل (ص) : أول الواجبات واجب ، ولعل كلمة " الواجبات " زيدت سهواً .

وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد (١) وحماد بن سلمة (٢) ، وعبدالله ابن المبارك (٣)
وأبي يوسف (٤) ، والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية (٥) ، وغيرهم من أئمة الإسلام .
وجمهور الناس أنكروا عليهم إيجاب سلوك هذه الطريق ؛ ودعواهم
أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بها ؛ لظهور فساد ذلك في شريعة الإسلام .
لكن من هؤلاء من سلم صحتها ؛ ولكن رأها طويلة كثيرة الشبهات ، وأما
أئمة الإسلام والسنة فأوها طريقة فاسدة في العقل ، كما هي بدعة في الشرع ؛ وأنها
إلى نفي حدوث العالم ، وعدم الدلالة على إثبات الصانع ، أقرب منها إلى إثبات حدوث
العالم وإثبات الصانع .

- (١) أبو اسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهمي ، مولاهم ، ولد بالبصرة سنة ٩٨ ومات
بها سنة ١٧٩ ، أحد كبار أئمة الحديث الحفاظ المجودين . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد
٢٨٦/٧ - ٢٨٧ ؛ الجرح والتعديل (١/١٧٦ - ١٨٣ ، ٣/١٣٧ - ١٣٩ ؛ حلية الأولياء ٦/٢٥٧ -
٢٦٧ ؛ تذكرة الحفاظ (١/٢٢٨ - ٢٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ٣/٩ - ١١ ؛ الأعلام ٢/٢٧١ .
- (٢) أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري ، مولى ربيعة بن مالك ، امام في الحديث والفقه
والعربية ، حافظ ثقة ، توفي سنة ١٦٧ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٨٢ ؛ الجرح والتعديل ٣/١٤٠ - ١٤٢ ؛ حلية
الأولياء ٦/٢٤٩ - ٢٥٧ ؛ تذكرة الحفاظ (١/٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ ميزان الاعتدال (١/٥٩٠ - ٥٩٥ ؛
تهذيب التهذيب ٣/١١ - ١٦ ؛ الأعلام ٢/٢٧٢ .
- (٣) الامام العلامة أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي (١١٨ - ١٨١) كان أبوه
مولي لرجل من بني حنظلة من أهل همدان ، سمع عبدالله عددا من أئمة التابعين ، وحدث عنه
خلائق من الناس ، وهو موصوف بالحفظ والفقه والعربية والشعر ، والزهد والكرم والشجاعة ، وكثرة
الأسفار غازيا وحاجا وتاجرا ، توفي بهيت على الفرات .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٧٢ ؛ الجرح والتعديل (١/٢٦٢ - ٢٨١ ؛ حلية الأولياء
٨/١٦٢ - ١٩٠ ؛ تذكرة الحفاظ (١/٢٧٤ - ٢٧٩ ؛ البداية والنهاية (١٠/١٧٧ - ١٧٩ ؛
تهذيب التهذيب (٥/٣٨٢ - ٣٨٧ ؛ الأعلام (٤/١١٥ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول)
١/١٧٥ - ١٧٦ .
- (٤) الفقيه المحدث أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، (١١٣ - ١٨٢)
ولي قضاء بغداد ومات بها ، لزم الامام أبا حنيفة وتفقه ، يقال : انه أعلم أصحاب أبي حنيفة
وأتبعهم للحديث .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٣٠ - ٣٣١ ؛ الجرح والتعديل (٩/٢٠١ - ٢٠٢ ؛ تذكرة
الحفاظ (١/٢٩٢ - ٢٩٤ ؛ البداية والنهاية (١٠/١٨٠ - ١٨٢ ؛ الجواهر المضية (٢/٢٢٠ - ٢٢٢ ؛
لسان الميزان (٦/٣٠٠ - ٣٠١ ؛ تاج التراجم لابن قطلوبغا ، ص ٨١ ؛ الأعلام (٨/١٩٣ -
١٩٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) (٣/٥١ - ٥٤ .
- (٥) الامام الحافظ الكبير أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر التميمي الحنظلي
المرزوي ، المعروف بابن راهويه ، نزيل نيسابور ، ولد سنة ١٦١ أو ١٦٦ وتوفي سنة ٢٣٨ ، روى
عنه الجماعة سوى ابن ماجه . انظر : الجرح والتعديل (٢/٢٠٩ - ٢١٠ ؛ تذكرة الحفاظ (٢/٤٣٣ -
٤٣٥ ، ميزان الاعتدال (١/١٨٢ - ١٨٣ ؛ تهذيب التهذيب (١/٢١٦ - ٢١٩ ؛ الأعلام (١/٢٩٢ ،
تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) (١/٢٠٨ - ٢٠٩ .

فإن مبناهما على ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح ، وحدث الحادث بلا سبب لحدوثه ولا حكمة لإحداثه ، وأن ما قامت به الصفات والأفعال فهو محدث : كائن بعد أن لم يكن ، وغير ذلك من لوازمها النافية لصريح المعقول وصحيح المنقول .

بطلان دعوى المتكلمين أن طريقة إبراهيم الخليل ، (لا أحب الآفلين)^(١) ؛ فزعموا أن إبراهيم أثبت بذلك وجود المانع وحدوث العالم ، وهذا غلط على إبراهيم من وجوه :

منها أن مقصوده كان إثبات التوحيد لا إثبات الصانع ؛ كما قد بسط نفسي موضعه .

ومنها أنه لو كان مقصوده إثبات الصانع لكان ذلك دليلاً على نقيض مطلوبهم ؛ فإن الخليل لم يستدل بنفس الأعراض الحادثة ؛ كالحركة والانتقال والبزوغ والجريان في الفلك ، وما جعل ذلك منافياً لمقصوده ، وإنما استدل بالأقول وهو المغيب والاحتجاب ، فلو كان مطلوبه إثبات العلم بالصانع لكانت الأعراض الحادثة لاتنافي ذلك ؛ وإنما ينافيه الأقول والاحتجاب ، وهذا مناقض لقولهم ، وهذا مبسوط في موضع آخر .

وأئمة الذين سلكوا هذه الطريق يقولون : إنه لا طريق لنا إلى العلم بحدوث العالم والبرهان على الدهرية إلا من جهتها ؛ كما هو قول أئمتنا ، مثل الجهم وأبني الهذيل^(٢)

(١) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٢) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدى ، نسبة إلى عبد القيس وكان مولاهم ، ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين من البصرة ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ ، وتوفي بسامرا سنة ٢٣٥ على الراجح في تاريخهما ، وهو من رؤس المعتزلة ، تنسب إليه طائفة الهذيلية منهم . انظر : الانتصار ، لعبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي ، تحقيق د . نيسرج ، القاهرة ، ١٣٤٤ ، ١٩٢٥ ، ص ٧-١٦ ، ٧٠-٧٨ ، ١٢٣-١٢٥ ؛ باب ذكر المعتزلة ، ص ٦٩-٧٠ . وهذا الباب نشر مقتطعاً من كتاب " مقالات الاسلاميين " لأبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي ؛ كتاب فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، ص ٢٥٤-٢٦٣ ، حققهما فؤاد سعيد ، ط . الدار التونسية للنشر - تونس ١٣٩٣-١٩٧٤ ؛ أصول الدين للبغدادي ، ص ٤٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٩١ ؛ الفصل لابن حزم ٨٣/٤-٨٤ ، ١٩٢٤ ؛ تاريخ بغداد ٣/٣٦٦-٣٧٠ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١/٦٢-٦٧ ؛ لسان الميزان ٥/٤١٣-٤١٤ ؛ الأعلام ٧/١٣١ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين ، المجلد الأول ٤/٦٦-٦٨ ، مذهب الاسلاميين لبديوي ١/١٢١-١٩٧ .

والنظام ومن تبعهم .^(١)

ستطالقة
لفلاسفة الدهرية
ليهم بهند
لطريقة
وهم مع هذا لا للإسلام نصروا ، ولا للدهرية كسروا ؛ فإن الدهرية
القائلين بقدم الأفلاك ، استطالوا عليهم بهذه الطريق ؛ كما سلكه الفارابي^(٢)
وابن الهيثم^(٣) وابن سينا والسهورودي المقتول^(٤) وابن رشد^(٥) وأمثالهم من
الفلاسفة .

(١) أبو اسحاق ابراهيم بن سيار بن هاني البصري ، النظام ، قيل في سبب هذا اللقب ؛ لأنه كان
ينظم الخرز في سوق البصرة ، وقيل : لاجادته نظم الكلام ، وهو من أئمة المعتزلة ، صاحب أبنا
الهديل وخالفه في مسائل ، تنسب اليه طائفة النظامية ، مات سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر :
الاتصار ، ص ١٧ - ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٩٣ ، ٩٨ ؛ باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين
للکعبی ، ص ٧٠ - ٧١ ، فضل الاعتزال ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، أصول الدين للبغدادي ، ص ١٩ - ٢٠ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٥٠ ، ٩١ ، تاريخ بغداد ٩٧/٦ - ٩٨ ، الملل والنحل للشهرستاني ٦٧/١ - ٧٦ ، لسان الميزان ٦٧/١ ،
الأعلام ٤٣/١ ، تاريخ التراث العربي لسزكين ، المجلد الأول ٤/٦٨ - ٧٠ ، مذاهب الاسلاميين
لسيدوي ٩٨/١ - ٢٧٩ .

(٢) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩) ، ولد في فاراب ، واستوطن بغداد
، وتوفي بدمشق ، لقب " بالمعلم الثاني " كما لقب أرسطو " المعلم الأول " ، له مؤلفات كثيرة في
الفلسفة والموسيقى .

انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٢١ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ ؛ عيون الأنبياء في طبقات
الأطباء ، ص ٦٠٣ - ٦٠٩ ؛ البداية والنهاية ١١/٢٢٤ ؛ الأعلام ٢٠/٧ .

(٣) أبو علي محمد بن الحسن - وقيل : الحسن بن الحسن ، وقيل : الحسن بن الحسين - بن الهيثم ،
ولد بالبصرة ، ونزل مصر ، ومات بالقاهرة في حدود سنة ٤٣٠ ، لقب " ببطليموس الثاني " ، صنف
في الطب والفلسفة والهندسة .

انظر : تاريخ الحكماء ، ص ١٦٥ - ١٦٨ ؛ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ٥٥٠ - ٥٦٠ ؛
الأعلام ٨٣/٦ - ٨٤ .

(٤) أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك ، الملقب بشهاب الدين ، السهورودي المقتول ، وقيل :
اسمه أحمد ، وقيل : كنيته اسمه وهي أبو الفتوح ، فيلسوف ، ولد حوالي سنة ٥٥٠ هـ في
سهورود : من قرى زنجان من عراق العجم ، وقتل بحلب سنة ٥٨٧ هـ لسوء معتقده ، قيل فيه :
كان ذكيا مشهورا ، كثير العلم ، قليل العقل .

انظر : در تعارض العقل والنقل ١/١٥٢ ، ٣١٨ ، ٣١٨/٣ ، ١٧٢/٣ ، ١٧٩ ، ١٧٩ ، ٢٦٧ ؛ لسان الميزان
١٥٦/٣ - ١٥٨ ؛ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤/٢٩٢ - ٣٠٤ ؛ الأعلام ٨/١٤٠ ؛
وللدكتور محمد علي أبو ريان كتاب " أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهورودي "
ط . بيروت ١٩٦٩ م .

(٥) القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥) ، يلقب بالحفيد تمييزا
له عن جده الذي يشاركه في الكنية والاسم المتوفى سنة ٥٢٠ ، ولد الحفيد ونشأ بقرطبة ، وتوفي
بمراكش ، صنف في الفقه والفلسفة والطب .

انظر : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ٥٢٠ - ٥٣٣ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ص
٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ الأعلام ٥/٣١٨ - ٣١٩ .

وقالوا: إثبات ذات كانت معطلة عن الكلام والفعل ثم حدث الفعل عنها بلا سبب - معلوم الفساد بصريح العقل؛ فإننا إذا فرضنا ذاتا لم تفعل ثم فعلت فلا بد من حدوث أمر: إما قدرة، وإما إرادة، وإما علم، وإما سبب من الأسباب.

وأما إذا قدرنا [ذاتاً^(١)] كانت ولم تفعل، وهي / الآن كما كانت، فهي الآن لم تفعل، فإذا قيل: "إنها فعلت بعد أن لم تفعل"، فلا بد من حدوث أمر من الأمور، ثم القول في ذلك الأمر كالقول في غيره؛ يمتنع حدوثه في وقت دون وقت، وحدثه دون غيره، مع تماثل أحوال الفاعل، وأوقات الفعل، وعدم اختصاص الفعل عن غيره بسبب ما .

وهذا أعظم عمدتهم^(٢) . وصاروا^(٣) يتنازعون في إمكان حوادث لا تتناهى ولا أول لها؛ فهو لا يجوزون ذلك في الواجب والممكن، ويقولون: إن الفلك أزلي، لم تنزل الحوادث متعاقبة عليه .

وأولئك^(٤) ينعون ذلك في الواجب والممكن، ويمنعون أن يكون الرب تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، أو يكون لم يزل قادراً على الفعل، بل ينعون أن يكون فاعلاً بنفسه بحال .

ثم ينازعون في إمكان دوام الحوادث في المستقبل؛ فقال رؤساء هذه الطريقة جهم وأبو الهذيل بامتناع دوام الحوادث في المستقبل، ثم قال جهم بفناء الجنة والنار، وقال أبو الهذيل بفناء حركاتهم وأنهم يبقون في سكون دائم .

-
- (١) ذاتا: ليست في الأصل (ص)، وزدتها ليستقيم الكلام.
(٢) الأصل (ص): وهذا أعظم من غيره وعمدتهم، لكن خط على عبارة "من غيره" بخط. ومعنى الكلام: وهذا أعظم عمد الفلاسفة في الاحتجاج على قدم العالم.
(٣) الأصل (ص): وصار، ولعل الصواب ما أثبتته.
(٤) الإشارة بهؤلاء للفلاسفة الدهرية، وبأولئك للجهمية وأتباعهم. وسيأتي لذلك تفصيل، ص ٢٦٧ وما بعدها.

وأما سلف الأمة وأئمتها ، وأئمة الفلاسفة الذين كانوا قبل أرسطو- :
فيقرّون بين الواجب والممكن ، [والخالق ^(١)] والمخلوق .

وقد بسطنا الكلام على ما يتبين به حدوث كل ما سوى الله من الأفلاك وغيرها ،
وذكرنا كل ما احتجوا به ، وبيننا فساد بالوجوه البينة العقلية ، لما رأينا من
ضعف أجوبة هؤلاء المتكلمين المبتدعين لأهل الاحاد ، وما أدخلوا نفي
الشرع والعقل من الفساد ، وقد أغنى الله سبحانه بالحق عن الباطل .

بيان حدوث كل
ما سوى الله

ونحن ننبه هنا على ما به يُعرف تحقيق ما أخبرت به الرسل من أن الله
تعالى خالق كل شيء * : فكل ما سواه محدث مسبوق بالعدم ؛ [وأنه خلق
السموات والأرض وما بينهما نفي ^(٢)] ستة أيام ، وأنه يُعلم امتناع قدم شيء * من
ذلك ؛ من غير حاجة إلى تلك الطريق الفاسدة شرعا وعقلا ، بعد أن ننبه
على فساد حجة الفلاسفة ، التي يسمونها المعضلة الزبانية ^(٣) والداهية الدهياء .

وذلك بأن يقال : دوام حدوث الحوادث ، وإن الحوادث لا أول لها ،
والتسلسل في الآثار - إما أن يكون متناهماً وإما أن يكون ممكناً ؛ فإن كان
متناهماً بطل قولهم ، وأمكن أن تحدث الحوادث بلا سبب ، وبطلت حججهم ،
وبطل قولهم بقدوم الأفلاك التي لا تخلو عن الحوادث عندهم .

وإن كان ممكناً ، أمكن حدوث الأفلاك بسبب حادث قبلها ، وحينئذ
فيكون القول بوجود قدمها باطلا .

فإن مطلوبهم إثبات قدم الأفلاك ، أو قدم شيء * بعينه من العالم ،
وهذا لا دليل عليه أصلاً ، بل جميع ما يذكرونه إنما يدل على دوام نوع الفعل ،
والفرق بين النوع والعين معلوم بالاضطرار ، وهم يسلمون الفرق .

- (١) والخالق : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي زيادتها .
- (٢) عبارة " وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فلو ليست في الأصل (ص) ، وزدتها مراعاة للسياق .
- (٣) الأصل (ص) : الداء . بالبدال وبلا نقاط ، والصواب ما أثبتته ، في القاموس المحيط مادة " الزب " :
: " والزبانية ، من الداهية : الشديدة " .
- (٤) الأصل (ص) : أقدم .

وإذا لم يكن دليل على قدم شيء من العالم، كان الجزم بذلك باطلاً؛ فكيف إذا كانت الأدلة تدل على امتناعه^(١).

وهكذا سائر حججهم المبنية على "الفاعل" و"الغاية" و"المادة" و"المدّة"، وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع؛ وبيننا أنه ليس لهم حجة واحدة تدل على قدم شيء من العالم أصلاً؛ بل غاية ما يستدلون عليه دوام نوع الفعل؛ وذلك لا يدل / على قدم شيء معين للفرق [بين^(٢) العين والنوع، الذي يعترفون بصحته، وإن لم يعترفوا بصحته لزم نساد مذهبهم من أصله، فكيف إذا كان فعل الشيء المعين يمتنع أن يقارن^(٣) الفاعل، بل يجب تقدم الفاعل على الفعل المعين والمفعول المعين، وإن قيل: إنه مستلزم لنوع الفعل والكلام.

ج ٣٢

وأما بيان امتناع قدم شيء مع الله كائناً ما كان - فهذا يُعرف بوجوه: منها - أن يقال: لو كان في الممكنات قديم للزم أن يكون مفعولاً لعلّة تامة قديمة، وأن يكون الواجب موجباً لها بذاته، سواء قَدَّر أن له مع ذلك قدرة أو لم يُقدَّر، لكن كون الواجب علّة تامة أزلية ممتنع فقدم شيء من العالم ممتنع.

بيان امتناع قدم شيء مع الله

وإن شئت قلت: لكن كونه موجباً بذاته في الأزل ممتنع، فقدم شيء من العالم ممتنع.

أما المقدمة الأولى - فمتفق عليها، فإنهم يسلمونها، وهي مع ذلك معلومة بصريح العقل.

(١) الأصل (ص): امتناع.

(٢) بين: ليست في الأصل (ص)، وزدتها ليستقيم الكلام.

(٣) الأصل (ص): يفارق، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) الأصل (ص): مفعولاً له.

وذلك أن الناس في هذا المقام على قولين : فجمهور العقلاء ممن الأولين والآخرين يقولون : يمتنع أن يكون الممكن قديماً ، ولا يكون الممكن إلا محدثاً ؛ فإن الممكن هو الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه ؛ وهذا ممتنع في القديم ؛ فإن القديم واجب إما بنفسه وأما بغيره ؛ فيمتنع عدمه على التقديرين ؛ وما امتنع عدمه لم يقبل العدم .

وإذا قيل : هو باعتبار نفسه يقبل الأمرين ، وإنما يجب وجوده أو عدمه بغيره .

قيل : هذا باطل لثلاثة أوجه :
أحدها - أن هذا مبني على [أن ^(١)] ماهيته الثابتة في الخارج غير الوجود الثابت في الخارج ، وتلك الماهية تقبل الأمرين ، وهذا باطل عند جماهير العلماء ، بل فساده معلوم بالضرورة بعد التأمل ، وقد بسط الكلام على هذا في مواضع كثيرة .

الثاني - أنه بتقدير ثبوت ذلك ، فتلك الماهية إذا كانت قديمة ، واجبة الوجود بغيرها ، امتنع عدم وجودها ؛ فلم يكن وجودها قابلاً للعدم ؛ فلا يكون لها حال تقبل فيه الوجود والعدم ، وهذا بخلاف المعدوم إذا وجد ، فإنه يقبل الوجود والعدم ؛ فإنه تارة يكون ^(٢) موجوداً وتارة يكون معدوماً .

الثالث - أن المعدوم يفتقر في وجوده إلى فاعل يوجده ، فأما العدم ^(٤) المستمر فلا يحتاج إلى من يجعله معدوماً ، فالممكن إنما يفتقر إلى من يرجح وجوده على عدمه ، فأما العدم فلا يفتقر إلى علة ، كما ذهب إليه جماهير النظار من المسلمين وغيرهم .

(١) ان : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) الأصل (ص) : تقدير .

(٣) الأصل (ص) : يكون يكون .

(٤) الأصل (ص) : فا العدم .

تجويز ابن سينا
وأتباعه وجود
ممكن قديم
واجب بغيره

وإنما خالف في ذلك هذه الطائفة القليلة كابن سينا وأمثاله ؛ الذين قالوا : "إن الممكن قد يكون واجبا بغيره ^(١) ، قديما ، أزليا ، يمتنع عديمه " .
وخالفوا في ذلك سلفهم وجهاهير العقلاء ؛ فإن أرسطو وقدماء الفلاسفة يوافقون جمهور العقلاء في أن الممكن لا يكون إلا محدثا ، وأما القديم الأزلي فلا يكون ممكنا . وهذا ما عدّه ابن رشد الحفيد وغيره من المواضع التي خالف فيها ابن سينا لأرسطو وقدماء الفلاسفة .

ولهذا لما جوز ابن سينا وأتباعه ، كالرازي والسهورودي والامدي ، أن الممكن قد يكون / قديما أزليا - ورد عليهم من السوءالات القادرة في هذا الإمكان ما لم يمكنهم جوابه ، كما قد بسط في موضعه .

ظ ٣٢

وما يشبتون به إمكان هذا ، من قولهم : " هذا بمنزلة الشعاع — الشمس ، وبمنزلة الصوت مع الحركة ، وبمنزلة قول القائل : حركت يدي فتحرك الخاتم أو كمي ، فإن هذا يقتضي كون الأول علّة للثاني مع اقترانهما في الزمان " - فهذا باطل لوجهين :

أحدهما - أنه ليس فيما ذكره أن فاعلا لم يتقدم على فعله ؛ فإن الحركة ليست فاعلة للصوت ، ولا حركة اليد فاعلة لحركة الكم ، ولا الشمس فاعلة للشعاع ، بل الأول هنا شرط في الثاني ، وشرط الشيء قد يقارنه في الزمان ، وأين الفاعل من الشرط ؟ ! لاسيما الفاعل الذي هو وحده يفعل مفعوله .
والشمس والنار لا يفيض عنها الشعاع إلا بشرط جسم يقبل ذلك ، وكذلك الصوت ، والحركة الثانية إنما تحصل عن الأولى بشرط أمور أخرى ، فليس هنا ما هو فاعل وحده ، بل ولا هو فاعل أصلا .

ولفظ " العلة " مجمل ، والكلام إنما هو في العلة الفاعلة للمفعول ؛ هل تقارنه في الزمان ؟ ولا شيء في الوجود قط فاعل قارن مفعولا ، وهذا ما ينبغي التفتن له ؛ فإنهم يلبسون به .

(١) الأصل (ص) : واجبا بغيره .

وإذا كان الممكن لا يكون إلا محدثاً ، وكل ماسوى الواجب بنفسه فهو ممكن ، فكل ماسواه فهو محدث .

وإذا قيل : بل يمكن قدمه .

فيقال : لا ريب أنه لا يكون قديماً إلا إذا كانت له [عله^(١)] تامة أزلية ، وهذا متفق عليه ، وذلك أنه إذا كان ممكناً - ليس موجوداً بنفسه - وهو مع ذلك قديم أزلي : فإنه لا بد له من موجب بذاته في الأزل ؛ بحيث يلزم من وجوده وجوده ، وهذا هو العلة التامة الأزلية التي تستلزم ثبوت معلولها في الأزل . إن لو لم يكن في الأزل موجب بذاته هو علة تامة ، لم يجب وجود المعلول ، بل كان ممكن الوجود ممكن العدم^(٢) ؛ وحينئذ فلا يجوز وجوده ، كما تقدم بيانه من أن الممكن - القابل للوجود والعدم - يمتنع وجوده بنفسه ، ويمتنع وجوده بدون مرجح تام يجب وجوده به .

وأما المقدمة الثانية - فلأن العالم مستلزم للحوادث مقارن لها ، بحيث ليس فيه شيء^(٣) إلا [ويقترن^(٣)] بالحوادث مقارنة لاتقدم عليها ، وقد دخل في ذلك العقول والنفوس التي يشبها الفلاسفة - إذا قيل بوجودها^(٤) - فإن العقول ، وإن لم تقم بها الحوادث عند كثير منهم ، فإنها مقارنة للحوادث لاتتقدم عليها .

وهذه المقدمة مسلّمة ، والدليل عليها أن كل جزء من العالم إما أن يقترن بالحوادث ، بحيث يمتنع تقدمه عليها ، وإما أن يجوز وجوده قبل وجود شيء^(٤) من الحوادث .

فإن كان الأول فهو المطلوب ، وإن كان الثاني لزم أن يكون لجميع الحوادث أول ؛ وهذا مع أنه يبطل عمدة الفلاسفة الدهرية إذا التزموا

(١) علة : ليست في الأصل (ص) : وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) الأصل (ص) : العالم ، وكتب في الهامش : لعله العدم .

(٣) ويقترن : ليست في الأصل (ص) ، وترك مكانها بياضاً .

(٤) الأصل (ص) : لوجودها .

فإنه باطل؛ وذلك [أنه^(١)] يستلزم ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح، وحدث الحوادث بلا سبب .

وإذا / كان كل جزء من العالم مستلزماً لمقارنة الحوادث - لا يجوز أن يوجد قبلها - امتنع أن يكون مفعول العلة التامة القديمة ، وأن يكون صادراً عن موجب بالذات في الأزل، فإن وجود الملزوم بدون اللازم محال .

وما كان مستلزماً للحوادث - بمعنى أنه لا يوجد إلا مقارناً ، بل لا يكون وجوده إلا مقارناً لها - امتنع وجوده دونها، وامتنع أيضاً وجود الحوادث المتسلسلة عن علة تامة أزلية ، وهو الموجب بالذات في الأزل ؛ لأن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها في الأزل ، وإن شئت قلت : لأن الموجب بالذات في الأزل يجب وجود موجب في الأزل ، لا يتأخر عنه شيء من معلوله وموجبه .

والحوادث المتعاقبة شيئاً بعد شيء لا تكون حملتها ؛ بل ولا واحد منها بعينه في الأزل ؛ فامتنع صدور الحوادث أو ما يستلزم الحوادث عن علة تامة أزلية ؛ فامتنع ثبوت الموجب بالذات في الأزل ؛ فامتنع صدور شيء من العالم عن علة تامة في الأزل ؛ فامتنع قدم شيء من العالم ، وهو المطلوب .

وإذا قيل : هو موجب الحادث الثاني بشرط الأول ، كقاطع المسافة .
قيل : إذا كان علة تامة أزلية على حال واحدة أزلاً وأبداً - فما من وقت إلا ويمتنع اختصاصه فيه بما يوجب صدور حادث عنه ، فلا يصدر عنه شيء من الحوادث ، وهذا بخلاف قاطع المسافة ؛ فإنه إذا قطع الجزء الأول حدث في نفسه إرادة وقدرة لم تكن ؛ فيها أحدث الحادث الثاني .

(١) أنه : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي زيادتها .

(٢) الأصل (ص) : ما كان .

(٣) الأصل (ص) : . . . الحوادث وأما ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) الأصل (ص) : لم يكن فيها ، والحرف الذي يلي الفاء غير منقوط .

فإن قيل: هذا يبطل قول من لا يقول بقيام الحوادث بالواجب من الفلاسفة، وأما القائلون به مثل الأساطين وأبي البركات وغيرهم؛ فهم يقولون: إنما أحدث الثاني بما قام في نفسه من الأمور المتجددة كالإرادة ونحوها.

قيل: وعلى هذا القول يكون القول بأنه ليس في العالم شيء قديم - أظهر وأظهر.

وذلك أنه إذا كان إنما يفعل بأمور متجددة تقوم بنفسه - كان فعل كل مفعول له متجدداً، وإذا كان فعل المفعول حادثاً، فالمفعول يكون حادثاً بطريق الأولى والأخرى؛ فإنه على هذا القول يكون امتناع فعل قديم لمفعول قديم أظهر وأظهر.

ولأنه على هذا التقدير لا بد أن تكون ذاته علة تامة لذات الفلك، ووجود الفلك بدون لوازمه مستنع؛ فلا بد أن يكون علة له وللوازمه الحادثة، وهو لا يكون على هذا القول علة بذات مجردة، بل بذات موصوفة بالإرادة المتعاقبة شيئاً بعد شيء، وما كان كذلك امتنع أن يكون شيء من مراداته المفعولة له قديماً أزلياً.

وسنبين - إن شاء الله تعالى - أن كل فاعل يمتنع أن يقارنه مفعوله؛ فضلاً عن الفاعل بالإرادة؛ فضلاً عن أكمل الفاعلين؛ [خالق] كل شيء [وربه ومليكه]؛ نوضح بذلك أن هؤلاء المتفلسفة الدهرية يزعمون أن الرب تعالى دائم الفيض، وأن فيضه إنما يتوقف على حدوث الاستعدادات/والقوابل؛ كما يقولونه في العقل الفعّال، ويقولون: إنه دائم الفيض على هذا العالم، لكن تأخير فيضه بسبب تأخير حدوث الاستعدادات والقوابل.

فيقال لهم: ما ذكر في العقل الفعّال وإن كان باطلاً؛ لكن بتقدير (٣) تسليمه فالعقل ليس هو المبدع لما سواه، بل ما يصدر عنه متوقف عليه وعلى

(١) الأصل (ص): سنين. بدون الواو.

(٢) الأصل (ص): الفاعلين كل شيء... (ثم بياض بقدر كلمة) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) الأصل (ص): تقديره.

ظرية الفيض
ندالفلاسفة
لدهريّة

غيره ، فلما صار له شريك في الأحداث توقف فيضه على أحداث شركائه ، وأما واجب الوجود المبدع لكل ماسواه فلا يتوقف فعله على غيره ، ولا يحتاج في شيء من أموره إلى غيره .

فلوقيل : إن فعله يتوقف على حدوث استعداد وحدوث قوايل .

قييل : الكلام في حدوث الاستعداد والقوايل كالقول في المحدث غيره ، وهم

يقولون : إن حركة الفلك هي أصل حدوث كل حادث .

فيقال لهم : ما الموجب لحركة الفلك ؛ وهي قائمة بالفلك الذي هو ممكن

معلول لغيره ؟ .

إن قلت : تجدد تصورات وإرادات الفلك .

قييل : والكلام في تجدد تلك التصورات والإرادات ؛ فإنها أمور ممكنة

قائمة بأعيان ممكنة ؛ فهي محلها مفتقرة إلى مبدع فاعل لها ؛ فما الموجب

لحدوثها ، والواجب عندكم لا يحدث عنه أمر من الأمور أصلاً ؟ .

فحقيقة قولكم أن جميع الحوادث تحدث بلا محدث أصلاً ، وهذا أشد

فساداً من قول الجهمية والمعتزلة وموافقهم ؛ الذين قالوا : تحدث عن فاعل

مختار بدون سبب حادث ، وبدون مرجح لأحد المتماثلين على الآخر - فإن

إنكار المحدث أعظم فساداً في العقل من إنكار سبب الحدوث .

وحقيقة قول هؤلاء الفلاسفة - الذين قالوا بأن العالم معلول علة قديمة -

أن حوادث العالم لا يحدث لها أصلاً ؛ فإن منتهى قولهم إضافة الحوادث

إلى حركة الفلك ، ثم لا يثبتون لحركته القائمة بالممكنات محدثاً لها ، فإنه

ليس فوق ذلك إلا علة تامة أزلية - وهو الذي يسمونه موجباً بالذات - أو ما

هو من لوازم وجوده كالعقول التي يثبتونها فإنها لازمة له مفعولة ، لا تنفك

لاهي ولا شيء من أحوالها .

قولهم في حركة
الفلك

حقيقة قولهم
أن الحوادث
تحدث بلا
محدث

(١) الأصل (ص) : لحركة .

ومن المعلوم بصريح العقل أن العلة التامة الأزلية ولوازمها يقارنها معلولها - وهي موجبة بذاتها له في الأزل - لا يتأخر عنها، فلا يكون شي من الحوادث معلولاً لها ولا موجباً بها؛ فلا تكون الحوادث صادرة عنها لا بواسطة ولا بغير واسطة، ولا يمكن إسناد الحوادث إلى غيرها؛ فإنه إن كان واجباً بنفسه كان باطلاً من وجوه:

منها، لزوم إثبات واجبين قائمين بأنفسهما مشتركين في العالم؛ هذا أبداع الذوات وهذا أبداع الحوادث، مع أنه مما اتفق أهل الأرض على فساده، فساده معلوم بصريح العقل، وقد تقدم بيان فساده.

ومنها، أن الكلام في صدور الحوادث عن هذا الواجب بنفسه، كالكلام في صدرها عن الأول؛ فإن صدور الحوادث عن علة تامة أزلية متمتع كيفما قدر. وإن قيل: بل هذا الواجب تقوم به أمور اختيارية، هي سبب حدوث الحوادث - أمكن أن يقال مثل هذا في الواجب بنفسه الحق، فلا حاجة إلى إثبات رب ثانٍ واجبٍ بنفسه، مع أنه معلوم الامتناع بصريح المعقول وصحيح المنقول.

فحقيقة قول هؤلاء في حركات الأفلاك من جنس قول القدرية في أفعال الحيوان، مع أنهم ينكرون على القدرية قولهم، والقدرية خير منهم؛ فإن الحيوان يعلم الناس أنه متحرك باختياره وقدرته بالضرورة بخلاف الفلك، ويعلمون ما يحدث بأفعاله بخلاف الفلك.

فقول هؤلاء باطل من وجوه:

منها، أنهم جعلوا جميع الحوادث لاسبب لها إلا حركة الفلك، وهذا باطل قطعاً.

ومنها، أنهم أخرجوا الفاعل عن أن يكون فاعلاً، وسوّوا بين صفاته اللازمة له بأعيانها وبين أفعاله التي يفعلها منفصلة عنه، لاسيما وهو فاعل لها بقدرته ومشيئته.

أما الأول فلأن غاية حركة الفلك أن تكون سبباً في حدوث أمور حادثة،
والأسباب الموجودة في العالم ليس فيها شيء مستقل بالتأثير؛ بل كل
منها لا بد له من شريك معاون وله معارض مانع؛ فإن لم تحصل الشروط
وتنتفي الموانع لم يحصل المسبب.

وهؤلاء غايتهم أن يثبتوا سبباً، لم يثبتوا معه الأسباب التي هي
شروط له، ولم ينفوا الموانع المعارضة.

وهذا شأنهم دائماً في جميع الحوادث، مثل إضافتهم لما يضيفونه إلى
الطبيعة، والطبيعة هي قوة في الجسم؛ فغايتها أن تكون سبباً مفتقراً إلى
أمور أخرى تنضم إليها، ولها موانع معارضة تدفع مقتضاها.

وقد قابلهم طوائف من المتكلمين فنعموا بثبوت الطبيعة؛ وزعموا أن ليس في
الأجسام قوى وطبائع، ثم طوائف من هؤلاء طردوا هذا في الحيوان والجماد؛
وسلبوا الحيوان أن تكون له قدرة لها أثر في مقدوره، وقالوا: "إن الإنسان
لا يفعل أفعاله بل يكسبها"، وفسروا الكسب بما قارن القدرة المحدثه في محلها.
ومجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها؛ فإن الفعل يقارن العلم والإرادة
وغير ذلك، ولهذا قال جمهور العقلاء: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: "طفرة النظام"^(١)

قول الجبرية
الاشاعرة في
طبائع الأجسام

(١) في الأصل (ص): جاءت هذه الكلمات الأخيرة كما يلي: أن يثبتوا سبباً لم يثبتوا عنه الأسباب،
ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) الأصل (ص): وسلموا، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في الصحاح مادة "طفر": "طفرة": الوثبة.

والقول بالطفرة من أشهر آراء النظام في الطبيعيات، وهي قوله: إن كل مسافة تقطع بالطفرة فلا
يجب أن يمر أو يحاذي القاطع جميع الأجزاء، بل يجوز أن يكون في مكان ثم يصير إلى المكان
الثالث، ولم يمر بالثاني، على جهة الطفرة.

وأصل هذا القول أن أكثر المعتزلة - ووافقهم أكثر الأشعرية - قالوا: إن الأجسام مركبة من أجزاء
لا تتجزأ، وهي الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، وخالفهم النظام ونفى الجزء الذي لا يتجزأ،
وقال: إن الأجسام مركبة من أجزاء أو جواهر غير متناهية.

وعلى هذا بنى القول بالطفرة، إذ التزم أن الطافر لا يحاذي ماتحته من الأجزاء، لثلا يقسح
مالا يتناهي تحت ما يتناهي.

انظر: في طفرة النظام والرد عليه: مقالات الاسلاميين للأشعري ١/٢٩؛ الفصل لابن حزم ٥/٦٤ -
٦٥؛ المعتد في أصول الدين لأبي يعلى، ص ٣٩؛ الشامل للجويني، ص ٤٣٤ - ٤٤٤؛ الملل
والنحل للشهرستاني ١/٢٠ - ٢١؛ در تعارض المعتز والنقل ٣/٤٤٢ - ٤٤٤، ٨/٣٣٠ - ٣٢١.

وأحوال أبي هاشم^(١)، وكسب الأشعري^(٢).

والكسب الذي أنكره الجمهور على الأشعري تابعه عليه طوائف من المنتسبين إلى السنة؛ من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وأحمد، ومن أهل الحديث والصوفية وغيرهم.

وهو^١ لا يثبتون للحوادث سبباً ولا حكمة، بل يجعلون نفس الإرادة القديمة الأزلية اقتضت حدوث الحوادث جميعها؛ بصفات وأقدارها وأزمنتها المعيّنة؛ مع تماثل الأزمنة وتماثل الحوادث بالنسبة إلى الإرادة، ويقولون: "إن من شأن الإرادة تخصيص أحد المتماثلين على الآخر بدون مخصص".

وأما جمهور العقلاء من أهل الحديث والكلام والفقه والتصوف والفلسفة وغيرهم - يقولون: "فساد هذا معلوم بصريح العقل".

- (١) تقدم الكلام عن الأحوال، ص ٧٥ ت ٦ .
- (٢) قال أبو الحسن الأشعري في كتاب "مقالات الإسلاميين" ٢ / ٢٢١: "والحق عندي أن معني الاكتساب، هو أن يقع الشيء بقدرته محدثه، فيكون كسباً لمن وقع بقدرته".
- وبسط في كتاب "اللمع" الكلام عن نظريته في الكسب، وأجاب على اعتراضات أوردها، وما قال، ص ٧٢-٧٤: "فإن قال قائل: فلم لا دل وقوع الفعل الذي هو كسب، على أنه لا فاعل له إلا الله، كما دل على أنه لا خالق له إلا الله تعالى؟ قيل له: كذلك نقول، فإن قال: فلم لا دل على أنه لا قادر عليه إلا الله عز وجل؟ قيل له: لا فاعل له على حقيقته إلا الله تعالى، ولا قادر عليه أن يكون على ما هو عليه من حقيقته أن يخترعه إلا الله تعالى.
- فإن قال: فلم لا دل كونه كسباً على حقيقته، على أنه لا مكتسب له في الحقيقة إلا الله؟ قيل له: الأفعال لا بد لها من فاعل على حقيقتها، لأن الفعل لا يستغني عن فاعل... وليس لا بد للفعل من مكتسب يكتسبه على حقيقته... ألا ترى أن حركة الاضطرار تدل على أن الله تعالى هو الفاعل لها على حقيقتها، ولا تدل على أن المتحرك بها في الحقيقة هو الله تعالى... ولا يجب أن يكون المتحرك المضطر إليها فاعلاً لها على حقيقتها، إذ كان متحركاً بها على الحقيقة، إذ كان معني المتحرك. أن الحركة حلت، ولم يكن ذلك جائزاً على ربنا تعالى.
- وكذلك إذا كان الكسب دالاً على فاعل فعله على حقيقته، لم يجب أن يدل على أن الفاعل له على حقيقته هو المكتسب له، ولا على أن المكتسب له على الحقيقة هو الفاعل له على الحقيقة، إذ كان المكتسب مكتسباً للشيء، لأنه وقع بقدرته له عليه محدثه، ولم يجز أن يكون رب العالمين قادراً على الشيء بقدرته محدثه، فلم يجز أن يكون مكتسباً للكسب، وإن كان فاعلاً له فسي الحقيقة".

انظر سائر كلامه، ص ٦٩-٨٠، وانظر كلامه بعد ذلك في الاستطاعة، ص ٩٣-١٠٢، حيث يقول بوجود الاستطاعة مع الفعل للفعل، واستحالة تقدمها عليه.

وانظر في كتب أتباعه: أصول الدين للبيهقي، ص ١٣٣-١٣٧؛ الارشاد للجويني، ص ١٨٧ -

٢١٠، ٢١٥-٢٢٥؛ الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل ١/١٢٥.

قول القدرية من المعتزلة ونحوهم ، فأثبتوا ما في الحيوان من القدرة
المعتزلية
ظ ٣٤
والاختيار والأفعال ، دون سائر القوى / والطبائع والأفعال التي فيه أو في
غيره من الأجسام ، وظل في أفعال الحيوان حتى جعلوها تحدث ارادية بلا سبب
محدث لها - كما زعم أولئك الفلاسفة في الحركة الفلكية - .

وجعل أكثرهم ما يحدث بسبب منه ومن غيره أفعالا يسمونها " الأفعال المتولدة " ^(١)
: كالشبع والرى عن الأكل والشرب ، وخروج السهم عن النزع ، وحصول الموت
عن الضرب ونحو ذلك .

وهو لا القدرة تارة يثبتون حادثا بلا محدث ؛ وممكنا يرجح وجوده على
عدمه بلا مرجح ؛ كحدث فعل الحيوان ، وتارة يضيفون الحادث الى بعض أسبابه
دون سائر أسبابه ؛ كإضافة المتولدات الى فعل الانسان دون غيره ؛ وتارة ينكسرون
الأسباب كانكارهم ما في الأجسام من القوة الطبيعية غير الارادية ^(٢) .

(١) الأصل (ص) : فعلا ، ولعل الصواب ما أثبتته .
(٢) فصل الأشعري في كتاب " مقالات الاسلاميين " ٨٦ / ٢ - ٩٣ أقوال المعتزلة في الأفعال المتولدة ،
وهي التي تتولد أو تحصل عن أفعال أخرى ؛ فقال مملخصه :
قال بشر بن المعتز : ما تولد عن فعلنا فهو فعلنا ، حادث عن الأسباب الواقعة منا ، وزعم أن
الناس يفعلون اللون والحلاوة والرائحة والألم واللذة والصحة والزمانة والشهوة .
وقال أبو الهذيل : ان كل ما تولد عن فعله مما تعلم كيفيته فهو فعله ، وذلك كالألم الحادث عن
الضرب ، ونهاب الحجر عند دفعه له ، وكالصوت الحادث عند اصطكاك الشيئين . فأما اللذة
والألوان والطعم والأرايح ، والحرارة والبرودة ، والعلم الحادث في غيره عند فعله فذلك فعل
الله سبحانه .
وقال ابراهيم النظام : لا فعل للانسان الا الحركة ، وانه لا يفعل الحركة الا في نفسه ، وكان يقول :
ان ما حدث في غير حيز الانسان فهو فعل الله سبحانه بايجاب خلقه للشيء ، كذهاب الحجر عند
دفعه الدافع ، ومعنى ذلك أن الله سبحانه طبع الحجر طبعا اذا دفعه دافع أن يذهب ، وكذلك
سائر الأشياء المتولدة .

وقال معمر : المتولدات وما يحل في الأجسام من حركة وسكون ، ولون وطعم ورائحة ، وحرارة وبرودة ،
ورطوبة وبيوسة ، فهو فعل للجسم الذي حل فيه بطبعه .
وقال صالح قبة : ان الانسان لا يفعل الا في نفسه ، وان ما حدث عند فعله - كذهاب الحجر عند
الدفعه - فالله سبحانه الخالق له ، وجائز أن يخلق سكون الحجر الصغير عند دفعه الدافع له ،
ولا يخلق ان هابه ولو دفعه أهل الأرض جميعا واعتمدوا عليه ، وجائز أن يضع الله سبحانه الا دراك
مع العمى ، والعلم مع الموت .
وقال ثامة : لا فعل للانسان الا الارادة ، وأن ما سواها حدث لا من محدث ، كحون هاب الحجر
عند الدفعه ، وزعم أن ذلك يضاف الى الانسان على المجاز .
وقال الجاحظ : ما بعد الارادة فهو للانسان بطبعه ، وليس باختيار له ، وليس يقع منه فعل باختيار
سوى الارادة / =

والأسباب ثابتة ، وهي حادثة باحداث الله تعالى ، وهي مفتقرة للسي
أسباب آخر، ولها موانع . وهو لا ينفون بعضها ، ويجعلون بعضها حادشا
بغير احداث الله ؛ ويجعلون ذلك المحدث مستقلا لا يفتقر الى مشارك .
وأما مقابلوهم المائلون الى الجبر فأثبتوا أن الله خالق كل شي * وربه
ومليكه ، وهذا جيد ، لكن نفوا تأثير الأسباب والحكم في الجماد والحيوان ،
وأنكروا أن يكون للحيوان - الانسان أو غيره - فعل يفعله بقدرته .
وحقيقة قول هو لا * ترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح ؛ وحدوث الحوادث بلا
سبب أصلا .

قول الفلاسفة
أفسد من قول
القدرية
والجبرية من
وجوه

وقول هو لا * وهو لا * مع مافيه من الخطأ والفساد ؛ فهو خير من قول
أولئك المتفلسفة وأهل الطبع والنجوم من وجوه :
فان قول أولئك يتضمن ما يتضمنه قول هو لا * وقول هو لا * ، من ترجيح
أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح ، ومن حدوث الحوادث بلا سبب، ويزيد
عليه بأنه يتضمن حدوث جميع الحوادث بلا محدث أصلا .
ويتضمن اضافتهم الحوادث الى مالا يعلم ثبوته ، بل يعلم انتقائه من الأسباب .
ويتضمن أنهم يجعلون السبب مستقلا بالاحداث ، مع افتقاره الى شريك
يعاونه ، ومانع يعارضه ، وافتقاره الى محدث يحدثه ؛ فلا يثبتون لامحدثه
ولا شريكه ^(٢) ولا مانعه ، بل يضيفون الى السبب المحدث الذي له شركاء * وموانع ،
وحصول الأثر به موقوف على فعل الله تعالى - يضيفون اليه مع هذا ، ما هو
مخلوق للرب الذي لا شريك له ولا ضد له ولا رب له .

/ = وقال ضرار وحفص الفرد : ما تولد من فعلهم مما يمكنهم الامتناع منه متى أرادوا فهو فعلهم ،
وماسوى ذلك ما لا يقدران على الامتناع منه متى أرادوا فليس بفعلهم .
وقد أشار الى بعض هذه الأقوال القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٨٧ - ٤٨٨ ،
وحاول الخياط في كتاب " الانتصار " ، ص ٧٦ - ٧٨ رد النقد الموجه للمتأخرين بالتولد .
وانظر من الكتب الناقدة أصول الدين للبغدادي ، ص ١٣٧ - ١٤٠ ؛ الارشاد للجويني ، ص ٢٣٠ -
٢٣٤ ؛ الفصل لابن حزم ٥٩ / ٥ - ٦٠ ؛ المواظف للأيجي ، ص ٣١٦ - ٣١٩ .
(١) الأصل (ص) : وفوق ، ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) الأصل (ص) : ولا شريك .

ولهذا كان الحاد هو^(١) ظاهرًا عند أهل الملة ، بخلاف الأولين فانهم معدودون من أهل البدع .

وهذا المقام من أعظم المقامات التي اضطرب فيها مبتدعة المتكلمين وملاحظة الفلاسفة ، حتى ان الرجل الواحد يصنف الكتب المتعددة ، فينصر قول هو^(٢) في كتاب ، [وينصر قول أولئك في كتاب^(٣)] ، كما يقع في كتب الرازي والآمدى ، بل وأبي حامد وغيرهم ، والقول الوسط ، الجامع للحق ، الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول - لا يهتدون اليه .

وأشهر الطوائف انتسابا الى السنة هم مشيئة القدر ؛ الذين يقرون بما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها / من أن الله تعالى خالق كل شيء وربهم ومليكه ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته .

ج ٣٥

فهو^(٤) يردون على أهل التعطيل من المتفلسفة وفروعهم ، الذين يثبتون بعض الأسباب للحوادث ويعرضون عما سوى ذلك ؛ ويردون على القدرية الذين يزعمون أن ما يحدث من أفعال الحيوان يحدث بدون قدرة الله ومشيئته وخلقه ، ويثبتون هذا من جملة الحوادث .

مع أن الدليل على أن الله تعالى خالق كل شيء يتناول هذا كما يتناول غيره ؛ سواء استدل بالامكان ، أو بالحدوث ، أو مجموعهما ، أو كل منهما ، أو غير ذلك ؛ مما به يعلم أن الله خالق الممكنات المحدثات من الأعراض القائمة بالحيوان والجماد - يعلم به أنه خالق^(٥) أفعال الحيوان ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع .

لكن هو^(٦) المنتسبون الى السنة ، لم يثبت كثير منهم للرب حكمة يفعل لأجلها ؛ قائمة به ولا منفصلة عنه ، ولا يثبتون له رحمة ومحبة ورضا وسخطا ، غير

(١) الأصل (ص) : ظاهر .

(٢) ما بين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافته .

(٣) في الأصل : أن ، ولعل الصواب ما أثبتته .

محض المشيئة التي نسبتها الى جميع الممكنات نسبة واحدة ، ولا يثبتون
للحوادث أسبابا تقتضي التخصيص ، ولا يثبتون ما خلقه الله من الأسباب
والموانع .

بل غايتهم أن يجعلوا مجرد القدرة والمشية والارادة القديمة ، مؤثرة
في كل حادث ، مع نفي تأثير الأسباب بوجه من الوجوه ، ويقولون : ان الله
يفعل هذه الحوادث عند هذه الأمور المقارنة لابيها ؛ وان ذلك عادة محضة ،
ويجعلون " اللام " في أفعاله " لام العاقبة " لا " لام التعليل " .

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته حتى اذا أقلت سحبا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء
فأخرجنا به من كل الثمرات ^(١)) . فبين سبحانه أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج
الشر بالماء .

وقال تعالى : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ^(٢)) . وقال تعالى : (ونزلنا من السماء
ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد .
رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) ^(٣) .

وقال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبيل السلام) ^(٤) . وقال تعالى : (قاطوهم يعذبهم الله بأيديكم) ^(٥) .
وقال تعالى : (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) ^(٦) . وقال

-
- (١) سورة الأعراف : ٥٧ .
(٢) سورة البقرة : ١٦٤ . وآخر الآية : (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لايات
لقوم يعقلون) .
(٣) سورة ق : ٩ - ١١ .
(٤) سورة المائدة : ١٥ - ١٦ .
(٥) سورة التوبة : ١٤ .
(٦) سورة الشورى : ٥٢ .

تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا)^(١) . ومثل هذا الكثير .

وأیضا ففي القرآن من اضافة الآثار الى المخلوقات من الحيوان والجماد
 دلالة القرآن على
 اضافة آثار
 المخلوقات من
 الحيوان
 والجماد اليها
 مالا يكاد يحصى ؛ كقوله في الآدميين : (يعلمون) و (يعقلون) و (يؤمنون)
 و (يتقون) و (يشكرون) ، وأمثال ذلك ، وأمره لهم بالأفعال ونهيه لهم عن
 الأفعال ، وهذا كثير .

قال في الجماد : (وأخرجت الأرض أثقالها)^(٢) . وقال : (اهتزت وربت وأنبتت
 من كل زوج بهيج)^(٣) . وقال تعالى في : (تدمر كل شيء بأمر ربها)^(٤) . وقال
 تعالى : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية)^(٥) .
 وقال تعالى : (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)^(٦) / وقال تعالى :
 (ووصينا الانسان بوالديه)^(٧) . والولادة ليست من الأفعال الاختيارية ؛ وان
 كان بعض أسبابها اختياريا .

ظ ٣٥

وقال تعالى : (والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسيرا)^(٩) .
 وقال : (والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . الفارقات فرقا)^(١٠) .
 وقال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا
 أقلت سحابا ثقالا)^(١١) . وقال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح)^(١٢) .

-
- (١) سورة البقرة : ٢٦ .
 - (٢) سورة الزلزلة : ٢ .
 - (٣) سورة الحج : ٥ .
 - (٤) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : . . . في الريح .
 - (٥) سورة الأحقاف : ٢٥ .
 - (٦) سورة الحاقة : ٥ - ٦ .
 - (٧) سورة الحاقة : ١١ .
 - (٨) سورة العنكبوت : ٨ .
 - (٩) سورة الذاريات : ١ - ٣ .
 - (١٠) سورة المرسلات : ١ - ٤ .
 - (١١) سورة الأعراف : ٥٧ .
 - (١٢) سورة الحجر : ٢٢ .

وقال تعالى : (والله جعل لكم ما خلق ظلالة وجعل لكم من الجبال
أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم^(١) . وقال تعالى :
(وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله)^(٢) .

وقال تعالى : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى
الأمر واستوت على الجودي)^(٣) . وقال تعالى : (وهي تجرى بهم في موج كالجبال)^(٤) .
وقال تعالى : (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه)^(٥) .
وقال تعالى : (كمثل جنفة بريوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين)^(٦) . وقال
تعالى : (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا)^(٧) .

وقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت
سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة)^(٨) . وقال تعالى : (كمثل صفوان عليه تراب
فأصابه وابل فتركه صلدا)^(٩) . وقال تعالى : (مثل ما ينفقون في هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته)^(١٠) . وقال
تعالى : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت)^(١١) . ومثل هذا كثير في القرآن
المعزىز .

-
- (١) سورة النحل : ٨١ .
 - (٢) سورة البقرة : ٧٤ .
 - (٣) سورة هود : ٤٤ .
 - (٤) سورة هود : ٤٢ .
 - (٥) سورة الفتح : ٢٩ .
 - (٦) سورة البقرة : ٢٦٥ .
 - (٧) سورة الكهف : ٢٣ .
 - (٨) سورة البقرة : ٢٦١ .
 - (٩) سورة البقرة : ٢٦٤ .
 - (١٠) سورة آل عمران : ١١٧ .
 - (١١) سورة يونس : ٢٤ .

دلالة القرآن على
اثبات حكم الله
في خلقه وأمره

وكذلك ذكر حكمته سبحانه - في غير موضع - (١) في خلقه وأمره ؛ في تكوينه
وتشريعه ؛ في مثل قوله تعالى : (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به) . (٢) وقال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) . (٣) وقوله تعالى : (يا أيها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . (٤) وقوله
: (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) . (٥)
وقال تعالى : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) . (٦) وقال تعالى
(كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) . (٧) وقال تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب
أن لا يقدرن على شيء من فضل الله) . (٨) وقوله : (فردناه الى أمه كي تقر
عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق) . (٩)
وقال تعالى : (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا
بالحسنى) . (١٠) وقوله تعالى : (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا
إيماناً) . (١١) وقال تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن / جملة واحدة
كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) . (١٢) وقوله تعالى : (أو يوبقهن بما كسبنوا
ويعف عن كثير . ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) . (١٣)

ج ٢٦

(١) سبحانه في غير موضع: هذا الكلام كتب في هامش الأصل (ص) .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٦ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٣ .

(٥) سورة البقرة : ٢١ .

(٦) سورة النساء : ١٦٥ .

(٧) سورة الحشر : ٧ .

(٨) سورة الحديد : ٢٩ .

(٩) سورة القصص : ١٣ .

(١٠) سورة النجم : ٣١ .

(١١) سورة المدثر : ٣١ .

(١٢) سورة الفرقان : ٣٢ . في الأصل (ص) : (وقالوا لولا . . .) . وهو خطأ .

(١٣) سورة الشورى : ٣٤ - ٣٥ .

وقوله تعالى : (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهـر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم)^(١) . وقوله تعالى : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)^(٢) .

وقوله تعالى : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)^(٣) . وقوله تعالى : (فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا)^(٤) . وقال تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)^(٥) . وقال تعالى : (وما جعلنا الرويا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن)^(٦) .

وقال تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)^(٧) . وقال تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)^(٨) . وقال تعالى : (والأرض وضعها للأنعام)^(٩) . وقال تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منسه)^(١٠) .

وقال تعالى : (مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم)^(١١) . وقال تعالى : (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر)^(١٢) . وقال تعالى :

-
- (١) سورة المائدة : ٩٧ .
 - (٢) سورة الطلاق : ١٢ .
 - (٣) سورة يوسف : ٢ .
 - (٤) سورة مريم : ٩٧ .
 - (٥) سورة ابراهيم : ٤ .
 - (٦) سورة الاسراء : ٦٠ .
 - (٧) سورة القصص : ٢٣ .
 - (٨) سورة يونس : ٥ .
 - (٩) سورة الرحمن : ١٠ .
 - (١٠) سورة الجاثية : ١٣ .
 - (١١) سورة الحج : ٥ .
 - (١٢) سورة الأنعام : ٩٧ .

: (وللكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام)^(١) .
ومثل هذا في القرآن كثير .

وهذه المسائل مبسطة في غير هذا الموضع ؛ وانما المقصود هنا التنبيه على أصول المقالات بحسب ما يحتمله جواب هذا السؤال ؛ والتنبيه على أن القول الصحيح هو الموافق لصحيح المنقول وصریح المعقول ؛ الذي يجمع ما في الأقوال المختلفة من الصواب ويجتنب ما فيها من الخطأ ؛ وهذه هي طريقة سلف الأمة وأئمة الدين ، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة واجماع السلف .
فان الله تعالى بين في كتابه الحق وأدلته ، بما ضربه فيه من الأمثال وسنه من البراهين العقلية ؛ ^(٢) أن كانت دلالة القرآن ليست مجرد الاخبار ، حتى يكون الاستدلال به موقوفا على العلم بصدق المخبر ؛ بل القرآن - وان أخبر بالحقائق الثابتة في أمر الايمان بالله واليوم الآخر ، في المبدأ والمعاد - فهو يذكر الأدلة الدالة على ذلك ، ويرشد اليها ، ويهدي اليها .

فاذا تأمل العاقل الخبير نهاية ما يذكره أهل النظر من جميع طوائف الكلام والفلسفة وغيرهم - وجد الذي في القرآن أكمل منه ؛ مع سلامته / عن الخطأ والتناقض والتعقيد والتطويل الذي يكثر في كلام أولئك .

مشروعية استعمال قياس الأولى في ذات الله وصفاته
والله سبحانه وتعالى لا ينبغي أن يستعمل في ذاته وصفاته وأفعاله -
قياس الأولى في قياس التمثيل الذي يستوى أفراده ، فانه سبحانه لا مثل له ؛ ولا القياس الشمولي الكلي [الذي]^(٣) يستوى أفراده ، فانه لا يساويه شيء من الأشياء في أمر من الأمور ، بل انما يستعمل قياس الأولى ؛ مثل أن يبين أن ما اتصف به غيره من صفات الكمال التي لانقص فيها بوجه من الوجوه فهو أحق به ؛ وما نفي عن غيره من صفات النقص فهو أحق بتنزيهه عنه . وقد بسط الكلام في ذلك في غير هذا الموضع .

(١) سورة الحج : ٣٤ .

(٢) الأصل (ص) : اذا .

(٣) الذي : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها لوصول الكلام .

ومما يوضح كونهم لم يثبتوا لحركة الفلك ، ولا غيرها من الحوادث - محدثا ؛
فأنه ليس عندهم الا علة تامة قديمة مستغرمة لمعلولها ، وهذه يمتنع أن يصدر
عنها حادث بوسط وبغير وسط ؛ بل لا يكون معلولها الا قديما أزليا مقارنا
لها ، مع أن هذا باطل أيضا ؛ فانه قد تبين أن المفعول المعين يمتنع أن يكون
مقارنا لفاعله ، كما قرر في غير هذا الموضع .

وإذا كانت العلة التامة الأزلية يجب أن يقارنها معلولها - لم يكن
شيء من الحوادث معلولا لها ، وليس هناك فاعل آخر ؛ فيلزم حدوث الحوادث
بلا محدث ؛ وهذا أعظم ما يكون من السفسطة والالحاد .

وقولهم : ان الذات البسيطة - التي لا يقوم بها صفة ولا فعل - يحدث
عنها الحادث الثاني بشرط الأول ؛ فتأخر الأثر كان لتأخر شرطه - باطل من
وجوه :

أحدها - أن يقال : شرط الفعل لا بد أن يكون ثابتا مع الفعل ، لا يكفسي
ثبوته قبل الفعل ؛ ولهذا كان مذهب السلف أهل السنة : أن القدرة لا بد أن
تكون مع الفعل ؛ وان قيل : [يجوز] وجودها^(١) قبل الفعل أيضا ؛ لكن
لا يجوز أن تكون معدومة عند وجود الفعل .

وكذلك الارادة وسائر ما يتوقف عليه الفعل ؛ لأن هذه جميعا هي شروط
كون الفاعل فاعلا ، سواء سمي مؤثرا أو علة أو غير ذلك . ويمتنع وجود الفعل
بفاعل موجود قبل وجوده ، معدوم عند وجوده ، وكذلك سائر ما به يصير الفاعل
فاعلا .

فان قيل : الشرط هو عدم الحادث الأول ، وهذا العدم مقارن للحادث الثاني .
قيل : فالعدم لا يكون تمام المؤثر ؛ فان العدم يمتنع أن يكون مؤثرا في
الوجود ؛ اذا قدر أنه يشترط في فعل أحد الضدين عدم الآخر ونحو ذلك ؛
فلا بد أن يتضمن عدم المانع أمرا ثبوتيا يحصل به تمام كون الفاعل فاعلا ،

(١) الأصل (ص) : وان قيل وجودها . وأضفت كلمة " يجوز " .

وعندهم الفاعل هنا، حاله قبل الحادث وبعده سواء .
وإن قالوا: تجدد قبول المحل للحادث، وهذا كان متمماً قبل انقضاء
الحادث الأول .

قيل: فانقلاب الشيء من الامتناع إلى الإمكان لا بد أن يكون بسبب حادث
؛ والكلام في حدوث هذا القبول كالكلام في الحادث المقبول، وليس
هناك / سبب أوجب حدوثه ؛ فيلزم الحدوث بلا سبب .

٣٢٣

فإن قيل: فهذا السؤال وإن كان مفحماً ؛ لكن يلزم مثله غيرنا من الطوائف؛
ولهذا استعظم الرازي هذا السؤال، ورأى أنه وارد على جميع الطوائف؛
فإن من قال: " يفعل بعد أن لم يكن فاعلاً من غير شيء " يلزمه مثل ذلك^(١).

قيل لهم: هو "إلا" وإن شاركوهم في أصل هذا السؤال؛ لكن أولئك قالوا
بتجدد جنس الفعل بدون سبب حادث، وأنتم قلتم بدوام حدوث الحوادث
عن ذات بسيطة مستلزمة لمعلولها، لا يحدث عنها شيء؛ فقولكم أظهر فساراً
وتناقضاً .

وأما سلف الأمة وأئمتها الذين يقولون: إنه لم يزل سبحانه متكماً
إذا شاء؛ ويقولون: لم يزل فاعلاً لما يشاء؛ ويقولون: إنه تقوم بذاته الأمور
الاختيارية؛ ويقولون: إنه كان ولم يزل متصفاً بما أخبر أنه كان موصوفاً به
- فهذا السؤال المفحم لا يرد عليهم .

أما من يقولون: هو متكلم وفاعل بمشيئته وقدرته؛ كلاماً بعد كلام وفعالاً
بعد فعل؛ ونفسه هي موجبة لما يصدر عنها من أقوال وأفعال؛ لكن يوجب
الثاني بشرط انقضاء الأول؛ فالأول إذا انقضى أوجب النفس لها حالاً^(٢) بها
تفعل الثاني؛ والموجب لتلك الحال هو نفسها المتصفة بالأمور الثبوتية التي
هي كمال في حقها .

(١) سيأتي نقل ابن تيمية للكلام الرازي في كتاب "المطالب العالية" بعد قليل .

(٢) الأصل (ص): مان .

(٣) الأصل (ص): حلا .

ومعلوم أنه يمتنع فعل الشيء إلا بلوازمه، ويمتنع وجوده مع ضده؛ فإذا كان تأخير الثاني لوجود ضده أو لامتناع لوازمه، كان قد صار ممكناً بعد أن لم يكن: بما تجدد من الحوادث التي جعلته ممكناً^(١).

وهذا بخلاف ما إذا كانت الذات لا تقوم بها الأحوال؛ فإنه ليس هناك ما يتصور حدوث شيء عنها^(٢) - فلم يثبتوا حوادث مختلفة متجددة عن ذات بسيطة؛ بل ذات متصفة بصفات وأفعال، وهذا أمر ممكن باتفاق العقلاء. وإنما الأمر المردود في فطرة كل عاقل فهو ما أدعوه؛ ولهذا كان عامة هذا قههم يقدرونه من مهارات عقولهم؛ كما ذكر ذلك ابن رشد الحفيدة الفيلسوف في "تهافت التهافت"، وكما ذكره أبو عبد الله الرازي في "المطالب العالية".

قال^(٤): "وأما معرفة أفعال الله^(٥) ففيه موقف حارث العقول وضلت الأفهام فيه^(٧)؛ وهو إسناد الأثر المتغير إلى مؤثر لا يتغير ألبتة، كيف يعقل؟ فإنه مالم يحدث إرادة، أو يغير وقت، أو حدوث مصلحة، أو زوال عائق - فإنه يمتنع أن يصير فاعلاً بعد أن لم يكن كذلك.

أما القائلون بحدوث العالم فقد احتاجوا^(٩) إلى دفع هذه العقدة، وأما القائلون بتقديم العالم فقد ظنوا أنهم تخلصوا من هذه العقدة^(١٠)،^(١١)

كلام الرازي في كتاب المطالب العالية عن أفعال الله

(١) الأصل (ص): لها. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) الأصل (ص): الذي. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) الأصل (ص): عنه. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) في كتاب المطالب العالية "مخطوط بدار الكتب المصرية (علم الكلام (م) ٤٥) يقول الرازي في مقدمة الكتاب، الفصل الرابع ق ٥ (ب) "اعلم أن الانسان له أحوال ثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، أما الماضي فهو يريد أن يعرف أن هذه الأحوال كيف كانت في الماضي وذلك لا يحصل إلا بأن يعرف المبدأ الأول ويعرف صفاته ويعرف أنه كيف صدر عنه هذه الأفعال فهذه مقدمات ثلاث وعلى طريق كل واحد [كذا] منها عقدة هائلة... والنص المنقول في: ق ١٦ (أ).
(٥) المطالب: الأفعال.

(٦) المطالب: جازت.

(٧) فيه: ليت في المطالب.

(٨) المطالب: وأما.

(٩) الأصل (ص): احتاجون.

(١٠) المطالب: تقدم. وهي غير منقوطة في الأصل (ص) ولعل الصواب ما أثبت.
(١١) المطالب: يخلصوا عن.

(١٢) الأصل (ص): العقد، والمثبت من المطالب.

وليس الأمر كذلك ؛ فإنه لا شك في حدوث الصور والأعراض في هذا العالم ؛
وأن هذه الأحوال قد توجد بعد غدها ، وتعتمد بعد وجودها ؛ فإن أسندنا
كل حادث إلى حادث [آخر] (٣) من غير إسنادها إلى موجود واجب قائم بنفسه (٤)
- فهو محال ؛ وإن وجب انتهاؤها وإسنادها بالآخر (٥) ؛ إلى موجود واجب
الوجود لذاته ، متميزة عن جهات التغير ، فقد عاد الإشكال .

تعليق ابن تيمية / قلت : فقد تبين أن هذه العقدة التي لزمتم هولاء وهولاء ، إنما
ظ ٣٧ لزمتم لكونهم لم يوافقوا النصوص النبوية فيما دلت عليه من أن الفاعل
تعالى تقوم به الأمور الاختيارية ؛ فإن القرآن والسنة ملوؤ من تقرير هذا
الأصل ، وهو مذهب أئمة أهل السنة والحديث .

وليس في أئمة الإسلام من نازع في هذا ؛ وإنما نازع فيه من أخذ قوله
عن الجهمية والمعتزلة ؛ وحينئذ فلا إشكال ولله الحمد على مذهب السلف
والأئمة ؛ بل هو الذي تطابق عليه صريح المعقول مع صحيح المنقول .

وهذا الأصل يوافق عليه أئمة الطوائف الكبار من أهل الملل : المسلمين
واليهود والنصارى وغيرهم ؛ ومن الفلاسفة أيضا ؛ كما قد بسط الكلام على
أقوال الناس في هذا الأصل وغيره في غير هذا الموضع .

أقوال الفلاسفة / وقد ذكر اختلاف الفلاسفة في ذلك ، غير واحد ممن صنف في مقالاتهم ؛
في أفعال الله كما ذكر ذلك أبو عيسى الوراق (٧) وغيره .

(١) المطالب : التصور .

(٢) المطالب : وبعدم ، ولم تنقط في الأصل (ص) .

(٣) آخر : ساقطة من الأصل (ص) ، وأثبتتيا من " المطالب " .

(٤) المطالب : التي موجود قد يم .

(٥) المطالب : بالآخرة .

(٦) المطالب : منزه .

(٧) أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ، معتزلي ، توفي ببغداد سنة ٢٤٧ هـ . انظر عنه : لسان الميزان
٤١٢/٥ ؛ الأعلام ١٢٨/٧ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤ / (٧-٧٢) ، وانظر
كتاب " الانتصار " للخياط المعتزلي ، ص ٩٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

قالوا: " قال سقراط وأفلاطون وأرسطو: إن الباري لا يعبر عنه إلا بهو فقط، وهو الهوية المحضة غير المتكثرة، وهو الحكمة المحضة، والحق المحض". وذكر تمام كلامهم.

قالوا: " وقال تاليس وبلاطو وحسن ولوقيسوس

(١) لأبي عيسى الوراق كتاب بعنوان " المقالات "، لم يطبع، ولم أر من ذكر له نسخا خطته، ولعمل النص التالي منه، وقد أورد ابن تيمية هذا النص في كتاب " درء تعارض العقل والنقل ١٥٩/٢ - ١٦٤ " تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، دون أن يسمي الكتاب المنقول عنه أو صاحبه، وسأقابل - ان شاء الله - ما هنا على ما في " درء ".

(٢) ولد سقراط بأثينا عام ٤٦٩، أو ٤٧٠-ق.م، وهو من تلاميذ فيثاغورس، اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية والأخلاقية، ونهى عن الشرك وعبادة الأوثان، ودعا إلى الزهد وتهذيب الأخلاق، قتل مسموما عام ٣٩٩ ق.م.

انظر: طبقات الأطباء والحكماء، ص ٣٠-٣١؛ الملل والنحل ١٨٥/٢-١٩٠؛ كتاب " الله " للعقاد، ص ١٣٣-١٣٤؛ تاريخ الحكماء، ص ١٩٧-٢٠٦؛ تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند رسل، ترجمة د / زكي نجيب محفوظ، ص ١٤٣-١٥٩؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٥٠-٥٧؛ الفلسفة عند اليونان لأميرة حلمي مطر، ص ١٣٥-١٦٠.

(٣) ولد أفلاطون في أثينا (الجزيرة الواقعة قبالة أثينا) سنة ٤٢٧ ق.م، وهو أحد أساطين الفلسفة اليونانية، تعرف إلى سقراط، ورحل إلى جنوبي إيطاليا بقصد الوقوف على المذهب الفيثاغوري في منبته، ثم رجع إلى أثينا وأنشأ سنة ٣٨٧ ق.م مدرسة الجامعة في أثينا تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية وتوفي سنة ٣٤٧ ق.م.

انظر الفهرست للنديم، ص ٣٠٦-٣٠٧؛ الملل والنحل ١٩٠/٢-١٩٣، ١٩٣-٢/٣، ٦-٢؛ تاريخ الحكماء، ص ١٧-٢٧؛ كتاب " الله " للعقاد، ص ١٣٤-١٣٦؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ١٦٠-٢٥٧؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٦٢-١١١؛ الفلسفة عند اليونان، ص ١٦١-٢٣٩؛ " أفلاطون " للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ط. المعارف بمصر ١٩٦٥ م.

(٤) أرسطو تقدمت ترجمته، ص ٣٨.

(٥) درء: وهي.

(٦) وقد نقله ابن تيمية في " درء " ١٦٠/٢ بسبعة سطور تقريبا.

(٧) قالوا: ليست في " درء ".

(٨) تاليس الملطي، أول الفلاسفة اليونانيين، وأحد الحكماء السبعة عندهم، اشتهر عام ٥٨٥ ق.م.

انظر الملل والنحل ١٥٨/٢-١٦٢؛ تاريخ الحكماء، ص ١٠٧، تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٢٣، ٥٥-٥٨؛ تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٢-١٤؛ ربيع الفكر اليوناني لميد الرحمن بدوي، ص ٩٥-٩٧؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط للأهواني، ص ٤٨-٥٦؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٤٧-٥٥.

(٩) وبلاطو وحسن (بدون نقاط): كذا في الأصل (ص)، وفي (درء): وبلاطرخس، وذكر الشهرستاني في الملل والنحل ٨/٣-٩ فلوطرخيس، وقال عنه: " قيل: انه أول من شهر بالفلسفة، ونسبت إليه الحكمة، تفلسف بمصر، ثم سار إلى ملطية وأقام بها، وقد يعد من الأساطين ".

وفي كتاب " الفهرست " ص ٣١٤، وتاريخ الحكماء، ص ٢٥٧، ذكر اثنان باسم " فلوطرخس " وأنهما فيلسوفان لهما تصانيف. وانظر أيضا خريف الفكر اليوناني لبديوي، ص ٣٧، ٩٨.

(١٠) ولوقيس (بدون نقاط): كذا في الأصل (ص)، وهو منقوطة كما أثبت في (درء).

وذكر النديم في الفهرست، ص ٣١٥ " لوقيس " تحت عنوان: " أسماء فلاسفة طبيعيين لانصرف أوقاتهم ولا مراتبهم "، وذكر ابن القفطي (تاريخ الحكماء، ص ٢٦٨) لوقيس، وقال عنه: " رومي من / =

(١) وكسمايسس وأنبندقليس جميعا : " إن البارى واحد ساكن " ، غير [أن] أنبندقليس
قال : إنه متحرك بنوع سكون ؛ كالعقل المتحرك بنوع سكون ، وذلك جائز ، لأن
العقل إذا كان مبدعا فهو متحرك بنوع سكون ، فلا محالة أن المبدع متحرك
بنوع سكون (٥) ، لأنه [علة] (٦) .
قالوا : " وتابعه على هذا القول فيثاغورس ومن بعده إلى زمن أفلاطون . وقال (٨)

- = / جملة الفلاسفة الذين تعرضوا لشرح كتب أرسطوطاليس .
والمشهور هو " لوقيبوس " الذى عرف بأنه وتلميذه ديمقريطس مؤسسا مايسى المذهب الذري
أو الجزء الذى لا يتجزأ .
انظر عن لوقيبوس : تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ١١٤ - ١٢٧ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٨ - ٣٩ ،
ربيع الفكر اليوناني ، ص ١٥١ - ١٥٦ ؛ فجر الفلسفة اليونانية ، ص ٢٠٧ - ٢١٦ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ١٠٧ .
(١) وكسمايسس : هكذا في الأصل (ص) ، وفي (در) : وكسيفايس ، وقال المحقق : " لم أعرف من المقصود " .
وهناك فيلسوف مشهور ذكر الشهرستاني في الملل والنحل ١/١٦٢ ، ١٧١٠ . أنه قال : إن البارى
ساكن " وهو انكساغورس (٥٠٠ - ٤٢٨ ق م) ، فعمله المقصود هنا ، انظر عنه :
الملل والنحل ٢/١٦٢ - ١٦٤ ، تاريخ الحكماء ، ص ٦٠ ؛ كتاب الله للعقاد ، ص ١٢٥ ؛ تاريخ
الفلسفة الغربية ، ص ١١١ - ١١٣ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٤١ - ٤٣ ؛ ربيع الفكر اليوناني ،
ص ١٥٧ - ١٦٢ ؛ فجر الفلسفة اليونانية ، ص ١٩١ - ٢٠٦ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .
(٢) أنبندقليس ، ويكتب أحيانا بالذال ، قال عنه الشهرستاني وابن القفطي : " كان في زمن داود النبي
عليه السلام ، وقيل : انه أخذ الحكمة عن لقمان " وقال ابن القفطي : " وهو أول الحكماء الخمسة
المعروفين بأساطين الحكمة وأقدمهم زمانا ، والخمسة هم : أنبندقليس هذا ، ثم فيثاغورس ، ثم
سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطوطاليس " .
انظر : الملل والنحل ٢/١٦٦ - ١٧٣ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٥ - ١٦ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية ، ص
٩٨ - ١٠٥ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٥ - ٣٧ ؛ ربيع الفكر اليوناني ، ص ١٤٤ - ١٥٠ ؛
الفلسفة عند اليونان ، ص ٩٦ - ١٠١ .
(٣) أن : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها من (در) .
(٤) در : فذلك .
(٥) در : متحرك بسكون .
(٦) علة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من (در) .
(٧) در : وشايعه ، وذكر المحقق في الهامش أن في نسختين : وتابعه .
(٨) فيثاغورس : كذا في (در) ، وذكر المحقق في الهامش أن في ثلاث نسخ : أفكساغورس ، ورسمت
الكلمة في الأصل (ص) : انكساغورس ، وبدون نقاط ، ويشهد لما في (در) كتاب الملل والنحل ،
فقد ذكر الشهرستاني قول أنبندقليس ثم قال (٢/١٧١) بهامش الفصل ، وراجعت النص أيضا في
سائر طبعات كتاب الملل والنحل) : " وشايعه على هذا الرأي فيثاغورس ، ومن بعده من الحكماء
الى أفلاطن ، وأما زينون الأكبر وديمقراط والشاعريون فصاروا الى أنه تعالى متحرك " . لكن في الملل
والنحل (٣/١٤) بهامش الفصل ، وراجعت في سائر الطبقات يقول الشهرستاني : " ومما نقل عن
ديمقراطيس وزينون الأكبر وفيثاغورس أنهم كانوا يقولون : ان البارى تعالى متحرك بحركة فوق
هذه الحركات الزمانية " .
وفيثاغورس ، قال عنه صاحب " الملل والنحل " : كان في زمن سليمان عليه السلام " وفي تاريخ = /

(١) زينون وديمقراط (٢) وساغوروس (٣) إن الباري تعالى (٤) متحرك في الحقيقة، وإن حركته فوق [الذهن] (٥) فليست زوالاً .

قالوا: " وقال تاليس - وهو أحد أساطين الحكمة - : إن صفة البسارى تعالى (٤) لا تدركها العقول إلا من جهة آثاره ، فأما من جهة هويته فغير مدرك له صفة من نحو ذاته ، بل من نحو ذواتنا ، وكان يقول : أبدع الله (٦) العالم ليس لحاجة إليه ، بل لفضله ولولا ظهور أفاعيل الفضيلة لم يكن ههنا وجود ، وكان يقول : إن فوق السماء عوالم مبدعة ، أبدعها من لا تدرك العقول كنهه .

- = / الحكماء: " الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة يونان وحكمائهم ، كال بعد أبيذقليس الحكيم بزمان ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود النبي بمصر .
- انظر: الملل والنحل ٢/ ١٧٣ - ١٨٤ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ٦٢ - ٧٤ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٢٠ - ٢٦ وفيه أن ولادته سنة ٥٧٢ ووفاته سنة ٤٩٧ ق م ؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ص ٧٠ - ٩٢ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ٦٧ - ٨٠ .
- (١) الأصل (ص) : زينول ، والمثبت في (در) ، وهناك فيلسوفان بهذا الاسم ، أحدهما زينون الايلي (٤٩٠ - ٤٣٠ ق م) ، والثاني زينون الرواقي (٣٣٦ - ٢٦٤ ق م) . ولعل الأول هو المراد حيث عرف بحججه الجدلية في تأييد آراء أستاذه بارمنيدس في الكثرة والحركة وغيرها .
- انظر عنه : الملل والنحل ٣ / ١٠ - ١٣ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠ - ٣٣ ؛ ربيع الفكر اليوناني ، ص ١٢٥ - ١٣٤ ؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ص ١٤٥ - ١٥٤ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ٩٠ - ٩٤ .
- وانظر عن زينون الرواقي : كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٢٢٣ .
- (٢) ديمقراط = ديموقريطس . يقال : انه ولد سنة ٤٧٠ ، واشتهر سنة ٤٢٠ ، وتوفي سنة ٣٦١ ق م ، عرف عنه القول بفرض الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ .
- انظر : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ٣٣ ؛ الملل والنحل ٢ / ١٨٣ ، ١٣٠ / ٣ ، ٢٨ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ١٨٢ ؛ تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ١١٤ - ١٢٧ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٨ - ٤١ ؛ فجر الفلسفة اليونانية ص ١١٧ - ٢٢٨ ؛ الفلسفة عند اليونان ص ١٠٧ - ١١١ .
- (٣) وساغوروس (بدون نقاط) : كذا في الأصل (ص) ، وفي (در) : وساغوريون ، وذكر المحقق أن نسي نسخة : وساغورن ، وفي النص المنقول عن " الملل والنحل " ص ١٦٥ ت ٨ : والشاعريون ، ولم أجد هذا الاسم فيما بين يدي من المراجع لا لفرد ولا لجماعة .
- (٤) تعالى : ليست في (در) في الموضعين .
- (٥) الذهن : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من (در) .
- (٦) الأصل (ص) : . . ذواتنا الله أبدع ، وكان يقول : أبدع الله .
- (٧) در : للحاجة . وذكر المحقق في الهامش أن في نسخة : ليس لحاجة .

وقال فيثاغورس نحو قول تاليس : لا يُدرك من جهة النفس، هو فسوق
الصفات العلوية الروحانية^(١)، غير مدرك من نحو هويته^(٢)؛ بل من قبل آثاره
في كل عالم [فيوصف وينعت بقدر ظهور تلك الآثار في ذلك العالم]^(٣)، وهو
الواحد الذي إذا رامت العقول إدراك معرفته، عرفت أن ذواتها مبدّعة
مسبوقة مخلوقة^(٤).

قالوا: " وقال أنكسانس^(٥) نحو مقالة هذين، غير أنه قال : يجوز لقائل
أن يقول : إن الباري يتحرك بحركة فوق هذه الحركات".

قلت : وممن ذكّر القولين من متأخريهم أبو البركات صاحب /
"المعتبر" : حكى المقاليتين عن غيره ، بل عن القائلين بقدم العالم ، واختار
قول المثبتة فقال^(٧) :

كلام أبي البركات
ابن ملكا فسي
"المعتبر" عن
أفعال الله وأقوال
الفلاسفة فيها
٣٨٣

" قال القائلون بالحدوث للقدميين : فإذا كان الله لم يزل [جواداً]^(٩) خالقا
قديماً في الأزل ، فالحوادث في العالم كيف وجدت ؟ أعن القديم أم عن
غيره .

فإن قلت : هو خالقها وعنه صدر وجودها ، فقد قلت بأن القديم خلسق
المحدث وأراد خلقه بعد أن لم يرد ، وإن قلت : [إن]^(١١) غيره فعل الحوادث^(١٢)،

- (١) الأصل (ص) : الوجودانية .
- (٢) در : غير مدرك بجوهريته . وذكر المحقق في الهامش أن في نسخ : من نحو هويته .
- (٣) ما بين القوسين سقط من الأصل (ص) ، وأضفته من (در) .
- (٤) الأصل (ص) : بمخلوقة .
- (٥) انكسانس، من فلاسفة ملطية ، اشتهر قبل سنة ٤٩٤ .
انظر عنه : الملل والنحل ٢/ ١٦٤-١٦٦ ؛ كتاب " الله " للعقاد ، ص ١٢١-١٢٢ ؛ تاريخ
الفلسفة الغربية ، ص ٦٠-٦١ ؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٦-١٧ ؛ ربيع الفكر اليوناني ، ص
١٠١-١٠٣ ؛ فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ص ٦٥-٦٩ ؛ الفلسفة عند اليونان ، ص ٥١ -

- ٥٢ .
- (٦) در : غير أنه يجوز .
- (٧) في كتاب "المعتبر" ٣/ ٤٤-٤٥ . تحت عنوان " الفصل التاسع في تمام النظر في الحدوث والقدم " .
وقد أورد ابن تيمية أيضاً النصوص التالية من كتاب "المعتبر" في كتاب " در تعارض العقل والنقل " ٢/ ١٦٤-١٦٧ ، وسأقابل - ان شاء الله - ما هنا على ما في (در) وعلى "المعتبر" .
- (٨) المعتبر : الله تعالي .
- (٩) جوادا : ليست في الأصل (ص) وهي في (در) ، المعتبر) .
- (١٠) المعتبر : صدور .
- (١١) ان : ليست في الأصل (ص) وهي في (در) ، المعتبر) .
- (١٢) المعتبر : خلق الحوادث .

فقد أشركتم بعدما بالفتنم في التوحيد لواجب الوجود بذاته".
قال: ^(١) " فقال القدميون : بل الخالق الأول الواحد القديم ^(٢) ، هو خالق
المخلوقات بأسرها من قديم وحديث ؛ وحده لا شريك له في وجوده وخلقـه
وملكه وأمره .

وتشعب رأيهم في ذلك إلى مذهبين ؛ فمنهم من قال : إنه خلق الأشياء
القديمة دائمة ^(٤) الوجود بدوام وجوده ^(٥) ، والحوادث شيئاً بعد شيء ؛ أراد فخلق
وخلق فأراد ، وأوجب خلقه إرادته ^(٦) وأوجب إرادته خلقه ^(٧) .

مثال ذلك أنه أراد خلق آدم الذي هو الأب ، فخلقه وأوجده ؛
واقترض وجود الأب من جوده وجود الابن ^(٨) ؛ أراد فجاد وجاد فأراد ، إرادة
بعد إرادة ، لموجود بعد موجود .

فإذا قلتم : لم أوجد ؟

قيل : لأنه أراد فجاد .

وليم أراد ؟

[قيل] ^(٩) : لأنه أوجد ، فوجود الحوادث يقتضي بعضها ^(١٠) بعضاً من وجوده ^(١١)

السابق واللاحق ^(١٢) .

-
- (١) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ٣ / ٥٤ .
 - (٢) الأصل (ص) : القيوم ، وما أثبتته في " در " ، المعتبر " .
 - (٣) الأصل (ص) : علي . وما أثبتته في " در " ، المعتبر " .
 - (٤) الأصل (ص) : وأتم ، وما أثبتته في " در " ، المعتبر " .
 - (٥) المعتبر : جوده .
 - (٦) الأصل (ص) : أوجبت ، المعتبر : فأوجب ، وما أثبتته في (در) .
 - (٧) الأصل (ص) : وأوجبت .
 - (٨) واقترض وجود الأب . . . الخ : كذا في (المعتبر) ؛ الأصل (ص) : واقترض من وجود الأب من وجوده وجود الابن ؛ " در " : وأراد بوجود الأب وجود الابن .
 - (٩) قيل : ليست في الأصل (ص) . وهي في " در " ، المعتبر " .
 - (١٠) المعتبر : بعضه .
 - (١١) الأصل (ص) : وجوده . وما أثبتته في " در " ، المعتبر " .
 - (١٢) المعتبر : السابق واللاحق .

[فإن^(١)] قالوا: كيف تحدث له الإرادة بعد الإرادة، وكيف تكون له^(٢)

حال منتظرة تكون بعد أن لم تكن^(٣)، وكيف يكون محل الحوادث؟ .

قيل: وكيف يكون محلاً لغير الحوادث؛ أعني الإرادة القديمة؟ .

فإن قيل: لأنها له منه .

قيل: والإرادات الحديثة له منه^(٥) .

فإن قيل: الإرادة القديمة له في قدمه^(٦) .

قيل: والحديثة له من قدمه^(٧)؛ لأن السابق من وجوده^(٨) بالإرادة السابقة

أوجب عنده إرادة لاحقة، فأحدث خلقاً بعد خلق بإرادة بعد إرادة، وجبت

في حكته من خلقه بعد خلقه، فاللاحق من إرادته وجب عن سابق إرادته^(١٠)

بتوسط مراداته، وهكذا هلم جرا .

قال^(١١): " والتتزيه عن الإرادة الحادثة كالتتزيه عن الإرادة القديمة في

كونه محلاً لها، لكنه لا وجه لهذا التتزيه كما سنتكلم عليه في " فصل العلم " إذا

قلنا في علمه لِمَ يعلم؟ وكيف يعلم؟ .^(١٢)

قال^(١٣): " فهذا أحد المذهبيين . "

قال^(١٤): " وأما المذهب الآخر فإن أهله يقولون: إن كل حادث يتجدد

(١) فان: سقطت من (الأصل ص) وأضعفتها من "در"، المعبر .

(٢) تكون: كذا في "المعبر"، وفي الأصل (ص) غير منقوطة، وفي "در": يكون .

(٣) الأصل (ص): يكن . وما أثبتته في "در"، المعبر .

(٤) المعبر: وكيف كان .

(٥) الحديثة: كذا في الأصل (ص)؛ المعبر: الحادثة؛ وسقطت الكلمة من "در" .

(٦) المعبر: ان الارادة .

(٧) در: في قدمه .

(٨) الأصل (ص): لأن السابق موجود . در: لأن السابق من وجوده . وما أثبتته من "المعبر" .

(٩) الأصل (ص): بما حدث . وما أثبتته في "در"، المعبر .

(١٠) الأصل (ص): على . وما أثبتته في "در"، المعبر .

(١١) بعد الكلام السابق مباشرة، المعبر ٣/٤٥ .

(١٢) الأصل (ص): لما، المعبر: بما، والمثبت في "در" .

(١٣) بعد الكلام السابق مباشرة، المعبر ٣/٤٥ .

(١٤) بعد الكلام السابق مباشرة .

بعد عدمه فله سبب يوجب حدوثه ، وذلك السبب حادث أيضا ، حتى ترتقي أسباب الحوادث إلى الحركة الدائمة في المتحركات الدائمة^(٢) . وساق تمام قول هو^(٣) ، وهو قول أرسطو وأتباعه .

قلت : وقد نقل غير واحد أن أول من قال بقدوم العالم من الفلاسفة هو أرسطو ، وأما الأساطين قبله فلم يكونوا يقولون بقدوم صورة الفلك ؛ وإن كان لهم في المادة أقوال أخرى .

وقال أيضا أبو البركات في "مسألة / العلم"^(٤) ، لما ردّ على من زعم أنه سبحانه لا يعلم الجزئيات ، حذراً من التغير والتكثّر في ذاته ، وذكر حجة أرسطو وابن سينا ونقضها^(٦) ، وقال^(٧) : " فأما القول بإيجاب الفيريسة فيهِ بإدراك الأغيار ؛ والكثرة بكثرة المدركات ، فجوابه المحقق : أنه لا يتكثّر بذلك تكثراً في ذاته ، بل في إضافاته ومناسباته ؛ وتلك ما لا تعيد الكثرة على هويته وذاته ، ولا الوحدة التي أوجبت له في وجود وجوده بذاته ، ومبدئيته الأولى التي بها عرفناه ، وبحسبها أوجبتنا له ما أوجبتنا وسلبتنا عنه ما سلبتنا ، هي وحدة مدركاته ونسبته وإضافاته ، بل إنما هي وحدة حقيقته وذاته وهويته " . قال^(١٠) : " ولا تعتقدن أن الوحدة المقولة في صفات واجب الوجود

ظ ٣٨

(١) الأصل (ص) : وكذلك . والمثبت في "در" ، المعبر .

(٢) المعبر : . . الدائمة الحركة . . .

(٣) انظر "المعبر" ٣/٤٥-٤٧ .

(٤) الأصل (ص) : العالم .

(٥) الأصل (ص) : السكر . بلا نقط .

(٦) الأصل (ص) : ونقضها . في كتاب المعبر ٣/٦٩ يعقد ابن ملكا "الفصل الرابع عشر في شرح كلام من قال ان الله تعالى لا يخيظ علمه بالموجودات" وفي (٣/٧٤) يعقد "الفصل الخامس عشر في اعتبار الحجج المنقولة عن أرسطو طاليس" .

(٧) ينقل ابن تيمية النصوص التالية من الفصل الخامس عشر في "المعبر" ٣/٧٦-٧٧ . ونقلها أيضا في كتابه "در" تعارض العقل والنقل " ج ٢ ص ١٦٧-١٧٢ ، وسأقابل ما هنا على "در" تعارض العقل والنقل " و "المعبر" .

(٨) تعيد : كذا في "المعبر" وفي "در" : يعيد ، وفي الأصل (ص) غير منقوطة .

(٩) له في : ليست في "در" .

(١٠) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعبر ٣/٣٧ .

بذاته - قيلت على طريق التنزيه ، بل، لزم بالبرهان ^(١) عن مبدئيه الأولى ^(٢) ووجوب وجوده بذاته ، والذي لزم عن ذلك لم يلزم إلا في حقيقته وذاته ، لا في مدركاته ومضافاته ^(٣) ، فأما أن ^(٤) يتغير بإدراك المتغيرات فذلك أمر إضافي ، لا معنى له في نفس الذات ، وذلك ما لا تبطله الحجة ، ولم يمنعه البرهان ^(٥) ، ونفيه من طريق التنزيه والإجلال لا وجه له ، بل التنزيه من هذا التنزيه ، والإجلال من هذا الإجلال أولى .

وتكلم أبو البركات على قول أرسطو ^(٨) أن قال ^(٩) :

- (١) الأصل (ص) : بطريق البرهان ، وعلقت عبارة " بطريق " فوق السطر .
- (٢) مبدئيه الأولى : كذا في " درء " ، الأصل (ص) : مبدئية الأولى ، المعتبر : مبدئية الأول .
- (٣) درء : وإضافاته .
- (٤) المعتبر : أنه .
- (٥) له : ليست في " درء " ، المعتبر .
- (٦) درء ، المعتبر : ما لم .
- (٧) البرهان : كذا في " درء " ، وفي الأصل (ص) : برهان . وفي " المعتبر " : وذلك ما لم يبطل بحجة ولم يمنع ببرهان .
- (٨) بعد كلمة " أن " يوجد كلام في هامش الأصل (ص) ، هو نقل للكلام التالي للنص السابق من كتاب " المعتبر " ، وهذا الكلام ليس في " درء " تعارض العقل والنقل " ، وقول أرسطو - الذي يذكر ابن تيمية هنا أن أبا البركات تكلم عليه - ذكره ابن ملكا قبل صفحات (المعتبر ٣ / ٧٠) فرما - والله أعلم - أن الناسخ قابل هذه النصوص على كتاب " المعتبر " ولم يهتد للموضع الذي ذكر فيه ابن ملكا كلام أرسطو ، فاستمر في النقل من " المعتبر " حتى يربط النص السابق بالنص اللاحق الذي سيورده ابن تيمية بعد كلام أرسطو . يدل لذلك أيضا أنه أورد في آخر نقله أكثر من سطرين مع وجودهما في الأصل . وفيما يلي نص ما في الهامش ، مع مقابلته في " المعتبر " :
- قال : [بعد الكلام السابق مباشرة ، المعتبر ٣ / ٧٧] " فكيف يقول : ان ادراك المتغيرات يوجب تغيرا في الذات ، وهو القائل في كتاب " قاطيفورياس " : ان الظن الواحد لا يكون موضوعا للصدق والكذب بتغيره في نفسه ، بل من حيث تتغير الأمور المظنونة عما هي عليه من موافقة الى مخالفة [المعتبر : من موافقته الى مخالفته] ، لأن ذلك التفسير ليس للظن في ذاته ، بل للأمر المظنون ، حيث وافق تارة ثم تغير فخالف ، فكيف كان ذلك لا يتغير الظن والاعتقاد والعلم ، وهذا يغير العلم ثم يتأدى الى تغير [المعتبر : تغيير العالم] .
- فأما الذي قاله - يعني أرسطو - في منع [المعتبر : فأما الذي قد قاله قبل هذا في منع] التفسير مطلقا ، حتى يمنع [يمنع : كذا في " المعتبر " . هامش الأصل : يمتنع] التفسير في المعارف والعلوم ، فهو غير لازم في التفسير مطلقا ، بل هو [هو : ليست في هامش الأصل ، وهي في " المعتبر "] غير لازم البتة ، وان لزم كان لزومه في بعض تغيرات الأجسام .
- (٩) أي أرسطو فيما حكاه عنه ابن ملكا في " المعتبر " ٣ / ٧٠ .

" من المحال أن يكون كماله بعقل^(١) غيره، إذ كان جوهرًا في الغاية من الإلهية والكرامة والعقل فلا يتغير، والتغير فيه انتقال إلى الأنقص، وهذا هو حركة ما، فيكون هذا العقل ليس عقلاً بالفعل لكن بالقوة".

فقال أبو البركات^(٢): " ما قيل في منع التغير مطلقاً حتى يمنع التغير في المعارف والعلوم: فهو غير لازم في التغير مطلقاً، بل هو غير لازم ألبيته، وإن لازم كان لزومه في بعض تغيرات الأجسام، مثل الحرارة والبرودة، وفي بعض الأوقات، لاني كل حال ووقت، ولا يلزم مثل ذلك في النفوس التي تخصصها المعرفة والعلم دون الأجسام؛ فإنه يقول: إن كل تغير وانفعال^(٤) فإنه يلزم أن يتحرك قبل ذلك التغير حركة مكانية^(٥)".

قال^(٦): " وهذا محال، فإن النفوس تتجدد لها المعارف والعلوم من غير أن تتحرك على المكان على رأيه، فإنه لا يمتد فيها أنها ما تكون في مكان ألبيته، فكيف أن تتحرك فيه؟".

وإنما ذلك للأجسام في بعض التغيرات والأحوال كالتسخن والتبريد^(١١)، ولا يلزم فيهما أبداً^(١٢)، وإنما ذلك فيما يصعد بالبخر من الماء،

(١) بعقل: كذا في "درء": الأصل (ص): بفعل، المعتبر: يعقل.

(٢) المعتبر ٣/٧٧-٧٨.

(٣) المعتبر: فأما الذي قد قاله قبل هذا في منع.

(٤) الأصل (ص): وانتقال. والمثبت في "درء"، المعتبر.

(٥) المعتبر: قبله ذلك المتغير.

(٦) أي ابن ملكا بعد الكلام السابق مباشرة.

(٧) الأصل (ص): فالنفس. والمثبت في "درء"، المعتبر.

(٨) المعتبر: في.

(٩) الأصل (ص): بأنه، وما أثبتته من "درء"، المعتبر.

(١٠) تكون: كذا في "المعتبر" وفي الأصل (ص): الكلمة غير منقوطة. درء: يكون.

(١١) الأصل (ص): كالتسخين والتبريد. والمثبت في "درء"، المعتبر.

(١٢) المعتبر: ولا يلزم فيها أبداً، فإن الحجر الكبير يسخن ولا يصعد، ويبرد ولا يهبط، بل ولا يتحرك من مكانه.

(١٣) الأصل (ص): فانما. والمثبت في "درء"، المعتبر.

ويتدخن من الأرض من الأجزاء التي هي كالهَبَاءِ ، دون غيرها من الأحجار الكبار [الصلبة^(١)] التي تحمى حتى تصير بحيث تحرق وهي في مكانها لا تتحرك ، والماء يسخن بسخونة كثيرة وهو في مكانه لا يتبخر ، وإنما يتبخر^(٢) منه بعض الأجزاء .

ثم تكون الحركة المكانية بعد الاستحالة لا قبلها ؛ كما قال : إن جميع هذه هي حركات توجد بأخرة بعد الحركة المكانية ، وفيما عدا ذلك فقد يسوّد الجسم ويبيض وهو في مكانه لم يتحرك ، ولا يتحرك قبل الاستحالة ولا بعدها .

فما لزم^(٥) هذا في كل جسم ، بل في بعض الأجسام ، ولا في كل حال ووقت ؛ بل في بعض الأحوال والأوقات ، ولا كان ذلك على طريق التقدم كما قال ، بل على طريق التبع^(٦) ، ولو لزم في التغيرات الجسمانية لما لزم في التغيرات النفسانية ، ولو لزم في التغيرات النفسانية أيضا لما لزم انتقال الحكم فيه الى التغيرات في المعارف والعلوم / والعزائم والإرادات ، فالحكم الجزئي لا يلزم كلياً ولا يتعدى من البعض إلى البعض ، وإلا لكانت الأشياء على حال واحد^(٧) .

قال :^(٨) " والقائلون بالحدوث قالوا : إنه لا يحتاج إلى هذا التحمل^(٩) - وسوّوه على طريق المجادلة باسم " التحمل^(١٠) " للتشنيع والتسفيه - بل نقول :

-
- (١) الصلبة : ليست في الأصل (ص) وأضعفتها من "در" ، المعبر "
 - (٢) در" : سخونة .
 - (٣) الأصل (ص) : وهو في مكانه لا يتحرك ، وإنما يتحرك . والمثبت من "در" ، المعبر "
 - (٤) در" : هو بسقوط الواو .
 - (٥) الأصل (ص) : فما يلزم . والمثبت من "در" ، المعبر "
 - (٦) الأصل (ص) : التبع . والمثبت من "در" ، المعبر "
 - (٧) حال واحد : كذا في الأصل (ص) ، وفي "در" : حالة واحدة . وفي "المعبر" : والالكانت الأشياء كلها على حال واحدة .
 - (٨) يعود ابن تيمية للنقل عن الفصل التاسع في "المعبر" ٤٧/٣ .
 - (٩) المعبر : قالوا : أنا لانحتاج .
 - (١٠) الأصل (ص) : التحميل . والمثبت من "در" ، المعبر "
 - (١١) الأصل (ص) : التحميل . والمثبت من "در" ، المعبر "

بأن المبدئىء المعيد خلق العالم وأحدثه بإرادة قديمة أزلية ، أراد بها
في القدم إحداث العالم حين إحدائه^(٢) .^(٣)

قال :^(٤) " وقد قيل^(٥) في جوابهم : إن ذلك المبدأ - يعني المفعول الأول^(٦) -
لا يتغير ويتخصص في القدم ، إلا بمعقول يجعله مقصوداً^(٨) في السلم القديم
عند الإرادة القديمة ؛ حيث أراد^(٩) في مدة القدم السابق لحدوث العالم^(١١)
التي هي مدة غير متناهية البداية ، ومالا يعقل^(١٢) ولا يتصور لا يعلم ، ومالا يمكن
أن يعلم لا يعلمه عالم ؛ لا لأن^(١٣) الله لا يقدر على علمه ، لكن لأنه في نفسه
غير مقدور عليه .

ثم ما الذى يقولونه في حوادث العالم ؛ من مشيئة الله تعالى^(١٥)
وإرادته التي بها يقبل الدعاء من الداعي ، ويحسن إلى المحسن ، ويسئى^{*}
إلى المسئى^{*} ، ويقبل توبة التائب ، ويفغر للمستغفر - هل يكون ذلك عنسه
أو لا يكون ؟^(١٦)

-
- (١) الأصل (ص) : من القدم . والمثبت من " درء ، المعتبر " .
 - (٢) درء : حتى .
 - (٣) احداثه : كذا في الأصل (ص) ، وفي " درء ، المعتبر " : أحدثه .
 - (٤) بعد الكلام السابق مباشرة .
 - (٥) درء : وقيل .
 - (٦) يعني المفعول الأول : هذه العبارة في الأصل (ص) فقط ، وليست في " درء ، المعتبر " والظاهر أنها من ابن تيمية للإيضاح .
 - (٧) المعتبر : لا يتعين ولا يتخصص .
 - (٨) الأصل (ص) : ويتخصص من العدم الالمفعول يجعله متصورا ، والمثبت من " درء ، المعتبر " .
 - (٩) الأصل (ص) : أراد .
 - (١٠) درء : العدم .
 - (١١) المعتبر : بحدث .
 - (١٢) الأصل (ص) : ومالا يفعل . والمثبت من " درء ، المعتبر " .
 - (١٣) الأصل (ص) : عالم ، لان . والمثبت من " درء ، المعتبر " .
 - (١٤) المعتبر : الله تعالى .
 - (١٥) الأصل (ص) : عن . وما أثبتته في " درء ، المعتبر " .
 - (١٦) المعتبر : أم .

فإن قالوا بأنه لا يكون، أبطلوا بذلك الشرع الذي قصدَهم نُصرتَه ،
وأبطلوا حكم أوامره ونواهيه، وكلَّ ما جاء لأجله من الحثِّ على الطاعة والنهيِّ
عن المعصية .

وإن قالوا: " يكون ذلك بأسره عنه "، فهل هو بإرادة أم بغير إرادة؟،
وكونه بغير إرادة أشنع ، وإن كان بإرادة فهل هي إرادة ^(١) قديمة أم محدثة ؟
فإن كانت قديمة فالإرادات القديمة غير واحدة ، وما أظنهم يقولون : إن
المرادات الكثيرة صدرت عن إرادة واحدة " .

قال: ^(٢) " وإن قالوا-إن ذلك يصدر عنه بإرادات حادثة فقد قالوا بما
هربوا منه أولاً " .

تعليق ابن تيمية قلت : أبو البركات لاستبعاد عقله أن تصدّر المرادات الكثيرة عن إرادة
واحدة - ظن أنهم لا يقولون به ؛ ولم يكن له من الخبرة بأقوال المتكلمين ماله
من الخبرة بأقوال المتفلسفة ؛ ^(٣) وإلا فكثير من النظائر ؛ كابن كلاب وموافقيه ؛
كالأشعري وأكثر متبعيه من أهل الكلام والرأى والحديث والتصوف من أصحاب
الأئمة الأربعة وغيرهم ؛ كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي ^(٤)
وأبي منصور الماتريدي وغيرهم - يقولون : إنه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد

(١) الأصل (ص) : ارادات . والمثبت في " دره " ، المعبر " .

(٢) بعد الكلام السابق مباشرة ، المعبر ٣/٤٧ .

(٣) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) والذي بدأ في صفحة ٨٨ ، وتتضم اليها (ن) وقد انقطعت في
في صفحة ٣٧ . و (ك) التي انقطعت في صفحة ٨٨ ، وجاء الكلام فيهما هكذا " فصل ، كثير من
النظار كابن كلاب وموافقيه . . . الخ " وتستمر موافقتهما لـ (ص) حتى صفحة ٢٣٨ .

(٤) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي ، نسبة الى باجة بالأندلس
(٤٠٣-٤٧٤) القاضي والفقير المالكي ، المحدث ، المتكلم ، رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ هـ ، وأقام
نحو ثلاثة عشر عاما متنقلا بين بلدانه يجتمع بأئمة ذلك الوقت ، وجل قدره بالشرق والأندلس .
انظر عنه وعن مؤلفاته : ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/٨٠٢-٨٠٨ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٢٢-
١٢٣ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ١٢٠-١٢٢ ؛ الأعلام ٣/١٢٥ .

(٥) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، نسبته الى ماتريد بسمرقند ، رأس الماتريدية ،
حنفي المذهب ، له كتب شتى ، توفي سنة ٣٣٣ بسمرقند .

وهو معاصر لأبي الحسن الأشعري (توفي سنة ٣٢٤ أو ٣٣٠) ، ويعتبران امامي أهل الكلام
المنتسبين الى السنة ، الماتريدي فيما وراء النهر ، والأشعري في العراق ، وآراءهما متقاربة ،
وبينهما مسائل خلاف / =

بالعين ؛ ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة بالعين .
بل يقولون : إن كلامه الذي يتضمن كلَّ أمرٍ أمرٍ^(١) [بِسْ] ، وكلَّ خبرٍ
أخبر به ، هو أيضا واحد بالعين - وإن كان جمهور العقلاء يقولون : إن
فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام -

ثم تنازع القائلون بهذا الأصل ؛ هل كلامه معنى فقط ، والقرآن العربي
لم يتكلم به ، ولا بالتوراة العبرانية ، ولا تكلم بشيء من الحروف ؛ أو كلامه^(٢)
الحروف ؛ أو الحروف والأصوات التي نزل بها القرآن وغيره ، وهي قد يسمي
أزلية ٢ - على قولين .

ومن القائلين يقدم أعيان الحروف ، أو الحروف والأصوات ، من لا / يقول :
هي واحدة بالعين ، بل يقول : هي متعددة ، وإن كانت لانهاية لها ، ويقول :
بثبوت حروف أو حروف ومعان لانهاية لها في آن واحد ، وأنها لم تنزل^(٣)
ولا تنزال .

ومن القائلين يقدم معنى الكلام ، وأنه لم يتكلم بحروف من يقول : القديم
خمس معان ؛ ومنهم^(٤) [من] يقول : ذلك المعنى يعود إلى الخبر ، ويجعل
الأمر داخلا في معنى الخبر ، ومنهم من يرد الخبر إلى العلم ، ومنهم من يقول
- مع ذلك - : إن العلم ليس صفة قائمة بالعالم .^(٥)

= / انظر في هذه المسائل كتاب " اشارات المرام من عبارات الامام " لأحمد بن حسن البياضي ، تحقيق
يوسف عبد الرزاق ، ط . الحلبي بمصر ، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ؛ وكتاب " الروضة البهية فيما بين
الأشاعرة والماتريدية " للحسن بن عبد المحسن أبي عذبة ، ط . حيدرآباد سنة ١٣٢٢ هـ ، وانظر
للماتريدي كتاب " شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة " ط . حيدرآباد سنة ١٣٢١ هـ ، وكتاب
" التوحيد " ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، ط . دار الجامعات المصرية - الاسكندرية .
وانظر عن الماتريدي وكتبه : الجواهر المضية ٢ / ١٣٠ - ١٣١ ؛ تاج التراجم لابن قطلوبغا ، ص
٥٩ ؛ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ٢ / ٢١ - ٢٢ ؛ الفوائد البهية ، ص ١٩٥ ؛ الأعلام
١٩ / ٧ ؛ معجم المؤلفين ١١ / ٣٠٠ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ٤ / ٤٠ - ٤٢ .

- (١) به : سقطت من (ص) .
- (٢) كلامه : سقطت من (ن ، ك) .
- (٣) بثبوت : كذا في (ن) ، ص ، ك : بثبوت .
- (٤) من : سقطت من (ص) .
- (٥) ص ، ن ، ك : بالعلم . ولعل الصواب ما أثبتته .

أقوال ومرويات السلف وعلماء الإسلام في هذا الأصل ؛ وما في السلف والمقارئين لهم في بيان مذهبيهم في أفعال الله هذا الشرح .

ومن كتب التفسير المنقولة عن السلف ؛ مثل تفسير عبد الرزاق ^(١) ، وعبد بن حميد ^(٢) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وبيحيى بن مخلد ^(٣) ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ^(٤) ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم ^(٥) ،

(١) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، ولد بصنعاء سنة ١٢٦ ، وتوفي سنة ٢١١ ، أحد الأعلام الثقات ، صنف في التفسير والحديث .

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٤٨ ؛ الجرح والتعديل ٦/٣٨-٣٩ ؛ طبقات الحنابلة ١/٢٠٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٦٤ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٦٠٩-٦١٤ ؛ تهذيب التهذيب ١/٣١٠-٣١٥ ؛ الأعلام ٣/٣٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/١٦٤ ، ١٨٤-١٨٥ ، وقد أشار الزركلي وسزكين الى وجود تفسير عبد الرزاق مخطوطا .

(٢) أبو محمد عبد - قيل : ان اسمه عبد الحميد فخفف - بن حميد بن نصر الكمي ، من قرية " كس " من أعمال سمرقند ، من الأئمة الثقات ، صنف " المسند الكبير " و " التفسير " وغيرها ، مات سنة ٢٤٩ . انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٤ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٤٥٥-٤٥٧ ؛ شذرات الذهب ٢/١٢٠ ؛ الأعلام ٣/٢٦٩ ، تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/٢١٦-٢١٧ .

(٣) الحافظ الكبير أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي (٢٠١-٢٧٦) ، رحل الى المشرق وسمع في العراق من الامام أحمد وغيره من أئمة الحديث ، وكان قدوة مجتهدا صالحا عابدا ، مدح العلماء مصنفاته خاصة " التفسير " و " المسند " .

انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٩-٦٣١ ؛ البداية والنهاية ١١/٥٦-٥٧ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي ، ص ٤٠-٤٢ ؛ معجم المؤلفين ٣/٥٣-٥٤ ؛ الأعلام ٢/٦٠ ؛ تاريخ التراث العربي المجلد الأول ١/٢٩٦-٢٩٧ .

(٤) ك : رحيم ، وهو خطأ .

وهو القاضي الحافظ أبو سعيد عبد الرحمن بن ابراهيم بن عمرو الأموي مولاهم ، الدمشقي ، المعروف بد حيم (١٧٠-٢٤٥) ، وهو ثقة حجة ، كان على مذهب الأوزاعي في الفقه توفي بفلسطين .

انظر: تاريخ بغداد ١٠/٢٦٥-٢٦٧ ؛ طبقات الحنابلة ١/٢٠٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٤٨٠ ؛ تهذيب التهذيب ٦/١٣١ ؛ الأعلام ٣/٢٩٢ .

(٥) الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٢٤٠-٣٢٧) له كتب جليلة نافعة ، منها " التفسير " و " المسند " و " الجرح والتعديل " و " الرد على الجهمية " .

انظر: طبقات الحنابلة ٢/٥٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩-٨٣٢ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/٣٢٤-٣٢٨ ؛ البداية والنهاية ١١/١٩١ ؛ لسان الميزان ٣/٤٣٢-٤٣٣ ؛ الأعلام ٣/٣٢٤ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١/٣٥٢-٣٥٥ . وذكر سزكين نسخا خطية لتفسيره .

ومحمد بن جرير الطبري^(١)، وأبي بكر [بن] المنذر^(٢)، وأبي بكر عبد العزيز^(٣)،
وأبي الشيخ الأصفهاني^(٤)، وأبي بكر [بن] مردويه^(٥)، وغيرهم - من ذلك
ما تطول حكايته .

- (١) الامام العلم المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤ - ٣١٠) من أهل آمل
طبرستان ، استوطن بغداد وتوفي بها ، له كتب متعددة أهمها وأكبرها كتاب " التفسير "
وكتاب " التاريخ " ، وهما مطبوعان مشهوران .
انظر: تاريخ بغداد ١٦٢/٢ - ١٦٩ ؛ ارشاد الأريب ٤٢٣/٦ - ٤٦٢ ؛ وفيات الأعيان
١٩١/٤ - ١٩٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٧١٠/٢ - ٧١٦ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٣ - ١٢٨ ؛
البداية والنهاية ١٤٥/١١ - ١٤٧ ؛ شذرات الذهب ٢٦٠/٢ - ٢٦١ ؛ الأعلام ٩٦/٦ ؛
تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١٥٩/٢ - ١٦٨ .
- (٢) ص : وأبي بكر المنذر .
وهو أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري (٢٤٢ - ٣١٨) فقيه مجتهد ، من الحفاظ
صنف في التفسير والفقه ، عاش في مكة وتوفي بها .
انظر: تذكرة الحفاظ ٧٨٢/٣ - ٧٨٣ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ١٠٢/٣ - ١٠٨ ؛ لسان
الميزان ٢٧/٥ - ٢٨ ؛ الأعلام ٢٩٤/٥ - ٢٩٥ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول)
٢٠٠/٣ - ٢٠٢ ، وفي هذين الكتابين الاشارة لوجود تفسيره أو بعضه مخطوطا .
- (٣) النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) : وأبي بكر بن عبد العزيز ، وهذا خطأ .
وهو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف (٢٨٥ - ٣٦٣) السلقب بفلام
أو صاحب الخلال ، أحد مشاهير الحنابلة ، من مصنفات " الشافعي " و " المقنع " و " تفسير
القرآن " و " الخلاف مع الشافعي " و " كتاب القولين " وغير ذلك ، توفي ببغداد .
انظر: طبقات الحنابلة ١١٩/٢ - ١٢٧ ؛ مناقب الامام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ، ص
٦٢٢ - ٦٢٣ ؛ البداية والنهاية ٢٧٨/١١ ؛ الأعلام ١٥/٤ ؛ تاريخ التراث العربي
(المجلد الأول) ٢٣٧/٣ - ٢٣٨ .
- (٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري الأصبهاني ، يعرف بأبي الشيخ (٢٧٤ -
٣٦٩) ، حافظ ثقة ، له مصنفات منها " التفسير " و " السنة " و " العظمة " .
انظر عنه وعن مصنفاته : ذكر أخبار اصبهان لأبي نعيم ٩٠/٢ ؛ اللباب لابن الأثير ١/١ - ٤٠٤ -
٤٠٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣ - ٩٤٧ ؛ شذرات الذهب ٦٩/٣ ؛ الأعلام ١٢٠/٤ ؛ معجم
المؤلفين ١١٤/٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١ - ٤٠٤ - ٤٠٦ .
- (٥) ص : وأبي بكر مردويه .
وهو الحافظ الثبت أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (٣٢٣ - ٤١٠) من مؤلفات
" التفسير " و " التاريخ " و " المستخرج على صحيح البخاري " .
انظر: ذكر أخبار اصبهان ١/١ - ١٦٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١٠٥٠/٣ - ١٠٥١ ؛ الوافي بالوفيات
٢٠١/٨ ؛ شذرات الذهب ١٩٠/٣ ؛ الأعلام ٢٦١/١ ؛ معجم المؤلفين ١٩٠/٢ ؛ تاريخ
التراث العربي ١/١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ .

وكذلك الكتب المصنفة في السنة ، والرد على الجهمية ، وأصول الدين ؛
المنقولة عن السلف ؛ مثل كتاب " الرد على الجهمية " لمحمد بن عبد الله
الجعفي شيخ البخارى ، (١) وكتاب " خلق الأفعال " للبخارى ، وكتاب " السنة " ^(١)
لأبي داود السجستاني ، ولأبي بكر الأثرم ، ولعبد الله بن أحمد بن حنبل ، ^(٢)

(١) مثل كتاب " الرد على الجهمية " . . . الخ : كذا في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ، ولم أجسد
هذا الاسم في شيخو الامام البخارى ، وقد جاء اسم هذا الكتاب وصاحبه كما هنا في كتاب
" منهاج السنة " ٢٨٣/٢ تحقيق د / رشاد سالم ؛ ضمن بعض مصنفات السلف ، الا أنه لم يقل :
شيخ البخارى ؛ فترجم الأستاذ المحقق للقاضي الحنفي الكوفي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن
الحسين الجعفي المعروف بابن الهرواني (٣٠٥-٤٠٢) ، وذكر مراجع الترجمة ، وقال : " ولم
تذكر هذه المراجع كتاب الرد على الجهمية " .

وهذا الرجل لا يمكن أن يكون شيخا للبخارى المولود سنة ١٩٤ والمتوفى سنة ٢٥٦ ، وبحثت
في مراجع ترجمته فلم أجد أن له صلة ببخارى ، فلايحتمل أن تكون العبارة مثلا محرقة عن " شيخ
بخارى " ، لكن ابن تيمية ذكر بعض كتب السلف في " الحموية " (مجموع فتاوى ينج الاسلام ،
ط . الرياض ٥ / ٢٤) وما قال : " والرد على الجهمية لجماعة : مثل البخارى ، وشيخه عبد الله
ابن محمد بن عبد الله الجعفي " ، وذكره أيضا في درء تعارض العقل والنقل ٧ / ١٠٨ باسم
عبد الله بن محمد الجعفي .

فيبدو - والله أعلم - أن هذا هو المراد ، وأنه وقع خطأ في اسمه في كتابنا هذا وفي كتاب منهاج
السنة .

وشيوخ البخارى هذا هو الحافظ أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان
الجعفي البخارى السندى ، لقب بالسندى لأنه كان يطلب الأحاديث المسندة ، ويرغب عن
المقاطيع والمراسيل ، أولاً لأنه أول من جمع مسند الصحابة بما وراء النهر ، روى عنه البخارى وغيره ،
وروى الترمذى عن البخارى عنه ، توفي سنة ٢٢٩ .

انظر عنه : التاريخ الكبير للبخارى ١٨٩/٥ ؛ الجرح والتعديل ١٦٢/٥ ؛ تاريخ بغداد ١٠ / ٦٤
- ٦٥ ؛ الجمع بين رجال الصحيحين ١ / ٢٦٦-٢٦٧ ؛ اللباب ١ / ٢٨٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ /
٤٩٢-٤٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٩-١٠ ؛ الأعلام ٤ / ١١٧ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين
١ / ١٤٩ . ولم تذكر هذه الكتب من تأليفه الا أنه جمع مسند الصحابة .

(٢) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني
(٢٠٢-٢٧٥) ، أحد أئمة الحديث الرحالين الى الآفاق في طلبه ، وصاحب " السنن "
المعروفة ، سكن البصرة وتوفي بها ، وقدم بغداد غير مرة .

انظر : الجرح والتعديل ٤ / ١٠١-١٠٢ ؛ تاريخ بغداد ٩ / ٥٥-٥٩ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ١٥٩
- ١٦٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٩١-٥٩٣ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٥٤-٥٦ ؛ تهذيب التهذيب
٤ / ١٦٩-١٧٣ ؛ الأعلام ٣ / ١٢٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١-٢٩٠-٢٩٦ .

(٣) طبع كتاب " السنة " لعبد الله بن أحمد بن حنبل بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٩ هـ ،
وذكر له فؤاد سزكين في كتاب تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٣٢ - نسخة خطية .

ولحنبل بن اسحاق^(١)، ولأبي بكر الخلال^(٢)، ولأبي الشيخ الأصفهاني، ولأبي القاسم الطبراني^(٣)، ولأبي عبد الله بن مندة^(٤)، وأمثالهم .

- (١) أبو علي حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ابن عم الامام أحمد وأحمد الرواة عنه، له كتاب "الفتن" و"المحنة" و"التاريخ" مات بواسط سنة ٢٧٣، في طبقات الحنابلة: "قال أبو بكر الخلال: قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية، وأغرب بغير شي"، وذكروا ابن تيمية في كتاب الاستقامة ١/٧٥ خلافا بين الأصحاب في مفاريد حنبل التي خالفه فيها الجمهور هل تثبت أو لا؟ .
انظر عنه: تاريخ بغداد ٨/٢٨٦-٢٨٧؛ طبقات الحنابلة ١/١٤٣-١٤٥؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦٠٠-٦٠١؛ البداية والنهاية ١١/٥٢؛ الأعلام ٢/٢٨٦؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٢٣٠-٢٣١ .
- (٢) نقل ابن تيمية فيما تقدم، ص ١٢ عن كتاب "السنة" للخلال، وأشارت هناك الى أنني اطلمت على صورة لمخطوط في المتحف البريطاني عنوانه "الجزء الأول من كتاب المسند من مسائل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل" للخلال، واستخرجت منه ذلك المنقول، وقد حاولت أن أجد فيه النصوص التي سيوردها ابن تيمية بعد قليل نقلا عن كتاب "السنة" فلم أتمكن، وبعض صفحاته غير واضحة .
- (٣) الامام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أبيوب بن مطير اللخمي الطبراني، أصله من طبرية الشام، ولد بعكا سنة ٢٦٠، وسمع عددا كبيرا من الشيوخ بمداين الشام وغيرها، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠ هـ، له ثلاثة معاجم في الحديث: "الكبير" و"الأوسط" و"الصفير"، وله كتاب "السنة"، وكتاب "مسند الشاميين" وكتاب "الدعاء" وغيرها .
انظر عنه وعن مؤلفاته: ذكر أخبار اصبهان ١/٣٣٥-٣٣٦؛ طبقات الحنابلة ١/٤٩-٥٠؛ تذكرة الحفاظ ٣/٩١٢-٩١٧؛ البداية والنهاية ١١/٢٧٠؛ لسان الميزان ٣/٧٣-٧٥؛ الأعلام ٣/١٢١؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٣٩٣-٣٩٦ .
- (٤) الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني (٣١٠-٣٩٥) من أولاد المحدثين، رحل الى نيسابور وبخداداد ودمشق ومكة وبقي في الرحلة نحو من أربعين سنة، ثم عاد الى وطنه شيخا، وحدث بالكثير، وكان ثبت الحديث والحفظ، كثير التصانيف، توفي بأصبهان .
انظر عنه: ذكر أخبار اصبهان ٢/٣٠٦؛ طبقات الحنابلة ٢/١٦٧؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٦-١٠٣١؛ ميزان الاعتدال ٣/٤٧٩-٤٨٠؛ البداية والنهاية ١١/٣٣٦؛ لسان الميزان ٥/٧٠-٧٢؛ شذرات الذهب ٣/١٤٦؛ الأعلام ٦/٢٩؛ تاريخ التراث العربي ١/١/٤٣٨-٤٤٠ .
وأشار الزركلي وسزكين الى وجود كتابيه "التوحيد" و"الرد على الجهمية" مخطولين، ولعل أحدهما هو الذي يشير اليه ابن تيمية هنا .

وكتاب " الشريعة " لأبي بكر الآجُرِّي^(١) ، و " الابانة " لأبي عبد الله بن بطنة^(٢) ، وكتاب " الأصول " لأبي عمر الظلمنكي^(٣) ، وكتاب " رد عثمان بن سعيد الدارمي ، وكتاب " الرد على الجهمية " له^(٤) ، وأضعاف هذه الكتب .

- (١) الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي (بضم الجيم ، نسبة الى آجر قرية من قرى بغداد) ، ثقة صدوق دين ، له تصانيف كثيرة ، حدث ببغداد قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل الى مكة فسكنها حتى توفي بها سنة ٣٦٠ ، وقد طبع كتاب " الشريعة " بتحقيق محمد حامد الفقي ، بطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، وذكر له سزكين نسفا خطية .
انظر: تاريخ بغداد ٢/٢٤٣ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/٩٣٦ ؛ الوافي بالوفيات ٢/٣٧٣ - ٣٧٤ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٤٩ ؛ البداية والنهاية ١١/٢٧٠ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٥ ؛ الأعلام ٦/٩٧ ؛ تاريخ التراث العربي لسزكين ١/١ - ٣٨٩ - ٣٩٢ .
- (٢) الامام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري ، المعروف بابن بطنة (٣٠٤ - ٣٨٧) عالم بالحديث من فقهاء الحنابلة ، توفي بعكبرا بليدة على رجلة ، من مصنفاته " الابانة الكبيرة " و " الابانة الصغيرة " ، ذكر لهما فواد سزكين نسفا خطية ، وطبع " الابانة الصغيرة " بتحقيق الدكتور رضا بن نعمان معطي ، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
انظر: تاريخ بغداد ١٠/٣٧١ - ٣٧٥ ؛ طبقات الحنابلة ٢/١٤٤ - ١٥٣ ؛ اللباب ١/١٦٠ ، ٢/٣٥١ ؛ ميزان الاعتدال ٣/١٥ ؛ البداية والنهاية ١١/٣٢١ - ٣٢٢ ؛ لسان الميزان ٤/١١٥ - ١١٢ ؛ شذرات الذهب ٣/١٢٢ - ١٢٤ ؛ الأعلام ٤/١٩٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٢٣٩ - ٢٤٠ .
- (٣) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري - نسبة الى المعافر بطن من قحطان - الظلمنكي (٣٤٠ - ٤٢٩) أصله من ظلمنكة مدينة بالأندلس ، سكن قرطبة ، ورحل الى المشرق ، وتوفي بظلمنكة ، عالم بالقراءات والتفسير والحديث ، من مصنفاته " الوصول الى معرفة الأصول " .
انظر: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٨ - ١١٠٠ ؛ الوافي بالوفيات ٨/٣٢ - ٣٣ ؛ الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/١٢٠ ؛ شذرات الذهب ٣/٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الأعلام ١/٢١٢ - ٢١٣ .
- (٤) هو الحافظ الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني الدارمي (٢٠٠ - ٢٨٠) ، محدث هراة ، جالس الامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وغيرهم ، وصنف في الحديث والرد على الجهمية ، وقد نشر " رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد " و " الرد على الجهمية " مرات ، أحدها ضمن مجموعة بعنوان " عقائد السلسف " الاسكندرية ١٩٧١ م .
انظر عن الدارمي ومصنفاته : الجرح والتعديل ٦/١٥٣ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٦٢١ - ٦٢٢ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٢/٣٠٢ - ٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ٢/١٧٦ ؛ الأعلام ٤/٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣١ - ٣٢ .

نماذج من أقوالهم وذلك مثل ما ذكره الخلال وغيره ، عن اسحاق بن راهوية ، ثنا بشر بن عمر ،
ومروياتهم في كتب متفرقة قال : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : (الرحمن على العرش استوى) أي
ارتفع .

وقال البخارى في " صحيحه " : قال : أبو العالية (٤) : (استوى الى السماء) :
ارتفع ، " وقال مجاهد (٦) : استوى : علا على العرش (٧) .

وقال البغوى في " تفسيره " : قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف : (استوى
الى السماء) : ارتفع الى السماء (٩) .

-
- (١) ثنا : كذا في (ص) ؛ ك : حدثنا ؛ ن : أنبأ .
(٢) هو أبو محمد بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهراني الأزدي البصرى ، ثقة ، توفي بالبصرة سنة
٢٠٧ أو ٢٠٩ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٣٠٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٣٣٧ ؛ تهذيب التهذيب
٤٥٥ / ٤٥٦ .
(٣) سورة طه : ٥٥ .
(٤) أبو العالية البراء البصرى ، مولى قریش ، قيل : اسمه زياد بن فيروز ، وقيل غير ذلك ، تابعي ثقة ،
مات سنة ٩٠ هـ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٢٣٧ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ٥٤٣ ؛ تهذيب التهذيب
١٢ / ١٤٣ - ١٤٤ .
(٥) سورة البقرة : ٢٩ .
(٦) الامام أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي المقرئ المفسر ، ولد سنة ٢١ وسمع
عددا من الصحابة ، ولزم ابن عباس مدة ، وأخبر أنه عرض عليه القرآن مرات يقف عند كل آية
ويسأله عن تفسيرها ، توفي بمكة سنة ١٠٣ أو ١٠٤ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٤٦٦ - ٤٦٧ ؛ حلية الأولياء ٣ / ٢٧٩ - ٣١٠ ؛ تذكرة
الحفاظ ١ / ٩٢ - ٩٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٤٣٩ - ٤٤٠ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٢ - ٤٤ ؛
الأعلام ٥ / ٢٧٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١٢ - ٢٠ - ٢١ .
(٧) القولان في صحيح البخارى (فتح البارى ١٣ / ٤٠٣) كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) .
(٨) الامام الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوى ، الفقيه الشافعي المفسر
المحدث ، يلقب بمحي السنة ، ولد سنة ٤٣٦ هـ ، وتوفي بمرور الروذ سنة ٥١٦ أو ٥١٠ .
انظر : وفيات الأعيان ٢ / ١٣٦ - ١٣٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٧ - ١٢٥٩ ؛ طبقات الشافعية
للسبكي ٧ / ٢٥٥ - ٨٠ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ١٩٣ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٤٨ - ٤٩ ؛ الأعلام
٢ / ٢٥٩ .
(٩) قال البغوى في تفسيره (بهامش تفسير ابن كثير ١ / ١٢٢) (ثم استوى الى السماء) [سورة
البقرة : ٢٩] : " قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف : أى ارتفع الى السماء " .

وكذا^(١) قال الخليل بن أحمد^(٢).

وروى البيهقي^(٣) عن الفراء^(٤): "استوى أى صعيد، وهو كقولك الرجل: كان قاعدا فاستوى قائما^(٥)".

- (١) ك : وكذلك .
- (٢) الامام أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (نسبة الى فراهيد بطن من الأزد) ، امام في علم اللغة والنحو ، أخذ عنه سيوييه وغيره من أكابرهم ، وهو الذي استتب علم العروض ، ولد سنة ١٠٠ ، ومات بالبصرة سنة ١٧٠ أو ١٧٥ .
انظر: انباه الرواة على انباه النحاة ١/١ - ٣٤٧ - ٣٤٤ ؛ وفيات الأعيان ٢/٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨ ؛ البداية والنهاية ١٠/١ - ١٦١ - ١٦٢ ؛ تهذيب التهذيب ٣/٣ - ١٦٣ - ١٦٤ ؛ شذرات الذهب ١/١ - ٢٧٧ - ٢٧٨ ؛ الأعلام ٢/٢ - ٣١٤ .
- قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد (تحقيق عبد الله بن الصديق ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩) ٧/ ١٣٢ "وقد ذكر النضر بن شميل ، وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة ، قال حدثني الخليل ، وحسبك بالخليل ، قال : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت فاذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام ، وقال لنا : استوا ، فبقينا متحيرين ، ولم ندر ما قال ، قال : فقال لنا أعرابي الى جنبه : انه أمركم أن ترتفعوا ، قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : (ثم استوى الى السماء وهي دخان) [سورة فصلت : ١١] فصعدنا اليه ."
- وقد رجعت الى معاجم اللغة ولم أجد نقلا عن الخليل في معنى "الاستواء" ، لكن في كتاب "العين" للخليل بن أحمد ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ٧/٣٢٦ مادة "سوى" : "وساويت هذا بهذا ، أى رفعت حتى بلغ قدره ومبلغه" ثم قال في نفس الصفحة : "والمساواة والاستواء واحد" .
- (٣) الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ، الفقيه الشافعي ، المتكلم الأشعري (٣٨٤ - ٤٥٨) نشأ في بيهق ، ومات في نيسابور ، كان محدثا فقيها أصوليا ، صاحب تصانيف كثيرة .
- انظر: تبين كذب المفترى ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ؛ وفيات الأعيان ١/٧٥ - ٧٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٢ - ١١٣٥ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤/٨ - ١٦ ؛ البداية والنهاية ٢٢/٩٤ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ الأعلام ١/١١٦ .
- (٤) الامام أبو زكريا يحيى بن زيار بن عبد الله بن منظور ، مولى بني أسد ، المشهور بالفراء (١٤٤ - ٢٠٧) ، كوفي نزل بغداد ومات بها ، وقيل : مات بطريق مكة ، ويعد أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأرب .
- انظر: تاريخ بغداد ١٤/١٤٩ - ١٥٥ ؛ انباه الرواة ٤/١ - ١٧ ؛ وفيات الأعيان ٦/١٧٦ - ١٨٢ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٧٢ ؛ البداية والنهاية ١٠/١ - ٢٦١ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٢١٢ - ٢١٣ ؛ الأعلام ٨/١٤٥ - ١٤٦ .
- (٥) قال الفراء في كتابه "معاني القرآن" ١/٢٥ : (ثم استوى الى السماء فسواهن) -سورة البقرة: ٢٩- : "الاستواء في كلام العرب على جهتين : احدهما أن يستوى الرجل وينتهي شبابه ، أو يستوى عن اعوجاج ، فهذا وجهان ، ووجه ثالث أن تقول : كان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشامتني والي ، سوا ، على معنى أقبل الي وطلبي ، فهذا معنى قوله : (ثم استوى الى السماء) والله أعلم .
- وقال ابن عباس : ثم استوى الى السماء : صعيد ، وهذا كقولك للرجل : كان قائما فاستوى قاعدا ، وكان قاعدا فاستوى قائما ، وكل في كلام العرب جائز " وقد روى البيهقي ذلك بسنده عن الفراء في كتاب "الأسماء والصفات" ، ص ٤١٢ - ٤١٣ .

وروى الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه قال عن يوم الجمعة : (وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش) .^(١)
وروى أبو بكر الأثرم " عن الفضيل بن عياض^(٢) قال : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ؛ لأن الله وصف فأبلغ ؛ فقال : (قل هو الله أحد الله الصمد)^(٣) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ؛ وكل^(٤) هذا النزول والضحك ، وهذه المباهاة وهذا^(٥) الاطلاع ؛ كما شاء أن ينزل^(٦) ، وكما شاء أن يضحك ؛ فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف^(٧) . وإذا قال لك الجهمي : أنا أكفر

- (١) أورد ابن تيمية هذا المتن في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " ٢ / ٢١ مرفوعا ، وهو كذلك في مسند الامام الشافعي (بهامش الجزء السادس من كتاب " الأم " ، ص ١٠٤ - ١٠٥ ط . الأولى بولاق - مصر ١٣٢٤ هـ) .
أوله ، عن أنس بن مالك قال : أتى جبريل بمرآة بيضاء ، فيها وُكِّتَ الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما هذه ؟ فقال : هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ...) وفيه (وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش) .
الوكنة في لسان العرب مادة " وكت " : الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه .
(٢) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي ، ولد سنة ١٠٥ بمصر قند ، وسمع بالكوفة ، ثم نزل مكة وتوفي بها سنة ١٨٧ ، وهو من كبار العباد ، مجمع على ثقته وجلالته .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٥٠٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٦ - ١٤ ؛ حلية الأولياء ٨ / ٨٤ - ١٣٩ ؛ صفة الصفوة ٢ / ١٣٤ - ١٣٩ ؛ وفيات الأعيان ٤ / ٤٧ - ٤٩ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٣٦١ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٩٨ - ١٩٩ ؛ تهذيب التهذيب ٨ / ٢٩٤ - ٢٩٧ ؛ الأعلام ٥ / ١٥٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ١ - ١٠٦ - ١٠٧ .
(٣) أورد ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٢٣ - ٢٤ ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية ، ص ١٨٥ ، هذا القول من رواية الأثرم في كتاب " السنة " ، وفيه " لأن الله وصف نفسه فأبلغ ، فقال : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) .

(٤) وكل : كذا في (ص) ؛ ن ، ك : ومثل .

(٥) ص : وهذه .

(٦) في الصدرين السابقين رقم (٣) " كما شاء أن ينزل ، وكما شاء أن يباهي ، وكما شاء أن يطلع " .

(٧) ن ، ك : أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف .

برب ينزل عن مكانه . / فقل أنت : أنا أو من برب يفعل ما يشاء .^(١)
وقال البخاري في كتاب " خلق الأفعال " : " وقال الفضيل بن عياض :
إذا قال لك الجهمي : أنا أكثر برب يزول عن مكانه . فقل : أنا أو من
برب يفعل ما يشاء ."

قال البخاري : " وحدث يزيد بن هارون^(٦) عن الجهمية ؛ فقال : من زعم
أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي ."
وروي الخلال عن سليمان بن حرب^(٩) أنه سأل بشر بن السري حماد بن زيد ؛
فقال : يا أبا اسماعيل ، الحديث : (ينزل الله السمس السما الدنيا)^(١١)

- (١) ن : أنا أكثر برب ينزل . فقلت أنت ، ك : أنا كبرت برب ينزل . فقل أنت .
- (٢) كتاب خلق أفعال العباد ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ضمن مجموع " عقائد السلف " ط . الاسكندرية (١٩٧١) .
- (٣) خلق أفعال العباد : جهمي .
- (٤) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٧ .
- (٥) خلق أفعال العباد : وحذر .
- (٦) أبو خالد يزيد بن هارون بن زاندي - أو يقال : زانان - بن ثابت السلمي مولا هم ، ولد بواسط سنة ١١٨ ، ومات بها سنة ٢٠٦ ، أحد حفاظ الحديث الثقات ، من شيوخ الامام أحمد .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٤ / ٧ - ٣١٥ ؛ الجرح والتعديل ٢٩٥ / ٩ ؛ طبقات
الحنابلة ٤٢٢ / ١ ؛ تذكرة الحفاظ ٣١٧ / ١ - ٣٢٠ ؛ تهذيب التهذيب ٣٦٦ / ١١ - ٣٦٩ ؛
الأعلام ١٩٠ / ٨ ؛ تاريخ التراث العربي ٩٢ / ١ / ١ - ٩٣ .
- (٧) خلق أفعال العباد : وقال .
- (٨) خلق أفعال العباد : ما يقر .
- (٩) أبو أيوب سليمان بن حرب بن بجيل الواشحي نسبة الى واشح (بطن من الأزد) من أهل البصرة
ولسد سنة ١٤٠ ، ولي قضاء مكة سنة ٢١٤ ثم عزل سنة ٢١٩ فرجع الى البصرة فتوفي
فيها سنة ٢٢٤ ، وهو ثقة ، كثير الحديث .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠٠ / ٧ ، تاريخ بغداد ٣٣ / ٩ - ٣٧ ؛ تذكرة الحفاظ
٣٩٣ / ١ ؛ تهذيب التهذيب ١٧٨ / ٤ - ١٨٠ ؛ الأعلام ١٢٢ / ٣ - ١٢٣ .
- (١٠) أبو عمرو بشر بن السري ، المعروف بالأفوه ، بصرى سكن مكة ، ثقة متقن ، طعن فيه برأى
جهم ثم اعتذرتاب ، مات سنة ١٩٥ أو ١٩٦ ، وله ٦٣ سنة .
انظر : الجرح والتعديل ٣٥٨ / ٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٣٥٥ / ١ - ٣٥٦ ؛ تهذيب التهذيب
٤٥٠ / ١ - ٤٥١ .

(١١) خبر الغزول خبر متواتر ، رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من صحابته رضي الله عنهم ، منهم
أبو هريرة الذي روي حديثه من طرق ، أحدها ما في صحيح البخاري (فتح الباري ٢٩ / ٣ رقم ١١٤٥)
كتاب التهجيد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ١٢٨ / ١١ - ١٢٩ رقم ٦٣٢١ كتاب الدعوات
باب الدعاء نصف الليل ، ١٣ / ٦٤٤ رقم ٧٤٩٤ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يريدون
أن يبدلوا كلام الله ؛ وصحيح مسلم ٥٢١ / ١ رقم ٧٥٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، بسبب
الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٩٩ / ٤) = /

يتحول^(١) من مكان الى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال : هو في مكانه ،
يقرب من خلقه كيف شاء .

قول الأشعري في كتاب "المقالات" عن أهل السنة
والحديث : فقال :^(٢) " ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه
وسلم^(٣) [ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر؟ كما
جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(٤) ، يأخذون بالكتاب
والسنة : كما قال تعالى :^(٥) (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول)^(٦) .

= / كتاب الصلاة ، باب أى الليل أفضل ، ١٣ / ٥٨ - ٥٩ ، كتاب السنة باب في الرد على الجهمية ؛
وجامع الترمذى (تحفة الأحمدي ١ / ٤٧١) الدعوات ، باب حدثنا الأنصاري أخبرنا معن ...
الخ ؛ وسنن ابن ماجه ١ / ٤٣٥ رقم ١٣٦٦ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في
أى ساعات الليل أفضل ؛ وسند أحمد (ط . المعارف) ١٤ / ٢٥ رقم ٧٥٨٢ ، ١٤٠ / ٤٦ رقم
٧٦١١ ، والموطأ ١ / ٢١٤ رقم ٣٠ كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء .
عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي عبدالله الأغر عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ،
حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من
يستغفرتني فأغفر له) . زاد ابن ماجه وأحمد : (حتى يطلع الفجر) .
ولم تختلف الروايات عن ابن شهاب الزهري في تعيين وقت النزول ، لكن روايات أخرى اختلفت
فيه : ففي صحيح مسلم ١ / ٥٢٢ ، وجامع الترمذى (تحفة الأحمدي ٢ / ٥٢٤) في الصلاة ،
باب ماجاء في نزول الرب تبارك وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة ؛ وسند أحمد (ط . المعارف)
١٤ / ٢٠٤ - ٢٠٥ رقم ٧٧٧٩ عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ (حين
يضي ثلث الليل الأول) .

وفي صحيح مسلم ١ / ٥٢٢ عن يحيى بن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة (اذا مضى
شطر الليل أو ثلثاه) ، وعن سعد بن سعيد عن ابن مرجانة عن أبي هريرة (لشطر الليل ،
أو لثلث الليل الآخر) ، وفيه ١ / ٥٢٣ عن أبي اسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد
وأبي هريرة (اذا ذهب ثلث الليل الأول) .
وقد قال الامام الترمذى (جامع الترمذى بشرحه تحفة الأحمدي ٢ / ٥٢٥) وغيره من أهل الحديث
: ان رواية (حين يبقى ثلث الليل الآخر) أصح الروايات .

وقال ابن تيمية في شرح حديث النزول (ضمن فتاوى ط . الرياض ٥ / ٤٧٠) معلقا على اختلاف هذه
الروايات : " فان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول أيضا اذا مضى ثلث الليل الأول
واذا انتصف ، فقوله حق وهو الصادق المصدوق ، ويكون النزول أنواعا ثلاثة : الأول اذا مضى
ثلث الليل ، ثم اذا انتصف وهو أبلغ ، ثم اذا بقى ثلث الليل ، وهو أبلغ الأنواع الثلاثة .

وانظر : توجيه هذا الاختلاف عند ابن القيم في مختصر الصواعق المرسله ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤ وابن حجر في
فتح الباري ٣ / ٣١ .. وللإطلاع على أسانيد والفاظ حديث النزول انظر كتاب " التوحيد " لابن
خزيمة ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .
(١) ك : أيتحول .
(٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٣٤٨ تحت عنوان : " هذه حكاية جملة قول أصحاب
الحديث وأهل السنة . " (٣) مقالات الاسلاميين : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) ما بين المعكوفين ليس في (ص ، ن ، ك) . وهو في " مقالات الاسلاميين " .
(٥) مقالات الاسلاميين : كما قال الله عز وجل . (٦) سورة النساء : ٥٩ .

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، ولا يحدثون^(١) في دينهم ما لم يأذن به الله ، ويقولون أن الله تعالى يجيء^(٢) يوم القيامة ؛ كما قال : (وجساء ربك والملك صفا صفا)^(٣) . وأن الله يقرب من خلقه كما يشاء^(٤) ؛ كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)^(٥) .

ثم قال الأشعري : " ويكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب " .

وقال أبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة قول أبي عثمان الصابوني النيسابوري في رسالته في السنة^(٧) : قال :^(٨) " ويثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه في كل ليلة^(٩) الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف ، بل يشبتون له^(١١) ما أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويعرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكفون علمه الى الله .

وكذلك يشبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء^(١٢) والاتيان [المذكورين في قوله عز وجل : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله] في ظلل من الغمام والملائكة^(١٣) ،

- (١) مقالات الاسلاميين : وألا يبتدعوا .
- (٢) مقالات الاسلاميين : أن الله سبحانه .
- (٣) سورة الفجر : ٢٢ .
- (٤) مقالات الاسلاميين : كيف شاء .
- (٥) سورة ق : ١٦ .
- (٦) مقالات الاسلاميين ١ / ٣٥٠ .
- (٧) هو أبو عثمان اسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل الصابوني ، ولد بنيسابور سنة ٣٢٣ ، ومات بها سنة ٤٤٩ ، الحافظ ، الواظ ، المنصر ، الشافعي ، كان مقدما في خراسان ، لقب فيها بشيخ الاسلام .
- انظر : طبقات الشافعية ٤ / ٢٧١ - ٢٩٢ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٧٦ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ الأعلام ١ / ٣١٧ .
- وقد طبعت رسالته المشار اليها بعنوان " العقيدة المفيدة ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث " ضمن مجموعة ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية بمصر ، وسأقابل - ان شاء الله - ما هنا على هذه الطبعة وأرزم لها برسالة النيسابوري .
- (٨) رسالة النيسابوري ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٩) رسالة النيسابوري : أصحاب الحديث .
- (١٠) رسالة النيسابوري : سبحانه وتعالى كل .
- (١١) له : ليست في رسالة النيسابوري . في الموضوعين .
- (١٢) رسالة النيسابوري : ما أنزله الله عز اسمه .
- (١٣) سورة البقرة : ٢١٠ . والمثبت في رسالة النيسابوري . وفي (ص ، ن ، ك) : والاتيان في ظلل من الغمام والملائكة .

وقوله عز وجل: (وجاء ريك والملك صفا صفا^(١)).

وقال^(٣): "سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت^(٤) [أبا

زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابراهيم بن^(٦) [أبي طالب^(٧)، سمعت^(٨)

أحمد بن سعيد الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات^(٩)

يوم؛ وحضر اسحاق بن ابراهيم - يعني ابن راهوية - فسئل عن حديث النزول،^(١٠)

- (١) رسالة النيسابوري: وقوله عز اسمه .
- (٢) سورة الفجر: ٢٢ .
- (٣) رسالة النيسابوري ٢٥١-٢٥٢ .
- (٤) الحافظ: ليست في رسالة النيسابوري .
- وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، يعرف بالحاكم، وابن البيع، ولد بنيسابور سنة ٣٢١ وتوفي فيها سنة ٤٠٥، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ٦٠٨/٢: "الحافظ، صاحب التصانيف، امام صدوق، لكنه يصحح نسي مستدركه" أحاديث ساقطة، ويكثر من ذلك... ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرض للشيخين".
- وانظر أيضا: تاريخ بغداد ٤٧٣/٥-٤٧٤؛ تبيين كذب المفتري، ص ٢٢٧-٢٣١؛ تذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣-١٠٤٥؛ لسان الميزان ٢٣٢/٥-٢٣٣؛ الأعلام ٢٢٧/٦؛ تاريخ التراث العربي ٤٥٤/١/١-٤٥٧ .
- (٥-٥) ما بينهما سقط من (ص).
- (٦) أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبدالله العنبري النيسابوري، المفسر، المحدث، الأديب . توفي سنة ٣٤٤ وهو ابن ٧٦ سنة .
- انظر: العبر ٢٦٥/٢-٢٦٦؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤٨٥/٣-٤٨٦؛ شذرات الذهب ٣٦٩/٢ .
- (٧) أبو اسحاق ابراهيم بن أبي طالب محمد بن نوح بن عبدالله النيسابوري امام عصره بنيسابور نسي معرفة الحديث والرجال، له كتاب "الملل"، توفي سنة ٢٩٥ .
- انظر: تذكرة الحفاظ ٦٣٨/٢-٦٣٩؛ شذرات الذهب ٢١٨/٢ .
- (٨) رسالة النيسابوري: يقول سمعت .
- (٩) رسالة النيسابوري: أحمد بن سعيد بن ابراهيم بن عبدالله الرباطي . وهو أبو عبدالله أحمد ابن سعيد بن ابراهيم الرباطي المروزي الخراساني الأشقر، نزيل نيسابور، روى عنه الجماعة سوى ابن ماجه، ورد بغداد وسمع من الامام أحمد وغيره، توفي سنة ٢٤٣ .
- انظر: طبقات الحنابلة ٤٥/١؛ تذكرة الحفاظ ٥٣٨/٢-٥٣٩؛ تهذيب التهذيب ٣٠/١-٣١؛ شذرات الذهب ١٠٢/٢ .
- (١٠) أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولا* (١٨٢-٢٣٠) تدرج في الولايات في العصر العباسي حتى عينه المأمون أميرا لخراسان وما والاها، فبقي الى أن توفي بنيسابور أو بمرو، وكان جوادا سخيا .
- انظر: تاريخ بغداد ٤٨٣/٩-٤٨٩؛ وفيات الأعيان ٨٣/٣-٨٩؛ البداية والنهاية ١٠/١-٣٠٢-٣٠٣؛ الأعلام ٩٣/٤-٩٤ .
- (١١) ك: فسأل .

صحيح هو ؟ . فقال^(١) : نعم . فقال بعض قواد عبدالله : يا أبا يعقوب ، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ . قال : نعم . قال : كيف ينزل ؟ ، قال : أثبتة فسوق حتى أصف لك النزول . فقال الرجل : أثبتة فوق . فقال اسحاق : قال الله عز وجل : (وجاء ربك والملك صفا صفا)^(٥) . فقال له الأمير عبدالله بن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا يوم القيامة . فقال اسحاق : أعز الله الأمير من يجي يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ .

وروى باسناده^(٨) عن اسحاق قال : قال لي الأمير عبدالله بن طاهر : يا أبا يعقوب ، هذا الحديث الذي تروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا)^(١٠) . كيف ينزل ؟ قال : قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب كيف ينزل ؟^(١١) انما ينزل بلا كيف .

ظ ٤٠ وباسناده أيضا^(١٢) عن عبدالله بن المبارك أنه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان^(١٣) ؛ فقال عبدالله : يا ضعيف ، ليلة النصف ؟ !

- (١) رسالة النيسابورى : أصحيح هو ؟ قال .
- (٢) رسالة النيسابورى : فقال له .
- (٣) ص : في كل .
- (٤) رسالة النيسابورى : فقال له اسحاق .
- (٥) سورة الفجر : ٢٢ .
- (٦) رسالة النيسابورى : فقال الأمير عبدالله .
- (٧) رسالة النيسابورى : ومن .
- (٨) رسالة النيسابورى ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٩) رسالة النيسابورى : ترويه عن رسول الله .
- (١٠) رسالة النيسابورى : سما .
- (١١) ينزل : ليست في رسالة النيسابورى .
- (١٢) رسالة النيسابورى ، ص ٢٥١ .

(١٣) وردت أحاديث في فضل ليلة النصف من شعبان ، وفي بعضها ذكر النزول ، ففي جامع الترمذى (تحفة الأحمدي ٣/٤٣٩ - ٤٤١) أبواب الصوم ، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان ، وسنن ابن ماجه ١/٤٤٤ رقم ١٣٨٩ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان ، عن يزيد بن هارون عن الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فاذا هو بالبقيع . . . وفيه فقال - أى رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) .
 وذكر الترمذى أن الحديث منقطع في موضعين : فالحجاج لم يسمع من يحيى ، ويحيى لم يسمع من عروة . / =

- أى وحدها ؟ (١) - ينزل (٢) في كل ليلة . فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن (٣) ، كيف ينزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان (٤) ؟ . فقال عبد الله بن المبارك (٦) : ينزل كيف شاء .
قال أبو عثمان النيسابوري (٧) : " فلما صح خبر النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة ، وقبلوا الحديث ، وأثبتوا النزول (٩) على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه ، وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا أن صفات الرب لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق ، سبحانه وتعالى (١١) عما يقول المشبهة والمعطلية علوا كبيرا . "

قول البيهقي في كتاب الأسماء والصفات
وروى البيهقي (١٢) باسناده عن اسحاق بن راهوية ؛ قال : جمعني وهذا
المبتدع - يعني ابراهيم بن أبي صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ؛
فسألني الأمير عن أخبار النزول فثبتها (١٤) ، فقال ابراهيم : كبرت برب ينزل من
سما إلى سما . فقلت : آمنت برب يفعل ما يشاء . فرضى عبد الله كلامي ، وأنكر
على ابراهيم . "

- = / وفي سنن ابن ماجه (رقم ١٣٨٨) عن علي بن أبي طالب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سما الدنيا ، فيقول : ألا من مستغفر لي فأغفر له ؟ . . . حتى يطلع الفجر) .
في سننه أبو بكر - عبد الله ، وقيل : محمد - بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة القرشي العامري المدني ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٩٧/٢ : " رموه بالوضع " .
(١) أى وحدها : ليست في رسالة النيسابوري ، والظاهر أنها زيادة من ابن تيمية للايضاح .
(٢) ك : هو ينزل .
(٣) رسالة النيسابوري : يا أبا عبد الله ، وهو خطأ .
(٤) ن ، ك : ألم يخل .
(٥) رسالة النيسابوري : ذلك المكان منه .
(٦) رسالة النيسابوري : فقال عبد الله .
(٧) رسالة النيسابوري ، ص ٢٦٠ .
(٨) رسالة النيسابوري : عن الرسول .
(٩) رسالة النيسابوري : وقبلوا الخير ، وأثبتوا النزول .
(١٠) ن : الرب تعالى . رسالة النيسابوري : وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه .
(١١) رسالة النيسابوري : الخلق ، تعالى الله .
(١٢) في كتاب " الأسماء والصفات " ، ص ٤٥٢ .
(١٣) ص ، ن ، ك : يعني ابن صالح . والمثبت من كتاب " الأسماء والصفات " في ميزان الاعتدال ٣٧/١ : " ابراهيم بن أبي صالح ، قال أبو الحسين : مسلم جهمي ، لا يكتب حديثه " وفي لسان الميزان ٦٦/١ " اسم أبي صالح هاشم ، قاله الحاكم " .
(١٤) الأسماء والصفات : فسردتها .

قول حرب الكرماني في مصنفه في مسائل أحمد واسحاق والتابعين ومن بعدهم ؛ قال : " باب ، القول في المذهب ؛ هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها : وأدرت من أدرت من علماء العراق والحجاز والشام عليها ؛ فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو غاب قائلها فهو مبتدع ، خارج عن الجماعة ، زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق ؛ وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد وعبدالله بن الزبير الحميدى وسعيد ابن منصور وغيرهم ، من جالسنا وأخذنا عنهم العلم " .

وذكر الكلام في الايمان ، والقدر ، والوعيد ، والامامة ، وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ ، وغير ذلك ، الى أن قال : " وهو سبحانه بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ، والله تعالى على عرشه ، عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا اله غيره .

والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حلیم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ،

- (١) أبو محمد - وقيل : أبو عبدالله - حرب بن اسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، الفقيه الحافظ ، صاحب الامام أحمد ، ونقل مسائل كثيرة عن أحمد واسحاق بن راهوية ، توفي سنة ٢٨٠ . انظر : طبقات الحنابلة ١ / ١٤٥ - ١٤٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٦١٣ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٧٦ .
- (٢) ن : قائلها .
- (٣) الامام الجليل الحافظ الفقيه أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشي الأسدي المكي ، من كبار أصحاب الشافعي وسفيان بن عيينة ، له كتاب " المسند " ، توفي بمكة سنة ٢١٩ . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٥٠٢ ؛ الجرح والتعديل ٥ / ٥٦ - ٥٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٣ - ٤١٤ ؛ طبقات الشافعية للسيبكي ٢ / ١٤٠ - ١٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ٥ / ٢١٥ - ٢١٦ ؛ الأعلام ٤ / ٨٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ - ١٨٩ - ١٩٠ .
- (٤) الامام أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ، أصله من مرو ، يقال : ولد بجوزجان ، ونشأ ببلخ ، وطاف البلاد ، وسكن مكة ومات بها سنة ٢٢٧ ، ثقة من المتقين الاثبات ، له كتاب " السنن " . انظر : طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٢ ؛ الجرح والتعديل ٤ / ٦٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٦ - ٤١٧ ؛ تهذيب التهذيب ٤ / ٨٩ - ٩٠ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ - ١٩٥ - ١٩٦ .

يتكلم ويتحرك، ويسمع ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط، ويفرح ويحب، ويكره ويبغض،
ويسخط ويغضب، ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، ينزل كل ليلة الى السماء
الدنيا كيف شاء، متكلماً، عالماً، تبارك الله أحسن الخالقين .

وروى أبو بكر الخلال في كتاب " السنة " قال : " أخبرني به يوسف بن موسى
: أن أبا عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - قيل له : أهل الجنة ينظرون الى
رهبهم ويكلمونه ويكلمهم ؟ قال : نعم ؛ ينظر اليهم وينظرون اليه ، ويكلمهم
ويكلمونه ، كيف شاء ، وإذا شاء " .

وقال أيضا : " أخبرني عبدالله بن حنبل ؛ أخبرني أبي : حنبل بن
اسحاق قال : قال عمي : نحن نؤمن بأن / الله على العرش ، كيف شاء وكما شاء " .
قال الخلال : " وأخبرني علي بن عيسى (٤) أن حنبلا حدثهم ؛ قال : قلت
لأبي عبدالله : الله يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، فمن يقضي بسين
الخلايق الا الله عز وجل ؟ ! يكلم عبده ويسأله ، الله متكلم ؛ لم يزل
الله متكلماً (٥) : يأمر بما شاء ويحكم بما شاء - وليس له عدل ولا مثل - كيف
شاء وأين شاء " .

قال الخلال : " وأنا محمد بن علي بن بحر أن يعقوب بن بختان (٨) حدثهم :

- (١) ترجم ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة لاثنتين باسم " يوسف بن موسى " روي عن الامام أحمد ،
الأول (٤٢٠/١ - ٤٢١) يوسف بن موسى العطار الحربي ، حدث عنه أبو بكر الخلال ، وأثنى
عليه ثنا حسنا ، وكان يوسف هذا يهوديا أسلم على يدي أحمد بن حنبل ، وهو حدث فحسب
اسلامه ، ولزم العلم .
والثاني (٤٢١/١) أبو يعقوب يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفي ، أصله من الأهواز ،
سكن بغداد ، روى عنه البخاري وابراهيم الحربي ، وقال عنه يحيى بن معين : صدوق .
وفي ترجمة الخلال (الطبقات ١/١٢) ذكر من سمع الخلال من أصحاب أحمد " يوسف بن موسى
القطان الحربي " هكذا ؟ -
(٢) ن : عبدالله بن أحمد بن حنبل ، وهو خطأ .
وقد قال ابن أبي يعلى في ترجمة حنبل بن اسحاق بن حنبل (طبقات الحنابلة ١/٤٣) : " حدث
عنه ابنه ، وقد اختلف في اسمه ، فقوم قالوا : عبيد الله ، وقوم قالوا : عبدالله " . لكن لم يفرد بترجمة .
(٣) حنبل هو ابن عم الامام أحمد ، لكنه يقول عنه : " عمي " ، انظر مراجع ترجمة حنبل فيما تقدم ، ص ١٨٠ .
(٤) لم أعرف من المقصود .
(٥) ص : يتكلم .
(٦) ك : وان .
(٧) لم أقف له على ترجمة .
(٨) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن بختان ، سمع الامام أحمد ، وكان أحد الصالحين الثقات .
انظر عنه : طبقات الحنابلة ١/٤١٥ - ٤١٦ .

قول الخلال في
كتاب السنة

ج ٤١

أن أبا عبدالله سئل عن زعم أن الله لم يتكلم بصوت ؟ قال : بلى ، تكلم بصوت ؛ وهذه الأحاديث كما جاءت نرويهما ؛ لكل حديث وجه ؛ يريدون أن يوهوا على الناس ؛ من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر .

وأخبرنا المروزي ^(١) : سمعت أبا عبدالله ، وقيل له : ان عبد الوهاب ^(٢)

قد تكلم ؛ وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت ، فهو جهمي عدو الله وعدو الاسلام - فتبسم أبو عبدالله وقال : " ما أحسن ما قال ! عافاه الله " .

قول عبدالله بن أحمد في وعن عبدالله بن أحمد أيضا ^(٣) : سألت أبي عن قوم يقولون : لما كلم

الله موسى لم يتكلم بصوت ، فقال أبي : بلى تكلم تبارك وتعالى ^(٤) بصوت ،

وهذه الأحاديث نرويهما كما جاءت ، وحديث ابن مسعود ^(٥) :

(اذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان) ^(٦)

(١) ن ، ك : المروزي ، وقد نقل ابن تيمية هذا النص في كتاب درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٣٨ ، وفيه " أبو بكر المروزي " وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبدالعزيز المروزي (نسبته السي مروزي من مدن خراسان) أمه مروزيه ، وأبوه خوارزمي ، وكان مقدما في أصحاب الامام أحمد ، خصيصا بخدمته ، وروى عنه مسائل كثيرة ، توفي ببغداد سنة ٢٧٥ .

انظر : تاريخ بغداد ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٥ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ٥٦ - ٦٣ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦١١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣٣ - ٦٣٤ ؛ العبر ٢ / ٥٤ ؛ الأعلام ١ / ٢٠٥ .

(٢) لعنه أبو الحسن عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الوراق ، نسائي الأصل ، سكن بغداد ، صحب الامام أحمد ، وقال عنه : عبد الوهاب رجل صالح ، مثله يوفى لاصابة الحق ، مات سنة ٢٥٠ أو ٢٥١ . انظر : طبقات الحنابلة ١ / ٢٠٩ - ٢١٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٢٦ - ٥٢٧ ؛ تهذيب التهذيب ٤٤٨ / ٦ .

(٣) جاء النص التالي في كتاب " السنة " ، ص ٦٢ لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، وسأقبله عليه .

(٤) السنة : بلى .

(٥) عبارة " تبارك وتعالى " : ليست في كتاب " السنة " .

(٦) السنة : هذه ، يدون الواو .

(٧) السنة : وقال أبي : حديث .

(٨) بالوحي : سقطت من كتاب " السنة " .

(٩) روى أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ٦٥ - ٦٧) كتاب السنة ، باب في القرآن ، حدثنا أحمد ابن أبي سريج الرازي وعلي بن الحسين بن ابراهيم وعلي بن مسلم ، قالوا : أخبرنا أبو معاوية ، أنبأنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى اذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون : يا جبريل ما قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق ، الحق) .

وذكره ابن القيم (مختصر الصواعق ٢ / ٢٧٨) فقال : " وروى أبو داود من حديث علي بن الحسين بن اشكاب حدثنا أبو معاوية . . . الخ " وقال : " وهذا الاسناد كلهم أئمة ثقات " . / =

قال أبي : والجهمية تنكره ، قال أبي : وهو لا كفار ، يريدون أن يموهوا على الناس ، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر^(٢) .

قلت : قد بين الامام أحمد وغيره من السلف أن الصوت الذي تكلم

الله تعالى به ليس هو الصوت المسموع ؛ وسئل أحمد عن قوله صلى الله عليه

وسلم : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) ، قال : هو الرجل يرفع صوته به ، هذا معناه^(٣) .

= / وأورده البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣ / ٤٥٢ - ٤٥٣) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن الله) - معلقا موقوفا ، فقال : " وقال مسروق عن ابن مسعود : اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئا ، فاذا فزع عن قلوبهم ، وسكن الصوت ، عرفوا أنه الحق ، ونادوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق " .
ووصله في " خلق أفعال العباد ، ص ١٩٣ من طريقتين موقوفا أيضا ، ولفظه " عن مسروق ، قال : من كان يحدثنا [بتفسير] هذه الآية ، لولا ابن مسعود ، سألتناه (حتى اذا فزع عن قلوبهم) سمع أهل السماوات صلصلة مثل صلصلة السلسلة على الصفوان ، فيخرون ، حتى اذا فزع عن قلوبهم سكن الصوت عرفوا أنه الوحي ، ونادوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق " .
(١) السنة : وهذه الجهمية .

(٢) السنة : فهو كافر ، الا أنا نروى هذه الأحاديث كما جاءت .

(٣) أخرج الحديث عن أبي هريرة البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣ / ٥٠١ رقم ٧٥٢٧) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وأسروا قولكم أو اجهروا به) بهذا اللفظ .
وأخرجه البخارى في صحيحه ٦٨ / ٩ رقم ٥٠٢٣ كتاب فضائل القرآن ، باب من لم يتغن بالقرآن ، ١٣ / ٤٥٣ رقم ٧٤٨٢ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن له) ، ١٣ / ٥١٨ رقم ٧٥٤٤ كتاب التوحيد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع سفره الكرام البررة ؛ وسلم في صحيحه ١ / ٥٤٦ ، ٥٤٥ رقم ٧٩٢ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن بلفظ (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن) وألفاظ نحو هذا .

وورد في هذه المواضع تفسير (يتغن بالقرآن) : يجهر به .

وأخرجه عن أبي هريرة أيضا البخارى (رقم ٥٠٢٤) ، وسلم ١ / ٥٤٥ من طريق سفيان بن عيينة ، ولم يذكر فيه الجهر ، بل عند البخارى " قال سفيان : تفسيره يستغنى به " .

وقد تحدث ابن حجر طويلا في تفسير (يتغن) في فتح البارى ٩ / ٦٩ - ٧٢ وذكر الآثار الواردة وأقوال العلماء في ذلك ، ونقل نصا للطبرى يقول فيه : " ان الشافعي وابن أبي مليكة وعبد الله بن المبارك والنضر بن شميل فسروا التغنى بتحسين الصوت ، وتوؤيده الروايات الأخرى للحديث التي فيها ذكر " الترنم " و " حسن الصوت " ، ولا نعلم في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى ، ولا في أشعارهم " .

ثم علق ابن حجر على هذا النص رادا انكار الطبرى أن يكون تغنى بمعنى استغنى ، منتهيا الى ما يلي : " وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع ، وان كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت ، ويؤيده قوله " يجهر به " ، فانها ان كانت مدفوعة قامت الحجة ، وان كانت غسيرة مدفوعة فالراوى أعرف بمعنى الخبر من غيره ، ولا سيما اذا كان فقها ، وقد جزم الحلبي بأنها من قول أبي هريرة ، والعرب تقول : سمعت فلانا يتغن بكذا ، أى يجهر به " اهـ .

والحديث بلفظ (ما أذن الله لشيء . .) أيضا في سنن أبي داود (عون المعبود ٤ / ٣٤٣) الوتر ، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة ؛ وسنن النسائي ٢ / ١٤٠ كتاب الافتتاح ، باب تزيين القرآن = /

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم)^(١) . يحسنه بصوته^(٢) .
وقال البخاري في كتاب " خلق الأفعال"^(٣) : " ويذكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم (أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، وليس
هذا لغير الله)^(٥) . قال البخاري^(٦) : " وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه
أصوات الخلق ، لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب ؛ وأن الملائكة
يصعقون من صوته ، فاذا تنادى الملائكة لم يصعقوا . قال تعالى^(٧) : (فلا تجعلوا
لله أندادا)^(٨) . فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته فـي
المخلوقين " .

قول البخاري في
كتاب " خلق
أفعال العباد "

- = / بالصوت ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ١٤ / ٨٦ - ٨٧ رقم ٢٢٩ / ١٤ ، ٢٦٥٢ رقم ٧٨١٩ .
ومعنى (ما أذن) : ما استمع .
وأخرج الحديث عن سعد بن أبي وقاص ، بلفظ (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أبو داود في
سننه (عون المعبود ٤ / ٣٤٢) ، وابن ماجه في سننه ١ / ٤٢٤ رقم ١٣٣٧ كتاب اقامة الصلاة
والسنة فيها ، باب في حسن الصوت بالقرآن ، وأحمد في مسنده (ط . المعارف) ٣ / ٤٣ - ٤٤ رقم
١٤٧٦ ، ٣ / ٥٩ رقم ١٥١٢ ، ٣ / ٧٥ رقم ١٥٤٩ .
(١) ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه (فتح الباري ١٣ / ٥١٨) كتاب التوحيد - معلقا ، فقال :
باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة) و (زينوا القرآن
بأصواتكم) ، ووصله في كتاب خلق أفعال العباد ، (مجموعة عقائد السلف) ، ص ١٥٩ - (١٦٠) من
طرق عن عبد الرحمن بن عوسجه عن البراء بن عازب رضي الله عنه .
وأخرجه من هذا الوجه أبو داود (عون المعبود ٤ / ٣٤١) الوتر ، باب كيف يستحب الترتيل في
القرأة ؛ النسائي ٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ ، كتاب الافتتاح ، باب تزيين القرآن بالصوت ؛ ابن ماجه ١ /
٤٢٦ كتاب اقامة الصلاة ، باب في حسن الصوت بالقرآن ، أحمد في المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٢٨٣ ،
٣٠٤ ، ٢٩٦ ، ٢٨٥ .
(٢) في كتاب " درء تعارض العقل والنقل " ٢ / ٤٠ - ٤١ قال ابن تيمية : " ذكر الخلال عن اسحاق بن
ابراهيم ، قال لي أبو عبد الله يوما ، وكنت سألته عنه : تدرى ما معنى (من لم يتغن بالقرآن) ؟
قلت : لا ، قال : هو الرجل يرفع صوته ، فهذا معناه ، اذا رفع صوته لقد تغنى به .
وعن صالح بن أحمد أنه قال لأبيه : (زينوا القرآن بأصواتكم) فقال : التزيين أن يحسنه " .
(٣) خلق أفعال العباد ، ص ٩٢ . ضمن مجموع " عقائد السلف " ، ط . الاسكندرية ١٩٧١ م .
(٤) خلق أفعال العباد : ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض
الصوت ، ويكره أن يكون رفيع الصوت ، وأن الله عز وجل ينادى . . . الخ .
(٥) خلق أفعال العباد : فليس هذا لغير الله جل ذكره .
(٦) خلق أفعال العباد : قال أبو عبد الله .
(٧) خلق أفعال العباد : دليل أن .
(٨) خلق أفعال العباد : صوت الله جل ذكره .
(٩) ك : ينادى .
(١٠) خلق أفعال العباد : وقال عز وجل .
(١١) سورة البقرة : ٢٢ .

(١) ثم روى بإسناده حديث عبدالله بن أنيس ؛ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ، أن يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة)^(٣) .
وذكر الحديث^(٤) الذي رواه أيضا في صحيحه في هذا المعنى في قوله :
(حتى إذا فزع عن قلوبهم) الآية^(٥) ؛ عن أبي سعيد قال : قال رسول الله^(٦) صلى الله عليه وسلم : (يقول الله^(٧) يوم القيامة : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك^(٨) . فينادى بصوت : ان الله يأمرك / أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار . قال : يارب ، ما بعث النار ؟ قال : من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين^(٩) . فحينئذ تضع الحامل حملها ، وترى الناس

ظ ٤١

-
- (١) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .
(٢) خلق أفعال العباد : واحد من النار .
(٣) روى الامام أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ٤٩٥ / ٣ ، والامام البخاري في الأدب المفرد ، ص ٢٥٢ من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبدالله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشترت بعيرا ، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت اليه شهرا ، حتى قدمت الشام ، فاذا عبدالله بن أنيس . . . الخ الحديث بمعنى ما هنا وزيادة .
وقال البخاري في صحيحه (فتح الباري ١٣ / ٤٥٣) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) : " ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان " .
وذكر في موضع آخر من الصحيح (فتح الباري ١ / ١٢٣) كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم خبر الرحلة جازما به ، فقال : " ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر الى عبدالله بن أنيس في حديث واحد " لكن لم يذكر الحديث .
(٤) بعد الحديث السابق مباشرة ، ص ١٩٣ .
(٥) سورة سبأ : ٢٣ .
(٦) خلق أفعال العباد : قال : قال النبي .
(٧) خلق أفعال العباد : يقول الله عز وجل .
(٨) خلق أفعال العباد : لبيك ربنا وسعديك .
(٩) خلق أفعال العباد : وما بعث النار .
(١٠) ص ، ن ، ك : وتسعون ، والمثبت في خلق أفعال العباد وكذلك هو في الصحيحين وسنده أحمد .

سكاري وماهم بسكاري ولكن عذاب الله شديد^(١).

- (٣) وذكر البخاري حديث ابن مسعود، الذي استشهد به أحمد، وذكر
الحديث الذي رواه في صحيحه عن عكرمة قال: سمعت أبا هريرة^(٤) يقول: إن نبي
الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت
الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير^(٥)).
- (٧) وذكر البخاري حديث ابن عباس المعروف، من حديث الزهري^(٨)

- (١) هذا بعض من حديث أخرجه عن أبي سعيد الخدري البخاري في صحيحه (فتح الباري ٤٤١/٨ رقم ٤٧٤١) كتاب التفسير، سورة الحج باب (وترى الناس سكاري)، وأخرجه مختصراً في (١٣/٥٥٣ رقم ٧٤٨٣) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).
ورود الحديث - لكن بدون ذكر الصوت - في صحيح البخاري (فتح الباري ٣٨٢/٦ رقم ٣٣٤٨) كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، (١١/٣٨٨ رقم ٦٥٣٠) كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل (إن زلزلة الساعة شيء عظيم)، وصحيح مسلم (١/٢٠١ رقم ٢٢٢) كتاب الايمان، باب قوله (يقول الله لا آدم أخرج بعث النار...)، ومسند الامام أحمد (ط. الحلبي) ٣/٣٢-٣٣.
(٢) في خلق أفعال العباد بعد الحديث السابق مباشرة، ص ١٩٣ وقد رواه من طريقين موقوفاً على ابن مسعود وتقدم استشهاد الامام أحمد به، ص ١٩٣.
(٣) في خلق أفعال العباد بعد أثر ابن مسعود مباشرة، ص ١٩٣.
(٤) خلق أفعال العباد: أبا هريرة رضي الله عنه.
(٥) خلق أفعال العباد: الله عز وجل.
(٦) الحديث عن عكرمة عن أبي هريرة، في صحيح البخاري (فتح الباري ٣٨٠/٨) رقم ٤٧٠١ كتاب تفسير القرآن، سورة الحجر، باب (إلا من استرق السمع)، (٨/٥٣٧ رقم ٤٨٠٠) كتاب تفسير القرآن سورة سبأ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم) (١٣/٤٥٣ رقم ٧٤٨١) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)؛ وفي سنن الترمذي (تحفة الأحمدي ٩/٩٠، تفسير القرآن، سورة سبأ؛ سنن ابن ماجه ١/٦٩-٧٠ رقم ١٩٤، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية).
(٧) خلق أفعال العباد، ص ١٩٤.
(٨) هو الامام العلم أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب بن مرة من قريش (٥٨-١٢٤) تابعي من أهل المدينة، من أكابر العلماء الحفاظ، وأحد أوائل مدوني الحديث.
انظر الجرح والتعديل ٨/٧١-٧٤؛ تذكرة الحفاظ ١/١٠٨-١١٣؛ البداية والنهاية ٩/٣٤٠-٣٤٨؛ تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥-٤٥١؛ شذرات الذهب ١/١٦٢-١٦٣؛ الأعلام ٧/٩٧؛ تاريخ التراث العربي ١/٢٤٧-٢٧٩.

عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن نفر من الأنصار، وقد رواه أحمد ومسلم
في صحيحه، وساقه البخاري من طريق ابن اسحاق عنه ^(٢) أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لهم: (ماتقولون في هذه النجوم التي يرعى بها ^(٣)) ،
قالوا: كنا نقول حين رأيناها يرعى بها ^(٤) : مات ملك ، ولد مولود . ^(٦) فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس ذلك كذلك ، ولكن اذا قضى الله في خلقه
أمرا يسمعه حملة العرش فيسيحون فيسيح من تحتهم بتسيحهم ، فيسبح ^(٧)

(١) هو الامام أبو الحسن ، ويقال : أبو الحسين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي
القرشي ، المشهور بزین العابدين ، ولد بالمدينة سنة ٣٨ وتوفي فيها سنة ٩٤ ، من سادات
التابعين علما ودينا ، ثقة صاحب حلم وورع وصدقة سر .
وله أخ أكبر منه اسمه علي أيضا ، وقد شهدا مع أبيهما معركة كربلاء سنة ٦١ فقتل الأكبر وترك
الأصغر لمرضه .

انظر: طبقات ابن سعد ٥/٢١١-٢٢٢؛ الجرح والتعديل ٦/١٧٨-١٧٩؛ تذكرة الحفاظ
١/٧٤-٧٥؛ البداية والنهاية ٩/١٠٣-١١٣؛ تهذيب التهذيب ٧/٣٠٤-٣٠٧؛
شذرات الذهب ١/١٠٤-١٠٥؛ الأعلام ٤/٢٧٧؛ تاريخ التراث العربي ١/٣٦٢-٢٦٦ .
(٢) سند الحديث في خلق أفعال العباد " حدثنا عمرو بن زرارة ، ثنا زياد ، عن محمد بن الحسن ،
حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري . . الخ " وقد رجعت الى ترجمة الزهري
في كتاب " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " لجمال الدين العزى ، حيث ذكر ٣/١٢٦٩-١٢٧٠
من روى عن الزهري وليس فيهم من اسمه محمد بن الحسن فلعله مصحف عن محمد بن اسحاق ،
وهو أبو بكر ، وقيل : أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المظلي بالولاء المدني ، امام
المغازي والسير ، نزل العراق ، ومات ببغداد سنة ١٥١ ، صدوق .

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٣٢١-٣٢٢؛ الجرح والتعديل ٧/١٩١-١٩٤؛ تاريخ
بغداد ١/٢١٤-٢٣٤؛ وفيات الأعيان ٤/٢٧٧-٢٧٨؛ تذكرة الحفاظ ١/١٧٢-١٧٤؛
تهذيب التهذيب ٩/٣٨-٤٦؛ الأعلام ٦/٢٨؛ تاريخ التراث العربي ١/٨٧-٩١ .
والحديث بمعناه رواه مسلم في صحيحه ٤/١٧٥٠-١٧٥١ رقم ٢٢٢٩ كتاب السلام ، باب تحريم
الكهانة واتبان الكهان بأسانيده عن صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعتل بن عبيد الله ،
أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم من الأنصار ، غير أن يونس قال عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الأنصار وهو في المسند (ط : المعارف) ٣/٢٦٩ رقم ١٨٨٣ من طريق الأوزاعي عن الزهري عن علي
ابن حسين عن ابن عباس حدثني رجال من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفي المسند ٣/٢٦٨-٢٦٩ رقم ١٨٨٢ ، وسنن الترمذي (تحفة الأحمدي ٩/٩١-٩٢) تفسير
القرآن ، سورة سبأ ، عن مفر عن الزهري عن علي بن حسين عن ابن عباس قال : " كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه فرمى بنجم . . . الخ " .

(٣) خلق أفعال العباد : ماتقولون في هذا النجم الذي يرعى به ؟ .
(٤) خلق أفعال العباد : قالوا كنا يارسول الله أنا نقول .
(٥) ن : ترمى بها .
(٦) خلق أفعال العباد : مات ملك ، ولد مولود ، مات مولود .
(٧) خلق أفعال العباد : ولكن الله اذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسيحوا .

من تحت ذلك ، فلم يزل التسبيح يهبط^(١) حتى ينتهي الى السماء الدنيا ،
حتى يقول بعضهم لبعض لم سبحتم ؟ . فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا
بتسبيحهم . فيقولون : ألا^(٣) تسألون من فوقكم : مم سبحتم ؟ . فيسألونهم ،
فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا . الأمر الذي كان يهبط به الخير^(٥)
من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيتحدثون به ، فتسترقه^(٦)
الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ، ثم يأتون به الى الكهان من
أهل الأرض ، فيحدثونهم ، فيخطئون ويصيبون ، فتحدث به الكهان .
قال البخاري :^(١٠) "ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق ،
وأن العرب لا تعرف الحي من الميت الا بالفعل ، فمن كان له فعل فهو حي ، ومن
لم [يكن] له فعل فهو ميت ، وأن أفعال العباد مخلوقة . فضيق عليه حتى
مضى لسبيله ، وتوجع أهل العلم لما نزل به ."

- (١) خلق أفعال العباد : ينهبط .
- (٢) خلق أفعال العباد : ثم يقول .
- (٣) خلق أفعال العباد : أفلا .
- (٤) خلق أفعال العباد : مم سبحوا .
- (٥) خلق أفعال العباد : .. الذي كان ، فينهبط به الخير .
- (٦) خلق أفعال العباد : فيسترقه .
- (٧) الى : سقطت من (ك) .
- (٨) ك : فيحدثهم .
- (٩) ك : فيحدث .
- (١٠) خلق أفعال العباد ، ص ١٧٧ . قبل النصوص السابقة بصفحات .
- (١١) الامام الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزازي المروزي ، ولد في
مرو الشاهجان بخراسان واليهما نسبته ، وطلب الحديث طلبا كثيرا بالعراق والحجاز ، ثم
نزل مصر ، ولم يزل فيها الى أن حمل الى العراق في محنة القول بخلق القرآن ، وحبس بسامرا
حتى مات سنة ٢٢٨ .
- انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥١٩/٧ ؛ الجرح والتعديل ٤٦٣/٨ - ٤٦٤ ؛ تاريخ
بغداد ٣٠٦/١٣ - ٣١٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٤١٨/٢ - ٤٢٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢٦٧/٤ - ٢٧٠ ؛
تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٠ - ٤٦٣ ؛ الأعلام ٤٠/٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١ - ١٩٦/١٩٧ .
- (١٢) ك : يخلق .
- (١٣) يكن : سقطت من (ص) .

قال البخاري (١) : " وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع " .

وقال أبو عبدالله بن حامد (٤) في كتابه في " أصول الدين " : " وما يجب الايمان به : التصديق بأن الله متكلم ، وأن كلامه قديم ، وأنه لم يزل متكلماً في كل أوقاته موصوفاً بذلك ، وكلامه قديم غير محدث ، كالعلم والقدرة " .
قال : " وقد [يجسئ] على المذهب (٥) أن يكون الكلام صفة متكلم به ، لم يزل موصوفاً بذلك ، ومتكلماً اذا شاء ، وكلما شاء (٦) ، ولا نقول : انه ساكت في حال ومتكلم في حال ، من حيث حدوث الكلام " .

قال : " ولا خلاف عن أبي عبدالله - يعني أحمد بن حنبل - أن الله لم يزل متكلماً قبل أن يخلق الخلق ، وقبل كل الكائنات ، / وأن الله كان فيما لم يزل متكلماً ، كيف شاء ، وكما شاء ، اذا شاء ، أنزل كلامه ، واذا شاء لم ينزله " .

فقد ذكر ابن حامد أنه لا خلاف في مذهب أحمد أنه سبحانه لم يزل متكلماً كيف شاء ، واذا شاء (٧) ، ثم ذكر قولين : هل هو متكلم دائماً بشيئته ؟

قول أبي عبدالله ابن حامد في كتابه في أصول الدين

ج ٤٢

(١) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٢) ص : دليلاً .

(٣) خلق أفعال العباد : بمفارق .

(٤) أبو عبدالله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، قال عنه ابن يعلى : " امام الحنبلية في زمانه ، ومدرسه ومفتيهم ، له المصنفات في العلوم المختلفة ، له " الجامع " في المذهب نحو من أربعمائة جزء ، وله " شرح الخرقي " و " شرح أصول الدين وأصول الفقه " توفي سنة ٤٠٣ هـ .

انظر : طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٢٥ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٣٤٩ ؛ الأعلام ٢ / ١٨٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٣ / ٢٤٠ .
(٥) يجسئ : ليست في (ص ، ن) وترك مكانها فيهما بياضاً ؛ ك : وقد علم أن المذهب .

ونقل ابن تيمية هذا النص في مواضع من كتبه وجاء كما أثبت . انظر : درر تعارض العقل والنقل ٢ / ٧٥ ، قاعدة في مسائل الصفات والأفعال ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (طه. الرياض) ٦ / ١٦٢ ، وكلما شاء : كذا في (ص) ، وفي (ن ، ك) : وبما شاء . وما في (ص) يوافق مجموع الفتاوى ٦ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، وفي درر تعارض العقل والنقل ٢ / ٧٥ : ومتكلماً كما شاء ، واذا شاء ، وذكر الأستان المحقق أن مكان " كما " في نسختين " كلما " .

(٧) ن ، ك : وكما شاء .

أو أنه لم يزل موصوفاً بذلك ، متكلما إذا شاء ، وساكتا إذا شاء ؟ لا بمعنى أنه يتكلم بعد أن لم يزل ساكتا ، فيكون كلامه حادثا ، كما يقوله الكرامية ، فان قول الكرامية في " الكلام " لم يقل به أحد من أصحاب أحمد .

وكذلك ذكر القولين أبو بكر عبدالعزيز^(٢) في أول كتابه الكبير المسى " بالمقنع " ، وقد ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى في كتاب " ايضاح البيان في مسألة القرآن^(٣) " : " قال أبو بكر ، لما سألوه : انكم اذا قلتتم : لم يزل متكلما ، كان ذلك عبثا - فقال : لأصحابنا قولان : أحدهما - أنه لم يزل متكلما كالعلم ؛ لأن ضد الكلام الخرس ، كما أن ضد العلم الجهل .

قال : ومن أصحابنا من قال : قد أثبت لنفسه أنه خالق ، ولم يجز أن يكون خالقا في كل حال ، بل قلنا : انه خالق في وقت ارادته أن يخلق ، وان لم يكن خالقا في كل حال ، ولم يبطل أن يكون خالقا ، كذلك وان لم يكن متكلما في كل حال لم يبطل أن يكون متكلما ، بل هو متكلم خالقه ، وان لم يكن خالقا في كل حال ، ولا متكلما في كل حال .

قال القاضي أبو يعلى في هذا الكتاب : " نقول : انه لم يزل متكلما ، وليس بمكلم^(٤) ولا مخاطب ، ولا أمر ولا ناه ، نص عليه أحمد في رواية حنبل ، فقال : لم يزل الله متكلما عالما غفورا " .

قال : " وقال في رواية عبد الله : لم يزل الله متكلما اذا شاء . وقل حنبل في موضع آخر : سمعت أبا عبد الله يقول : لم يزل الله متكلما ، والقرآن كلام الله غير مخلوق " .

قول أبي بكر عبدالعزيز في كتاب " المقنع "

قول القاضي أبي يعلى في كتاب " ايضاح البيان في مسألة القرآن "

- (١) ذكر : سقطت من (ن) .
- (٢) أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر صاحب الخلال ، تقدمت ترجمته ص ١٧٨ ت ٣ .
- (٣) سبق ترجمته القاضي أبي يعلى ، ص ٢١ ت ٤ ، وذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٢ / ٢٠٥ من مصنفاته " أحكام القرآن " و " نقل القرآن " و " ايضاح البيان " .
- (٤) النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) : بمكلم ، وأورد ابن تيمية النص في كتاب " در تعارض العقل والنقل " ٢ / ٧٤ ، وفي " قاعدة في مسائل الصفات والأفعال " ضمن مجموع الفتاوى (ط . الرياض) ٦ / ١٥٨ ، وجاءت الكلمة كما أثبت ، وهو الصواب (انظر مجموع الفتاوى ٦ / ١٥٩ - ١٦٠) .

قلت : أحمد أخبر بدوام كلامه سبحانه ؛ ولم يخبر بدوام تكلمه بالقرآن ، بل قال : " والقرآن كلام الله غير مخلوق " .
قال القاضي : " قال أحمد في " الجز " الذي رد فيه على الجهمية والزنادقة ^(١) : " وكذلك الله يتكلم كيف شاء ، من غير أن نقول : جوف ولا فم ولا شفتان ^(٢) " وقال بعد ذلك ^(٤) : " بل نقول : ان الله لم يزل متكلمًا اذا شاء ، ولا نقول : انه كان ولا يتكلم حتى خلق ^(٥) " .

قول أبي اسماعيل الانصاري في كتاب " مناقب الامام أحمد ^(٦) " لما ذكر كلامه في مسألة " القرآن ، وترتيب حدوث البدع " : قال : " وجاءت طائفة فقالت : لا يتكلم بعد ما تكلم ، فيكون كلامه حادثا " .
قال : " وهذه أغلوطة أخرى تغذى في الدين غير عين واحدة ^(٧) ؛ فانتبه لها أبو بكر بن خزيمة ^(٨) ، وكانت نيسابور دار الآثار ، تمد اليها الدآيات ^(٩) ،

- (١) في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " للامام أحمد ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ص ٨٩ .
- (٢) الرد : تكلم .
- (٣) الرد : بجوف [وذكر المحقق أن في نسخة : جوف] ولا فم ولا شفتين ولا لسان .
- (٤) الرد على الزنادقة والجهمية ، ص ٩٠ .
- (٥) الرد : حتى خلق الكلام [وفي نسخة : حتى خلق كلاما] .
- (٦) تقدمت ترجمة أبي اسماعيل الانصاري ، ص ١١٢ ت ٣ . وقد ذكر ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ١/١٥١ كتاب " مناقب الامام أحمد " ضمن مؤلفاته .
- (٧) ن : تعدى في الدين غير واحد . ك : أغلوطة أخرى في الدين غير واحدة .
- (٨) هو امام الأئمة الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ولد بنيسابور سنة ٢٢٣ وتوفي بها سنة ٣١١ ، وهو امامها في عصره ، كان محدثا كبيرا وفقهيا مجتهدا ، رحل الى الآفاق في طلب الحديث والعلم ، فكتب الكثير وصنف ، ومن مصنفاته كتاب " الصحيح " وكتاب " التوحيد واثبات صفات الرب " .
- انظر عنه : تذكرة الحفاظ ٢/٢٢٠-٢٣١ ؛ الوافي بالوفيات ٢/١٩٦ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣/١٠٩-١١٩ ؛ البداية والنهاية ١١/١٤٩ ؛ الأعلام ٦/٢٩ ؛ تاريخ السترات العربي ١/٤/٣٣ .
- (٩) ص : ن : الديات . وسقطت الكلمة من (ك) ، ولعل الصواب ما أثبتته . وأورد ابن تيمية النص في " درء تعارض العقل والنقل " ٢/٧٧ وفيه " الدانات " ، وأورده أيضا في " قاعدة في مسائل الصفات والأفعال " ضمن مجموع فتاوى ط . الرياض ٦/١٧٨ وفيه " الرقاب " .
جا : في لسان العرب " مادة " دأى " : " قال ابن الأعرابي : إن الدآيات أضلاع الكتف ، وهي ثلاث من هنا ، وثلاث من هنا ، واحدة دأية ، وقال الليث : الدأى جمع الدأية ، وهي قفار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير خاصة ، والجمع الدآيات وهي عظام ما هنالك ، كل عظم منها دأية ، وقال أبو عبيدة : الدآيات خرز العنق ، ويقال خرز القفار " .

وتشد اليها الركائب ، ويجلب منها العلم ، فابن خزيمة في بيت ، ومحمد بن اسحاق - يعني السراج - في بيت ، وأبو حامد بن الشرقي في بيت ^(٢) .
قال : " فطار لتلك الفتنة : ذلك الامام أبو بكر ، فلم يزل يصيح بتشويبهما ، ويصف في ردها ، كأنه منذر جيش ، حتى دون في الدفاتر ، وتمكن في السرائر ، ولقن ^(٣) في الكتائب ، ونقش في المحاريب : أن الله متكلم ، ان شاء تكلم وان شاء سكت ."

ظ ٤٢ قال : " فجزى [الله] ذلك الامام / وأولئك النفر الغر ، عن نصر دينه وتوقير نبيه خيرا ."

قلت : لفظ " السكوت " يراد به السكوت عن شيء خاص ، وهذا مما جاءت وماورد فيه من الآثار وأقوال العلماء
به الآثار ؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها) ^(٧)

(١) هو الامام الحافظ الثقة أبو العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفى مولاهم النيسابورى ، يعرف بالسراج (٢١٨ - ٣١٣) سمع خلقا كثيرا من أهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز ، وحدث عنه البخارى ومسلم وغيرهما ، له مصنغات كثيرة .
انظر : تاريخ بغداد ١ / ٢٤٨ - ٢٥٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٣١ - ٧٣٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢ / ١٨٧ - ١٨٨ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ١٠٨ - ١٠٩ ؛ البداية والنهاية ١١ / ١٥٣ ؛ الأعلام ٦ / ٢٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٢) الامام الحافظ الحجة أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابورى ، المعروف بابن الشرقى (٢٤٠ - ٣٢٥) تلميذ الامام مسلم ، ارتحل وأخذ بالرى وبكة وببغداد وبالكوفة ، وصف كتاب الصحيح .

انظر : تاريخ بغداد ٤ / ٤٢٦ - ٤٢٧ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢١ - ٨٢٣ ؛ البداية والنهاية ١١ / ١٨٨ ؛ لسان الميزان ١ / ٣٠٦ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٣٠٦ ؛ الأعلام ١ / ٢٠٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٣٤٢ .

(٣) ن ، ونقره ، ك : وتفسر . ولم يظهرها التصوير في (ص) ، وقد أورد ابن تيمية النص في كتاب در تعارض العقل والنقل ٢ / ٧٨ ، وفي قاعدة في مسائل الصفات والأفعال ضمن مجموع الفتاوى طه .
الرياض ٦ / ١٧٨ وجاء فيهما كما أثبت .

(٤) ما بين القوسين ليس في (ص ، ن ، ك) ، وأثبتته من المصدرين السابقين .
(٥) الفر : سقطت من (ك) .

(٦) ص ، ك : السكون .

(٧) روى الحديث الدارقطنى في سننه ٤ / ١٨٣ - ١٨٤ بسنده عن مكحول عن أبي شعبلية الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزاد بعد قوله : (فلا تضيعوها) - (وحرمت حرما فلا تنتهكوها) .

وهو الحديث الثلاثون في " الأربعين النووية " وقال النووى : " حديث حسن ، رواه الدارقطنى وغيره " / . =

والحديث المعروف عن سلمان مرفوعا وموقوفنا : (الحلال ما أحله الله في كتابه ،
والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفى عنه)^(١) .

والعلماء يقولون : مفهوم الموافقة أن يكون الحكم في المسكوت عنه أولى
منه في المنطوق به ، ومفهوم المخالفة أن يكون الحكم في المسكوت [عنه]^(٢)
مخالفا للحكم في المنطوق به .

وأما السكوت مطلقا فهذا هو الذي ذكروا فيه القولين ، والقاضي أبو
يعلى وموافقوه على أصل ابن كلاب يتأولون كلام أحمد والآثار في ذلك : بأنه

= / لكن قال ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ، ص ٢٦١ : " له علتان : احدهما أن مكحولا لم
يصح له السماع عن أبي ثعلبة ، كذلك قال أبو شهر الدمشقي وأبو نعيم الحافظ وغيرهما .
والثانية أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة . . . لكن قال الدارقطني : الأشبه بالصواب
المرفوع ، قال : وهو أشهر " .
ثم ذكر ابن رجب من حسنه وذكر له شواهد .
وقد روى الحديث أيضا الحاكم في المستدرک ١١٥ / ٤ لكن بلفظ (وترك أشياء) بدل (وسكت عن
أشياء) .

وروى الدارقطني في سننه ٢٩٧ / ٤ - ٢٩٨ عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
حديث أبي ثعلبة ، وقال عنه ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ، ص ٢٦١ : " اسناده ضعيف " .
(١) في سنن الترمذی (تحفة الأحمدي ٣٩٦ / ٥) في اللباس ، باب ماجاء في لبس الفراء ، وسنن ابن ماجه
١١١٧ / ٢ رقم ٣٣٦٧ كتاب الأطعمة باب أكل الجبن والسمن ، ومستدرک الحاكم ١١٥ / ٤
بأسانيدهم عن سيف بن هارون عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي
قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء ، فقال : (الحلال ما أحل
الله في كتابه . . .) الحديث كما هنا .

وقال الترمذی (٣٩٨ / ٥) : " هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه ، وروى سفيان
[يعني ابن عيينة] وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان قوله ، وكأن الحديث الموقوف أصح " .
ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٩٧ / ٤ - ٢٩٨ أقوال أئمة الحديث في سيف بن هارون
البرجمي ، وحاصلها أنه ضعيف ثم قال (٢٩٨ / ٤) : روى له الترمذی وابن ماجه حديثا
واحدا في السؤال عن الفراء والسمن والجبن ، وفيه : (الحلال ما أحل الله في كتابه) " .
وفي مسند البزار (كشف الاستار عن زوائد البزار ٧٨ / ١) عن أبي الدرداء قال . قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا
من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينس شيئا ، ثم تلى هذه الآية : (وما كان ربك نسيا) سورة مريم :
٦٤ . قال البزار : اسناده صالح .

وفي سنن أبي داود (عون المعبود ١٠ / ٢٧٣ - ٢٧٤) كتاب الأطعمة ، باب ما لم يذكر تحريمه ،
ومستدرک الحاكم ١١٥ / ٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء
ويتركون أشياء تقذرا ، فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم
حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، تلا : (قل لا أجد فيما أوحي
الي محرما على طاعم يطعمه) الى آخر الآية ، سورة الأنعام : ١٤٥ . قال الحاكم : " هذا حديث
صحيح الاسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

(٢) عنه : سقطت من (ص ، ن ، ك) .

(٣) ن ، ك : وأما السكوت المنطوق به .

سكوت عن الاسماع لاعن التكليم . وكذلك تأول ابن عقيل كلام أبي اسماعيل الأنصاري .

وليس مرادهم ذلك، كما هو بين لمن تدبر كلامهم ، مع أن الاسماع على أصل النفاة انما هو خلق ادراك في السامع ، ليس شيئاً^(١) يقوم بالتكلم ، فكيف يوصف بالسكوت . لكونه لم يخلق ادراكا لغيره ٤ .

فأصل ابن كلاب الذي وافقه عليه القاضي وابن عقيل وابن الزاغوني^(٢) وغيرهم أنه منزّه عن السكوت مطلقاً^(٣)؛ فلا يجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الأشياء ، ان كلامه صفة قديمة لازمة لذاته ، لا تتعلق عندهم بمشيئة كالحياة ، حتى يقال : ان شاء تكلم بكذا ، وان شاء سكت عنه . ولا يجوز عندهم أن يقال : ان الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار ، بل يتأولونه على عدم خلق الادراك .

[والله^(٤)] منزّه عن الخرس باتفاق الأمة ، هذا مما احتجوا به على قدم الكلام ، وقالوا : لو لم يكن متكلماً للزم اتصافه بـضده كالسكوت والخرس ، وذلك ممتنع عندهم ، سواء قيل هو سكوت مطلق أو سكوت عن شيء معين .

قول أبي الحسن الكرجي في كتاب الفصول الذي سماه " الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول " ، وذكر اثني عشر

قول أبي الحسن الكرجي في كتاب الفصول الذي سماه " الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول " ، وذكر اثني عشر

(١) ن ، ك : سببا .
(٢) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني البغدادي (٤٥٥ - ٥٢٧) أحد أعيان المذهب الحنبلي ، سمع الحديث الكثير ، وقرأ بالقرآن ، وتفقه ، وصنف في الأصول والفروع ، ووعظ مدة طويلة .

انظر : مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٣٧ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٢٠٥ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٨٠ - ١٨٤ ؛ الأعلام ٤ / ٣١٠ .

(٣) امام هذا الموضع كتب في هامش (ن) : بلغ .

(٤) والله : ليست في (ص ، ن ، ك) وزدتها لربط الكلام .

(٥) ك : الكرخي .

(٦) هو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الكرجي (٤٥٨ - ٥٣٢) سمع بالكرك وبهمذان وبأصبهان وبغداد ، وكان فقيها شافعيًا وأديبا شاعرا ، قال عنه ابن كثير : " وله مصنغات كثيرة منها " الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول " يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ، ويحكى فيه أشياء غريبة حسنة ، وله تفسير ، وكتاب في الفقه " .

انظر : المنتظم لابن الجوزي ١٠ / ٧٥ - ٧٦ ؛ العبر ٤ / ٨٩ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٦ / ١٣٧ - ١٤٧ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٢١٣ ؛ شذرات الذهب ٤ / ١٠٠ .

أما : الشافعي ومالك وسفيان الثوري (١) وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة (٢)
وابن المبارك [والأوزاعي (٣) والليث بن سعد (٤)] وإسحاق بن راهوية والبخاري
وأبو زرعة (٥) وأبو حاتم (٦)

- (١) الامام الكبير أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثوري (٩٧ - ١٦١) ولد ونشأ في الكوفة، وسكن مكة، وتوفي بالبصرة، وهو امام في علم الحديث وغيره من العلوم، وفقه مجتهد، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته .
انظر: طبقات ابن سعد ٦/٣٧١-٣٧٤؛ الجرح والتعديل ١/٥٥-١٢٦؛ تاريخ بغداد ٩/١٥١-١٧٤؛ وفيات الأعيان ٢/٣٨٦-٣٩١؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣-٢٥٧؛ البداية والنهاية ١٠/١٣٤، تهذيب التهذيب ٤/١١١-١١٥، الأعلام ٣/١٠٤-١٠٥، تاريخ التراث العربي ١/٢٤٧-٢٤٨-٢٤٨.
- (٢) الامام الحافظ أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي مولا هم، ولد بالكوفة سنة ١٠٧، ونشأ بمكة وبها توفي سنة ١٩٨، وهو محدث، واسع العلم، كبير القدر، اتفقت الأمة على الاحتجاج به لحفظه وأمانته .
انظر: طبقات ابن سعد ٥/٤٩٧-٤٩٨؛ الجرح والتعديل ١/٣٢-٥٤؛ حلية الأولياء ٧/٢٧٠-٣١٨؛ تاريخ بغداد ٩/١٧٤-١٨٤؛ وفيات الأعيان ٢/٣٩١-٣٩٣؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢-٢٦٥؛ ميزان الاعتدال ٢/١٧٠-١٧١؛ الأعلام ٣/١٠٥؛ تاريخ التراث العربي ١/١٧٨-١٧٩.
- (٣) الامام الحافظ أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد - أو محمد - من الأوزاع بطن من همدان، ولد ببعلبك سنة ٨٨، ونشأ في البقاع، ونزل دمشق، ثم رحل الى بيروت فسكنها، وتوفي فيها سنة ١٥٧، امام في الفقه والحديث والمغازي، ومن أكرم الناس وأسماهم، أدرك خلقا من التابعين وغيرهم، وحدث عنه جماعات من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدالته وامامته .
انظر: طبقات ابن سعد ٧/٤٨٨؛ الجرح والتعديل ١/١٨٤-٢١٩؛ تذكرة الحفاظ ١/١٧٨-١٨٣؛ البداية والنهاية ١٠/١١٥-١٢٠؛ تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨-٢٤٢؛ الأعلام ٣/٣٢٠؛ تاريخ التراث العربي ١/٢٤٣-٢٤٥.
- (٤) ما بين القوسين سقط من (ص، ن، ك)، وأثبتته من كتاب "درء تعارض العقل والنقل" ٢/٩٥؛ وكتاب "التسعينية" ص ٢٣٨ ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط. كردستان. حيث ذكر ابن تيمية كتاب "الفصول" . . . ونقل عنه .
والليث هو الامام الكبير الحافظ أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولا هم، أصله من أصبهان، ولد بقلقشندة من بلاد مصر سنة ٩٤، وهو نبيل سخي، عالم بالفقه والحديث والعربية، وكان امام الديار المصرية في زمانه في الفقه والفتوى، توفي سنة ١٧٥ .
انظر طبقات ابن سعد ٧/٥١٧؛ الجرح والتعديل ٧/١٧٩-١٨٠؛ تذكرة الحفاظ ١/٢٢٤-٢٢٦؛ البداية والنهاية ١٠/١٦٦؛ تهذيب التهذيب ٨/٤٥٩-٤٦٥؛ الأعلام ٥/٢٤٨؛ تاريخ التراث العربي ١/٢٥٠-٢٥٠.
- (٥) الامام الحافظ الكبير أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء الرازي (٢٠٠-٢٦٤) أحد كبار نقاد الحديث، زار بغداد، وجالس الامام أحمد بن حنبل، وتوفي بالري .
انظر: الجرح والتعديل ١/٣٢٨-٣٤٩؛ طبقات الحنابلة ١/١٩٩-٢٠٣؛ تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٧-٥٥٩؛ البداية والنهاية ١١/٣٧؛ تهذيب التهذيب ٧/٣٠-٣٤؛ الأعلام ٤/١٩٤؛ تاريخ التراث العربي ١/٢٨١-٢٨٢.
- (٦) الامام الحافظ الكبير أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الرازي، أحد الأئمة الأثبات العارفين بملل الحديث والجرح والتعديل، ولد بالري سنة ١٩٥، وطاف الأقطار والأمصا، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ .
انظر: الجرح والتعديل ١/٣٤٩-٣٧٥؛ تاريخ بغداد ٢/٧٣-٧٧؛ طبقات الحنابلة / =

قال فيه : " سمعت الأمام أبا منصور محمد بن أحمد^(١) يقول : سمعت الامام
أبا بكر عبدالله بن أحمد^(٢) يقول : سمعت الشيخ أبا حامد^(٣) الاسفراييني
يقول : مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار : أن القرآن كلام الله غير
مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله
تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من
النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي نزلوه نحن بألسنتنا ، وفيما^(٤) بين
الدفنتين ، وما في صدورنا ؛ مسموعا / ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا ؛ كل^(٥) حرف منه
كالباء والتاء - ككلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، عليه
لعائن الله والملائكة والناس أجمعين . "

ج ٤٣

قال أبو الحسن : " وكان الشيخ أبو حامد شديد الانكار على الباقلائي
وأصحاب الكلام . "

قال : " ولم يزل^(٦) الأئمة الشافعية يأنفون ويستكفون أن ينتسبوا إلى
الأشعري ، ويتبرؤن مما بنى مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم من^(٨)
الحوم حوالبه ، على ما سمعت عدة من المشايخ والأئمة - منهم الحافظ المؤتمن
ابن أحمد الساجي - يقولون : سمعنا جماعة من المشايخ^(٩)

= / ٢٨٤ - ٢٨٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٦٧ - ٥٦٩ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٥٩ ؛ تهذيب
التهذيب ٩ / ٣١ - ٣٤ ؛ الأعلام ٦ / ٢٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٢٩٨ .

- (١) لم أعرف من المقصود .
- (٢) لم أعرف من المقصود .
- (٣) أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الاسفراييني ، ولد في اسفرايين سنة ٣٤٤ ، وقدم
بغداد سنة ٣٦٤ ، وأقام بها مشغولا بالعلم حتى صارت إليه رئاسة الشافعية ، وعظم جاهه ،
وتوفي بها سنة ٤٠٦ .

انظر : تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨ - ٣٧٠ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٤ / ٦١ - ٧٤ ؛ البداية والنهاية
١٢ / ٢ - ٣ ؛ شذرات الذهب ٣ / ١٧٨ - ١٧٩ ؛ الأعلام ١ / ٢١١ .

- (٤) ص ، ن ، ك : فما ، والمثبت من درء ٢ / ٩٥ ، التسعينية ، ص ٢٣٨ .
- (٥) كذا في (ص ، ن ، ك) ، وفي (درء) ، (التسعينية) : وكل .
- (٦) ك : تزل .
- (٧) كذا في النسخ (ص ، ن ، ك) ، وفي (درء ٢ / ٩٦) ، (التسعينية ، ص ٢٣٨) : مما بنى الأشعري .
- (٨) من : كذا في النسخ (ص ، ن ، ك) ، وفي (درء ، التسعينية) : عن .
- (٩) الحافظ أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله الساجي (٤٤٥ - ٥٠٧) كان
واسع الرحلة ، كثير الكتابة ، صحيح النقل ، مشكور السيرة ، توفي ببغداد .
انظر : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٤٦ - ١٢٤٨ ؛ طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ٣٠٨ - ٣٠٩ ؛ البداية
والنهاية ١٢ / ١٧٨ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٢٠ ؛ الأعلام ٧ / ٣١٨ .

الثقات قالوا: كان الشيخ أبو حامد أحمد بن [أبي] طاهر الاسفراييني امام الأئمة؛ الذي طبق الأرض علما وأصحابا؛ اذا سعى الى الجمعة من قطيعة الكرخ الى الجامع المنصور؛ يدخل الرباط المعروف بالروزي المحاذي للجامع، ويقبل على من حضر، ويقول: اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، كما قاله أحمد بن حنبل، لا كما يقول الباقلاني.

ويتكرر ذلك منه، فقليل له في ذلك، فقال: حتى ينتشر في الناس وفي أهل [الصلاح] (٤)، ويشيع الخبر في أهل البلاد: أني برىء مما هم عليه - يعني الأشعرية - وبرىء من مذهب أبي بكر الباقلاني؛ فان جماعة من المتفهمة الغبراء يدخلون على الباقلاني خفية، ويقرون عليه، فيفتنون (٥) بمذهبه، فانا رجعوا الى بلادهم أظهروا بدعتهم لامحالة، فيظن ظمان أنهم مني تعلموه وأنا قلته، وأنا برىء من مذهب الباقلاني وعقيدته.

قال: (٦) "وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن العجلي؛ سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد - أظن أبا اسحاق الشيرازي (٨) أحدهم -

-
- (١) أبي: ليست في (ص، ن، ك)، وهي ثابتة في (در)، و (التسمينية)، وهو الصواب.
- (٢) ك: قطعية.
- (٣) ك: تنتشر.
- (٤) الصلاح: ساقطة من (ص، ن)، وفي (ك): البلاد، والتصويب من در ٩٧/٢ والتسمينية، ص ٢٣٨.
- (٥) ص، ن، ك: فيعدتون، والتصويب من در، والتسمينية.
- (٦) أي الشيخ أبو الحسن الكرجي.
- (٧) هو أبو منصور سعد بن علي بن الحسن العجلي الأسدابادي، نزيل همدان، وكان مفتيها، سمع ببغداد ومكة والمدينة والكوفة وغيرها، مات سنة ٤٩٤.
- انظر: المنتظم لابن الجوزي ١٦٥/٩؛ طبقات الشافعية للسبكي ٣٨٣/٤.
- (٨) أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، ولد بفيروزآباد من قرى فارس سنة ٣٩٣، ودخل شيراز ثم البصرة، ثم قدم بغداد سنة ٤١٥ فسكنها وتغقه على جماعة من الأعيان، وصار مدرس النظامية فيها، وهو امام في الفقة والأصول والحديث، وكان زاهدا ورعيا، متواضعا، توفي سنة ٤٧٦ ببغداد.
- انظر: وفيات الأعيان ٢٩١/١ - ٣١؛ طبقات الشافعية للسبكي ٢١٥/٤ - ٢٥٦؛ البدايسة والنهاية ١٢٤/١٢ - ١٢٥؛ شذرات الذهب ٣٤٩/٣ - ٣٥١؛ الأعلام ٥١/١.

قالوا : كان أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام متبرقعا ، خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفراييني .*

والكلام على ما وقع من انكار أبي حامد وغيره من أئمة الاسلام على القاضي أبي بكر - مع جلالة قدره وكثرة رده على أهل اللاحاد والبدع ، بسبب هذا الأصل الذي بنى عليه مذهبه - طويل ، ولبسطة موضع آخر ، وانما المقصود هنا التنبيه عن بعض من أثبت هذا الأصل ولم يوافق النفاة .

والحارث المحاسبي قد ذكر القولين عن أهل السنة المثبتين الصفات والقدر ؛ فقال في كتاب " فهم القرآن " (٤) ؛ لما تكلم على ما لا يدخل فيه النسخ وما يدخل فيه ، وما يظن أنه متعارض من الآيات ؛ وذكر عن أهل السنة في الإرادة والسمع والبصر : قولين ، في مثل قوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) ، وقوله تعالى : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا) . وقوله تعالى : (انا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . وكذلك قوله : (انا معكم مستمعون) . وقوله تعالى : (وقل اعلموا فسرى الله علمكم ورسوله والمؤمنون) / ونحو ذلك -

قول الحارث المحاسبي في كتاب " فهم القرآن "

فقال : " ذهب قوم من أهل السنة الى أن الله استماعا حادثا في ذاته " . وذكر أن هؤلاء وبعض أهل البدع تأولوا ذلك في الإرادة على الحوادث .

- (١) ص ٤٣ ، ك : مبرقعا ، والمثبت من در ٢ / ٩٨ ، التسعينية ، ص ٢٣٩ .
- (٢) كتب أمام هذا الموضع في هامش (ن) : بلغ .
- (٣) ك : على .
- (٤) طبع كتاب " العقل " وكتاب " فهم القرآن " للحارث المحاسبي في مجلد واحد ، بتحقيق حسين القوطي ، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، دار الفكر ، بيروت .
- (٥) ص : له .
- (٦) سورة الفتح : ٢٧ .
- (٧) سورة الاسراء : ١٦ .
- (٨) سورة يس : ٨٢ .
- (٩) سورة الشعراء : ١٥٥ .
- (١٠) سورة التوبة : ١٠٥ .
- (١١) تكلم الحارث المحاسبي في كتاب " فهم القرآن " ابتداء من صفحة ٣٣٢ على ما لا يجوز فيه النسخ وما يجوز فيه ، فذكر في هذه الصفحة أن النسخ لا يجوز في معنيين : أسماء الله وصفاته . وأخباره عما كان ويكون . / =

قال: ^(١) " فأما من ادعى السنة ، فأراد اثبات القدر ، فقال : ارادة الله تحدث من تقدير سابق للإرادة ^(٢) . وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الارادة انما هي خلق حادث ، وليست مخلوقة ؛ ولكن بها كون الله المخلوقين ^(٣) ."

قال: ^(٤) " وزعموا ^(٥) أن الخلق غير المخلوق ، وأن الخلق هو الارادة ، وأنها ليست بصفة الله من نفسه ^(٦) ."

قال: ^(٧) " وكذلك قال بعضهم : ان رويته تحدث " .

= / وشرح ذلك في الصفحات التالية ، ورد على المخالفين .

وقال (ص ٣٤١) : " وكذلك قوله جل وعز : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) ، وقوله : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) ، وقوله : (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [سورة النحل : ٤٠] ، ليس ذلك ببدء منه لحدوث ارادة حدثت له ، ولا أن يستأنف مشيئة لم تكن له . . . فلم يزل تعالى يريد ما يعلم أنه يكون ، لم يستحدث ارادة لم تكن . . . ثم قال في آخر الصفحة : " وقد تأول بعض من يدعي السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث " .

وقال بعد هذا مباشرة (ص ٣٤٢) : " فأما من ادعى السنة فأراد اثبات القدر . . . الى آخر النص الذي يورده شيخ الاسلام ابن تيمية الآن ، وسأقابلة ان شاء الله على كتاب " فهم القرآن " ، وأثبت كلام المحاسبي عن قوله عز وجل : (انا معكم مستمعون) وقوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم . . .) في موضعه .

- (١) كتاب " فهم القرآن " ، ص ٣٤٢ .
 - (٢) فهم القرآن : فقال : ارادة الله جل وعز أحدث من تقديره ، تقديره سابق الارادة .
 - (٣) فهم القرآن : وليست بمخلوقة ، ولكن الله جل وعز بها كون المخلوق .
 - (٤) بعد الكلام السابق مباشرة .
 - (٥) فهم القرآن : فزعمت .
 - (٦) ك : لله ، والمثبت في (ص ، ن) و " فهم القرآن " .
 - (٧) قال المحاسبي (ص ٣٤٤ - ٣٤٥) : " وكذلك قوله عز وجل : (انا معكم مستمعون) ليس معناه احداث سماع ، ولا تكلف لسمع مايكون من المتكلم في وقت كلامه ، وانما معنى (انا معكم مستمعون) ، (وسيرى الله عملكم) [سورة التوبة : ٩٤] أى المسموع والمبصر لن يخفى على سمعي ولا على بصرى أن أدركه سمعا وبصرا ، لا بالحوادث في الله جل وعز وتعالى عن ذلك .
- وكذلك قوله : (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) لا يستحدث بصرا ولا لحظا محدثا في ذاته ، تعالى عن ذلك .
- وقد ذهب قوم [السي] أن لله جل وعز استماعا حادثا في ذاته . . . وكذلك ذهب الى أن رويته تحدث له " .

قول محمد بن الهيصم في كتاب " جمل الكلام " لما ذكر جمل الكلام وأنه
الهيصم في كتاب " جمل الكلام " مبني على خمسة فصول :

" أحدها : أن القرآن كلام الله ، وقد حكى عن جهم بن صفوان أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ، وإنما هو كلام خلقه الله فنسب إليه ، كما قيل : ساء الله ، وأرض الله ، وكما قيل : بيت الله ، وشهر الله . وأما المعتزلة فانهم أطلقوا القول بأنه كلام الله على الحقيقة ، ثم وافقوا^(٢) جهما في المعنى ؛ حيث قالوا : كلام خلقه بائنا عنه . وقال عامة المسلمين : ان القرآن كلام الله على الحقيقة ، وأنه تكلم به .

والفصل الثاني : أن القرآن غير قديم ، فان الكلابية وأصحاب الأشعري زعموا أن الله لم يزل متكلماً بالقرآن . وقال أهل الجماعة : إنما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل ، وكذلك سائر الكتب .

والفصل الثالث : أن القرآن غير مخلوق ، فان الجهمية والنجارية والمعتزلة زعموا أنه مخلوق ، وقال أهل الجماعة : انه ليس بمخلوق .

والفصل الرابع : أنه غير بائن منه ، فان الجهمية وأتباعهم من المعتزلة قالوا : ان القرآن بائن من الله ، وكذلك سائر كلامه ، وزعموا أن الله خلق كلاماً فني

(١) ترجم الصفدي في " الوافي بالوفيات " ١٢١ / ٥ لابن الهيصم ، ومما قال : " محمد بن الهيصم ، أبو عبد الله ، شيخ الكرامية وعالمهم في وقته . . . وليس للكرامية مثله في الكلام والنظر " ولم يذكر تاريخ ولا رثه أو موته ، ولكن المناظرات المشهورة التي دارت بينه وبين الامام الأشعري أبي بكر ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ بحضرة السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين المتوفى سنة ٤٢١ هـ تشير الى عصره ، فهو ان متأخر عن امام مذهبه محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥ بنحو قسرن ونصف .

وقد قال الشهرستاني في الملل والنحل ١ / ١٥١ - مع ملاحظة أنه من خصومه الأشاعرة - : " وقد اجتهد ابن الهيصم في إرغام مقالة أبي عبد الله [يعني ابن كرام] في كل مسألة ، حتى ردها من المحال الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء " وضرب لذلك أمثلة ، وانظر أيضاً ١٤٥ / ١ - ١٤٦ .

ويذكر عنه ابن تيمية [انظر مثلاً مجموع فتاوى شيخ الاسلام " ط . الرياض ٤٢٨ / ٥] ، أنه يفسر " الجسم " الذي يطلقه الكرامية على الله سبحانه بمعنى صحيح ؛ بأنه موجود ، قائم بنفسه ، مشار إليه .

(٢) ص ، ن : كما . بدون الواو .

(٣) ص : وافقا .

الشجرة فسمعه موسى ، وخلق كلاما في الهواء فسمعه جبريل ، ولا يصح عندهم أنه وجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة . وقال أهل الجماعة : بل القرآن غير بائن من الله ، وانما هو موجود منه ، وقائم به .

وذكر محمد بن الهيصم في مسألة الارادة والخلق والمخلوق وغير ذلك ما يوافق [ما ذكره هنا من اثبات الصفات الفعلية القائمة بالله ^(١)] التي ليست أعيانها قديمة ولا مخلوقة ، وهو يحكي ذلك عن أهل الجماعة .

قول الدارمي في النقض على المريسي
وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي ، في كتابه المعروف بـ " نقض التوحيد " : قال ^(٢) : " وادعى المعارض ^(٤) أن قول النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ما بين المعكوفين ساقط من النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ، وأضفته من كتاب " درء تعارض العقل والنقل ٢/٩٤ حيث نقل ابن تيمية هناك قول ابن الهيصم في مسألة الكلام ثم أشار الى ما ذكره فيما يماثلها على نحو ما هنا .

(٢) تقدمت ترجمة الامام الدارمي والاشارة الى كتابه " رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد علي المريسي العنيد " ص ١٨١ ت ٤ وهو يذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه يرد على معارض ائتم بالمريسي واعتمد على آرائه ، ان يقول (ص ٣٥٩ ، ضمن مجموع " عقائد السلف " ط. الاسكندرية ١٩٢١ م) : " أما بعد ، فقد عارض مذاهبننا في الانكار على الجهمية ممن بين ظهريكم معارض ، وانتدب لنا منهم مناقض ، ينقض ماروينا فيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، بتفاسير المضل المريسي بشر بن غياث الجهمي . . . " .

والمريسي هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي ، قيل : ان نسبه الى مريسي قرية بمصر ، وقيل : ان أباه كان يهوديا صباغا بالكوفة ، قال عنه ابن كثير : " شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان ينظر أولا في شي من الفقه ، وأخذ عن أبي يوسف القاضي ، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام " . وقال ابن خلكان : " جرد القول بخلق القرآن ، وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة ، وكان مرجسا واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة ، وكان يقول : ان السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، ولكنه علامة الكفر " ، توفي بشر سنة ٢١٨ ببغداد .

انظر : تاريخ بغداد ٧/٥٦ - ٦٢ ؛ الليل والنحل ١/١٩١ ، ١٩٢ ؛ اللباب ٣/٢٠٠ ؛ وفيات الأعيان ١/٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ ميزان الاعتدال ١/٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ البداية والنهاية ١٠/٢٨١ ؛ الأعلام ٢/٥٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٦٥ - ٦٦ .

(٣) رد الامام الدارمي ، ص ٣٧٧ .

(٤) رد الدارمي : وادعى المعارض أيضا .

: (ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضي من الليل الثلث ، فيقول :

هل من مستغفر ؟ هل من تائب ^(١) ؟ هل من داع ؟) .

قال ^(٢) : " فادعى أن الله لا ينزل بنفسه ، انما ينزل أمره ورحمته ، وهو على

العرش وبكامل مكان ^(٥) من غير زوال ؛ لأنه الحي القيوم ، والقيوم بزعمه من لا يزول .

قال ^(٦) : " فيقال لهذا المعارض : وهذا أيضا من حجج النساء / والصبيان

ج ٤٤

ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل ^(٧) فسي

كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل

دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار ؟

أفأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار ؟ أو يقدر الأمر والرحمة

أن يتكلما دونه ؛ فيقولوا ^(٩) : هل من داع فأجيب له ^(١٠) ؟ هل من مستغفر فأغفر

له ^(١١) ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعى أن الرحمة

والأمر هما اللذان ^(١٣) يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله ،

وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمت ذلك ، ولكن تكابرون .

وما بال أمره ورحمته ينزلان من عنده [شطر] الليل ^(١٦) ، ثم يكثان الى

(١) رد الدارمي : اذا مضى ثلث الليل ، فيقول : هل من تائب ؟ هل من مستغفر؟ .

(٢) رد الدارمي ، ص ٣٧٨ .

(٣) رد الدارمي : فادعى المعارض .

(٤) ك : أن لا ينزل .

(٥) ص ، ن ، ك : وكل ، وأثبت ما في رد الدارمي .

(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، رد الدارمي ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٧) ينزل : كذا في رد الدارمي ، وفي (ص) الكلمة غير منقوطة ؛ ن ، ك : تنزل .

(٨) يدعوان : كذا في (ص) ، ن ، ك : تدعوان ؛ رد الدارمي : فبرحمته وأمره يدعو .

(٩) رد الدارمي : فيقولان .

(١٠) له : ليست في رد الدارمي .

(١١) عبارة " هل من مستغفر فأغفر له " : ليست في رد الدارمي .

(١٢) رد الدارمي : فأعطي ، فان قدرت .

(١٣) رد الدارمي : لزمك أن تدعو الرحمة والأمر اللذين .

(١٤) رد الدارمي : ذلك .

(١٥) رد الدارمي وما بال رحمته وأمره .

(١٦) شطر : في رد الدارمي فقط ، وليست في (ص ، ن) وفي (ك) سقطت عبارة " شطر الليل " .

(١) طلوع الفجر ، ثم يرفعان ؟ لأن رفاة^(٢) يرويها ؛ يقول في حديثه : (حتى
ينفجر الفجر) . وقد علمتم - ان شاء الله - أن هذا التأويل أبطل باطل ،
ولا يقبله الا كل جاهل .^(٦)

وأما دعواك أن تفسير " القيوم " الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك . فلا
يقبل منك^(٧) هذا التفسير الا بأثر^(٨) صحيح مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
أو عن بعض أصحابه أو التابعين ؛ لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك
إذا شاء ، ويهبط^(١٠) ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس إذا شاء ،
لأن أمانة ما بين الحي والميت [التحرك]^(١١) : كل حي متحرك لا محالة ، وكل^(١٢)

-
- (١) رد الدارمي : ثم لا يمكن الا الى طلوع الفجر .
(٢) هو رفاة بن عرابة الجهني المدني ، له صحة .
انظر: التاريخ الكبير للبخارى ٣/٣٢١-٣٢٢ ؛ الجرح والتعديل ٣/٤٩١ ؛ الاستيعاب ٢/
٥٠١ ؛ الاصابة ٢/٤٩٣ ؛ تهذيب التهذيب ٣/٢٨٢ .
(٣) ك : ويقول .
(٤) حديث رفاة بن عرابة الجهني رضي الله عنه في النزول رواه الامام أحمد في مسنده (ط. الحلبي)
١٦/٤ ؛ وابن ماجة في سننه ١/٤٣٥ رقم ١٣٦٧ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء
في أى ساعات الليل أفضل ؛ والدارمي في سننه ١/٣٤٧ ، ٣٤٨ ؛ وابن خزيمة في كتاب التوحيد
، ص ١٣٢-١٣٣ ، وفيه (اذا مضى نصف الليل - أو قال : ثلثا الليل - ينزل الله عز وجل الى
السماء الدنيا ، فيقول : لا أسأل عن عبادى أحدا غيرى ، من ذا يستغفرنى فأغفر له ؟ من
الذى يدعوني استجب له ؟ من ذا الذى يسألني أعطيه ، حتى ينفجر الصبح) ، وعند ابن
ماجة والدارمي (حتى يطلع الفجر) .
وقد ذكرت هذه الغاية أيضا في بعض روايات حديث أبي هريرة كما في صحيح مسلم ١/٥٢٢-
٥٢٣ ؛ وسنن ابن ماجة رقم ١٣٦٦ ؛ وسنن الامام أحمد رقم ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ .
(٥) رد الدارمي : قد . بدون الواو .
(٦) رد الدارمي : لا يقبله . بدون الواو .
(٧) رد الدارمي : من مكانه فلا يتحرك ، فلا يقبل مثل .
(٨) ص ، ن ، ك : بأمر . وأثبت ما في رد الدارمي .
(٩) رد الدارمي : عن رسول الله .
(١٠) رد الدارمي : وينزل .
(١١) التحرك : سقطت من (ص ، ن) وأثبتها من رد الدارمي ، ك : لأن ذلك أمانة ما بين
الحي والميت .
(١٢) ص ، ن ، ك : لأن كل متحرك لا محالة حي . وأثبت ما في رد الدارمي .

ميت غير متحرك لامحالة . ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير
نبي الرحمة ورسول رب العزة !؟ ^(١) أن نسر نزوله مشروحا ^(٢) منصوصا ، ووقت
له ^(٣) وقتا مخصوصا ^(٤) ، لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا ولا عويصا ^(٥) .
قال ^(٦) : " ثم أجمل المعارض جميع ما أنكروه الجهمية من صفات الله
تعالى وذاته المسماة في كتابه وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم ، فعند
منها بضعا وثلاثين صفة نسقا واحدا ^(٧) ، يتكلم عليها ويفسرها بما حكى ^(٨)
المريسي وفسرها ، وتأولها حرفا حرفا ، خلاف ما عنى الله ورسوله ، وخلاف ^(٩)
ما تأولها الفقهاء والصلحون ، لا يعتمد في أكثرها الا على المريسي .
فبدأ منها بالوجه ، ثم بالسمع ، والبصر ، والغضب ، والرضا ، والحب ،
والبغض ، والفرح ، والكفر ، والضحك ، والعجب ، والسخط ، والارادة ،
والمشيئة ، والأصابع ، والكف ، والقدمين .
وقوله : (كل شيء هالك الا وجهه) ^(١٠) ، (فأينما تولوا فثم وجه الله) ^(١١) ،

-
- (١) ص ، ن : اذا .
 - (٢) ك : مشروطا .
 - (٣) رد الدارمي : لنزوله .
 - (٤) ص ، ن ، ك : موضوحا . وأثبت ما في رد الدارمي .
 - (٥) ص ، ن : غويصا .
 - (٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .
 - (٧) رد الدارمي : ماينكر .
 - (٨) تعالى : ليست في رد الدارمي .
 - (٩) ص ، ن ، ك : وذواته ، والمثبت في رد الدارمي .
 - (١٠) رد الدارمي : وفي آثار رسول الله .
 - (١١) ص ، ن ، ك : بضعة وعشرين . وأثبت ما في رد الدارمي ، وقد نقل ابن تيمية هذا النص في كتابه
درء تعارض العقل والنقل ١ / ٣٥ وفيه : بضعا وثلاثين .
 - (١٢) ص ، ن : نقشا واحدا ، ك : نقشا ، وأخذ . وأثبت ما في رد الدارمي .
 - (١٣) رد الدارمي : يحكم عليها ويفسرها بما حكم .
 - (١٤) ورسوله : ليست في رد الدارمي .
 - (١٥) رد الدارمي : الفقهاء الصالحون .
 - (١٦) رد الدارمي : ثم السمع .
 - (١٧) سورة القصص : ٨٨ .
 - (١٨) سورة البقرة : ١١٥ . ص ، ن ، رد الدارمي : وأينما .

(وهو السميع البصير)^(١) ، و (خلقت بيدي)^(٢) ، (وقالت اليهود يد الله مغلولة)^(٣) ،
(يد الله فوق أيديهم)^(٤) ، (والسماوات مطويات بيمينه)^(٥) ،
وقوله : (فانك بأعيننا)^(٦) ، و (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة)^(٧) ، (وجاء ريك والملك صفا صفا)^(٨) ، [ويحمل عرش
ريك فوقهم يومئذ ثمانية)^(٩) و (الرحمن على العرش استوى)^(١٠)] و (الذين
يحملون العرش ومن حوله)^(١١) .

وقوله : (ويحذركم الله نفسه)^(١٢) ، (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم
القيامة)^(١٣) ، و (كتب / ريك على نفسه الرحمة)^(١٤) ، و (تعلم ما في نفسي ولا أعلم
ما في نفسك)^(١٥) ، و (الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)^(١٦) .
قال :^(١٧) " عند المعارض الى هذه الصفات [والآيات]^(١٨) فنسقتها ، ونظم
بعضها الى بعض ، كما نظمها شيئا بعد شيئا ، ثم فرقها أبوابا في كتابه ،

ظ ٤٤

-
- (١) سورة الشورى : ١١ .
 - (٢) سورة ص : ٧٥ . رد الدارمي : و خلقت آدم بيدي .
 - (٣) سورة المائدة : ٦٤ .
 - (٤) سورة الفتح : ١٠ .
 - (٥) سورة الزمر : ٦٧ .
 - (٦) سورة الطور : ٤٨ .
 - (٧) سورة البقرة : ٢١٠ .
 - (٨) سورة الفجر : ٢٢ .
 - (٩) سورة الحاقة : ١٧ .
 - (١٠) سورة طه : ٥ . وقد سقطت هذه الآية والتي قبلها من النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) وأثبتهما من رد الدارمي ، وأثبتهما ابن تيمية في نقله لهذا النص في درء تعارض العقل والنقل ٢ / ٥٢ .
 - (١١) سورة غافر : ٧ .
 - (١٢) سورة آل عمران : ٢٨ .
 - (١٣) سورة آل عمران : ٧٧ . رد الدارمي : (. . . ولا ينظر اليهم) .
 - (١٤) سورة الأنعام : ٥٤ . رد الدارمي : (كتب على نفسه الرحمة) [سورة الأنعام : ١٢] .
 - (١٥) سورة المائدة : ١١٦ .
 - (١٦) سورة البقرة : ٢٢٢ .
 - (١٧) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٨٠ .
 - (١٨) والآيات : ليست في (ص ، ن ، ك) وهي في رد الدارمي .
 - (١٩) فرقها : كذا في رد الدارمي ، ص ، ن ، ك : قررها .

وتلطف بردها بالتأويل كتلطف الجهمية ، معتمدا فيها على الزائغ^(١)
الجهمي بشر بن غياث المريسي ، ومدلسا^(٢) عند الجهال بالتشنيع بها على قوم
يوءمنون بها^(٤) ، ويصدقون الله ورسوله فيها ، بغير تكليف ولا تحصيل^(٥) ، فزعم
أن هؤلاء المؤمنين بها^(٦) يكيفونها ويشبهونها^(٧) بذوات أنفسهم ، وأن العلماء
يزعمه قالوا : ليس في شيء منها اجتهاد رأى ، ليدرك كيفية ذلك ، أو يشبه
شيء منها بشيء^(٨) ، مما هو في الخلق^(٩) ، قال : وهذا خطأ ، كما أن الله^(١٠)
ليس كمثل شيء ، وكذلك ليس ككيفيته شيء .

قال أبو سعيد عثمان بن سعيد : فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع^(١١) :
أما قولك : ان كيفية هذه الصفات وتشبيهاها بما هو في الخلق خطأ^(١٢) .
فانا لانقول : انه خطأ ، بل هو عندنا كفر ، ونحن لتكليفها وتشبيهاها بما هو^(١٤)
في الخلق موجود أشد أنفا^(١٦) منكم ، غير أنا - كما لانشبهها ولا نكيفها -
لانكفر بها ولا نكذبها^(١٧) ، ولا نبطلها بتأويل الضلال ، كما أبطلها امامك المريسي .

(١) ص ، ن ، ك : الرابع ؛ رد الدارمي : على تفاسير الزائغ .

(٢) سبق ترجمته في ص (٢١٢) .

(٣) ومدلسا : ليست في (ن ، ك) ومكانها في (ن) بياض ، وكتبت في (ص) غير منصوبة : " ومدلسس " ،
ويخط صغير يدل على أنها أضيفت بعد ترك مكانها بياضا . رد الدارمي : ... بشر بن غياث
المريسي دون من سواء مستترا .

(٤) بها : كذا في رد الدارمي . ص ، ن ، ك : بالله .

(٥) رد الدارمي : ولا مثال .

(٦) بها : ليست في رد الدارمي .

(٧) ك : وينسبونها .

(٨) ن : أو يشبه فيها شيء .

(٩) رد الدارمي : مما هو في الخلق موجود .

(١٠) رد الدارمي : لما .

(١١) عثمان بن سعيد : ليست في رد الدارمي .

(١٢) ص ، ن ، ك : بالتشنيع ان قوله كيفية . وأثبت ما في رد الدارمي .

(١٣) ص ، ن : مما هو في . رد الدارمي : بما هو موجود في .

(١٤) فانا لانقول ... وتشبيهاها : كذا في رد الدارمي . ص ، ن : فانا لانقول له كما قلت هو عندنا له ،
ونحن لكيفيتها وتشبيهاها ، ك : فانا لانقول له كما قال هي عندنا له ونحن لانكيفها ولا نشبهها .

(١٥) رد الدارمي : بما هو موجود في الخلق .

(١٦) ص ، ن ، ك : الفاء . وأثبت ما في رد الدارمي .

(١٧) رد الدارمي : ولا نكذب .

قال^(١): " وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأى في تكيف صفات الله : فانا لانجيز اجتهاد الرأى في كثير من الفرائض والأحكام ، التي نراها بأعيننا ، ونسمعها بأذاننا^(٢) ، فكيف في صفات الله تعالى التي لم ترها الميئون ، وقصرت عنها الظنون ٤ .

غير أنا لانقول فيها كما قال المريسي^(٤) : ان هذه الصفات كلها شي^(٥) واحد ، وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، [ولا اليد منه^(٦)] غير النفس ، وأن الرحمن ليس يعرف - بزعمكم - لنفسه سمعا من بصر ، ولا بصرا من سمع ، ولا وجها من يدين ، ولا يدين من وجه ، وهو كله - بزعمكم - سمع وبصر ووجه ، وأعلى وأسفل ، ويد ونفس ، وعلم ومشيه وارادة ، مثل خلق السموات والأرض والجبال والتلال والهوا^(٩) ، التي لا يعرف شي^(١٠) منها شي^(١١) من هذه الصفات والذوات ، ولا يوقف لها^(١٢) منها على شي^(١١) ، قاله تعالى^(١٣) عندنا أن يكون كذلك ، فقد ميز الله تعالى في كتابه السمع من البصر .

وذكر الآيات الواردة في ذلك : " فقال تعالى : (انني معكما أسمع وأرى) و (انا معكم مستمعون) . وقال : (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ؛^(١٦)

- (١) في رد الدارمي ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ . بعد الكلام السابق بسطر واحد هو قوله : " . . . المريسي في أماكن من كتابك سنبينها لمن غفل عنها معن حواليك من الأغمار ان شاء الله تعالى " .
- (٢) رد الدارمي : وتسمع في آذاننا .
- (٣) تعالى : زيادة في (ص) .
- (٤) رد الدارمي : امامك المريسي .
- (٥) رد الدارمي : كلها لله غير شي^(٥) واحد .
- (٦) ولا اليد منه : كذا في رد الدارمي ، وترك مكان العبارة في (ص ، ن) بياضا ، وأمامه في (ن) كتب في الهامش " بياض بالأصل " ، ك : ولا الذات .
- (٧) رد الدارمي : هو . بدون الواو . (٨) رد الدارمي : بصروسمع .
- (٩) رد الدارمي : مثل خلق الأرضين والسماء والتلال . (١٠) رد الدارمي : لا يعرف شي^(١٠) منها شيئا .
- (١١) - (١١) ما بينهما ليس في رد الدارمي .
- (١٢) ص ، ن ، ك : بها . وهذا النص نقله ابن تيمية أيضا في در^(١٢) تعارض العقل والنقل ٢ / ٥٥ وفيه " لها " بدلا من " بها " ولعله أولى .
- (١٣) رد الدارمي : قاله المتعالي .
- (١٤) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٣٨١ .
- (١٥) تعالى : ليست في رد الدارمي .
- (١٦) سورة طه : ٤٦ .
- (١٧) سورة الشعراء : ١٥ .
- (١٨) سورة آل عمران : ٧٧ . رد الدارمي : (. . .) ولا ينظر اليهم يوم القيامة (.

ففرق بين الكلام والنظر دون [السمع] ^(١)؛ فقال عند السمع ^(٢) والصوت : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) ^(٣) و (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ^(٤) . ولم يقل : - قد - رأى الله قول التي تجادلك في زوجها . وقال تعالى ^(٥) في موضع الروئية : (الذى يراك حين تقوم . وتقلبك في الساجدين) ^(٦) . وقال تعالى ^(٧) : (وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ^(٨) ولم يقل : يسمع الله تقلبك ، ويسمع الله عملكم ، فلم يذكر الروئية فيما يسمع ، ولا السمع فيما يرى ، لما أنها عنده ^(٩) خلاف ما عندكم ^(١٠) . وذكر كلاما طويلا في الرد على النفاة ^(١١) . قلت : وكلام أهل الحديث والسنة في هذا الأصل كثير جدا .

ج ٤٥

وأما الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل فكثيرة جدا ، يتمذر أو يتمسر حصرها ، لكن نذكر بعضها ، وقد جمع الامام أحمد كثيرا من الآيات الدالة على هذا الأصل وغيره ما يقوله النفاة ؛ وذكرها عنه الخلال في كتاب " السنة " .

دلالة الآيات على أفعال الله

وذلك كقوله تعالى : (فلما أتاها نودى ياموسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) ^(١٢) ، وقوله تعالى : (وان نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) ^(١٣) ، وقوله

(١) السمع : سقطت من (ص) .

(٢) رد الدارمي : السماع .

(٣) سورة المجادلة : ١ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨١ .

(٥) قد : سقطت من (ص ، ن ، ك) وأثبتها من رد الدارمي .

(٦) تعالى : ليست في رد الدارمي .

(٧) سورة الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ . رد للدارمي : انه يراك . . . الخ .

(٨) تعالى : ليست في رد الدارمي .

(٩) سورة التوبة : ١٠٥ . رد الدارمي (. . . فسيرى الله عملكم) .

(١٠) ص ، ن : سمع .

(١١) الله : ليست في رد الدارمي .

(١٢) ص ، ن ، ك : كما أنها عنده ، رد الدارمي : لما عنده . ولعل الصواب ما أثبت .

(١٣) في رد الامام الدارمي ضمن مجموع " عقائد السلف " ص ٣٨١ وما بعدها .

(١٤) سورة طه : ١١ - ١٣ .

(١٥) سورة الشعراء : ١٠ .

تعالى : (فلما جاءها نودى أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين)^(١) ، وقوله تعالى : (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين)^(٢) ، وقوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى . ان ناداه ربه بالوادى المقدس طوى)^(٣) ؛ فوقت النداء بقوله : (فلما) ويقول : (ان) فعلم أنه كان في وقت مخصوص ، لم يناده قبل ذلك . وقوله تعالى : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)^(٤) .

وقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)^(٥) . فأخبر سبحانه أنه قال لهم ذلك بعد أن خلق آدم وصوره ، لا قبل ذلك . وقال تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)^(٦) ، وقال تعالى : (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق)^(٧) ، وقال تعالى : (بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون)^(٨) ، وقال تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)^(٩) . و " اذا " ظرف لما يستقبل من الزمان و " أن " [تخلص]^(١٠) الفعل المضارع للاستقبال .

وقال تعالى : (وان قال ربك للملائكة)^(١١) ، وقال تعالى : (وانما سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان)^(١٢) ،

-
- (١) سورة النمل : ٨ .
 - (٢) سورة القصص : ٣٠ .
 - (٣) سورة النازعات : ١٥ - ١٦ .
 - (٤) ص : لم يناداه .
 - (٥) سورة القصص : ٦٥ .
 - (٦) سورة الأعراف : ١١ .
 - (٧) سورة آل عمران : ٥٩ .
 - (٨) سورة الأنعام : ٧٣ .
 - (٩) سورة البقرة : ١١٧ .
 - (١٠) سورة يس : ٨٢ .
 - (١١) تخلص : ليست في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ولعلها ساقطة .
 - (١٢) سورة البقرة : ٣٠ .
 - (١٣) سورة البقرة : ١٨٦ .

وقال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)^(١) ، وقال تعالى : (ثم استوى الى السماء وهي دخان)^(٢) ، وقال تعالى : (الذبى خلق السموات والأرض في ستة أيام)^(٣) ، وقال تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام)^(٤) ، وقال تعالى : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك)^(٥) ، وقال تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا)^(٦) ، وقال تعالى : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظركيف تعملون)^(٧) .

ظ ٤٩

وقال تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحسق عليها القول فدمرناها تدميرا)^(٨) ، وقال تعالى : (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وماله من دونه من وال)^(٩) .

وقال تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله)^(١٠) ، وقال موسى : (ستجدني ان شاء الله صابرا)^(١١) ، وقال اسماعيل : (ستجدني ان شاء الله من الصابرين)^(١٢) ، وقال صاحب مدين لموسى عليه الصلاة والسلام : (ستجدني ان شاء الله من الصالحين)^(١٣) .

وأدوات الشرط تخلص الفعل للاستقبال ، ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : (من حلف فقال : ان شاء الله فان شاء فعمل ،

-
- (١) سورة التوبة : ١٠٥ .
 - (٢) سورة فصلت : ١١ .
 - (٣) سورة الأعراف : ٥٤ .
 - (٤) سورة البقرة : ٢١٠ .
 - (٥) سورة الأنعام : ١٥٨ .
 - (٦) سورة الفجر : ٢٢ .
 - (٧) سورة يونس : ١٤ .
 - (٨) سورة الإسراء : ١٦ .
 - (٩) سورة الرعد : ١١ .
 - (١٠) سورة الفتح : ٢٧ .
 - (١١) سورة الكهف : ٦٩ .
 - (١٢) سورة الصافات : ١٠٢ .
 - (١٣) سورة القصص : ٢٧ .
 - (١٤) ص : الفعل المضارع .

(١) وان شاء ترك) . رواه أهل السنن ، واتفق الفقهاء على ذلك .
وكذلك ما في الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن سليمان
عليه السلام : (أنه قال : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة ، تأتي كل امرأة
بفارس يقاتل في سبيل الله . فقال له صاحبه : قل ان شاء الله . فلم يقل ، فلم
تلد منهن الا امرأة جاءت بشق ولد . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلو قال
: ان شاء الله ، لقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين) .^(٢)

(١) ورد بهذا المعنى حديثان صحيحان ، فمن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدة ألفاظ ، منها في سنن النسائي ١٢/٧ كتاب الأيمان والندور ، من حلف فاستثنى : (من
حلف فاستثنى فان شاء مضى ، وان شاء ترك غير حنث) ، ٢٣/٧ : (من حلف فقال : ان شاء
الله ، فقد استثنى) ، (من حلف على يمين فقال : ان شاء الله ، فهو بالخيار ، ان شاء أمضى ،
وان شاء ترك) .

والحديث في مسند أحمد* (ط . المعارف) ٢٣٦/٦ - ٢٣٧ رقم ٤٥١٠ / ٦ ، ٢٦٢ / ٦ رقم ٤٥٨١ ،
١٣٥ / ٧ رقم ٥٠٩٣ ، ٢٢٣ / ٧ ، ٥٣٦٢ ، ٢٢٤ / ٧ ، ٥٣٦٣ رقم ٥٣٦٣ ؛ وسنن أبي داود (عيون
المعبود ٨٧/٩ - ٨٨) كتاب الأيمان والندور ، باب الاستثناء في اليمين ، وسنن الترمذى (تحفة
الأحوذى ١٢٩/٥) الندور والأيمان ، باب في الاستثناء في اليمين ، سنن ابن ماجه ١ / ٦٨٠ رقم
٢١٠٥ ، ٢١٠٦ كتاب الكفارات ، باب الاستثناء في اليمين .

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فقال : ان شاء الله ، فقد
استثنى) كذا عند النسائي ٢٩/٧ ، وعند أحمد (ط . المعارف) ٢٢٢/١٥ رقم ٨٠٧٤ ، والترمذى
١٣١/٥ (من حلف فقال : ان شاء الله لم يحنث) وعند ابن ماجه رقم ٢١٠٤ (. . .) .
ثيباه) .

وقد صحح أحمد شاكر اسناد حديث أبي هريرة في شرحه للسند ٢٢٢/١٥ - ٢٢٣ ، وخطأ من
قال : انه اختصار من قصة سليمان عليه السلام ، التي سيذكر ابن تيمية حديث أبي هريرة فيها
الآن .

(٢) الحديث عن أبي هريرة بروايات مختلفة ، ومن ذلك الاختلاف في عدد النساء ، فقد ورد ستون
، وسبعون ، وتسعون ، وتسع وتسعون ، ومائة .

هو في صحيح البخاري (فتح الباري ٣٤/٦ رقم ٢٨١٩) كتاب الجهاد باب من طلب الولد
للجهاد ، وتكرر بالأرقام ٣٤٢٤ ، ٥٣٣٢ ، ٦٦٣٩ ، ٦٧٢٠ ، ٧٤٦٩ ، وصحيح مسلم ٣ / ١٢٧٥ -
١٢٧٦ رقم ١٦٥٤ كتاب الايمان ، باب الاستثناء ؛ وسنن النسائي ٢٣/٧ كتاب الأيمان
والندور ، اذا حلف فقال له رجل : ان شاء الله ، هل له استثناء ؟ ؛ ٢٩/٧ كتاب الأيمان
والندور ، الاستثناء ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٣١/٥ - ١٣٢) الندور والأيمان ،
باب في الاستثناء في اليمين ؛ مسند أحمد (ط . المعارف) ١٠٦/١٢ رقم ٧١٣٧ ،
١٣٤/١٤ رقم ٧٧٠١ .

وقال تعالى : (كل يوم هو في شأن)^(١) ، وقال تعالى : (فاذهبنا بآياتنا
انا معكم مستمعون)^(٢) ، وقال تعالى لموسى وهارون : (انني معكما أسمع وأرى)^(٣) ،
وقال تعالى : (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم
يكتبون)^(٤) ، وقال تعالى : (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
أغنيا)^(٥) ، وقال تعالى : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)^(٦) .
وقال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث)^(٧) ، وقال تعالى : (نبأى حديث
بعده يومنون)^(٨) ، وقال تعالى : (ومن أصدق من الله حديثا)^(٩) ، وقال تعالى :
(فلما آسفونا انتقمنا منهم)^(١٠) ، وقال تعالى : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط
الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)^(١١) ، وقال تعالى : (قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)^(١٢) ، وقال تعالى : (ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)^(١٣) .
فأخبر أن طاعته سبب لمحبه ورضاء ، ومعصيته سبب لسخطه وأسفه .
وقال تعالى : (فاذكروني أذكركم)^(١٤) . وجواب الشرط مع الشرط كالمسبب مع
سببه .^(١٥)

-
- (١) سورة الرحمن : ٢٩ .
 - (٢) سورة الشعراء : ١٥٠ وفي (ص ، ن ، ك) : (فاذهبوا . . .) وهو تحريف .
 - (٣) سورة طه : ٤٦ .
 - (٤) سورة الزخرف : ٨٠ .
 - (٥) سورة آل عمران : ١٨١ .
 - (٦) سورة المجادلة : ١ .
 - (٧) سورة الزمر : ٢٣ .
 - (٨) سورة الأعراف : ١٨٥ .
 - (٩) سورة النساء : ٨٧ .
 - (١٠) سورة الزخرف : ٥٥ .
 - (١١) سورة محمد : ٢٨ .
 - (١٢) سورة آل عمران : ٣١ .
 - (١٣) سورة الزمر : ٧ .
 - (١٤) سورة البقرة : ١٥٢ وفي (ص ، ن ، ك) : (اذكروني أذكركم) بسقوط الفاء .
 - (١٥) ن ، ك : كالمسبب مع سببه .

ومثله في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه
تبارك وتعالى^(١) أنه قال : (من ذكرني في نفسه ذكرتني في نفسي ، ومن ذكرني في نفسي
ملا ذكرتني في ملا خير منهم ، ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ، ومن
تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة^(٢)) .

وقال تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما^(٣)) .

وأما أفعاله المتعدية الى المنفعل به الحادثة ، وذكرها في القرآن
العزیز فكثير جدا ؛ كقولہ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى^(٤)) ، وقوله تعالى :
فسنيسره لليسرى^(٥) ، (سنيسرة لليسرى^(٦)) ، / وقوله تعالى : (فسوف يحاسب
حسابا يسيرا^(٧)) ، وقوله تعالى : (من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم
أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره . كلا لما يقض ما أمره . فلينظر الانسان الى
طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا^(٨)) .

ج ٤٦

(١) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : ليست في (ن ، ك) .
(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : أنا عند
ظن عبدى بي ، وأنا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرتني في نفسي ، وان ذكرني في ملا
ذكرته في ملا خير منهم ، وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة) .
الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١٣ / ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥) كتاب التوحيد ، باب قول
الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) وهذا لفظه ، وصحيح مسلم ٤ / ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥ كتاب
الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى ، ٤ / ٢٠٦٧ - ٢٠٦٨ . باب
فضل الذكر والدعاء والتقرب الى الله تعالى ، ومسند أحمد (ط . المعارف) ١٣ / ١٥٤ - ١٥٥
رقم ٧٤١٦ ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحمدي ١٠ / ٦٣ - ٦٤) الدعوات ، باب حدثنا أبو
كريب محمد بن العلاء . . . الخ ؛ سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٥٥ - ١٢٥٦ رقم ٣٨٢٢ كتاب
الأدب باب فضل العمل .

(٣) سورة النساء : ٩٣ .

(٤) سورة الضحى : ٥ .

(٥) سورة الليل : ٧ .

(٦) سورة الليل : ١٠ .

(٧) سورة الانشقاق : ٨ . بعد هذه الآية في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ورد : فسوف يحاسب
حسابا يسيرا - لكن في (ص) عدلت الكلمة الأخيرة لتكون " يسيرا " - وليس هذا في القرآن .

(٨) سورة عبس : ١٩ - ٢٦ .

وقوله تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)^(١) ،
وقوله تعالى : (ألم نهلك الأولين . ثم نتبعهم الآخريين .)^(٢) ، وقوله تعالى :
(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)^(٣) ، وقال
تعالى : (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام
ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث
ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون)^(٤) .

وقوله تعالى : (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها
فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج
منها ماءها ومرعاها)^(٥) ، وقوله تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة
رسولها كذبهوه)^(٦) . وقوله تعالى : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)^(٧) ، وقوله تعالى : (من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)^(٨) ، وقوله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من
الأمرفاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)^(٩) ، وقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا)^(١٠) .

- (١) سورة الروم : ٢٧ .
- (٢) سورة المرسلات : ١٦ - ١٧ .
- (٣) ن ، ك : وقوله تبارك وتعالى .
- (٤) سورة المؤمنون : ١٢ - ١٤ .
- (٥) سورة الزمر : ٦ . في (ص) : (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ...) وهذا جزء من الآية الأولى في سورة النساء . وفي (ن ، ك) : (خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها ...) وهذا تحريف .
- (٦) سورة النازعات : ٢٧ - ٣١ . في (ن ، ك) (... فسواها أخرج منها ماءها ومرعاها) .
- (٧) سورة المؤمنون : ٤٤ .
- (٨) سورة البقرة : ٢٨ . هذه الآية سقطت من (ن ، ك) .
- (٩) ن ، ك : وقال .
- (١٠) سورة المائدة : ٥٤ .
- (١١) ك : وقال .
- (١٢) سورة الجاثية : ١٨ .
- (١٣) سورة فاطر : ٣٢ .

ومثل هذا كثير في القرآن ، والاحتجاج به ظاهر على قبول الجمهور ، الذين يجعلون الخلق غير المخلوق ، وهو الصواب ، فان الذين يقولون : الخلق هو المخلوق قولهم فاسد ، وقد بين فساد ، في غير هذا الموضع .
وشبهتهم أنه لو كان غيره لكان ان كان قديما لزم قدم المخلوق ، وان كان محدثا احتاج الى خلق آخر فلزم التسلسل ، وان كان قائما به فيكون محلا للحوادث .

وقد أجابهم الناس عن هذا ، كل قوم بجواب يبين فساد قولهم :
وظائفة منعت قدم المخلوق ، [وان كان الخلق قديما ^(٢)] كالارادة ؛
فانهم سلموا أنها قديمة مع حدوث المراد . ^(٣)

وظائفة منعت قيامه به ، وقالت : لا يقوم به الخلق ، فلا يكون محلا للحوادث . فاذا قالوا : ان الخلق هو المخلوق ولا يقوم به ، فلأن يجوز أن يكون غير المخلوق ولا يقوم به أولى .

وظائفة قالت : لانسلم أنه اذا افتقر المخلوق المنفصل الى خلق :
أن يفتقر مايقوم به من الخلق الى خلق آخر ، بل يكفي فيه القدرة والمشية ، فانكم اذا جوزتم وجود الحادث الذي يباينه بمجرد القدرة والمشية : فوجوده مالا يباينه بهما أولى بالجواز . وهو لا ، وغيرهم يمانعونهم في قيام الحوادث به .
وظائفة منعت امتناع التسلسل في الآثار والأفعال ، وقالت انما يمتنع في الفاعلين / لا في الفعل ، كما قد بسط في موضع آخر .

ظ ٤٦

وأما الأحاديث الدالة على هذا الأصل ، التي في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم - فأكثر من أن يحصيها واحدا ؛

دلالة الأحاديث على أفعال الله

(١) ص ، ن ، ك : وظائفة . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ما بين المعكوفين اضافة مني ، وقد ترك مكانه في (ص ، ن) بياضا .

(٣) أي الذين يقولون : الخلق هو المخلوق .

كقوله في الحديث المتفق على صحته عن زيد بن خالد ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية^(١) ، على اثر سماء كانت من الليل ، فقال : (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قال : أصبح من عبادى مؤمن بي وكافر بي ، فمن قال : مطرنا بفضل الله ورحمته . فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، ومن قال : مطرنا بنوء كذا وكذا . فهو كافر بي مؤمن بالكوكب)^(٢) .

وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من أولي العزم من الرسل ، مع آدم : ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا ، لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله^(٣)) ، وقوله في الحديث الصحيح : (اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفوان)^(٤) ، وقوله في الحديث الصحيح : (ان الله يحدث من أمره ما يشاء^(٥) ، وان مما أحدث أن لا تتكلموا^(٦) في الصلاة)^(٨) ،

(١) ك : صلاة الحديبية .

(٢) الحديث عن زيد بن خالد الجهني ، أخرجه البخارى (فتح البارى ٢/٣٣٣ رقم ٨٤٦) كتاب الأذان ، باب يستقبل الامام الناس اذا سلم ، وكرر برقم ١٠٣٨ ورقم ٤١٤٧ ؛ ومسلم ١/٨٣-٨٤ رقم ٧١ كتاب الايمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ؛ أبو داود (عون المعبود ١٠/٤٠١-٤٠٢) كتاب الكهانة والتطير ، باب في النجوم ؛ أحمد (المسند ط . الحلبي ٤/١١٧) ، مالك في الموطأ (١/١٩٢) كتاب الاستسقاء ، باب الاستمطار بالنجوم .

(٣) الحديث عن أبي هريرة ، قال : أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم ، فرفع اليه السذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، فقال : (أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ، يجمع الله عز وجل الأولين والآخريين في صعيد واحد فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون السى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون الى ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم . . .) وفيه أنهم يأتون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ، وكل منهم يعتذر ، ويقول : (ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) ، وليس فيه (غضبا شديدا) .

في صحيح البخارى (فتح البارى ٨/٣٩٥-٣٩٦ رقم ٤٧١٢) كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا [سورة الاسراء : ٣] ؛ وصحيح مسلم ١/١٨٤-١٨٦ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأئمة ٧/١٢١-١٢٦) صفة القيامة ، باب ماجاء في الشفاعة ؛ ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٢/٤٣٥-٤٣٦ .

(٤) تقدم هذا الحديث ، ص ١٩٣ .

(٥) ص ، ن : ما شاء .

(٦) ن ، ك : وما .

(٧) ك : أن لا يتكلموا .

(٨) الحديث عن عبد الله بن مسعود ، أخرجه أبو داود (عون المعبود ٣/١٩٣) كتاب الصلاة ، باب رد السلام في الصلاة ، النسائي في سننه ٣/١٦-١٧ كتاب السهو ، الكلام في الصلاة ، أحمد (ط . المعارف) ٥/٢٠٠ رقم ٣٥٧٥ ، وذكره البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/٤٩٦) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (كل يوم هو في شأن) سورة الرحمن : ٢٩ . معلقا بصيغة الجزم .

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي ، المتفق على صحته من غير وجه :
(ويقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم
الله في صورته التي يعرفون) .^(١)

وقوله في الحديث المتفق عليه من وجوه متعددة :^(٢) (لله أشد فرحا
بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه
وشرابه ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ اذا بدابته عليها
طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته) .^(٣)

وقوله في الحديث الصحيح : (يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر
كلاهما يدخل الجنة) ،^(٤) وقوله في حديث الرجل الذي هو آخر

(١) أخرج البخارى في صحيحه (فتح البارى ١٣/١٩٠١ رقم ٧٤٣٧) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ ، وأخرجه قبل ذلك بالأرقام ٨٠٦ ، ٦٥٧٣ ، ١٠٠٦ ، ١٦٣١ ، ١٦٧٢ ، ٢٩٩٩ ، كتاب الايمان ، باب معرفة طريق الروية ، وأحمد في مسنده (طه المعارف) ١٤ / ١٣٥ - ١٤٤٤ رقم ١٥٠٣ ، ٧٧٠٣ / ٥١ - ٦٥ رقم ٧٩١٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟) قالوا : لا ، يارسول الله ، قال : (فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟) قالوا : لا ، يارسول الله . قال : (فانكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فیتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم . فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فیتبعونه . . .) . وفي آخر الحديث يقول عطاء بن يزيد الليثي ، الراوى عن أبي هريرة : " وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبي هريرة ، لا يغير عليه شيئا من حديثه . . . الى أن خالفه في آخر الحديث في الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة ، وسأتي بعد قليل .

(٢) عبارة " من وجوه متعددة " : في (ص) فقط ، وليست في (ن ، ك) .

(٣) الحديث عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ١٠٢ رقم ٦٣٠٨) كتاب الدعوات ، باب التوبة ؛ وصحيح مسلم ٤ / ٢١٠٣ رقم ٢٧٤٤ ، كتاب التوبة ، باب الحضي على التوبة والفرح بها ؛ ومسند الامام أحمد (طه المعارف) ٥ / ٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٣٦٢٢ . وأقرب الالفاظ الى ما هنا ما في صحيح مسلم .

وقد وردت بهذه المعنى أحاديث أخر عن أبي هريرة ، والنعمان ابن بشير والبراء بن عازب وأنس ابن مالك ، انظرها في صحيح مسلم ٤ / ٢١٠٢ - ٢١٠٥ وعن أبي سعيد في سنن ابن ماجه ٢ / ١٤١٩ رقم ٤٢٤٩ .
(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة) فقالوا : كيف يارسول الله ؟ قال : (يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد ، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم ، فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد) . هذا أحد لفظي مسلم . = /

من يدخل الجنة ، وهو حديث أبي هريرة الذى يقول الله تعالى فيه :
 (أولست قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذى أعطيت .
 فيقول : يارب لا تجعلني أشقى خلقك . فيضحك الله منه ، ثم يأذن له في دخول
 الجنة)^(٢) ، وفي حديث ابن مسعود - وهو حديث آخر - قال النبي صلى الله
 عليه وسلم : (فيقول الله : يا ابن آدم ، أترضى أن أعطيك الدنيا ومثلها
 معها ؟ فيقول : أى رب أستتهزى بي وأنت رب العالمين ؟ وضحك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألا تسألوني مم ضحكت ؟ فقالوا : لم
 ضحكت ؟ فقال : من ضحك رب العالمين حين قال : أستتهزى بي وأنت رب
 العالمين ؟ فيقول : اني لا أستتهزى بك ، ولكني على ما أشاء قادر)^(٣) ،

= / الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٦ / ٣٩ رقم ٢٨٢٦) كتاب الجهاد ، باب الكافر يقتل
 المسلم ، ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ، وصحيح مسلم ٣ / ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ رقم ١٨٩٠ كتاب
 الامارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ؛ وسنن النسائي ٦ / ٣٢ كتاب
 الجهاد ، اجتماع القاتل والمقتول في سبيل الله في الجنة ؛ وسنن ابن ماجه ١ / ٦٨ رقم
 ١٩١ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ١٣ / ٤٥ رقم ٧٣٢٢ ،
 (ط . الحلبي) ٢ / ٣١٨ ، ٤٦٤ ، ٥١١ ؛ وموطأ مالك ٢ / ٤٦٠ كتاب الجهاد ، باب الشهيد
 في سبيل الله .

(١) تعالى : ليست في (ك) .

(٢) هذا بعض من حديث أبي هريرة المتقدم ، ص ٢٢٨ ت ١ ، ولفظ البخارى (فتح البارى ٢ / ٢٩٣
 رقم ٨٠٦) كتاب الأذان ، باب فضل السجود : (. . . ثم يفرغ الله . من القضاء بين العبادان ،
 ويبقى رجل بين الجنة والنار - وهو آخر أهل النار د خولا الجنة - مقبل بوجهه قبل النار ، فيقول
 : يارب ، اصرف وجهي عن النار ، قد قشيني ريحها ، وأحرقني ذكاً وها . فيقول : هل عسيبت ان
 فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا ، وعزتك . فيعطى الله ما يشاء من عهد وميثاق ،
 فيصرف الله وجهه عن النار . . . فيقول : يارب أدخلني الجنة . فيقول الله : ويحك يا ابن آدم ،
 ما أغدرك ، أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت ؟ فيقول : يارب
 لا تجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن ،
 فيتمنى . . . حتى اذا انتهت به الأمانى ، قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه) . . . قال أبو
 سعيد : اني سمعته يقول : (ذلك لك وعشرة أمثاله) .

(٣) أخرجه البخارى (فتح البارى ١١ / ٤١٨ - ٤١٩ رقم ٦٥٧١) كتاب الرقاق ، باب صفة الجننة
 والنار ؛ ومسلم ١ / ١٧٣ - ١٧٥ رقم ١٨٧ ، ١٨٦ كتاب الايمان ، باب آخر أهل النار خروجاً ،
 وأحمد في المسند (ط . المعارف) ٥ / ٢٦٩ - ٢٧٠ رقم ٣٧١٤ ، ٣٧١٤ / ٥ - ٣٤٤٤ ، ٣٨٩٩ ، وابن
 ماجه ٢ / ١٤٥٢ - ١٤٥٣ رقم ٤٣٣٩ كتاب الزهد ، باب صفة الجنة .

وأقرب الألفاظ الى ما هنا رواية مسلم (رقم ١٨٧) وفيها ، عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : (آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ، . . .
 فيسمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى رب ، أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ، ما يصريني منك ؟
 أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أستتهزى بي وأنت رب العالمين ؟) = / ٠

وفي حديث أبي رزين^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ينظر اليكم
أزليين قنطين ، فيظلم يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب) ؛ فقال له أبو رزين :
أو يضحك الرب ؟ قال : (نعم) قال : لن نعدم من / رب يضحك خيرا^(٤) .

ج ٤٧

وفي الحديث الصحيح : (يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين
عبدى نصفين : فنصفها لي ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سألت ؛ فاذا قال
العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدني عبدى . فاذا قال : (الرحمن
الرحيم) . قال الله أشنى علي عبدى . فاذا قال : (مالك يوم الدين)

= / فضحك ابن مسعود ، فقال : ألا تسألوني م أضحك ؟ فقالوا : م تضحك ؟ قال : هكذا ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : م تضحك يا رسول الله ؟ قال : (من ضحك رب
العالمين ، حين قال : أستهزىء مني وأنت رب العالمين ، فيقول : اني لا أستهزىء منك ،
ولكني على ما أشاء قادر) .

(١) هو أبو رزين لقيط بن عامر - ويقال : لقيط بن صبرة - بن المنتفق العقيلي له صحبه ، عداؤه فسي
أهل الطائف .

انظر : التاريخ الكبير للبخارى ٢٤٨ / ٧ ؛ الجرح والتعديل ١٧٧ / ٧ ؛ الاستيعاب ٣ / ١٣٤٠ ،
١٦٥٧ / ٤ ؛ الاصابة ٦٨٦ / ٥ - ٦٨٧ ؛ تهذيب التهذيب ٤٥٦ / ٨ - ٤٥٧ .
ك : أنلين .

(٢) ص : لا نعدم .
(٣) الحديث في مسند الامام أحمد (ط . الحلبي) ١٢٠ ، ١١ / ٤ ؛ وسنن ابن ماجة ١ / ٦٤ رقم ٢٨١
المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، عن أبي رزين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ضحك
ربنا من قنوط عباده ، وقرب غيره) قال : قلت : يا رسول الله ، أو يضحك الرب ؟ قال : (نعم) ،
قلت : لن نعدم من رب يضحك خيرا .

وهو في المسند (ط . الحلبي) ١٣ / ٤ ، ومستدرک الحاكم ٤ / ٥٦٠ - ٥٦١ ، وفيه قول الرسول صلى
الله عليه وسلم : (من ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها الا الله) وذكر منها
(وعلم اليوم الغيب ، يشرف عليكم أزليين أدلين مشفقين ، فيظلم يضحك ، قد علم أن غيركم السى
قرب) قال لقيط : لن نعدم من رب يضحك خيرا .

في النهاية لابن الأثير ١ / ٤٦ "أزل ، فيه (عجب ربكم من أزلكم وقنوطكم) . . . الأزل : الشدة
والضيق ، وقد أزل الرجل يأزل أزلا ، أى صار في ضيق وجدب ، كأنه أراد من شدة يأسكم
وقنوطكم ."

وكلمة " أدلين " في " المسند " فقط ، وليست في " المستدرک " ، ولم أجدها في كتب غريب
الحديث ، لكن قال ابن الأثير في النهاية ٢ / ١٣١ : " وقد تكرر ذكر " الدل " في الحديث ، وهو
والهتدى والسنت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الانسان من السكينة والوقار ، وحسن السيرة
والطريقة واستقامة المنظر والهيئة " .

وفي لسان العرب ، مادة " دلل " : " المدلل الذى يتجهني في غير موضع تجن . . . والأذل : المنان
بعله . . . والبدل ال الاضطراب . . . وسر يدل دل ويتدل لدل في مشيه اذا اضطرب ، ووقع القوم
في دلل ، ولببال ، اذا اضطرب أمرهم وتذبذب " .

(٥) ص : نصفها .

قال الله : مجدني عبدى . فاذا قال : (اياك نعبد واياك نستعين) . قال الله : ^(١) هذه الآية بيني وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل . فاذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين) . قال الله : هو! لعبدى ، ولعبدى ماسأل ^(٢) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق عليه : (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فاستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر) ^(٣) .
وقوله في الحديث الصحيح ، حديث الأنصارى الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله ، فلما أصبح الرجل وغدا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (لقد ضحك الله الليلة - أو قال : عجب - من فعالكما - أو قال : من أفعالكما - الليلة) وأنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ^(٤) .

(١) ن ، ك : الله عز وجل .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، في صحيح مسلم ٢٩٦/١ رقم ٣٩٥ كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة : وسنن أبي داود (عون المعبود ٣/٣٨ - ٤١) كتاب الصلاة ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ؛ وسنن النسائي ٢/١٠٥ كتاب الافتتاح ، ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأئمة ٨/٢٨٣ - ٢٨٥) تفسير القرآن ، سورة فاتحة الكتاب ؛ وسنن ابن ماجه ٢/١٢٤٣ - ١٢٤٤ رقم ٣٧٨٤ ، كتاب الأرب ، باب ثواب القرآن ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ١٣/١٥ - ١٧ رقم ٧٢٨٩ ، ١٥/٢٣١ - ٢٣٢ رقم ٧٨٢٣ ؛ وموطأ مالك ١/٨٤ - ٨٥ كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الامام فيما لا يجهر فيه بالقراءة .

(٣) سبق تخريج الحديث ، ص ١٨٥ ت ١١ .

(٤) سورة الحشر: ٩ . في صحيح البخارى (فتح البارى ٧/١١٩ رقم ٣٧٩٨) كتاب مناقب الأنصار ، باب قول الله عز وجل : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعث الى نساءه ، فقلن : مامعنا الا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرض - أو يضيف - هذا) فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق به الى امرأته ، فقال : اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ماعندى الا قوت صبياني ، فقال : هيئي طعامك واصبحي سراجك ، ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء . فهيات طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفاة ، فجملا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما) فأنزل الله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وبنحوه (٨/٦٣١ رقم ٤٨٨٩) كتاب التفسير ، باب (ويؤثرون على أنفسهم) الآية . والحديث في صحيح مسلم ٣/١٦٢٤ رقم ٢٠٥٤ كتاب الأشربة ، باب اكرام الضيف وفضل ايثاره ، بلفظ (قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة) فقط دون (ضحك) . / =

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء)^(١) ، وفي الصحيح عنه أنه قال : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)^(٢) ، وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه ، ان جاءه ثلاثة نفر ، فأما رجل فرأى فسي الحلقة فرجة فجلس فيها ، وأما رجل فجلس خلفهم ، وأما رجل فانطلق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم عن هؤلاء النفر ؟ أما الرجل الذى جلس في الحلقة فرجل أوى الى الله فأواه الله ، وأما الرجل الذى جلس في خلف الحلقة فاستحيا ، فاستحيا الله منه ، وأما الرجل الذى انطلق فأعرض فأعرض الله عنه)^(٣) .

- = / قال ابن حجر في فتح الباري ١٢٠ / ٧ : " وقوله فعالكما ، في رواية فعلكما بالافراد ، قال في البارع : الفعال بالفتح اسم الفعل الحسن ، مثل الجود والكرم ، وفي التهذيب : الفعال بالفتح فعل الواحد في الخير خاصة ، يقال : هو كريم الفعال ، بفتح الفاء ، وقد يستعمل في الشر ، والفعال بالكسر اذا كان الفعل بين اثنين ، يعني أنه مصدر فاعل مثل قاتل قتالا " .
- (١) هذا بعض من حديث عن أبي سعيد الخدرى ، في صحيح مسلم ٢٠٩٨ / ٤ رقم ٢٧٤٢ كتاب الرقال ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٤٢٨ / ٦ - ٤٣٢) الفتن ، باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن الي يوم القيامة ؛ وسنن ابن ماجة ١٣٢٥ / ٢ رقم ٤٠٠٠ ، كتاب الفتن ، باب فتنة النساء ؛ ومسند أحمد (طه . الحلبي) ١٩ ، ٢٢ ، وأوله : (ان الدنيا . . .) .
- (٢) الحديث عن أبي هريرة ، في صحيح مسلم ١٩٨٧ / ٤ كتاب البرو والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم ؛ وسنن ابن ماجة ١٣٨٨ / ٢ رقم ١٤٤٣ كتاب الزهد ، باب القناعة ، ومسند أحمد (طه . المعارف) ٢٢٧ / ١٤ رقم ٧٨١٤ .
- عند مسلم وأحمد (ولكن ينظر) ، وعند ابن ماجة (ولكن انما ينظر) .
- (٣) صحيح البخارى (فتح الباري ١٥٦ / ١ رقم ٦٦) كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ؛ (٥٦٢ / ١ رقم ٤٧٤) كتاب الصلاة ، باب الحلق والجلوس في المسجد ؛ صحيح مسلم ١٧١٣ / ٤ رقم ٢١٧٦ كتاب السلام ، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها ، والا وراءهم ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٥٠٩ / ٧ - ٥١٢) الاستئذان والآداب ، باب حدثنا الأنصارى ؛ مسند أحمد (طه . الحلبي) ٥ / ٢١٩ ؛ موطأ مالك ٢ / ٩٦٠ - ٩٦١ كتاب السلام ، باب جامع السلام .

وفي صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقول الله تعالى : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب الي عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشي بها ؛ فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشي ، ولكن سألتني لأعطينه ، ولكن استعازني لأعيننه ، وما تردت عن شيء أنا فاعله تردى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكسره مساءته ، ولا بد له منه) .^(١)

وفي الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الأنصار لا يحبهم الا مؤمن ، ولا / يبغضهم الا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله)^(٢) ، وفي الصحيح عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه) .
فقال عائشة : انا لنكره الموت . قال : (ليس ذاك ، ولكن المؤمن اذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته ، فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب لقاءه ، وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه ، فكره لقاء الله وكره لقاءه)^(٣) .

ظ ٤٧

(١) في صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ٣٤٠ - ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) كتاب الرقاق ، باب التواضع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدى بشيىء أحب الي مما افترضته عليه . . .) وفي مسند أحمد (طه الحلبى) ٢٥٦ / ٦ نحوه مختصرا عن عائشة .

(٢) الحديث عن البراء بن عازب ، صحيح البخارى (فتح البارى ٧ / ١١٣ رقم ٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار من الايمان ؛ صحيح مسلم ١ / ٨٥ رقم ٧٥ كتاب الايمان ، باب الدليل علي أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الايمان وعلاماته . . . سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ١٠ / ٤٠٠ - ٤٠١) المناقب ، فضل الأنصار وقريش ، سنن ابن ماجه ١ / ٥٧ رقم ١٦٣ ، المقدمة ، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ مسند أحمد (طه الحلبى) ٤ / ٢٨٣ ، ٢٩٢ .

(٣) صحيح البخارى (فتح البارى ١١ / ٣٥٧ رقم ٦٥٠٧) كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ؛ صحيح مسلم ٤ / ٢٠٦٥ - ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤ ، ٢٦٨٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه . . . سنن النسائى ٤ / ٨ ، ٩ كتاب الجنائز ، فيمن أحب لقاء الله ؛ سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٤ / ١٧٦ - ١٧٧) الجنائز ، باب ماجاء فيمن أحب لقاء الله أحب لقاءه ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٢٥ رقم ٤٢٦٤ كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له ؛ مسند أحمد (طه الحلبى) ٥ / ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٤٤٤ ، ٥٥٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنزل علينا ثم كان من المنسوخ : (أبلغوا قوما أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) (١) . وفي حديث عمرو بن مالك الرواسي (٢) قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، ارض عني ، قال : فأعرض عني ، ثلاثا ، فقلت : يا رسول الله ، ان الرب ليرضى [فيرضى] (٣) ، فأرض عني ، فرضي عني) (٤) . وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله - وهو حينئذ يشير الى ربايته - وقال : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله) (٥) .

= / بعض هذه الكتب أوردت حديث عبادة بن الصامت وفيه مراجعة عائشة ، وبعضها أوردت أصل الحديث عن عبادة ، دون قوله : " فقالت عائشة . . . الخ " ثم أوردت الحديث تاما عن عائشة ، وجاء الحديث أيضا عن أبي هريرة وأبي موسى بدون المراجعة .

(١) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٦/١٨٠ رقم ٣٠٦٤) كتاب الجهاد ، باب العون بالمدد ، وكرر برقم ٤٠٩٠ ، ٤٠٩١ ، ٤٠٩٥ ، ٤٠٩٦ ، وصحيح مسلم ١/٦٨ رقم ٢٩٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة اذا نزلت بالمسلمين نازلة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ١٠٩/٣ ، ٢١٠ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ .

ونص البخارى رقم ٣٠٦٤ عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل وذكوان وعصية وبنو لحيان ، فزعموا أنهم أسلموا ، واستمدوه على قومهم ، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار ، قال أنس : كنا نسميهم " القراء " ، يحطبون بالنهار ويصلون بالليل ، فانطلقوا بهم ، حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم ، فقتل شهرا يدعو على رجل وذكوان وبنو لحيان ، قال قتادة : وحد ثنا أنس أنهم قرأوا بهم قرآنا : (ألا بلغوا عنا قوما ، بأنا قد لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا) ثم رفع ذلك بعد . وفي رواية البخارى رقم ٤٠٩١ قول أنس : فأنزل الله علينا ثم كان من المنسوخ (أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) .

(٢) هو عمر بن مالك بن قيس بن بجيد الرواسي ، يعد في الكوفيين ، وقد على النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيه فأسلما . انظر : التاريخ الكبير للبخارى ٦/٣٠٩ ؛ الجرح والتعديل ٦/٢٥٨ ؛ الاستيعاب ٣/١٢٠ . الاصابة ٤/٦٧٥-٦٧٦ .

(٣) فيرضى : ليست في النسخ الثلاث (ص ، ن ، ك) ، وقد أورد ابن تيمية الحديث في درء تعارض العقل والنقل ٢/١٣٤ ، وفيه هذه الكلمة ، وانظر التعليق التالي .

(٤) روى البخارى الحديث في " التاريخ الكبير " ٦/٣٠٩ في ترجمة عمرو ، وفيه " ان الرب ليرضى فيرضي " ، فأرض عني ، فرضي عني " وذكره ابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٦/٢٥٨ بلفظ " ان الرب تبارك وتعالى ليرضى فيرضى ، فأرض عني ، فرضي عني " .

وذكر ابن حجر في " الاصابة " ٤/٦٧٥-٦٧٦ للحديث روايات عزاها الى مصادرها ، وأشار فسي آخرها الى أن بعضها يشهد لبعض ، وفي أحدها قصة تبين أن عمرا قال هذا القول بعد حدث أحدثه .

(٥) الحديث عن أبي هريرة ، وليس عن ابن مسعود ، في صحيح البخارى (فتح البارى ٧/٣٧٢ رقم ٤٠٧٣) كتاب المغازي ، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد ، وصحيح مسلم ٣/١٤١٧ رقم ١٧٩٣ كتاب الجهاد والسير ، باب اشتداد غضب الله على من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٦/٩٢ رقم ٨١٩٨ .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقول نسي سجوده : (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك)^(١) . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب ، فهو موضوع عنده فوق العرش : ان رحمتي غلبت غضبي) وفي رواية (سبقت)^(٢) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم ، فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)^(٣) .

(١) صحيح مسلم (١/٣٥٢) رقم ٤٨٦ كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ؛ سنن أبي داود (عون المعبود ٣/١٣٢) كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود ؛ سنن النسائي ١٦٦/٢ التطبيق ، باب نصب القدمين في السجود ، ١٧٦/٢ التطبيق ، باب الدعاء في السجود ؛ سنن الترمذي (تحفة الأحوذى ٩/٤٦٩ الدعوات ، باب حدثنا الأنصاري أخبرنا معن . . . ؛ سنن ابن ماجه ٢/١٢٦٢-١٢٦٣ رقم ٣٨٤١ كتاب الدعاء ، باب ماتعون منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، موطأ مالك ١/٢١٤ كتاب القرآن ، باب ماجاء في الدعاء ؛ مسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/٥٨ . وأوله عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض ، فالتمسته ، فوقعته يدي على بطن قدميه ، وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : . . . الحديث .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، بالروايتين ، في صحيح البخاري (فتح الباري ٦/٢٨٧ رقم ٩٤٣١) كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قول الله تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) سورة الروم : ٢٧ وكرر بالأرقام ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢ ، ٧٤٥٣ ، ٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤ ؛ وصحيح مسلم ٤/٢١٠٧ - ٢١٠٨ رقم ٢٧٥١ كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ؛ سنن أبىن ماجه ١/٦٧ رقم ١٨٩ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، ١٤٣٥/٢ رقم ٤٢٩٥ كتاب الزهد ، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/٢٣ رقم ٧٢٩٧ ، ١٣/٢٤٣ رقم ٧٤٩١ ، ١٣/٢٦٥ رقم ٧٥٢٠ ، (ط. الحلبي) ٢/٣١٣ ، ٣٠٥٨ . وفي سنن الترمذي (تحفة الأحوذى ٩/٥٢٨) الدعوات ، باب حدثنا قتيبة أخبرنا الليث . . . الخ رواية (ان رحمتي تغلب غضبي) .

(٣) الحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ٣/٣٣ رقم ٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وكرر بالأرقام ٣٢٢٣ ، ٧٤٢٩ ، ٧٤٨٦ ، وصحيح مسلم ١/٤٣٩ رقم ٦٣٢ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ؛ وسنن النسائي ١/١٩٤ كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة ؛ وموطأ مالك ١/١٧٠ كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٣/٢٣٨ رقم ٧٤٨٣ ، ١٦/٣١١ رقم ٨١٠٥ . وفي كل هذه المواضع (تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكروهم الله فيمن عنده)^(١) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض)^(٢) . وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ، وينظر أمامه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمره فليفعل ، فان لم يجد فبكلمة طيبة)^(٣) .

(١) في صحيح مسلم ٢٠٧٤/٤ رقم ٢٧٠٠ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ؛ وسنن ابن ماجه ١٢٤٥/٢ رقم ٣٧٩١ كتاب الأدب ، باب فضل الذكر ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٤٤٤٧/٢ ، ٣٣/٣ ، ٤٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، بأسانيدهم عن الأغر أبي مسلم أنه قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ... الحديث ، وفيه (... وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ...) . وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة أوله : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ...) قوله صلى الله عليه وسلم : (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكروهم الله فيمن عنده) . في صحيح مسلم رقم ٢٦٩٩ ؛ وسنن ابن ماجه رقم ٢٢٥ ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٢٥٢/٢ ، ٤٠٧ .

(٢) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٥٥١/٨ رقم ٤٨١٢) كتاب تفسير القرآن ، باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ...) سورة الزمر : ٦٧ ، وكرر بالأرقام ٦٥١٩ ، ٧٣٨٢ ، ٧٤١٣ ؛ وصحيح مسلم ٢١٤٨/٤ رقم ٢٧٨٧ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، في فاتحته ؛ وسنن ابن ماجه ٦٨-٦٩ رقم ١٩٢ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣٧٤/٢ .

(٣) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ٤٠٠/١١ رقم ٦٥٣٩) كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ، ٤٢٣/١٣ رقم ٧٤٤٣ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ، ٤٧٤/١٣ رقم ٧٥١٢ كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ؛ وصحيح مسلم ٧٠٣-٧٠٤ رقم ١٠١٦ كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره ... ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحمدي ٩٨/٧ - ٩٩) صفة القيامة ، باب ماجاء في شأن الحساب والقصاص ؛ وسنن ابن ماجه ٦٦/١ رقم ١٨٥ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، ٥٩٠/١ ، ٥٩١ رقم ١٨٤٣ كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٣٧٧ ، ٢٥٦/٤ .

وفي كل هذه المواضع (ليس بينه وبينه ترجمان) الا رواية البخارى رقم ٧٤٤٣ ففيها (ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس ، يساحون في الأرض ، فإذا وجدوا
قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم . قال : فيجيئون حتى يحفوا بهم
الى السماء الدنيا ، قال : فيقول الله : أى شيء تركتم عبادى يصنعون ؟ قال :
فيقولون : تركناهم يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك . فيقول : فهل رأوني ؟
فيقولون : لا . فيقول : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تحميدا
وأشد ذكرا . فيقول : فأى شيء يطلبون ؟ قالوا : يطلبون الجنة . قال : فيقول :
فهل رأوها ؟ فيقولون : لا . قال : فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو
رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا . قال : فيقول : من أى شيء
يتمنون ؟ قال : فيقولون : يتمنون من النار . قال : فيقول : هل رأوها ؟
قال : فيقولون : لا . قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها
كانوا أشد منها تعونا وأشد منها هربا . قال : فيقول : أشهدكم أنى قد
غفرت لهم . قال : فيقولون : ان فيهم فلانا الخطاء ، لم يردهم انما جاء في
حاجة . قال : فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .^(١)

ج ٤٨

(١) قال : ليست في (ن) .

(٢) قال : اني اشهدكم .

(٣) الحدِيث بمعناه في صحيح البخارى (فتح البارى ١١/ ٢٠٨ رقم ٦٤٠٨) كتاب الدعوات ، بساب
فضل ذكر الله عز وجل ؛ وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٩ - ٢٠٧٠ رقم ٢٦٨٩ كتاب الذكر والدعاء والتوبة
والاستغفار ، باب فضل مجالس الذكر ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأئمة ١٠ / ٥٧ - ٦٠) الدعوات
، باب حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، أخبرنا أبو معاوية عن عمرو بن راشد ؛ ومسند
أحمد (ط . المعارف) ١٣ / ١٥٦ - ١٦٠ رقم ٧٤١٨ ، ٧٤١٩ ، ٧٤٢٠ ، (ط . الحلبي ٢ / ٣٥٨ ،
٣٥٩ ، ٣٨٣ - ٣٨٢) .

ونص الحدِيث المَثَبَت هنا في (ص ، ن) وما في (ك) يخالفهما ويطباق تقريبا صحيح البخارى ، وأرجح
أنه قوبل على الصحيح أو على غيره ، وعدل تبعاً له ، وقد أورد ابن تيمية الحدِيث في " درء تعارض
العقل والنقل ٢ / ١٢٧ - ١٣٨ موافقا تقريبا لما في (ص ، ن) .

ونص الحدِيث في (ك) هو : وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال : (ان لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتصقون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله
ينادوا : هلموا الى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم
- وهو أعلم منهم - : ما يقول عبادى ؟ قالوا : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك .
قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا ، والله ما رأوك . قال : فيقول : وكيف لو رأوني ؟
قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميدا وأكثر لك تسيحا . قال : يقول :
فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا ، والله يارب =

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ليدنو أحدكم من ربه حتى ليقفه عليه ، فيقول : عملت كذا وكذا . فيقول : نعم يارب . فيقرره ، ثم يقول : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى كتاب حسناته ، وهو قوله تعالى : (هاؤم اقرؤوا كتابيه^(٢)) ، وأما الكفار والمنافقون^(٣) فينادون : (هوءلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين^(٤)) . فأخبر صلى الله عليه وسلم أنسه سبحانه يقول قولاً ، ثم يقول العبد ، ثم يقول الرب تعالى قولاً آخر .

وبهذا الأصل العظيم ، الذي دلت عليه الكتب المنزلة من الله : القرآن والتوراة والانجيل ، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها ، بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف ، حتى من الغلاسفة^(٥) - يظهر أيضا بطلان مذهب

بطلان مذهب
الحرثانيين

= / مارأوها . قال : يقول : لو انهم رأوها ؟ قال : يقولون : لو انهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فم يتمونون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : فيكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . قال فيقول : فاشهدكم اني قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

(١) رضي الله عنهما : ليست في (ك) .

(٢) ن : وهو يقول .

(٣) سورة الحاقة : ١٩ .

(٤) ك : وأما الكافر والمنافق .

(٥) سورة هود : ١٨ .

والحديث بنحوه في صحيح البخاري (فتح الباري ٩٦/٥ رقم ٢٤٤١) كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ، وكرر بالأرقام ٤٦٨٥ ، ٦٠٧٠ ، ٧٥١٤ ، وصحيح مسلم ٢١٢٠/٤ رقم ٢٧٦٨ كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله ؛ وسنن ابن ماجه ٦٥/١ رقم ١٨٣ ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ٢٥٤/٧ رقم ٥٤٣٦ ، ١٥٥/٨ ، ١٥٦ - رقم ٥٨٢٥ .

(٦) ن ، ك : وهذا الأصل العظيم دلت .

(٧) هنا تتقطع نسختا (ن ، ك) واللذان انضمنا الى الأصل (ص) في صفحة ١٧٥ ومن قوله " يظهر أيضا بطلان . . . الى قوله في صفحة ٣٤٤ : " . . . والمقصود هنا التنبيه ، كما يليق بهذا الجواب " انفردت به (ص) . وهناك تعود (ك) للانضمام الى (ص) ، أما (ن) فيستمر انقطاعها حتى صفحة ٣٩٧ . عند قوله : " فصل ، وأما قوله : والدليل على كونه متكلما أنه أمر ونه " .

الحرثانيين [القائلين] ^(١) بالقدماء الخمسة ، وهو منسوب الى ديمقراطيس ، ^(٢)

(١) القائلين : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) الحرثانيون جمع حرثاني ، نسبة الى موطنهم حران ، ويقال لهم أيضا : الحرانيون ، وقيل : ان النسبة الى رجل يقال له : حرثان .

وتسميهم بعض كتب المقالات " صابئة " ، وبعضها تسميهم " مجوسا " . وهذه الكتب لاتعطي معرفة وافية بعقائدهم وأحوالهم ، ويبدو أن كثيرا مما فيها مصدره كتب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي .

وأبرز ماورد عنهم قولهم بالقدماء الخمسة ، وقد عرض لهذا القول أبو عبد الله ابن الخطيب الرازي في كتابه " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين " .

فقال (ص ٨٤) : " وأما الحرثانيون [محصل : الحرثانيون] فقد أثبتوا خمسة [محصل : خمسا] من القدماء : حيان فاعلان [وهما] الباري والنفس ، وعنوا بالنفس ما يكون مبدأ للحياة ، وهي الأرواح البشرية والسماوية . وواحد منفعل وهو الهبولي ، واثنان لا حيان ولا فاعلان ولا منفعلان ، وهما الدهر والفضاء [محصل : والقضاء] .

أما قدم الباري تعالي ، فالدليل عليه مشهور .
وأما قدم النفس والهبولي فهو بناء على أن كل محدث مسبوق بمادة ، فقالوا : لو كانت النفس حادثة لكانت لها مادة ، ومادتها ان كانت حادثة افتقرت الى مادة أخرى ، لا الى نهاية ، ولزم التسلسل ، وان كانت قديمة فهو المطلوب .

وأما الهبولي فان كانت حادثة لزم التسلسل ، وان كانت قديمة فهو المطلوب .
وأما الدهر - وهو الزمان - فلأنه غير قابل للعدم ، لأن كل ما يصح عليه العدم ، كان عدمه بعد وجوده بعديّة زمانية ، فيكون الزمان موجودا حال ما فرض معدوما ، فهذا محال ، فان قد لزم من فرض عدمه لذاته محال ، فيكون واجبا لذاته .

وأما القضاء فهو أيضا واجب لذاته ، لأن الواجب لذاته هو الذي يشهد صريح الفطرة بامتناع ارتفاعه ، والقضاء [محصل ، في الموضوعين : والقضاء] كذلك ، لأنه لو ارتفعت لما بقيت الجهات متميزة بحسب الاشارات ، وذلك غير معقول " .

وسينقل ابن تيمية بعد قليل نصوصا أخرى من كتاب " المحصل " في هذا المذهب .
وانظر : الفهرست لابن النديم ، ص ٤٤٢ - ٤٥٦ (طه مصر) ؛ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ؛ الفصل لابن حزم ٣٤ / ١ ، ٧٠ / ٥ ؛ اغائة اللهفان لابن القيم ٢٤١ / ٢ - ٢٤٢ ؛ وانظر النصوص التي جمعها ب . كراوس في مجموعة " رسائل فلسفية " لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، وبخاصة ١٨٨ / ١ - ١٩٠ .

(٣) تقدمت ترجمة ديموقريطس (٤٧٠ - ٣٦١ ق م) ، وأنه وأستاذة لوقيبيوس مؤسساً مذهب الجوهر الفرد ، وأبو بكر الرازي ممن يقول به .

لكني لم أجد في مراجع ترجمته أنه يقول بالقدماء الخمسة ، وقد أورد ب . كراوس في مجموعة رسائل فلسفية ١٩٣ / ١ نصوصا لعدد من كتاب المقالات يقولون فيها : ان أبا بكر الرازي حكى القول بالقدماء الخمسة عن فلاسفة اليونان الذين كانوا قبل أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) ، ويسورد (ص ١٩٦) نصا من منهاج السنة لابن تيمية يقول فيه : " ان هذا القول يحكي عن ديمقريطيس ، واختاره ابن زكريا المتطبيب " .

ويرجح كراوس (ص ١٩٤) أن الرازي نفسه هو الذي صرح بمثل هذا في كتاب العلم الالهي .

وقد نصره محمد بن زكريا الرازي، وأبو عبدالله بن الخطيب الرازي يرجحه فسي^(١)
"محصله" وفي "المطالب العالية" وغير ذلك .

وهم يقولون : بأن العلة ، والنفس ، والهيولى - وهي في لغتهم بمعنى
المحل - والخلاء ، والدهر قديمة أزلية ، وأن سبب حدوث العالم أن النفس
التفتت الى الهيولى وامتنع على الرب تخليصها ، أو رأى أنه لا يخلصها
[حتى تذوق]^(٢) مرارة تعلقها بالهيولى ثم يخلصها ، أو لتستفيد بذلك كمالات
ثم يخلصها بعد ذلك .

ولهذا يقول ابن زكريا ونحوه : "لا لذة الا عدم الألم ، وغاية سعادة
النفس خلاصها من الألم الحاصل بتعلقها بالهيولى"^(٣) .

وأبو عبدالله الرازي وبعض من يأتى به يرجحون هذا القول ، وبه يجيب
هؤلاء عن الحجة المشهورة للفلاسفة ، ويسمونه "الجواب الباهر" .

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الطبيب والفيلسوف والملحد المشهور، ولد ونشأ بالرى، ثم انتقل
الى بغداد، وكان في أول أمره مغنيا بالعود، ثم أقبل على دراسة الطب والفلسفة فبرع، وألف
فيهما كتبا كثيرة، توفي سنة ٣١٣ على الراجح .
انظر: الفهرست لابن النديم، ص ٥٠٤؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جليجل، ص ٧٧-٨٠؛
تاريخ الحكماء للقفطي، ص ٢٧١-٢٧٧؛ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص ٤١٤-٤٢٧؛
العبر للذهبي ١٥٠/٢؛ الوافي بالوفيات ٣/٧٥-٧٧؛ الأعلام ٦/١٣٠ .
وانظر مجموعة "رسائل فلسفية" لأبي بكر الرازي جمعها ب. كراوس، القاهرة ١٩٣٩، ومذهب
الذرة عند المسلمين، للدكتور. س. بينيس، ص ٣٥-٩٠ .

(٢) عبارة "حتى تذوق" ليست في الأصل (ص) وأرجح أن تكون ساقطة .

(٣) أشار أبو بكر الرازي في عدد من رسائله المنشورة ضمن مجموعة "رسائل فلسفية" :
مذهبه فسي "اللذة" فهو يقول في الرسالة الأولى :

"الطب الروحاني" ، ص ٣٠ : " ويعلم [أى الانسان] أن السفن الحساسة ما دامت
متعلقة بشي منه [أى من الجسم] لم تزل في أحوال مؤذية مؤلمة من أجل تداول الكون
والفساد اياه ، ولا يكره بل يشتاق الى مفارقتها والتخلص منه ، ويرى أنه متى كانت مفارقة النفس
الحساسة للجسد الذى هي فيه وقد اكتسبت هذه المعاني واعتقدتها صارت في عالمها ، ولم
تشتق الى التعلق بشي من الجسم بعد ذلك البتة ."

ثم يقول (ص ٣٦) : " ان اللذة ليست بشي سوى إعادة ما أخرجه المؤذى عن حالته السى
حالته تلك التى كان عليها"

قال في " محصله " : " الفريق الثاني (٢) - الذين قالوا : أصل العالم ليس بجسم ، وهم فرقتان ؛ الأولى الحرانية (٣) / وهم الذين أثبتوا القدماء (٤) الخمسة : البارئ (٥) ، والنفس ، والهيولى ، والدهر ، والخلاء ؛ فقالوا : البارئ تعالى تام العلم والحكمة ، لا يعرض له سهو ولا غفلة ، وتفيض عنه النفس كفيض النور عن القرص (٨) ؛ لكنها - يعني النفس - جاهلة لا تعلم الأشياء (١٠) ما لم تمارسها .

عرض أبي عبد الله
الرازي لمذهب
الحرانيين في
" المحصل "
ظ ٤٨

وكان البارئ تعالى عالما بأن النفس ستميل (١١) الى التعلق بالهيولى وتعشقها ، وتطلب اللذة الجسمية (١٢) ، وتكره مفارقة الأجسام ، وتنسى نفسها ، ولما كان من شأن البارئ (١٥) الحكمة التامة : عمد الى الهيولى بعد تعلق

(١) في كتاب " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين " لأبي عبد الله الرازي ، تحت عنوان " مسألة : اختلف أهل العلم في حدوث الأجسام " ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) محصل : الفرقة الثانية .

(٣) محصل : وهم فريقان ؛ الفرقة الأولى الجرمانية .

(٤) محصل : أثبتوا .

(٥) محصل : البارئ تعالى .

(٦) محصل : باب العلم .

(٧) محصل : ويفيض عنه العقل .

(٨) الأصل (ص) : . . . كفيض النور على العرض . وما أثبتته من " محصل " . وجاء في " محصل " بعدد كلمة " القرص " ما يلي : ، وهو تعالى يعرف الأشياء معرفة تامة ، وأما النفس فإنه يفيض عنها الحياة فيض النور عن القرص .

(٩) عبارة " يعني النفس " من ابن تيمية للايضاح .

(١٠) محصل : الاشياء .

(١١) محصل : تميل .

(١٢) التعلق : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : التعلق .

(١٣) محصل : الحسية .

(١٤) محصل : فلما .

(١٥) شأن : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : سوس .

(١٦) محصل : البارئ تعالى .

النفس بها ، فركبها ضروبا من التراكيب [مثل] السماوات والعناصر^(١) ، وركب
أجسام الحيوانات على الوجه الأكمل ، والذي بقي فيها من الفسَاد فذلك لا يمكن^(٢)
إزالته .

ثم انه تعالى أفاض على النفس عقلا وادراكا ، وصار ذلك سببا لتذكرها
عالمها ، وسببا لعلمها بأنها [ما] دامت^(٣) في العالم الهبولاني لا تنفك^(٤)
عن الآلام ، إذا^(٦) عرفت النفس ذلك ، وعرفت أن لها في عالمها اللسذات
الخالية عن الآلام^(٧) اشتاقت الى ذلك [العالم]^(٨) ، وعرجت [عليه]^(٩) بعد
المفارقة ، وبقيت هناك [السى]^(١٠) أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة .

قالوا : وبهذه الطريق زالت الشبهات الدائرة بين القائلين بالتقدم
والحدوث ؛ فان أصحاب القدم قالوا : لو كان العالم محدثا فلم أحدثه^(١٢)
الله تعالى^(١٣) في هذا الوقت المعين ، وما أحدثه قبل ذلك ولا بعده^(١٤) ؟
وان كان خالق العالم حكيما فلم ملأ الدنيا من الآفات ؟ . وأصحاب الحدوث
قالوا : لو كان العالم قديما لكان غنيا عن الفاعل ، وهذا باطل قطعاً ؛ لما
نرى أن آثار الحكمة ظاهرة في العالم .

-
- (١) الأصل (ص) : من التركيب السماوات والعناصر . وأثبت ما في " محصل " .
 - (٢) محصل : لأنه لا يمكن .
 - (٣) الأصل (ص) : بأنها دامت . والمثبت من " محصل " .
 - (٤) محصل : في عالم الهبولي .
 - (٥) الأصل (ص) : لم تنفك ، والمثبت من " محصل " .
 - (٦) إذا : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : وإذا .
 - (٧) الآلام : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : الألم .
 - (٨) العالم : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .
 - (٩) عليه : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .
 - (١٠) السى : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .
 - (١١) محصل : وبهذا .
 - (١٢) فان : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : بأن .
 - (١٣) محصل : فلم أحدثه تعالى .
 - (١٤) ولا بعده : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : لا بعده .

وتحير الفريقان في ذلك .

وأما على هذا الطريق فلاشكالات زائلة ؛ لأننا لما اعترفنا بالصانع الحكيم ^(١) ، لاجرم قلنا بحدوث العالم ، فاذا قيل : فلم أحدث العالم في هذا الوقت ؟ . قلنا : لأن النفس انما ^(٢) تعلقت بالهيولى في ذلك الوقت ؛ وعلم البارى ^(٤) أن ذلك التعلق سبب الفساد ؛ الا أنه بعد وقوع المحذور صرفه الى الوجه الأكمل بحسب الامكان ، وأما الشرور الباقية فانما بقيت لأنه لا يمكن تجريد هذا التركيب عنها ^(٥) .

بقى ههنا سوءالان :

أحدهما - أن يقال : لم تعلقت النفس بالهيولى بعد أن كانت غير متعلقة ^(٦) بهما ؟ فان حدث ذلك التعلق لاعن سبب : فجوز حدوث العالم بكليته لاعن سبب ^(٧) .

والثاني - أن يقال : فهلا منع البارى ^(٨) النفس من التعلق بالهيولى ؟ . أجابوا عن الأول بأن هذا السؤال غير مقبول من المتكلمين ؛ لأنهم يقولون : القادر المختار قد يرجح أحد مقدوريه [على الآخر] من غير مرجح ^(٩) . فهلا جوزوا الترجيح بارادة القادر المختار ؟ ، وأما الفلاسفة فانهم يجوزون أن يكون السابق علة معدة للاحق ^(١١) ، فهلا جوزوا أن تكون النفس ^(١٢)

(١) الحكيم : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : الحكيم .

(٢) محصل : ولم .

(٣) محصل : لما .

(٤) محصل : البارى تعالى .

(٥) محصل : تحديد .

(٦) بها : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : به .

(٧) الأصل (ص) : فان حدث ذلك التعلق بكليته لاعن سبب فجوز حدوث العالم لاعن سبب .

وما أثبتته في " محصل " .

(٨) محصل : البارى تعالى .

(٩) محصل : في .

(١٠) الأصل (ص) : أحد مقدوريه بغيره . والمثبت في " محصل " .

(١١) فهلا جوزوا الترجيح ... الخ : كذا في الأصل (ص) ؛ محصل : فهلا جوزوا ذلك في النفس ؟ وغير

مقبول أيضا من الفلاسفة لأنهم جوزوا في السابق أن يكون علة للاحق .

(١٢) محصل : أن يقال .

[قديمة ^(١)] ولها تصورات ^(٢) متجددة غير متناهية ، ولم / يزل كل سابق علة
للاحق حتى انتهت الى ذلك التصور الموجب لذلك التعلق ^(٤) ؟ .
وأجابوا عن السؤال الثاني بأن البارى علم أن الأصل للنفس أن
تصير عالمة بضار ^(٧) هذا التعلق ، حتى انها بنفسها تمتنع عن تلك ^(١٠)
المخالطة ، وأيضا فالنفس بمخالطتها للهيولى ^(١١) تكتسب من الفضائل العقلية
مالم تكن موجودة ^(١٢) لها ، فلهذين الغرضين لم يمنع البارى تعالى ^(١٥)
النفس من التعلق ^(١٦) [بالهيولى ^(١٧)] . "

تعليق ابن تيمية قلت : وهذا الذى ذكره عن هؤلاء من حدوث الأجسام وقدم النفس ،
وأنها حدث لها من التصور ما كان سبب حدوث الأجسام - هو الذى
أجاب به عن حجة الفلاسفة في قدم العالم ، وادعى أنه هو " الصواب
الباهر " ، ولهذا أخذ الأرموى صاحب " لباب الأربعة " ،

(١) قديمة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .

(٢) محصل : تصورات .

(٣) كلمة " متجددة " : غير منقوطة في الأصل (ص) ، وفي " محصل " متحددة .

(٤) لذلك : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : كذلك .

(٥) بأن : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : أن .

(٦) محصل : بأن .

(٧) محصل : أن تتصور عالمها .

(٨) الأصل (ص) : فصار ؛ محصل : بضاد . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٩) بنفسها : كذا في " محصل " ، الأصل (ص) : نفسها .

(١٠) محصل : من .

(١١) محصل : الهيولى تكتسب .

(١٢) محصل : مالم يكن موجودا .

(١٣) محصل : الغرضين .

(١٤) لم يمنع : كذا في " محصل " ؛ الأصل (ص) : لم يمتنع .

(١٥) تعالى : ليست في " محصل " .

(١٦) محصل : التعليق .

(١٧) بالهيولى : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " محصل " .

وأجاب به في "لبابه" ، وادعى أيضا أنه "الجواب الباهر" ، وكذلك من سلك هذا السبيل كالتفسيرى المصرى المتأخر^(٢) لم يذكر في عقيدته الا حدوث الأجسام ، مع اثباته أن جميع الممكنات صادرة عنه .

وهو لا يقولون : نحن جمعنا بين ما أقام المتكلمون عليه الحجة من حدوث الأجسام وما أقام^(٣) الفلاسفة عليه الحجة من ثبوت معلول مساوق للرب تعالى وهي النفس القديمة التي لم تنزل . وهذا المذهب من أفسد مذاهب العالم ، وهو يشبه من بعض الوجوه مذهب المجوس ؛ الذين قالوا بأصلين قديمين : النور والظلمة ، وجعلوا - اختلاطهما هو المبدأ ، وخلص النور من الظلمة هو المعاد .

ولابن زكريا المتطبب الملحد حكاية مشهورة ، ذكرها أبو حاتم

(١) هو أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموى (٥٩٤ - ٦٨٢) ، أصله من أرمية بأذربيجان ، من الشافعية ، صنف في المنطق وأصول الدين وأصول الفقه ، وتوفي بمدينة قونية .
ويوجد نسخة مصورة لكتاب "لباب الأربعين" في أصول الدين ، وهو مختصر من كتاب "الأربعين" للفخر الرازى - في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٠١ ، توحيد .
انظر فهرس المعهد المذكور ١٣٦/١ تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٤ م .
وانظر في ترجمة الأرموى : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧١/٨ ، كشف الظنون ، ص ١٧١٥ - ١٧١٧ ؛ الأعلام ١٦٦/٧ .

(٢) لم أعرف من المقصود ، وأشار ابن تيمية الى جواب الرازى ومتابعة الأرموى ثم القشيري له فسي كتاب "درء تعارض العقل والنقل" ٣٧٩/١ ، وذكر المحقق الدكتور/ محمد رشاد سالم أنه كتب في هامش بعض نسخ الكتاب " هو ابن دقيق العيد ، كذا على الأصل بخط الشيخ أحمد عفى الله عنه " قال المحقق : " ولعل الناسخ يقصد أحمد بن تيمية نفسه ، وابن دقيق العيد هو محمد بن علي بن وهب ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيري (٦٢٥ - ٧٠٢) ، المعروف كأبيه وجده وأخيه بابن دقيق العيد"
ولكن ابن تيمية أشار أيضا الى هذا في " المسألة المصرية في القرآن " ضمن فتاوى الرياض ٢١٧/١٢ وسماه " أبا عبدالله القشيري " .

وأخو أبي الفتح تقي الدين ، هو سراج الدين موسى بن علي (٦٤١ - ٦٨٥) تصدى بقوص في صعيد مصر لنشر العلم والفتيا ، وولادته ومات بها ، له كتاب "المفني" في فقه الشافعية . ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٧٦/٨ - ٣٧٧ ؛ حسن المحاضرة ٤١٨/١ ؛ الأعلام ٣٢٥/٧ . ولم تذكر هذه الكتب كنيته .
الأصل (ص) : وأقام . ولعل " ما " ساقطة .

(٣) محمد بن زكريا الرازى ، تقدم ذكره قبل صفحات ، ص ٢٤٠ .

صاحب "كتاب الزينة"^(١)، ورد عليه فيما تكلم به من الالحاد والقدح في الأنبياء، وذكر أنه شبه التفات النفس إلى الهيولى بغير اختيار الباري بحبقة^(٢) تحصل من أميركانا بحضرتة، إذا حصلت بغير اختياره، وأنه بين له فساد ماقاله، مع ما اقترن به من قلة العقل وسوء الأدب^(٣).

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الورداسمي - أو الوردساني - الرازي، من دعاة الاسماعيلية، له تصانيف، مات سنة ٣٢٢.

وقد نشر جزءان من كتاب "الزينة" بتحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة - ط. الثانية ١٩٥٧م، وقال أبو حاتم في أوله: "هذا كتاب فيه معاني أسماء واشتقاقات ألفاظ وعبارات عن كلمات عربية، يحتاج الفقهاء إلى معرفتها، ولا يستغنى الأدياء عنها، وفي تعلمها نفع كبير، وزينة عظيمة، لكل ذي دين - ومروءة، ألفناه من ألفاظ العلماء، وما جاء عن أهل المعرفة باللغة وأصحاب الحديث والمعاني...". انظر عن أبي حاتم هذا: الفهرست لابن النديم، ص ٢٦٨، (ط. مصر)، لسان الميزان ١٦٤/١؛ الأعلام ١١٩/١؛ تاريخ التراث العربي ٣٥٦/٣ - ٣٥٨، وانظر مقدمة حسين الهمداني لكتاب "الزينة"، ص ٢٦ - ٣٢.

(٢) في الأصل (ص) رسمت العبارة هكذا: "نحعه" بدون نقاط، والحبقة الضرطة، كما في القاموس المحيط، مادة "الحبق". وذكر ابن تيمية أيضا هذه الحكاية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط. الرياض) ٣٠٨/٦.

(٣) وقع ذلك في مناظرة جرت بين أبي حاتم الرازي الاسماعيلي ومحمد بن زكريا الرازي، وذكر أبو حاتم ما دار فيها في أول كتابه "أعلام النبوة"، وقد نشر هذه المناظرة ضمن مجموعة "رسائل فلسفية" ب - كراوس نقلا عن نسختين خطيتين "لأعلام النبوة" في الهند.

وفيها (ص ٣٠٨) يسأل أبو حاتم أبا بكر: "وأى هذه الخمسة أحدث العالم؟ : قال [أى أبو بكر الرازي]: أنا أقول: ان الخمسة قديمة، وان العالم محدث، والعلة في احداث العالم ان النفس اشتهدت أن تتجبل في هذا العالم، وحركتها الشهوة لذلك، ولم تعلم مايلحقها من الويال اذا تجبلت فيه، واضطربت في احداث العالم، وحركت الهيولى حركات مضطربة مشوشة على غير نظام، وعجزت عما أرادت، فرحمها الباري جل وتعالى وأعانها على احداث هذا العالم، وحملها على النظام والاعتدال رحمة منه لها، وعلم أنها اذا ذاقت وبال ما اكتسبته عادت الى عالمها، وسكن اضطرابها، وزالت شهوتها واستراحت؛ فأحدثت هذا العالم بمعاونة الباري لها، ولولا ذلك لما قدرت على احداثه، ولولا هذه العلة لما أحدث العالم...".

وبعد مناقشات يقول فيها أبو بكر (ص ٣٠٩) ان الباري لم يقدر على منع النفس من التجبل في العالم، يقول أبو حاتم (ص ٣١١ - ٣١٢): "أخبرني عن هذه الحركة التي بعثت شهوة النفس على التجبل في هذا العالم هي غريزية أم قسرية؟... فان الفلاسفة اتفقوا على أن الحركة حركتان: طبيعية وقسرية، ولا ثلاثة لهما.

قال أبو بكر: صدقت، هذا قول القدماء، ولكنني قد استدركت في هذا شيئا لطيفا، واستخرجت منه مالم يسبقني إليه أحد غيري، وأنا أقول: ان الحركات ثلاثة: طبيعية وقسرية وقلبية... وأنا أضرب لك مثلا يتصور لك، وتعرف وجه الصواب فيه".

قال أبو حاتم: "وجرت هذه المناظرة بيني وبينه في دار بعض الرؤساء، وكان ذلك الرئيس قاعدا مع قاضي البلد يتناظران في أمر بينهما، وهما بحيث نراهما، وحضر هذا المجلس معنا المعروف بأبي بكر حسين التمار المتطبيب. = /

ودعوى الرازي أن جوابهم ؛ وهو القول الأول الذي رجحه هؤلاء من القول بحدوث الأجسام وقدم النفس ، ودعواهم أنهم جمعوا بين حجة المتكلمين على حدوث الأجسام وحجة المتفلسفة على كونه علة قديمة أزلية ، وانهم أجابوا بالجواب الباهر - في غاية الفساد .

وذلك أن دوام الفاعلية ووجود مالا أول له اما أن يكون ممكنا واما أن يكون مستنعا ، فان كان ممكنا بطل دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، فان دليلهم ميناه على امتناع حوادث لا أول لها ، وهذا الدليل يعم جميع الحوادث ، سواء قدرت قائمة بجسم أو بغير جسم ، ان قدر وجوده . ومن قال بأن النفس لها تصورات وارادات لا بداية لها : فانه يقول بدوام الحوادث ، ومن قال من المتأخرين : ان المتكلمين لم يقيموا دليلا على حدوث سوى الأجسام . فهو - مع فساده - انما أراد كونهم لا يشبتون موجودا ممكنا غير الأجسام والأعراض ، والا فبتقدير ثبوته - وقيل : ان ذلك الممكن لا يخلو عن الحوادث ، وقيل مع ذلك : ان مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث - لزم حدوثه . والنفس / عند مثبتيتها - الذين قالوا : لا تخلو عن التصورات والارادات المتعاقبة - لا تخلو عن الحوادث (١) .

ظ ٤٩

وان ادعى مدع أن تلك النفس عقل مجرد ؛ لا يقوم به حادث : فهذا غير ما ذكره ، ثم يبطل عليهم من وجوه آخر ؛ وحصول التفاتها الى الهيولى ، وتعلقها

= / فقال الملحد ، في باب المثل الذي أراد أن يثبت به الحركة الفلتية التي أبدعها : هل تسرى هذا القاضي قاعدا مع الأمير ؟ قلت نعم .

قال : رأيت لو أنه تناول طعاما رياحيا ، فتحركت الرياح في جوفه ، واشتدت وهو يسكها ويضبط نفسه ، وهو لا يرسلها حذرا من أن يكون لها وقع فيفتضح ، ثم تغلبه الرياح فتغلت منه ، فليست هذه حركة طبيعية ولا قسرية ، بل هي فلتية .

ويذكر أبو حاتم مناقشته هذا المثل ، ثم يقول (ص ٣١٣) : " فلما انتهى الكلام الى هاهنا ضحك حسين التمار شامتا به " ، وخجل الملحد من ضحكه ، وتشاتما ساعة ، وانقطع الكلام .

(١) الأصل (ص) : لأنها لا تخلو . وعلقت عبارة " لأنها " فوق السطر . ولعل زيادتها خطأ .

بالهولي ، فإن هذا كله يقتضي قيام الحوادث بها ، والعقل المجرد عندهم ليس كذلك ألبتة .

فتبين أن دوام الفاعلية ان كان ممكنا بطل دليل المتكلمين على حدوث الأجسام ، وان كان دوام الفاعلية متمتعا بطل قولهم بدوام حدوث تصورات و ارادات للنفس لا أول لها .

وان شئت قلت : دليل المتكلم ؛ ان كان صحيحا بطل وجود تصورات و ارادات لا بداية لها ؛ فبطل قدم النفس . وان كان باطلا أمكن دوام الفاعلية . وهذا القول مخالف لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومخالف لصريح العقل ؛ فان الرسل وأتباعهم أهل العلل متفقون على أن الله تعالى خالق لكل ما سواه ، فليس معه شيء قديم بقدمه ، لانفس ولا عقل ولا غير ذلك من الأعيان ، سواء سمي خلافاً أو دهرًا أو غير ذلك .

وقد بينا في غير هذا الموضع أن ما يثبت المتفلسفة من المجردات العقلية انما يرجع الى أمور مقدرة في الأذهان لا حقيقة لها في الأعيان ، الانفس الانسان المفارقة لبدنه بالموت ، ونحن ننبه هنا على بعض ما به يعرف فساد هذا المذهب ، وذلك من وجوه :

أحدها - أن النفس التي يثبتها الفلاسفة لا تكون نفسا الا اذا كانت متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف ، والا فاذا كانت مجردة عن التدبير سموها عقلا . فهذا الذي سموه نفسا ، وجعلوه قديما قبل حدوث شيء من الأجسام ، لا يكون عندهم نفسا ، بل عقلا ، والعقل لا يقبل الحركة عندهم بوجه من الوجوه ، ولا يلتفت الى الأجسام .

فساد مذهب
الحرثانيين من
بجوه الوجوه
الأول .

- (١) الأصل (ص) : بأن : ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) قال الغزالي في معيار العلم ، ص ٢٩٠ : " وأما النفس فهي عندهم اسم مشترك يقع على معني يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات ، وعلى معنى آخر يشترك فيه الانسان والملائكة السماوية عندهم فحد النفس بالمعنى الأول عندهم أنه كمال جسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة . وحد النفس بالمعنى الآخر أنه جوهر غير جسم ، هو كمال أول للجسم ، محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي - أي عقلي - بالفعل أو بالقوة . فالذي بالقوة هو فصل النفس الانسانية . / =

فان قال هو^١ : هذا الذي ذكرتموه طريقة المشائين : أرسطو وأتباعه ،
كالغارابي وابن سينا ، ونحن نخالف هو^٢ ؛ فنسمي المجرد نفسا وان لم
يتعلق بجسم .

قيل لهم : فحينئذ يكون قولكم فاسدا من وجه آخر ؛ وهو أن يقال :
اذا كان الرب موجبا بذاته للنفس أزلا وأبدا ولا جسم هناك : لم يكن للنفس
أحوال متجددة ، فانها عقل مجرد ، وحينئذ فلا تحدث لها تصورات
وارادات ليحدث عنها جسم ولا غيره .

فان أثبتوا النفس التي تحدث لها تصورات وارادات كالنفس الفلكية ،
والانسانية مادامت متعلقة بالبدن ، فتلك لا تكون الا مع الجسم . وان أثبتوا
عقلا مجردا عن الأجسام لم يكن هناك ما يوجب تجدد تصورات وارادات له .

الوجه الثاني - أن يقال : اذا كان الباري موجبا بذاته لهذه النفس أزلا
وأبدا ، وجب أن تكون أحوالها متشابهة أزلا وأبدا ، وامتنع أن يحدث لها
في بعض الأوقات ما يوجب التفتتها الى / الهيولى وحدوث الأجسام ؛ فان
حدوث الأمر الحادث لا بد له من سبب حادث .

وأما قولهم : يجوز أن تكون النفس قديمة أزلية ؛ ولها تصورات متجددة
غير متناهية ، ولم يزل كل سابق علة معدة لللاحق ، حتى انتهى الأمر الى
التصور الموجب لذلك التعلق ، كما قال أرسطو وأتباعه في النفس الفلكية .
فيقال : أولا - أرسطوانا قال هذا في المتعلقة بالأجسام [لا] فسي^(١)
نفس مجردة .

= / والذي بالفعل هو فصل أو-خاصة للنفس الملكية " .
وقال (ص ٢٩١) : " الموجودات عندهم ثلاثة أقسام .
أجسام ، وهي أحسبها .
وعقول فعالة ، وهي أشرفها لبراءتها عن المادة وعلاقة المادة ، حتى أنها لا تحرك المواد أيضا
الإ بالشوق .
وأوسطها النفوس ، وهي تنفعل من العقل ، وتفعل في الأجسام ، وهي واسطة ، ويعنون بالملائكة
السمائية : نفوس الأفلاك ، فانها حية عندهم ، وبالملائكة المقربين : العقول الفعالة " .
وقد شرح الفيزالي هذا الكلام ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .
(١) الأصل (ص) : انما قال هذا من المتعلقة بالأجسام في . ولعل الصواب ما أثبت .

ويقال : ثانيا - مجرد الالتزام لهؤلاء ليس بحجة عقلية ، وانما هذه حجة جدلية لاعلمية ، وغايتها افساد قول أرسطو وأتباعه ، واذنا قيل :
ما ذكرناه يدل على فساد القولين جميعا ؛ لم يكن لكم على دفع هذا حجة .
وقد بينا أن قول أرسطو وأصحابه أيضا باطل ، وأنه يتضمن حدوث الحوادث كلها بلا سبب حادث . ولو قدر أن قول أرسطو صحيح ؛ لكون الحركة الفلكية سببا لتصورات متغيرة ، لم يمكن أن يقال مثل هذا في النفس التي لم تتعلق بجسم متحرك يكون سببا لحدوث تصورات متغيرة .
وكذلك ما ألزموا به المتكلمين ليس بحجة علمية ، بل الدليل المذكور يدل على فساد القولين .

ثم يقال : ان كان حدوث الحادث بلا سبب ممكنا ، فلا حاجة الى القول بقدم النفس ولا غيرها ، بل يقال : انه تعالى أحدث كل ماسواه ، كما يقولون : انه أحدث التفاتها الى الهيولى ، وان لم يكن ممكنا بطل هذا الجواب ، فظهر بطلانه على التقديرين .

وأيا فسادا فمفاعله ان كان ممكنا أمكن قول الفلاسفة ، وان كان لم يكن بطل هذا المذهب .

وأيا فكون الحوادث تحدث بمشيئته وقدرته أعظم في الكمال من كونها تحدث بسبب محدث من قديم معه .

الوجه الثالث - أن يقال : هذا المذهب مبني على اثبات دهر غير مقدار الحركة وخلافاً موجود ، وهذا باطل عند جمهور العقلاء . ومن قال ببعض ذلك من المسلمين فانه يجعله مخلوقا لله تعالى ، لا يقول : انه قديم مع الله سبحانه .

الوجه الرابع - أن تلك القدماء ، ان قيل : " انها معلولة للبارئ " فقد تقدم أن كل ما كان مفعولا لغيره لا يكون الا محدثا ، وأنه يتمتع وجود ممكن قديم أزلي .

(١) الأصل (ص) : وغايتها قول . ووضع سهم بعد كلمة " وغايتها " وكتب في الهامش : عبارة " فساد صح " ولعل الصواب ما أثبت .

وهؤلاء* ذكروا أنهم فروا من هذا المحذور ، وأنه بقولهم زالت اشكالات الطائفتين ، وذكروا اشكال المتكلمين ؛ أنهم قالوا: " لو كان العالم قديما لكان غنيا عن الفاعل ، وهذا باطل قطعا ؛ لما نرى أن آثار الحكمة ظاهرة في العالم " (١).

وهذا الذي ذكره المتكلمون هو حق في نفسه ، يقر به عامة العقلاء من الأولين والآخرين ، حتى أرسطو وأتباعه. وانما خالفت شذمة من المتفلسفة كابن سينا وأمثاله ، الذين ادعوا وجود قديم مفعول .

وهؤلاء* الحرثانيون ادعوا أن في قولهم خلاصا من هذا الاشكـال ؛ لقولهم بحدوث الأجسام ، وليس الأمر كما ظنوه ؛ فانهم أثبتوا خمسة قداماء : الباري والنفس والهيولى والدهر والخلاء ، فان قالوا : ان الأربعة مفعولة للرب تعالى . لزمهم أن يكون القديم مفعولا ، فقد زعموا أنهم تخلصوا من هذا الاشكال وهم لم يتخلصوا منه .

ظ . ه / وان قالوا : ليست مفعولة للرب تعالى ، بل كل منها واجب الوجود لنفسه : كان هذا أبلغ في الفساد ، ولزم من ذلك أن يكون الوجود الواجب بنفسه مؤثرا في الوجود الواجب بنفسه ؛ حيث أثرت النفس في الهيولى ، والهيولى في النفس ، والبارى أثر فيهما ، فيكون الواجب بنفسه مدبراً مصنوعا ، وهذا يستلزم فقره وحاجته الى غيره المناني لوجوده بنفسه ، وأن تكون الهيولى واجبة الوجود بنفسها ، فتكون الأعيان كلها واجبة الوجود بنفسها ، وقد حدث فيها من الحركات والأعراض والتأليف ما ليس له سبب ، وفي هذا القول من اللوازم الفاسدة ما يطول وصفه .

الوجه الخامس الوجه الخامس - أن يقال : ان كان الرب تعالى غير قادر على منعها عن التعلق : لزم عجزه ، وان كان قادرا لزم انتفاء حكته ؛ حيث مكنها من التعلق المذموم الضار لها .

(١) تقدم هذا ، ص ٢٤٢ . في النص المنقول عن " المحصل " لأبي عبد الله الرازي .

(٢) الأصل (ص) : قد . وزدت الفاء .

وقولهم : انه علم أن الأصلح لها التعلق ، وأنه علقها لتنال الفضائل العقلية - تناقض منهم ؛ فانه على هذا التقدير يكون تعلقها خيرا من عدم تعلقها ، وحينئذ ينبغي أن يعلقها البارى باختياره ، لا تتعلق بغير اختياره . فهم يقولون : انما سعادتها في عدم التعلق ، وشقاوتها في التعلق ، ويجعلون ذلك من صفاتها اللازمة لها ، والصفات اللازمة لا تتبدل .^(١)

واذا قالوا : بل تارة تكون مصلحتها في التعلق بالبدن ، وتارة في التجريد عنه - كان هذا من أقوال جماهير أهل الملل وغيرهم ، وأمكن أن يقال : بل تعاد الى أبدان تبقى فيها ، ويكون ذلك أصلح لها .

وأمكن أن يقال : اذا كانت انما تكسب الفضائل بتعلقها بالبدن فدوام هذا التعلق يقتضي دوام فضائلها وكمالها .

وأمكن أن يقال : لها تعلقان : تعلق تكسب به مايعدها للسعادة ، وتعلق تكون به سعيدة سعادة دائمة أبدية . وتام البسط على فسار هذه الأقوال له موضع آخر .

فان قيل : فهب أن الأمر كذلك ، لكن كونه فاعلا للشيء المعين بعد أن لم يكن - أمر حادث ، فلا بد له من سبب حادث .

قيل : الكلام والفعل الذى لا يمكن الا متعاقبا : يكون متكلما وفاعلا له شيئا بعد شيء ، وهو سبحانه الفاعل لجميع ما يكون ، لكن يمتنع وجود الثاني مع الأول الذى ينافيه وينافى لوازمه ، والمنتنع لذاته ليس بشيء ، فلا يدخل في عموم ماتناولته القدرة ، ولا يجوز أن تتناوله الارادة .

والشيء يكون مستنما اما لامتناعه في ذاته ، واما لاستلزامه المنتنع في ذاته ، ومعلوم أن ما خلقه الرب تعالى فلا بد أن يخلق لوازمه التي لا يوجد الا بها ، وأنه لا يخلق الا في حال عدم أضداده التي لا يجتمع هو وهي نسي آن واحد ، واذا لزم تحقق لوازمه وانتفاء أضداده كان وجوده بدون ذلك مستنما .

وحيثئذ فاذا صار الفعل والمفعول ممكنا بعد أن كان مستمتعا - لم يكن ذلك لامتناع ذاته ، بل لا مكان لوازمه ، وانتفاء موانعه ، التي هي شروط فيه ، وعدم المانع حصل بانقضاء الفعل الأول ، وأمكن حينئذ حصول الثاني بلوازمه ، ولم يكن عدم المانع جزءا من المؤثر ، بل كان مستلزما كمال التأثير .

ج (٥) عود للكلام عن ابن سينا وأمثاله

/ وانما صار هذا يحكى في كتب النظر، لما ظهر قول هؤلاء المتفلسفة المنتسبين الى الملل : كابن سينا وأمثاله ؛ فأظهروا هذا القول المركب من قول سلفهم الدهرية القائلين بقدم العالم ، ومن قول جماهير الأمم : أهل الملل وغيرهم باثبات رب العالمين .

والا فأرسطو وأتباعه ليس في كتبهم اثبات علة للفلك ، وانما فيه اثبات علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ، فقولهم ، وان كان أشد فسادا في العقل والشرع من قول ابن سينا ، فليس فيه المكابرة بأن الممكن المفعول يكون قديما أزليا .

وهؤلاء انما احتاجوا الى هذه المكابرة لما رأوا أن اثبات صانع العالم أمر لا بد منه ، وأرادوا أن يضموا ذلك الى كون الفلك قديما ، فجمعوا بين المتناقضين .

ومما بين هذا أن الفلاسفة : أرسطو وشيعته ، عندهم " أن يفعل " هو من جملة الأعراض ، وكذلك " أن ينفعل " ^(٢) والوجود عندهم ينقسم الى جوهر وعرض ، والأجناس العالية عندهم عشرة : الجوهر ، والأعراض التسعة : الكم ، والكيف ، وأين ، ومتى ، والاضافة ، والملك ، وأن يفعل ، وأن ينفعل ، والوضع . وقد جمعت في بيتي شعر ، وهما :

(١) الأصل (ص) : أمرا .

(٢) الأصل (ص) : وكذلك أن يفعل الوجود . ولعل الصواب ما أثبتته .

زيد ، الطويل ، الأسود ، ابن مالك ، : في داره ، بالأُس ، كان يتكسي ،

في يده سيف ، نضاه ، فانتضى ، : فهذه عشر مقولات سـ (١)
(٢)

والحركة عندهم اسم جنس ، تتناول الحركة الكم والكيف والأين والوضع . (٣)

(١) الأصل (ص) : عشرة .
(٢) قال الفيزالي في " معيار العلم " ، ص ٣١٣ : " اعلم أن الموجود ينقسم بنوع من القسمة الى الجوهر والعرض . . . ونريد بالجوهر الموجود لا في موضوع ، ونريد بالموضوع المحل القريب الذي يقوم بنفسه ، لا بتقويم الشيء الحال فيه ، كاللون في " الانسان " ، بل في " الجسم " ، فان ماهية الجسم لا تتقوم باللون ، بل اللون عارض يلحق بعد قوام ماهية الجسم بذاته .
والأعراض التسعة عرفها ابن سينا في كتاب النجاة ١ / ٨٠ - ٨٢ والفيزالي في معيار العلم ، ص ٣١٧ - ٣٢٧ هكذا :

الكم : هو الشيء الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزىء وهو اما أن يكون متصلا ، ان يوجد لأجزائه بالقوة حد مشترك تتلاقى عنده وتتحد به كالنقطة للخط ، والآن الفاصل للزمان الماضي والمستقبل ، واما أن يكون منفصلا لا يوجد لأجزائه ذلك بالقوة ولا بالفعل كالمعدن .
الكيف : هو كل هيئة قارة في جسم لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة في أجزائه ولا لجملته اعتبار يكون به ذا جزء ، مثل البياض والسواد .
الاضافة : هو المعنى الذي وجوده بالقياس الى شيء آخر ، وليس له وجود غيره ، مثل الأبوة بالقياس الى البنوة .

الأين : هو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ، ككون زيد في السوق .
متى : هو كون الجوهر في زمانه الذي يكون فيه ، مثل كون هذا الأمر أس .
الوضع : هو كون الجسم بحيث تكون لأجزائه بعضها الى بعض نسبة في الانحراف والمساواة بالقياس الى الجهات وأجزاء المكان ان كان في مكان مثل القيام والقفود .
والملك : هو كون الجوهر في جوهر آخر يشمله وينتقل بانتقاله ، ومنه ماهو طبيعي كالجلد للحيوان والخف للسلحفاة ، ومنه ماهو ارادى كالقميص للانسان .
أن يفعل : هو نسبة الجوهر الى أمر موجود منه غير قار الذات ، بل لا يزال يتجدد ويتصمم كالسخين والتبريد .

أن ينفعل : هو نسبة الجوهر المتغير الى السبب المغير ، ويقال : نسبة الجوهر التي حالة فينه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن .

ويقول الفارابي في كتاب " الحروف " ، ص ٦٢ - ٦٣ عن المقولات : " والذي ينبغي أن يعلم أن أكثر الأشياء المطلوبة بهذه الحروف ، وما ينبغي أن يجاب به فيها ، فيسميه الفلاسفة باسم تلك الحروف أو باسم مشتق منها ، . . . وكل معنى معقول تدل عليه لفظة ما يوصف به شيء من هذه المشار اليها فانا نسميه مقولة . . . " .

ويقول (ص ٧٢) : " وانما أخذت الأنواع التي تشتمل عليها مقولة مقولة من هذه المقولات ، ورتبت بأن يجعل الأخص فالأخص منها تحت الأعم فالأعم تنتهي " الأنواع " التي في كل واحد منها الى " جنس عال " ، وتكون عنده الأجناس عشرة على عدد المقولات ، فأعلى جنس يوجد في الأنواع التي تعرفنا في مشار اليه كم هو ؟ يسمى " الكمية " ، وأعلى جنس يعم جميع الأنواع التي تعرفنا في مشار اليه كيف هو ؟ يسمى " الكيفية " . . . الخ .

(٣) تكلم ابن سينا في كتاب " النجاة " ٢ / ١٠٥ - ١٠٧ عن معنى الحركة ، وكيفية وقوعها في بعض هذه الأجناس ، ومما قال : " . . . وقد ظهر أن كل حركة ففي أمر يقبل التنقص والتزيد . . . وأمسأ الكمية " فلأنها تقبل التنقص والتزيد فخليق أن يكون فيها حركة ، كالنمو والذبول والتخلخل / =

وحينئذ فيجب اذا كان الرب تعالى فاعلا أن يقوم به أمر وجودي ، وهو " أن يفعل " ، فيمتنع أن يكون فاعلا بدون أمر وجودي يقوم به ، فانه اذا كان ماسواه من الفاعلين ؛ لا يكون فعله الا وجوديا : فالفاعل لجميع الممكنات أولى أن فعله [لا يكون الا ^(١)] وجوديا .

والحركة لا تكون الا شيئا فشيئا ^(٢) ، يمتنع حركة قديمة الأجزاء ، بل كل جزء من أجزائها حادث بعد الآخر . وهم متنازعون في المتحركات : هل تنتهي الى محرك لا يتحرك ؟ على قولين :

فالأساطين قبل ^(٣) أرسطو يقولون : لا بد أن يكون المحرك لها متحركا ؛ لأن التحريك فعل ، والفعل مستلزم للحركة ، أو هو الحركة ، فيمتنع أن يكون محرك غير متحرك .

وأرسطو وأتباعه اذا أثبتوا محركا لا يتحرك فلم يقولوا : انه علة فاعلة للحركة ، بل يقولون : ان المتحرك - وهو الفلك - لما [كان] تحركه للتشبيه به ، صار الأول مع الفلك بمنزلة المحبوب مع محبه : الذي يحب أن يقتدى به ويتشبه به ، فالمحب ^(٦) المقدي المتشبه الذي يتحرك لأجل التشبه بالمقتدي ^(٧) به المتشبه [به] ^(٨) - يتحرك لأجل المحبوب ، وان كان المحبوب لا يشعر بذلك ، ولا يفعل شيئا من حركة المحب ، بل ولا يقدر على ذلك .

= / والتكاتف . . . ، وقد توجد الحركة في " الكيفيات " فيما يقبل التنقص والاشتداد كالتبويض والتسود . . . ، فأما " الأين " فان وجود الحركة فيه ظاهر جدا . . . ، وأما " الوضع " فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه .

فان لا حركة بالذات الا في الكم ، والكيف ، والأين ، والوضع ، فالحركة هي ما يتصور من حال الجسم ، لخروجه عن هيئة قارة يسيرا يسيرا ، وهو خروج عن القوة الى الفعل ممتدا لا دفعة ، بل الحركة كون الشيء بحيث لا يجوز أن يكون على ما هو عليه من أينه وكمه وكيفه ووضعه ، قبل ذلك ولا بعده ، والسكون هو عدم هذه الصورة فيما من شأنه أن يوجد فيه .

(١) لا يكون الا : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي زيادتها .

(٢) فشيئا : رسمت في الأصل (ص) هكذا : مسسا . بدون نقاط .

(٣) الأصل (ص) : قيل ، والصواب ما أثبتته .

(٤) الأصل (ص) : فلم يقول ، والصواب ما أثبتته .

(٥) الأصل (ص) : لما تحركه ، والصواب ما أثبتته .

(٦) الأصل (ص) : كالمحب . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٧) الأصل (ص) : المقدي : بسقوط الباء .

(٨) به : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اضافتها .

ومعلوم أن المحبوب بمجرد كونه محبوبا لا يكون مبدعا للمحب ، فاعلا له ، خالقا له ، بل كونه خالقا فاعلا له أمر غير محبوبا له . ولهذا كان قول الأساطين القدماء مخالفا لأرسطو وأمثاله في هسذا ؛ فانهم قالوا : انه لا يحرك غيره الا بحركة [تقوم ^(١)] بنفسه ، وقالوا : ان العلة الأولى تقوم بها الحركة ، ولولا ذلك لامتنع أن يفعل شيئا ، أو يحرك شيئا . وانا كان الفاعل لا يفعل الا ما يكون حادثا شيئا بعد شيء ، وكل ماسوى الرب مفعول له ، فكل ماسواه حادث ، / وليس للدهرية حجة تدل على قدم شيء من العالم أصلا ، ولكن حجبتهم انما تدل على دوام الفاعلية .

ظ ٥١

ثم لما ناظرهم الجهمية والقدرية ؛ وادعوا أن الرب لم يزل غير متمكن من أن يفعل ويتكلم بمشيئته ، ثم صار متمكنا ^(٤) من أن يفعل [ويتكلم ^(٥)] بمشيئته وقدرته ، اما كلاما مخلوقا له على قول المعتزلة وغيرهم ، واما قائما به على قول الكرامية وغيرهم - تسلط عليهم أولئك الدهرية ، وقالوا : هذا يستلزم أنه صارت المفعولات والفعل ممكنة بعد أن كانت ممتنعة من غير سبب أو جيب ^(٦) ذلك ، وأنها انتقلت من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي من غير سبب . بل وشنع عليهم أئمة السنة وغيرهم من المسلمين بأن هذا يستلزم أن يكون الرب صار قادرا على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادرا عليه من غير سبب يوجب ذلك ، وفيه وصف الرب تعالى بعدم القدرة في الأزل ، وفيه أن القدرة تجددت له من غير سبب يوجب تجدها .

الالتزام الجهمية
وأتباعهم نفي
مناظرة هؤلاء
معان فاسدة

فالتزمت المتكلمة من الجهمية والقدرية ومن اتبعهم من الكرامية والكلابية وغيرهم

- هذا المعنى ، وقالوا : نقول : انه كان قادرا في الأزل على الفعل فيما لا يزال .

- (١) تقوم : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اضافتها .
- (٢) الأصل (ص) : الفعل ، ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٣) ويتكلم : كتبت في الأصل (ص) معلقة فوق السطر .
- (٤) الأصل (ص) : متكلم . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٥) ويتكلم : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافتها .
- (٦) الأصل (ص) : صار .

فقليل لهم : اذا كان هذا الفعل في الأزل متمتعا عندكم : امتنع أن يكون مقدورا في الأزل ، فان المقدور لا بد أن يكون ممكنا ، فاذا أثبتتم قادرا في حال يمتنع فيها مقدوره : كنتم قد جمعتم بين النقيضين ؛ وحقيقة قولكم أنه فسي الأزل قادرا ليس بقادر .

وقالوا لهم : امكان الفعل والاحداث لا أول له ، فانه مامن وقت يفرض فيه - ^(١) الفعل الا والاحداث فيه ممكن ، فحينئذ لم يزل الفعل ممكنا ؛ فلم يزل قادرا على الفعل .

قالوا : اذا قلنا : الفعل بشرط كونه مسبوقا بالعدم لا أول له - لم يكن لهذا الامكان بداية ، مع أنه لا يستلزم دوام الفعل ؛ فانا قد شرطنا أن يكون مسبوقا بالعدم .

فقال لهم الناس : أنتم قدرتم تقديرا جمعتم فيه بين النقيضين ، فانكم قلتم : ماهو مسبوق لا أول له ، وما لا أول له لم يسبقه شيء . فاذا جعلتموه لا أول له ، وقلتم : انه مسبوق بالعدم - جمعتم بين النقيضين .

وقد يعبرون عن هذا : ان امكان الأزلية غير أزلية الامكان ، أو بأن صحة الأزلية غير أزلية الصحة ، وأنه لا يستلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر .

فقال لهم الناس : بل هذان المعنيان ملازمان ، واذا كانت الأزلية ممكنة فالامكان أزلي ، واذا كان الامكان أزليا فالأزلية ممكنة ، فانه اذا كان امكان الفعل أزليا لم يزل كان امكان الفعل دائما أبدا ، فلا أول لامكان ^(٢) الفعل ، وهذا هو أزلية امكان الفعل ، وهو يستلزم امكان أزلية الفعل ؛ فانه يتضمن أنه لم يزل الفعل ممكنا ، وهذا هو المراد بامكان أزلية الفعل ، وهو امكان دوام الفعل ، وامكان كون الفاعل لم يزل فاعلا .

(١) الأصل (ص) : يفرضه الفعل .

(٢) الأصل (ص) : لامكان لامكان . مكررة .

فقال متكلمة الجهمية والقدرية : والاحداث والفعل لا يعقل الا مسبوقا بالعدم ؛ فان معنى كون الشيء مفعولا هو معنى كونه محدثا ؛ والمحدث لا يكون الا مسبوقا بالعدم .

فقال أهل السنة - الذين ليس في قولهم / ما يناقض صريح المعقول ولا صحيح المنقول - : هذا الكلام حق أيضا ، وهو دليل على بطلان قول الفلاسفة الدهرية ، الذين يقولون : انه قديم وهو مفعول للرب . فان كل ما هو مفعول فهو محدث ، لكن فرق بين حدوث نوع الفعل والكلام وحدث عين الفعل والكلام - بأنا نعقل أن كل ما يفعله فلا بد أن يكون متقدما عليه ، ونعقل أنه يمكن أنه لم يزل فاعلا متكما ، ونعقل أنه يمكن دوام كونه متكما فعلا ، وأن تكون كلمات لانهاية لها ؛ كما قال تعالى : (قل لو كان البحر مدارا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمطه مدارا^(١)) . وقال تعالى : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم)^(٢) .

ولهذا نعقل أنه سبحانه يفعل ويتكلم ، وان كان كل واحد من أعيان ذلك ينقضي وينفد ، وجنس الفعل والمفعول لا انقضاء له ولا نفاذ ؛ كما قال تعالى : (أكلها داءم وظلها^(٤)) ، وقال تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاذ^(٥)) ؛ فالجنس داءم لا نفاذ له ، وان كان كل من أجزاء الأكل والرزق له نفاذ ، وهو لا يدوم .

والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكان عرشه على الماء^(٦) ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن

(١) سورة الكهف : ٩٠ . وفي الأصل (ص) سقطت كلمة " قل " من بداية الآية .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

(٣) الأصل (ص) : يعصى . بلانقاط ، وهو تحريف .

(٤) سورة الرعد : ٣٥ .

(٥) سورة ص : ٥٤ . وفي الأصل (ص) : سقطت كلمة " ان " من بداية الآية .

(٦) في سورة هود : ٧ (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) .

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء^(١)). وفي صحيح البخاري عن عمران بن الحصين: أن أهل اليمن جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: جئناك لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر. فقال: (كان الله ولم يكن شيء^(٢) قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء^(٣)، ثم خلق السموات والأرض).

(١) روى مسلم في صحيحه ٢٠٤٤/٤ رقم ٢٦٥٣ كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء). ورواه مسلم، والترمذي في سننه (تحفة الأحمدي ٣٧٠/٦) القدر، باب حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو عاصم... وأحمد في مسنده (ط. المعارف) ١١٤/١٠ رقم ٦٥٧٩، دون قوله: (وعرشه على الماء)، وأول الحديث عند الترمذي وأحمد (قدر الله المقادير...).

(٢) الأصل (ص): شيئاً.

(٣) في صحيح البخاري (فتح الباري ٤٠٣/١٣ رقم ٧٤١٨) كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) عن عمران بن حصين قال: أتيت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم)، قالوا: بشرتنا فأعطانا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان. قال: (كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء).

والحديث في صحيح البخاري (فتح الباري ٢٨٦/٦ رقم ٣١٩١) كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قول الله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده...) سورة الروم ٢٧، بلفظ (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض).

وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٨٩/٦: "وفي رواية غير البخاري (ولم يكن شيء معه) ولم يعين هذا الفير.

والحديث في مسند الإمام أحمد (ط. الحلبي) ٤٣١/٤ - ٤٣٢، ولفظه (كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح ذكر كل شيء).

[وقد بسطنا هذا في موضع آخر ^(١)] ، وذكرنا هذا الحديث الذي في البخارى وغيره ، وبيننا أن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله :
(كان الله ولم يكن شيء قبله) ^(٢) ، كما دل على ذلك القرآن بقوله :
(هو الأول والآخِر والظاهر والباطن) ^(٣) ، وكما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : (أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء) ^(٤) .
وجواب سؤال السائلين لشرح هذه العقيدة المختصرة ^(٥) ، لا يحتمل البسط المكتوب في غير هذا الموضع .

فصل

وكذلك ما يستدلون به على اثبات الصانع سبحانه وتعالى ؛ فان من الناس طرق أهل الكلام في اثبات الصانع من يستدل بإمكان الأجسام ، ومنهم من يستدل بحدوثها ، ومنهم من يستدل بإمكان صفاتها ، ومنهم من يستدل بحدوث صفاتها .
وقد ذكر الرازي وغيره هذه الطرق الثلاث وذكر الطريقة الرابعة ^(٦) . والطرق

- (١) مابين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، وما بعده يقتضي اضافته .
- (٢) لابن تيمية رسالة تسمى " شرح حديث عمران بن حصين " نشرت غير مرة ، أحدها ضمن " مجموع فتاوى شيخ الاسلام " ط . الرياض ١٨ / ٢١٠ - ٢٤٣ .
- (٣) سورة الحديد : ٣ .
- (٤) هذا بعض دعاء ورد في حديث رواه أبو هريرة ، وجاء في بعض رواياته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوله عند النوم ، وفي بعضها أنه صلى الله عليه وسلم أمر بأن يقال عند النوم .
أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٠٨٤ رقم ٢٧١٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، بسباب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ٣٩٢) كتاب الأدب ، باب ما يقول عند النوم ؛ والترمذى في سننه (تحفة الأئمة ٩ / ٣٤٣ - ٣٤٥) كتاب الدعوات ، باب ماجاء في الدعاء اذا أوى الى فراشه ؛ وابن ماجه في سننه ٢ / ٢٥٩ - ١٢٦٠ كتاب الدعاء ، باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأحمد في المسند (ط . الحلبي) ٢ / ٣٨١ - ٤٠٤ ، ٥٣٦ .
- (٥) الأصل (ص) : المتحصره . وهو تحريف .
- (٦) انظر في ذلك كتاب " الأربعين " للرازي ، ص ١١ وما بعدها ، وانظر ص ٧٠ حيث يقول : " ان الطريق الى اثبات الصانع تعالى ليس الا احتياج أجسام هذه الموجودات المحسوسة الى موجود آخر غير محسوس ، ومتشأ تلك الحاجة على قول بعضهم هو الامكان ، وعلى قول آخرين هو الحدوث ، وعلى قول ثالث هو مجموع الامكان والحدوث ، ثم هذه الأمور الثلاثة اما أن يعتبر في الذات أو في الصفات أو في مجموعهما أو بالعكس ، فالمجموع طرق ستة " ثم فصل الكلام في هذه الطرق .

الأولى الثلاث هي طرق صحيحة اذا قرر امكان بعض ذلك وحدث بعض ذلك ، فأما مع طلب تقرير عموم الامكان والحدوث فهو الذى قنح فيه الناس ، كما أن / الطريقة الرابعة انما هي مبنية على حدوث بعض ذلك .

ظ ٥٢

لكن يكون في ذلك تطويل لا تحتاج اليه الفطر السليمة ، وان كان قد ينتفع به ، بل يحتاج اليه بعض الناس ؛ ان من الناس من قد ينتفع بالطرق الطويلة الخفية أكثر من الطرق القريبة الجليلة . وذلك لأن دلالة الحدوث على المحدث أظهر من دلالة الامكان على الواجب ، ودلالة مايشهد حدوثه أظهر من دلالة مايستدل على حدوثه ؛ فكان الاستدلال بما يشاهد من الحدوث أبين الطرق ، وهذه هي الطريقة الرابعة التي يسمونها حدوث الصفات .

وهذه الطريق وان كانت صحيحة ، فطريقة القرآن العزيز أكمل منها ؛ فانه سبحانه يستدل بحدوث الأعيان ، وذلك أكمل ، مع ما في القرآن من الطرق الكثيرة التي يبين بها ربوبية الرب تعالى ومشيئته وقدرته تارة ، ورحمته وعنايته واحسانه والسهية وحكمته تارة .

وأيضاً فطريقة القرآن^(١) يستدل فيها بالآيات أو بقياس الأولسى ، وأولئك انما يستدلون بالقياس ، وذلك لا يدل الا على أمر كلي مشترك ، لا يدل على المطلوب .

وانما ذكر أولئك حدوث الصفات لاعتقادهم أن مايشهده من الجواهر انما هو صفات ؛ بناءً على اثبات الجوهر الفرد ، وأن الحدوث انما هو اجتماع الجواهر واقتراقها . وهذا قول المثبتين للجوهر المفرد^(٢) ، فان مذهبهم أن جميع مايشهد

(١) الأصل (ص) : بطريقة . ولعله تحريف .

(٢) قال بالجواهر الفرد جمهور المعتزلة وجميع الأشاعرة ، ويسمونه أيضاً " الجزء الواحد " و " الجزء الذى لا يتجزأ ، أو لا ينقسم " .

قال الجرجاني في تعريفه [كتاب التعريفات ، ص ٧٨] : " الجزء الذى لا يتجزأ جوهر ذو وضع لا يقبل الانقسام أصلاً ، لا بحسب الخارج ، ولا بحسب الوهم أو الفرض العقلي ، تتألف الأجسام من أفرادها بانضمام بعضها الي بعض " .

وانظر كتاب الانتصار للخياط المعتزلي ، ص ٣٣ - ٣٦ ؛ مقالات الاسلاميين للأشعري ٢ / ٤ - ٨ نهاية الاقدام للشهرستاني ، ص ٥٠٥ - ٥١٤ ؛ الأربعين للرازي ص ٢٥٣ - ٢٦٤ . وانظر الفصل لابن حزم ٥ / ٩٢ - ١٠٦ ؛ وانظر مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود للدكتور س . بينيس ، ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة .

حدوثه انما هي صفات للجواهر : من اجتماع وافتراق ، وحركة وسكون .
وهذا قول فاسد ، والصواب أنا ندرك نفس حدوث أعينان هي أجسام ،
كما نشهد حدوث الحيوان والنبات والمطر والسحاب وغير ذلك ، وأن الأجسام
يستحيل بعضها الى بعض ، لا أن هناك جواهر منفردة باقية تعتقب عليها
الصفات ؛ فان القول باثبات الجوهر الفرد باطل ، كما ان القول باثبات
الجواهر العقلية في الخارج - التي هي العقل والنفس والمادة والصورة - باطل .^(١)
ودعوى كون الأجسام مركبة من مادة وصورة هما جوهران قائمان
بأنفسهما - باطلة ، وكذلك دعوى وجود جوهر متحيز ، لا يتميز منه يمين عن
شمال - باطلة ، وكذلك دعوى قبول الأجسام الانقسام الى غير نهاية -
باطلة .

بل الأجسام اذا فرقت تنتهي الى أجزاء صغيرة تستحيل الى غيرها
اذا انتهى صفرها ؛ كما نشهد في أجزاء الماء اذا صفرت بأنها تستحيل
هواء ، فلا تبقى ، ولا تكون بحيث لا يتميز منها جانب عن جانب ، واذا تعذر
بقاؤها بعذر قبولها للانقسام الفعلي ، فمن قال : انها تقبل الانقسام الى
غير نهاية بالفعل - أخطأ ، ومن قال : انها تنتهي الى جوهر فرد لا يتميز منه
جانب عن جانب - أخطأ ، والصواب أنها اذا انتهى صفرها استحالت الى
غيرها ، وقد تستحيل قبل صفرها . والقول باستحالة الأجسام بعضها الى بعض هو
قول الفقهاء والأطباء وكثير من أهل الكلام وجمهور العقلاء .

(١) في كتاب "المواقف" للايجي ، ص ١٨٢ قال الحكماء : الجوهر ان كان حالا فصورة ، وان كان
محلا لها فهويولى [أى مادة] ، وان كان مركبا منهما فجسم ، والا فان كان متعلقا بالجسم
تعلق التدبير والتصرف فنفس ، والا فعقل ، وهذا بناء على نفي الجوهر الفرد . . . وقال
المتكلمون : لا جوهر الا المتحيز ، فاما أن يقبل القسمة وهو الجسم ، أو لا يقبلها وهو الجوهر
الفرد .

(٢) بأنفسهما : كذا في الأصل (ص) ، ولعل في الكلمة تحريفا ، وأصلها :
بنفسهما .

وقد بسط الكلام على مسألة " الجوهر الفرد " وبيان انتفائه ، والجواهر المجردة العقلية وبيان أنها ثابتة في الذهن لا في الخارج . وكذلك بينا أن أكثر النظائر لا يقولون بالجوهر الفرد / الحسي ؛ ولا بالجوهر الفرد العقلي في الخارج ، بل بنفيهما جميعاً ^(١) قال الهشامية والنجارية والضرارية والكلابية وكثير من الكرامية وغير هو^٢ * من طوائف النظائر .

وانما المقصود هنا التنبيه على مبادئ الطرق بحسب ما يليق بهـذا الموضع ، والله أعلم بأن هذه المواضع من دقيق مسائل النظائر ؛ التي هي من محارات العقول ؛ التي اضطرب فيها أكثر الخائضين في ذلك ، وأكثر من تكلم فيها لا يعرف الا قولين أو ثلاثة أو أربعة ، ويظن أن ذلك مجموع أقوال الناس ، ولا يكون الحق في تلك الأقوال التي يعرفها ، بل في غيرها . كما يصيبهم مثل [ذلك] ^(٢) فيما يحكونه من المقالات في مسائل " كلام الله " و " أفعاله " و " النبوات " و " المعاد " وغير ذلك ، تجد أكثر أهل الفلسفة والكلام يذكرون في المسألة عدة مقالات لا يعرفون غيرها ، والقول الصواب لا يعرفونه ، ولهذا كان المقتدى بهم في طريقهم انما ينتهي الى الحيرة والشك ، والى تقليدهم فيما أخطأوا فيه . ^(٣)

ومسألة " الجوهر " من هذا وهذا ، ولهذا صار كثير من أعيانهم يصل فيها الى الوقف ^(٤) والحيرة ؛ كأبي الحسين البصري ^(٥) ، وأبي المعالي الجويني

-
- (١) الأصل (ص) : قول ، ولعل الصواب ما أثبتته .
 (٢) ذلك : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .
 (٣) الأصل (ص) : فيما أخطأ فيه .
 (٤) الأصل (ص) : الوقف . وهو تصحيف .
 (٥) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب ، من شيوخ المعتزلة ، بصرى سكن بغداد ومات بها سنة ٤٣٦ هـ ، وكان ذكيا صاحب تصانيف .

انظر عنه : تاريخ بغداد ٣ / ١٠٠ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٥٣ - ٥٤ ؛ العسبر ٣ / ١٨٧ ؛ لسان الميزان ٥ / ٢٩٨ ؛ الأعلام ٦ / ٢٧٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ٨٦ - ٨٧ .

وأبي عبدالله الرازي وغيرهم^(١) .

ولم [تكن هذه الطرق شرعية ، بل بدعية^(٢)] ، لأن معرّفة الله ورسوله لا تتوقف على هذه المسائل ، ولأن كثيراً^(٣) من النظار اعتقدوا أن هذا من أصول الدين وقواعد الايمان فتكلموا في ذلك بالكلام الذي نزه السلف والأئمة . وهوؤلاء هم الجهمية من المعتزلة ومن اتبعهم ، وأصل كلامهم أنهم قالوا : لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف اثبات الصانع ، ولا يعرف اثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم ، ولا يعلم حدوث العالم الا بما به يعلم حدوث الأجسام .

ثم استدلوا على حدوث الأجسام بطرق : أحدها - أنه لا يخلو عن الحوادث ، ومالم يخل عن الحوادث فهو حادث . ثم قرر فريق منهم المقدمة الأولى بأن الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان . وهذه الطريقة معروفة عن المعتزلة وغيرهم ، والرازي يذكرها في كتبه .

وآخرون قرروا ذلك بأن الجسم لا يخلو عن الأكوان : وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، والأكوان حادثة . وهذه الطريقة معروفة عن المعتزلة . وآخرون قرروا ذلك بأن الأجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق ، وهما حادثان . وهذه طريقة الأشعري وغيره ، وهذا مبني على الجوهر الفرد . فإنا قيل : ان الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، فالجواهر اما مجتمعة واما متفرقة ،

استدلال أهل
الكلام على
حدوث
الأجسام

(١) تكلم الرازي في كتابه " نهاية العقول في دراية الأصول " مخطوط بدار الكتب المصرية (علم الكلام ٧٤٨) عن الجزء الذي لا يتجزأ ، فقال (١٤٤ / ٢) " وأما المعارضات التي ذكروها ، فاعلم أن من العلماء من مال الى التوقف في هذه المسألة بسبب تعارض الأدلة ، فان امام الحرمين رضي الله عنه صرح في " التلخيص " في أصول الفقه ، أن هذه المسألة من محارات [نهاية العقول : مجازات] العقول ، وأبو الحسين البصري وهو أحدق المعتزلة توقف ، ونحن أيضاً نختار هذا التوقف ، فان لا حاجة بنا الى الجواب عما ذكره ، وبالله التوفيق ."

(٢) ما بين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ، ولعل ما أثبت يعني بالمطلوب .

(٣) الأصل (ص) : كثير .

وأما من قال : ان الأجسام ليست مركبة من الجواهر الفردة ، فإنه على قوله لا يكون الجسم ملزوما لاجتماع الأجزاء وانفراقها .
 وقرر آخرون ذلك بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من أجناس الأعراض عن واحد منها ، قالوا : لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، ثم قالوا : والعرض لا يبقى زمانين ، فتكون الأعراض كلها حادثة شيئا بعد شيء ، والأجسام لا تخلو منها .

وهذه هي الطريقة المشهورة عند الأشعرية ، وعليها اعتمد الآمدي ، وذكر أنها عدة أصحابه ، وبنى مسألة حدوث الأجسام على أن العرض لا يبقى زمانين . واعترض / طاغفة عليه كالهندي ، وقالوا : كيف تقرر هذا الأصل العظيم على مثل هذه المقدمة التي ينكرها جمهور العقلاء ؟ .

ظ ٥٣

وهذا الاعتراض صحيح ، وما ذكره الآمدي من النقل عن أصحابه صحيح ، بل كثير منهم كأبي المعالي وغيره لا يقرر أن الأجسام لا تخلو عن الأعراض ، وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده . بل يذكرها دعوى مجردة ،^(٣) فإذا تكلم عليها في مسألة " حدوث العالم " - كما ذكر في " الارشاد " - أحال على بحثه مع الكرامية ، وانا بحثها مع الكرامية لم يذكر عليها

(١) الأصل (ص) : رماس . بدون نقاط .

(٢) لا أدري من المراد ، لكن المشهور بهذه النسبة في الفترة من عصر الآمدي إلى عصر ابن تيمية هو صفي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي ، الفقيه الشافعي والمتكلم الأشعري ، صنف في أصول الفقه والدين ، ولد بالهند سنة ٦٤٤ رحل إلى اليمن سنة ٦٦٧ ثم حج ورأى ابن سبعين بمكة وسمع كلامه ، ثم دخل القاهرة في سنة ٦٧١ واجتمع مع السراج الأرموي ثم سار إلى الروم ، ثم قدم دمشق سنة ٦٨٥ واستوطنها وتوفي فيها سنة ٧١٥ ، ولما عقدت المجالس بالشام لشيخ الاسلام ابن تيمية استعين في بعضها بالصفي الهندي لمناظرة الشيخ ، ولكن كما يقول ابن كثير ساقيته لاطمت بحرا .

انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩/ ١٦٢ - ١٦٤ ؛ البداية والنهاية ١٤/ ٣٦ ، ٧٤ - ٧٥ ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/ ١٣٢ - ١٣٣ ؛ الأعلام ٦/ ٢٠٠ .

(٣) الأصل (ص) : محمودة . ولعل الصواب ما أثبتته .

حجة الا مجرد تناقضهم في عدم طردها^(١)، وهذا ليس بدليل ، بل غايته
أن الكرامية أخطاء^(٢) في بعض لوازم قولهم ، فمن لم يوافق الكرامية على ذلك
وطرد اللوازم - لم يكن هذا عليه حجة جدلية ، كما أنه ليس بحجة علمية
ألبتة^(٣) .

وأما المقدمة الثانية - وهي أن مالم يخل عن الحوادث فهو حادث -
فهو أعظم المقدمتين ، وقد تتنوع العبارات فيه ؛ فتارة يقولون : مالم يخل
عن الحوادث فلم يسبقها ، ومالم يسبق الحوادث فهو حادث . وتارة يقولون :
مالم يسبق الحوادث ، أو - مالم يخل عنها ، لا يكون الا معها أو بعدها ،
ومالا يكون الا مع الحوادث أو بعدها فهو حادث . فعمدة الدليل أن ما تارة
الحوادث - فلم يكن قبلها - فهو حادث .

ثم كثير منهم لا يقرر هذه المقدمة بناءً على ظهورها ، وذلك أنهم
يفهمون منها : أنهم يفهمون من حد " الحوادث " : التي جعلتها حادثة بعد
أن لم تكن .

ومعلوم أن مالم يسبق هذه فهو حادث ، لكن الدليل الذي ذكره
لم يدل على ذلك ، لم يدل الا على أن الأجسام مقارنة لجنس الحوادث ، لا تكون
الا ومعها حادث ، فاذا قدر أن الحوادث دائمة ، توجد شيئاً بعد شيء دائماً

(١) انظر " الارشاد " باب القول في حدث العالم حيث يقول ، ص ١٧ - ١٨ : " والجسم في اصطلاح
الموحدين المتألف ، فاذا تألف جوهران كانا جسماً ان كل واحد مؤتلف مع الثاني .
ثم حدث الجواهر يبنى على أصول ؛ منها اثبات الأعراض ، ومنها اثبات حدثها ، ومنها اثبات
استحالة تعري الجواهر عن الأعراض ، ومنها اثبات استحالة حوادث لا أول لها ، فاذا ثبتت
هذه الأصول ترتب عليها أن الجواهر لا تسبق الحوادث ، ومالا يسبق الحادث حادث " .
وانظر ص ٢٢ - ٢٥ قوله : " وأما الأصل الثالث فهو تبين استحالة تعري الجواهر عن
الأعراض . . . الخ " .

ثم انظر : " فصل في أن الله ليس جسماً خلافاً للكرامية " ؛ حيث يقول ، ص ٤٣ : " ان سميتم
الباري تعالى جسماً وأثبتتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين : اما نقض دلالة حدث
الجواهر ؛ فان منهاها على قبولها للتأليف والتماسة والمباينة ؛ واما أن تطردها وتقصوا بقيام
دلالة الحدث في وجود الصانع ؛ وكلاهما خروج عن الدين ، وانسلاخ من ربة المسلمين " .

(٢) الأصل (ص) : أخطأ .

(٣) سيعود ابن تيمية للحدث عن المقدمة الأولى فيما بعد ، ص ٣١٤ .

- لم يلزم أن يكون مالم يسبقها حادثا ؛ فلهذا صار كثير منهم يحتاجون الى بيان امتناع حوادث لا أول لها ، وهذا قطب رحى هذا المكان .
 والمقصود هنا أن قول القائل : " مالم يخل عن الحوادث فهو حادث " .
 لفظ مجمل ؛ فان مالم يخل عن حادث معين ، أو حوادث معينة ، أو عن مجموع الحوادث ، [ان ^(١)] قدر لها مجموع له ابتداء - فهو حادث باتفاق العقلاء . وكذلك مالم يسبق الحادث المعين ، وكذلك مالم يخل عن حوادث محصورة ، أو لم يسبق حوادث محصورة ، أو لم يخل عن مجموع الحوادث ، أو لم يسبق - مجموع الحوادث ، ان قدر لها مجموع له ابتداء - فانه حادث باتفاق العقلاء ، فان الحادث المعين ، والحوادث المحصورة ، والمجموع الذي له ابتداء - مسبوق بالعدم ، كائن بعد أن لم يكن ، فمما [لم ^(٢)] يسبقه كان اما معه واما بعده ، لا يكون قبله ، فيجب أن يكون حادثا لا قد يما . ومالم يخل عن حادث معين ، أو حوادث محصورة ، أو عن مجموع ^(٣) له ابتداء - فانه لا يتقدمها ؛ ان لو تقدمها لخلا عنها ، والتقدير أنه ملزوم لها ، لا يخلو عنها ، ووجود الملزوم بدون اللازم ممتنع .

أقوال الناس في دوام الحوادث

وأما دوام الحوادث شيئا بعد شيء ، بحيث لا تكون لها بدايات ولا نهاية ؛ فهل هذا ممكن أم لا ؟ هذا فيه لبني آدم ثلاثة أقوال :

ج ٥٤
قولا الطائفة الأولى

فقال : انه ممتنع / مطلقا . وهذا قول المتكلمين والفلاسفة الذين استدلوا على حدوث الأجسام أو حدوث العالم بأنها مستلزمة للحوادث ، وما استلزم الحوادث فهو حادث .

ثم تنازع هؤلاء في امتناع دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي ، أو بالامتناع فيهما :

(١) ان : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
 (٢) لم : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
 (٣) الأصل (ص) : أو غير . ولعل الصواب ما أثبتته .

القول الأول

فقال اما ما هذه الطريقة : الجهم بن صفوان وأبو الهذيل العلاف: يتمتع دوام الحوادث في المستقبل ووجود حوادث لا آخر لها، كما يتمتع وجود حوادث لا أول لها. ولهذا قال الجهم بن صفوان بفناء الجنة والنار، وأن العالم يفنى كله ، وجعل الرب تعالى معطلا عن الكلام والفعل في الأزل والأبد . ولهذا كان من أعظم ما أنكره السلف والأئمة على الجهمية ، بسلكفروهم به ، قولهم بفناء الجنة والنار .

وقال أبو الهذيل تفنى الحركات ، ويبقى أهل الجنة^(١) في سكون دائم . فيقال له : إن جوزت خلو الجسم عن السكون ، وامتناع الحركة عليه في المستقبل ؛ فجوز ذلك في الماضي ، حينئذ فيمكن خلو الأجسام عن الحوادث ، فيبطل دليلك الذي عمدته أن الجسم لا يخلو عن الحوادث .

ولهذا قالت الهشامية والكرامية وغيرهم بأن الباري جسم قديم أزلي ، لم يكن متحركا ، ثم صار متحركا بعد أن لم يكن . وهو لا يلزمهم من المطالبة بسبب حدوث الحوادث ما يلزم غيرهم ، مع ما في قولهم من التجسيم الباطل ، كما قد بسط في موضعه .

القول الثاني

وقال أكثرهم : بل تدوم الحوادث في المستقبل ، دون الماضي ، قالوا : لأن هذا بمنزلة أن يقول : لا أعطيتك درهما الا أعطيتك بعده درهما ، فهذا ممكن ، وانما قال : لا أعطيتك [درهما^(٢)] حتى أعطيتك [قبله^(٣)] درهما - كان هذا مستمعا ، وهذا عمدة صاحب " الارشاد الى قواطع الأدلة " ونحوه من أهل

(١) وأهل النار أيضا ، كما أشار ابن تيمية الى مذهب أبي الهذيل فيما تقدم ، ص ١٣٩ .

(٢) درهما : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اثباتها .

(٣) قبله : ليست في الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اثباتها .

(٤) في كتاب " الارشاد " ، ص ٢٦ - ٢٧ يقول الجويني : " وضرب المحصلون مثالين في الوجهين ؛ فقالوا : مثال اثبات حوادث لا أول لها قول القائل لمن يخاطبه : لا أعطيتك درهما الا وأعطيتك قبله دينارا ، ولا أعطيتك دينارا الا وأعطيتك قبله درهما ، فلا يتصور أن يعطى على حكم شرطه دينارا ولا درهما .

ومثال ما ألزمونا أن يقول القائل : لا أعطيتك دينارا الا وأعطيتك بعده درهما ، ولا أعطيتك درهما الا وأعطيتك بعده دينارا ، فيتصور منه أن يجرى على حكم الشرط " .

الكلام ، وعليه بنو الدين الذي ذكروا أنه دين الاسلام .

فقال القادح في حجتهم : ليس هذا بتمثيل مطابق ، بل المطابق أن يقال :
ما أعطيتك درهما الا أعطيتك قبله درهما ، فهذا مثال الماضي ، ومثال المستقبل
أن يقول : ما أعطيتك درهما الا أعطيتك بعده درهما ، والعقل يسوى بسين
هذين ؛ فان كان أحدهما ممكنا كان الآخر مثله .

وأما اذا قال : لا أعطيتك^(١) حتى أعطيتك . فهو بمنزلة أن يقول :
ما أعطيتك درهما حتى أعطيتك بعده درهما ، وهذان مستنعان ؛ فانه نفى
المستقبل حتى يوجد قبله مستقبل ، فيلزم أن لا يكون شيء من المستقبل ، ونفى
الماضي حتى يوجد بعده ماض ، فيلزم أن لا يكون شيء من الماضي ، فانه اذا
لم يكن مستقبل حتى يكون مستقبل - كان دورا مستنعا ، واذا لم يكن ماض
حتى [يكون^(٢)] ماض كان دورا مستنعا ؛ كما اذا قيل : لا يكون موجود حتى
يكون قبله موجود ، بخلاف ما اذا نفى الماضي المعين الا وقبله ماضي ، أو نفى
المستقبل المعين الا وبعده مستقبل ؛ فان العقل يفرق بين هذين وبين نفيك .

وقالت الطائفة الثانية : بل يجوز دوام / الحوادث فني
الماضي والمستقبل ، ويجوز دوام ماتقوم به الحوادث ، وماتقارنه من الأجسام
وغيرها أزلا وأبدا ، وهذا قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم الأفلاك .

قول الطائفة
الثانية
ظ ٥٤

ثم هو لا هم نوعان :

هذه الطائفة
نوعان

دهرية ، معطلة محضة ، يقولون بأن العالم قديم أزلي ، وجب بنفسه ،
ليس له مبدع ولا صانع ؛ لا فاعل بالاختيار ولا موجب بالذات ، وهو لا قولهم
من جنس القول الذي أظهره فرعون ؛ حيث قال : (وما رب العالمين)^(٣) فاستفهم
استفهام انكار عن رب العالمين ، لا استفهام استعمال عن ماهيته كما يظنه

النوع الأول

(١) في الأصل (ص) بعد عبارة " لا أعطيتك " علق فوق السطر كلمة " درهما " ، والأولى حذفها ،
أو تكون العبارة : لا أعطيتك درهما حتى أعطيتك درهما .
(٢) يكون : ليست في الأصل (ص) والسياق يقتضي اضافتها .
(٣) سورة الشعراء : ٢٣ .

بعضهم ، فان فرعون كان مظهرًا للجحود والتعطيل ، كما قال : (ما علمت لكم من اله غيري)^(١) وقال : (أنا ربكم الأعلى)^(٢) وقال : (يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب . أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا)^(٣) . وان كان هو وقومه كما قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)^(٤) ، وقال له موسى : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر)^(٥) .

وهؤلاء يعلم فساد قولهم تارة بالضرورة ، وتارة بالنظر ، من وجوه كثيرة ؛ فان ما في العالم من الحوادث المشهورة التي تدل على أن محدثها عالم قدير حكيم ، وما في العالم من الحاجة والافتقار : الذي يدل على أن العالم جميعه وكل جزء منه محتاج مفتقر ، وأن جميع ما هو فقير محتاج يفتقر الى ما هو خارج عنه ، وأن الوجود اما واجب واما ممكن ، واما قديم واما محدث ، واما غني لامحتاج واما محتاج ، واما مخلوق أو غير مخلوق ، ولا بد للممكن من واجب ، وللمحدث من قديم ، وللفقير من غني ، والمخلوق من خالق غير مخلوق ؛ فيلزم وجود الخالق الفني القديم الواجب بنفسه بالضرورة ، وهذا وغيره مبسوط في غير هذا الموضع ، وسنبين ان شاء الله تعالى أن الاقرار بالصابع عند جماهير العقلاء نظري ضروري ، وان كان قد يكون عند بعض الناس نظريا^(٦) .

النوع الثاني والنوع الثاني - الدهرية الالهيون القائلون بأن العالم قديم ، والأفلاك قديمة ، لكن له علة قديمة هو مفتقر اليها . وهذا قول ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة .

- (١) سورة القصص : ٣٨ .
- (٢) سورة النازعات : ٢٤ .
- (٣) سورة غافر : ٣٦-٣٧ .
- (٤) سورة النمل : ١٤ .
- (٥) سورة الاسراء : ١٠٢ .
- (٦) انظر فيما يأتي صفحة ٣٤٢ وما بعدها .

وهذا القول يحكى عن المشائين كأرسطو وأتباعه ، وليس الأمر كذلك ؛
فان الذين كانوا قبل أرسطو كانوا يقولون بحدوث صورة الأفلاك ، وانما تكلموا
في قدم المادة اما عينا واما نوعا .

وأرسطو انما أثبت في كتبه علة غائية يتحرك الفلك للتشبه بها ،
فهذا هو المعروف في كتب أرسطو وأتباعه من القدماء ؛ وهو أنهم أثبتوا له
علة غائية ، وأثبتوا ذلك بطريق الحركة ؛ بناء على أن حركة الفلك حركة
شوقية ارادية ، وأنه يتحرك للتشبه بمن فوقه ، فتلك العلة تحركه كما يحرك
الامام المقتدى به للمأموم المقتدى الذي يحب التشبه به ، وهذا مرادهم
بأنه يحركه كما يحرك / المعشوق العاشق ، كما قد بسط ذلك أرسطو في

العلة والمعلول
عند أرسطو

ج ٥٥

"مقالة اللام" ، التي هي منتهى العلم الالهي عندهم .^(١)

ومن لم يجعل العلة الا هذا القدر : فحقيقة قوله أن الأول لم
يفعل شيئا ، ولم يبدع شيئا ؛ فان مجرد كون الشيء محبوا ومعشوقا ومتشبهها
به ، لا يوجب أن يكون مبدعا موجبا لمحبه وعاشقه المتشبه به .

وأما أتباع أرسطو المنتسبون الى الاسلام كابن سينا وأمثاله ، فهو لا
أثبتوا "العلة الأولى" بغير هذه الطريق - وسوها "واجب الوجود" - الذي
يسميه أرسطو "علم ما بعد الطبيعة" ، وقالوا : الوجود اما واجب وامنا
ممكن ، والممكن لا بد له من واجب ، فيلزم اثبات الواجب على التقديرين .
ثم أخذوا يتكلمون في خصائص الوجود بكلام مؤلف من قول سلفهم
المشائين وكلام المعتزلة نفاة الصفات ، ونفوا الصفات بناء على طريق
"التركيب" ، وسوا هذا العلم "العلم الالهي" ، وتكلموا في النبوات وأسرار
الآيات وغير ذلك بكلام لم ينقل عن سلفهم المشائين ، ولكن تلقوا كثيرا منه
من نظار المسلمين وأهل الملل ، وأرادوا أن يجمعوا بين أصول سلفهم الدهرية

العلة والمعلول
عند ابن سينا
وأمثاله

(١) نقلت كلام أرسطو في هذا عن "مقالة اللام" فيما سبق ، ص ٩٣ ت ٣ .

وبين مقالات أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، وصار كثير من المتأخرين كالرازي والآمدى وغيرهما يشبتون واجب الوجود بهذه الطريقة؛

وليست هذه طريقة قداماً أهل الكلام وأئمتهم ، كما أنها ليست طريقة قداماً الفلاسفة ولا أئمتهم ، وهي تفيد ما لا نزاع بين العقلاء فيه ، من اثبات موجود واجب الوجود بنفسه ، أما اثبات صانع العالم سواً ، فلا تفيد هذه الطريقة ، إلا بناءً على نفي الصفات التي بنوا عليها توحيدهم ، وهي طريقة فاسدة ، أو أن يسلك في ذلك طرق أخرى غير ما ذكره فهذا ممكن أيضاً .

وهؤلاء المصنفون في الفلسفة من المتأخرين مثل السهروردي المقتول والرازي والآمدى والطوسي وغير هؤلاء ، ممن يشرح اشارات ابن سينا أو يصنف غير ذلك - عمدتهم في الفلسفة على ما يجدونه في كتب ابن سينا ، وإذا قال الرازي : " أجمعت الفلاسفة " . فانما عمدته ما ذكره ابن سينا .

[وابن سينا^(١)] توسع في العلم الالهي ، وخاض في الكلام في النبوات وفي أشياء لا توجد في كلام سلفه المشائين ، فان كلامهم في هذا الباب - الذي يسمونه " علم ما بعد الطبيعة " أو " ما قبل الطبيعة " باعتبار الوجود والنظر ، ويسمونه " الفلسفة الأولى " و " الحكمة العليا " - كلام قليل جداً ، وغايته كلام في أمور كلية ، ولهذا كان موضعه عندهم هو " الوجود المطلق " المنقسم الى واجب وممكن ، وجوهر وعرض ، وعلة ، ومعلول ، وعامة كلام القوم انما هو في الطبيعيات ، ولكن هؤلاء المنتسبون الى الاسلام منهم ، وسعوا الكلام في الالهيات بما ضموه الى ذلك من كلام أهل الكلام ، حتى صار شيئاً يذكر ويقال مع كثرة ما فيه من الخطأ والضلال ، وقد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع .

(١) وابن سينا : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) في الأصل (ص) رسمت العبارة بحيث تقرأ : قيل جيداً . ولعل الصواب ما أثبت .

والمقصود هنا أن هذا الصنف الثاني من الدهرية / الذين يقولون بأن العالم صدر عن موجب بذاته لازم له - هم أيضا يقولون بدوام الحوادث من غير بداية ولا نهاية ، ولا يفرقون بين الحوادث القائمة بالممكن المعلول المقتدر الى غيره ، وبين ما يفعله الواجب بنفسه الذي لا يفتقر الى غيره .

وهو "هـ" عدوا الى ما ذكره أولئك من امتناع حوادث لا أول لها فأبطلوه ، كما فعله الفارابي ، وابن سينا ، وأبو البركات صاحب "المعتبر" ، وابن رشد الحفيد ، وكما فعله الرازي ، وغيرهم في كتبهم الفلسفية "كالنبايح المشرقية" وغيرها .

رد الفلاسفة
باطل المتكلمين
في هـ
المسألة بباطل

ولكن ليس في ابطال قول أولئك ما يقتضي صحة قولهم ، لا بقدم الأفلاك ولا غيرها ، بل ولا امكان قدم شي "سوى الله تعالى ، ولكن ردوا باطل أولئك بباطلهم ، والحق لم ينحصر في قول هو "هـ" وهو "هـ" ، بل قول هو "هـ" أشد فسادا من قول أولئك في العقل ، كما أنه أفسد منه في الشرع .

فانه من المعلوم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وهذا ما نطق به القرآن في غير موضع ، وكذلك التوراة ، وغير ذلك من كتب الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه . وكذلك نطقت الكتب الالهية بأن الله تعالى يخلق بمشيئته وقدرته ، وأنه سبحانه على كل شي "قدير ، وبكل شي" عليم ، وغير ذلك ما يناقض قول هو "هـ" . ولهذا كان هو "هـ" ملاحدة باطنية ، أهل قرمطة في السمعيات ، كما أنهم جهال متحيرون ، أهل سفسطة في العقلية ؛ فان الواجب بذاته الأزلي ؛ الذي يستلزم توجبه ومقتضاه في الأزل ؛ الذي لم يزل ولا يزال موجبا له - يمتنع أن يتخلف عنه شي "من موجبه ومقتضاه ، أو يحدث عنه شي" بعد شي " . والعالم ملو" من الحوادث المشهودة وغير المشهودة ؛ فيمتنع أن تصدر عن موجب بذاته بواسطة أو بغير واسطة ؛ فان تلك الوسطة - سواء

بطلان قول
الفلاسفة

قيل انها المعقول^(١) والنفوس، أو قيل غير ذلك ان كانت لازمة لذاته ، كما يقولون ، امتنع أيضا أن يحدث عنها شيء* ، وان لم تكن لازمة كانت^(٢) حادثة ، وذلك يبطل قولهم .

وإذا قالوا : " ان سبب الحوادث هو حركة الفلك " فالقول في السبب الموجب لحدوث الحركة شيئا بعد شيء* .

وإذا قالوا : هو تصور النفس الفلكية المتعاقبة . فالقول في حدوث تلك التصورات شيئا بعد شيء* .

فان هذا كله ان لم يكن حادثا ، امتنع أن يحدث به مالم يكن حادثا ، وان كان حادثا امتنع أن يصدر عن موجب أزلي يستلزم لموجبه ومقتضاه ؛ اذ كونه مستلزما لموجبه في الأزل مع حدوث الحوادث عنه شيئا بعد شيء* -
جمع بين المتناقضين .

وهو لا* أنكروا على أولئك قولهم بصدور الحوادث بدون سبب حادث ، مع أن أولئك يقولون : تصدر عن فاعل مختار ، ويقولون : ان القادر المختار يرجح أحد مقدريه على الآخر بلا مرجح .

فهذا القول وان [كان^(٣)] باطلا عند جمهور العقلاء ، فقول هو لا* أبطل منه ؛ فان حقيقته أن الحوادث جميعها التي في العالم / العلوى والسفلى تحدث من غير محدث لها أصلا . والفلك الذي جعلوه مبدأ الحوادث ، غايتهم أن يقولوا فيه ما قاله أولئك في فعل المخلوق القادر المختار ؛ فان أولئك القدريّة يقولون : ان فعل الحيوان يصدر عنه بمشيئته التي يحدثها هو ، ويقولون : ان ارادته ترجح أحد مقدريه على الآخر بلا مرجح .

ج ٥٦

(١) الأصل (ص) : المعقول .

(٢) الأصل (ص) : يمكن .

(٣) كان : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

وهو "لا" اذا انتهوا ففأيتهم أن يقولوا في الفلك مثل ذلك ؛ فكل ما أبطل به قول أولئك^(١) يبطل قول هؤلاء "وزيادات ؛ فانه اذا كان القادر المختار يمكن أن يرجح أحد مقدوريه بلا مرجح - أمكن أن يحدث الفلك وغيره من الحوادث ، وأمكن تخصيص أحد المتماثلين بالاحداث بلا مرجح ؛ وذلك يبطل أصل قولهم في الموجب بالذات وقدم العالم .

وان لم يمكن ذلك لم يمكن أن تحدث حركات الفلك الذى هو معلول مغتفر ، وتصورات الفلك واراداته^(٢) ، اذا قيل له تصور وارادة لا يحدث فوقها يحدثها^(٣) ؛ وذلك يبطل قولهم بالموجب بالذات ، وبطلانه مستلزم لبطلان قولهم بقدم العالم .

ويمتنع أن يقولوا في الممكن المعقول : انه يحدث الحوادث بلا مرجح وانه يحدث تصوراته واراداته بلا محدث ، مع أنه مريب معلول ، والواجب القديم لا يرجحها الا بمرجح . ويمتنع أن يقولوا : ان هذه الحوادث القائمة بالفلك تحدث شيئا بعد شيء دائما ؛ عن علة تامة أزلية موجبة بنفسها لمعلولها ؛ بواسطة أو غير واسطة ، فان هذا جمع بين النقيضين .

ولما كان فساد هذا القول بعد التصور التام يقينيا ؛ صاروا يحتاجون الى أن ينازعو في لوازمه ؛ ويذكروا في العلم الالهي الكلي والعلم الطبيعي - مقدمات مخالفة لما قاله سلفهم ، ولما عليه جمهور العقلاء ، ولما يعلم بفطرة العقل ؛ مثل قولهم : ان الممكن الذى يقبل الوجود والعدم يكون واجبا بغيره قدما أزليا يمتنع عدمه . فيجمعون بين النقيضين ، ولهذا أورد عليهم من الاشكالات - في هذا الممكن مثل ما ذكره الرازى في " محصله " وغيره ؛ ما لا يمكن عنه جواب صحيح . فالقول المتناقض يلزمه لوازم باطلة ، مثل قولهم : ان الفاعل

(١) في الأصل (ص) بعد كلمة " أولئك " كلمة مطموسة وقد قرأتها كذا : وعبر .

(٢) الأصل (ص) : وارادته .

(٣) الأصل (ص) : سجدها . بدون نقط .

المبدع لمفعوله يكون مفعوله مقارنا له في الزمان ؛ ملازما له أزلا وأبدا لا يتأخر عنه . وهذا ما أنكره جماهير العقلاء .

ثم من أعظم تناقضهم [أن^(١)] يقولوا : واجب الوجود لا تكون له صفات ، لأن ذلك يقتضي أن يكون مستلزما لها لا تنفك عنه ، وسموا ذلك الاستلزام افتقارا ، وقالوا : هذا يقتضي أن يكون واجب الوجود مفتقرا الى غيره ، وذلك مستنع . وهم قد جعلوه مستلزما للأفلاك وغيرها من مصنوعات لا تنفك عنه ، وإذا سمي الاستلزام افتقارا كان هذا افتقارا الى الأفلاك ؛ فيكون واجب الوجود مفتقرا الى مفعولاته ، وذلك أعظم استحالة من استلزامه / الصفات .

ظ ٥٦

ثم انهم يجعلون " أن يفعل " و " أن ينفعل " من أنواع الأعراض الموجودة ؛ فان الأجناس العالية التي جعلوها أجناس الموجودات هي عندهم عشر : الجوهر والأعراض ، ولم يقيموا دليلا على انحصارها في تسعة ، ولهذا جعلها بعضهم ثلاثة : الكم ، والكيف ، والاضافة ، وبعضهم غير ذلك ، وعلى كل قول فهم لا يمتنعون أن الأعراض موجودة ، وأن الفعل والانفعال من الأعراض .

ومعلوم أن فعل الأول لكل ما سواه ، أعظم من فعل غيره ، ففعله أعظم أنواع الفعل ؛ فيلزم أن يكون فعله موجودا ، وهو عرض لا يقوم بنفسه ، ولا يجوز أن يقوم بغيره بالضرورة ، وهم يسلمون ذلك ؛ ويقولون : " أن يفعل " ، يقوم بالفاعل ، و " أن ينفعل " يقوم بالقابل . فيلزم أن يكون الرب تعالى قد قام به " أن يفعل " ، وإذا قام به الفعل فقيام القدرة وغيرها من الصفات أولى وأحرى ، وحينئذ فتكون الصفات قائمة به .

(١) أن : ليست في الأصل (ص) ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) أي الأعراض .

(٣) الأصل (ص) ان الفعل . والسياق يقتضي ما أثبتته .

والفعل عند أساطينهم من جنس الحركة ، وذلك لا يكون الا شيئا بعد شي ، فان الحركة عندهم ليست مختصة بالانتقال من هيئ الى هيئ ، بل هذا يسمونه حركة في " الأين " ، ويسمون حركة الفلك حركة في " الوضع " ، ويجعلون الفعل وتحول الموصوف^(١) من صفة الى صفة : حركة في " الكيف " ، ويجعلون حركة النبات حركة في " الكم " .^(٢)

وانا كان الفعل حركة في " الكيف " لزم أن مفعول الرب تعالى لا يصدر عنه الا شيئا بعد شي ، فامتنع أن يكون في مفعوله قديم .

وأياها فالذات الواحدة البسيطة يمتنع في صريح العقل أن يصدر عنها أمور مختلفة متعددة بواسطة أو لابواسطة ، وهم يعرفون ذلك بقولهم : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .

لكن " الواحد " الذي وصفوا به رب العالمين لا حقيقة له ؛ فانهم أثبتوا وجودا لا يتصف بصفة ثبوتية ، بل هو بسيط مطلق بشرط الاطلاق عندهم كأبي يعقوب السجستاني وغيره ، أو مطلق بشرط نفي كل أمر ثبوتي عنه كقول ابن سينا وأمثاله ، والأول انما يوجد في الأذهان لا في الأعيان ، والثاني أشد عدما منه ؛ لأنه مشروط^(٤) بالعدم ، وما خلا عن تقيد بوجود أو عدم كان أقرب الى الوجود^(٥) مما قيد بالعدم ، مع أن هذا يستلزم أن يكون أي شي فرضت من الموجودات أكمل من واجب الوجود ؛ فانهما اشتركا في مسمى " الوجود " ، وامتاز الممكن بأمر وجودي ، وامتاز الواجب عندهم بأمر عدمي ،

- (١) الأصل (ص) المصوف .
(٢) سبق النقل عن كتاب " النجاة " لابن سينا ، في بيان أن الحركة بالذات لا تكون الا في هـذـه الأربعة ، وأمثله في توضيح ذلك . انظر ص ٢٥٤ ت ٣ .
(٣) هو أبو يعقوب اسحاق بن أحمد السجستاني أو السجزي ، من علماء الاسماعيلية ودعاتهم ، يقال : قتل سنة ٣٣١ ، وقيل : انه وردت عبارة في أحد كتبه تدل على أنه كان حيا سنة ٣٦٠ . انظر : الأعلام ١/ ٢٩٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣٦٠-٣٦٣ ؛ طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص ١٨١ ، القاهرة ١٩٥٩ م ؛ مذاهب الاسلاميين لبدوي ٢ / ١٩٣-١٩٦ .
(٤) الأصل (ص) : مشرقت .
(٥) الأصل (ص) : الى للوجود . وعلقت كلمة " الى " فوق السطر .

فكان ما امتاز به الممكن عن الواجب عندهم أكمل مما امتاز به الواجب .
وأيضاً فانهم يصرحون في منطقتهم بأن الشيئين اذا اشتركا في أمر
وجودى لم ينفصل أحدهما عن الآخر الا بأمر وجودى ، لا بأمر عدمى ،
ولهذا يقولون : ان فصول الأجناس لا تكون عدما بل وجودا ، ثم / يقولون :
ان رب العالمين يشارك كل موجود في مسمى " الوجود " ، ولم يمتز عن شي منها^(٢)
الا بأمر عدمى .

ج ٥٧

واذا قالوا : هذا نقوله في الأنواع المركبة ، ووجود الواجب ليس ممن
الأنواع المركبة .

قيل : هذا فرق لمجرد اللفظ والاصطلاح ، والا فاذا اشترك الشيئان^(٣)
في أمر وجودى فلا بد من أن يمتاز أحدهما عن الآخر بأمر وجودى ؛ سواء
سعى ذلك فضلا أو خاصة .

ثم تعريفهم في الصفات اللازمة للموصوف : بين الذاتيات المقومة الداخلة
في الماهية ، وبين العرضية اللازمة للماهية ، وبين العرضية اللازمة لوجود
الماهية - تعريف باطل ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، وبين فيه أن هذا
الفرق انما يصح لو كان في الخارج لكل شي* ماهية موجودة غير الموجود المعين ،
وهذا ما قد عرف فساد كلامهم فيه ، وبين أن الفرق ثابت بين ما يتصور في
الأذهان وما يوجد في الأعيان ؛ فاذا أريد بالماهية ما يتصور في الذهن
وبالوجود ماهو خارج الذهن ؛ كما يتصور المثلث في الذهن قبل أن يعرف
وجوده في الخارج - فانه يقال : ان هذه الماهية المتصورة في الذهن غير
الحقيقة الموجودة في الخارج .

وأما أن يراد اثبات حقيقة في الخارج غير الشي* المعين ، وأن الانسان
مركب من جواهر موجودة ، في أحدها^(٤) جسم ، والآخر حساس ، والآخر ناسم ،

(١) الأصل (ص) : بأنهم . ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) الأصل (ص) : عن شي* عنها . وكتبت عبارة " عن شي* " فوق السطر .

(٣) الأصل (ص) : والا فاشترك الشيئان . ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) الأصل (ص) : أحدهما .

والآخر متحرك بالارادة ، والآخر ناطق ؛ فهذا ما يعلم فساده بعد التصور التام بضرورة العقل .

وقد بين أن مايسمونه " تام الماهية ، ومجموع الماهية ، وكالماهية " ، ومايسمونه " جز الماهية " ، ومايسمونه " لازم الماهية " - يعود بعد التحقيق الى المدلول عليه " بالمطابقة " ، و " التضمن " ، و " الالتزام " ؛ فان المدلول عليه بالمطابقة هو مجموع المعنى الذى تصوره المتكلم في ذهنه وعبر عنه بلسانه ، والمدلول عليه بالتضمن هو جز هذا المعنى ، والمدلول عليه بالالتزام هو مايلزم هذا المعنى (١) .

وأما الانسان الموجود في الخارج فلا ريب أن بدنه مركب من أعضائه التي يمتاز بعضها عن بعض ، ومركب من أخلاطه التي امتزج بعضها ببعض ، وهو أيضا مركب من بدن ومن نفس قائمة بنفسها ، عند سلف الأمة وأهمل السنة القائلين بأن الروح جوهر قائم بنفسه ؛ ليست جزءا من البدن ولا عرضا من أعراضه ، وان كانوا لا يقولون بتجريدتها عن الصفات والأفعال ، كما تزعمه المتفلسفة في النفس الناطقة .

فالمقصود هنا أن هذا التركيب مسلم ، وأما تركيب الانسان الموجود في الخارج من عدة جواهر عقلية فهذا ما يعلم بطلانه بصريح العقل بعد

(١) دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ماوضع له ، كدلالة لفظ " الحائط " على الحائط ، ودلالة لفظ " الانسان " على الحيوان الناطق ، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على " جز ماوضع له ، كدلالة لفظ " البيت " على الحائط ، ودلالة لفظ " الانسان " على الحيوان . ودلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على لازم معناه ، كدلالة لفظ " السقف " على الحائط ، ودلالة " الانسان " على قابل صنعة الخياطة وتعلمها .

انظر: معيار العلم للفرزالي ، ص ٧٢ . والتعريفات للجرجاني ، ص ١١٠ . وقد أورد الفرزالي هذا في الفن الأول من كتاب مقدمات القياس وهو بيان دلالة الألفاظ على المعاني ، أما ما نقلته عنه فيما تقدم ، ص ٥٧ ت ١ في الذاتى المقوم للماهية ، والعرضى اللازم ، والعرضى المفارق ، فقد أورد في الفن الثاني وهو في مفردات المعاني الموجودة ونسبة بعضها الى بعض ، وقال في الفرق بين الفئتين ، ص ٨٩ " أن الأول نال في اللفظ من حيث يدل على المعاني ، والثاني نظر في المعنى من حيث هو ثابت في نفسه ، وان كان يدل عليه باللفظ ، ان لا يمكن تعريف المعاني الا بذكر الألفاظ " .

التصور لمرادهم . نعم ، هو ذات موصوفة بصفات قائمة بها ، وهي أعراض قائمة [به^(١)] ، فانه تقوم به الحياة والنطق والضحك وغير ذلك من الصفات بالقوة وبالفعل ، وهذه الصفات التي تقوم [به^(١)] ليست مادة لــــ ولا أجزاء / سابقة له ، ولا جواهر قائمة به .

ظ ٥٧

ولهذا اضطربوا في الصفات : هل يكون فيها ما هو مقوم للموصوف ، متقدم عليه أو لا ؟ وفرعوا على ذلك أن الفصل هل يكون علة ، لخصه النوع من الجنس ؟ واضطرب في ذلك كلامهم اضطرابا منشوء من أصول فاسدة ، كما قد نبه عليه في غير هذا الموضع .

والمعقول الصريح الذي لا ريب فيه أن الصفات القائمة بالموصوف تنقسم الى : لازم للنوع ، وعارض ، فالأول كالحياة والنطق والضحك بالقوة أو الفعل للإنسان ، والثاني كالسواد والبياض ، والطول والقصر ، والشباب والمشيبي ، ونحو ذلك من العوارض التي قد تكون بطيئة^(٢) الزوال ، وقد تكون سريعة الزوال ؛ كعمرة الخجل ، وصفرة الوجع . والى لازم الشخص كالقطوسة^(٣) ونحو ذلك ، وعارض له كتزوج المرأة المعينة وطلاقها .

واللازمة للنوع لازمة للنوع الموجود في الخارج ، وهي الماهية والحقيقة الموجودة في الخارج ، وأما المتصور في الذهن فقد يتصور مجلا ، وقد يتصور مفصلا ، والتصور المفصل على درجات متفاوتة ، كما قد بسط في مواضع في بيان كثير من غلطهم في المنطق والالهييات وغير ذلك .

(١) به : ليست في الأصل (ص) في الموضعين ، ولعل الصواب اثباتها .

(٢) الأصل (ص) : بطيئة .

(٣) كالقطوسة : كذا في الأصل (ص) ، وجاء في القاموس المحيط ، مادة " الفطس " : " الفطس بالتحريك تطامن قصبه الأنف وانتشارها ، أو انفراش الأنف في الوجه ، فطس كقرح ، والنعت أفطس وفطساء ، والاسم الفطسة ، محركة " .

(٤) الأصل (ص) : الوجود . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) المتصور : في الأصل (ص) يمكن قراءتها : المقصود . ولعل الصواب ما أثبت .

والمقصود هنا أن مذكره ابن سينا وأمثاله في واجب الوجود : أنه وجود مقيد بسلب كل ثبوتي عنه^(١) - يستلزم من التناقض والفساد ما لا يتسع له هذا الموضع ، وتعبيره عن ذلك بأنه الوجود الذي لا يعرض له الوجود^(٢) بناء على أن في الخارج شيئين : ماهية ممكنة ، وموجودا هو غير الماهية الموجودة الممكنة ، فلهذا قال : " فالواجب أن وجوده لا يعرض لشيء من الماهيات " ، بناء على هذا الأصل .

وإذا قال : " ان وجوده عين ماهيته " ، فليس مراده أن الحقيقة تختص به ، وأن تلك الحقيقة هي عين وجوده الثابت في الخارج ، بل هذا قول نظار أهل السنة ، وهو قول الأشعرى وغيره ، ولكن مراده أنه وجود مجرد لا يتصف بأمر ثبوتي أصلا ، بل انما يتميز عن غيره بالسلب والاضافات فقط ، وهذا اذا تصوره الانسان تصورا تاما علم أنه يستمع وجوده في الخارج ، [وأن أي موجود فرض وجوده في الخارج^(٥)] كان أكمل من هذا الوجود المشروط بسلب كل أمر ثبوتي عنه .

وهذا انما قاله بناء على نفي ما ظنوه تركيبا ، وهم يستعملون لفظ " التركيب " في خمسة أنواع :

أحدها - تركيب الموصوف من الذات والصفات^(٦) .

والثاني - تركيب الماهيات النوعية من الجنس والفصل .

والثالث - تركيب الأعيان الموجودة من وجود و ماهية .

(١) في كتاب " الشفاء " الالهيات (٢) ، تحقيق محمد يوسف موسى وآخرين القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م يقول ابن سينا ، ص ٣٤٧ : " فالأول لا ماهية له ، وذوات الماهيات يفيض عليها الوجود منسسه ، فهو مجرد الوجود بشرط سلب العدم وسائر الأوصاف عنه " ويقول ، ص ٣٥٠ : " فان وجود الوجود لا ماهية له تقارنه غير وجود الوجود " .

(٢) الأصل (ص) : لها . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) الأصل (ص) : ان وجود عين ماهيه .

(٤) الأصل (ص) : لحقيقة .

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله أو ماني معناه ساقط منه .

(٦) الأصل (ص) : مركب . بدون نقاط .

والرابع - تركيب الجسم من مادة وصورة ، [على^(١)] قول من يقول بذلك :

وعلى قول كثير من أهل الكلام وغيرهم هو مركب :

التركيب الخامس - هو تركيب الجسم من الجواهر المنفردة .

وقد بين في غير هذا الموضع أن جميع هذه الأنواع باطلة في الوجود^(٢)

الواجب / والممكن ، الا النوع الأول وهو وجود ذات لها صفات ؛ فان هذا

ثابت في الواجب والممكن ، وأما ماسوى ذلك فهو باطل في الممكنات

والمخلوقات ، فليس شيء منها مركبا تركيبيا من تلك الأنواع الأربعة ؛ فالرب

الخالق أولى أن لا يكون مركبا من شيء من تلك الأنواع الأربعة .

ولكن لما ظن من ظن وجود تلك التركيبات الأربعة أو بعضها ثابتا

في الخارج ، صاروا بعد ذلك متنازعين في الخالق جل جلاله ، منهم من يثبت

بعض هذه التركيبات فيه ، ومنهم من ينفىها ، ويلزم كلا من القولين —

التناقض ما يبين فساد ، حيث بنوا على تحقيق هذه التركيبات في الخارج ؛

فانما علم انتفاؤها في الخارج مطلقا ، لم يكن لها حقيقة لافي الخالق

ولا في المخلوق .

ولكن التركيب الثابت في الخارج هو تركيب الشيء من أجزائه المتنوعة ،

اما في الجنس واما في القدر ؛ كتركيب المخلوقات : الحيوان والنبات من أبعاضه

ومن أخلاطه ، وتركب المصنوعات : كالأبينة والثياب^(٣) ، والأطعمة والأشربة ،

والأدوية - من الأبعاض المميزة والمختلطة .

ولهذا كان العقلاء يقولون : الجسم ينقسم الى بسيط ومركب ؛ فالبسيط

هو ما شابه جزؤه كـه : كالماء والهواء ، والمركب بخلاف ذلك . وقد تكون

(١) على : ساقطة من الأصل (ص) ، والسياق يقتضي اضافتها .

(٢) في الأصل (ص) خط على كلمة " باطلة " خطأ دقيق ، ولعله خطأ ، ان اثباتها لازم .

(٣) والثياب : كتبت الكلمة في الأصل (ص) : والسات (ينقط التاء دون ما قبلها) . ولعل الصواب ما أثبتته .

أجزاء الجسم متفقة في الحقيقة مع تنوع مقاديرها ؛ كما يصاغ من الذهب والفضة والنحاس والزجاج والبلور وغير ذلك صور مختلفة ، فهذا ونحوه من التركيب هو ما يسلمه لهم سائر العقلاء .

وأما ما يدعون من التركيب العقلي : وهو تركيب الشيء المعين من وجود وماهية ، وتركيب النوع من الجنس والفصل ، وتركيب الجسم من جوهريين عقليين : مادة وصورة - فهذا كله إنما يوجد في الأذهان ، لا في الأعيان . والتركيب من الجواهر باطل أيضا ، كما قد بسط هذا كله في موضعه .

ثم إنهم مع ذلك لما اضطروا إلى إثبات أمور وجودية : مثل كونه فاعلا ، وكونه عاقلا ومعقولا وعقلا ، وكونه عاشقا ومعشوقا وعشقا ، وملتذا ولذيذا ولذة - أخذوا يكابرون ؛ فيجعلون هذه الصفة هي الأخرى ، فيجعلون كونه فاعلا هو كونه عالما ، وكونه عاشقا هو كونه عالما ، وكونه عالما هو كونه قادرا ؛ ويجعلون الصفة هي الموصوف ؛ فيجعلون العلم عين العالم ، والقدرة عين القادر ، والمحبة عين المحبوب . ومن متأخريهم - كالطوسي شارح " الاشارات " - من جعل العلم عين المعلومات ، ويجعلون هذه الأمور الموجودة أمورا عدمية .

(١) جاء في كتاب " مقدمة في علم البلورات والمعادن والصخور " للدكتور محمد عبد الوهاب الشنساوي ط . المعارف ١٩٦٤ ، ص ١٠ مايلي : " البلورة هي جسم صلب متجانس ، له تركيب ذري معين ، ومحدد بسطوح أو مستويات ملساء تكونت بفعل العوامل الطبيعية تحت ظروف مناسبة من الحرارة والضغط " .

وجاء في كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني ، ص ١٢٦ مايلي : " حجر بلور ، قال أرسطو : انه صنف من الزجاج الا أنه أصلب ، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف الزجاج فانه متفرق الجسم والبلور يصنع بألوان الياقوت فيشبه الياقوت " .
(٢) الأصل (ص) : فيجعلون .

(٣) عقد ابن سينا في كتاب النجاة ، ص ٢٤٩ فصلا عنوانه : " فصل في تحقيق وحدانية الأول بأن علمه لا يخالف قدرته و ارادته وحياته في المفهوم ، بل ذلك كله واحد . . . " ونقلت فيما سبق ، ص ٧٣ ت ٣ عن كتاب " الاشارات والتبهيئات " ما يشير إلى هذا ، كما نقلت كلام الطوسي في أن العلم هو نفس المعلوم ص ٧٤ ت ٢ .

فهذا وأمثاله مما يعلم به كل عاقل تصور قولهم تصورا تاما : أنهم من
[أكثر الناس^(١)] مخالفة للمعقول الصريح في العلم [الالهي^(٢)] . وسبب ذلك
أن متقدميهم ليس لهم في ذلك علم ولا خوض ، ولا عرفوا الله تعالى ، ولا ملائكته
ولا كتبه ، ولا رسله ، ولا البعث بعد الموت . وإنما عرفوا أمورا مشهودة من
هذا العالم ، وأمورا كلية لهذه الأمور المشهودة^(٣) من / الطبيعية والرياضية ،
وعرفوا أن وراء الأفلاك موجودا آخر ، ولكن صاروا يتكلمون فيه رجما بالغيب ،
وهم يقذفون بالغيب من مكان بعيد .

ظ ٥٨

وكان غاية ما عند أرسطو : معلمهم الأول ، صاحب المصنفات الموروثية
عندهم في المنطق والطبيعي والالهي - أن أثبت علة غائية ، يتحرك الفلك
للتشبه بها ، ولم يذكر أنه فعل شيئا ، بل أنكسر^(٤) أن يكون عالما بشيء من
الموجودات ، وتكلم فيه بكلام قد ذكرناه ، وذكرنا بعض مارد عليه أتباعه
المعظمون له وغير أتباعه ، وما به يعلم أن الرجل وأتباعه من أجهل أهل
الأرض برب العالمين ، وأن كفار اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل
أعلم برب العالمين منهم .

ولهذا لم يوافقهم متأخروهم كابن سينا وأمثاله على كل ما قالوه ، بسبب
أثبتوا أمورا ، وصاروا يتقربون الى الحق ، وتكلموا [فسي^(٥)] النبوات ، وأسرار
الآيات وغير ذلك بكلام لبسوا به الحق بالباطل ، فصار ينفق على الجهال
الأعْثَامَ^(٦) الذين لم يعطوا العقل حقه في المطالب الالهية ، ولا اتبعوا ما أخبرت

(١) ما بين المعكوفين بياض في الأصل (ص) ، ولعل ما أثبتته يفني بالمقصود .

(٢) الالهي : ليست في الأصل (ص) والسياق يقتضي اثباتها .

(٣) الأصل (ص) : المشهود . (٤) الأصل (ص) : أنكروا .

(٥) في : سقطت من الأصل (ص) ، والسياق يوجب اضافتها .

(٦) الأصل (ص) : الأعسام ، بدون نقاط . وجاء في لسان العرب مادة "عتم" : "الْفَتْمَةُ عَجْمَةٌ

في المنطق ، ورجل أَعْتَمَ وَعُتِمَ لا يَفْصَحُ شيئا ، وامرأة عَتَمَاءُ ، وقوم عُتِمُوا وَأَعْتَمُوا" .

به الرسل عن رب البرية ، بل صاروا ممن قيل فيه : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^(١) ، وصار كلام متأخريهم بالنسبة إلى متقدميهم مثل النحاس المغشوش بالفضة والذهب بالنسبة إلى النحاس المكشوف ، فهذا يروج على من لا يعرف النقد ، بخلاف النحاس المكشوف فإنه لا يشتبه على أحد أنه ليس بفضة ولا ذهب ، ولكن يقبله من ليس عنده ذهب ولا فضة .

وأولئك المتفلسفة القداما لم يكن عندهم من المعرفة بالله تعالى وملائكته وكتبه ما أنضجت الأفكار العقلية ، ولا ما أخبرت به الرسل عن رب البرية ، ولكن تكلموا في الطبيعيات وأشياء من الكليات بما هو من جنس الغلوس بالنسبة إلى الذهب الذي جاءت به الرسل عن الله تعالى ، لاسيما خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

ولكن المقصود هنا التنبه على بعض لوازم قول هو^١ : الذين يقولون بأن حركة الفلك دائمة أزلية أبدية ؛ لأنه لا يجوز وجود حوادث لا أول لها . ومن المعلوم أن تجويز نوع حوادث لا أول لها ، لا يستلزم ثبوت ذلك فسي شيء معين ، لا الفلك ، ولا الأركان الأربعة : الماء والهواء والتراب والنار ، ولا المولدات من الحيوان والنبات والمعدن ؛ فإذا جاز أن يكون في جنس الوجود حوادث لا أول لها ، وجاز أن تكون الحوادث دائمة : فأى شيء فسي ذلك مما يدل على أن حوادث الجسم المعين دائمة أزلية أبدية ؟ .

وكل ما يحتاجون به من دوام الفاعلية ولوازمها : من دوام الحركة ، أو مقدار الحركة الذي يسمونه الزمان ، أو دوام جنس المدة ، أو جنس المادة - فلا يدل على قدم شيء معينه من العالم / أبدا .

ج ٥٩

لكن لما كان من ناظرهم من أهل الكلام المبتدع : كلام الجهمية والقدرية قد قالوا : ان جنس الفعل ولزمياته حادث ، وان الرب تعالى لم يمكنه أن يفعل

(١) سورة الملك : ١٠ .

ويتكلم بمشيئته ؛ بل كان ذلك ممتعا عليه ثم صار ممكنا ، واحتجوا على ذلك بامتناع حوادث لا أول لها - صار هو لا ، اذا أثبتوا امكان حوادث لا أول لها ، أو وجوب ذلك ؛ ظنوا أن ذلك السلب الكلي العام اذا بطل : ثبتت ما ادعوه من التعميم .

وهذا جهل عظيم ؛ فان السالبة الكلية تنتقض بصورة واحدة جزئية ، ولا يلزم من ذلك صدق كل جزئي ينافيها ؛ فاذا أکذب^(١) قول القائل : (ما أنزل الله على بشر من شيء)^(٢) بانزاله على موسى ومحمد ونحوهما - لم يلزم من ذلك أن يكون قد أنزل على مسليمة الكذاب^(٤) ، والأسود العنسي^(٥) ، وطلحة الأسدي^(٦) ، والحارث الدمشقي^(٧) ، والسهمودي المقتول الحلبي^(٨) ،

(١) أکذب : كتبت الكلمة في الأصل (ص) هكذا : احدث . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) سورة الأنعام : ٩١ .

(٣) الأصل (ص) : كانزاله . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) تقدمت ترجمته ، ص ١١١ .

(٥) هو عييلة - أو عييلة - بن كعب بن عوف العنسي المذحجي ، من أهل اليمن ، أسلم لسا أسلمت اليمن ، وارث وادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، واشتد أمره حتى انتزع اليمن من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستولى عليها بكاملها ، وبعث رسول الله كتابا يأمر المسلمين بمقاتلته ، فقتله أحدهم سنة ١١ هـ وانهمز أصحابه ، وكان بين ظهوره وقتله ثلاثة أو أربعة أشهر .

انظر: تاريخ الطبرى ٣/١٨٤-١٨٧ ؛ البداية والنهاية ٦/٣٠٦-٣١١ ؛ الأعلام ٥/١١١ .
(٦) الأصل (ص) : وطلحة .

وهو طلحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان الأسدي الغفصسي ، كان مع المشركين يوم الأحزاب ، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلم ، ثم ارتد وادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو في عهد أبي بكر الصديق ، وكان له مع المسلمين وقائع ، ثم خذله الله على يدى خالد بن الوليد وتفرق جنده ، فهرب الى الشام ، ثم أسلم ، ووفد على عمر بن الخطاب ، ثم عاد الى الشام ، وجاهد وشهد اليرموك وبعض حروب الفرس ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ .

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٥٠٠/٣٤٦٧ ؛ تاريخ الطبرى ٣/١٨٦-١٨٧ ؛ تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧/٩٠-١٠٣ ؛ البداية والنهاية ٧/١١٨-١١٩ ؛ الأعلام ٣/٢٣٠ .

(٧) الحارث بن سعيد ، أو ابن عبد الرحمن بن سعد المشني ، من أهل دمشق ، من الموالي ، كان متعبدا زاهدا ، ثم ادعى النبوة ، وتبعه خلق كثير ، وقتله عبد الملك بن مروان مصلوبا سنة ٦٩ . انظر: تهذيب تاريخ ابن عساکر ٣/٤٤٥-٤٤٨ ؛ تبيين ابليس ، ص ٣٧٩-٣٨١ ؛ لسان الميزان ٢/١٥١-١٥٢ ؛ الأعلام ٢/١٥٤-١٥٥ .

(٨) تقدمت ترجمته ، ص ١٣٨ ت ٤ .

واين سبعين الأندلسي^(١) ، وبابا الرومي^(٢) ، وأمثالهم من الكذابيين .

قول الطائفة
الثالثة

وبما ذكرناه من فساد هذين القولين يظهر القول الثالث ؛ الذي عليه
أئمة أهل الملل ، وعلماء الحديث والسنة وغيرهم ، وأئمة الفلاسفة القدماء
الأساطين الذين كانوا قبل أرسطو - وهو الفرق بين الواجب والممكن ، بين
الفني والفقير ، بين الخالق والمخلوق ، بين الرب والمربوب ، وعلى اصطلاحهم
: بين العلة والمعلول ، وعلى الاصطلاح المشترك : بين المؤثر والأثر ؛ فالواجب
الفني المؤثر لا يمتنع عليه دوام^(٣) الفعل والكلام ؛ ان لا يفتقر في ذلك الى غيره .

استمرار في بيان
بطلان مذهب
ابن سينا وأمثاله
في العلة
والمعلول

وأما المعلول المربوب فيمتنع أن تتارنه الحوادث على سبيل السدوام ،
فكل ما قارنته الحوادث وهو معلول فهو حادث ، وان شئت قلت : كل ما لا يسبق
الحوادث وهو معلول فهو حادث ، وان شئت قلت : كل ما قارن الحوادث ، أو
لم يسبق الحوادث ، وهو مربوب ، أو فقير ، أو ممكن - فهو حادث ، وان كان
مجرد العلم بأنه مفعول ومبدع ومعلول ومربوب : يستلزم العلم بكونه حادثا ؛
لأن تقدير مفعول مقارن لفاعله أزلا وأبدا ممتنع في صريح العقل ، كما قد
يسط في موضع آخر .

والمقصود هنا أن لسزوم الحوادث يمنع أن يكون أيضا قديما معلولا لعلة
موجبة بالذات ؛ لأنه لو كان قديما للزم أن يكون صادرا عن موجب بذاته ؛
ان لو كان ممكنا بذاته : يقبل الوجود والعدم ، وليس له موجب بذاته فسي
الأزل - امتنع كونه أزليا ، فانه ان امتنع وجوده في الأزل فلا كلام ، وان جاز^(٥)

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الرقوتي ، نسبة الى رقوطة بلدة قريبة من
مرسية بالأندلس ، المعروف بابن سبعين ، من كبار الصوفية الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود ،
ولد سنة ٦١٤ ، كان في الأندلس ثم نزل مكة وتوفي فيها سنة ٦٦٩ ، قال عنه ابن حجر في لسان
الميزان : " واشتهر عنه مقالة ردية وهي قوله : لقد كذب ابن أبي كبشة على نفسه حيث قال :
(لا نبي بعدى) .

انظر : العبر ٥ / ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ الهداية والنهاية ١٣ / ٢٦١ ؛ لسان الميزان ٣ / ٣٩٢ ؛ الطبقات
الكبرى للشعراني ١ / ٢٠٣ ، الأعلام ٣ / ٢٨٠ .

(٢) يذكر ابن تيمية بابا - أو باباه - الرومي كثيرا في كتبه ضمن من ادعوا النبوة أو طمعوا فيها ، ولم
أتأكد بعد البحث الطويل من العثور على شخص معين يعرف بهذا الاسم .

(٣) الأصل (ص) : دوام ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) الأصل (ص) : كما . بسقوط النون . (٥) الأصل (ص) : صار . ولعل الصواب ما أثبت .

وجوده في الأزل وعدم وجوده، لم يترجح الا أحدهما بما يجب به أحدهما، وهذا هو المرجح التام ، وهذا على رأيهم في أنه لا يترجح أخذ طرفي الممكن الا بمرجح .

وأما على قول الجمهور من المسلمين وغيرهم فانه يقال : لا يترجح وجوده ولا عدمه الا بمرجح تام ، وأما العدم المستمر به فلا يحتاج الى [علة ^(١)] .
وأيضاً فتجوز قديم أزلي ^(٢) ممكن هو مفعول علة قديمة : قول هذه الطائفة القليلة من المتفلسفة ، وأما [عند ^(٣)] جماهير العقلاء الأولين والآخرين / من أهل الملل والفلسفة ، حتى أرسطو وأتباعه القداما ؛ فان الممكن : الذي يقبل الوجود والعدم - لا يكون الا محدثا ، وأما القديم فلا يكون عندهم ممكنا : يقبل الوجود والعدم . ومن جوز قديما معلولا من هو لا^٥ كابن رشد ونحوه ، فانهم لا يقولون : انه ممكن . فلهذه الأقوال الثلاثة .

ظ ٥٩

والمقصود هنا أن الموجب بذاته - سواء أوجب بذات لاصفة لها ، أو بذات موصوفة بالصفات ، وسواء أوجب بدون مشيئة ، أو بمشيئة - فان المقصود هنا أن القديم المعلول لا بد له من مؤثر تام في الأزل ، وهو الموجب بذاته ، سواء أوجب بمجرد الذات ، أو لصفة ، أو مع المشيئة ، أو بدونها ، فإذا كان الممكن لا يكون قديما الا مع ثبوت موجبه التام في الأزل ؛ والموجب التام لا يصدر عنه حادث - امتنع صدور الممكن المستلزم للحوادث عنه ؛ فانه ان صدر عنه بدون الحوادث لزم تحقيق الملزوم بدون اللازم ، وان صدر عنه مع الحوادث المتعاقبة لزم صدور الحوادث المتعاقبة عن الموجب بذاته ، الذي لا يتخلف عنه موجبه ، وهو متناقض .

وأيضاً فان كونه فاعلا ومبدعا مع كون مفعوله ومبدعه المعين مقارنا له أزلا وأبدا - جمع بين الضدين ، وتسوية بين صفاته ومفعولاته ، وكونه موجبا

(١) مكان كلمة "علة" بياض في الأصل (ص) ، ولعل ما أثبتت بيني بالمقصود .

(٢) الأصل (ص) : ارلي . بدون نقاط .

(٣) عند : ليست في الأصل (ص) ، وأضعفتها ليستقيم الكلام .

بذاته معيناً^(١) وهو الغلك، ومحدثا للوازمه شيئاً بعد شيء - ممتنع أيضاً، وان قيل: انها تحدث بما يقوم بذاته من الأمور الاختيارية؛ لأن الفاعل السدى يفعل مايقوم به من الحوادث أولى أن تكون مفعولاته حادثة، ولأن حقيقة الابداع والفعل تستلزم حدوث شيء بعد شيء، والامكان الحقيقي لايعقل الا فيما يمكن، وأما ما نسم^(٢) يزل موجودا فهذا لم يسمه^(٣) ممكنا لا أهل الملل ولا الفلاسفة القدماء، وانما سماه ممكنا ابن سينا وأمثاله، كما قد تقدم.

ولما يطعن ابن سينا وأمثاله بهذا الموضوع، وأنه يستحيل صدور حوادث متعاقبة عن موجب تام مستلزم لأثره، وكذلك ابن رشد وغيره ادعوا^(٤) أن صدور المتغير عما لا يتغير مما تنكره العقول بفطرتها - فلان^(٥) ابن سينا وأمثاله يدعون أن الحركة المتصلة لا توجد في الأعيان، وانما يوجد في الأعيان شيء سموه "التوسط"، وزعموا أنه ليس فيه تغير أصلا، فخالفوا صريح العقل والحس بكلام مزخرف اشتبه على كثير من العقلاء.

وهذا كلام ابن سينا في تحقيق القول في الحركة^(٦): "اسم لمعنيين: الأول - الأمر المتصل المعقول للمتحرك^(٧) من المبدأ الى المنتهى، وذلك

كلام ابن سينا في
الحركة

- (١) الأصل (ص): معين .
- (٢) الأصل (ص): وأما لم .
- (٣) الأصل (ص): نسمه .
- (٤) ادعوا أن: كتبت في هامش الأصل (ص) هكذا: ووالان . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٥) الأصل (ص): ان، ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٦) لم أجد النص التالي في مظانه من كتب ابن سينا المطبوعة التي اطلعت عليها، وبين ابن تيمية بعد نهاية النص أن الرازي ذكره في "المباحث المشرقية"، وقد رجعت اليه (ط. الأولسى حيدرآباد ١٣٤٣ هـ) حيث يقول الرازي (١/٥٤٧) : "الغن الخامس في الحركة والزمان وفيه اثنتان وسبعون فصلا، الفصل الأول في رسم الحركة" وسينقل ابن تيمية عن هذا الفصل فيما بعد، ص ٣٠٧، ثم يقول الرازي (١/٥٥٠) : "الفصل الثاني في تحقيق القول في الحركة، قال الشيخ [يقصد ابن سينا] : الحركة اسم لمعنيين . . . الخ ."
- وسأقابل - ان شاء الله - ما هنا على ما في "المباحث المشرقية" ١/٥٥٠ - ٥٥١ .
- (٧) الأصل (ص): المتحرك . وأثبت ما في "المباحث" .

ما لا حصول له في الأعيان ؛ لأن المتحرك مادام لم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بتمامها ، واذا وصل فقد انقطع وبطل ؛ فاذا لا وجود له في الأعيان ^(١) ، بل في الذهن .

وذلك لأن للمتحرك نسبة الى المكان الذي [تركه والى المكان الذي] ^(٢) أدركه ، فاذا ارتسمت صورة كونها ^(٣) في المكان الأول في الخيال ، ثم قبيل زوالها عن الخيال ارتسمت صورة كونها ^(٣) في المكان الثاني - فقد اجتمعت الصورتان في الخيال ، فحينئذ يشعر الذهن بالصورتين معا على أنهما شيء واحد ، [وأما] ^(٤) في الخارج فلا وجود له .

ج ٦٠

الثاني - وهو الأمر الوجودي في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، بحيث أى حد يفرض فيه لا يكون فيه لاقبله ولا بعده ، ^(٥) وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشيء يكون متحركا ، وليس في هذه الحالة تفسير أصلا .

نعم ، قد تتغير حدود الوسط بالعرض ^(٦) ، لكن ليس كون المتحرك متحركا لأنه في حد معين الوسط ^(٧) ؛ والا لم يكن متحركا عند خروجه منه ، بل لأنه متوسط على الصفة المذكورة ، ^(٨) وتلك الحال ^(٩) ثابتة في جميع حدود ذلك الوسط ، وهذه الصورة ^(١٠) توجد في المتحرك وهو في كل آن ^(١١) ؛ لأنه يصح أن يقال له في كل آن يفرض : " انه في حد متوسط ، لا يكون قبله ولا بعده فيه " .

- (١) المباحث : في الأعيان أصلا .
- (٢) ما بين المعكوفين سقط من الأصل (ص) وأثبتته من " المباحث " .
- (٣) المباحث : كونه . (في الموضوعين) .
- (٤) وأما : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتتها من " المباحث " .
- (٥) المباحث : . . . والمنتهى ، بحيث لا يكون قبله ولا بعده فيه .
- (٦) المباحث : حدود المسافة .
- (٧) المباحث : من الوسط .
- (٨) الأصل (ص) صفته . والمثبت من " المباحث " .
- (٩) المباحث : الحالة .
- (١٠) المباحث : وهذه الصفة .
- (١١) كل : سقطت من " المباحث " .

والذى يقال : " [من أن] كل حركة ففي زمان " . فان عني بالحركة
الأمر المتصل فهو في الزمان ، ووجوده فيه على سبيل وجود الأمور ^(٤) فسي
الماضي ، لكن بيانها بوجه آخر ؛ فان الأمور الموجودة في الماضي قد كان لها
وجود في آن من الماضي كان حاضرا فيه ، ولا كذلك هذا ^(٦) .
وان عني به المعنى الثاني ، فكونه في الزمان لا على معنى أنه يلزمه ^(٧)
مطابقة الزمان ، بل على معنى أنه لا يخلو من حصول [قطع ، و] ذلك ^(٨)
القطع مطابق للزمان ، فلا يخلو ^(١٠) من حدوث زمان ، ولأنه ثابت في كل آن من
ذلك الزمان ، فيكون ثابتا في هذا الزمان بواسطة " .

تعلق ابن تيمية ولما ذكر الرازي هذا في " مباحثه المشرقية " قال ^(١١) : " فهذا ما قالوه " ^(١٢) .
وذكره حكاية عنهم ، لم يقره كما جرت عادته بتقرير ما يترهن عنده .
واذا تدبر اللبيب هذا الكلام وجددهم فيه قد قلبوا الحقائق ؛ فجعلوا
الحركة الموجودة في الخارج ليست موجودة في الخارج ، بل في الذهن ، والأمر
الكلبي المطابق للجزيئات الخارجية الذي لا يوجد الا في الذهن ؛ جعلوه
موجودا في الخارج ^(١٣) .

-
- (١) ما بين القوسين سقط من الأصل (ص) ، وأثبتته من " المباحث " .
 - (٢) المباحث : فأما ان .
 - (٣) المباحث : فهي في الزمان ووجودها .
 - (٤) الأصل (ص) : الأمر . وأثبت ما في " المباحث " .
 - (٥) الأصل (ص) : آن في . وأثبت ما في " المباحث " .
 - (٦) المباحث : كانت حاضرة فيه ، وهذا ليس كذلك .
 - (٧) المباحث : وأما ان .
 - (٨) الأصل (ص) : مطابقته . والمثبت من " المباحث " .
 - (٩) الأصل (ص) : من حصول ذلك . والمثبت من " المباحث " .
 - (١٠) المباحث : فلا بد .
 - (١١) بعد الكلام السابق مباشرة ١ / ٥٥١ .
 - (١٢) المباحث : هذا ما قاله الشيخ ، وفي هذا الكلام اشكال من حيث . . . الخ . وسينقل ابن تيمية
اشكال الرازي الذي أورده على كلام ابن سينا فيما بعد ، ص ٣٠٣ .
 - (١٣) الأصل (ص) : موجود .

ومثل هذا يقع لهؤلاء كثيرا ؛ يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحدا^(١) ،
والذهني خارجيا والخارجي ذهنيا ، يجعلون المجردات العقلية - السبتي
يجردها العقل كالأعداد المجردة^(٢) والمقادير المجردة ، كالنقطة المجردة ،
والخط المجرد ، والسطح المجرد ، والجسم التعليمي المجرد عن كل شيء^٣
معين - أمورا موجودة في الخارج .

وكذلك ما يذكرونه في الجواهر العقلية : كالعقول ، وواجب الوجود الذي
يثبتونه ، والمادة والصورة ، والكليات المجردة - كل هذه اذا حققت لم تكن
ثابتة الا في الذهن لا في الخارج .

ويجعلون المحسوسات الموجودة في الخارج - كالحركات المتصلة الموجودة
في العالم العلوي والسفلي - انما هي في الذهن .

وأما قوله : " الأمر المتصل المعقول للمتحرك ، من المبدأ الى المنتهى ،
فذلك مما لا حصول له في الأعيان " .^(٣)

المناقشة
التفصيلية للكلام
ابن سينا

فيقال له : شيان :

أحدهما - الحركة المتصلة الموجودة في الخارج : كحركة الكواكب السبي
نشدها ، وكحركة الفلك عند من قام عنده دليل على أن الفلك نفسه هو المتحرك .
والثاني - الحركة الكلية المعقولة في الذهن ، المطابقة لكل معنى معين
من الحركات ، أو من أجزاء الحركة المتصلة / اذا فرض لها أجزاء^(٤) بالعرض .

ظ ٦٠

وهذا الكلي المعقول هو معنى قائم بذهن العاقل ، ليس هو الحركة
القائمة بالمتحرك ، بل هذه الحركة موجودة سواء قدر وجود ذلك
المعقول أو قدر عدمه ، كما توجد نفس الأجسام المتحركة سواء وجد من يعقلها
أو لم يوجد .

(١) الأصل (ص) : واحد .

(٢) الأصل (ص) : المجرد .

(٣) فذلك : كذا هنا ، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما تقدم ، والمباحث : وذلك .

(٤) في الأصل (ص) رسمت الكلمة هكذا : احرا . بلا نقاط ولعل الصواب ما أثبتته .

ونحن نعلم بالحس والعقل أن الحركة القائمة بالمتحرك متمثلة موجودة شيئا بعد شيء، بخلاف الكلي المعقول فإنه موجود في آن واحد قائم بالعاقل، وهو لا يوجد شيئا شيئا، ولا يكون بعضه قبل بعض، وقد يتصور الانسان حركته التي مكة جملة في آن واحد، وهي لا توجد في الخارج الى [في^(١)] مدة طويلة، وكذلك سائر الحركات.

وأما قوله: "لأن المتحرك مادام لم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بكاملها"، وإذا وصل فقد انقطع وبطل، فإن لا وجود له في الأعيان".

فيقال: هذا تلبيس؛ فان الموجود في الأعيان يراد به الوجود المجتمع المقترن في آن واحد، ويراد به مطلق الوجود وان كان شيئا بعد شيء، ومعلوم أن الحركة وأنواعها، ليس وجودها وجود النوع الأول كأبعض الجسم، وانما توجد شيئا فشيئا. ولهذا من قال: ان الكلام لا وجود له، أو الصوت لا وجود له، أو العقود: كالبيع والنكاح والاجارة لا وجود لها - فان عنى أنه لا يوجد كل جزء منه مع الآخر فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولكن هو موجود شيئا فشيئا.

وقوله: "المتحرك مالم يصل الى المنتهى فالحركة لم توجد بتمامها". يقال له: التمام انما يقال في حركة^(٢) محدودة، وأما مطلق الحركة فليس لها حد يكون تماما، وكل من النوعين يوجد شيئا فشيئا، ولا يلزم اذا لم توجد بتمامها أن لا يكون قد وجد بعضها، بل المتحرك من حين يتحرك الى أن يصل الى المنتهى فالحركة توجد شيئا فشيئا، ولا يلزم اذا كانت توجد شيئا فشيئا، ولم يوجد تمامها - أن لا يكون قد [وجد^(٣)] منها شيء، وهذا ظاهر يتبين به تلبيسهم.

(١) في: ليست في الأصل (ص)، ولعل الصواب اثباتها.

(٢) بكاملها: كذا هنا، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما تقدم، والمباحث: بتمامها.

(٣) مالم يصل: كذا هنا، وفي نقله فيما سبق (في موضعين)، والمباحث: مادام لم يصل.

(٤) الأصل (ص): في كل حركة. وشطب على كلمة "كل".

(٥) الأصل (ص): قد ومنها. ولعل الصواب ما أثبت.

وما يوضح هذا أن يقال : قولك : " الحركة لم توجد بتامها " نفي لوجود الحركة المحدودة تامة ، وهذا أخص من نفي وجود شيء من الحركة ؛ فإنه لا يلزم إذا لم توجد الحركة من بلده الى مكة تامة أن لا يكون قد وجد ما هو حركة أقصر وَّصَحَّ (١) من تلك ، والحركة تحاذى المسافة المحدودة فتوجد شيئاً بعد شيء ، وكلما وجد شيء زادت الحركة وطالت الى أن تتم الحركة المحدودة ، فتوجد أولاً حركة قصيرة ، ثم أطول منها ، ثم أطول من تلك ، الى أن توجد الحركة التامة .

وهكذا الأجسام ؛ فان النبات ينبت شيئاً بعد شيء ، وهكذا الحيوان ، وهما متحركان في الكيف بالنمو والاعتناء ، فاذا كل النبات انتهت الحركة التي هي النمو والاعتناء ، ولا يقال : " انه لم توجد حركة " . لأنه انما (٢) لم توجد له الحركة التامة .

ومن / المشهور عندهم وقوع الحركة في أربعة أنواع : في الكيفية ، والكمية ، والمكان الذي يسمونه " الأين " ، وفي الوضع وهو ما يكون محله واحداً كحركة الأجسام المستديرة : كالرحى ، والمنجنون الذي هو الدولاب (٤) ، والفلك ؛ فان محل الجسم المتحرك لا يختلف كما يختلف في الحركة المكانية ، ولكن يحاذى كل جزء من المحل أجزاء الحال شيئاً بعد شيء ، وفي جميع هذه الأنواع يوجد ابتداء الحركة شيئاً بعد شيء لما أن يوجد تمامها ان كانت محدودة لها منتهى ، أو الى أن ينتهي الى حد يفرض من المتحرك . ولا يجوز لقائل أن يقول : " ان الحركة اذا لم توجد بتامها الى منتهاها

٦١ ج

(١) في الأصل (ص) رسمت العبارة كذا : امصر وضح . بلا نقاط . في " لسان العرب " مادة " وضح " : " وَوَّضِحُ الطَّرِيقَ مَحَجَّتَهُ وَوَسَّطَهُ " .

(٢) الأصل (ص) : النمو .

(٣) الأصل (ص) : عما . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) في الصحاح ، مادة " منجن " : " المنجنون : الدولاب التي يستقن عليها ، قال ابن السكيت : " هي المحالة التي يسنى عليها " .

لم توجد حركة أصلاً ، ونفي الخاص لا يستلزم نفي العام ؛ فلا يلزم اذا لم يكن هناك حيوان صاهل أن لا يكون هناك حيوان أصلاً .

وأما قوله : " اذا وصل المتحرك الى المنتهى فقد انقطعت وبطلت ، فإذا لا وجود لها في الأعيان ^(١) " .

فيقال له : اذا وصل الى المنتهى انقطعت الحركة وبطلت بعد أن وجد منها ما وجد من المبدأ الى المنتهى ، وعند وجود التمام لم يبق شيء من الحركة المحدودة .

والانقطاع يراد به أنه لم يبق شيء يوجد من الحركة ، لا يعني به أنه لم يوجد منها شيء ، ولا ريب أن الحركة كلما وجد منها شيء عدم بعد وجوده ، لكن اذا عدم بعد وجوده لم يلزم أنه لم يوجد .

وأما قوله : " بل وجودها في الذهن ، لأن للمتحرك ^(٢) نسبة الى المكان الذي تركه والى المكان الذي أدركه ، فاذا ارتسمت صورة كونها في المكان الأول في الخيال ، ثم قبل زوالها عن الخيال ارتسمت صورة كونها في المكان الثاني - فقد اجتمعت الصورتان في الخيال ، فحينئذ يشعر الذهن بالصورتين معا على أنها شيء واحد ، وأما في الخارج فلا وجود له " .

فيقال له : هذا يقتضي اجتماع تصور الكون الأول والكون الثاني معا في الذهن ، وأجزاء الحركة لا توجد معا في الخارج ، بل توجد متعاقبة متتالية . فاذا قيل : يجتمع ^(٣) تصور أجزائها في الذهن في وقت واحد ، ولا يتصور وجود أجزائها في الخارج في وقت واحد . فهذا كلام صحيح ، والذي في الذهن هو العلم بها ، لانفسها ، والذي في الخارج نفسها ، لا العلم بها ، والعلم

(١) هنا اختلاف في إيراد قول ابن سينا عما سبق ، ص ٢٩٠ ، وهو لا يغير المعنى .
(٢) الأصل (ص) : المتحرك ، وفي نقل ابن تيمية للنص فيما سبق ، والمباحث ؛ وذلك لأن للمتحرك .
(٣) الأصل (ص) : جمع . بلا نقاط .

بالشيء ليس هو نفس الشيء المعلوم ، والمعلوم الذى لا يوجد الا متعاقبا متتاليا ، شيئا بعد شيء ، لا يوجد أوله وآخره في وقت واحد - هو غير العلم به الذى يوجد في وقت واحد ، بحيث قد يتصور أوله وآخره في وقت واحد .

وغاية ^(١) الجواب أن الوجود يراد به الوجود المقترن في وقت واحد ، ويراد به الوجود المتعاقب المتتالي ، ولا ريب أن ليس وجودها هو النوع الأول من الوجود ، وإنما / وجودها هو النوع الثاني من الوجود ، ولا يلزم من نفي الأول نفي الثاني ، ولا من نفي أحد نوعي الوجود نفي مطلق الوجود . ولو قدر أن القائل قال : أنا لا أسي وجودا ^(٢) الا النوع الأول ، لكان هذا نزاعا لفظيا ، والمقصود أن الحركة لها ^(٣) [وجود] متتالي متعاقب معلوم بالحس والعقل ، والنزاع في ذلك سفسطة .

وأما قوله : " الثاني - وهو الأمر الوجودى في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين السبدأ والمنتهى ، بحيث أى حد يفرض فيه لا يكون فيه لا قبله ولا بعده ، وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشيء ^(٤) يكون متحركا ، وليس في هذه الحالة تغير أصلا " الى آخره كما تقدم .

فيقال له : أولا - كون الجسم متوسطا بين حدين ، يكون مع كونه متحركا ، ويكون مع كونه ساكنا ، بل المتوسط في السكون أظهر ؛ فانه اذا توسط بسين الحدين على السوا فهو متوسط حقيقة ^(٥) ، وتوسط مستمر مادام ساكنا ، بخلاف المتحرك فانه وان كان يحصل له هذا المتوسط فانه لا يلبث ، بل كما تتوسط الشمس والكواكب في وسط السماء ثم تزول ^(٦) عقيب ذلك .

(١) الأصل (ص) : في وقت واحد ملته [هكذا] وشطبت كلمة " واحد " ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : وجود .

(٣) الأصل (ص) : أن الحركة لها نزاع لفظي . ولعله سهو .

(٤) الأصل (ص) : لا يكون .

(٥) حقيقة : في الأصل (ص) رسمت هكذا : جمعته . بلا نقاط .

(٦) تزول : في الأصل (ص) رسمت هكذا : حرول . بلا نقاط .

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين

شرح الأصبهانية

وهو شرح عقيدة مختصرة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عباد العجاي الأصبهاني الأشعري
٦١٦ - ٦٨٨ هـ

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية
٦٦١ - ٧٢٨ هـ

تحقيق ودراسة

محمد بن عودة السعوي

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه

بإشراف: الدكتور محمد رشاد سالم

الجزء الثاني

١٤٠٧ هـ

وهم لم يمعنوا بالتوسط ، أن يكون المتوسط بين الحدين على السواء ، بل ما هو أعم من ذلك بحيث يكون من حيث ابتداء الحركة الى منتهاها متوسطا ، وهذا أيضا يكون مع السكون ؛ فان كونه^(١) في أى حد فرض لا يكون فيه لاقبله ولا بعده ، يكون مع سكونه ويكون مع حركته .

وانا كان التوسط بالمعنى الخاص والعام ، يكون مع الحركة تارة ومع السكون أخرى ، لم يكن في تفسير الحركة بالتوسط بيان لمعناها ، اتما نسي ذلك ذكر بعض لوازم الحركة ؛ فان المتحرك من مبدأ الى منتهى يلزمه أن لا يزال بينهما ، فكونه بينهما حال لازم له مادام متحركا ، وهذا هو التوسط الذى ذكروه ، ومعلوم أن هذا ليس هو نفس الحركة ، بل الحركة تحوله مسن محل الى محل ، وكونه بين الحدين أمر لازم لحركته .

بل وتفسير الحركة بهذا يشبه تفسير الحيوان بأنه^(٢) النامي المفتدى ، والنامي المفتدى أعم من الحيوان ؛ فان النبات تام^(٤) مفتد ، وكذلك تفسير الانسان بأنه الحساس المتحرك بالارادة ، والحساس المتحرك بالارادة أعم من الانسان ، فتفسير الحركة بأنها التوسط بين المبدأ والمنتهى تفسير لها بأمر أعم [من] الحركة^(٥) ، فاذا كان التوسط يكون للجسم اذا كان بينهما سواء كان متحركا أو كان ساكنا^(٦) .

ثم يقال : التوسط يراد به نوع التوسط ، ويراد به التوسط المعين ، ومعلوم أن النوع أمر كلي ، وشباته لا يوجد في الخارج كلها ، وانما يوجد / نسي الخارج التوسط [المعين]^(٨) ، وهذا التوسط وكل واحد من التوسطات المعينة

ج ٦٢

- (١) الأصل (ص) : فاكونه .
- (٢) الأصل (ص) : بساه . بدون نقاط .
- (٣) الأصل (ص) : فانه .
- (٤) الأصل (ص) : تام . وهو تحريف .
- (٥) الأصل (ص) : تفسير لها أمر أعم الحركة .
- (٦) الأصل (ص) : وكان .
- (٧) وشباته : رسمت في الأصل (ص) : وساه . بلا نقاط .
- (٨) المعين : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

حركة معينة ، وجنس الحركة يتم هذا كله ، والحركة الكلية العقلية لا توجد في الخارج الا معينة ، كما أن التوسط كذلك ، والحركة المتصلة الموجودة شيئا بعد شي* هي التوسط المتصل [الموجود^(١)] شيئا بعد شي* .

فهنا ثلاثة أمور :

أحدها - حركة متصلة موجودة شيئا بعد شي* ، وهو متوسط متصل يوجد شيئا بعد شي* .

والثاني - مايعين بالفرض من أجزاء تلك الحركة وذلك التوسط، وهذان أمران موجودان في الخارج .

والثالث - الحركة الكلية الموجودة في الذهن الشاملة لهذا كله ، وهي توجد معا في آن واحد ، بخلاف الحركة المتصلة فانها لا توجد الا شيئا بعد شي* ، وأجزاؤها لا يوجد منها الثاني الا بعد الأول ، فلا توجد الا متعاقبة متتالية . فهذا الثالث هو الذهني ، والأولان خارجيان .

وهو* جعلوا التوسط الكلي الذهني خارجيا ، وجعلوا الحركة المتصلة الموجودة في الخارج ذهنية ، والحركة هي التوسط ؛ فقلبوا الحقائق ، فجعلوا الذهني خارجيا ، والخارجي ذهنيا .

ومما يوضح ذلك أنه قال : " الثاني وهو الأمر الوجودي في الخارج ، وهو كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، بحيث أى حد يفرض فيه [لا يكون فيه^(٢)] لاقبله ولا بعده ، وهو حالة موجودة مستمرة مادام الشي* يكون متحركا " .

فيقال له : كون الجسم متوسطا بين المبدأ والمنتهى ، قد يعنى به توسطه بين مبدأ معين^(٣) ومنتهى معين^(٣) ، فيكون التوسط معينا ، وهذا التوسط يسزول ويخلفه توسط آخر ، فليس هو مستمرا ؛ ويعنى به جنس التوسط من مبدأ مطلق

(١) الموجود : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) ما بين المعكوفين سقط من الأصل (ص) ، وأثبتته بعد الرجوع الى النص فيما تقدم .

(٣) الأصل (ص) يمكن قراءة كلمة " معين " في الموضعين : معنى .

ومنتهى مطلق ، وهو الأمر الكلي المعقول ، فهذا الوجود له في الخارج .
وكذلك قد يعني به توسط متصل من مبدأ بعد مبدأ ، والى منتهى بعد^(١)
منتهى ، فان المتحرك اذا تحرك من مبدأ الى منتهى : فالحركة توجد شيئا
فشيئا ، وهو اذا عين مبدأ حركته المطلوبة ومنتهائها ، كان مبدأها بلسده
الذي يحج منه ومنتهائها مكة ، فهو لا يزال بين بلدة ومكة .

وإذا أريد به هذا^(٢) التوسط ، فليس المراد في وسط الطريق ، بل
المراد أن ما بين بلدة ومكة وسط بينهما ، وهو لا يزال في هذا الوسط ، فهذا
هو التوسط المتصل ، وهو الحركة المتصلة ، وهذا التوسط والتحرك لا يزال
يوجد شيئا بعد شيء .

وقول القائل : " ان هذه حالة مستمرة مادام الشيء يكون متحركا " كقوله :
ان الحركة حركة مستمرة مادام الشيء متحركا ، وقوله : " ليس في هذه الحالة
تغير أصلا " كقوله : ليس في الحركة المتصلة تغير أصلا .

ولفظ " التغير " و " الاستمرار " فيه اجمال ؛ فقد يقال : " ليس / فيسه
تغير " ، والمعنى أن الحركة مستمرة لا تنقطع ، وقد يعني به أن هناك حركة^(٣)
هي تغير ، وهي في نفسها تحول من حال معين الى حال معين .

فانما أريد الأول فهو صحيح ، ولكن يبين غلطهم ؛ فانهم إنما أرادوا
المعنى الذي به يحصل مقصودهم ، فان نفس الذي يسمى " حركة " و " تغيرا "
و " تحولا " ونحو ذلك من العبارات اذا كان مستمرا دائما كان التغير والتحول
والحركة دائما مستمرا ، والدائم المستمر اذا لم ينقطع فهو لم يتغير ، بمعنى أنه
لم يعدم التغير والتحرك والتحول ، لا بمعنى أن نفس التحول والتحرك ليس تحولا
ولا تحركا^(٤) .

-
- (١) الأصل (ص) : منتهى .
 - (٢) الأصل (ص) : وإذا أريد بهذا . ولعل الصواب ما أتته .
 - (٣) الأصل (ص) : المعنى ، بدون الواو .
 - (٤) الأصل (ص) : أنه .
 - (٥) الأصل (ص) : بأن .
 - (٦) الأصل (ص) : ولا تحركا وحردا . بدون نقاط ، ولعل الكلمة الأخيرة زيدت سهوا .

ولفظ " التفسير " قد يراد به مسمى " الحركة " ، وهذا موجود في الحركة لا يزال ، وقد يراد به انتقال المتحرك من صفة الى صفة تخالفها ؛ كانتقال الانسان من جهل الى علم ، ومن ضعف الى قوة ، ومن جوع الى شبع .

فان قيل : ان الحركة الواحدة المتصلة ليس فيها تغير بهذا الاعتبار ، الثاني [فهو]^(١) صحيح ، وان أريد نفيه بالاعتبار الأول فهو باطل ؛ فان الحركة لذاتها تقتضي أن بعض أجزائها مسبق ببعض .

وسا يوضح هذا قوله بعد ذلك : " نعم ، قد تتغير حدود المتوسط بالعرض ، لكن ليس كون المتحرك متحركا لأنه في حد معين الوسط ، والا لم يكن متحركا عند خروجه منه ، بل لأنه متوسط على الصفة المذكورة ، وتلك الحال ثابتة في [جميع]^(٢) حدود ذلك الوسط " .

فانه يقال له : كون المتحرك متحركا يراد به المعنى الكلي العقلي ؛ وهو ثبوت الحركة المطلقة له ، كما يقال : كون الموجود موجودا ، وكون الحي حيا ، وكون العالم عالما ؛ فالمتحركة المطلقة ، والعالمية المطلقة الكلية لا توجد في الخارج كلية^(٣) ، وهذه هي الثابتة عند كونه في الحد الأول والحد الثاني ، فهذه الصورة العالمية ثابتة في الحالين ، وليست هذه هي الحركة الموجودة في الخارج ، بل هي التي جعلها في الذهن كما تقدم .

وأیضا فحركته المتصلة من المبدأ الأول الى المنتهى الآخر ثابتة ، سواء جاز الجزء الأول من المسافة أو الثاني ، وهذا يوجد شيئا بعد شيء ، فانما عدم الجزء الأول منها كان الثاني موجودا ، فهي لم [تنقطع]^(٤) .

وهذا المتوسط هو الموجود في الخارج ، وهو الحركة المتصلة الموجودة في الخارج ، وهي غير المتوسط في حد معين ، وغير المعنى الكلي المعقول .

(١) فهو : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) جميع : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من مكان ورود النص فيما سبق .

(٣) الأصل (ص) : كله .

(٤) تنقطع : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها تفي بالمعنى هنا .

فاذا نفيت عن هذه الحركة المطلقة أن تكون هي هذا المعين فهذا صحيح ، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون هي التوسط المتصل الموجود في الخارج ، الذي يوجد شيئا فشيئا ، ولا يلزم أن يكون التوسط واحدا بالمعين جملة ، لا يوجد شيئا فشيئا .

وهكذا كما أن الانسان قد يراود به المعين ، وقد يراود الانسان الكلي المعقول في الذهن ، وقد يراود به الانسان في الخارج ، فلا يلزم من عدم أن يكون هو المعين أن يكون هو ذلك العقلي الذي / في الذهن ، بل هو أفراد موجودة في الخارج كثيرون ، سواء قدر وجودهم معينا أو متعاقبا .

ج ٦٢

لكن طبيعة الحركة تستلزم التعاقب ، وأن لا تكون الا شيئا فشيئا ، بخلاف الانسان فانه قد توجد - أو كثيرا منها - أفراد مجتمعة في آن واحد .
وأما قوله : " وهذا التصور يوجد ^(١) في المتحرك وهو في كل آن ؛ لأنه يصح أن يقال له في كل آن يفرض : انه في حد متوسط لا يكون قبله ولا بعده ."
فيقال له : هب أن الأمر كذلك ، لكن هذا حكم كلي عقلي ، فان صحة أن يقال له في كل آن : انه في حد متوسط - حكم مطلق كلي على حد مطلق وتوسط مطلق ، لا يقال له في كل آن : متوسط بين مبدأ حركته ومنتهاها ، الا أن معنى بالتوسط التوسط المتصل ، وهو الحركة المتصلة ؛ كما يقال للمسافر من بلده الى مكة : انه لا يزال متوسطا بين بلده ومكة ، وكما يقال للشمس : انها لا تزال متوسطة بين المشرق والمغرب من حين طلوعها الى غروبها . وهذا التوسط غير توسطها المعين عند انتصاف النهار ، وهو أيضا غير كل توسط توسط من مبدأ معين ومنتهى معين غير المشرق والمغرب .

فانها مثلا اذا ظهرت من المشرق ، فحركتها مقدار درجة من درجات الفلك ، لها مبدأ ومنتهى ، وحركتها مقدار درجة ثانية كذلك ، فالمبدأ

(١) كذا هنا ، وأصل العبارة كما نقلها ابن تيمية فيما تقدم : وهذه الصورة توجد .

والمنتهى أمر اضافي ، فاذا عين المشرق والمغرب كان لها توسط باعتبار ذلك ، واذا عين من درجة الى درجة كان لها توسط باعتبار ذلك ، وفي كل حد قد يعنى بالتوسط كونها بينهما ، وقد يعنى بالتوسط أن يتكون قسـد قطعت نصف المسافة ، وقطع نصف المسافة واحد بالعين ، وهو جزئي يمنع تصوره من وقوع الشركة^(١) ، وكذلك التوسط المتصل وهو الحركة المتصلة واحد بالعين في الخارج ، ولكنه لا يوجد الا شيئا فشيئا ، وهو جزئي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه .

وأما اذا جعل التوسط أجزاء ، كما تجعل الحركة أجزاء فيقال : هذا توسط وهذا توسط . فالمعنى العام الذى يعم ذاك كلى ، لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، والتوسط الأول غير الثاني^(٢) .

والحال الثابت في جميع الحدود أمران : الأمر المتصل والأمر المعقول ، لكن ثبات المتصل هو ثبات حركة مستمرة وتغير مستمر ، فنفس الحركة هي الثابتة ، وثباتها هو ثبات التحول الذى يسمى تغيرا وحركة .

يقال في الانسان : هو ثابت على حال واحدة . اذا كان ثابتا على عمل واحد ، وان كان ذلك العمل نفسه تحولا : يتقدم بعضه على بعض . وكذلك يقال : هو على طريقة واحدة ، وسجية واحدة^(٣) ، ونحو ذلك . وان كان ذلك موجودا متصلا شيئا بعد شي ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون الشيء المتصل الموجود شيئا بعد شي غير موجود في الأعيان .

وأما قوله : " والذى يقال : من [أن^(٤)] كل حركة فففي / زمان . فان عني بالحركة الأمر المتصل فهو فيه ، وموجودة فيه على سبيل وجود الأمور

ظ ٦٣

(١) قد يكون سقط من هنا عبارة " فيه " .

(٢) الأصل (ص) : عن ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) وسجية : في الأصل (ص) رسمت هكذا : وسحه . بدون نقاط ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) أن : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتتها من موضع ورود النص فيما تقدم .

(٥) وموجودة : كذا هنا ، وتقدم نقل ابن تيمية للنص وفيه : ووجود .

في الماضي ، لكن بيانها بوجه آخر^(١) ؛ فان الأمور الموجودة في الماضي قد كان لها وجود في آن من الماضي كان حاضرا فيه ، ولا كذلك هذا ."

فيقال له : بل وجود الحركة في الزمان ، بمعنى أن لها وجودا نفسي آن هي حاضرة فيه ، وان لم يكن لها وجود في الزمان بهذا الاعتبار فلا وجود لها أصلا ، ووجود الشيء في الحاضر أكل من وجوده في الماضي ؛ فان ما يوجد في الماضي من الحركات والأزمنة قد عدم ، بخلاف الحاضر ، فكيف يكون موجودا في الماضي مع أنه لم يكن موجودا في حاضر ، مع أن كون الشيء ماضيا وحاضرا أمر اضافي باعتبار المتكلم ؛ فالتكلم الذي يقول الآن ؛ يكون ما هو موجود وقت كلامه حاضرا ، وما تقدم [كلامه]^(٢) ماض ، وما بعده مستقبل .

وقد اعترض الرازي على هذا فقال^(٣) : " وفي هذا الكلام أشكال آخر ، وهو أن^(٤) ما لا وجود له في الخارج كيف يتقدر بالزمان الموجود في الأعيان ، بسبب الحركة عند الشيخ - يعني ابن سينا^(٥) - محل الزمان وعلته^(٦) ، فالمعدوم كيف يكون محلا للوجود^(٧) وطه له ، اللهم الا أن يقال : الزمان لا وجود له نفسي الخارج بل في الذهن " . قال^(٨) : " والشيخ ليس من القائلين بهذا المذهب .

الرازي يورد اشكالا على كلام ابن سينا في الحركة

قلت : بل وجود الحركة أظهر للعقل والحس من وجود ما يدعون أنسه الزمان ، وهو مقدرا الحركة ؛ فيمتنع كون الأضعف المعلول وجودها دون الأقوى الذي هو العلة .

تعليق ابن تيمية

وابن سينا ألجأ الى هذه السفسطة - التي لا يخفى فسادها على من فهم حقيقة ما يقول ، ولم يكن مقلدا له - أنه يجعل الحركة الموجودة موجودة نفسي

- (١) الأصل (ص) : ماها . بلا نقاط .
- (٢) كلامه : ترك مكانها في الأصل بهاضا .
- (٣) في كتاب " المباحث المشرقية " ١ / ٥٥١ .
- (٤) المباحث : اشكال من حيث أن .
- (٥) كلمة " يعني ابن سينا " من ابن تيمية للايضاح .
- (٦) المباحث : وطه له .
- (٧) المباحث : للموجود .
- (٨) بعد الكلام السابق مباشرة .

آن واحد ، ولم يجعل الحركة المتصلة موجودة في الخارج ، لثلا يكون شئ^{*} موجود يوجد شيئا بعد [شئ^(١)] ، ليخلص بذلك ما يظهر به فساد قوله بقدوم العالم عن علة موجبة .

فان العلة اذا كانت قديمة أزلية تامة لزم أن يكون معلولها كذلك ، ويمتنع في صريح العقل صدور المعلول - الذي يوجد شيئا فشيئا - عن علة تامة مستزمنة لمعلولها .

فأراد أن يجعل الحركة المعلولة الموجودة في الخارج هي موجودة معا أزلا وأبدا ، لا يتقدم منها شئ^{*} قبل شئ^{*} ، بل جعل الحركة نفسها كالفلك نفسه لا يزال مساوقا للعلة ، وزعم أن ما يوجد شيئا بعد شئ^{*} لا وجود له في الخارج .

ومعلوم أن الكلام ليس في حركة الفلك وحدها ، بل في جميع الحركات ، فيلزم من ذلك أن جميع الحركات الموجودة في العالم العلوي والسفلي : كحركة الرياح والمطر والسحاب والحيوان والنبات والمعادن لم يوجد منها شئ^{*} قبل شئ^{*} ، بل الموجود من كل حركة هو واحد بالعين ، ثابت لا يوجد فيه شئ^{*} قبل شئ^{*} ، وما يوجد شئ^{*} قبل شئ^{*} فلا وجود له في الخارج .

وهذا من أظهر السفسطة ، لاسيما والحركة عندهم تحتها أنواع^(٢) : منها الحركة / في " الكيف " كحركة الجسم في السواد والبياض ، وتحرك الانسان من الجهل الى العلم ، ومن العجز الى القدرة . والحركة في " الكم " كحركة الحيوان والنبات بالنمو والاعتداء في الجهات . والحركة المكانية الوضعية .

وعلى ما قاله يلزم أن لا يكون شئ^{*} ما يوجد ، يحصل شيئا بعد شئ^{*} - موجودا في الخارج ، [بل الموجود في الخارج^(٣)] واحد بالعين ، لم يحدث

(١) شئ^{*} : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) الأصل (ص) : تحته .

(٣) ما بين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله ساقط .

شيء أصلا لا بواسطة ولا بغير واسطة ، بل لم يفعل شيء^(١) أصلا ، فان الحادث المسبوق بغيره عنده لم يوجد في الخارج ، وانما وجد في الخارج ما هو ثابت أزلي أبدي ، فيلزم أن يكون كل موجود في الخارج أزليا أبديا لم يتغير البتة .

وهذا من أعلى مراتب السفسطة ، وحقيق لمن هذا حاله في المعقولات أن يكون من أكابر الملحدين في السمعيات : فيحرف الكلم عن مواضعه ، ويلحد في أسماء الله وآياته ، وهذا حال الذين قالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^(٢) .

قال الرازي في اشكاله الذي أورده وجها عليه :^(٣) " وأيضاً فكيف يكون [وجود]^(٤) الحركة بالمعنى الأول في الزمان ، على سبيل الوجود في الماضي ، مع الاعتراف بأن حصول الشيء في الماضي ، هو أن يكون قد كان له حصول في آن من الآتات الماضية ، مع أنه ليس لهذه الحركة وجود أصلا " .

عود على الاشكال
الذي أورده
الرازي

قال^(٥) : " ثم لنترك ذلك ولننتكم فيما هو أهم ؛ فان لقائل أن يقول : الحركة اما أن تكون [مركبة]^(٦) من أمور كل واحد منها غير قابل للقسم ، واما أن لا تكون كذلك ، والأول باطل والا لكان الجسم كذلك ، فان الجسم لو كان منقسما لكان الواقع في أحد جزئيه غير الواقع في الجزء الثاني ، وأما اذا كانت قابلة للقسم أبدا فالأجزاء المفترضة فيها لا توجد بأسرها دفعة ؛ لأنها منقضية سيالة ولا محالة يوجد منها شيء بعد شيء ، فالشيء الموجود ان لم يكن منقسما ، فذلك الذي يحصل الانقضاء به مقارنا - شيء غير منقسم ، فالحركة

(١) الأصل (ص) : شيئا .

(٢) سورة الملوك : ١٠ .

(٣) الأصل (ص) : وجه عليه . والكلام التالي في " المباحث المشرقية " ١/٥٥١-٥٥٢ بعد النص الذي أورده ابن تيمية قبل قليل ، ص ٣٠٣ مباشرة .

(٤) وجود : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .

(٥) بعد الكلام السابق مباشرة ، السباحة ١/٥٥٢ .

(٦) مركبة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .

(٧) المباحث : لأن . (٨) السباحة : وأما ان .

(٩) المباحث : فذلك الذي يحصل مقارنا لانقضائه أيضا .

مركبة من أمور غير منقسمة ، هذا خلف ، وان كان منقسما كان بعضه قبيل وبعضه بعد ، فلا يكون كله حاصلًا ، فلا يكون الحاصل حاصلًا [هذا^(١)] خلف .

تعقيب ابن تيمية قلت : هذا اشكال أورده الرازي يقتضي أنه ليس للحركة وجود أصلا ومقتضاه أبعد عن الحق ما ذكره ابن سينا ، وهو مبني على نفي الجوهر الفرد ، مع أن الرازي يستدل على اثبات الجوهر الفرد بنقيض هذه الحجة ؛ فسان هذه الحجة مبناها على أن الحركة والزمان ليس له جزء لا يقبل القسمة ، بل يقبل القسمة أبدا ، فينفي الآن الذي لا ينقسم ، وهو في موضع آخر يثبت الآن الذي لا ينقسم .

قال^(٢) : " لأنه لولا ثبوت الآن لانتفى الماضي والمستقبل ، وازالزم وجوده أن لا ينقسم لزم وجود حركة لا تنقسم ، فيلزم ثبوت متحرك لا ينقسم ، لأن الزمان مقدار الحركة ، والحركة قائمة بالمتحرك ، وإذا كان العرض لا ينقسم فمحله لا ينقسم . "

وقد بسط الكلام / على هذا في غير موضع ، وبين أن القول باثبات الجوهر باطل ، والقول أيضا بتركب الأجسام من المادة والصورة باطل ، وان كانت كتب الرازي وأمثاله^(٣) ليس فيها ما يتصورونه الا هذان القولان - فجمهور المسلمين ، نظارهم وغير نظارهم ، على خلاف هذين القولين : لا يقولون باثبات الجزء الذي لا ينقسم ، ولا يقولون بالتركيب من المادة والصورة .

وأیضا فالقول بقبول الانقسام الى غير نهاية باطل ، بل الأجسام اذا تصفرت أجزائها استحالت الى نوع آخر ، والقول باستحالة الأجسام بعضها الى بعض قول جمهور الناس ، وهو قول الفقهاء والأطباء وكثير من أهل الكلام ،

ظ ٦٤

(١) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .

(٢) ورد معنى الكلام التالي في كتاب " الأربعين " للرازي ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ تحت عنوان " المسألة السابعة والعشرون في اثبات الجوهر الفرد " .

(٣) الأصل (ص) : وامالة . ولعل الصواب ما أثبتته .

وكذلك ما ذكر من أن الجسم اذا صفر استحاله قول كثير من نظار المسلمين
والفلاسفة .

ويكل حال فهذه الحجة مضمونها أن [مالا] يوجد الا شيئا بعد
شيء ، لا يوجد وجودا مقترنا بعضه ببعض ، فلا يوجد معا ، وهذا مسلم
لا ينازع فيه عاقل ، فغاية ما يذكرونه أنه لا بد أن يكون بعضها قبل بعض ،
وهذا حق ، لكن دعواهم أن ما كان هكذا لا يكون موجودا دعوى باطلسة . وان
قالوا : مرادنا أنه [لا] يوجد معا في آن واحد . فهذا لم يدعه أحد .
وهذه الأمور ليبسطها موضع آخر ، والمقصود هنا التنبيه على ما به
يعرف ضلال هؤلاء ، وتعرف أصول أقوالهم التي بها خالفوا العقل والسمع .

ومما يوضح هذا أنهم قد قالوا : " حقيقة الحركة هي الحدوث ،
أو الحصول ، أو الخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا ، أو بالتدرج ،
أو لادفعة " .

كلام الرازي في
حقيقة الحركة

قالوا : " وهذه العبارات دالة على معنى الحركة ، ومنهم من يحد بها
الحركة ، ومنهم من لا يستعملها في الحد وان كانت مطابقة للمسمى ، لأن الدفعة
عبارة عن الحصول في الآن ، والآن طرف الزمان ، والزمان مقدار الحركة فيكون
تعريف الحركة به دورا " .

- (١) الأصل (ص) : أن يوجد . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٢) الأصل (ص) : أنه يوجد . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٣) في " المباحث الشرقية " قبل الفصل الثاني الذي وردت فيه النصوص السابقة يعقد الرازي (١/٥٤٧) " الفصل الأول في رسم الحركة " ويقول في أوله : " اعلم أن الموجود يستحيل أن يكون بالقوة من
كل وجه . . . فاذا الشيء ، اما أن يكون بالفعل من كل الوجوه أو يكون بالفعل من بعض الوجوه
ومن بعضها بالقوة ، فكل ما بالقوة فاما أن يكون خروجه الى الفعل دفعة وهو المسمى بالكسبون
أو لا يكون دفعة وهو المسمى بالحركة فحقيقة الحركة . . . الخ .
- (٤) أو بالتدرج : كذا في " المباحث " ، وفي الأصل (ص) : وبالتدرج .
- (٥) في " المباحث ١/٥٤٧ - ٥٤٨ " بعد الكلام السابق مباشرة ، ولكن ابن تيمية يورد ما في المباحث
باختصار .
- (٦) لفظ ما في " المباحث " هو " وكل هذه العبارات صالحة لافادة هذا الفرض ، لكن المتقدمين
استردوا هذا التعريف ؛ لأن الدفعة عبارة عن الحصول في الآن ، والآن عبارة عن طرف الزمان ،
والزمان عبارة عن مقدار الحركة ، فاذا ينتهي تحليل تعريف الدفعة الى الحركة ، فلو أخذنا ههنا
في حد الحركة لزم الدور ، وكذلك اذا قلنا : انها الخروج من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا أو على
التدرج فان كل ذلك لا يعرف الا بالزمان الذي لا يعرف الا بالحركة ويلزم منه الدور " .

وهذا كما بعض فيمن يعرف الخير بأنه ما يقبل التصديق والتكذيب ،
ونحو هذا التعريف ان صح ، فالتصديق والتكذيب نوعا الخير فلا يعرفان
الا بالخبر ، فتعريف الخير بهما^(٣) دور . ولهذا نظائر .

وجواب هذا أنه قد تكون الألفاظ المذكورة في الحد أعرف عند بعض
الناس من المحدود فتكون تعريفا لما هو أخفى عنده بما هو أجلى عنده ،
وقد يعرف الزمان والآن من يحتاج الى معرفة تسمى " الحركة " .
وأياها فالحد يراد به ما يميز المحدود عن غيره ، وهذا يحصل بهذا ،
ويراد به ما يتصور به كنه المحدود ، وهذا باطل ، كما قد بسط في غير هذا
الموضع ، وبين أن الحد تفصيل مادل عليه الاسم بالاجمال ، فدلالته من جنس
دلالة الأسماء المفصلة^(٥) .

ثم رأيت هذا الجواب قد ذكره الرازي عن بعض الفضلاء / واستحسنه ،
فقال : " وأجاب بعض الفضلاء من ذلك ، فقال : تصور حقيقة الدفعية
واللادفعية^(٧) والتدرج ؛ كل ذلك تصورات أولية لا عانة الحس عليها ، فأما
أن نعلم أن هذه الأمور انما تحصل بسبب الآن والزمان فذلك هو المحتاج
الى البرهان ، فمن الجائز أن تعرف حقيقة الحركة بهذه الأمور ، ثم تجعل^(١٠)

ج ٦٥
عود للكلام الرازي

- (١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل أصل الكلام : وهذا كما [يقول] بعض من يعرف الخير .
- (٢) الأصل (ص) : ان صح التصديق . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٣) الأصل (ص) : بها . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٤) الأصل (ص) : الحدود . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٥) بسط ابن تيمية الكلام في الحد في أول كتابه " الرد على المنطقيين " ، انظر ص ٤ ؛ حيث
يعنون ابن تيمية " العقام الثاني وهو أنه هل يمكن تصور الأشياء بالحدود ؟ " .
- (٦) المباحث الشرقية ١ / ٤٨ هـ بعد الكلام الذي نقلت لفظه في الصفحة السابقة هامش (٦) -
مباشرة .
- (٧) الأصل (ص) : والا دفعة . والمثبت من " المباحث " .
- (٨) المباحث : فانا نعلم .
- (٩) المباحث : انما تعرف .
- (١٠) المباحث : ومن .

الحركة معرفة للزمان والآن ، اللذين هما سببا هذه الأمور التي هي أولية^(١) التصور، وحينئذ لا يلزم الدور". قال^(٢): " وهذا جواب حسن".

قال^(٣): " والمتقدمون لما استقبلوا هذا النوع من التعريف، سلكوا في تعريف الحركة [نهجاً]^(٦) آخر؛ فقالوا: الحركة أمر ممكن الحصول للشيء^(٧)، وكل ما يمكن حصوله للشيء، فان حصوله كمال لذلك الشيء، فالحركة اذاً كمال لما يمكن أن يتحرك، ولكنها تفارق^(٨) سائر الكمالات من حيث انها لا حقيقية [لها]^(١٠) الا التأدى الى الغير والسلوك^(١١) اليه، وما كان كذلك فلا بد له من خاصيتين:^(١٢)

احدهما - أنه لا بد هناك من مطلوب ممكن الحصول ليكون التوجه توجيها اليه.

واخرهما - أن ذلك التوجه مادام موجودا فقد بقى منه شيء بالقوة، فان المتحرك انما يكون متحركا بالفعل اذا لم يصل الى المقصود، ومادام كذلك فقد بقى [منه]^(١٥) شيء بالقوة، فاذاً هوية الحركة متعلقة بأن يبقى شيء منها بالقوة، [وبأن]^(١٧) لا يكون الشيء^(١٨) الذي هو المقصود من الحركة حاصلًا

- (١) المباحث : هذه الأمور الأولية .
- (٢) بعد الكلام السابق مباشرة .
- (٣) بعد الكلام السابق مباشرة .
- (٤) المباحث : ثم ان المتقدمين .
- (٥) استقبلوا : كذا في " المباحث " ، ورسمت الكلمة في الأصل (ص) : اسحمو . بلا نقاط .
- (٦) نهجاً : ترك مكانها في الأصل (ص) بياضاً . وأثبتها من " المباحث " .
- (٧) الأصل (ص) : لحصول للجسم . والمثبت من " المباحث " .
- (٨) المباحث : لا تفارق .
- (٩) المباحث : انه .
- (١٠) لها : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .
- (١١) الأصل (ص) : والسكون . والمثبت من " المباحث " .
- (١٢) الأصل (ص) : خاصين . وفي " المباحث " : وما كان كذلك فلامحالة له خاصيتان .
- (١٣) الأصل (ص) : متوجها . والمثبت من " المباحث " .
- (١٤) واخرهما : كذا في " المباحث " ، وفي الأصل (ص) : الثاني .
- (١٥) منه : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " المباحث " .
- (١٦) الأصل (ص) : متعلقة بأن شيئاً منها شيء بالقوة . والمثبت من " المباحث " .
- (١٧) وبأن : مكانها في الأصل (ص) بياضاً ، وأثبتها من " المباحث " .
- (١٨) الشيء : سقطت من " المباحث " .

بالفعل ، وأما سائر الكمالات فلا توجد فيها واحدة من هاتين الخاصيتين .

الى أن ذكر حدود الفلاسفة للحركة ؛ فقال : ^(١) " قال أرسطو : هي كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، قال فيثاغورس : هي الغيرية . أى التغيير ^(٢) .

تعريف متقدمي
الفلاسفة للحركة

قلت : والمقصود أن كلامهم وكلام سائر العقلاء يقتضي أن الحركة المتصلة شيئا بعد شيء أمر موجود في الخارج عندهم ، لكن وجودها [ليس] وجود ^(٣) ماتوجد أجزاؤه معا كأعضاء الجسم ، وعلى هذا فأجناسها وفروعها كالأقوال والأفعال ^(٤) من الناس وغير الناس ؛ وما يدخل في ذلك من العبارات والمعاملات وغير ذلك من الصلوات والأدعية والأذكار والجهاد وأصوات الآدميين والبهائم وغيرهم - كلها وجودها بهذا الاعتبار .

تعليق ابن تيمية

فمن زعم أن الحركة المتصلة ليست موجودة في الخارج فهو مكابر للحس والعقل ، ومن فسر التوسط بين المبدأ والمنتهى بهذه الحركة فالمعنى واحد ، وإذا قال : ان هذا المتصل قد تتغير أعضائه وتتجزأ باعتبار محله أو غير محله ، فيكون لها أجزاء وأعضاء فهذا حق . و [أما] الأمر المعقول ^(٥) الكلي المتناول الجنس الذي يوجد في آن واحد ، فهذا ليس بموجود في الخارج ، وهذا هو العلم بالحركة ، ليس هو نفس الحركة .

وإذا قيل : نوع الحركة يدوم أو لا يدوم ، أو نوعها موجود في الخارج /

ظ ٦٥

أو ليس موجودا في الخارج .

(١) في المباحث (١/٩٤) بعد الكلام السابق بتسعة سطور تقريبا .

(٢) نص ما في " المباحث " : " . . . فإذا الحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ، وهذا الرسم لأرسطاطاليس ، وأما أفلاطون فإنه رسمها بأنها خروج عن المساواة ، أى كون الشئى بحيث لا يكون حاله في آن مساويا لحاله قبل ذلك الآن وبعده ، وأما فيثاغورس فإنه رسمها بالغيرية ، ولعلها إشارة الى أن حالها في صفة من الصفات يكون في كل آن مغايرا لحالها قبل ذلك الآن وبعده " .

(٣) الأصل (ص) : وجودها لوجود ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) الأصل (ص) : وأفعال . ولعل الصواب ما أثبت .

(٥) الأصل (ص) : والأمر . ووضع بعد الواو سهم يشير الى الهامش ، ولم يظهر فيه شيء ، ولعل الكلام يستقيم كما أثبت .

فقد يراد بالنوع الحركة الموجودة شيئا فشيئا ، وهذا هو الموجود في الخارج ، وقد يراد به المعنى المعقول الكلي الموجود في الذهن في آن واحد ، وهذا ليس بموجود في الخارج .

والفرق بين نوع الحركة الموجودة في الخارج ونوع غيرها ، أن غيرها قد توجد أشخاصه في آن واحد ؛ كما توجد أشخاص الانسان والبياض والسواد وغير ذلك من الأعراض ، بخلاف الحركة .

ومن أنواع الحركة الأكل والشرب ، وما يتنعم به أهل الجنة من النعيم الذي يحدثه الله لهم شيئا فشيئا ، فتعيم الجنة دائم ؛ كما قال تعالى : (أكلها دائم وظلها)^(١) . فهو مستمر لا ينفد ؛ كما قال تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد)^(٢) .

والمراد أنه لا ينفد النوع الذي يوجد شيئا [فشيئا]^(٣) ، وأنه مستمر النعيم الذي يوجد شيئا فشيئا ، والأكل الذي هو المأكول يوجد شيئا فشيئا . فإذا قال القائل في مثل هذا : انه ثابت ودائم وباق ومستمر وانسه لا يتغير ، بمعنى أنه لا يزال موجودا شيئا فشيئا ، لا ينفد ولا ينقطع - فهذا حق . وان أراد بذلك أن هذا موجود معا في آن واحد ، لا يوجد شيئا فشيئا وأنه ليس بعرضه قبل بعض - فهذا مكابر للمعقل والحسن .

وبهذا يظهر ماني كلام هو "لا" من التلبيس ، من جهة أنهم جعلوا المتصل شيئا بعد شيء ليس موجودا في الأعيان ، وجعلوا الموجود في الأعيان من الحركة موجودا معا ، لا يوجد شيئا فشيئا - ليسلم لهم ما ادعوه من أن رب العالم لم يحدث شيئا ، بل لم يخلق شيئا ، بل حقيقة قولهم أنه لم يحدث في العالم شيء بعد أن لم يكن ، وهذا غاية المكابرة .

(١) سورة الرعد : ٣٥ .

(٢) سورة ص : ٥٤ .

(٣) فشيئا : ليست في الأصل (ص) : ولعلها ساقطة .

وإذا أثبتوه فاعلاً كان حقيقة قولهم أنه علة تامة فاعلة لمعلولها مساوية [له] ^(١) أزلاً وأبداً، وهذا من أبطل الأمور عقلاً، فليس في الوجود أصلاً علة تامة فاعلة لمعلولها مساوية له، لم تتقدم عليه، بل هذا مما يعلم امتناعه بضرورة العقل عند عامة العقلاء.

ولا يعقل أن يفعل الفاعل شيئاً إلا إذا أحدث ما كان معدوماً، ومن لم يحدث شيئاً فلم يفعل، وحقيقة الفعل هو الاحداث، فيلزم من كون كل ماسواه مفعوله أن يكون كل ماسواه حادثاً كائننا بعد أن لم يكن، ولا يلزم من دوام كونه فاعلاً أن يكون معه شيء من مفعولاته، ولا أن يكون في العالم ما هو قديم بقدمه، بل هو الخالق لكل شيء، كما أخبرت به الأنبياء.

ولهذا وصفه أئمة أهل الحديث بأنه لم يزل متكلماً فاعلاً، بل قالوا: إن الحياة مستلزمة للكلام والفعل، وإنه لا يكون الحي إلا متكلماً فاعلاً، وصرح بعضهم بلفظ "الحركة".

وكذلك قال أساطين الفلاسفة القدماء، كما ذكر بعض ألفاظهم في غير هذا الموضع.

فتبين أنه يمتنع أن ^(٢) يكون مع الله تعالى شيء قديم بقدمه، وإن جاز وجود حوادث لا أول لها، وإن قدر أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم يزل قادراً على الفعل، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً أفعالاً تقوم بنفسه، بل لو قدر أنه لم يزل يفعل شيئاً بعد شيء لم يكن في العالم شيء قديم معه، بل كل ماسوى الله تعالى مخلوق، حادث، كائن بعد أن لم يكن، وإن كان سبحانه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال، كما قال أئمة السنة والحديث: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، فاعلاً أفعالاً تقوم بذاته.

ج ٦٦

(١) له: ليست في الأصل (ص)، ولعلها ساقطة.
(٢) الأصل (ص): أنه ممتنع أنه، ولعله تحريف.

فانه من المعلوم بصريح العقل أن من يقدر على أن يحدث شيئاً بعد شيء* أكمل من لا يقدر على احداث شيء* ، ومعلوم بصريح العقل أن الفعل لا يكون فعلا الا اذا حدث بعد أن لم يكن ، وأما ما يلزم ذات الشيء لا يكون فاعلا له ، بل يكون صفة له .

ومعلوم بصريح العقل أن الواجب الفنى بنفسه لا يفتقر الى غيره ، بل يجب اتصافه بالكمال الممكن الوجود الذى لانقص فيه ، فانه اذا كان ممكنا جاز اتصافه به ، وما جاز اتصافه به وجب له ؛ ان لو لم يجب له لانتفىر ثبوته له الى غيره ، فكان يكون مفتقرا في كماله الى غيره ، وهذا مستنع فنى الفنى بنفسه ، ولأن معطي الكمال أحق بالكمال ، فلو أعطاه غيره الكمال للزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق .

ولا يمكن أن يقال : يمتنع اتصافه بالكمال الممكن الوجود الذى لانقص فيه . ان هو جمع بين النقيضين ؛ فان الممكن الوجود لا يكون مستنع الوجود . وأيضا فاتصاف غيره ان كان مستنعا كان ذلك مستنعا مطلقا ، والتقدير أنه ممكن كالحياة والعلم والقدرة ، وان أمكن اتصاف غيره به - بحيث يكون متصفا بصفات الكمال - فمن المعلوم أن الخالق أحق بالكمال من المخلوق ، كما أنه أحق بالتنزيه عن النقائص من المخلوقات ، ومن المعلوم أن كل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق ، والمعطي لغيره الكمال أحق بالكمال فنى صرائح العقول ، وهذه الأمور مبسوطه في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا بيان أصول المقالات ، وبيان ما في قول القائل بامتناع دوام الحوادث ، ودوام الفعل والفاعل ، وأن مالم يسبق الحوادث أو مالم يخل عن الحوادث فهو حادث - من النزاع : فطائفة أطلقت الاشياء ، وطائفة أطلقت النفي ، وطائفة فصلت وميزت .

وهذا التفصيل والتمييز لا يعرفه الفلاسفة المتأخرون ، ولا المتكلمون بالكلام المحدث في الاسلام ، ولا يوجد في كتبهم ، وانما يعرفه أئمة السنة والحديث وأئمة الفلاسفة .

وأما المقدمة الأولى (١) وهي قولهم: ان الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون، أو عن الاجتماع والافتراق، أو عن الاكوان، أو من كل جنس ممكن الأعراض عن عرض منه والعرض لا يبقى زمانين - فالمقدمة الأولى ليس فيها نزاع معروف؛ وهي كون الجسم لا يخلو / عن الحركة والسكون.

ظ ٦٦

لكن النزاع في السكون: هل هو أمر وجودي أو عدمي؟ نزاع مشهور بين النظار من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم؛ فكثير من نظار المسلمين وغيرهم يقولون: هو عدمي. وكثير منهم يقول: هو وجودي. وليس القائلون بأنه عدمي هم الفلاسفة فقط، بل كثير من نظار أهل الاسلام يقول ذلك، من الكرامية والهشامية، ومن الفقهاء والصوفية وأهل الحديث وغيرهم. وعلى هذا القول تبطل المقدمة الأولى على الدليل، كما أبطل أولئك المقدمة الثانية، فانه حينئذ أمكن وجود الجسم الساكن الذي لا يتحرك؛ وخلوه عن الحوادث؛ وأن يكون حدوث حركته بعد أن لم تكن كحدوث الفعل بعد أن لم يكن.

وذلك بأن يقال: لا يخلو اما أن يكون القادر المختار يمكنه الفعل وترجيح أحد المتماثلين بلا مرجح ولا سبب حادث، واما أن لا يمكن؛ فإنا أمكن جاز أن يكون الجسم القديم ساكنا ثم حدثت حركته؛ فالقادر المختار - سواء قيل: هو واجب بنفسه أو ممكن - فلا يلزم وجوب حدوث الجسم. وان لم يمكن لزم دوام الحوادث، وحينئذ فيلزم بطلان مدلول هذا الدليل، وبطلان المدلول يستلزم بطلان الدليل، فلزم فساد على التقديرين.

وهذا بخلاف بطلان الدليل فانه لا يستلزم فساد المدلول، فان الدليل يجب طرده ولا يجب عكسه، والدليل مستلزم المدلول، وليس المدلول مستلزما للدليل، الا أن يكون التلازم من الطرفين: كصفات الله بعضها مع بعض،

(١) وقد سبق عرضها، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

(٢) في الأصل (ص) رسمت الكلمة: رماس، بلا نقاط.

وكصفاته مع ذاته ؛ فعلمه وقدرته متلازمان ، وكلاهما ملازم لذاته ، فيلزم من ثبوت شيء من ذلك ثبوت [الآخر]^(١) .

وأما التقدير الثاني والثالث - وهو أن الجسم لا يخلو عن الاجتماع والافتراق^(٢) - فمبني على اثبات الجوهر الفرد .

ومن هنا جعل هو "الاجتماع" الجوهر الفرد من أصول الدين ، وجعلوا القول بتماثل الجواهر والأجسام من أصول دينهم ، وهذا كله باطل شرعا وعقلا .
وأيا فقد جعل بعضهم الجوهر الفرد أصلا للعلم بالمعاد ، كما ذكره الرازي في "الأربعين" وغيره^(٣) ، وهو أبطل من هذا ؛ من حيث اعتقد أن المعاد يفتقر فيه إلى نفي النفس الناطقة ، ولا يمكن نفيها إلا بإثبات الجوهر الفرد . وكلا المقدمتين باطلة .

وسبب ذلك أن كثيرا من أهل الكلام اعتقدوا أن لامعاد إلا للبدن ، والروح جزء منه أو عرض فيه ، فصاروا يجعلون هذا دين الاسلام ، وقابلهم المتفلسفة الذين يقولون : ان لامعاد إلا للنفس الناطقة .

وكلا القولين باطل ؛ ليس هو اثبات معاد الروح والبدن جميعا ، وأن النفس اذا فارقت / البدن كانت منعمة أو معذبة ، وأن الله تعالى يعيد الأرواح إلى الأبدان عند القيامة الكبرى .

فلما كان القول بمعاد البدن فقط هو قول هو "الاجتماع" المتكلمين احتاجوا مع ذلك إلى نفي بقاء النفس بعد [مفارقة البدن]^(٤) ؛ فاحتاجوا إلى القدح في

ج ٦٧

-
- (١) الآخر : ليست في الأصل (ص) ، وترك مكانها بيضا ، ولعلها نفي بالمطلوب .
(٢) هذا هو التقدير الثاني ، وجزء من التقدير الثالث وهو أن الأجسام لا تخلو عن الأكنان وهي : الاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، وقد بين ابن تيمية أن الاعتراض على لزوم الجسم للحركة والسكون .
(٣) في كتاب "الأربعين" ، ص ٢٥٣ يقول الرازي تحت عنوان : "المسألة السابعة والعشرون في اثبات الجوهر الفرد" : "أعلم أنا قبل الخوض في مسألة المعاد نفتقر إلى اثبات أصلين : أحدهما - معرفة النفس ، ومعرفة النفس محتاجة إلى معرفة الجوهر الفرد ، والأصل الثاني - اثبات الخلا ، فنحن قبل الخوض في مسألة المعاد نذكر هذه المسائل الثلاث ."
(٤) عبارة "مفارقة البدن" ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

أدلة اثباتها، وكان أشهرها^(١) عند المتفلسفة هو قيام العلم بما لا ينقسم^(٢)؛

قالت الفلاسفة : وكل متحيز فانه منقسم ، فيلزم اثبات ما لا ينقسم ، وهو النفس الناطقة عندهم - فأثبت هو^(٣) الجوهر الفرد لكونه متحيزا لا ينقسم.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أن الايمان بالله [واليوم الآخر^(٤)] لا يتوقف على اثبات الجوهر الفرد ، بل الرسول صلى الله عليه وسلم الذى دعا الناس الى الايمان بهذه الأصول لم يتعرض لاثبات الجوهر الفرد ، ولا أصحابه ولا التابعون لهم باحسان . وأول من أثبت ذلك في الاسلام طائفة من أهل الكلام : الجهمية والمعتزلة ونحوهم ، الذين هم عند علماء الدين وأئمة المسلمين من [أهل^(٥)] البدع والضلال ، وكلامهم هذا هو من الكلام الذى ذمه السلف والأئمة رضى الله عنهم أجمعين .

وأما قول من يقول : ان كل جسم فهو مستلزم لكل نوع من الأعراض، وان العرض لا يبقى زمانين - فجمهور العقلاء يقولون : ان كل واحدة من المقدمتين معلومة الفساد بالضرورة .

ولهؤلاء^{*} طريقة ثالثة وهي طريقة التقدير والاختصاص ، وأن كل مختص فهو ممكن أو محدث ، ولم يفرقوا بين الواجب الفني بنفسه وبين المفتقر الى غيره ، مع العلم بأن الواجب الفني بنفسه له حقيقة تختص به ؛ واجبة بنفسها ؛ لا يفتقر الى مخصص مباين له ، وكذلك سائر لوازمه ، وهذا أيضا مبسوط في موضعه .

(١) الأصل (ص) : أشهداها . ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) الأصل (ص) : ما لا ينقسم (بسقوط الباء) .

(٣) يعني الرازى ونحوه من أهل الكلام ، وانظر اعتراضه على الفلاسفة في هذا في كتاب الأربعين ، ص ٢٦٢ .

(٤) عبارة " واليوم الآخر " ترك مكانها في الأصل (ص) ، بياضا ، ولعل ما أثبت يفنى بالمراد .

(٥) أهل : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

والمقصود هنا التنبيه على أن ما كان بدعة في الشرع أو باطلاً في العقل ما يصلح أن يكون من فروع الدين ؛ فضلاً عن أن يكون من أصوله ؛ فضلاً عن أن [يتوقف^(١)] تصديق الرسول عليه ؛ فكيف إذا كان بدعة واطلاً شرعاً وعقلاً ! .

وليس العلم بإثبات الصانع سبحانه مفتقراً إلى شيء من الطُّرُق المبتدعة وإن كانت صحيحة ، فكيف إذا كانت باطلة ! .

لكن الرجل إذا استدل على الحق بدليل صحيح لم يكن هذا مذمومًا مطلقاً ، كما تجد كثيراً من أهل الحديث ، والصوفية والمتفهمة يعيرون من أقام دليلاً عقلياً صحيحاً على بعض المطالب الدينية ، ويجعلون هذا من الكلام المذموم .

وليس الأمر كما يقوله هؤلاء ، بل الدليل الصحيح مقبول وإن لم يعلم استدلال^(٢) غيره به ، لكن قد يذم لأسباب ؛ مثل أن يكون فيه خطر وغيره / مغل عنه ؛ كمن سلك إلى مكة الطريق البعيد المخوفة مع إمكان القريبة الآمنة . وكذلك إذا رد الباطل بممانعة صحيحة ، أو معارضة صحيحة ، لكن المذموم أن يدعي صحة الباطل ، أو يتوقف الإيمان على بدعة ما شرعها الله تعالى ورسوله ، فكيف إذا اجتمعا جميعاً كما زعم هؤلاء ! حيث قالوا : لا يمكن تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بما ذكروه من الطرق النظرية التي ابتدعوها .

وهؤلاء يبنون الإيمان بالله تعالى ورسوله على مقدمات يزعمون أنه لا يحصل العلم - أو لا يحصل الإيمان - إلا بها ، وقد تكون تلك الطرق باطلة ، وقد تكون طويلة خفية خطيرة ، وقد تكون - مع صحتها - هناك طرق أخرى غيرها ، وقد يكون غيرها أصح وأقرب منها . وأيضاً فقد يقولون : إن المطلوب لا يعلم إلا بها .

(١) يتوقف : مكانها بياض في الأصل (ص) .

(٢) الأصل (ص) : الاستدلال .

ذم السلف
للإسلام
وهذا حال أهل الكلام المحدث المبتدع في الاسلام ، الذي ذمه سلف

الأئمة وأئمتها : كمالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق
ابن راهوية ، وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ، والبيهقي ، والمزني ، والبخاري ،
ومسلم ، وأبي داود السجستاني ، وإبراهيم الحري ، وعبد الرحمن بن القاسم ،

- (١) تقدمت ترجمته ، ص ١٢٦ ، ت ٤ .
(٢) الأصل (ص) : بن هذيل ، وهو زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم التميمي العنبري ، أصله من أصبهان ، أقام بالبصرة ، وولي قضاها ، وتوفي بها سنة ١٥٨ ، وكانت ولادته سنة ١١١ أو ١١٦ ، وهو ثقة ، عابد ، فقيه ، من كبار أصحاب الإمام أبي حنيفة .
انظر: الجرح والتعديل ٣/٦٠٨-٦٠٩ ؛ ميزان الاعتدال ١/٣٤٨ ؛ الجواهر المضية ١/٢٤٣-٢٤٤ ، ٢/٥٣٦-٥٣٧ ؛ البداية والنهاية ١٠/١٢٩ ؛ لسان الميزان ٢/٤٧٦ - ٤٧٨ ؛ الفوائد البهية ، ص ٧٥-٧٧ ؛ الأعلام ٣/٤٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣٠١-٣٠٥ .
(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويهني ، نسبته الى بويط من صعيد مصر ، تفقه على الامام الشافعي ، ويعتد أكبر أصحابه المصريين ، حمل الى بغداد بأمر الخليفة الواثق ، وأريد على القول بخلق القرآن فاستنع ، فحبس ببغداد الى أن مات في السجن سنة ٢٣١ هـ ، وكان عابدا زاهدا .
انظر: الجرح والتعديل ٩/٢٣٥ ؛ تاريخ بغداد ١٤/٢٩٩-٣٠٣ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/١٦٢-١٧٠ ؛ شذرات الذهب ١/٧١-٧٢ ؛ الأعلام ٨/٢٥٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣٠١-٣٠٥ .
(٤) هو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل بن عمرو بن اسحاق المزني ، نسبته الى مزينة بنت كلب بن وبرة من مصر (١٧٥-٢٦٤) عاش ومات في مصر ، حدث عن الشافعي وتعميم حسن حماد وغيرهما ، وأخذ عنه خلائق من علماء خراسان والعراق والشام ، وصنف كتبا كثيرة ، وكان مناظرا قوي الحجة .
انظر: الجرح والتعديل ٢/٢٠٤ ؛ اللباب ٣/٢٠٥ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٩٣-١٠٩ ؛ شذرات الذهب ٢/١٤٨ ؛ الأعلام ١/٣٢٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣٠١-٣٠٥ .
(٥) تقدمت ترجمته ، ص ١٧٩ ، ت ٢ .
(٦) الأصل (ص) : الحوي ، هلا نقاط . ولعل المراد أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم الحري (١٩٨-٢٨٥) أصله من مرو ، اشتهر ومات ببغداد ، سمع الامام أحمد وآخرين ، كان زاهدا ، عارفا بالفقه ، حافظا للحديث ، قيما بالأدب واللفظة .
انظر: تاريخ بغداد ٦/٢٢٧-٢٣٠ ؛ طبقات الحنابلة ١/٨٦-٩٣ ؛ شذرات الذهب ٢/١٩٠ ؛ الأعلام ١/٣٢٢ .
(٧) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولاهم ، أصله من مدينته الرملة بفلسطين ، سكن مصر وتوفي فيها سنة ١٩١ ، تفقه بالامام مالك بالمدينة ، وكان ورعا زاهدا .
انظر: الجرح والتعديل ٥/٢٧٩ ؛ ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/٤٣٣-٤٤٧ ؛ تذكرة الحفاظ ١/٣٥٦-٣٥٧ ؛ شذرات الذهب ١/٣٢٩ ؛ الأعلام ٢/٣٢٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١٤٤-١٤٢/٣/١

- (١) وعبد الملك بن حبيب ، وأبي العباس بن سريج ، وأبي حامد الاسفراييني (٣) ،
(٤) والمرزى ، وأبي زيد المرزوى ، والقاضي حسين ، وأبي بكر الهخلال ، وأبي بكر
عبد العزيز ، وأبي عبد الله بن بطة ، وأبي القاسم الجنيد (٨) ، وأبي القاسم الجنيد (١٠) ،

- (١) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي (١٧٤-٢٣٨) كان فقيها مالكيا ، ومؤرخا ، انتقد بأنه لم يكن له علم بالحديث: صحيحه من سقيمه .
انظر ترتيب المدارك ٣/٣٠-٤٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٧-٥٣٨ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٦٥٢-٦٥٣ ؛ لسان الميزان ٤/٥٩-٦٠ ؛ شذرات الذهب ٢/٩٠ ؛ الأعلام ٤/١٥٧-١٥٨ ؛ تاريخ التراث العربي ٢/١-٢٤٨-٢٥٠ .
- (٢) القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (٢٤٩-٣٠٦) من شيوخ المذهب الشافعي ، ولي قضاء شيراز ، وصنف كتبا كثيرة وتوفي ببغداد .
انظر تاريخ بغداد ٤/٢٨٧-٢٩٠ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢١-٣٩ ؛ شذرات الذهب ٢/٢٤٧ ؛ الأعلام ١/١٨٥ ؛ تاريخ التراث العربي ٣/١-١٩٩ .
- (٣) تقدمت ترجمته ، ص ٢٠٧ ، ت ٣ .
- (٤) الأصل (ص) : والمرزوى ، بالذال المهمله ، وهي نسبة الى مروءة ، وهو جد أبي الفضل محمد بن عثمان بن اسحاق بن شعيب بن الفضل بن عاصم بن مروءة النسفي (٢٩٧-٣٨٦) والمرزوى بالذال نسبة الى مرو الروذ ، والمرزوى بالزاي نسبة الى مرو الشاهجان ، وهما مدينتان في خراسان ، بينهما أربعون فرسخا .
انظر: اللباب ٣/١٩٨-١٩٩ . وقد نقل زم الكلام عن عدد غير قليل ممن ينتسب احدهم النسبتين الأخيرتين ، انظر مثلا كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ، ص ١١٥ ، ٧٨ .
- (٥) هو أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الفاشاني المرزوى ، من قرية فاشان احدي قرى مرو (٣٠١-٣٧١) فقيه شافعي ، حسن النظر ، زاهد ، ورع ، ورد ببغداد وحدث بها ، وخرج الى مكة فجاور بها ، وتوفي بمرو .
انظر: تاريخ بغداد ١/٣١٤ ؛ وفيات الأعيان ٤/٢٠٨-٢٠٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٧٧-٧٦ ؛ شذرات الذهب ٣/٧٦ .
- (٦) لا أدري من المقصود .
- (٧) تقدمت ترجمته ، ص ١٢ ، ت ٢ .
- (٨) تقدمت ترجمته ، ص ١٧٨ ، ت ٣ .
- (٩) تقدمت ترجمته ، ص ١٨١ ، ت ٢ .
- (١٠) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز ، ويقال : القواريري ، وقيل : كان أبوه قواريريا ، وكان هو خزازا ، أصله من نهاوند ، ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وسمع بها الحديث ، ولقي العلماء ودرس الفقه على أبي ثور ، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي والسري السقطي ، ولازم التعبد حتى علت درجته ، وصار شيخا في أحوال الصوفية وكلامهم ، توفي ببغداد سنة ٢٩٧ أو ٢٩٨ .
انظر: طبقات الصوفية للسلمي ، ص ١٥٥-١٦٣ ؛ حلية الأولياء ١٠/٢٥٥-٢٨٧ ؛ تاريخ بغداد ٧/٢٤١-٢٤٩ ؛ البداية والنهاية ١١/١١٣-١١٥ ؛ الأعلام ٢/١٤١ ؛ تاريخ التراث العربي ٤/١-١٣١-١٣٥ .

وسهل بن عبد الله التستري^(١) ، وعمرو بن عثمان المكي^(٢) ، وأبي عبد الله
ابن خفيف^(٣) ، وأبي عبد الرحمن السلمي^(٤) ، ومن لا يحصى عدده من أئمة الدين
وشيوخ المسلمين ؛ الذين ذموا الكلام المبتدع في الاسلام : مثل كلام الجهمية .
كما قد ذكرت ألفاظ هؤلاء العلماء ، والأسانيد عنهم بذلك ، في كتب
متعددة من كتب الآثار : مثل ما ذكره أبو عبد الله السلمي فيما صنفه في
ذلك^(٥) ، وما ذكره شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري الهروي في كتابه الكبير
المصنف في ذلك^(٦) ، وما ذكره الحافظ أبو عمر النعماني في كتابه

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، ولد بتستر (بلدة من الأهواز من خوزستان)
سنة ٢٠٠ أو ٢٠١ وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٣ أو ٢٧٣ ، وهو أحد أئمة الصوفية ، وشيخ أبي
الحسن أحمد بن محمد بن سالم امام السالمية .

انظر : طبقات الصوفية للسلمي ، ص ٢٠٦ - ٢١١ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ - ٢١٢ ؛ صفة الصفة
٤ / ٦٦ - ٦٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ ؛ المبر ٢ / ٧٠ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٧٤ ؛
الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ٦٦ - ٦٨ ؛ الأعلام ٣ / ١٤٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١٢٩ - ١٣٠ .
(٢) هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كريب بن غصص المكي ، أحد أعيان الصوفية ، سكن بغداد ، ومات
بها ، وقيل : مات بمكة ، سنة ٢٩١ أو ٢٩٢ .

انظر : طبقات الصوفية ، ص ٢٠٠ - ٢٠٥ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٢٩١ - ٢٩٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢ /
٢٢٣ - ٢٢٥ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦ ؛ الأعلام ٥ / ٨١ - ٨٢ ؛ تاريخ التراث العربي
١ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشاد الضبي ، ولادته واقامته بشيراز ، ورحل الى أبي
الحسن الأشعري وأخذ عنه ، شافعي صوفي ، له مصنفات ، توفي سنة ٣٧١ عن ٩٥ سنة أو أكثر .
انظر : طبقات الصوفية ، ص ٤٦٢ - ٤٦٦ ؛ حلية الأولياء ١٠ / ٣٨٥ - ٣٨٩ ؛ طبقات الشافعية
الكبرى للسبكي ٣ / ١٤٩ - ١٦٣ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٦ - ٢٧ ؛ الأعلام ٦ / ١١٤ ؛ تاريخ
التراث العربي ١ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري ، ولد سنة
٣٢٥ أو ٣٣٠ بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤١٢ ، من مشايخ الصوفية ، ألف كتباً في التصوف
وطبقات الصوفية وفي التفسير الحديث .

انظر : تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ اللباب ٢ / ١٢٩ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٤٦ - ١٠٤٧ ؛
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ / ١٤٣ - ١٤٧ ؛ لسان الميزان ٥ / ١٤٠ - ١٤١ ؛ شذرات
الذهب ٣ / ١٩٦ - ١٩٧ ؛ الأعلام ٦ / ٩٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١٧٨ - ١٨٤ .

(٥) سميت في معرفة المقصود بهذا الاسم ، حتى وجدت في كتاب " الاستقامة " ١٠٣ / ١٠٨ للشيخ
الاسلام ابن تيمية ما يرجع أن الاسم معروف عن أبي عبد الرحمن السلمي ، فقد قرن ابن تيمية هناك
بين أبي عبد الرحمن وأبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، وذكر أن لكليهما مصنفاً
مشهوراً في ذم الكلام .

وأورد فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ١ / ١٨٤ / ٤ ضمن مصنفات أبي عبد الرحمن السلمي
كتاب " الرد على أهل الكلام " ، وذكر أن له مختصراً مخطوطاً في الظاهرية .

(٦) تقدمت ترجمة أبي اسماعيل الأنصاري ، ص ١١٢ ، وأشار الزركلي في الأعلام ٤ / ١٢٣ الى وجود
كتاب " ذم الكلام وأهله " مخطوطاً ، وقد لخص هذا الكتاب في خمسين صفحة الميوطي ضمن كتابه
" صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام " الصفحات ٣٣ - ٨٢ .

في " بيان العلم وفضله "، حتى فيما ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه
المسمى " بالاحياء^(٢) "، ومثل هذا يوجد في كتب السنة وإلحد يست من
المنقولات الكثيرة في ذلك .

وقد بسطنا الكلام على أقوال السلف في غير هذا الموضع ، وبيننا/ مناظرة
الامام أحمد بن حنبل في محنته المشهورة للجهمية ، كأبي عيسى
محمد بن عيسى : برغوث ، أحد رؤوس الكلام^(٣) ، صاحب حسين
النجاري^(٤) ؛ ومناظرة الامام الشافعي لحفص الفرد^(٥) ،

ج ٦٨

(١) هو العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعمى القرطبي ، ولد بقرطبة
بالأندلس سنة ٣٦٨ وقيل سنة ٣٨٣ ، ورحل عنها الى غرب الأندلس ثم الى شرقها ، وتوفي
بشاطبة سنة ٤٦٣ ، وهو فقيه مالكي ، ومؤرخ ، أديب ، من كبار حفاظ الحديث ، وله كتب مشهورة
منها كتاب " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " وكتاب " الاستدكار لمذهب علماء
الأندلس " وكتاب " الاستيعاب " في تراجم الصحابة ، وكتاب " جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي
في روايته وحمله " ، وغير ذلك .

انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٨٠٨/٤ - ٨١٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ - ١١٣٢ ؛
شذرات الذهب ٣١٤/٣ - ٣١٦ ؛ الأعلام ٢٤٠/٨ .
(٢) كتاب " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر وكتاب " احياء علوم الدين " للغزالي ، مطبوعان
مشهوران ، وقد نقل السيوطي في كتاب " صون المنطق " ، ص ١٣٢ - ١٤٢ كلام ابن عبد البر
في هذا الموضوع ، ونقل ص ١٨٨ - ١٩٠ كلام الغزالي .
(٣) الأصل (ص) : كأبي عيسى بن محمد ... الخ ، والصواب ما أثبتته .

وبرغوث لقب لمحمد بن عيسى ، وهو رأس البرغوثية احدى فرق النجارية ، وقد ذكر الأشعري في
مقالات الاسلاميين ١/٣٤٠ - ٣٤١ أقوال الحسين بن محمد النجاشي قال (١/٣٤١ - ٣٤٢) :
" وكان برغوث يميل الى قوله ، ويزعم أن الأشياء المتولدة فعل الله بايجاب الطبع ، وذلك أن الله
سبحانه طبع الحجر طبعاً يذهب اذا دفع . . . وكان يزعم أن الله سبحانه لم يزل جواداً بنفسه
البخل عنه ، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام ، وأن كلام الله سبحانه محدث
مخلوق ، وكان يقول في التوحيد بقول المعتزلة الا في باب الارادة والوجود ، وكان يخالفهم في
القدر ويقول بالارضاء ، وكان يزعم أنه جائز أن يحول الله سبحانه العين الى القلب ، ويجعل في
العين قوة القلب ، فيرى الله سبحانه الانسان بعينه ، أي يعلمه بها ، وكان ينكر الرواية لله
عز وجل بالأبصار على غير هذا الوجه . . . "

وانظر أيضاً الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٩ ، الفصل لابن حزم ٢٢/٣ ؛ الملل والنحل للشهرستاني
١١٢/١ ، ١١٤ ؛ الوافي بالوفيات ٣٠٤/٤ .

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النجاشي رأس النجارية تقدم الكلام عنه وعن فرقته ، ص ٨٤ (١) .
(٥) قال النديم في كتاب " الفهرست " (ط . مصر) ، ص ٢٥٥ : " حفص الفرد من المجبرة ومن أكابرهم ،
نظير النجار ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل ، واجتمع معه وناظره ، فقطعه
أبو الهذيل ، وكان أولاً معتزلياً ، ثم قال بخلق الأفعال " ، وذكر أنه يكنى أبا عمر ، وأبا يحيى ، وسمى
له عدد من الكتب .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١/٥٦٤ : " حفص الفرد مبتدع صاحب كلام ، لكنه لا يكتب حديثه / "

صاحب ضرار بن عمرو الكوفي^(١)، وبيننا قول حفص الذي كفره به الشافعي، وقول أبي عيسى برغوث وغيره من الجهمية الذين ناظروا الامام أحمد^(٢).

أعظم ما دامه السلف كلام الجهمية
وبينا أن من أعظم الكلام الذي ندمه هو "الأئمة وغيرهم"، ككلام الجهمية الذي استدلوا به على نفي الصفات، وهو الذي جعلوه أصلاً للعلم باثبات الصانع، وهو استدلالهم على ذلك بأن الأجسام محدثة، لأنها لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث فهو محدث.

وهم ومن تبعهم من الكلابية والكرامية، ومن وافقهم من متفهمة ومحدثين ووصفية وغيرهم - يظنون أن هذا هو أصل الدين الذي به يعلم ثبوت الصانع سبحانه، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما يقدح في هذا فهو قدح في أصل دين الاسلام، وأنه لا طريق الى العلم بصدق الرسول الا هذا الطريق.

ثم ان أئمة هذا الطريق رأوا أن هذا يستلزم نفي صفات الرب تعالى،^(٣)
[لأجل] الحجّة^(٤) على أن ما قامت به [الصفات قامت به]^(٥) الأعراض

□ / وكفره الشافعي في مناظرته .

ولما ذكر الأشعري في مقالات الاسلاميين ١/ ٣٣٩ - ٣٤٠ ما فارق به ضرار بن عمرو المعتزلية - وقد أوردت مجلته فيما سبق، ص ٨٣ ت ٦ - قال الأشعري (١/ ٤٤٠) : " وقد تابعه على ذلك حفص الفرد وغيره " .

وانظر الفصل لابن حزم ٣/ ٥٤، ١٦٤؛ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤ .

(١) ضرار بن عمرو الكوفي رأس فرقة الضاربة . انظر فيما سبق، ص ٨٣ ت ٦ .
(٢) في مناظرة الامام الشافعي لحفص، انظر: درر تعارض العقل والنقل ٢/ ١٤٦، ٢٤٥ - ٢٤٦، ٢٤٨ - ٢٥٠، ٢٥٠ . وفيه يوضح ابن تيمية أن المناظرة كانت في القرآن . وأن الشافعي بين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكفر حفصا لقوله بأنه مخلوق، وأن أصل حجة حفص هو دليل الأعراض، فان القرآن كلام، والكلام عندهم كسائر الصفات والأفعال لا يقوم الا بجسم، والجسم محدث .

وفي مناظرة الامام أحمد لبرغوث، انظر: درر تعارض العقل والنقل ١/ ٢٣٠ - ٢٣١، ٢٤٩ . وفيه يذكر ابن تيمية أن برغوثا حاول الزام أحمد التجسيم، وأنه اذا أثبت لله كلاما غير مخلوق لزم أن يكون جسما، وأن أحمد امتنع من موافقته على النفي والاثبات، وأجابه بأن لفظة " الجسم " ليس له أصل في الكتاب والسنة والاجماع، ومقصود المتكلم به مجمل، لا يعرف الا بعد الاستفسار .

(٣) الأصل (ص) : أطرق . وهو تحريف .

(٤) الأصل (ص) : لا الحجّة .

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله ساقط .

باغافهم ، وما قامت به الأعراض قامت به الحوادث أيضا عند أئمتهم
وجمهورهم : كالجهمية والمعتزلة والكرامية والضرارية والهشامية .

فصاروا لأجل هذا يقولون : ان الرب لا يقوم به صفة : لا علم ، ولا قدرة ، ولا كلام .
فقالوا : القرآن مخلوق خلقه منفصلا عنه ، بل قالوا : كلامه مخلوق خلقه
منفصلاً^(١) عنه .

وقالوا : انه ليس فوق العالم ؛ لأنه لو كان فوقه للزم أن يكون جسما حاملا
للأعراض والحوادث ، وما قامت به الأعراض والحوادث فهو حادث .
وقالوا : انه لا يرى في الآخرة ؛ لأنه لا يرى الا ما كان مقابلا للرأى^(٢) ؛ فيلزم
أن يكون في جهة منه ؛ فيكون جسما حاملا للأعراض ؛ فيكون حادثا .

ولأجل هذا الأصل الذي بنوا عليه دينهم ، امتحنوا أئمة الدين وعلماء
المسلمين المحنة المشهورة ، التي دعوا الناس فيها الى نفي الصفات ، وانكسار
الرواية ، والقول بخلق القرآن وغير ذلك ، حتى ثبت الله امام السنة الصابرين
على المحنة أبا عبد الله أحمد بن حنبل .

محنة القول
بخلق القرآن

وأقام على السنة أيضا سائر أئمة السنة والحديث والفقهاء ، وان كان
بعضهم وافقهم ظاهرا ، واعترف [أنه]^(٣) انما وافقهم محنة ، لما تهددوا
الناس بالقتل ، وحبسوا بعضهم ، وقتلوا بعضهم ، وأمروا أن لا تقبل شهادة /
شاهد حتى يمتحن ، فيوافقهم على قول الجهمية ، ولا يولى قاض ، ولا امام مسجد ،
حتى يوافقهم ، ولا يجرى رزق من بيت المال الا على من يوافقهم ، ولا يفتك أسير
من أيدي الكفار حتى يوافقهم .

ظ ٦٨

وأقامت هذه المحنة بضع عشرة سنة ، ثم جلاها الله تعالى بما أعطاه
لأئمة الدين من الصبر واليقين ؛ قال تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا
لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)^(٤) .

(١) الأصل (ص) : منفصل .

(٢) الأصل (ص) : المرأى .

(٣) أنه : ليست في الأصل (ص) ولعلها ساقطة .

(٤) سورة السجدة : ٢٤ . الأصل (ص) : وجعلناهم أئمة . . .

وامام الأمة في ذلك الزمان كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ولهـذا
شبهه العلماء بالـخلفاء الراشدين ، وسموه " الصديق الثاني"؛ قال المرودي :^(١)
" أحمد بن حنبل [يوم المحنة ، وأبو بكر] الصديق يوم الردة ، وعمر يوم
السقيفة ، وعثمان يوم الدار ، وعلي يوم الخوارج " . الى غير ذلك ما قد
جمعه العلماء من أخباره وأخبار غيره .

منزلة ابن كلاب ولأجل ظهور بدعتهم ، واشتباہ ضلالتهم ، قامت طائفة أخرى ؛ كأبي محمد
عبدالله بن سعيد بن كلاب ومن اتبعه ، فردوا عليهم قولهم بنفي الصفات ،
وانكار العلو والروية ، وبخلق القرآن ؛ وخالفوهم في ذلك .
ولكن وافقوهم في أصل قولهم بامتناع حوادث لا أول لها ، وأن ما قامت به
الحوادث فهو حادث ؛ فقالوا : ان الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وقالوا :
ان القرآن ليس بمخلوق ، لكنه قديم .

وابن كلاب أول من ظهر عنه في الاسلام أنه قال : " هو قديم " . ولم
يقل هذا أحد من الأمة والأئمة ؛ وانما كانوا يقولون : " كلام الله غير مخلوق " ،
ويقولون أيضا : " منه بدأ واليه يعود " .

ويريدون بقولهم : منه بدأ ، أى هو الذى تكلم به ، لم يبدأ من غيره ؛
كما تقول الجهمية والمعتزلة : انه مخلوق ابتداء من غيره . ولهذا قال الامام
أحمد بن حنبل : " كلام الله من الله ، ليس ببائن منه " .^(٢)

(١) المرودي : كذا في الأصل (ص) ، والمترجمون للامام أحمد ينسبون القول الاتي للمزني أبي ابراهيم
اسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي ، انظر مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ١٦٤ ، وطبقات
الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٧٠ .

وورد في طبقات الحنابلة ١/ ١٣ وترجمة الامام أحمد في كتاب تاريخ الاسلام للذهبي المنشورة في
الجزء الأول من المسند تحقيق أحمد شاكر ، ص ٦٦ قال علي بن المديني : ان الله أعز هذا
الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

(٢) مابين المعكوفين ساقط من الأصل (ص) ، وأثبتته من الكتب التي ترجمت للامام أحمد ، وذكرت هذا
القول . انظر مثلا طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢٧٠ .

(٣) تقدم هذا القول وتخرجه ، ص ٩ .

وجاء أبو الحسن الأشعري بعد ابن كلاب ؛ وكان قد صار من أئمة المعتزلة وأخبرهم بمقالاتهم ؛ فلما تبين له فساد أقوالهم وتناقضها أنتقل عن مذهبهم ، وأخذ أصول ابن كلاب فاتبعها ونى عليها ، وأظهر من تناقض المعتزلة فسي مسائل الصفات والقدر والوعيد وغير ذلك - ما ظهر به فساد أقوالهم لكثير من الناس الذين كانوا لا يعرفون حقيقة أقوالهم ، حتى قال فيه أبو بكر الصيرفي :^(١)
انه قمع المعتزلة في قمع السمسة .

لكنه موافق لابن كلاب على الأصل الذي وافق فيه هؤلاء الجهمية ، فصار المخالفون له - من أهل السنة والاثبات ، ومن أهل النفي والتجهيم - يردون عليه ، ويقولون : انه تناقض ، وقال أقوالا مخالفة لصريح المعقول / وصحيح المنقول ، وان ما أثبتته من الكلام لاحقيقة له ، بل يعود الى التعطيل ؛ لأنه أثبت معنى واحدا قائما بذات الرب ؛ هو الأمر بكل مأمور به ، والنهي عن كل منهي عنه ، والخبر بكل مخبر عنه ؛ وأن هذا المعنى ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وان عبر عنه بالعربية كان تورا ، وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ، وأن معنى آية الكرسي وآية الدين معنى واحد ، وأنه يريد جميع الكائنات بارادة واحدة ، وارادته تخلق ذلك ، وكذلك قال في سائر الصفات كما قال في الكلام .

ويقولون : ان ما أثبتته من الرواية لاحقيقة له في نفس الأمر ؛ فانه أثبتت رواية بالعين من غير مواجهة للمرئي .

(١) هو أبو بكر محمد بن عبدالله الصيرفي البغدادي ، الفقيه الشافعي ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج ، واشتهر بالحذق في النظر والقياس وعلم الأصول ، توفي سنة ٣٣٠ .

انظر : تاريخ بغداد ٤٤٩/٥ - ٤٥٠ ؛ وفيات الأعيان ١٩٦/٤ ؛ الوافي بالوفيات ٣ / ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ ؛ الأعلام ١٩٩/٤ .

قالوا : وهذه مكابرة للعقل ، مخالفة للنص ؛ فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن الله تعالى ، وقال : (انكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ، لاتضامون في رؤيته)^(١) . فشبه الرؤية بالرؤية ، وان لم يكن المرئي كالمرئي . وهذا أبلغ ما يكون من كمال الرؤية ووضوحها ، فلا يحتاج مع تفسير الرسول المبلغ عن الله تعالى الى قول يخالف ذلك .
والى غير ذلك من المقالات .

وأبو الحسن الأشعري أيضا أظهر من تناقض الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم ، ومن بيان فساد مقالاتهم - ماتين به أن ما عابهم به أعظم مما عابوه ، وأن قوله ، وان كان فيه باطل مخالف للعقل والسمع ، ففي أقوال أولئك من مخالفة السمع والعقل أعظم مما في قوله ، وفي أقوالهم من التناقض أعظم مما في قوله ؛ ولهذا اتبعه كثير من المنتسبين الى السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهم .

وكان أبو الحسن منتسبا الى السنة وأهل الحديث من الحنبلية وغيرهم ، معظما لأحمد بن حنبل ، منتسبا اليه في السنة ؛ كما قال في كتابه المعروف

(١) الأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى في الدار الآخرة كثيرة ، أشبهها بهذا اللفظ حديث جرير بن عبد الله البجلي قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان نظر الى القمر ليلة البدر فقال : (انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لاتضامون في رؤيته) .

أخرجه البخارى (فتح البارى ٢/٣٣ رقم ٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٤ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ؛ مسلم ١/٤٣٩ رقم ٦٣٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ؛ سنن أبي داود (عون المعبود ١٣/٥١ - ٥٣) كتاب السنة ، باب في الرؤية ، سنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/٢٦٥ - ٢٦٦) صفة الجنة ، باب ماجاء في رؤية الرب تبارك وتعالى ؛ سنن ابن ماجه ١/٦٣ رقم ١٧٧ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ، سنن أحمد (ط . الحلبي) ٤/٣٦٥ - ٣٦٦ .

لاتضامون : روى بضم التاء وتخفيف الميم أى لا يحصل لكم ضم حينئذ ، وروى بفتح التاء وتشديد السين الميم من الضم أى لا ينضم بعضكم الى بعض ، والمراد نفي الازحام .

انظر : فتح البارى ٢/٣٣ ، شرح النووى لصحيح مسلم ٥/١٣٤ ، ٣/١٨ .

" بالابانة " ، وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب الذي سماه
" تبیین كذب المغترى فيما ينسب الى الشيخ أبي الحسن الأشعري " .
قال أبو الحسن في أثناء كتابه المذكور : " فان قال قائل (٣) : قد أنكرتم قول
الجهمية والقدرية والخوارج والروافض ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ،
وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب
ربنا ، وسنة نبينا ، وما روى عن الصحابة ، والتابعين . (٦) وما كان يقول به
أبو عبدالله أحمد بن حنبل قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ؛ فانه الامام
الكامل ، والرئيس الفاضل ، (٨) الذي أبان الله به الحق ، (٩) وأوضح به المنهاج ،
وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه
من امام مقدم ، وكبير مفهم ، وعلی جميع أئمة المسلمين (١١) . وذكر جمل مقالاته . (١٢)

ظ ٦٩

- (١) الحافظ الكبير محدث الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ولد
بدمشق سنة ٤٩٩ هـ ، وأكثر في طلب الحديث من الترحال ، له تاريخ دمشق الكبير ، وغيره مسن
المصنفات ، توفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٢٨ - ١٣٣٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧ / ٢١٥ - ٢٢٣ ؛
البدایة والنهایة ١٢ / ٢٩٤ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ؛ الأعلام ٤ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٢) في كتاب " الابانة عن أصول الديانة " ، ص ٢٠ - ٢١ (تحقيق الدكتور فؤاد حسين محمود ، ط .
الأولى ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م القاهرة) . تحت عنوان " فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة " .
وفي كتاب " تبیین كذب المغترى " ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(٣) الابانة : فان قال لنا .
(٤) الابانة : قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة .
(٥) الابانة : ربنا عز وجل ، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما .
(٦) الابانة : والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون .
(٧) الابانة : أحمد بن محمد بن حنبل ، نصر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته .
(٨) الابانة : ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل .
(٩) الابانة : الحق ، ودفع به الضلال .
(١٠) الابانة : مقدم ، وجليل معظم .
(١١-١١) ما بينهما ليس في " الابانة " .
(١٢) في كتاب " الابانة " ، ص ٢١ - ٣٣ .

كما ذكر جمل مقالات أهل السنة والحديث في كتابه المصنف في
"مقالات الاسلاميين" ، الى أن قال : " ويكل ما ذكرناه من قولهم نقول ، واليه
نذهب " .

منزلة أبي عبدالله
ابن كرام
وقام أيضا أبو عبدالله محمد بن كرام بسجستان ونواحيها ؛ ينصر مذهب
أهل السنة والجماعة ، المثبتة للصفات والقدرة و [حب] الصحابة^(١) وغير ذلك ،
ويرد على الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم ، ويوافقهم على أصول مقالاتهم
التي بها قالوا ما قالوا ، ويخالفهم في لوازمها ، كما خالفهم ابن كلاب والأشعري ،
لكن هؤلاء منتسبون الى السنة والحديث ، وابن كرام منتسب الى مذهب أهل الرأي .^(٢)
و [خالف] قول الجماعة^(٣) ، وتكلم في مسألة الايمان بكلام لم يسبقه
اليه أحد من المسلمين ؛ حيث جعل المتكلم بلسانه مؤمنا باطنا وظاهرا ، وان
كان منافقا في الباطن ، وجعله مع ذلك كافرا مخلدا في النار .

وبعض الناس يحكي عنه أنه جعله سعيدا في الآخرة ، وهذا غلط عليه ؛
فانه جعله في النار ، فلم يخالف الجماعة في حكمه في الآخرة ، وانما خالفهم في
اسمه في الدنيا .

وتكلم أيضا في "مسألة الجسم" و " حلول الحوادث " بكلام تناقض فيه ،
فلم يجر فيه على السنة ، قاعدة عقلية ولا سمعية . وتكلم بأمر أخرى أنكرت عليه ،
وان كانت موافقة لأهل السنة أعظم من موافقة المعتزلة والرافضة . وهذا
المقاصد مبسوطة في موضع آخر .

وأهل السنة المحضة والحديث يعيرون جميع رؤوس الكلام المحدث ، كما
يعيرون رؤوس المتقدمين : كالجهم والجمعد وأبي الهذيل والنظام وغيرهم .
مشاركة رؤوس
الكلام المتأخرين
للمتقدمين نسي
أصل ضلالهم

(١) في كتاب " مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين " ١ / ٢٤٥ - ٣٥٠ تحت عنوان " هذه حكاية جملة
قول أصحاب الحديث وأهل السنة " ، وختم كلامه بقوله ، ص ٣٥٠ : " ويكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه
نذهب "

(٢) الأصل (ص) : والقدرة والصحابة .

(٣) الأصل (ص) : منتسبين .

(٤) الأصل (ص) : منتسبا .

(٥) الأصل (ص) : أهل الرأي وقول الجماعة . ولعل الصواب ما أثبتته .

فانهم شاركوهم^(١) في الأصل الذى منه ضلوا ؛ حيث ادعوا أن صدق الرسول صلى الله عليه وسلم انما يمكن بهذه الطريق التي أحدثوها، وهواثبات حدوث الأجسام بقيام الحوادث بها، وأن مالا يسبق الحوادث فهو حادث . وصار هؤلاء المتبعون لأهل الكلام المبتدع ، يظنون أن دين الاسلام انما تعلم صحته بهذه الطريق .

ومن عالم^(٢) بالسنة لفظا ومعنى ، عقلا ونقلا ، اذا تدبر حقيقة قولهم تبين له أن الأمر عكس ما قالوه ، وأن لا يمكن معرفة الصانع تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ، وأنه أرسل رسوله محمدا بكلامه الذى أنزله عليه - الا بنقيض قولهم الفاسد ، وعلم أنه يجب أن يكون موصوفا بصفات الكمال : من العلم والقدرة وغير ذلك ، يخلق ويتكلم بمشيئته وقدرته ، متصفا بالصفات والأفعال / الاختيارية القائمة بذاته المقدسة ، وأن مالا يكون كذلك يمتنع أن يكون خالقا لشيء أو متكلما بشيء .

ج ٢٠

فطريقتهم التي أثبتوا بها أنه خالق للخلق ، مرسل للرسول ، اذا حققت عليهم وجد لازمها أنه ليس بخالق ولا مرسل ، فيبقى المسلم العاقل اذا تبين له حقيقة الأمر ، وكيف انقلب العقل والسمع على هؤلاء - متعجبا .

ولهذا تسلط عليهم بها أعداء الاسلام من الفلاسفة والملاحدة وغيرهم ، لما بينوا أنه لا يثبت بها خلق ولا ارسال ، فادعى أولئك قدم العالم ، وأثبتوا موجبا بذاته ، وقالوا : ان الرسالة فيض يفيض على النبي من جهة العقل الفعال ، لا أن هناك كلاما تكلم الله تعالى به ، قائما به ، أو مخلوقا في غيره . وكان في الوقت الذى أظهرت الجهمية فيه مقاتلتهم الأولى ، وامتحنوا أئمة الاسلام كأحمد بن حنبل وغيره ، قد ظهر أصل كلمة هؤلاء الملاحدة الباطنية باطنا ، وذلك في اشارة المأمون ثم المعتصم ، وتجدد بعد ذلك من الحوادث

سبب تسلط أعداء الاسلام على أهل الكلام

(١) في الأصل (ص) بعد عبارة " شاركوهم " سهم يشير الى الهامش وكتب فيه كلمة " أولئك " .
(٢) ومن عالم : كذا في الأصل (ص) : ولعلها صحيحة ، والأولى أن تكون : ومن كان عالما .
(٣) الأصل (ص) : كلمة . ولعله تصحيف .

العظيمة ، التي كانت في الاسلام ، في أثناء المائة الرابعة ما يطول شرحه ،
ما تزلزل به أقطار البلاد الاسلامية .

صور من هذا
التسلط

ولما ظهرت تلك البدع المخالفة للشرع والعقل ، وخفيت السنن الموافقة
للعقل والسمع - دخلت الملاحدة من هذا الباب ، فأخذوا من أولئك
المبتدعة ما وافقتهم عليه ، وجعلوه أصلا لما يريدونه من الحادهم وزندقتهم .
فصاروا يقولون للمعتزلي : أنت وافقتنا على أن ما قام به العلم والقدرة
يكون جسما مشبها بخلقه ، وذلك ممتنع ؛ فكذلك ماسي عالما قادرا لا يكون
الا جسما مشبها للخلق ؛ فيجب عليك أن تنفي الأسماء كما نفيت الصفات .

ويقولون للكلامي : أنت وافقتنا على أن ما قامت به الحوادث فهو حادث ؛
فإن ما قامت به الحوادث لم يخل منها ؛ فيكون حادثا ؛ لامتناع حوادث لا أول
لها ، وما قامت به الأعراض فهو جسم محدث ، فيجب عليك أن تنفي الصفات
وتنفي العلم والقدرة ؛ لأن هذه الصفات أعراض فلا تقوم الا بجسم ، ولأن من
قامت به الأعراض قامت به الحوادث ، ولا يفرق بين هذا وهذا عقل ولا نقل ؛
نقولك : انه تقوم به الأعراض دون الحوادث تناقض .

فإذا قال : أنا لا أسي ما يقوم به عرضا ؛ لأن العرض لا يبقى زمانين ،
وصفاته باقية عندي .

قالوا : قولك : " ان العرض لا يبقى زمانين " ، مخالف لصريح العقل ، بل
هو ما يعلم فساده بضرورة العقل ، وحينئذ فلا فرق بين بقا صفاته وبقا
صفات غيره ، فاما أن تسمي الجميع عرضا أو لاتسمي الجميع عرضا .

وإذا قال : إنما قلت : انه لا يقبل الحوادث لأن ما [قامت به الحوادث]
لا يخلو منها .

- (١) الأصل (ص) : ما وافقتهم .
- (٢) الأصل (ص) : فكذلك فذلك .
- (٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، ولعله ساقط .

قالوا له : واذا كان عندك قد / صار فاعلا بعد أن لم يكن ، ولم يلزم من ذلك أنه لا يخلو من الفعل ، فقل : انه قام به الفعل بعد أن لم يكن ، كما قالت اخوانك من شبهة الصفات : الكرامية وغيرهم ، ولا يلزم من ذلك أن يكون الفعل لم يقم به .

الى غير ذلك من الحجج التي صاريحتج بها الملاحدة على أصناف أهل الكلام المحدث ، حتى حدث في الاسلام من شر القارطة الباطنية والفلاسفة الملاحدة ما يعرفه من عرف أيام الاسلام .

وكان من أسباب ذلك عدم علمهم بما بعث الله تعالى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدم تحقيقهم لقواعد المعقول ؛ فان الأقوال المبتدعة لا بد أن تكون مناقضة للشرع والعقل .

جاء بعد هؤلاء طوائف من السالمية^(١) والفقهاء وأهل الحديث والصوفية : من حنبلي وشافعي ومالكي وحنفي وغيرهم ، فوافقوا أهل الكلام المبتدع في أصلهم ، ورأوا مقالاتهم التي بها ظهر في الأمة أنهم خالفوا بها السنة ؛ كقول المعتزلة في القرآن وكلام الله تعالى ، وقول الكلابية ؛ فخالفوا الطائفتين في قولهم الذي ظهر مخالفته للنص والعقل ، ولكن وافقوهم في الأصل الذي منه ضلوا ؛ وهو أن الرب تعالى لم يكن في الأزل يمكنه أن يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا يمكن أن يتكلم دائما بمشيئته وقدرته ، ولا يمكن [أن تكون^(٢) له كلمات لانهاية لها .

واذا كان كذلك ، مع القول بأن القرآن غير مخلوق ، لم يكن الا أحد القولين : اما قول الكرامية ومن وافقهم على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته بعد أن كان الكلام ممتنعا عليه ، واما قول ابن كلاب : ان الكلام قديم العين ، لازم للذات ، ولا يمكن الرب أن يتكلم بمشيئته وقدرته .

(١) الأصل (ص) : مشيئته .

(٢) الأصل (ص) : السالمية .

(٣) أن تكون : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

فصار فريق من هؤلاء* الى ذلك القول المنسوب الى الهشامية والكرامية ، وضار فريق منهم الى أن القرآن قديم العين ؛ فأحدثوا، قولا مركبا من قول المعتزلة والكلابية ؛ فقالوا : انه حروف وأصوات ، أو حروف بلا أصوات ؛ قديمة الأعيان ، قائمة بذات الرب تعالى ، لم تنزل ولا تزال قائمة بذات الرب . وأخذوا في الرد على من يقول : " انه مخلوق " طريق ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما ، وفي الرد على من يقول : ان القرآن العربي ليس هو كلام الله ، وحروف القرآن هي ليست كلام الله ؛ وهذا القرآن ليس هو كلام الله ؛ والكلام انما هو معنى واحد قائم بذات الرب - طريق المعتزلة ومن وافقهم . ولهذا [قالوا :]^(١) ان الكلام هو الحروف ، أو الحروف والأصوات ، ولم يجعلوا المعاني داخلة في معنى " الكلام " ؛ وهذا قول المعتزلة ، ليس هذا قول السلف والأئمة ، بل السلف والأئمة عندهم أن الكلام يتضمن الحروف والأصوات والمعاني . والمعتزلة عندهم لم تقم بذات الرب تعالى معان تكون مدلول الحروف . وأما هؤلاء* / فعندهم يقوم به العلم والارادة وغير ذلك من الصفات .

ج ٧١

والكلابية أثبتوا طلبا مخالفا للارادة ، وحكما نفسانيا مخالفا للعلم ، وجمهور العقلاء يعلمون أن هذا فاسد ، وهو* قد يوافقون الكلابية فيما أثبتوه من هذا المعنى المخالف للعلم والارادة . لكن يتناقضون ؛ فانهم [ان]^(٢) جعلوا ذلك معنى الكلام ، بطول قولهم : " انه مجرد الحروف والأصوات " . وان قالوا : " انه مدلول الكلام " ، أثبتوا صفة من جنس العلم والارادة ، مخالفة للعلم والارادة ، وهم ينكرون اثبات هذا على الكلابية ، كما أنكروا المعتزلة وسائر [العقلاء]^(٤) .

(١) الأصل (ص) : واحدا .

(٢) قالوا : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٣) ان : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٤) العقلاء : ترك مكان هذه الكلمة في الأصل (ص) بيانا ، ولعلها المرادة هنا .

ولهذا صاروا يأخذون ما يذكره المعتزلة ، من فضائح ذلك القول
ومعايب أهله فيذكرونه هم ، ويأخذون ما يذكره الأشعرية ، من فضائح
المعتزلة ومعايبهم فيذكرونها .

حتى انهم يذكرون عن ابن كلاب والأشعري حكايات في ذمهم ؛ يعلم
أنها باطلة من افتراء المعتزلة عليهم ، مثل نقلهم عن ابن كلاب رحمه الله
أنه كان نصرانيا في الباطن ، وأنه أظهر الاسلام ليفسده على أهله ، وأنه
بذلك أرض أختا له نصرانية راهبة لما عبرته بالاسلام .^(١) ومن نقلهم عن
الأشعري رحمه الله تعالى أنه كان يبطن خلاف ما يظهر ، وأنه مات على
ظهر غلام بالأحسا .^(٢)

عود لبيان منزلة
ابن كلاب
والأشعري

الى غير ذلك ، مما يعلم العاقل أنه كذب عليهما ، وأن الرجلين قالا
ما يعتقدانه ظاهرا وباطنا ، وكانا متدينين بذلك ، وأن نسبة قولهما الى
النصارى هو من افتراء الجهمية ؛ فانهم يقولون : من أثبت الصفات فقد قال
بقول النصارى . وقد ذكر ذلك عنهم الامام أحمد في " رده على الجهمية " كما تقدم :
" قالوا : اذا قلت : ان الله لم يزل وقدرته ، لم يزل وعلمه ، لم يزل ونوره . فقد قلت بقول
النصارى " .^(٣)

(١) قال ابن النديم في كتاب " الفهرست " ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ (ط . مصر) عن ابن كلاب : " وله مـسـح
عباد بن سليمان مناظرات ، وكان يقول : ان كلام الله هو الله ، وكان عباد يقول : انه نصراني بهذا
القول " . ثم ذكر ابن النديم قول أحد النصارى : " ان ابن كلاب أخذ عنه ، وقوله : ولو عاش
لنصرنا المسلمين " .

(٢) لم أقف على تصريح بهذا الزعم ، لكن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ترجم لأبي الحسن
محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي (٤٥٨ - ٥٣٢) وأورد ١٤٦ / ٦ - ١٤٦ أبياتا من قصيدة
له ، وفيها قوله عن أبي الحسن الأشعري :

وكان كلاميا بالأحسا موتـه . . . بأسوأ موت ماتـه ذو السوائب
وعلق السبكي على ذلك بقوله : " وهذا أيضا كذب ، لم يبلفنا أنه مات الا كما مات غيره من
الصالحين ، ولم يمت بالأحسا " ، ثم قال عن القصيدة ١٤٦ / ٦ : " فهذا ما أردت حكايته منها ،
ولو أمكن اعدامها من الوجود كان أولى ، والأغلب على الظن أنها ملفقة موضوعة ، وضع ما فيها
من الخرافات من لا يستحي . . . " .
(٣) قال الامام أحمد في كتاب " الرد على الزنادقة والجهمية " ، ص ٩١ : " فقالت الجهمية ، لما وصفنا
الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره ، والله وقدرته ، والله وعظمته ، فقد قلت بقول
النصارى ، حين زعموا أن الله لم يزل ونوره ، ولم يزل وقدرته " .
وتقدم نقل ابن تيمية لهذا ، ص ٦٢ .

وابن كلاب كان مسلماً باطنياً وظاهراً، رجلاً فاضلاً، جليل القدر، وقد رد على أهل البدع الكبار من الجهمية والمعتزلة والرافضة رداً كثيراً، أحسن فيه وأصاب، وغلط في بعض ذلك .

وكذلك الأشعري بعده كان مسلماً باطنياً وظاهراً، أظهر من الرد على أهل البدع وتناقضهم أكثر مما أظهر ابن كلاب، وإن كان ابن كلاب أعلم بالسنة وأتبع لها من الأشعري؛ فالأشعري صنف في أبواب الرد على المعتزلة والجهمية والرافضة والفلاسفة أكثر منه، وأظهر من نساد أقوال هؤلاء أكثر مما أظهر ابن كلاب .

ولهذا صار قول الطائفة منسوباً [اليه^(١)]، وكان في الأصل إنما هو قول ابن كلاب، وكثير من الناس لا يعرفون ابن كلاب، بل إنما يعرفون الأشعري لشهرته، وكثره^(٢) رده على أهل البدع، وكثير ممن ينتسب إليه من الفضلاء، وأنه كان ظهور انتسابه / إلى أحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث أعظم من ابن كلاب، ولكن خفي عليه من نساد أصل الجهمية ما خفي على غيره، مثل ابن كلاب وغيره، فالتزم ذلك الأصل الفاسد، وأراد أن يجمع بينه وبين المقالات الظاهرة^(٣) عن أهل السنة .

فهو وإن كان في قوله خطأ وتناقض، ففي قوله من الصواب الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول أكثر مما في قول هؤلاء الطوائف: كالجهمية والقدرية والفلاسفة، ولهذا يلقب بإمام السنة في البلاد والأماكن التي لا يعرف فيها إلا قوله وقول هؤلاء، فمن خرج عن قوله من الناظرين في العقليات السميّة "باصول الدين" خرج إلى قول معتزلي أو فيلسوف، وقوله أقرب إلى السنة من قول هؤلاء، فهو إمام السنة بهذا الاعتبار، وإن [كان^(٤)] في قوله من

(١) اليه : ليست في الأصل (ص)، ولعلها ساقطة .

(٢) الأصل (ص) : وسشرة .

(٣) الأصل (ص) : المعتلات اظاهرة . بدون نقاط .

(٤) كان : ليست في الأصل (ص)، ولعل الصواب اثباتها .

المخالفة للسنة ما يعرفه غير هؤلاء^(١) الذين يظنون أن مراد السلف والأئمة بقولهم : القرآن غير مخلوق ، أنه قديم العيين .

افتراق الكلابية والسالمية نسي
وهؤلاء^(٢) وهؤلاء^(٣) يفترقون في القديم ماهو ؟ على هذين القولين ، وبين
معنى قولهم : الطائفتين منازعات ومخاصات ، بل وقتن ، كقتنة بيت الفراء وبيت القشيري
"القرآن قديم
المعنيين التي كانت ببفداد^(٣) ؛ فان هؤلاء^(٣) قولهم في القرآن قول السالمية ، وهؤلاء^(٣)

(١) الأصل (ص) : ما يعرف . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : من هؤلاء ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) هناك واقعتان ارتبطتا ببيت القشيري :

الأولى : بنيسابور قاعدة خراسان ، وكانت سنة ٤٤٥ هـ ، حينما أمر السلطان السلجوقي طغرلبك بلعن المبتدعة على المنابر ، وذكر فيهم الأشاعرة ، وقد ضج الأشاعرة من ذلك ، وصف أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رسالة مشهورة ، اسمها "شكاية أهل السنة بحكاية مانالهم من المحنة" .

انظر أحداث هذه المحنة ، وكيف ارتفعت بمجيء السلطان ألب أرسلان خلفا لعمه طغرل ، ونص رسالة القشيري ، في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٣٧٤-٤٢٣ ، وانظر أيضا تبیین كسذب المغتري ، ص ١٠٨-١١٢ ، ٢٧١-٢٧٥ ، البداية والنهاية ١٢/٦٤٠ .

والثانية : ببفداد ، فقد كان أبو نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن يقدم ببفداد ، ويعظ فيها ناصرا المذهب الأشعري تاما الحنابلة ، وتعصب له جماعة عصبية زائدة أدت الى وقوع فتنة بينه وبين الحنابلة سنة ٤٦٩ هـ ، وحبس بسببها شيخ الحنابلة الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن القشيري من ببفداد لاطفاً الفتنة .

انظر تبیین كذب المغتري ، ص ١٦٣ ، ٣٠٨-٣١٧ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/١٦١-١٦٢ ؛ المنتظم لابن الجوزي ٨/٣٠٥-٣٠٧ ، ٣١٢-٣١٣ ، ٩/٢٢٠-٢٢١ ؛ البداية والنهاية ١٢/١١٥ ، ١١٧ ، ١٨٧ .

ويذكر المؤرخون حادثة وقعت بعد ذلك ، فقد ورد الى ببفداد سنة ٤٧٥ هـ رجل أشعري يقال له : الشريف أبو القاسم البكري ، قال ابن الجوزي في المنتظم ٩/٣-٤ : ان هذا البكري فيه حدة وطيش ، وان نظام الملك بعثه الى ببفداد انتصارا لأبي نصر القشيري ، الذي كان نظام الملك قد أمره بالخروج منها فيما سبق .

وقال ابن الأثير في الكامل ١٠/١٢٤-١٢٥ ان البكري كان يعظ بالمدرسة النظامية ببفداد ويذكر الحنابلة ويعيبهم .

وذكر ابن الجوزي وابن الأثير أنه جرى ذات يوم بين بعض أصحابه وأصحاب أبي الحسين بن الفراء مشاجرة ، نهبت على اثرها دور بني الفراء ، وأخذت كتبهم ، ومنها كتاب الصفات لأبي يعلى ، وصاروا يقرأونه ويشنعون به .

وذكر الذهبي في العبر ٣/٢٨١-٢٨٢ هذه الحادثة وسمى كتاب أبي يعلى "ابطال التأويل" وهما اسمان لكتاب واحد مازال مخطوطا ، وقد ذكر ابن تيمية في مجموع فتاوى شيخ الاسلام (ط . الرياض) ٦/٥٤ أن أبا يعلى صنف هذا الكتاب للرد على أبي بكر ابن نورك شيخ أبي القاسم القشيري .

ولخص ابن تيمية حكمه على هذه الفتنة بقوله : "ان أكثر الحق فيها كان مع الفرائية مع نوع من الباطل ، وكان مع القشيرية فيها نوع من الحق مع كثير من الباطل" . = /

قولهم قول الكلابية ، وكل هو هـ* معظومون لأحمد بن حنبل ، منتسبون اليه
اعتقاده ، قائلون : ان الذى ننصره وندعوا اليه هو قوله .
وفي الحقيقة نقول أحمد وسائر أئمة أهل السنة لا قول هو هـ* ولا قول
هو هـ* ، وانما ظنوا ذلك لموافقتهم أصول الجهمية ، فلما كان قولهم مركبا من
أقوال أهل السنة ومن أصول الجهمية صار قولا مبتدعا ، مخالفا للشرع
والعقل ، وهم يظنون أنه قول أهل السنة ، وأن من خالفه فهو مبتدع ، وقد
يكفرون من خالفهم ، ولا يصلون خلفه ، ولا يسمعون منه الحديث ، ولا يسمعون
اياه ، ولا يستفتونه .

وهم في الحقيقة من جنسه : قولهم مبتدع كما أن قوله^(١) مبتدع ، ومعهم
حق وباطل ومعهم حق وباطل ، وقد يكون الحق الذى مع هو هـ* أكثر ، وقد
يكون الحق الذى مع هذا أكثر ؛ فان وزن مامع كل شخص من العسق
والباطل [بالميزان الشرعي عرف مافيه من الابتداع^(٢)] ، ومنه ما لا يعرفه الا الله
تعالى ؛ فان الشخص الواحد تختلف أحواله ، وانما نتكلم في جنس القول
الذى عرفناه ، وفي لوازمه ، وما تولد عنه : كلاما كليا عاما ، لانخص به شخصا
بعينه ، لنبين أن الأصل الذى منه تفرقت الأمة ، وصاروا شيعا في هـ*
المسائل هو من ذلك الأصل ؛ الذى ابتدعته الجهمية وظنت أنه أصل .
وصار هو هـ* الذين قالوا بقول السالمية المركب من قول المعتزلة والكلابية ،
القائلون بأن الصوت المعين الذى تكلم الله تعالى به قديم - متنازعين في

= / وأشار ابن تيمية قبل ذلك ٥٣/٦ ، وكذا ابن عساكر في تبين كذب المفترى ، ص ١٦٣ السى أن
الحنابلة والأشاعرة كان يعتضد بعضهم ببعض حتى وقعت هذه الفتنة .
ويضيف ابن تيمية ٥٤/٦ قوله : " ولا ريب أن الأشعرية الخراسانيين كانوا قد انحرفوا السى
التعطيل ، وكثير من الحنبلية زادوا في الاثبات " .
وانظر أيضا كتاب التسمينية لابن تيمية ، ص ٢٤١ وما بعدها .

(١) الأصل (ص) قولهم ، ولعل الصواب ما أثبتته .
(٢) في الأصل (ص) بعد كلمة " والباطل " بياض بقدر سبع كلمات ولعل ما أثبتت يعني بالمراد .

الصوت المسموع من القراء^(١) على ثلاثة أقوال : منهم من يقول : [" ان الصوت المسموع هو الصوت القديم " ، ومنهم من يقول :]^(٢) " بل الصوت القديم غيره ، وذاك لا يسمع " ، وهو "أقل خطأ" ، ومنهم من يقول : " بل الصوت يشتمل على صوتين : محدث وقديم " .^(٤)

والذين قالوا بقول الكلابية متنازعون في القرآن العربي : كلام من هو؟ ومن الذى [تكلم به؟]^(٥) ؛ فمنهم من يقول : هو مخلوق خلقه الله تعالى في غيره ؛ ليدل به على ذلك المعنى القديم . ومنهم من يقول : بل هو أحداث جبريل أنشأه وعبر به عما في نفس الله تعالى . ومن متأخريهم من قال : بل هو أحداث محمد صلى الله عليه وسلم عبر به عما ألهمه الله تعالى من المعنى .

وصارت الطائفة القائلة بقدم القرآن ، بل بقدم عين الكلام ، متفقة على أن من كلمه الله تعالى ، من الملائكة والأنبياء وغيرهم ، فلم يكلمه بكلام تكلم به حين كلمه ، بل أسمعه حينئذ ما هو موجودا قديما أزليا ، لم يزل ولا يزال .

ف قيل للكلابية : المعنى لا يسمع ، وإنما يسمع الصوت .

فقال الأشعري : بل يسمع كل موجود ، بل يشم ويذاق ، فالحواس الخمس يجوز أن تتعلق بكل موجود . وقال بقوله طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد : كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وغيرهما .
وقال القاضي أبو بكر : كلام الله لا يسمع .

-
- (١) الأصل (ص) : العراء ، بدون نقاط .
 - (٢) ما بين القوسين المعكوفين ليس في الأصل (ص) ، والظاهر أنه ساقط .
 - (٣) الأصل (ص) : غيره ولا يسمع ، وعلقت كلمة " ذاك " فوق السطر .
 - (٤) الأصل (ص) : صورس . بدون نقاط .
 - (٥) عبارة " تكلم به " ليست في الأصل (ص) ومكانها بياض .
 - (٦) موجودا : كذا في الأصل (ص) ، والظاهر أنه لا وجه للنصب ، والصواب : موجود .

بطلان احتجاج من
يقول: ان القرآن
احداث محمد
أو جبريل
واحتج طائفة من الكلابية كأبي محمد الدمشقي وغيره على أن القرآن
احداث محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (انه لقول رسول كريم) (١) . قال: (٢)
فانما أضافه اليه لأنه هو الذى أحدثه وألفه .

وهذا باطل ؛ فان الله تعالى أضافه الى الرسول البشرى تارة ، والى
الرسول الملكي أخرى : الى جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم تسليما ،
وكلاهما رسول مصطفى ؛ كما قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن
الناس) (٣) .

قال تعالى : (انه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين .
مطاع ثم أمين) (٤) . فهذا جبريل ، وقال تعالى : (انه لقول رسول كريم .
وما هو بقول شاعر قليلا ماتوا منون . ولا يقول كاهن قليلا ماتذكرون . تنزيلا
من رب العالمين) (٥) . فهذا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مضافا اليه .
لأنه أحدثه لتناقض الخبران ؛ فانه ان كان أحدثه هذا لم يحدثه الآخر .
وأيا فانه سبحانه قال : (انه لقول رسول كريم) . ولم يقل : نبي ولا ملك .
فأضافه اليه باسم " الرسول " ليبين أنه مبلغ له عن مرسله ، لا أحدث له من
تلقاه نفسه ، فعلم أنه أضافه الى الرسول لأنه بلغه عن الله ، لا أنه أحدثه
وأنشأه .

وأيا فالمضاف هو القرآن ، ليس هو مجرد لفظه ، فلو كان المراد ما ذكرتم
لزم أن يكون كله كلام محمد أو جبريل ، لا كلام الله تعالى ، وهذا قول الوحيد ،
الذى قال الله تعالى فيه : (ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا .
وبنين شهودا . / مهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لاياتنا
عنيدا . سأرهقه صعودا . انه فكر وقدره . فقتل كيف قدره . ثم قتل كيف قدره . ثم نظر .
ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان هذا الا سحر يوءثر . ان هذا الا قول
البشر) (٦) .

- (١) لم أعرف من المقصود .
(٢) سورة العاقبة : ٤٠ .
(٣) سورة الحج : ٧٥ .
(٤) سورة التكويد : ١٩ - ٢١ .
(٥) سورة العاقبة : ٤٠ - ٤٣ .
(٦) سورة المدثر : ١١ - ٢٥ .

فأله تعالى قد كفر من جعله قولا للبشر، وأخبر سبحانه أنه قول رسول من البشر، كما أخبر أنه قول رسول من الملائكة؛ فتبين أنه قول للرسول بلغه عن المرسل له، فله فيه البلاغ، لم يحدث هو شيئا منه، بل بلغه كما أنزل عليه. قال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (١) وقال تعالى: (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) (٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه، فرب يبلغ أوعى من سامع). وفي رواية (فرب حامل فقهه غير فقيه، ورب حامل فقهه من هو أفقه منه) (٤). ومن بلغ عن الرسول كلاما كقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرأ ما نوى) (٥). فذلك الكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان المبلغ بلغه بصوت نفسه وحركته.

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة الجن: ٢٨.

(٣) الأصل (ص): كما سمع.

(٤) ورد الحديث بالرواية الأولى عن عبد الله بن مسعود، في سنن الترمذي (تحفة الأحمدي ١٧/٧ - ٤١٨) العلم، باب في الحث على تبليغ السماع؛ وسنن ابن ماجه ١/٨٥ رقم ٢٣٢ المقدمة، باب من بلغ علما؛ وسنن أحمد (ط. الحلبي) ١/٤٣٧. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وبالرواية الثانية عن زيد بن ثابت، في سنن أبي داود (عون المعيبود ١٠/٩٤ - ٩٥) كتاب العلم، باب فضل نشر العلم؛ وسنن الترمذي ٧/٤١٥ - ٤١٦، وقال عنه: "حديث حسن". وسنن ابن ماجه ١/٨٤ رقم ٢٣٠؛ وسنن أحمد (ط. الحلبي) ٥/١٨٣. وعن أنس بن مالك، في سنن ابن ماجه ١/٨٦ رقم ٢٣٦، وسنن أحمد (ط. الحلبي) ٣/٢٢٥؛ وعن جبير بن مطعم، في سنن ابن ماجه ١/٨٥ رقم ٢٣١.

(٥) هذا بعض من الحديث المتفق على صحته وعظمه رواه عمر بن الخطاب، وأخرجه البخاري (فتح الباري ١/٩ رقم ١) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكرر بعد هذا في ستة مواضع؛ ومسلم ٣/١٥١٥ - ١٥١٦ رقم ١٩٠٧ كتاب الامارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنية)؛ وأبو داود (عون المعيبود ٦/٢٨٤ - ٢٨٥)، كتاب الطلاق، باب في ما عني به الطلاق والنيات؛ والنسائي ١/٥٨ - ٦٠ كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء؛ سنن ابن ماجه ٢/١٤١٣ كتاب الزهد، باب النية.

فكلام الله تعالى أولى أن يكون كلام الله ، وان يلفه المبلغون بحركاتهم وأصواتهم ، كما قال تعالى : (وان أحد من المشركين استجيبارك فأجره حتى يسمع كلام الله)^(١) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم)^(٢) . فأضاف النبي صلى الله عليه وسلم الصوت الى العبد ، وان كان القرآن كلام الله ، لا كلام العبد . كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)^(٣) . وقال تعالى : (ان الذين يفضضون أصواتهم عند رسول الله)^(٤) .

فالقرآن العزيز الذي يقرأه المسلمون كلام الله ، ليس لملك ولا لبشر فيه شيء ، وان كان القراء من الملائكة والبشر انما يقرأونه بحركاتهم وأصواتهم . والتلاوة ان أريد بها نفس أفعال العباد فليست هي الكلام المتلوه ، وان أريد بها نفس القرآن فالقرآن هو كلام الله الذي يتلى . وقد بسطنا الكلام على هذا الموضوع وما فيه من النزاع ، وبيننا أن بعضه لفظي وبعضه ممنوى في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن منشأ النزاع والضلال في هذا الباب هو قول الجهمية والقدرية ، الذين حقيقة قولهم أن الرب تعالى لم يكن قادرا على أن يفعل ويتكلم بمشيئته وقدرته ، بل رجح أحد المقدورين المتماثلين على الآخر بلا مرجح^(٥) . ثم قالت القدرية : وكذلك العبد يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح . وقالت الجهمية : بل العبد لا يحدث شيئا أصلا ، ولا يفعل شيئا ، لا امتناع حوادث لا أول لها .

تلخيص لأقوال
الفرق في كلام الله

- (١) سورة التوبة : ٦ .
- (٢) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص ١٩٥ ، ت ١ .
- (٣) سورة الحجرات : ٢ .
- (٤) سورة الحجرات : ٣ .
- (٥) الأصل (ص) : المعدوريس . بلا نقاط .

فلما قالوا هذا صارت طائفة تقول : كلامه حينئذ / لا يكون الا مخلوقا ؛
لأنه ان لم يكن مخلوقا لزم أن يكون قديما ، أو قائما به وهو حادث ، والرب
تعالى لا تحله الحوادث . وهذا قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم .
وطائفة تقول : بل حادث قائم به ، والرب يمتنع أن يتكلم فـ في الأزل
بمشيئته وقدرته . وهذا قول الهشامية والكرامية وأبي معاذ التومني ^(١) وزهير
الأثرى ^(٢) وطوائف كثيرين ^(٣) .

وطائفة تقول : بل هو قديم العين . وهم الكلابية ومن وافقهم ، ثم
قيل : القديم هو المعنى . كقول ابن كلاب نفسه ، وقيل : بل هو الحروف ، أو
الحروف والأصوات . كقول السالمية وغيرهم .

وأما قول السلف والأئمة ؛ فقالوا : ان الله تعالى لم يزل متكلما اذا
شاء ، وكيف يشاء ، وكما يشاء . كما قد نص على ذلك أحمد بن حنبل
وعبدالله بن المبارك وغيرهما من أهل السنة والحديث ، وهو الذي حكاه
أبو بكر عبدالعزيز وأبو عبدالله بن حامد عن أصحاب أحمد ^(٤) .

لكن أبو الحسن التميمي ^(٥) والقاضي أبو يعلى وغيرهما وافقوا الكلابية

-
- (١) قال السمعاني في كتاب " الأنساب " ١١١/٣ " التومني ، هذه النسبة الى تومن ، وطني أنها
من قرى مصر والله أعلم ، منها أبو معاذ التومني ، وهو رأس الطائفة المعروفة بالتومنية ، وهم
فرقة من المرجئة "
- وقد عد الأشعري في " مقالات الاسلاميين " (ط . هلموت ريتز) ، ص ١٣٩ - ١٤٠ الفرقة العاشرة
من المرجئة أصحاب أبي معاذ التومني ، ثم ذكر بعد ذلك آراء أبي معاذ في عدد من المسائل ،
انظر الصفحات : ١٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٦٦ ، ٥٤١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ .
- (٢) لم أقف على ترجمة زهير الأثرى ، لكن ذكر الأشعري أقواله في كتاب " مقالات الاسلاميين " (ط .
هلموت ريتز) الصفحات : ٢١٥ ، ٢٩٩ ، ٣٦٦ ، ٤٤٣ ، ٥٤١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ .
- (٣) الأصل (ص) : كثيرون .
- (٤) تقدمت ترجمة أبي بكر عبدالعزيز ، ص ١٧٨ ت ٣ ، و ترجمة أبي عبدالله بن حامد ، ص ٢٠٠
ت ٤ ، وتقدمت حكايتهما لمذهب أصحاب أحمد في هذه المسألة ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- (٥) هو أبو الحسن عبدالعزيز بن الحارث بن أسد بن الليث التميمي ، صحب أبا القاسم الخرقى
وأبا بكر عبدالعزيز ، وصنف في الأصول والفروع والفرائض ، مولده سنة ٣١٧ وموته سنة ٣٧١ .
انظر : طبقات الحنابلة ١/٢ : مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٢٣ ؛ البدايية
والنهاية ١١/٢٩٨ ؛ الأعلام ٤/١٦٠ .

على أصلهم ، كما وافقهم على ذلك أبو المعالي الجويني وغيره من أصحاب

الشانعي ، وأبو الوليد الباجي وغيره من أصحاب مالك ^(١) .

فصل

وأما طريقة القرآن في اثبات الصانع تعالى ، واختلاف الناس في الاقرار بالصانع : هل هو فطري أو نظري ؟ وبيان قول من يقول : انه فطري ، وان كل مولود يولد على الفطرة ، وانه قد يصير نظريا لبعض الناس ؛ لما يعرض له من الشبه ؛ فيستدل عليه بالأدلة الكثيرة - فطريقة القرآن ذكر الآيات وقياس الأولى ، بخلاف طريقة أهل الكلام والفلسفة ؛ الذين يستعملون فيه قياس الشمول الذي تتساوى أفراده ، أو قياس التمثيل .

والفرق بين الآيات والمقاييس أن القياس العقلي الذي يسميه أهل المنطق " البرهان " انما يدل على مطلوب كلي ، فإنه لا بد من قضية كلية موجبة ؛ ان لا نتاج عن السالبتين ولا عن جزئيين .

وقياس التمثيل حقيقته هي حقيقة قياس الشمول ؛ فان ما يسمى " الحسد الأوسط " في هذا يسمى في ذاك " الجامع المشترك بين الأصل والفرع " .

وقياس الشمول انما يدل على مطلوب كلي ، لا على شيء بعينه ؛ فانه لا بد من مقدمة كلية ، فلا يفيد ما يختص به الموصوف ، بخلاف الآيات فان الآية تستلزم عين ماهي آية عليه ، فانها دليل على عين المطلوب .

وجميع المخلوقات آيات للخالق تعالى ؛ فانها مستلزمة لذاته المعينة ؛ فانه يمتنع وجود شيء من المخلوقات الا بوجود نفسه المقدسة المعينة ؛ فصارت لازمة لكل موجود ، وكل ملزوم فانه يستدل به على لازمه ، فان الدليل هو ما يكون مستلزما لغيره ، فكل ما كان مستلزما لغيره أمكن الاستدلال به عليه ، وكل مخلوق فانه [يستلزم ^(٢)] الخالق : يمتنع وجوده بدون وجود الخالق ؛

فيمكن الاستدلال به على عين الخالق .

طريقة القرآن في
اثبات الصانع

(١) تقدمت ترجمته ، ص ١٧٥ ت ٤ .

(٢) يستلزم : مكانها في الأصل (ص) بياض ، ولعلها المطلوبة هنا .

وإذا قلنا : هو محدث ، وكل محدث فله محدث ؛ أو هذا ممكن ، وكل ممكن فلا بد له من واجب . فهذا صحيح ، لكنه يدل^(١) على محدث مطلق ، وواجب مطلق ، لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، إلا أن تعلم عينه أو أنه واحد بدليل منفصل . وأما هذا القياس فانما يدل على وصف كلي مشترك . ثم إذا علمنا بالدليل أن الفاعل القديم لا يكون إلا واحداً ، والفاعل الواجب بنفسه لا يكون إلا واحداً- لم يكن في ذلك ما يدل على عينه ، بل إنما يدل على واحد مطلق عندنا ، وإن كان معينا في نفس الأمر . وآيات الله تعالى دالة على نفسه سبحانه وتعالى ، ومن لم تدله^(٢) على ذلك فلتصوره في استدلاله ، لا لتصور دلالتها ، بخلاف القياس فإنه ليس فيه ما يدل على معين ألبتة .

ولهذا كان المستعمل في الكتاب والسنة وكلام السلف في حقه تعالى هو " القياس الأولى " ؛ مثل أن يعلم أن ما ثبت لغيره من كمال مطلق لانقص فيه ، فهو أحق بأن يثبت له من ذلك الكمال ما هو أحق به مما سواه ؛ فإذا كان الحياة والعلم والقدرة كمالا لانقص فيه ، وقد اتصف به المخلوق ، فالخالق تعالى أحق أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة ، وما يستزده عنه غيره من العيوب فهو سبحانه أحق بتزويده عنه .

قال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون . للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى) . إلى قوله تعالى : (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون)^(٣) .

(١) في الأصل (ص) رست الكلمة كذا : بدلت : بلا نقاط . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) الأصل (ص) : يدل .

(٣) سورة النحل : ٥٨ - ٦٠ ، ٦٢ .

وقال تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكس

من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ، الآية^(١) .

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم .

قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)^(٢) . وقال تعالى : (ألا

يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)^(٣) . ومثل هذا كثير ، والمقصود هنا التنبيه ،

كما يليق بهذا الجواب^(٤) .

فصل

دليل الأصبهاني على " علم الله " الأشياء^(٥) مع الجهل .
وأما قوله : " والدليل على علمه ايجاد الأشياء " ؛ لاستحالة ايجاد

شرح ابن تيمية فهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أوليهم وآخرهم .^(٦) والقرآن

قد دل عليه ؛ كما في قوله [تعالى]^(٧) : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

الخبير)^(٨) . والمتللفة أيضا سلكوه .

وبيانه من وجوه :

أحدها - أن ايجاد الأشياء^(٩) هو بارادته - كما سيأتي - والارادة تستلزم

تصور المراد [قطعا ، وتصور المراد]^(١٠) هو العلم ، فكان^(١١) / ال ايجاد مستلزما

ج ٢٤

للارادة ، والارادة مستلزمة للعلم ، فال ايجاد مستلزم للعلم^(١٢) .

(١) سورة الروم : ٢٨ .

(٢) سورة يس : ٧٨ - ٧٩ .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

(٤) هنا ينتهي ما انفردت به (ص) ، والذي بدأ في صفحة ٢٣٨ ، وتنضم اليها (خ ، س) وقد انقطعتا في صفحة ٨٨ ، و (ك) وقد انقطعت في صفحة ٢٣٨ .

(٥) كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : للأشياء .

(٦) كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : أولهم وآخرهم .

(٧) تعالى : زيادة من (س ، ك) .

(٨) سورة الملك : ١٤ .

(٩) كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : للأشياء .

(١٠) ما بين المعكوفين سقط من (ص) .

(١١) س : وكان .

(١٢) ص : مستلزما . (في الموضعين) .

الثاني - أن المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان ما يستلزم علم الغاعسل

بها^(١) : لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم .

وبهذين الطريقتين يتقرر ما ذكره .

ولهم طرق أخرى^(٢) : منها أن من المخلوقات ما هو عالم ، والعلم صفة

كمال ، ويمتنع أن يكون^(٣) المخلوق أكمل من الخالق ؛ إذ كل كمال فيه فهو منه ؛ فيجب أن يكون^(٤) الخالق عالما .

وهذا له طريقتان :

أحدهما - أن يقال : [نحن^(٥)] نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من

المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم بالضرورة^(٦) أنا إذا فرضنا

شيئين : أحدهما عالم ، والآخر غير عالم ؛ كان العالم أكمل ، فلو لم يكن

السواجب عالما لزم أن يكون الممكن أكمل منه^(٧) ، وهو ممتنع .

الثاني - أن يقال : كل علم في الممكنات - التي هي المخلوقات - فهو منه^(٨) ،

ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق به^(٩) ، والله

سبحانه له^(١٠) المثل الأعلى ؛ لا يستوى هو والمخلوق في قياس شمول ، ولا قياس

تمثيل^(١١) ، بل كل ما ثبت^(١٢) لمخلوق من كمال^(١٣) فالخالق تعالى أحق بسببه^(١٤) ،

وكل نقص تنزه عنه^(١٥) مخلوق ما^(١٦) ، فتزبه الخالق عنه أولى .

(١) بها : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : لها .

(٢) أخرى : سقطت من (ك) .

(٣) أن يكون : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : أن لا يكون .

(٤-٤) ما بينهما في (ص) فقط .

(٥) نحن : سقطت من (ص) .

(٦) بالضرورة : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : ضرورة .

(٧) س ، ك : كان العالم أكمل منه ، فإذا لم يكن الخالق سبحانه عالما يلزم أن يكون غير عالم ، أي جاهلا .

(٨) ك : منهم .

(٩) به : سقطت من (س ، ك) .

(١٠) خ ، س ، ك : وله .

(١١) خ ، س ، ك : . . . والمخلوق لا في قياس تمثيل ولا قياس شمول .

(١٢) خ ، س ، ك : ما أثبت .

(١٣) من كمال : سقطت من (س ، ك) .

(١٤) خ ، س ، ك : فالخالق به أحق .

(١٥) ص : عن .

(١٦) ما : سقطت من (ك) .

لمسئل

دليل الأصفهاني على قدرة الله*
وأما قوله : " والدليل على قدرته ايجاد الأشياء ، وهي (١) اما بالذات وهو محال ، والا لكان العالم وكل [واحد من] مخلوقاته قديماً وهو باطل ، فتعين أن يكون فاعلاً بالاختيار ، وهو المطلوب ."

شرح ابن تيمية (٣) فقد يقال : هذا انما أثبت به كونه فاعلاً (٤) بالاختيار [وان كان لم يقرر مقدمات دليبه . وفعله بالاختيار] يثبت (٥) الارادة ، لا يثبت (٦) القدرة ، وهو قد أثبت الارادة فيما بعد ، فظاهر [هذا] أنه كسر (٨) دليل الارادة ، ولم يذكر على القدرة دليلاً .

لكن تقرير ذلك أن يقال : انه اما أن يكون المبدع للأشياء مجرد ذات عربية (٩) عن الصفات ، مستلزمة وجود المفعول ، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم الأفلاك (١٠) وصدورها عن ذات مجردة (١١) . واما أن يكون ذاتا موصوفة بصفات ، لا يجب معها وجود المخلوقات ، كما عليه أهل الليل . (١٢) والأول باطل ؛ لأنه يستلزم أن لا يحدث في العالم شيء* ، لأن العلية التامة القديمة يجب أن تستلزم معلولها ، فلا يتأخر شيء* من معلولها (١٤)

(١) وهي كذا في (ك) وفي (ص ، خ ، س) : وهو .

(٢) عبارة " واحد من " سقطت من (ص) .

(٣) خ ، س : وقد .

(٤) خ ، س ، ك : انما أثبت به أنه فاعل .

(٥) ما بين المعكوفين سقط من (ص) .

(٦) ص : ثبت .

(٧) ك : ولا يثبت .

(٨) ص : فظاهر أنه ذكر .

(٩) ك : عارضة .

(١٠) كذا في (ص) ؛ وفي (خ) : يستلزم وجود ؛ وفي (س ، ك) : يستلزم وجود .

(١١) كما يقوله من . الخ : كذا في (ص) ، وفي (خ ، س ، ك) : كما يقوله المتفلسفة القائلون .

(١٢-١٣) ما بينهما في (ص) فقط .

(١٣) بصفات : كذا في (ص) ، وفي (خ) : بالصفات بصفة . وفي (س) : بصفة . وفي (ك) بالصفات .

(١٤) الأصل (ص) : معلولها لاسها ، بدون نقاط ، ولعل الكلمة الأخيرة زائدة .

عن الأزل ، وهو خلاف الحسن والمشاهد ، وهذا الوجه يبطل قولهم بالموجب بالذات وتقدم شي* بعينه من أجزاء العالم ، وسواء فسروا الموجب بذات مجردة مستلزمة للموجب ، أو بذات موصوفة مستلزمة للموجب ، فإن القول يكون المبدع ملزوما لموجبه ومقتضاه ، مع تأخر بعض ذلك عن الأزل - جمع بين النقيضين* .

وإذا أُرِدَ التقسيم الحاضر قلت : الفاعل اما ذات مجردة ، واما الذات بصفات^(٢) ، فان كان الأولى فمعلوم أن العلة التامة^(٣) تستلزم وجود المعلول ، فاذا كان مجرد الذات / هو الموجب^(٤) فجرد الذات علة تامة ، فيلزم وجود المعلول جميعه ، فيلزم^(٥) قدم جميع الحوادث ، وهو خلاف المشاهدة . وان كان الثاني فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة . أو يقال : فاذا لم يكن موجبا بذاته^(٦) ، بل بصفة ، تعين أن يكون مختارا ، فانه اما موجب بالذات ، واما فاعل بالاختيار ، والمختار اما يفعل بالقدرة ، ان القادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل .

فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر ، بل ملسزوم بمنزلة الذي تلزمه الحركات الطبيعية ، التي^(٨) لا قدرة له على فعلها ولا تركها . وحقيقة الأمر^(١٠) أن العلم يكون الفاعل قادرا علم ضروري ، حتى لو فرض

(*) ما بينهما : " والأول باطل . . . بين النقيضين " انفردت به (ص) .

- (١) ص : الحاضر .
- (٢) ص : الفاعل اما ذاتا [كذا] . . . الخ ، وفي (خ ، س ، ك) : الفاعل اما مجرد الذات ، واما الذات بصفة .
- (٣) ك : التامة .
- (٤) ك : هو الواجب .
- (٥) س ، ك : ويلزم .
- (٦) ك : لذاته .
- (٧) ص : يستلزمه .
- (٨) ص : تستلزمه .
- (٩) ص : الذي .
- (١٠) من قوله هنا " وحقيقة الأمر " الى قوله في صفحة ٣٩٤ " . . . وقال تعالى : (أم حسب ساء ما يحكمون) . " انفردت به (ص) .

أنه يفعل بالإرادة ، لم يكن بد أن يكون له قوة على الفعل ، ولهذا لما كانت الحوادث تصدر تارة بسبب الأحياء القادرين كالملائكة والمجن والانس وسائر الحيوان ، وتارة بسبب الجمادات : كالنار والهوا والماء - كانت هـذه المتحركات مختصة بقوى ؛ بها تمتاز عما لا يصدر عنه مثل تلك الحركة .

الفرق بين
القدرة والقوة

صفة الحي تسمى " قدرة " ، وإذا كانت أكل من غيرها سميت " قوة " ؛ قال تعالى : (وقالوا من أهد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ^(١)) ، وقال تعالى : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ^(٢)) ، وقد ذكر قوله : (أشد منهم قوة) في غير موضع .

وقال تعالى : (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى ^(٣)) ، وقال تعالى : (ان لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين ^(٤)) ، وقال تعالى : (اللـه الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ^(٥)) ، وقال تعالى : (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ^(٦)) .

وفي صحيح البخارى وغيره عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمهم السورة من القرآن ؛ يقول : (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم اني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، [اللهم ^(٧)] ان كنت تعلم أن هذا الأمر - يسميه باسمه - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أموري

-
- (١) سورة فصلت : ١٥ .
 - (٢) سورة الروم : ٩ .
 - (٣) سورة النجم : ٦٥ .
 - (٤) سورة التكويم : ١٩ ، ٢٠ .
 - (٥) سورة الروم : ٥٤ .
 - (٦) سورة الذاريات : ٥٨ .
 - (٧) اللهم : سقطت من الأصل (ص) .

فاقدرة لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث ماكنت ، ورضني به) . وقد شك بعض الرواة هل قال : (ديني ومعاشي وعاقبة أمري) أو قال : (عاجل أمري وآجله) . وجزم [بعضهم]^(١) باللفظ الأول^(٢) .

ج ٢٥ والذى دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة / وأئمتها أن الله يخلق الأشياء بالأسباب ، فالقوى التي جعلها في الحيوان والجماد هي من الأسباب التي بها يحدث الحوادث . وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع ، وبين أن مذهب السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء بمشيئته وقدرته ، وأنه ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فقدوته ومشيئته تستلزم وجود المقدور .

لفظ الاختيار* ولفظ الاختيار* في القرآن والسنة وكلام السلف يتضمن تفضيل المختار على غيره ، كقوله تعالى : (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهيمن . من فرعون انه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين)^(٣) . وقال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) ، ثم قال : (ما كان لهم الخيرة)^(٤) .

(١) بعضهم : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : (اذا هم . . .) وفي آخره واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به) .
أخرجه البخاري في صحيحه (فتح الباري ٣ / ٤٨ رقم ١١٦٢) كتاب التهجد ، باب ماجاء في التطوع مشئ مشئ ، وكرر برقم ٦٣٨٢ ، ٢٣٩٠ ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ٤ / ٣٩٦ - ٣٩٩) الوتر ، باب الاستخارة ، والترمذي في سننه (تحفة الأئمة ٢ / ٥٩١ - ٥٩٤) الوتر باب ماجاء في صلاة الاستخارة ؛ وابن ماجه في سننه (١ / ٤٤٠ رقم ١٣٨٣) كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ماجاء في صلاة الاستخارة ؛ وأحمد في مسنده (طه الحلبي) ٣ / ٣٤٤ .

(٣) سورة الدخان : ٣٠ - ٣٢ .

(٤) سورة القصص : ٦٨ .

فذكر الاختيار بعد المشيئة . وقال تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا)^(١) . أى من قومه .

وقد صار لفظ " الاختيار " يعبر به عن الارادة ؛ بناءً على أن العالم لا يريد الا ما هو خير من غيره ، أو بناءً على أن الحي لا يريد الا ما يراه خيرا من غيره ، وان كان قد يخلط في اعتقاده أنه خير من غيره . وهذا يطابق قول من قال : ان القادر المختار لا يرجح أحد مقدوريه على الآخر الا بمرجح .

من طرق السلف في اثبات القدرة والقوة والمقصود هنا أن السلف والأئمة وجمهور الخلق الذين يثبتون نسي المخلوقات قوى وقدرات ، بها تكون الحوادث التي تصدر عنها ، فيكون اثبات القوة لله تعالى ، وقدرته على الفعل من أبين الأشياء عندهم ، ويكون العلم بذلك من أظهر المعارف وأجلها .

فانه قد استقر في فطرهم أن الفاعل لا يكون الا قادرا ، وأن القدرة صفة كمال ، فاذا كان المخلوق قويا قادرا على ما يفعله ، فالخالق تعالى أولسى أن يكون قادرا قويا على ما يفعله .

ومن المستقر في الفطر أنه اذا فرض الفاعل غير قادر على الفعل امتنع كونه فاعلا ؛ ولهذا كان من نفي أن يكون للعبد قدرة مؤثرة كجهم وأبي الحسن^(٢) ومن اتبعهما لا يسمون العبد فاعلا ، بل يقولون : هو كاسب .^(٣) وجهم نفسه كان يقول : ليس بقادر ، كما أنه ليس بفاعل . وأبو الحسن وافقه على أنه ليس بفاعل حقيقة ، بل هو كاسب ، وأنه ليس له قدرة مؤثرة في المقدور ، لكن أثبت له قدرة ، وسماه قادرا ، خلافا لجهم .

وكثير من الناس يقولون : ان منازعته له لفظية ، لاتعود الى معنى معقول . كما قد بسط في موضعه ، ويقال : عجائب الكلام ثلاثة : طفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم ، وكسب الأشعري .

(١) سورة الأعراف ١٥٥ .

(٢) الأصل (ص) : قدرته .

(٣) المراد أبو الحسن الأشعري .

ولما كان كون / الفاعل قادرا من المعارف الضرورية اعترف فضلا
الفلاسفة بأن الله تعالى قادر، مع قولهم : ان العالم قديم ؛ كما يقولون : انه عالم .
لكن نفاة الصفات منهم يقولون : ان قدرته عين علمه ، وعلمه عين قدرته
ونفس القدرة والعلم نفس القادر العالم . وهذا مما يقول العقلاء : ان فساد
معلوم بالاضطرار بعد التصور التام .

والرازي وأمثاله يترجمون هذه المسألة بأن الباري تعالى هو فاعل
مختار، أو موجب بالذات ، ويجعلون الأول قول أهل الملل ، والثاني قول الفلاسفة
ثم يقررون القادر المختار بأنه الذي يفعل مع جواز أن لا يفعل ، وهذا
تفسير القدرية ، بل تفسير بعضهم ، وأما بعضهم فانه يوافق أئمة أهل السنة
على أنه مع القدرة التامة والارادة الجازمة يلزم وجود المراد .

نقد قول
المتكلمين
"بالقيادر
المختار" وقول
الفلاسفة
"بالموجب
بالذات"

ولهذا كان مذهب أئمة أهل السنة أن الله تعالى خالق لأفعال
العباد ، مع قولهم : ان العبد فاعل قادر ، يفعل بمشيئته ، وأن الله خالق
ذلك كله ، وأنه اذا خلق له قدرة تامة ومشية جازمة كان هذا مستلزما
لخلق المراد المقدور .

وعلى هذا فاذا قال القائل : هو موجب بذاته . فان أراد أنه موجب
بذاته الموصوفة بالقدرة والمشيئة ؛ بمعنى أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ،
مع كونه كل ما سواه مخلوقا له ، محدثا بعد أن لم يكن - فهذا حق ، وهو
قول أئمة المسلمين . وان أراد أنه موجب بذات عرية عن الصفات ، أو أن ذاته
وارادته مستلزما لوجود المفعول معه أزلا وأبدا - فهذا باطل ، وليس هو قول
أحد من المسلمين .

وان قيل : انه قادر مختار . فان أريد بالقادر أنه يفعل مع جواز أن
لا يفعل ، وأن الأمر الحادث الممكن يترجح وجوده على عدمه بدون السبب
التام ، المستلزم لوجوده ؛ كما يقوله من يقوله من القدرية والجهمية ، فهذا باطل .

والرازي اذا ناظر الفلاسفة في اثبات كون الرب قادرا مختارا؛ سلك مسلك هو*لا* ، وأما في مناظرته للتقديرية وفي بحوثه في مسائل الممكن فهو يقرر أن القدرة والارادة مستلزما لوجود المراد ، وأن الممكن لا يوجد الا عند وجود السبب التام المستلزم له ، ويرد على من يقول من المعتزلة كالخوارزمي (١) وغيره : ان الوجود يقضير أولى به . ولهذا ورد على تفسيره " القادر المختار " من الأسئلة الضعيفة مالم يجب عنه بجواب صحيح ، بل ولم يتم دليلا صحيحا على أن الله تعالى قادر ، كما قد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضوع . (٢)

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الامام المعتزلي ، ولد بزمخش سنة ٤٦٧ وسمع الحديث وطاف البلاد وجاور بمكة مدة وتوفي بخوارزم سنة ٥٣٨ ، له مصنفات في التفسير والبلاغة والنحو ، أشهرها كتاب " الكشاف " في التفسير . انظر عنه : وفيات الأعيان ٥ / ١٦٨ - ١٧٤ ؛ العبر ٤ / ١٠٦ ؛ البداية والنهاية ١٢ / ٢١٩ ؛ لسان الميزان ٤ / ٦ ؛ شذرات الذهب ٤ / ١١٨ - ١٢١ ؛ الأعلام ٧ / ١٧٨ .

(٢) قال الرازي في كتاب " الأربعين " ، ص ١٢٢ - ١٢٣ وهو يبين كونه تعالى قادرا " اعلم أن القادر هو الذي يصح منه الفعل والترك بحسب الدواعي المختطفة ، مثاله الانسان : ان شاء أن يمشي قدر عليه ، وان شاء أن لا يمشي قدر عليه ، أما تأثير النار في التسخين فليس كذلك ، لأن ظهور التسخين من النار غير موقوف على ارادته وداعيته ، بل هو أمر لازم لذاته . وههنا للفلاسفة سوالات :

السؤال الأول - أن هذا القادر المحكوم عليه بأنه يصح منه الفعل بدلا عن الترك ، ويصح منه الترك بدلا عن الفعل ، اما أن يكون رجحان أحد طرفي الفعل والترك على الطرف الآخر ، موقوفا على انضمام مرجح اليه ، أو لا يكون كذلك ، لا جائز أن يقال : انه لا يتوقف ذلك الرجحان على المرجح . . . الخ .

ثم قال ، ص ١٢٥ : " والجواب عن السؤال الأول هو أن نقول : للمتكلمين في هذا المقام قولان : أحدهما - أن صدور الفعل عن القادر موقوف على الداعي ، الا أن الفعل مع الداعي يصحير أولى بالوقوع ، الا أنه لا ينتهي الى حد الوجوب ، فلأجل أنه صار أولى بالوقوع صار الوقوع راجعا على اللاوقوع ، ولأجل أنه لا ينتهي الى حد الوجوب يبقى الفرق بين الموجب والقادر . واعلم أن هذا الكلام ضعيف من وجهين . . .

القول الثاني للمتكلمين في هذا المقام - وهو أن صدور الفعل عن القادر لا يتوقف على انضمام الداعي والمرجح اليه ، وهذا القول اختصار أكثر العلماء ، وتقديره أن العطشان اذا خير بين شرب قد حين متساويين من جميع الوجوه ، فانه يختار أحدهما على الآخر لا للمرجح ، وكذلك الجائع . . . الخ . وقال ، ص ٢٢٨ في كلامه عن الأفعال الاختيارية التي للحيوانات : " وأما محمود الخوارزمي فانه لما أراد الجضع بين هذين القولين ، قال : الفعل مع الداعي يصير أولى بالوقوع ، ولا ينتهي الى حد الوجوب ، وسنبين أن هذا القدر ضعيف " .

معنى القادر
المختار عند
السلف
ج ٧٦

وأما على مذهب السلف وجمهور المسلمين الذين يشتمون القدر، ويقولون
: / ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وان العبد فاعل قادر مختار، والله
تعالى خالق فعله وقدرته ومشئته - فتزول الاشكالات كلها، ويظهر أنه
لامنافاة بين أن يكون الرب قادرا مختارا ؛ ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن-
فهو يوجب بمشيئته وقدرته ماشاءه من المقدرات ، فما شاءه وجب وجوده،
ومالم يشأه امتنع وجوده ، فهو موجب بذاته الموصوفة بالمشيئة والقدرة، بمعنى
أنه يجب ماشاءه - ومع أن كل ماشاءه فهو محدث ، كائن بعد أن لم يكسب،
ليس معه شيء قديم بقدمه .

وإذا انضم الى هذا ماتقدم ذكره من مذهب السلف والأئمة وجمهور
المسلمين ، وأنه سبحانه يخلق الأشياء بالأسباب ، وأنه يخلق بحكمة - كان
العلم بأنه قادر مختار بهذا المعنى يزيل الشبه الواردة جميعها، وان كان
هذا القول لا يوجد في كتب الرازي وأمثاله من المصنفين ، الذين لا يوجد
في كتبهم الا مذهب الفلاسفة أو القدرية أو الجهمية . ولهذا يوجد أحدهم
متناقضا حائرا ، لا يثبت على قول واحد ؛ لأنه ما من قول من هذه الأقوال الا
وفيه من الفساد ما يمنع العارف به وبلوازمه أن يعتقده حقا .

وفروع هذه المسألة كثيرة جدا، مثلا اذا تكلموا فيما يحدثه الله من
المطر والسحاب، والنبات والحيوان ، والحر والبرد ، والاهلال والايستسار^(١)
والاستسرار^(٢) وغير ذلك ، فتجد أولئك المتفلسفة لا يجعلون الموجب لذلك
الا مجرد ما رأوه علة من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية ، أو النفوس والعقول.

(١) الأصل (ص) : والادبار، وهو تحريف .

(٢) في كتاب "الصالح" مادة "سرر" : " وسرر الشهر، بالتحريك : آخر ليلة منه ، وكذلك
سراره وسراره ، وهو مشتق من قولهم : استسر القمر، أي خفي ليلة السرار ، فربما
كان ليلة وربما كان ليلتين ."

انكار بعض المتكلمين
للأسباب والحكم
وتجد المتكلمين من الجهمية ومن اتبعهم كأبي الحسن وأتباعه ممن

لا يثبت الأسباب ولا الحكم ، أو لا يثبت أحدهما ، ويقول : إن نفس القادر المختار يرجح أحد المتماثلين بغير مرجح - يحيل هذا كله على هذا القادر المختار الذي ذكروه ، وليس هو القادر المختار عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين .

وهو "أ" الذين أحالوا الحوادث على القادر المختار ، ينكرون ما يشهده الناس ويعقلونه ويعلمونه من الأسباب والحكم ، وإذا رأوا المصلحة حصلت للخلق مع الحادث قالوا : إن هذا مجرد اقتران جرت به العادة من غير أن يفعل أحدهما بسبب أصلا ، ومن غير أن يفعله لحكمه أصلا .

ويغلون في ذلك حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم ، ومن أثبت الخلا : إن الفلك والرحى وغيرهما ما يدور ، يتفكك عند الدوران دائما ، والقادر المختار يعيده كما كان ، وإن ما البحر فيه خلا ، لأن ما فيه يحصل بالقادر المختار ، إلى أمثال ذلك .

- (١) الأصل (ص) : ليس ، بدون الواو .
- (٢) الأصل (ص) : . . . وجمهور المسلمين الذين هو [هو : علقت فوق السطر ، وهي مكتوبة في نفس السطر قبل كلمة " الذين " لكن خط عليها] حالوا الحوادث على من القادر . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٣) الأصل (ص) من ، بسقوط الواو .
- (٤) الأصل (ص) : بعده ، بلا نقاط .
- (٥) الأصل (ص) : لا ، بسقوط النون .
- (٦) تكلم الرازي في كتاب " الأربعين " في اثبات الجوهر الفرد ، وذكر ص ٢٦٢ عن الفلاسفة قولهم : " إذا استدار الفلك استدارة منطقية استدارت جميع الدوائر الموازية لتلك المنطقة ، إذا عرفت هذا فنقول : إذا تحركت المنطقة جزءا ، فالدائرة الصغيرة القريبة من القطب الموازية للمنطقة : إن تحركت أيضا جزءا لزم أن يكون مدار تلك الدائرة الصغيرة مساويا لمقدار المنطقة ، هذا خلف ، وإن لم تتحرك البتة فحينئذ يلزم وقوع التفكك في أجزاء الفلك وذلك باطل . . . فلم يهتق إلا أن يقال : مهما تحركت المنطقة جزءا تحركت تلك الدائرة الصغيرة أقل من جزء وهو المطلوب . وهذا الكلام قد يفرضونه في حركة الرحى ، ويلزمون عليه تفكك أجزاء الرحى ، والمتكلمون يلتزمون به ويقولون : إنه سبحانه وتعالى فاعل مختار ، فهو يفكك أجزاء الرحى حال استدارتها ، ثم يعيده التأليف والتركيب إليها حال وقوفها ، والفلاسفة يدفعون هذا من وجهين . . . الخ . "
- ويتحدث (ص ٢٧٠) في اثبات الخلا فيقول : " اعلم أن معنى الخلا هو أن يوجد جسمان لا يتماسان ولا يوجد بينهما ما يماسانه ويحتج لاثباته ، ويقول أثناء ذلك (ص ٢٧١) : " فان قيل : فعلى هذا التقدير ، يلزمكم أن تقولوا : إذا تحركت الذرة في قعر البحر المحيط ، أن تندفع / =

ولهذا يوجد أحدهم ينصر في هذا المصنف شيئا ، وينصر في الآخر ما يناقضه ، تارة يرد على المتفلسفة بأصول المتكلمين الجهمية ، والقدرية ، وتارة يرد على أولئك بأصول هؤلاء ، وتارة يعارض بين القولين ويبقى حائرا واقفيا ، وبسط هذه الأمور لا يحتمله هذا المختصر .

والمقصود هنا الكلام / على أن الله سبحانه قادر ، وأن العلم بذلك بعد تصور أنه فاعل - علم ضروري ، والطرق الدالة على ذلك كثيرة جدا ، وكل ما علم أن الله تعالى فعله ولو بواسطة فإنه يدل على أنه فاعل [قادر] ^(١) للعلم الضروري بامتناع الفعل من غير قادر .

ومن تمام ذلك أن يعلم أن الله على كل شيء قدير ، والمنتفع لذاته ليس بشيء في الخارج باتفاق العقلاء ؛ لامتناع أن يكون له في الخارج وجود أو ثبوت ، عند من يفرق بين الثبوت والوجود ، وهو سبحانه قادر على كل شيء ، [فاعل] ^(٢) لواحد من الضدين على سبيل الهدل ، وأما وجودهما معا فليس بشيء ، بل هو منتفع لذاته .

وكذلك وجود الملزوم بدون لوازمه التي يمتنع وجوده بدونها : هو من هذا الباب ؛ كوجود الولد قبل والده ، مع كونه قد ولد ^(٣) ، ووجود الصفات بدون ذات تقوم بها ، ونحو ذلك .

ومن فهم هذا الأمر انحلت عنه الاشكالات ، التي تورط على قدرة الله وحكمته ومشيتته في مسائل القدر وغيرها ، وتبين له أن خير الكلام كلام الله ، وأنه سبحانه بين فيه الأمور الالهية والمطالب العلوية أحسن بيان وأكمله ؛

-
- = / كلية ذلك البحر ، أو تثبتوا في داخل الماء أحيانا خالية ، وذلك بعيد ، لأن الماء جرم ثقيل سيال ، فإذا وجد موضعا خاليا سال اليه بالطبع .
- قلنا : اثبات الخلاء داخل ماء البحر غير بعيد على قولنا ، لأن عندنا خالق العالم فاعل مختار ، فلا يبعد أن يمنع أجرام الماء عن السيلان الى تلك الأحياء الفارغة .
- (١) قادر : ليست في الأصل (ص) ، ولعل الصواب اثباتها .
- (٢) الأصل (ص) : قادر على كل شيء واحد ، ولعل الكلام يستقيم بما زدته .
- (٣) الأصل (ص) : ولد . ولعل الصواب ما أثبتته .

حيث يبين قدرته على أشياء لم يفعلها ؛ كقوله : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها^(١)) ، (ولو شاء الله ما اقتتلوا^(٢)) ، ونحو ذلك . مع أنه لم يفعل مقدوره ، وأن خلاف المعلوم مقدور ممكن باعتبار نفسه ، لكنه لا يكون لعدم مشيئته له ، وهو لا يشاؤه لما في ذلك من فوات حكمته التي يمتنع اجتماعها مع وجسود هذا المفروض ، والله أعلم .

وهذا من تمام العلم بأن الله تعالى قادر مختار ، فانه سبحانه كما أنه يفعل بمشيئته وقدرته فهو سبحانه يفعل ما يفعله لحكمة ؛ فيخلق لحكمة ، ويأمر لحكمة . وهذا قول السلف والأئمة وجمهور المسلمين وأكثر طوائف النظائر من المسلمين وغيرهم ، وهو قول الكرامية والمعتزلة وغيرهم وجمهور النقبهسا^(٣) أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم ، لكن من متأخريهم من قد تناقض ؛ فيفرع نسي بعض المواضع فروعاً لا تناسب هذا الأصل .

وذهب الجهم بن صفوان ومن وافقه من متكلمة الصغانية إلى أنه لا يفعل شيئاً لحكمة ؛ فلا يخلق لحكمة ، ولا يأمر لحكمة ، ولا يفعل شيئاً لشيء أصلاً ، وليس عندهم في القرآن العزيز " لام كي " لافي خلقه ولا في أمره .

وهذا القول ينصره كثير من مثبتة القدر الرادين على المعتزلة : كأبي الحسن ومن وافقه من المتأخرين من أهل الكلام ، ومن يوافقهم أحياناً من الفقهاء . وينصره طائفة من نفاة^(٣) القياس من الظاهرية .

وكثير من الكتب المصنفة في أصول الدين لا يوجد فيها إلا هذا القول وقول المعتزلة القدرية ، وقد علم أن قول القدرية مخالف للسنة والجماعة : فيظن من لا يعرف حقائق الأمور أن قول الجهم وأتباعه هو قول أهل السنة ، وهذا مهسوط في غير هذا الموضع ، وإنما المقصود / هنا التنبيه على هذه الأصول .

ج ٢٢

(١) سورة السجدة : ١٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(٣) الأصل (ص) : عا . بدون نقاط .

والرازي وأمثاله ينصرون هذا القول، ويدعون أن القول الأول وإن كان هو قول جمهور المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل التفسير والحديث والوعظ والعمامة - فانه باطل بالأدلة العقلية البرهانية، ونحن نذكر ما ذكره مسن حججهم على هذا النفي، ونبين فسادها، فننقل ما ذكره الرازي في كتابه "الأربعين"، وهو لم يذكر النزاع الا مع المعتزلة وأكثر المتأخرين من الفقهاء.

فقال^(١): "السألة السادسة والعشرون - في أنه لا يجوز أن تكون أفعال

حجج الرازي على نفي الحكمة عن أفعال الله وأحكامه والجواب عنها

والله وأحكامه معللة بعللة البتة .

اتفقت المعتزلة على أن أفعال الله^(٢) وأحكامه معللة برعاية مصالح العباد،

وهو اختيار أكثر المتأخرين من الفقهاء ."

قال^(٣): " وهذا عندنا باطل ، ويدل عليه وجوه خمسة :

الحجة الأولى - [أن^(٤) كل من فعل فعلا لأجل تحصيل مصلحة ، أو

الحجة الأولى

لدفع مفسدة : فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى له من عدم تحصيلها ، كان

ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل تلك الأولوية . وكل من كان

كذلك كان ناقصا بذاته ، مستكلا بغيره ، وهو في حق الله تعالى محال . وان

كان تحصيلها له^(٥) وعدم تحصيلها بالنسبة [اليه] سمين^(٦) : فمع الاستواء

لا يحصل الرجحان فامتنع الترجيح ."

ثم أورد سؤالا ، وهو سؤال المعتزلة ، فقال^(٧) : " لا يقال : حصولها ،

ولا حصولها بالنسبة اليه ، وان كانا^(٨) على التساوي ، الا أن حصولها للعبيد

(١) في كتاب "الأربعين" ، ص ٢٤٩ . وسيورد ابن تيمية كل ما ذكره الرازي في هذه المسألة ويناقشه جزئية جزئية .

(٢) الأربعين : أفعال الله تعالى . (في الموضوعين) .

(٣) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) أن : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من "الأربعين" .

(٥) له : ليست في "الأربعين" .

(٦) الأصل (ص) : بالنسبة سمس . بدون نقاط ؛ الأربعين : بالنسبة اليه سمان .

(٧) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٠ .

(٨) الأصل (ص) : كان . والمثبت من "الأربعين" .

أولى (١) من عدم حصولها له ، فلأجل هذه الأولوية العائدة إلى العبد يرجح الله الوجود على العدم ، لأننا نقول : تحصيل تلك المصلحة (٤) وعدم تحصيلها له : أما أن يكونا متساويين بالنسبة إلى الله ، أو لا يستويان ، وحينئذ يعود التقسيم المذكور .

والجواب عن هذه الحجة من وجوه :

الجواب عنها
من وجوه
الوجه الأول

الأول - قوله : " وكل من كان كذلك كان ناقصا بذاته ، مستكملا بغيره ،

وهو في حق الله تعالى محال " . - كلام مجمل ؛ فانه يقال له : ماتعني بقول : " ناقص بذاته ؟ " . أتعني به أنه كان عابدا ما شيئا من الكمال الذي كان يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد ، أو كان المعدوم قبل ذلك ما ليس كذلك ، بل كان عدمه قبل ذلك أولى من وجوده ، أو معنى ثالثا ؟ .

فان ادعيت الأول كان منوعا ، وان ادعيت الثاني فهو حجة عليك ؛ لأن ما كان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده ، ووقت وجوده كان وجوده أولى من عدمه - لم يكن عدمه قبل وجوده نقضا ، ولا وجوده بعد عدمه نقضا ، بل كان الكمال عدمه قبل وقت وجوده ، ووجوده وقت وجوده .

وانا كان كذلك فلم قلت : ان هذه الحكم المطلوبة ليست من هذا

النوع ؟ وحينئذ فيكون وجودها وقت وجودها هو الكمال ، ويكون/ عدمها حينئذ نقضا ، فيكون نافيها هو الذي وصف الله تعالى بالنقص ، لامثبتها .

ظ ٧٧

الثاني - أن يقال : قولك : " مستكملا بغيره " . أتعني به أن الحكمة التي يجب وجودها حصلت له من شيء غني عنه ، أم تعني به أن تلك الحكمة نفسها هي الغير ، وأنه استكمل بها ؟ .

الوجه الثاني

- (١) الأربعين : حصولها أولى للعبد .
- (٢) هذه : ليست في " الأربعين " .
- (٣) الأربعين : إلى العبد ترجح الوجود .
- (٤) الأربعين : تحصيل مصلحة العبد .
- (٥) الأربعين : إلى الله تعالى .
- (٦) الأصل (ص) : وكان ، ولعل الصواب ما أثبت .

فان ادعيت الأول فهو باطل ؛ فانه لا يحدث لشيء من الأشياء الا هو لا شريك له ، فلم يستفد من أحد غيره شيئا .

وان قلت بالثاني ، قيل لك : قولك " انه استكمل بها " ، أتعني به أنه حصل مراده الذي يحبه بها ، أم تعني به شيئا آخر ؟ .

والثاني ممنوع ، والأول يتضمن الكمال ، لا النقص ؛ فان من كان قادرا على ما يحبه ، وفعله في الوقت الذي يحبه ، على الوجه الذي يحبه - فهو الكامل ، لا من لا محبوب له ، أو من له محبوب لا يقدر على فعله .

الوجه الثالث

الثالث - أن يقال : أنت قد ذكرت في كتبك أنه لم يقم على نفي النقص دليل عقلي ، متبعاً في ذلك لأبي المعالي وغيره ، ممن يقول : انه لم يقم على نفي النقص دليل عقلي . وقلت أنت وهم : انما ينفي النقص عن الله بالسمع ، وهو الاجماع .

لم تنفوه عن الله بالمعقول ولا بنص منقول عن الرسول ، بل بما ذكرتوه من الاجماع ، وحينئذ فانما ينفي بالاجماع ما انعقد الاجماع على نفيه ، والفعل لحكمة لم ينعقد الاجماع على نفيه ، واذا سميت أنت نقصاً لم تكن هـسذه التسمية موجبة للاجماع .

ولو قلت : أهل الاجماع أجمعوا على نفي النقص ، وهذا نقص .

قيل لك : لو سلم لك أنهم أجمعوا على اطلاق هذا اللفظ ، فالاعتبار بمرادهم باللفظ ، لا بنفس اللفظ ، واذا كانوا يقولون : " ليس مورد النزاع مما أجمعنا عليه " ، امتنع الاحتجاج عليه بدعوى اجماعهم .

الوجه الرابع

الرابع - أن يقال : نحن ندعي أن النقص منفي عنه عقلاً ، كما هو منفي عنه سمياً ، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بصفات الكمال ، والنقص هو ما ضاد صفات الكمال ، فالعلم صفة كمال ، فما ضاده كان نقصاً ؛ والقدرة صفة كمال ، فما ضاده كان نقصاً ؛ والحياة صفة كمال ، فما ضاده كان نقصاً . وأما حصول ما يحبه في الوقت الذي يحبه فانما هو كمال اذا حصل على الوجه الذي يحبه ،

وعدمه قبل ذلك نقص اذا كان لا يحبه قبل ذلك .

الوجه الخامس الوجه الخامس - أن يقال : الكمال الذي يستحقه هو الكمال الممكن أو المتنع ؟ والثاني باطل قطعاً ، وأما الأول فيقال : اذا كان في الأمر ما لا يحدث الا شيئاً بعد شيء * : كان وجوده في الأزل متنعاً ، فلا يكون من الكمال ، وإنما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده .

الوجه السادس السادس - أن يقال : لا ريب أنه تعالى أحدث أشياء بعد أن لم يكن محدثاً لها : كالحوادث المشهودة . والقائلون بأن الفلك قديم / عن علّة موجبة يسلمون ذلك ، ويسلمون أنه يحدث الحوادث بواسطة ، وان كانوا قد يتناقضون . ج ٢٨

وحينئذ ، فيقال : هذا الاحداث اما أن يكون صفة كمال واما أن لا يكون ، فان كان صفة كمال فقد كان ناقداً لها قبل ذلك ، وان لم يكن صفة كمال فقد اتصف بالنقص .

فان قلت : أقول : ليس بصفة كمال ولا نقص .

وقد تنازع النظار في الفاعلية : هل هي صفة كمال أو نقص ؟ . وجمهور المسلمين يقولون : هي صفة كمال . وهذا قول أكثر الحنفية والحنبلية ، وأئمة المالكية والشافعية ، وأهل الحديث والصوفية وكثير من النظار من المتكلمين والفلاسفة أو أكثرهم . وقالت طائفة : ليست صفة كمال ولا نقص . وهو قول أكثر أصحاب الأشعرى .

فاذا التزم هذا القول قيل له : الجواب من وجهين :

أحدهما - أنه من المعلوم بصريح العقل أنه من يخلق أكمل من لا يخلق ؛ ولهذا قال تعالى : (أمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) . فاستفهم سبحانه استفهام انكار ، وهو يتضمن الانكار على من سوى بين من يخلق ومن لا يخلق ،

(١) الأصل (ص) : اكسر . بلا نقط .

(٢) سورة النحل : ١٧ .

وذلك على أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق أمر فطري ضروري ، كتفضيل من يعلم على من لا يعلم .

كما قال تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وقال تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)^(١) . وقال تعالى : (وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور . ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات)^(٢) . ونظائر هذا كثير .

الثاني - أنه اذا كان الأمر هكذا ، فلم لا يجوز أنه يفعل لحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء ؟ كما أنه يخلق ويحدث ، ووجود الخلق والاحداث وعدمه بالنسبة اليه سواء ، كما ذكرتم .

فانكم اذا جعلتموه فاعلا بالارادة ، ووجود المراد وعدمه بالنسبة اليه سواء ، فهذه ارادة لاتعقل في الشاهد ، فكذلك فقولوا : يفعل لحكمة وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء ، وان كان مثله لا يعقل في الشاهد ، لاسيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل ؛ فجزوا أيضا أن يفعل لحكمة منفصلة ، كما قالت المعتزلة .

وأنتم انما قلتم ذلك فرارا من قيام الحوادث به ومن التسلسل ، فكذلك فقولوا بنظير ذلك فرارا من هذا . فان لم تقولوه وقاله غيركم لم يلزمه من ذلك الا نظير ما لزمكم ، فلا يكون قوله أبطل من قولكم .

وهذا لازم لهم ؛ فانهم قالوا : الخلق هو المخلوق / وخالفوا بهذا صريح العقل والسمع لثلا يلزم التسلسل ، فمن قال : " انه يفعل مفعولا لمفعول " بأن يريد نفسه ، كان أقرب الى المعقول .

ظ ٧٨

(١) سورة الزمر : ٩ .

(٢) سورة النحل : ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) سورة فاطر : ١٩ - ٢٢ .

الوجه السابع - السابع - أن يقال : العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلا لا لحكمة ، فهو أولى بالنقص من فعل لحكمة كانت معدومة ، ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها فيه ، فكيف يجوز أن يقال : فعلة لحكمة يستلزم النقص ، ونعله لا لحكمة لانقص فيه ! .

الوجه الثامن - الثامن - أن هؤلاء يقولون : " يفعل ما يشاء " من غير اعتبار حكمة فيجوزون عليه كل ممكن ؛ حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم ، والنهي عن التوحيد والصدق والعدل ، وحينئذ فان يكن هذا نقصا كان وجود الحكمة المطلوبة بفعله ما يشاؤه ، وما شاءه كان ، ولانقص فيه ، فلا يجوز على قولهم أن يكون في شيء من المرادات نقص ، وهذا مراد فلا نقص فيه .

وقولهم : " من فعل شيئا [لحكمة^(١)] كان ناقصا " ، فله قضية كلية عامة ، وعمومها حينئذ ممنوع ، وهو أولى من قول القائل : من أكرم أهل الجهل والظلم ، وأهان أهل العلم والعدل ، كان سفيها .

وإذا كان هذا جائزا عليه عندهم ، ولم يكن سفيها ، وكانت هذه القضية الكلية منتقضة به عندهم - فأن تكن تلك القضية الكلية منتقضة به بطريق الأولى والأخرى .

الوجه التاسع - الوجه التاسع - أنه لو سلم لهم أنه مستكمل بأمر حادث ، لكان هذا من الحوادث المرادات عندهم ، وكل ما هو عندهم حادث فلا يقبح عندهم ولا يمتنع عليه ، فكل شيء ممكن فلا ينزه عنه ، والقبیح الممتنع عندهم هو الممتنع الذي لا يدخل تحت المقدور ، وهذا يدخل تحت المقدور ؛ فلا يكون قبيحا ممتنعا ، وليس هو نقصا من لوازم ذاته ، بل هو من الأمور الحادثة ، وتلك ليس فيها ما يمتنع عندهم .

(١) لحكمة : لئست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٢) الأصل (ص) : مسصه . بلا نقط .

(٣) الأصل (ص) : فلا يصح ، ولعل الصواب ما أثبتته .

فان قالوا : هذا قائم بذاته ، أو حكته تعود اليه ، فيمتنع .

قيل : ان كان باثنا عنه فهو كسائر المحدثات ، وعندكم لا تعود حكم شي منها اليه ، ولا يقبح منه شي من الأشياء . وان كان قائما به لم يكن ذلك الا على قول من يجوز قيام الحوادث ، وماليس بقبيح^(١) لم يكن ممتنعا على أصلهم .

الوجه العاشر وجماع هذا وهذا ، وهو الوجه العاشر - أنه ما من محذور يلزم بتجوييز أن يفعل لحكمة ، الا والمحاذير التي تلزم بكونه يفعل لا لحكمة أعظم وأعظم ، وحينئذ فان كان هذا ممتنعا فالفعل لا لحكمة أعظم امتناعا ، وان كان غير ممتنع صح الفعل لحكمة ، مع أن الفعل لحكمة أولى من الفعل لا لحكمة ، فعلم أن ما يستدل به على امتناع فعله لحكمة فهو حجة باطلة ، وأن الفعل لحكمة أولى بكونه صفة كمال ، وأصح في الأدلة العقلية والنقلية وأبعد عن التناقض سمعا وعقلا ، هذا لو كان / الفعل لا [لحكمة] ممكنا ، فكيف اذا كان ممتنعا ؟ . ج ٢٩

الحجة الثانية قال الرازي^(٤) " الحجة الثانية - لو كانت موجديته^(٥) معللة بعللة لكانت تلك العللة : ان كانت قديمة لزم من قدمها قدم الفعل ، وهو محال . وان كانت محدثة افتقر كونه تعالى موجدا لتلك العللة الى عللة أخرى ، ولزم التسلسل وهو محال ، وهذا هو المراد من قول مشايخ الأصول : [عللة^(٦)] كسل شيء صنع ، ولا عللة لصنعه " .

الأجوبة عنها والجواب من وجوه :
الجواب الأول أحدها - أن يقال : لا يخلو اما أن يمكن أن يكون الفعل قديم العميين أو قديم النوع ، أو لا يمكن ذلك .

- (١) الأصل (ص) : ماليس ، بسقوط الواو ، ولعل الصواب اثباتها .
- (٢) صح : في الأصل (ص) رسمت هكذا " لم " ، ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٣) الأصل (ص) : الفعل لا يكون ، وعدلت الكلمة الأخيرة لتصبح " مكنا " ، ولعل الكلام يستقيم بما أضفته .
- (٤) في كتاب " الأربعين " ، ص ٢٥٠ .
- (٥) الأربعين : لو كان موجدية الله تعالى .
- (٦) الأربعين : فيلزم .
- (٧) عللة : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتتها من " الأربعين " .

فان جاز أن يكون قديم العين أو قديم النوع ، جاز في الحكمة التي يكون الفعل لأجلها ، أن تكون قديمة العين أو قديمة النوع ، فان من قال : انـه خالق مكون في الأزل لما لم يكن بعد ، وقال : قولي هذا كقول من قال : هو مريد في الأزل لما لم يكن بعد ، فقولي بقدم كونه فاعلا كقول هو* لا* بقدم كونه مريدا - فحينئذ يمكنه أن يقول بقدم ماخلق لأجله وأراد لأجله .

واذا قيل : هذا مستنع ، فالأول أيضا مستنع ، والمقصود الزام هو* لا* الذين يجوزون الشيء* أو يوجبونه ، ويحيلون ما هو مثله أو أولى منه بالجواز أو الوجوب . ومن قال من المتفلسفة : " ان فعله قديم للمفعول معين " يقول : ان الحكمة قديمة ، وانه لم يزل يلتذ ، ومن قال بدوام نوع الفعل ، فقوله بدوام نسوع الحكمة واضح لاشبهة فيه .

وان لم يمكن أن يكون الفعل لا قديم العين ولا قديم النوع ؛ فيقال : اذا كان فعله حادث العين والنوع كانت حكمته حادثة .

وقوله : " يفتقر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى " ^(١) ممنوع ؛ فان هذا انما يلزم أن لو قال : كل حادث فلا بد له من علة . وهم لم يقولوا هذا ، بل قالوا : يفعل لحكمة وعلة .

ومعلوم أن المفعول لأجله هو مراد محبوب للفاعل ، والمراد المحبوب اما أن يكون محبوبا لنفسه ، واما أن يكون محبوبا لغيره ، والمحبوب [لغيره] ^(٢) انما يكون محبوبا لأن ذلك الغير محبوب ، فلا بد أن ينتهي الأمر الى محبوب لنفسه . وحينئذ ، فمضى كونه يفعل لحكمة أنه يفعل مرادا لمراد آخر يحبه ، فاذا كان الثاني محبوبا لنفسه لم يجب أن يكون الأول كذلك ، ولا يجب في هذا تسلسل ، ولا يلزم اذا كان المراد الأول مرادا لغيره أن يكون الثاني مرادا لغيره .

(١) هذا معنى قول الرازي ، راجع النص ، ص ٣٦٣ .
(٢) لغيره : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .
(٣) ينتهي : رسمت الكلمة في الأصل (ص) : سهى ، بلا نقاط .

وهذا لازم لهم ؛ فانهم قالوا : " الخلق هو المخلوق " وخالفوا بذلك صريح العقل والسمع ؛ لئلا يستلزم التسلسل ، فمن قال : انه يفعل مفعولا يريد له لمفعول ثان يريد له لنفسه ، كان أقرب الى المعقول .

الجواب الثاني

الجواب الثاني - أنه كما أنه خلق شيئا بسبب ، وخلق السبب بسبب آخر ، حتى ينتهي الى أسباب لا أسباب فوقها - فكذلك خلق لحكمة ، والحكمة لحكمة ، حتى ينتهي ذلك الى حكمة لا حكمة فوقها .

الجواب الثالث
ظ ٧٩

الجواب / الثالث - أن هؤلاء يقولون : كل مخلوق فهو مراد لنفسه ، لا لغيره . وحينئذ فلأن يجوز في بعض المخلوقات أن يكون مرادا لنفسه أولى (١) وأخرى ، ولا يمتنع حينئذ أن يكون عند ذلك مرادا له .

الجواب الرابع

الجواب الرابع - أن يقال : هب أن هذا الأمر يستلزم التسلسل ، لكنه يستلزم التسلسل في الحوادث المستقبلية ؛ فان الحكمة التي لأجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده ، فاذا كان بعدها حكمة أخرى لزم حوادث لا آخر لها في المستقبل ، وهذا جائز باتفاق سلف الأمة وأئمتها وجماهيرها ، ولم يخالف في ذلك الا الجهم وأبو الهذيل .

فان قيل : فيلزم من ذلك أن لا تحصل الغاية المطلوبة أبدا .

قيل : بل لا تزال الحكمة المطلوبة تحصل دائما ، فان الواحد من الناس

يفعل الشيء لحكمة يحبها لنفسها يحصل بها محبوبه ، ثم يفعل لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه .

فاذا قيل : " انه سبحانه يفعل لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه ، ثم يفعل

لحكمة يحبها يحصل بها محبوبه " لم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شيء ، وهذا

هو الكمال الذي يستحق أن يوصف به ، فانه لا يزال مراده الذي يحبه يحصل

بفعله ، وهو غني [عن] كل ما سواه ، ورحمته لعباده واحسانه اليهم هو

(١) كذا في الأصل (ص) ، ولعل الصواب : أن يكون مرادا لنفسه ولغيره .

(٢) عن : ليست في الأصل (ص) . ولعلها ساقطة .

سما يحبه، وهو سبحانه اذا أمر العباد^(١) ونهاهم ، أمرهم بما يحبه ويرضاه لهم ، وهو يحبهم ويرض عنهم اذا فعلوه ؛ قال تعالى : (إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم)^(٢) .

لكن فرق بين ما يريد هو أن يخلقه لما يحصل به من الحكمة التي يحبها ، فهذا يفعله سبحانه ولا يد من وجوده ؛ فانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن . وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ، ويحبه اذا فعلوه ، ويأمرهم به من غير مشيئة منه أن يخلقه ، فان المشيئة متعلقة بفعله ، والأمر متعلق بفعل عبده المأمور .

الارادة نوعان

والارادة منه تارة تكون بمعنى المشيئة ، وتارة تكون بمعنى المحبة ؛ ففرق بين ما يريد أن يخلقه ، وبين ما أمر به ولكن هو لا يريد أن يخلقه ؛ فان الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله ، وبين ما يريد من المأمور أن يفعله - فرق واضح .

وهو سبحانه له الخلق والأمر ؛ فلما أمر عباده بالايمان به وطاعته وطاعة رسله أراد مع ذلك أن يعين طائفة على ذلك ؛ فيخلق أفعالهم ، ويجعلهم مطيعين له ، فصار مريدا للايمان خلقا وأمرا ، وهو سبحانه الذي جعلهم مسلمين . كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)^(٤) . وقال الخليل أيضا : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي)^(٥) . وقال تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام/ الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)^(٦) .

ج ٨٠

ولم يرد سبحانه أن يخلق فعل طائفة أخرى ويعينهم ، فهو لا لم يؤمنوا ، وان كان قد أمرهم بالايمان ، وأراد منهم أن يفعلوه ارادة شرعية ، ولم يرد هو

(١) الأصل (ص) : العباد .
 (٢) سورة الزمر : ٧ . وسقطت كلمة " لكم " من الأصل (ص) .
 (٣) الأصل (ص) : اذا فعله ، ولعل الصواب ما أثبتته .
 (٤) سورة البقرة : ١٢٨ .
 (٥) سورة ابراهيم : ٤٠ .
 (٦) سورة الأنبياء : ٧٣ .

أن يفعله ، ويخلق ما يصيرون به مؤمنين ^(١) ، لما له في اعانة هؤلاء وترك اعانة هؤلاء من الحكمة ، كما يؤتي قوما علما وقدرة ، وآخرين لا يؤتيتهم ذلك ، ومثل ذلك في التخصيصات الواقعة في ملكه كثير ، يخص بعض عباده من النعم بما لم يشركه فيه غيره .

قال تعالى : (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) . وقال تعالى : (يامنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) ^(٢) .

وقال تعالى : (قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ^(٣) . وقال تعالى أيضا : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم) ^(٤) . وقالت الرسل لقومهم : (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتىكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ^(٥) .

وهو سبحانه اذا خلق شيئا فلا بد من وجود لوازمه ، ولا بد من عدم أضراره ، وهو على كل شيء قدير ، والممتنع لذاته ليس بشيء باتفاق العقلاء ، ولا يتصور المعقل وجوده في الخارج ، ومن ذلك الجمع بين الضدين .

- (١) الأصل (ص) : مؤمنون ، وهو خطأ .
- (٢) سورة الحجرات : ٧ .
- (٣) سورة الحجرات : ١٧ .
- (٤) سورة آل عمران : ٧٣ ، ٧٤ .
- (٥) سورة المائدة : ٥٤ .
- (٦) سورة ابراهيم : ١١ .

وهو سبحانه يعلم من لوازم فعله وعاقبته الحميدة ما لا يعلمه غيره؛ ولهذا

لما قال تعالى للملائكة: (اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤنني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبودون وما كنتم تكتمون)^(١)

وكذلك في أمره: قال تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^(٢)

فعدم علم الناس بعالمه سبحانه من الحكمة في خلقه وأمره ، لا يستلزم عدم ثبوتها في نفس الأمر؛ فان عدم العلم ليس علماً بالعدم ، ومن المعلوم أن أكثر الناس لا يعرفون ما لصناعهم وعلماهم وأمرائهم . وشيوخهم ومصنفي الكتب من الحكمة ، واذا اعترضوا عليهم ضرب لهم المثل المذكور في كتاب " كليله ودمنة " في القرد والمنشار^(٣) ، فكيف بحكمة / أحكم الحاكمين ورب العالمين سبحانه وتعالى ؟!

ظ ٨٠

(١) سورة البقرة : ٣٠-٣٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٦ .

(٣) في كتاب " كليله ودمنة " ص ١٣١-١٣٢ (وضع بيدبا الهندي ، تعريب عبدالله بن المقفّع ، تحقيق مصطفى لطفي المنغلوطي ، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت) . أن دمته قال يوماً لكليلة - وهما من بنات آوى - : يا أخي ، ما شأن الأسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط ؟ . فقال كليلة : ما شأنك أنت والمسألة عن هذا ؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب ، وتاركين ما يكسره ، ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها ، كلام الملوك ، والنظر في أمورهم ، فامسك عن هذا ، واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه ، أصابه ما أصاب القرد من النجار . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليلة : زعموا أن قرداً رأى نجاراً يشق خشبة ، وهو راكب عليها ، وكلما شق منها ذراعاً أدخل فيها وتدا ، فوقف ينظر اليه ، وقد أعجبه ذلك ، ثم ان النجار ذهب ليعض شأنه ، فقام القرد وتكلف ما ليس من شأنه ، فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة ، فتدلّى ذنبه في الشق ونزع الوتد ، فلزم الشق عليه ، فكان يغشى عليه من الأكم . ثم ان النجار وافاه فأصابه على تلك الحالة فأقبل عليه يضربه ، فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة .

الحجة الثالثة

قال الرازي ^(١): "الحجة الثالثة - أن جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى

شيئين : تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن، والله تعالى قادر على
تحصيل هذين ^(٢) - المطلوبين ابتداءً من غير شيء من الوسائط، ومن كان ^(٣)
قادرًا على تحصيل المطلوب ابتداءً بدون الوسائط ^(٤)، ولم يصِرْ تحصيل ذلك
المطلوب بتلك الوسائط أسهل عليه من تحصيله ابتداءً - كان التوصل إلى تحصيل
ذلك المطلوب بتلك الوسائط عبثًا، وذلك على الله ^(٥) محال، فثبت أنه لا يمكن
تعليق أحكامه وأفعاله ^(٦) بشيء من العلل والأغراض".

والجواب من وجوه :

الجواب عنها
من وجوه
الوجه الأول

أحدها - أنه يقال : لا ريب أن الله على كل شيء قدير، لكن لا يلزم، إذا
كان الشيء مقدورًا ممكنًا أن تكون الحكمة المطلوبة بوجوده تحصل مع عدمه،
أو الحكمة المطلوبة مع عدمه تحصل مع وجوده؛ فإن وجود الملزوم بدون لازمه
ممتنع، والجمع بين الضدين ممتنع؛ فيمتنع.

ولهذا بين سبحانه قدرته على أشياء لم يفعلها، وبين حكمته في ترك
فعلها؛ كقوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فنصب الرقاب حتى إذا
اشتختموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في
سبيل الله فلن يغفر الله لهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة
عرفها لهم ^(٧) .

(١) في كتاب "الأربعين"، ص ٢٥٠.

(٢) هذين : سقطت من الأصل (ص)، وأثبتها من "الأربعين".

(٣) الأربعين : وكل من .

(٤) الأربعين : الواسطة . (في الموضوعين) .

(٥) الأربعين : الله تعالى .

(٦) الأربعين : أفعاله وأحكامه .

(٧) سورة محمد : ٤ - ٦ .

الوجه الثاني

الوجه الثاني - أن يقال : دعوى : أحد الوجودين لا يكون شرطا أو سببا

لوجود الآخر ، دعوى عرية عن الحجة ، وقد قال تعالى : (وهو الذي يبدأ الخلق) ثم يعيده وهو أهون عليه ^(١) . وقال تعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) ^(٢) . فبين سبحانه أن خلق بعض الأشياء أكبر من خلق بعض ، فكيف يقال : ان خلق جميع المخلوقات سواء ! .

الوجه الثالث

الوجه الثالث - أن يقال : اذا كان في خلق الوسائل حكمة أخرى تحصل بخلقها ، وفي ذلك مصلحة ومنفعة لتلك الوسائط - لم تكن الحكمة الحاصلة بوجودها مثل الحاصلة بعدمها ؛ كما أنه سبحانه اذا جعل رزق بعض الناس في التجارات فاقتضى ذلك أن يجلبوا البضائع الى من يحتاج اليها ، فينتفع هو^{لا} بالبضائع وهو^{لا} بالثمن - لم تكن هذه الحكمة حاصلة ، أو حصل لأولئك مطلوبهم من الربح ، بدون التجارة .

فان قيل : فيمكن تحصيل مقصود أولئك بدون تجارة هو^{لا} .

قيل : في ذلك تفويت مصالح الآخرين .

والمقصود الكلام الكلي العام ، ليس المقصود بيان حكمة كل ما خلق ؛ فان هذا لا يمكننا أن نعرفه ، بل نعرف حكمته من حيث الجملة ، وقد نعرف بعض حكمته . والمقصود أنه اذا جوز العقل أن يكون له في الوسائل حكمة لا تحصل الا بها ، بطل قطع من قطع بأنه لا حكمة له في خلقها .

ج ٨١

الوجه الرابع

الوجه الرابع - قوله : " كان ذلك عبثا ، وهو على الله محال " . يقال له : ان كان العبث عليه محالا لزم أنه لا يفعل ولا يحكم الا لحكمة ، وحينئذ فتبطل الحجة النافية لذلك ، وان لم يكن العبث عليه محالا بطلت هذه الحجة ؛ فيلزم بطلانها على التقديرين .

(١) سورة الروم : ٢٧ .

(٢) سورة غافر : ٥٧ .

الوجه الخامس الوجه الخامس - أنه يقال : لم لا يجوز أن يفعل أشياء لحكمة فتكبير
معللة ، وأشياء غير معللة ، وعلى هذا التقدير فتكون هذه الوسائط غير
معللة . ولا يمكنك مع هذا أن تقول : " لا يجوز تعليل شيء من أفعاله وأحكامه"
ولكن تقول : " لا يجب أن يكون كل شيء لعل " وأنت نفيت جواز التعليل
لا وجوبه ، وصار هذا بمنزلة مايقوله بعض الفقهاء : ان من الأحكام ماله علة ،
ومنها ما هو تعبد لاعلة له .

وهذا الجواب يبطل قوله ، وان كنا لا نقول به ، بل نقول : جميع أفعاله
وأحكامه لها علة ، سواء علمناها أو لم نعلمها .

الحجة الرابعة قال الرازي : الحجة الرابعة - (١) أنه لو وجب أن يكون خلقه وحكمه معللا
بفرض لكان خلق الله (٢) العالم في وقت معين دون ما قبله وما بعده معللا
برعاية غرض ومصلحة (٣) ، ثم ذلك الفرض و [تلك (٤)] المصلحة اما أن يقال : انه
كان حاصلًا قبل ذلك الوقت ، أو ما كان حاصلًا قبله .

فان كان حاصلًا قبله كان ما لأجله أوجد الله (٥) العالم في ذلك الوقت
حاصلًا قبل أن أوجده ، فيلزم أن يقال : انه كان موجودًا له قبل أن يكسب
موجودًا له ، وذلك محال . (٦)

وأن قلنا بأن ذلك الفرض وتلك المصلحة ما كان حاصلًا قبل ذلك الوقت ،
وانما حدث في ذلك الوقت ، فنقول : حصول ذلك الفرض في ذلك الوقت اما أن
يكون مفتقرًا الى المحدث ، أو لا يفتقر . (٨)

فان لم يفتقر فقد حدث الشيء لاعن موجد ومحدث ، وهو محال . و [أن (٩)] افتقر

(١) في كتاب "الأربعين" ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) الأربعين : الله تعالى .

(٣) الأربعين : برعاية مصلحة وغرض .

(٤) تلك : ليست في الأصل (ص) ، وأثبتها من "الأربعين" .

(٥) الأربعين : الله تعالى .

(٦) الأربعين : قبل أن كان موجودًا .

(٧) الأربعين : وأما ان .

(٨) الأربعين : اما أن يفتقر .

(٩) ان : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من "الأربعين" .

الى المحدث : فان افتقر تخصيص احداث ذلك الفرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الأول فيه ، ولزم التسلسل . وان لم يفتقر البتة الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجودة الله ^(١) وخالقيته غنية عن التعليل بالأغراض والمصالح ، وهذا هو المطلوب .

قال : ^(٢) " واعلم أن هذه الحجة التي ذكرناها في اختصاص حدوث العالم بذلك الوقت [المعين] ^(٣) عائدة في اختصاص كل واحد من الجواهر بوقته المعين ^(٤) .

والجواب ^(٦) أن يقال : هذه الحجة المذكورة في ضمن الحجة الثانية ،
الجواب عنها
سن وجوه

أحدها - أن هذا انما يستلزم التسلسل في الحوادث المستقبلية ، وذلك جائز .

الثاني - أن هذا غايته أن يكون من الحوادث ما يرد لنفسه ، ومنها ما يرد لغيره ، وأن الحكمة المطلوبة لنفسها لا تفتقر الى حكمة أخرى تراد لأجلها ، وهذا اذا سلم لم يمنع أن يكون ماسوى هذه الحكمة مرادا لأجلها .

الثالث - أن كون أفعاله مستغنية عن العلة غير كون تعليلها جائزا .
وهذه الحجة انما تدل على عدم وجود التعليل ، لاعلى عدم جواز التعليل ،
وانما تدل على عدم تعليل بعض الحوادث ، لاعلى تعليل أكثرها .

قال الرازي ^(٧) : " الحجة الخامسة - قد بينا في مسألة " خلق الأفعال " أنه لا موجود الا الله تعالى ، واذا كان كذلك كان الخير والشر ، والكفر والايمان ،

(١) الأربعين : الله تعالى .

(٢) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥١ .

(٣) المعين : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعين " .

(٤) واحد : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : واحدة .

(٥) الأربعين : لوقته .

(٦) الأصل (ص) : يقال : والجواب . ولعل كلمة " يقال " زيدت خطأ .

(٧) في كتاب " الأربعين " ، ص ٢٥١ .

حاصلا بايجاده وخلقته وتكوينه ، واذنا كان الأمر كذلك امتنع توقف كونه ،^(١)
خالقا وموجدا على رعاية المصالح والأغراض .^(٢)

الجواب عنها والجواب : أن هذا التلازم ممنوع ، بل الذى عليه جمهور المسلمين أن
الله تعالى في كل ما خلقه حكمة ، وأن ما خلقه مما هو شر في حق بعض
الناس : ففي خلقه حكمة- للرب تعالى ، باعتبارها كان خلقه مما يحمد السرب
تعالى عليه ، فله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد
ذلك ، فكل ما خلقه فهو محمود على خلقه ، وخلقه حسن ، وله في ذلك حكمة ؛ قال
تعالى : (صنع الله الذى أتقن كل شيء)^(٣) . وقال تعالى : (الذى أحسن كل
شيء خلقه)^(٤) .

الشرفي خلق الله ولهذا لم يكن الشر مضافا الى الله تعالى في القرآن مع كونه شرا ، ولا
يذكر في القرآن على ثلاثة وجوه يذكر الا على أحد وجوه ثلاثة : اما أن يدخل في العموم ؛ كقوله تعالى : (الله
خالق كل شيء)^(٥) ، أو يذكر مضافا الى السبب ؛ كقوله : (من شر ما خلق)^(٦) ،
أو يحذف فاعله ؛ كقوله الجن : (وأنا لاندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد
بهم ربهم رشدا)^(٧) .

ومنه قوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين)^(٨) . فذكر النعمة مضافة اليه ، وأخير أنهم هم الضالون ، وحذف
فاعل الغضب .

-
- (١) الأربعة : وتخليقه .
 - (٢) توقف : كذا في " الأربعة " ، وفي الأصل (ص) : توقف .
 - (٣) الأربعة : كونه تعالى .
 - (٤) سورة النمل : ٨٨ .
 - (٥) سورة السجدة : ٧ .
 - (٦) سورة الزمر : ٦٢ .
 - (٧) سورة الفلق : ٢ .
 - (٨) سورة الجن : ١٠ .
 - (٩) سورة الفاتحة : ٧ .
 - (١٠) الأصل (ص) : الضالين . وهو خطأ .

ولما كان لله تعالى الأسماء الحسنى كانت أسماؤه متضمنة لحكمته
ورحمته وعدله ، ولم يكن له سبحانه اسم يذكر وحده يتضمن [الشر]^(١)؛ قال
تعالى : (اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم)^(٢) . وقال تعالى :
(ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)^(٣) . وقال تعالى : (نبى عبادى
أني أنا الغفور الرحيم : وأن عذابي هو العذاب الأليم)^(٤) . فوصف نفسه
سبحانه بأنه هو الغفور الرحيم ، وأخبر أن عذابه^(٥) شديد وسريع ، وأن
عذابه أليم . فجعل ما هو شر لبعض العباد هو من أفعاله ، لم يجعله
من أسمائه ؛ كما في قوله تعالى : (اني أنا الغفور الرحيم) . لم يقل : وانسى
أنا المعاقب المعذب .

وجاء في القرآن العزيز معنى " الانتقام " في قوله : (انا من المجرمين
منتقمون)^(٦) . وفي قوله : (والله عزيز ذو انتقام)^(٧) . ولم يقل : اني أنا المنتقم .
ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عد " المنتقم " من أسمائه
الحسنى ، بل الذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في تعيين التسمية
وتسعين اسما - حديثان ضعيفان عند أهل المعرفة بالحديث : أجودهما
الذى رواه الترمذى من حديث الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة
عن أبي الزناد^(٨) ، وهذا فيه ذكر المنتقم ، وأهل العلم بالحديث يعلمون
أن هذا مما أخذه عن بعض أهل الشام ، ليس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم . والحديث الثانى رواه ابن ماجه ، وهو أيضا

-
- (١) الشر: ترك مكانها في الأصل (ص) بياضا ، ولعلها المرادة هنا .
 - (٢) سورة المائدة : ٩٨ .
 - (٣) سورة الأنعام : ١٦٥ .
 - (٤) سورة الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .
 - (٥) عذابه : كذا في الأصل (ص) ، ولعل المراد : عقابه .
 - (٦) سورة السجدة : ٢٢ .
 - (٧) سورة آل عمران : ٤٤ .
 - (٨) الأصل (ص) رسمت الكلمة : رباد . بلا نقاط .

ضعيف عند أهل الملمس ، أضعف من الأول^(١) .

ج ٨٢ ولم يجزى في أسماؤه ذكر الضار / والمانع والمذل الا مقرونا ، فيقال :
الضار النافع ، المعطي المانع ، المعز المذل . فان الجمع بينهما يبين عموم
القدرة والخلق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (يمين الله ملأى لا يغيثها نفقة ، سحاً الليل والنهار ،
أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم [يفيض^(٢)] ما في يمينه ،
والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع)^(٣) .

(١) الحديث عن أبي هريرة ، وأصله وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة الا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة) . في صحيح البخارى (فتح البارى ١٣ / ٣٧٧ رقم ٧٣٩٢) كتاب التوحيد ، باب ان لله مائة اسم الا واحدة ؛ وصحيح مسلم ٤ / ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ رقم ٢٦٧٧ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في أسماء الله تعالى ، وفضل من أحصاها ، وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٩ / ٤٨٠ - ٤٨١ الدعوات ، باب حدثنا يوسف بن حماد البصرى أخبرنا عبد الأعلى عن سميد ؛ وسنن ابن ماجه ٢ / ١٢٦٩ رقم ٣٨٦٠ كتاب الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل .

والروايتان اللتان يشير الشيخ الى أنه جاء فيهما ذكر أعيان الأسماء في سنن الترمذى (٩ / ٤٨٢ - ٤٩٠) عن ابراهيم بن يعقوب عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وورد في سياقه (البر التواب المنتقم العفو الرووف) .

وقال عنه الترمذى : " هذا حديث غريب ، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث . . . الخ " .

وفي سنن ابن ماجه (رقم ٣٨٦١) عن هشام بن عمار عن عبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير ابن محمد التميمي عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة ، وليس فيه ذكر " المنتقم " . وعند الملك بن محمد ضعيف .

وانظر أيضاً عن الحديث مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ط . الرياض) ٦ / ٣٧٩ - ٣٨٢ ، ٨ / ٩٦ - ٩٧ ، ٢٢ / ٤٨٢ - ٤٨٦ ؛ وفتح البارى ١١ / ٢١٥ - ٢١٧ .

(٢) يفيض : سقطت من الأصل (ص) .

(٣) الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخارى (فتح البارى ٨ / ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) كتاب التفسير ، باب (وكان عرشه على الماء) ، ١٣ / ٣٩٣ رقم ٧٤١١ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي) ، ١٣ / ٤٠٣ رقم ٧٤١٩ كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) ؛ وصحيح مسلم ٢ / ٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣ . كتاب الزكاة ، باب الحث على النفقة وتشير المنفق بالخلف ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٨ / ٤٠٩ - ٤١٠) تفسير القرآن ، سورة المائدة ؛ وسنن ابن ماجه ١ / ٧١١ رقم ١٩٧ المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية ؛ ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٢ / ٣١٣ ، ٥٠٠ - ٥٠١ . وآخر الحديث في أكثر هذه المواضع (... فإنه لم يفيض ما في يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان - أو القيس ، أو الفيض - يخفض ويرفع) . وعند ابن ماجه (وبيده الأخرى الميزان يرفع القسط ويخفض) .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن فعل الرب تعالى فضل وعدل؛ ولهذا قال العلماء: " كل نعمة منه فضل، وكل نعمة منه عدل " وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل؛ لكامل علمه وحكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره ومشيتته وقد رتبته .

وفي الحديث الصحيح الالهي: (يا عبادي، انما هي أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيتكم اياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه)^(١). وفي الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح: (لبيك وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس اليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب اليك)^(٢).

وما ذكر^(٣) من خلق كافر وعقوبته على ذلك، اذا سلم انتفسا المصلحة في ذلك فانما يدل على عدم رعاية مصلحة هذا المعين، وهو حجة على المعتزلة؛ الذين يقولون: " يجب رعاية الصلاح أو الأصلاح في حق كل معين " بحسب ما يظنونهم هم، ويقيسونه فيه على خلقه .

وقول المعتزلة باطل عند سلف الأمة وأئمتها وجمهورها، كما أن قول الجهمية أيضا باطل عند هؤلاء، فلا يلزم من بطلان أحد القولين صحة الآخر، ولا يدل هذا على انتفاء الحكمة مطلقا، ولا على انتفاء رعاية الصلاح لجملة العالم .

(١) هذا آخر الحديث الذي رواه أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه (قال : يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... الحديث) . أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٩٤ / ٤ - ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم .

(٢) هذا آخر دعاء الاستفتاح الذي رواه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأولسه : (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين) وفيه قبل قوله : (تباركت وتعاليت) قوله : (أنا بك واليهك) .

أخرج الحديث مسلم في صحيحه ٥٣٤ / ١ - ٥٣٥ رقم ٧٧١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقبالة ، والنسائي في سننه ١٠٠ / ٢ - ١٠١ كتاب الافتتاح ، باب الدعاء بين التكبير والقراءة .

(٣) أي الرازي، انظر: كلامه فيما سبق، ص ٣٧٢-٣٧٣ .

وهذا كما أن الشريعة متضمنة لصالح العباد في المعاش والمعاد؛ كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(١) . وهذا معلوم بالاضطرار بعد تتبع كليات الشريعة ، وسواء قيل : ان فعله وحكمه يعمل ، أو لا يعمل ، فان من نفي التعليل يقول : ان المصالح اقترنت بالفعل المأمور به ، وكان ذلك علامة ودلالة ، وان لم يقل : ان شرع الفعل لتلك المصلحة .

- ومع هذا فمعلوم أن اعتبار الشارع المصالح العامة الكلية لا يوجب حصول هذا في كل معين ؛ فقطع يد السارق ، وان كان شرا بالنسبة اليه اذا لم يتب ، فهو مصلحة لعموم الخلق ، وكذلك سائر العقوبات الشرعية ، وكذلك الجهاد ، وان كان فيه قتل نفوس ، وأخذ أموالهم ، وسبي حريمهم - فمصلحة غامرة لهذه المفسدة القليلة .

ولهذا كان مبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، والشارع يحصل خير الخيرين في الحصول ، وشر الشرين في الدفع ؛ وقد يلتزم تفويت خير قليل لتحصيل خير كثير ، أو دفع شر: دفعه أنفع من ذلك الخير القليل . أو يلتزم تحصيل شر قليل لتفويت شر كثير ، أو لتحصيل خير هو أنفع من دفع ذلك الشر القليل . واذا / كان هذا موجودا فسي أحكامه الأمرية فكذلك^(٢) هو في أحكامه الخلقية ، وهو سبحانه له الخلق والأمر سبحانه وتعالى عما يشركون .

وهذه الطريقة طريقة عامة أهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من أهل الكلام كالكرامية^(٣) وغيرهم .

والرازي انما يذكر قول الجهمية وقول القدرية ، وقد يذكر أحيانا قول الفلاسفة ، وان كانوا في هذا الموضوع يقاربون طريقة أهل الحديث والفقه والكلام

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) الأصل (ص) : وكذلك . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) الأصل (ص) : كالرامية .

الذين يقولون بذلك ، ويقولون بنحو من قولهم في أن تفويت الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير ؛ كما يذكر في انزال المطر وقت الحاجة ، فانه حكمة ورحمة عامة ، وان كان فيه ضرر لبعض الناس ، وهذا وافق فيه هؤلاء المتفلسفة لمن قاله من نظار المسلمين .

لكن هؤلاء المتفلسفة متناقضون ؛ فانهم يشبثون غاية وحكمة غائية ، ولا يشبثون ارادة ، والجهمية تثبت أنه سبحانه مريد ، ولا تثبت له حكمة فعمل لأجلها ، وكل من القولين متناقض .

ثم المتفلسفة نفاة الصفات يجعلون عنايته هي ارادته ، وارادته هي علمه ، ثم يقولون : " العلم هو العالم أو المعلوم " فهم متناقضون في اثبات الصفات .

بخلاف أئمة المسلمين فانهم لاتناقض في أقوالهم : التي اتبعوا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فان ذلك جاء من عند الله ، وما جاء من عند الله لا اختلاف فيه ، وانما الاختلاف فيما جاء من عند غيره ؛ قال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)^(١) .

ولهذا كل طائفة كانت الى النبوت أقرب كانت أقل اختلافا ، وكل ما كثر بعدها كثر اختلافها ؛ فالتفلسفة لما كانوا أبعد من [أهل]^(٢) الكلام عن النبوت كانوا أكثر اختلافا ، فان لهم من الاختلاف في الطبيعيات والرياضيات ما لا يكاد يحصيه الا الله ، وأما اختلافهم في الالهيات فأعظم .

والشيعة لما كانوا من أجهل الطوائف المنسوبين الى الطلحة^(٤) ، كانوا أكثر اختلافا من جميع الطوائف ، ثم المعتزلة أكثر اختلافا من المثبتة للصفات والقدر ، ثم المثبتة المتكلمون فيهم من الاختلاف ما لا يوجد في أهل العلم بالسنة

(١) الأصل (ص) : و ارادة .

(٢) سورة النساء : ٨٢ .

(٣) أهل : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٤) الطلحة : في الأصل (ص) غير واضحة وكذا استظهرتها .

المحضة والحديث وأقوال السلف .

فان هو "أبعد الطوائف عن الاختلاف في أصولهم ؛ لأنهم أكثر اعتصاما بالكتاب والسنة من غيرهم ، وبطريقتهم تنحل الاشكالات الواردة على طريقة غيرهم ، كما نبهنا عليه في غير مسألة من المسائل الكبار، منها مسألة "القادري المختار" (١) .

وهكذا سائر المطالب الالهية ، من عرف ماقاله النظار فيها من أهمل الكلام والفلسفة وغيرهم ، وما جاء به القرآن في ذلك - تبين له من فضل طريقة القرآن وسلامتها عن التناقض والفساد ما لا يقدر قدره الا رب العباد .

ومعلوم أن الصفات نوعان : اثبات ونفي ؛ فصفات الاثبات كالحياة والعلم / والقدرة ، والنفي تنزيه الرب تعالى عن الشركاء والأولاد وسائر النقائص . وطريقة القرآن في ذلك اثبات صفات الكمال لله تعالى على وجه التفصيل، مع تنزيهه عن التمثيل . والتنزيه يجمعه نوعان :

طريقة القرآن
في صفات الله
تعالى اثباتا
ونفيا
٨٣ج

أحدهما - أنه منزّه عن النقائص مطلقا ، ونفس ثبوت الكمال له ينافي النقص . الثاني - أنه منزّه عن أن يكون [له] (٢) مثل في شيء من صفات الكمال . ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف [به نفسه] (٣) وبما وصفه به رسوله : من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، اثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل . كما قال تعالى : (ليس كمثله شيء) . وهذا ابطال للتمثيل ، ثم قال : (وهو السميع البصير) . وهذا ابطال للتعطيل .

وقال تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) . وقد بينا [في] (٥) تفسير هذه السورة ، وفي تحقيق أنها تعدل

(١) سبق ذلك ، ص ٣٥٣ .

(٢) له : ليست في الأصل (ص) ، وهي ساقطة .

(٣) عبارة " به نفسه " سقطت من الأصل (ص) . وهي المرادة هنا .

(٤) سورة الشورى : (١) .

(٥) في : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

ثالث القرآن - أنها تجمع ما يستحقه الله تعالى من صفات النفي والاثبات،
وأن اسم "الصد" يتناول ما ذكره الواجب^(١) عن ابن عباس أنه، العليم الكامل في
علمه، التقدير الكامل في قدرته، الحكيم الكامل في حكمته، الرحيم الكامل في
رحمته. واسم "الأحد" ينفي أن يكون له مثل، سبحانه وتعالى عما يقـول
الظالمون علوا كبيرا .

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه جاءوا باثبات مفصل ونفي مجمل؛
فأثبتوا أن الله سبحانه حي، عليم، قدير، سميع، بصير، رؤوف، رحيم،
إلى سائر ما ذكره الرب من أسمائه وصفاته .

وفي النفي: (ليس كمثله شيء)^(٢)، (هل تعلم له سمياً)^(٣)، (فلا تضربوا لله
الأمثال)^(٤)، (فلا تجعلوا لله أنداداً)^(٥)، (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد)^(٦)، (ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك)^(٧). ونحو ذلك .

(١) الواجب أحد الرواة عن ابن عباس، وهو أبو خالد هرمز مولى بني والبة من بني أسد، من أهل
الكوفة، ثقة، مات سنة ١٠٠هـ .

انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٢٨/٦؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزى ١٦٠١/٣؛
تهذيب التهذيب ١٢/٨٣-٨٤ .

وقد رجعت إلى عدد من كتب التفسير، ولم أجد نقلاً للواجب عن ابن عباس في تفسير الصد .
ولكن فيها عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصد السيد الذي قد كمل فسي سوءه
والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في
حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل
في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسوء، وهو
الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له .

انظر ذلك في تفسير الطبري ٢٢٣/٣، وهو في الدر المنثور ٦/١٥٥ نقلاً عن ابن المنذر، وابن
أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة، والبيهقي في الأسماء والصفات، وذكره ابن تيمية في جواب أهل
العلم والايان، ص ١٤٣، وتفسير سورة الصد، ص ٢٢٠ ضمن الجزء السابع عشر من مجموع
الفتاوى (ط. الرياض) .

وعلي هو أبو الحسن علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي، مات سنة ١٤٣هـ، قال عنه ابن
حجر في تقريب التهذيب ٢/٣٩: صدوق قد يخطئ، سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره .
وانظر عنه أيضاً تهذيب الكمال ٢/٩٢٤-٩٢٥، تهذيب التهذيب ٧/٣٣٩-٣٤١ .

(٢) سورة الشورى: ١١ .

(٣) سورة مريم: ٦٥ .

(٤) سورة النحل: ٧٤ .

(٥) سورة البقرة: ٢٢ .

(٦) سورة الصد: ٣، ٤ .

(٧) سورة الفرقان: ٢ .

تضمن النفسي اثبات الكمال والنفي انما يدل على عدم المنفي ، والعدم المحض ليس بشي * أصلا ، فضلا عن أن يكون كمالا ، وانما يكون كمالا اذا استلزم أمرا وجوديا .

فلهذا لم يصف الرب تعالى نفسه بشي * من النفي الا اذا تضمن ثبوتا ؛ كقوله تعالى : (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)^(١) ؛ فقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) . يتضمن كمال حيوته وقيوميته ، فان النوم أخو الموت ، ومن تأخذه السنة والنوم لا يكون قيوما : قائما بنفسه ، مقيما لغيره ؛ فان السنة والنوم يناقض ذلك .

بيان ذلك في آية الكرسي

ثم قال تعالى : (له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده ، الا باذنه)^(١) . فنفي شفاعته أحد عنده الا باذنه يتضمن كمال كونه له ما في السموات وما في الأرض ، ليس له في ذلك شريك ولا ظهير ، فان الشافع اذا شفع عند غيره بغير اذنه كان شريكا له فيما شفع فيه ، وكان متصرفا فيه ان جعله فاعلا بعد أن لم يكن ، فكان في نفي هذه الشفاعته قد بين [أنه]^(٢) لا شريك له بوجه من الوجوه ، وأنه الصمد الذي يحتاج اليه كل شي * ، ولا يحتاج الي شي * ، ولا يوشرك فيه غيره .

ظ ٨٣

وانا ألهم العباد الدعاء وأجابهم ، وألهمهم العمل وأثابهم : فالجميع منه ، هو الذي خلق الأسباب والمسببات ، لم يكن ماسواه موثرا فيه ، بل هو الجاعل لبعض الأمور سببا لبعض .

ومن شفع عنده بغير اذنه الشرعي فهو وان كان سبحانه خالقا لفعله ، فان شاء قبل شفاعته ، وان شاء لم يقبل ، بخلاف من أذن له أن يشفع ؛ كما يسأذن لتبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أن يشفع في الناس .

والمشركون بالمخلوقات ، الذين يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : " هو " هو " شفعاؤنا عند الله " من المشركين بالملائكة والأنبياء والشيوخ

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) أنه : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

الصالحين وغيرهم - يظن أحدهم أن الذي اتخذهُ شفيعاً له عند الله تعالى،^(١)
أنه يشفع له بدون [إذن] الله الشرعي، وأن الله يقبل شفاعته لوجهته عنده،^(٢)
كما يقبل الانسان شفاعته من يكرم عليه، وأن يشفع عنده بدون اذنه. فأبطل الله
تعالى هذه الشفاعه التي أثبتها المشركون، فقال تعالى في كتابه: (وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى).^(٣)

ولهذا أعظم الخلق جاها عند الله، وأكلمهم شفاعته، محمد صلى الله عليه
وسلم تسليماً وعلى آله، لا يشفع يوم القيامة الا بإذن الله له في الشفاعه، كما
نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة؛ فقال في الحديث الصحيح: (لا أنفسيين
أحدكم يأتي يوم القيامة، على رفته [بغير] له رعا،^(٤) أو شاة لها شفا،^(٥)
فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أهلكتك).^(٦)
وقال في الحديث الصحيح: (يا فاطمة بنت رسول الله، لا أغني عنك من الله
شيئاً، يا عباس عم رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمه رسول الله
لا أغني عنك من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم).^(٧)

وفي الحديث الصحيح أنه قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يوم
القيامة؟ فقال: (من قال: "لا اله الا الله، خالصاً من قلبه").^(٨) فان أحق الناس

(١) الأصل (ص): له من، ولعل من زيدت خطأ.

(٢) إذن: ليست في الأصل (ص) وهي ساقطة.

(٣) سورة النجم: ٢٦.

(٤) بعير: سقطت من الأصل (ص).

(٥) شفا: في الأصل (ص) رست الكلمة: رعا، بلا نقاط.

(٦) هذا بعض من حديث رواه أبو هريرة، وأخرجه مسلم في صحيحه ١٤٦١/٣ رقم ١٨٣١ كتاب الامارة،

باب غلط تحريم القلول؛ وأحمد في مسنده (ط. الحلبي) ٤٢٦/٢.

(٧) الحديث رواه عن عائشة وعن أبي هريرة، مسلم في صحيحه ١٩٢/١ رقم ٢٠٥ ورقم ٢٠٦ كتاب

الايمان، باب في قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء: ٢١٤؛ والترمذي في

سننه (تحفة الأحوذى ٩/٤٠-٤٢) تفسير القرآن، سورة الشعراء.

(٨) روى الحديث البخاري في الصحيح (فتح الباري ١/١٩٣ رقم ٩٩ كتاب العلم، باب الحصر

على الحديث، ١١/٤١٨ رقم ٦٥٧٠ كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار؛ وأحمد في المسند

(ط. الحلبي) ٢/٣٧٣.

بشفاعته من كان أكملهم اخلاصا ، فان من كان اخلاصه أكمل كان أقرب السى
رحمة الله ، فيأذن في الشفاعة له .

ثم قال تعالى : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء)^(١) . وهذا النفي يتضمن كمال علمه ؛ فانه سبحانه اذا كان عالما بما
بين أيديهم وما خلفهم ، وعلموا هم ما علمه بلا مشيئته^(٢) كانوا نظرا له في العلم ،
فلما قال : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) . وعلمه محيط بكل شيء ؛ بين
أنه لا علم لأحد الا ما علمه اياه ، فهو الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، وهو
الذى علم بالقلم ، علم / الانسان ما لم يعلم ، وهو الذى خلق فسوى ، والذى قدر
فهدى ، وهو الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ج ٨٤

ثم قال تعالى : (وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو
العلي العظيم)^(١) أى لا يَكْرَهُهُ^(٢) ولا يثقله^(٤) ، وهذا بيان لكمال قدرته ؛ فـان
الحافظ للشيء قد يحفظه بكلفة ومشقة ، فاذا كان لا يكرهه حفظهما كان ذلك
بيانا لكمال قدرته ، وأنها في الغاية التي لا يلحقها نقص أصلا .

أمثلة أخرى ونظير هذا قوله تعالى : (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة
أيام وما مسنا من لغوب)^(٥) . وقوله تعالى : (لا يحزب عنه مشقال ذرة في السماوات
ولا في الأرض)^(٦) .

وقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار)^(٨) . فان الإدراك في القول المأثور عن ابن
عباس وغيره من السلف ، وهو قول أكثر العلماء - هو الاحاطة .^(٩) ومن قال : " هو

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) الأصل (ص) : مسسه . بدون نقط . ولعل الصواب ما أثبتته
(٣) في لسان العرب ، مادة " كرت " : " كَرَّتْ الأَمْرُ يَكْرَهُهُ وَيَكْرَهُ كَرْتًا ، وَأَكْرَهُ : سَاءَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ،
وَبَلَغَ مِنْهُ المَشَقَّةُ " .

(٤) الأصل (ص) : سعل . بدون نقط ، والصواب ما أثبتته .

(٥) سورة ق : ٣٨ .

(٦) سورة سبأ : ٣ .

(٧) الأصل (ص) : قوله . بدون الواو ، ولعل الصواب اثباتها .

(٨) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٩) الأصل (ص) : وهو . ولعل الصواب اسقاط الواو .

مجرد الروئية * غلط ؛ فان نفي مجرد الروئية لا يتضمن مدحا ولا كمالا ، فان المعدوم لا يرى ، وما يوصف به المعدوم لا يكون كمالا ولا مدحا ، بخلاف ما اذا قيل : لا تدركه الأبصار ، فانه يدل على أنه يرى ولا يحاط به رؤية ، كما أنه يعلم ولا يحاط به علما ، وهذا يتضمن من المدح ما سبب ذكر الله تعالى له في سياق مدحه لنفسه سبحانه وتعالى .

طريقة العاديين
عن الكتاب والسنة
في صفات الله

وأما من عدل عن طريقة الكتاب والسنة من أهل الكلام المحدث ، فانهم لا يذكرون في تنزيهه عن النقائص قولا مطردا مستقيما ، بل أقوالهم متناقضة ؛ فانهم يذكرون في النفي أنه ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا متحيز ، ونحو ذلك من العبارات . ثم ما ينفونه من الصفات يقولون : لأن هذا يستلزم أن يكون جوهرًا أو جسما أو عرضا ، وهذا محال . ثم ثم يشبّهون من الصفات ما يلزم فيه نظير ما يلزم فيما نفوه ، وانما يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما يلزم فيما نفوه لزمهم اما النفي المطلق وهو التعطيل المحض ، واما أن يكون ما ذكره من الدليل على مانفوه باطلا .

مناقشتهم

مثال ذلك ، أن يقال لمن وصفه بالارادة ، وقال : لا أصفه بالمحبة والرحمة والرضا والغضب ، الا اذا تأولت ذلك بالارادة . قال : لأن هذه الصفات تستلزم التجسيم ؛ لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، والرحمة رقة تلحق الراحم ، والرقّة من صفات الأجسام ، ونحو ذلك .

قيل له : وكذلك الارادة هي ميل النفس الى جلب ما ينفعها ، ودفع ما يضرها والله منزّه عن ذلك .

فان قال : هذه ارادة الانسان ، و ارادة الخالق سبحانه بخلاف ذلك .
قيل له : وكذلك ما ذكرته في الغضب والرحمة ونحو ذلك ، انما هو في غضب العبد ورحمته ونحو ذلك ، وغضب الله ورحمته بخلاف ذلك .

ظ ٨٤ / فاذا قال : أنا لا أعقل الرحمة والغضب إلا ما يوجد في الشاهد ، واللفظ لا تدل حقيقته الا على ما يتصف به الشاهد .

(١) الأصل (ص) : أن يكون جوهر أو جسم أو عرض . وهو خطأ .
(٢) الأصل (ص) : ما ذكره .

قيل له: وكذلك في الإرادة، بل وفي السمع، والبصر، والكلام، والعلم، والقدرة، والحياة، لا يعقل في ذلك إلا ما هو موجود في الشاهد، واللغز لا يبدل على حقيقة إلا على ما يتصف به الشاهد، فما ادعيت في نفي ذلك من قياس وتأويل يلزمك ذلك في نظيره في ذلك.

فإذا قال: أنا لا ألتزم مذهب الصفاتية، بل أقول بقول نفاة الصفات؛ فأثبت الأسماء وأنفي الصفات؛ وأقول: هو حي عليم قدير، من غير أن يكون له حياة وعلم وقدرة، ولا أثبت له إرادة تقوم به، ولا كلاما يقوم به.

قيل له: هذا المذهب، تصوره التام يكفي في العلم بفساده؛ فإن اثبات حي لا حياة له، وعالم لا علم له، وقادر لا قدرة له، كاثبات مرید لا إرادة له، ومتمكّم لا كلام له، ومتحرك لا حركة له، وأنواع ذلك. بل وإثبات متمكّم ومرید لم يتم به كلام ولا إرادة، كاثبات متحرك ومصل وطائف لم تقم به حركة ولا صلاة ولا طواف. وإن قال: هذا يلزمكم نظيره في كونه خالفاً عادلاً.

قيل: مذهب سلف الأمة وأئمة السنة وجمهور المسلمين أن الله تقوم به الصفات الفعلية، وأن الخلق ليس هو نفس المخلوق. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك^(١)). كما كان يقول: (أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق^(٢)). وهذا ما استبدل به أئمة

(١) تقدم تخريج هذا الحديث، ص ٢٣٥ ت ١.

(٢) ورد الأمر بهذا الدعاء في أحاديث، منها حديث خولة بنت حكيم السلمية قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك).

الحديث في صحيح مسلم ٤/٢٠٨٠-٢٠٨١ رقم ٢٧٠٨ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعمد من سوء القضاء، ودرك الشقاء وغيره؛ وسنن الترمذي (تحفة الأحمدي ٩/٣٩٦-٣٩٧) كتاب الدعوات، باب ماجاء ما يقول إذا نزل منزلاً؛ ومسند أحمد (ط. الحلبي) ٦/٣٧٧، ٩: ٤؛ والموطأ ٢/٩٧٨ رقم ٣٤ كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من الكلام في السفر. ومنها حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتي البارحة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك).

والحديث في صحيح مسلم ٤/٢٠٨١ رقم ٢٧٠٩؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٠/٣٩٢-٣٩٣ =

السنة كأحمد بن حنبل وغيره^(١) على أن كلام الله غير مخلوق ، وقالوا : انه لا يستعان بمخلوق . وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع .

والمقصود هنا أن المعتزلي اذا التزم نفي الصفات ، وقال : ان اثباتها تشبيه وتجسيم ؛ لأن الصفات أعراض ، والعرض لا يقوم الا بهتيز^(٢) ، والمعقول في قيام الصفة بالموصوف كونها بحيث [تكون عرضا لما] هو [جسم متحيز]^(٣) . قيل له : فيلزمك هذا فيما أثبتته من الأسماء والأحكام التي تخبر بها عنه ؛ فانك تقول : " انه عالم قادر حي " بل البصريون يقولون : " انه سميع بصير " والادراك عندهم أمر زائد على كونه عالما . فيقال : لا يعقل حي عالم قادر في الشاهد الا جسم ، كما لا يعقل حيوة وعلم وقدرة الا أعراض تقوم بجسم .

فالقول في الأسماء كالقول في الصفات ، فدعوى المدعي / أن أحدهما يستلزم التجسيم دون الآخر تحكم ، وتفريق بين المتماثلين ، فان أمكن اثبات أحدهما بدون اللوازم الباطلة فكذلك الآخر ، وان امتنع في أحدهما امتنع في الآخر .

فان قال الجهمي المحض ، والناني الملحد : أنا أنفي الأسماء أيضا كلها ، فلا أثبتتها حقيقة ولا مجازا ؛ لثلا يلزم التشبيه والتجسيم ، فاني لا أعرف مسمى بهذه الأسماء الا جسما .

= / كتاب الطب ، باب كيف الرقي ؛ وسنن ابن ماجه ١١٦٢/٢ رقم ٣٥١٨ كتاب الطب ، باب رقية الحية والعقرب ؛ وسنن أحمد (طه . المعارف) ١٥ / ١٥ رقم ٧٨٨٥ ؛ والموطأ ٩٥١ / ٢ رقم ١١ كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ .
ويعنى حديث أبي هريرة ورد الحديث عن رجل من أسلم في سنن أبي داود (عون المعبود ١٠ / ٣٩٢) والمسند (طه . الحلبي) ٤٤٨ / ٣ ، ٤٣٠ / ٥ . وفي المسند (طه . الحلبي) ٤١٩ / ٣ عن عبد الرحمن بن خنيس التميمي أن جبريل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، قل . قال (ما أقول ؟) قال : قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .

- (١) الأصل (ص) : وغير . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٢) في الأصل (ص) قبل عبارة " بهتيز " كتب " بحسم أ. " وخط عليها خط .
- (٣) الأصل (ص) : كونها حسب هو ، بلا نقاط . ولعل ما أضفته في المقصود .

قيل له : فيلزمك نفي الذات ؛ فانك أيضا لاتعرف موجودا قائما بنفسه
الا جسما ، ولا قائما ^(١) بغيره الا عرضا . والا فالقول في هذا كالتقول في هذا .
فان طرد قياسه الفاسد ، والتزم التعطيل المحض ، وجحد الصانع ، كما
أظهر ذلك فرعون - قيل له : من المعلوم بضرورة العقل أن الوجود اما قديم
واما حادث ، واما ^(٢) واجب بنفسه واما ممكن ، واما مخلوق واما غير مخلوق ،
واما غني واما فقير ؛ والحوادث مشهودة ؛ وكل حادث فهو ممكن ، فقير
مخلوق . والمحدث يستلزم محدثا ، والممكن يستلزم واجبا ، والفقير يستلزم
غنيا ، والمخلوق يستلزم خالقا . فقد علم بالاضطرار أن في الوجود ما هو قديم
واجب بنفسه غني خالق ، وما هو حادث ممكن فقير مخلوق .

ومعلوم بالاضطرار أنهما وان اتفقا في مسمى " الوجود " ولوازمه فانهما
مختلفان من وجوه أخرى ، وأن حقيقة أحدهما مخالفة لحقيقة الآخر ، ان لو
تماثلت الحقيقتان لاشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع ، وكان يلزم الجمع بين
النقيضين ؛ فيكون قديما ليس بقديم ، واجبا ليس بواجب ، محدثا ليس
بمحدث ، غنيا ليس بغني ، فقيرا ليس بفقير .

فان قيل : انه يلزم من اثبات الأسماء والصفات التشبيه الباطل ،
الذي هو التجسيم - لزم من اثبات الذات التشبيه الباطل وهو التجسيم .
وان لم يلزم من هذا باطل ، لم يلزم من هذا باطل .

ولما كان الرد بهذه الطريقة باطلا متناقضا لم يجي * الكتاب والسنة
بهذه الطريقة ، ولا سلكها السلف والأئمة ، ولا أبطل الله ما افترته اليهود ،
بهذه الطريقة ، وقد ذكر الله قولهم : ان الله فقير ، وان الله بخيل .
وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

(١) الأصل (ص) : قائم ، وهو خطأ .

(٢) الأصل (ص) : واما واما ، مكررة .

(٣) الأصل (ص) : تماثلتا .

وغيره : أن اليهود كانوا اذا ذكروا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من الصفات المأثورة عن الانبياء يقرها ويضحك تعجبا وتصديقا، لما أخبرت به الرسل قبله .^(١)

وانما أنكروا عليهم ما وصفوه سبحانه به من النقائص : كالفقر والبخل والعجز .

فالذين سلكوا فيما يجب لله ، وفيما يمتنع عليه ، وما يجوز له - هذه الطريقة / المحدثه تناقضون ، لا يطرد لهم قول ، ولا ينفون شيئا بهذه الطريق الا لزمهم فيما أثبتوه نظير ما ألزموه غيرهم فيما نفوه . فان كان انتفاء ذلك اللازم يدل على فساد قوله دل على فساد قولهم ، وان لم يدل على فساد قولهم لم يدل على قوله ، وهذا بين لمن تدبره ، وهو مبسوط في مواضع أخرى .

ولكن نبهنا على أن الطريقة التي جاء بها القرآن العزيز في النفي والاثبات هي الحق الذي لا اختلاف [فيه]^(٢) ، وما كان من عند غير الله هو كما قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)^(٣) . وقال

(١) في صحيح البخارى (فتح البارى ٨ / ٥٥٠ - ٥٥١ رقم ٤٨١١) كتاب التفسير ، باب (وما قدروا الله حق قدره) سورة الزمر : ٦٧ ، وكرر برقم ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٤٥١ ، ٧٥١٣ ، وصحيح مسلم ٤ / ٢٢٤٧ - ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٦ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٩ / ١١٢ - ١١٤) تفسير القرآن ، سورة الزمر ، عن عبد الله بن سمعون أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ان الله يمسك السماوات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذته ، ثم قرأ (وما قدروا الله حق تقديره) ، وفي رواية : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له .
وروى الترمذى أيضا (١١٥ / ٩) نحوه عن ابن عباس ، وقال عنه : " حديث حسن غريب صحيح " .

(٢) فيه : ليست في الأصل (ص) ، ولملها ساقطة .

(٣) سورة النساء : ٨٢ .

تعالى : (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق، من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم)^(١).

ثم ذكر الرازي حجة من يقول برعاية الحكمة ، وذكر قدحه فيها ، ونحن نذكر ذلك ونبين أنه ليس بقادح ، وإنما ذكر حجة المعتزلة ، وأما حجج أهل الحكمة

السنة فكثيرة ، لكن نذكر ما ذكره .
قال : " واحتج الخصم على مذهبه بأنه تعالى عالم بفتح القبائح ، وعالم بكونه غنيا عنها^(٢) ، وكل من كان كذلك امتنع أن يكون فاعلا للقبائح^(٥) .

أما المقدمة الأولى - وهي قولنا : انه تعالى عالم بفتح القبائح ، وعالم بكونه غنيا عنها^(٨) . فهذه المقدمة مبنية على ثلاث مقدمات :

أحدها - أن القبائح إنما تفتح لوجوه عائدة اليها .

وثانيها - أنه تعالى مستزود عن جميع الحاجات .

وثالثها - أنه عالم بجميع المعلومات .^(١٠)

وإذا ثبتت هذه المقدمات الثلاث ظهر أنه تعالى غني عن فعل كل

القبائح ، وأنه تعالى عالم بكونه غنيا عنها^(١٢) .

(١) سورة محمد : ١ - ٣ .

(٢) في كتاب " الأربعين " ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) الأصل (ص) : غني .

(٤) الأربعين : عنه .

(٥) الأصل (ص) : فاعل .

(٦) الأصل (ص) : قلنا . والمثبت من " الأربعين " .

(٧) تعالى : ليست في " الأربعين " .

(٨) الأربعين : عنه .

(٩) الأربعين : أحداها .

(١٠) الأربعين : أنه تعالى .

(١١) وإذا : كذا في الأربعين . ، وفي الأصل (ص) : إذا ، بسقوط الواو .

(١٢) الأصل (ص) غني .

وأما المقدمة الثانية - وهو أن كل من كان غنيا عن القبائح ، وكان عالما
بكونه غنيا عنها ، فإنه يستحيل أن يفعل القبيح . وقد ذكر الرازي في تقريرها
طريقتين : (٢)

الأول - (٣) أنها بديهية العقل ، فعلم أن جهة القبح جهة صرف عن
الفعل ، لاجهة دعاء إليه . فإذا حصل العلم بكونه قبيحا ، ولم يصر هذا
الصارف معارضا بداعية الشهوة والحاجة - بقي الصارف خالصا عن معارضة
الداعي ؛ فوجب أن يمتنع الفعل .

الطريق الثاني - وهو أننا نثبت هذه المقدمة في الشاهد ، ثم نقيس
الغائب على الشاهد ، أما اثباتها في الشاهد فلأننا إذا قلنا لانسان (٧) كامل
العقل : " ان صدقت أعطيتك دينارا ، وان كذبت أعطيتك دينارا " وفرضنا
حصول الاستواء بين الصدق والكذب في جميع منافع الدنيا والآخرة ، وفي
جميع مضارهما (٨) من المدح والذم ، والثواب والعقاب ، وسهولة اللفظ بتلك
اللفظة / وضعيته - فان في هذه الصورة نعلم بالضرورة أنه يرجح الصدق
على الكذب ، وذلك يدل على أن جهة الحسن جهة دعاء ، وجهة القبح جهة
صرف .

وإذا ثبت هذا في الشاهد فنقيس الغائب عليه ، فنقول : (٩) هذا الترجيح
لا بد فيه من علة ، وتلك العلة ليست الا علمه بأن هذا حسن ، وبأن ذاك (١٢)

ج ٨٦

- (١) الأربعين : أما المقدمة الثانية فهي .
- (٢) الأربعين : . . أن يفعل القبيح ، فقد ذكرنا في تقرير هذا طريقين .
- (٣) الأصل (ص) : الأولى ، والمثبت من " الأربعين " .
- (٤) الأربعين : الأول - أنا ببداهة العقل نعلم .
- (٥) الأربعين : هذه .
- (٦) الأربعين : خاليا .
- (٧) لانسان : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : الانسان .
- (٨) مضارهما : كذا في " الأربعين " ، وفي الأصل (ص) : مضارها .
- (٩) الأربعين : التلفظ .
- (١٠) الأربعين : فنقيس عليه الغائب ونقول .
- (١١) الأربعين : فتلك .
- (١٢) الأربعين : حسن وذلك .

قبيح ، لأننا كلما علمناه قبيحا علمنا هذه المرجوحية ، وكلما علمناه حسنا علمنا هذه الراجحية . فلما دار العلم بأحدهما مع العلم بالآخر وجسودا وعندما علمنا أن العلة في هذا البعث وفي [هذا] ^(٢) المنع ليس إلا العلم بهذه ^(٣) الجهة ، وإذا كان [هذا] ^(٤) العلم حاصلًا في حق الله تعالى وجب أن يترتب عليه ^(٥) هذا البعث وهذا المنع .

ثم قال ^(٦) : " هذا غاية تقرير كلام المعتزلة في هذه المسألة " .

قال ^(٨) : " والجواب أما المقدمة الأولى من هذا الدليل فهي مبنية على أن الحسن والقبح انما يشبتان لوجوه عائدة الى الفعل ، وقد أبطلنا هذه القاعدة ، سلمنا أنه سبحانه عالم يقبح القبيح ، وعالم بكونه غنيا عنه ^(٩) ، فلم ^(١٠) قلتم : ان كل من كان كذلك فانه لا يفعل القبيح ؟ .

وتقريره ، أنكم اما أن تقولوا : " ان كل من كان كذلك فانه يتمتع مع هذه الحال ^(١١) أن يفعل القبيح " أو لاتدعو الامتناع العقلي ، فان ادعيتم الامتناع العقلي ، لم يكن الله قادرا ^(١٢) مختارا ؛ لأن الاستغناء والعلم بالاستغناء ^(١٣) من لوازم ذاته [وترك القبيح من لوازم هذا الاستغناء وهذا العلم ، ولازم اللازم ^(١٤)] فترك القبيح من لوازم الذات المخصوصة .

(١) لأننا كلما : كذا في " الأريمين " ، وفي الأصل (ص) : لا كلما .

(٢) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأريمين " .

(٣) بهذه : كذا في " الأريمين " ، وفي الأصل (ص) بهذا .

(٤) هذا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأريمين " .

(٥) عليه : كذا في " الأريمين " ، وفي الأصل (ص) : عله .

(٦) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٢ .

(٧) الأريمين : وهذا .

(٨) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٩) أنه سبحانه : كذا في الأصل (ص) ، وفي " الأريمين " أنه تعالى .

(١٠) عنه : سقطت من " الأريمين " .

(١١) الأريمين : الحالة .

(١٢) الأريمين : الله تعالى .

(١٣) الأريمين : والعلم بذلك الاستغناء .

(١٤) ما بين القوسين المكونين ساقط من الأصل (ص) ، وأثبتته من " الأريمين " .

وإذا كان كذلك كان ترك القبيح أمرا واجبا بالذات ، متمنع العدم ،
وإذا كان ترك القبيح [أمرا^(١)] واجبا بالذات كان إيصال الثواب إلى
المستحق أمرا واجبا وجوبا بالذات ، لأن تركه لما كان قبيحا متمنعا
بالذات كان فعله فعلا واجبا بالذات ، فحينئذ يلزم أن تكون ذاته تعالى
موجبا لحصول الثواب ووصوله إلى المستحق ، وأن لا يكون قادرا على الترك أصلا .
فأثبت الحكمة على هذا الوجه يقدر في كونه قادرا ؛ لأن الحكمة^(٢)
مفرعة على كونه قادرا ، والفرع إذا استلزم فساد الأصل كان باطلا ، فالقول
بالحكمة يجب أن يكون باطلا على هذا القول .

وأيا إذا كان الفعل موقوفا على الداعي لزم الجبر ، وإذا لزم الجبر كان
الله تعالى فاعلا لجميع أفعال العباد ، بواسطة خلق القدرة والداعي
الموجبين لها ، وإذا كان كذلك امتنع أن يقال : انه تعالى لا يفعل هذه الأفعال^(٥)
وأما القسم الثاني ، وهو أن تقولوا : ان كونه تعالى غنيا مع كونه عالما
بكونه غنيا لا ينافي فعل القبيح ، ولم يكن بين حصول هذا الفعل وحصول ذلك
الوصف منافاة ولا معاندة أصلا . وحينئذ يتمذر الاستدلال بذلك الوصف على
أنه تعالى لا يفعل القبيح ، لأن كل ما لم يكن فيه امتناع لا يلزم من فرض وجوده^(٨)
محال ولا فساد . فهذا / سؤال صعب على ما ذكره .

ظ ٨٦

رد ابن تيمية قلت : فهذا كلام الرازي بلفظه ، وهو غاية ما عنده من الجواب ، قوله :
" أما المقدمة من هذا الدليل ، فهي مبنية على أن الحسن والقبح انما^(١١)

- (١) أمرا : سقطت من الأصل (ص) ، وأثبتها من " الأربعة " .
- (٢) بالذات : كذا في " الأربعة " ، وفي الأصل (ص) : الذات .
- (٣) الأربعة : إلا أن .
- (٤) مفرعة : كذا في " الأربعة " . وفي الأصل (ص) : مفرعة .
- (٥) الأربعة : الموجب .
- (٦) الأربعة : فحينئذ .
- (٧) الأربعة : لم يلزم .
- (٨) وجوده : كذا في " الأربعة " . وفي الأصل (ص) : وجود .
- (٩) الأصل (ص) : بلفظ .
- (١٠) قوله : في الأصل (ص) رسمت هكذا : قاله .
- (١١) في نقل ابن تيمية للنص قبل قليل : أما المقدمة الأولى .

يشتان لوجوه عائدة الى الفعل ، وقد أبطلنا هذه القاعدة " . فيقال : قولك :
" أبطلنا هذه القاعدة " ممنوع ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى .
وقد تعقب أبو الحسن الآمدي ، فذكر ما احتج به أصحابه بهم في هذه
المسألة ، وبين فساده ، واحتج بما هو أضعف مما ذكره غيره ؛ فقال : " ان
الحسن والقبح عرض ، والفعل عرض ، والعرض لا يقوم بعرض " (١) .
فيقال له : لا ريب أن الأعراس توصف ؛ فيقال : حركة سريعة وبطيئة ، وبياض
شديد وضعيف ، ومحبة قوية وضعيفة ، واعتقاد مطابق وغير مطابق ، وقول صادق
وكاذب ، وأمر رشيد وغير رشيد . والأفعال باعتبار كونها ملائمة للفاعل ومنافرة
له : حسنها وقبحها (٢) صفتان ثابتتان للأفعال باتفاق العقلاء ، فعلم أنه لا يمتنع
عند أحد في العقل أن تكون للفعل صفة باعتبارها كان حسنا وقبيحا ، فمن نفسى
القبح العقلي مطلقا بنا على أن الفعل لا يوصف بصفة من الصفات فقد خالف اجماع
العقلاء .

ثم الذين قالوا : " ان العرض لا يقوم بالعرض " مرادهم أن كلا العرضين يقومان
بالعين القائمة بنفسها ، كما تسمى " جسما " و " جوهرًا " ، وحينئذ فيكون الحسن
والقبح مع الفعل صفات قائمة بالفاعل ، لكن احدي الصفتين مشروطة بالأخرى .

ثم يقال : لو لم يكن حسن الفعل وقبحه لمعنى يعود اليه ، للزم ترجيح الشارع
لأحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح ، ولجاز أن يأمر بالشرك والكذب والكفر ، وينهى
عن الصدق والعدل والتوحيد ، ولكان لا فرق بين هذا وهذا ، ولا فرق بين النهي عن
المعروف والأمر بالمنكر ، وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا بين تحليل
الطيبات وتحليل الخبائث ، ولا بين تحريم الخبائث وتحريم الطيبات ، ولم يكن مسدح
الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحلل الطيبات
ويحرم الخبائث ، الا بمنزلة أن يقال : يأمر بما يأمر به ، وينهى عما ينهى عنه ،

(١) انظر كلام الآمدي في ذلك في كتابه " غاية المرام في علم الكلام " ، ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٢) الأصل (ص) : وقبحا .

(٣) الأصل (ص) : القبيح .

(٤) الأصل (ص) : يؤمر . ولعل الصواب ما أثبت .

(٥) الأصل (ص) : المنهى . ولعل الصواب ما أثبت .

ويحل ما يحل ، ويحرم ما يحرم ، ولكن يجوز أن يأمر الله تعالى بالفحشاء ، ويحب الفساد ، ويرضى لعباده الكفر ، إذ الجميع عند النفاة [سواء^(٢)] ، لم يختص بعضها بصفة يكون لأجلها لا حسنة مأمورا بها محبوبة ، ولا سيئة منهي عنها مكروهة . وهذا مما يعلم بطلانه بالاضطرار عقلا وشرعا .

ج ٨٧

ولوازم هذا القول الفاسد أكثر من أن يمكن حصرها / فان هذا القول مبنسأه على أن جميع الأعيان والأفعال سواء في نفس الأمر ، ليس بعضها صفة توجب أن يفضل بها على الأخرى حتى يحب الله تعالى هذا ويأمر به ، ويبغض هذا وينهي عنه . ومن تدبر القرآن العزيز وجد مخالفا لهذا القول ، بل هذا مخالف لما فطر الله تعالى عليه العقلاء ، ولهذا لم يعرف هذا القول عن أحد من سلف الأمة وأئمتها الأربعة ولا غيرهم . بل قد ذكره أبو نصر السجزي وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني ، وغيرهما من أهل الحديث والسنة - من البدع المحدث في الاسلام ، وأضافوه الى أبي الحسن ، وعدوه ما ينكر على أبي الحسن .

قال تعالى : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)^(٦) . وقال تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كييف تحكون)^(٧) . وقال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)^(٨) .

(١) الأصل (ص) : الجميع .

(٢) سواء : ليست في الأصل (ص) ، ولعلها ساقطة .

(٣) الأصل (ص) : ذكر ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الواثلي البكري السجزي ، نسبة الى سجستان ، سمع الكثير بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر ، وتوفي بمكة سنة ٤٤٤ ، وكان متقنا كثيرا بصيرا بالحديث .

انظر: تذكرة الحفاظ ٣/١١١٨ - ١١٢٠ ؛ البداية والنهاية ١٢/١١٧ ؛ شذرات الذهب ٣/

٢٧١ - ٢٧٢ ؛ الأعلام ٤/١٩٤ .

(٥) هو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني ، رحل الى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان اماما حافظا متعبدا ، انقطع في آخر عمره بمكة ، وتوفي سنة ٤٧١ .

انظر: تذكرة الحفاظ ٣/١١٧٤ - ١١٧٨ ؛ البداية والنهاية ١٢/١٢٠ ؛ شذرات الذهب ٣/

٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٦) سورة ص : ٢٨ .

(٧) سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦ .

(٨) سورة الجاثية : ٢١ .

هنا ينتهي ما انفردت به (ص) الذي بدأ صفحة ٣٤٧ . وبه تنتهي هذه المخطوطة . ونعمود الآن الى نسخ (خ ، ي ، ك) ، وقد تركناها مع بدأ هذه الزيادة التي انفردت بها (ص) . وساعتمد (ك) أصلا وأقابل الأخرتين عليها ، والكلام الآتي يبدأ في (ك) ص ٢٣ .

/ فصل /

ص ٢٣

دليل الأصبهاني
على "حياة الله"
وأما قوله: "والدليل على أنه حي علمه وقدرته؛ لاستحالة قيام العلم والقدرة
بغير الحي".

شرح ابن تيمية
فهذا دليل مشهور للنظار؛ يقولون: قد علم أن من شرط العلم والقدرة
الحياة؛ فان ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالماً، ان الميت لا يكون عالماً، والعلم
بهذا ضروري.

وقد يقولون: هذه الشروط العقلية لا تختف شاهداً ولا غائباً، فتقدير عالم
لا حياة به ممتنع بصريح العقل.

دليل الأصبهاني
على "إرادة الله"
وكذلك قوله: "والدليل على إرادته تخصيصه الأشياء بخصوصيات، واستحالة
المخصص من غير مخصص".

شرح ابن تيمية
فان هذا دليل مشهور للنظار، ويقرر هكذا: ان العالم^(٥) فيه تخصيصات
كثيرة؛ مثل تخصيص كل شيء بما له من القدر والصفات والحركات؛ كطول وقصره،
وطعمه ولونه وريحه، وحياته وقدرته وعلمه، وسمعه وبصره، وسائر ما فيه، مع العلم
الضروري بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك؛ ان ليس واجب الوجود بنفسه.
ومعلوم أن الذات المجردة التي لا إرادة لها لا تخصص، وانما يكتسب
التخصص بالإرادة.

ولو قيل: التخصيص هو بأسباب معلومة؛ كالأرض والأشجار تكون مختلفة،
فاذا سقطت بما واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوايل، كما أن الشمس تختلف
آثارها بحسب القوايل، كما تبيض الثوب، وتَسْوَدُّ وجه القصار، وتلين اليأس^(٦)

-
- (١) الميت: كذا في (ك)، وفي (خ، س): الموات.
 - (٢) والدليل: كذا في (ك)، وفي (خ، س): والدلالة. وأمام هذا الموضع كتبت في (ص): بحسب
الإرادة.
 - (٣) س: لخصوصيات.
 - (٤) هكذا: كذا في (ك)، وفي (خ، س): هذا.
 - (٥) س: للعالم.
 - (٦) في "لسان العرب" مادة "قصر": "القَصَّارُ والمَقْصَرُ: المَحْوَرُّ للشَّبابِ لأنَّهُ يَدُقُّهَا بالقَصْرِةِ الَّتِي
هِيَ القِطْعَةُ مِنَ الخَشَبِ وحرفته القِصْرَةُ".

الذي لم ينضج بما تجذبه^(١) اليه من الرطوبة، وتجفف الرطب الذي كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه .

قيل : هب أن الأمر كذلك، فما الموجب لاختلاف القوابل، حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر؟ فلا بد أن ينتهي الأمر الى سبب لا سبب فوقه .

فان قيل : هو شي * صدر عنه، كما تقول المتفلسفة : لا يصدر عن الواحد الا واحد، والصادر الأول هو العقل، وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك .
فهذا باطل؛ لأنه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه، لم يصدر عنه أيضا الا واحد؛ وان كان فيه كثرة فقد صدر عن / الواحد أكثر من واحد .

ص ٢٤

وان قيل : "الكثرة عدمية" لزم أن يصدر عن المدم وجود .
ثم يقال : الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع، فما الموجب لكثرة كواكبه؟
ثم قيل : السبب الأول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة، لأن التخصيص بذات لا ارادة^(٢) لها مستنع بصريح العقل^(٣) .
وان قيل : ليس له اختصاص بصفة وقدره .
قيل : هذا يقتضي أن يكون وجودا مطلقا، والمطلق لا يكون الا في الأذهان،
لا في الأعيان^(٤) .

(١) تجذبه : كذا في (ك)، وفي (خ، س) : تجذبه .

(٢) ك : الارادة .

(٣) بصريح : كذا في (ك)، وفي (خ، س) : في صريح .

(٤) في (ك) بعد نهاية هذا الفصل وقبل الفصل التالي وهو قوله : " فصل وأما قوله والدليل على كونه متكلما . . . " يقع فصل مستقل يبدأ بقوله، ص ٢٤ : " فصل، كثير من النظائر كابن كلاب وموافقه . . . " وينتهي بقوله، ص ٤٢ : " . . . بل وعليه جماهير العقلاء وأكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة " .

وقد تضمنت مخطوطة (ص) هذا الفصل، وأثبتته في موضعه ما تقدم، ص ١٧٥-٢٣٨ معارضا بما في (ك) .

فصل /

ص ٤٢

دليل الأصبهاني على كون الله متكلماً
وأما قوله : " والدليل على كونه متكلماً أنه أمر ونه^(١) ، لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلماً الا ذلك " .

شرح ابن تيمية فنقول : السلف والأئمة وغيرهم لهم في اثبات كونه متكلماً طريقان : فانهم

يشتون ذلك بالسمع تارة وبالعقل أخرى ، كما يوجد مثل ذلك في كلام الاسام

أحمد وغيره من الأئمة ، وفي كلام متكلمة الصفاتية : كعبد العزيز المكي ، وأبي

محمد بن كلاب ، وأبي عبد الله بن كرام / وأبي الحسن الأشعري ونحوهم .

ص ٤٣

والطرق التي أظهرها من العقلية قد دل القرآن عليها ، وأرشد اليها ،

كما دل القرآن على الطرق العقلية التي يثبت بها سائر قواعد العقائد ، المسماة

" بأصول الدين " .

تنوع الأقيسة لكن الدليل قد تتنوع عباراته وتراكيبه ، فانه تارة يركب على وجه الشمول :
وما يستعمل منها

في حق الله المنقسم الى قياس تداخل ، وقياس تلازم ، وقياس تعاند ؛ الذي يسمى الحظي ،
تعالسي

والشرطي المتصل ، والشرطي المنفصل .

وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد لليقين ، بأن يجعل المشترك بين

الأصل والفرع - الذي يسمى في قياس التمثيل " المناط " و " الوصف " و " العلة " .

" والمشارك " و " الجامع " ونحو ذلك من العبارات - هو الحد الأوسط في قياس الشمول .

(١) خ ، س : أمرناه .

(٢) مع بداية هذا الفصل تمود مخطوطة (ن) التي انقطعت في صفحة ٢٣٨ . هكذا : فصل ، السلف

والأئمة وغيرهم . .

(٣) ن : كون الله .

(٤) كتب في هامش (ك) : " هو صاحب " الحيدة " الذي طبع بمصر " .

وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي ، تفقه بالامام الشافعي ،

وطالت صحبته له ، وكان من أهل الفضل والعلم ، وله مصنفات ، منها " الحيدة " وهو تسجيل لمناظرتة

ليشر المرسي التي جرت في مجلس المأمون ، وقد طبع مرارا ، توفي عبد العزيز في حدود سنة ٢٤٠ .

انظر : تاريخ بغداد ١٠ / ٤٤٩ - ٤٥٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢ / ٦٣٩ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي

٢ / ١٤٤ - ١٤٥ ؛ تهذيب التهذيب ٦ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ شذرات الذهب ٢ / ٩٥ ؛ الأعلام ٤ / ٢٩ .

(٥) ن : عقائد القواعد .

(٦) خ ، س : عبارته وتركيبه .

(٧) ك : بالحظي .

(٨) ن : المقيد .

(٩) من قوله هنا : " بأن يجعل المشترك " الى قوله صفحة ٣٩٨ : " . الأولى فيؤلف " ساقط من (خ ، س) .

(١٠) ن : فن .

فإذا قال ناظم القياس الأول: "نبهنا الحبوب المسكر حرام، قياسا على
خمر العنب؛ لأنه خمر، فكان حراما قياسا عليه" فهذا كما يقال في نظم قياس
الشمول: "هذا النبذ خمر، وكل خمر حرام؛ أو فيه الشدة المطربة، وما فيه
الشدة المطربة فهو حرام" وما ثبت به هذه المقدمة الكبرى يثبت به كـ
المشترك علة الحكم^(١)، وبهذا تبين أن قياس التمثيل قد يكون أتم في البيان
من قياس الشمول.

فأما ما يقوله طائفة من النظار من أن قياس الشمول هو الذي يفيد^(٢)
اليقين دون التمثيل، فهذا لا يصح إلا بحسب المواد، بأن يوجد ذلك في
مادة يقينية وهذا في مادة ظنية؛ وحينئذ قد يقال: بل ذلك يفيد اليقين
دون هذا.

وسبب عظمتهم أنهم تعودوا كثيرا استعمال التمثيل في الظنيات، واستعمال
الشمول في اليقينية عندهم، فظنوا هذا من صورة القياس، وليس الأمر كذلك،
بل هو من المادة. وقد بسط الكلام على هذا في مواضع غير هذا الموضع، كالرد
على الفالطين في المنطق وغير ذلك^(٣).

قياس الأولسى ثم القياس تارة يعتبر فيه القدر المشترك من غير اعتبار الأولوية، وتارة
يعتبر فيه الأولوية، فيؤلف^(٤) على وجه قياس الأولى، وهو وأن كان قد يجعل
نوعا من قياس الشمول والتمثيل، فله خاصة يمتاز بها عن سائر الأنواع؛ وهو أن
يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه^(٥).

(١) أمام هذا الموضع في هامش (ن) كتب كلمة "بلخ".

(٢) ن: يقيد.

(٣) بسط ابن تيمية الكلام في قياس الشمول، وقياس التمثيل، والموازنة بينهما، في كتاب الرد على المنطقيين

ص ١١٥ - ١٢١، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٣٣، ٢٣٥.

(٤) هنا نهاية ما سقط من (خ، س) الذي أشرت إلى بدايته ص ٣٩٧ وجاء الكلام فيهما. كما يلي: " . .

وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد لليقين وتارة على وجه قياس الاستقراء التام المفيد لليقين،
وتارة على وجه قياس الأولى . . الخ .

(٥) ن، ك: وهو أن .

(٦) ن: على .

(٧) خ، س: أولى بالثبوت من الدليل .

وهذا النمط هو الذى كان السلف والأئمة - كالامام أحمد وغيره ممن
السلف - يسلكونه من القياس العقلي في أمر الربوبية ، وهو الذى جاء به القرآن .
وذلك أن الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس شمول
تستوى أفراده ، ولا تحت قياس تمثيل يستوى^(١) فيه حكم الأصل والفرع ، فان الله
تعالى ليس كمثل شي * لاني نفسه المذكورة بأسمائه وصفاته ، ولا في أفعاله ،
ولكن يسلك^(٢) في شأنه^(٥) قياس الأولى ، كما قال [تعالى]^(٦) : (ولله المثل الأعلى)^(٧) ؛
فانه من المعلوم أن كل كمال ونعت ومدوح لنفسه لانقص فيه ، يكون لبعض^(٨)
الموجودات المخلوقة المحدثه - فالرب الخالق الصمد القويم القديم الواجب
الوجود بنفسه هو أولى به ؛ وكل نقص وعيب يجب / أن ينزه عنه بعض المخلوقات
المحدثه الممكنة - فالرب الخالق القدوس السلام القديم الواجب وجوده بنفسه
هو أولى بأن ينزه عنه .

ص ٤٤

بطلان أقيسة أهل الفلسفة والكلام
وأما اذا سلك مسلك المشبهين لله بخلقه ، المشركين به ، الذين
يجعلون له عدلا ونادا ومثلا ، فيسوون^(١٠) بينه وبين غيره في الأمور ، كما يفعله
أهل الضلال من أهل الفلسفة والكلام من المعتزلة وغيرهم - فان ذلك يكون قولا^(١٢)
باطلا من وجوه :

منها أن تلك القضية الكلية التي تعمه وغيره قد لا يمكنهم اثباتها عاممة^(١٣)

-
- (١) ك : تحت قياس الشمول الذى تستوى أفراده ، ولا تحت قياس التمثيل الذى يستوى .
(٢) تعالى : في (ك) فقط .
(٣) ك : ولا في صفاته .
(٤) ن : سلك .
(٥) عبارة " في شأنه " سقطت من (خ ، س) .
(٦) تعالى : زيادة في (ن) .
(٧) سورة النحل : ٦٠ وفي (ن) : (وله المثل الأعلى) سورة الروم : ٢٧ .
(٨) عبارة " لانقص فيه " ساقطة من (خ ، س) .
(٩) ن : المحكومة .
(١٠) س : أو مثلا .
(١١) ن : ويسوون .
(١٢) من قوله هنا : " فان ذلك يكون " الى قوله في صفحة ٤٠٧ : " .. والمتولد عنه ، قال تعالى " ساقط من (ن) .
(١٣) لا يمكنهم : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : لا يمكنهما .

الا بمجرد قياس التمثيل ، وقياس التمثيل ان أفاد اليقين في غير هذا الموضوع
ففي هذا الموضوع قد لا يفيد الظن ، للعلم بانتفاء الفارق .
ومنها أنهم اذا حكموا على القدر المشترك الذي هو " الحد الأوسط " بحكم
يتناوله والمخلوقات كانوا بين أمرين : اما أن يجعلوه كالمخلوقات ، أو يجعلوا
المخلوقات مثله ، فينتقض عليهم طرد الدليل فيبطل .

مثال ذلك قول الفلاسفة الواحد لا يصدر عنه الا واحد ، وهو
واحد ، فلا يصدر عنه الا واحد " فانه يحتاج أن يعلم أولا قوله : " الواحد لا يصدر
عنه الا واحد " فان هذه قضية كلية ، وكل قياس شمولي فلا بد فيه من قضية كلية ،
وعلمه بأن كل واحد لا يصدر عنه الا واحد ، اما أن يكون باستقراء الآحاد ، واما
بقياس بعضها الي بعض ، وهذا استقراء ناقص ، وهذا تمثيل ، وهما عنده
لا يفيدان اليقين .

فان قال : " أعلم بالبدئية أن الواحد لا يصدر عنه الا واحد " كان هذا
مكابرة لعقله ، فان العلوم الكلية المطابقة للأمر الخارجية ليست مفرزة في
الغطرة ابتداء بدون العلم بأمر معينة منها ، لكن لكن لكثرة العلم بالأمور
المعينة الجزئية يجرى العقل الكليات ، فتبقى القضية العامة ثابتة في العقل
لاحتجاج الي شواهد وأمثلة جزئية ، الا أن يكون علم تلك القضية العقلية مسن
تركب قضايا آخر ، وقوله : " الواحد لا يصدر عنه الا واحد " ليس من هذا . ولا من هذا .
ثم اذا تصور مفردات هذه القضية علم يقينا أنه ليس عنده منها علم ، بل
علم أن الواقع خلافها ؛ فان قوله : " الواحد " ان عني به الواحد الذي لا يعلم منه
أمران : ليس أحدهما الآخر ، فليس في الوجود واحد بهذا الاعتبار . فانه يعلم
أن واجب الوجود موجود ، وأنه واجب الوجود ، وأنه عاقل ومعقول وعقل ،

(١) وعلمه : كذا في (خ) ، وفي (ك ، س) : وعلمه .

(٢) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب ابطال قولهم : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .

وأن له عناية ، وأمثال هذه المعاني التي ليس أحدها هو الآخر ؛ فان الوجوب ليس هو الوجود ، ولا الوجوب والوجود هو العاقل ، ولا العاقل هو المعقول ، ولا العاقل والمعقول هو ذو العناية .

وان قال : " هذه كلها سلوب واضافات محضة " كان مكابرا لعقله ؛ فان كون الشيء يعقل ليس / هو كونه لا يعقل^(١) ، ولا كونه عالما مجرد نسبة محضة الى المعلوم ، كالأمر الاضافية التي لا يتغير بها حال المضاف : كالتيامن والتياسر ، فانه من المعلوم أن كون الشيء متيامنا [عنك^(٢)] أو متياسرا عنك لا يختلف به حاله في الموضوعين . وأما كون الشيء عالما فيخالف كونه غير عالم ، كما أن كونه محبا يخالف كونه غير محب ، وكونه قادرا يخالف كونه غير قادر . ومن جعل الشيء حال كونه عالما وحال كونه غير عالم سوا ، فهو مصاب نفسي عقله ، وهذا من أعظم السفسطة .

ص ٤٥

وكذلك من جعل كونه ذا عناية هو مجرد كونه عاقلا ، فان هذا من أعظم السفسطة ، والعقل الصريح يعلم أن كون الشيء عالما ليس هو مجرد كونه مريدا ، ولا مجرد كونه مريدا هو مجرد كونه عالما .

ولو قيل : " ان أحدهما يستلزم الآخر " فالتلازم لا يوجب كون الملزوم هو اللازم ، وان قيل في أى موجود فرض : " ان علمه هو ارادته ، و ارادته هي حياته ، وأن ذلك هو وجوده " كان فساد هذا من أبين الأمور في العقل .

كما اذا قيل : ان هذه التفاحة : " طعمها هو مجرد لونها ، ولونها هو مجرد ريحها ، وريحها مجرد شكلها ، وشكلها هو عين ذاتها " فهذا الكلام من تصور من الناس وفهمه حتى الصبيان المميزين علم أن قائله من أضل الناس وأجهلهم . فهذا الواحد الذي يصفونه يمتنع في الموجود الواجب ، فهو في غيره

(١) ك : ليس هو كونه يعقل .

(٢) عنك : ساقطة من (ك) .

(٣) وان : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : فان .

قول الفلاسفة عن واجب الوجود : "انه وجود مطلق بشرط الاطلاق"

ولهذا يؤول بهم الأمر الى أن يجعلوه (١) وجودا مطلقا بشرط
الاطلاق كما يجعله المعتزلة ذاتا مجردة من الصفات ، وكلاهما ما يعلم
بصريح العقل انتفاء ثبوته في الخارج ، بل المطلق لا بشرط يمتنع ثبوته في الخارج .
وهم يجعلون موضوع " العلم الالهي " هذا الوجود المنقسم الى واجب (٢)
وممكن ، وجوهر وعرض ، عقلية ومعلول ؛ ويجعلون هذا هو " الفلسفة الأولى " و
" الحكمة العظمى " وهم يعلمون أن الكليات المقسومة - سواء سميت جنسا أو لم
تسم جنسا - لا توجد في الخارج كلية ؛ فليس في الخارج الحيوان المنقسم الى
ناطق وأعجم ، ولا الوجود المنقسم الى جوهر وعرض .

بل كل حيوان يوجد في الخارج فهو من هذا القسم [أو من هذا القسم] (٣) ،
وكل موجود يوجد في الخارج فهو اما [قائم بنفسه واما] (٤) قائم بغيره ، وهذا
المقسوم صادق على أقسامه ، فهو مطلق لا بشرط الاطلاق ؛ فانه لو شرط فيه
الاطلاق لم يصدق على المعينات ، فان المعين ليس مطلقا بشرط الاطلاق .

فان كان المطلق لا بشرط الاطلاق لا يوجد في الخارج [إلا معيناً ،
فالمطلق بشرط الاطلاق يمتنع وجوده في الخارج ، وهم قد اعترفوا بهذا في المنطق ،
وبينوا أن المطلق بشرط الاطلاق لا يوجد في الخارج] (٥) فلا يوجد فيه حيوان
مطلق بشرط الاطلاق ، ولا انسان مطلق بشرط الاطلاق ، وهذا بين لجميع
المعتاد .

-
- (١) يجعلوه : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : يجعلونه .
 - (٢) الوجود : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : الموجود .
 - (٣) ما بين القوسين في (خ) فقط (في الموضوعين) .
 - (٤) وهذا : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : وهو .
 - (٥) ك : الصادق .
 - (٦) وبينوا : كذا في (ص) ، وفي (خ) : وتبينوا .
 - (٧) ما بين القوسين ساقط من (ك) .

ثم قالوا في الموجود الواجب الوجود: " انه وجود مطلق بشرط الاطلاق " .
وقد علم بصريح العقل أن الوجود المطلق بشرط الاطلاق لا يكون في الخارج ، وإنما
هو أمر يقدر / في العقل - فعاد الوجود الواجب الذي أبدع العالم كله ،
وهوربه ومالكه الى أمر يقدر في العقل ، لاحقيقة له في الخارج عن الذهن ،
ولا ثبت له في نفس الأمر ، وهذا عين التعطيل للموجود الواجب الذي شهد
به الوجود من حيث هو وجود .^(١)

فان الوجود من حيث هو وجود يشهد بوجود واجب الوجود - كما قال ابن
سينا وغيره^(٢) ، وأصابوا في ذلك - فانه لا ريب أن ثم وجودا ، وأنه اما واجب
واما ممكن ، والممكن لا بد له من واجب ، ثبت أنه لا بد في الوجود من موجود^(٣)
واجب .

فهذا البيان الذي ذكروه في اثبات واجب الوجود حق واضح مبين ، لكنهم
زعموا مع ذلك أنه وجود مطلق بشرط الاطلاق : لا يتعين ولا يتخصص بحقيقة
يمتاز بها عن سائر الموجودات ، بل حقيقته وجود محض مطلق ، بشرط نفسي
جميع القيود والمعينات والمخصصات [عنه^(٤)] .

وهم يملمون في المنطق - وكل عاقل تصور هذا الكلام - أن هذا الاحقيقة
له ، ولا وجود له^(٥) الا في الذهن ، لا في الخارج ، فصار الموجود الواجب
الذي يشهد به الوجود في الخارج لا يوجد الا في الذهن !
وهذا من أبين التناقض والاضطراب والجمع بين النقيضين ؛ حيث جعلوه
بموجب البرهان الحق موجودا في الخارج ، وبموجب سلب الصفات - وهو
التوحيد الذي تخيلوه - معدوما في الخارج ؛ فصار قولهم مستلزما لوجوده وعدمه .

(١) ك : الموجود .

(٢) نقلت كلام ابن سينا في ذلك من كتابه " الاشارات والتنبيهات " فيما تقدم ص ٣٨ ت ٤ .

(٣) س : وجود .

(٤) عنه : ساقطة من (ك) .

(٥) له : في (ك) فقط .

وانا استدلووا على ذلك بالنار التي لا يصدر عنها الا الاحراق ، وبسائر
الأجسام البسيطة كالماء ، أو بالشمس التي يصدر عنها الشعاع - لم يكن شبيء
من هذه المعينات داخل^(١) في قضيتهم الكلية ؛ فان الاحراق لا يصدر عن النار
وحدها ، بل لابد من محل قابل للاحراق ، ولهذا لا يصدر عنها الاحراق فسي
السندل^(٢) والياقوت^(٣) ونحوهما من الأجسام التي لا تقبل الاحراق ، وكذلك
المبردات . ثم ان الاحراق له موانع تمنعه ، فهو موقوف على ثبوت شروط
وانتفاء موانع غير النار ، فلم يصر صادرا عن النار بالمعنى الذي أرادوه بالحجة^(٤)
وهو لزومه لذات النار بحيث لا ينفك عنها .

وانما يعقل هذا اللزوم في صفات الملزوم : كاستدارة الشمس والضوء
الغائم بها ونحو ذلك ؛ فان هذا لازم لها لا يفارق ذاتها ، بخلاف الضوء
الغائم بما يقابلها من الأجسام ، وهو الشعاع المنعكس على الأجسام المسطحة^(٥)
كالأرض ، والقائمة كأشخاص الجبال والحيوان والنبات والحيطان - فان هذا

(١) س : داخله .

(٢) ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ٤٣٤/٦، ٣٠٩/٥ السندل ، أو السندل ، وقال : " انه طائر
هندي " وقال عنه الديميري في حياة الحيوان الكبرى ٥٧٣/١ : " هي دابة دون الثعلب ،
خلنجية اللون ، حمراء العين ، ذات ذنب طويل " وتكلم القزويني في عجائب المخلوقات عن
أصناف الغار ، فقال ص ٢٧٢ : " ومنها صنف يقال له : سمندل ، يشبه الغار ، وليس بغار " ، وقد
ذكرت هذه الكتب الثلاثة أنه يدخل النار ولا يحترق .

وانظر ما ذكره الأستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان للجاحظ ٣٠٩/٥ - ٣١٠ .
(٣) تكلم البيروني طويلا عن الياقوت في كتاب " الجماهر في معرفة الجواهر " فذكر (ص ٣٢) أنه
أنفس الجواهر وأغلاها ، وأنه أنواع ، وذكر (ص ٤٦) أنه بصلابته يغلب مادونه من الأحجار ، ثم
يفلبيه الألماس .

وقال القزويني في كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات " ، ص ١٤٣ - : " حجر ياقوت :
حجر صلب ، شديد اليبس ، رزين ، شفاف ، صاف ، مختلف الألوان : أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ،
وأصل كلها ماء صاف ، وقف في معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا ففلظ وصفا وثقل ،
أنضجت حرارة المعدن بطول وقوفه فصير صلبا لا تدويه النار لقلته دهنيته " .

(٤) بالحجة : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : في الحجة .

(٥) المسطحة : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : المسطوحة .

ليس لازماً لذات الشمس ، بل هو موقوف على وجود هذه المخال التي يقسم
بها هذا العرض . وهو أيضا ممنوع عنها بالحجب : كالسحاب الكثيف
والسقوف^(٢) وغير ذلك . وهذا الشعاع كالظل يكون بسبب الحجاب بينها وبين
ما يظله الحجاب ، فيوجد تارة ويعدم أخرى ، ولهذا يوجد الليل تارة والنهار
أخرى .

فهذا بيان أن ما قدروه من الواحد ومن الصدور عنه ، أمر لا يعقل في
الخارج أصلاً ، فضلاً عن أن يكون قضية كلية عامة .

وأما إذا قدروا واحداً يفرضونه في أنفسهم ، وصدورا يفرضونه في أنفسهم ؛
فلا ريب أن هذا ملازمة^(٣) حكم يكون في أنفسهم ، لكن لا يعلم أنه مطابق للخارج
حتى يعلم أن واجب الوجود هو هذا الواحد ، وأن ابداعه للعالم هو هذا
الصدور .

ولو علموا ذلك لما احتاجوا إلى هذا القياس ، فهذا القياس لا يفيدهم
شيئاً ؛ إذ مطلوبه علم معين بقضية كلية ، وتلك القضية لا مرد لها أصلاً إلا
ما يدعونه في ذلك المعين ، فهم ان علموا ثبوت الحكم لذلك المعين بدون
تلك القضية لم يحتاجوا إليها ، وان لم يعلموا ثبوت الحكم للمعين بدون تلك
القضية لم يعلم صدق القضية عليه فلا يفيد .

بل إذا عورضوا بنقيض ما قالوه كان أبين في القياس ؛ فيقال لهم : ليس في
الوجود واحد يصدر عنه واحد ، بل كل صادر في الوجود فهو عن اثنين فصاعداً ،
فلا حادث عن المخلوقات إلا عن أصليين : كالولد بين أبوين ، والتسخين ،
والتبريد ، والاحراق ، والاغراق ، وغير ذلك ، لا بد فيه من اثنين ،

(١) الحال : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : الحال .

(٢) والسقوف : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : والكسوف .

(٣) خ : ملزمة .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : ان هذا .

(٥) ك : الواجب .

(٦) س : من . وأمام هذا الموضع كتب في هامشها : مطلب في معارضة قولهم الواحد لا يصدر عنه

إلا واحد .

(٧) كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : والتدبير .

والشعاع المنبسط / لا بد فيه من اثنين .

فإذا لم يكن في الوجود واحد لا يصدر عنه واحد ، كان قول القائل : ليس كل واحد لا يصدر عنه الا واحد ، أصح في العقل والقياس من قولهم ، بل لو قال : الواحد الذي ذكره لا يصدر عنه شيء أصلاً ، لكان قوله أصح في العقل والقياس من قولهم ، وكذلك إذا قيل : الواحد الذي ذكره لا يصدر عنه شيء الا مع غيره ، لكان قوله أصح من قولهم .

وذلك يقتضي أن يكون للرب شريك وولد ؛ ان مقصودهم بالصدور هو لزومه اياه ، وهذا هو التولد العقلي ، وحقيقة قولهم أن العقول والنفوس متولدة عنه ، وقولهم بالعملة والمعلول هو القول بالمتولد^(١) والمتولد عنه ، قال تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .^(٢)

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ، وبيننا أن قول هؤلاء أفسد من قول مشركي العرب الذين قالوا : ان الملائكة بنات الله ، وقالوا : ان آلهتنا تشفع لنا . فان أولئك كانوا يقولون : ان الرب فاعل مختار ، والملائكة مخلوقون له . ولكن ضلوا في بعض ما وصفوه ، كما ضلت النصارى في بعض ما ذكره .

-
- (١) بالمتولد : كذا في (س) ، وفي (خ ، ك) : بالتولد .
(٢) هنا ينتهي السقط في (ن) الذي بدأ ص ٣٩٩ ، وجاء الكلام فيها هكذا : " . . . من المعتزلة وغيرهم فاستطرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال : فانه يحتاج أن يعلم أولاً وجعلوا لله شركاء . . . الخ .
وفي (ك) . . . والمتولد عنه فاستطرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال : فانه يحتاج أن يعلم أولاً أنهم جعلوا لله شركاء . . . الخ .
(٣) سورة الأنعام : ١٠٠-١٠٣ .
(*) (ص ٤٠٧-٤٠٨) ما بينهما (وبيننا أن قول . . . ولا مشيئته) ساقط من (خ ، س) .

وأما هؤلاء^١ فأعظم ضلالاً من اليهود والنصارى ومشركي العرب؛ فانهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقاً لشيء^٢، ولا يفعل فعلاً بمشيئته واختياره، ولا يجعلون الملائكة عباده، بل يجعلون العقل الأول هورب كل ماسوى الله. والشفاعه عندهم ليست سواً من الله تعالى من الشافع، بل توجه الى الشافع حتى يفيض منه على المستشفع ما ليس لله ولا للشافع به علم عندهم، ولا يحصل بقدرته ولا مشيئته^(*).

والمقصود هنا التنبيه على أن طرق السلف والأئمة^(١) الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها، وأرشد إليها - هي أكمل الطرق وأصحها^(٢). وأكثر الناس صواباً في العقليات أقربهم اليهم، كما أن أكثرهم صواباً في السمعيات أقربهم اليهم؛ إذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح، بل يصدقه ويوافقه كما قال تعالى: (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق)^(٣). وقال تعالى: (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)^(٤).

ولهذا كان المتكلمة الصفاتية: كابين كلاب والأشعري وابن كرام خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المعتزلة، والمعتزلة خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المتفلسفة^(٥)، وان كان في قول كل / من هؤلاء ما ينكر عليه وما خالف فيه العقل والسمع، ولكن من كان أكثر صواباً وأقوم قبلاً كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلاً وتفضيلاً^(٦)؛ قالت عائشة^(٧):
أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم^(٨).

ص ٤٩

- (١) خ، س: والأئمة رضي الله عنهم. وأمام هذا الموضوع كتب في هامش (س): مطلب التنبيه على أن طرق السلف أكمل الطرق.
- (٢) ن: وأوضحها.
- (٣) سورة سبأ: ٦.
- (٤) سورة الفرقان: ٣٣.
- (٥) خ، س: الغلاصة.
- (٦) خ، س: لكن. بسقوط الواو.
- (٧) ن، ك: وتفصيلاً.
- (٨) خ، س: عائشة رضي الله عنها.
- (٩) روى أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ١٩١) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، بسنده عن ميمون بن أبي شبيب أن عائشة مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فاقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انزلوا الناس منازلهم).

وهذا من القسط الذي أمر الله به ، وأنزل به كتبه ، وبعث به رسله .
قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) .^(٢) وقال
تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط) .^(٣)

عبدلشرح دليل الأصبهاني على كون الله متكلمًا
والمقصود هنا التنبيه على طرق الناس في اثبات كون الله متكلمًا ، تنبيهها
مختصرا بحسب ما يحتمله جواب هذا السؤال .^(٤)

والطرق نوعان : سمعية وعقلية ، وان كانت العقلية هي أيضا شرعية
سمعية ، باعتبار أن السمع دل عليها وأرشد إليها ، وأن الشرع أحبها ودعا
إليها .^(٥)

لكن صاحب هذا المختصر اتما سلك طريقا سمعية اتباعا لمتبوعه أبي
عبدالله بن الخطيب ، وهذه الطريق مبنية على مقدمتين : احدهما - أنه أمر
ناب ، ومن كان كذلك فهو متكلم .

والمقدمة الأولى - مدلول عليها بأن الرسل بلغوا أمره ونهيه ، وكل من
المقدمتين واضحة ؛ فان الكلام نوعان : انشاء واخبار ، والانشاء أمر ونهي
واباحة ، فاذا ثبت له نوع من أنواع الكلام ثبت مطلق الكلام ، فثبت أنه متكلم .
وأما الثانية - فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله

= / وقال أبو داود : ميمون لم يدرك عائشة .

وأورد مسلم في مقدمة صحيحه معلقا ، فقال (٦ / ١) : " وقد ذكر عن عائشة رضي الله تعالى عنها
أنها قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم " .
وتكلم عليه النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم ١ / ١٩١ ، فذكر أن الحاكم أبا عبد الله حكم بصحته
في كتابه " معرفة علوم الحديث " ، ونقل عن أبي عمرو بن الصلاح نقده لجزم أبي داود بعدم
ادراك ميمون لعائشة .

(١) من : سقطت من (ن) .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) سورة الحديد : ٢٥ .

(٤) ن : بحيث . وأمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : بحث الكلام .

(٥) ن : وأن الشرع اجتهاد ودعاء إليها .

(٦) ك : الطرق .

بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا ، فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى .
وجحد كون الله متكلما هو جحد لما بلغت عنه الرسل من الأهر والنهي .
فان قيل : ^(١) فما الفرق بين هذه الطريق وبين الطريق التي أثبت ^(٢) بهسما
السمع والبصر ، وهو السمع .

قيل : هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المنفصل ^(٣) ، مثل قوله :
(وهو السميع البصير) ^(٤) . وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعميمين
نص ، حيث قال : علمنا أن الله أرسل رسله لتبليغ ^(٥) أمره ونهيه . ولم يتعرض
لاخبار السمع بأنه متكلم .

فان قيل : اذا أثبت المثبت تكلمه بالسمع ، وجب أن يكون السمع قسدا
علت صحته قبل العلم بكونه متكلما ، لكن الرسول اذا قال : ان الله أرسلني
اليكم ، يأمركم بتوحيده وينهاكم عن الاشراك به مثلا ، فان لم يعلموا قبل ذلك
جواز كونه متكلما لم يعلموا امكان ارساله ، فلا ^(٦) يثبت السمع .

قيل : الجواب من وجهين :
أحدهما - أن ما علم بالسمع ^(٨) وقوعه يكفي فيه الامكان الذهني ، وهو كونه
غير معلوم الامتناع ، بل كل مخبر أخبرنا بخبر ولم نعلم كذبه جوزنا صدقه ،
ومتى كان فيه الصدق ممكنا لم يجز التكذيب ، بل أمكن أن يقام الدليل الدال
على صدقه ووجوب تصديقه فيجب تصديقه .

-
- (١) ن : ما الفرق .
 - (٢) ن : بين هذه الطريق وبين الطرق . ك : بين هذه الطرق وبين الطرق .
 - (٣) المنفصل : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : المنفصل .
 - (٤) سورة الشورى : ١١ .
 - (٥) لتبليغ : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : بتبليغ .
 - (٦) ن : كون الله .
 - (٧) ن : ولا .
 - (٨) ن : السمع .

ص ٥٠٥ . . . وهذا الموضوع / يفلط فيه كثير من النظارة، فيظنون أنه يحتاج فيمسا

يطلب الدليل على وقوعه، أو فيما قام الدليل على وجوده - العلم بإمكانه قبل ذلك، وإنما يجب أن لا يعلم امتناعه؛ فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بحارات^(١) العقول، ومالا تعرفه العقول أو ماتعجز عن معرفته . فما علم العقل امكانه، ولم يعلم هل يكون أم لا يكون، تخبر الرسل بوقوعه أو عدم وقوعه؛^(٢) ومالم يعلم بالعقل امكانه ولا امتناعه، تخبر الرسل أيضا اما بإمكانه واما بوقوعه المستلزم امكانه، ولكن* لا تخبر الرسل^(٣) [بحالات العقول، وهو ما علم بالعقل امتناعه، لا تخبر^(٤)] بوجوده ولا امكانه؛ وما علم عدمه لا تخبر بوجوده، فلا تأتي الرسل^(٥) صلوات الله عليهم بما يعلم نقيضه، ولكن قد تأتي بما لم يكن يعلم . كما قال تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فان كروني أنكركم وأشكروا لي ولا تكفرون)^(٦) . وكذلك الوحي النازل على الأنبياء يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، لا يأتيهم بما يعلمون خلافه؛ قال تعالى: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شي * وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)^(٧) . الوجه الثاني - أن يقال: امكان^(٨) التكلم معلوم بأدنى نظر العقل؛ فانه اذا عرف أنه حي، عليم، قدير، علم أنه يمكن أن يكون متكلما، فان الكلام ممن

(*)- (*) ما بينهما (وهذا الموضوع . . . امكانه ولكن) ساقط من (ن) .

(١) بحارات: كذا في (خ)، وفي (س): بمجازات، وفي (ك): بمجارات .

(٢) ك : أم عدم .

(٣) ن : فالرسل لا تخبر .

(٤) ما بين المعكوفين سقط من (س)، ك) .

(٥) ن : ولا يأتي الرسول . وأمام هذا الموضوع كتب في هامشها : بلغ .

(٦) سورة البقرة : (١٥١ ، ١٥٢) .

(٧) سورة النساء : ١١٣ .

(٨) ك : امكال .

(٩) ن : التكليم .

(١٠) ن : علم أنه لا يمكن أن لا يكون .

الصفات المشروطة بالحياة ، والصفات المشروطة بالحياة انما يمتنع عليه سبحانه^(١)
ما يمتنع منها - كالنوم والأكل والشرب^(٢) - لتضمنها نقضا يتره عنه ، وليس فسي
الكلام نقض ، بل سنيين - ان شاء الله - أنه من صفات الكمال ، ونبيين ما يستحيل^(٣)
اتصافه به .

فهذا تقرير ما ذكره .^(٤)

ويمكن أن يسلك^(٥) في ذلك طريق أعم ما ذكره ، فانه استدلال بالأمر
والنهي خاصة ، والتحقيق أن الخبر يدل أيضا على أنه متكلم ، كما أن الأمر
يدل على ذلك ، والرسول يبلفون عنه تارة الأمر والنهي ، وتارة الخبر : اما عن
نفسه واما عن مخلوقاته ، فيبلفون خبره عن نفسه بأسمائه وصفاته ، وخبره عن مخلوقاته^(٦)
بالقصص ؛ كما يبلفون الخبر عن ملائكته وأنبيائه ، ومن تقدم من الأمم المؤمنين
والمكذابين ، ويبلفون خبره عما يكون في القيامة : من الثواب والعقاب ، والوعيد^(٧)
والوعيد . بل ما تلبسه الرسل من خبره أكثر مما تلبسه من أمره ، والخبر فسي
القرآن أكثر من الأمر .^(٨)

يمكن اثبات
الكلام بطريق أعم
ما ذكره
الأصبهاني

وإذا قيل : لا معنى لكونه متكلما الا أنه [أمر ناه] .

قيل : لا معنى لكونه متكلما الا أنه [مخبر منبئ] .^(٩)

والتحقيق أن يقال : لزم من كونه آمرا ناهيا أن يكون متكلما ، ويلزم من كونه

مخبرا منبئا أن يكون متكلما . وأما قول الغائل : / " لا معنى لكونه متكلما الا أنه

ص ٥١

(١) يمتنع : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : تمتنع .

(٢-٢) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٣) خ ، س : ونبيين ما يستحيل مانعا منه .

(٤) س : ما ذكرناه .

(٥) ن : نسلك .

(٦) ن ، ك : طريقا .

(٧) خ ، س : فيبلفون الخبر بأسمائه وصفاته والخبر .

(٨) خ ، س : ويبلفون عما يكون في القيامة والثواب .

(٩) ن : أكبر . (في الموضوعين) .

* (ص ٤١٢ - * ص ٤١٣) ما بينهما (وإذا قيل . . . بأنه متكلم) ساقط من (ن) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (ك) .

أمرناه ، أو أنه ^(١) مخبرٌ . ففيه نظر ؛ فان المتكلم يكون تارة آمرا وتارة مخبرا ، وهو في حال ^(٢) كونه مخبرا متكلم وان لم يكن آمرا ، وفي حال كونه آمرا متكلم وان لم يكن مخبرا ، سواء قدر امكان انفكاك أحدهما عن الآخر ، أو قدر تلازمهما في حق بعض المتكلمين .

ولقائل أن يقول : هذا الذي ذكره قليل الغائدة ؛ فانه ان كان المقصود به اثبات كونه متكلماً على من يقر بالرسل ، فجميع هؤلاء ^(٣) مقرون بأنه متكلم* ، ان لا يمكن ^(٤) أحداً من يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو القرآن أن ينكر أن الله متكلم ^(٥) ، وهذه الكتب ملوثة بذكر ذلك ، وأهل الملل مطبقون على ذلك . وان كان مقصوده اثبات ذلك على من لا يقر بالرسل فتقرير الرسالة ^(٦) تقرير لهذا ؛ فحاصله أن ما ذكره ^(٧) من كونه متكلماً هو حقيقة أن الرسائل صادقة فيما أخبروا عنه ، فاذا أثبت ذلك بصدق الرسل كان اثباتاً للشيء بنفسه . وانما المقصود اثبات أنه متكلم حقيقة ، بكلام يقوم بنفسه ، خلافاً للمتفلسفة التي تجعل كلامه انما هو تعريف فعلي ، وهو ما يفيخ ^(٨) على النفوس من التعريفات وللجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يجعلون كلامه ما يخلقه في غيره من الحروف والأصوات .

وهذا الذي اعتنى به السلف في الرد على من يقول : " القرآن مخلوق ، خلقه الله في الهواء ، لم يبق به كلام " فكيف بمن يقول : ليس كلامه الا ما يحدث في النفوس من التعريف والاعلام ، من غير أن يكون له كلام منفصل عن نفوس

-
- (١) ك : وأنه . وأمام هذا الكلام كتب في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة بحمد الله تعالى .
(٢) ك : حالة .
(٣) ك : يقرون .
(٤) ن : فلا يمكن .
(٥) ك : تكلم .
(٦) م ، ك : المسألة .
(٧) ن : تقرير لهذه الحاصلة ان ما ذكره .
(٨) ن : ما يفرض .
(٩) ن : ان القرآن مخلوق خلقه الله تعالى .

الأنبياء والمرسلين! وقد بسطنا القول في مسألة "الكلام" واضطراب الناس فيها
في غير هذا الموضع .

ولاريب أنه سلك في هذا الاعتقاد مسلك الصفاتية المخالفين للمعتزلة؛
ولهذا عد هذه الصفات السبع^(١)؛ وأما المعتزلة فيقتصرون على أنه حي، عالم،
قادر؛ وقد يزيد البصريون الإدراك كالسمع والبصر، وأما كونه متكلماً ومريداً
فهذا عندهم من باب المفعولات لا من باب الصفات؛ إذ معنى كونه متكلماً
عندهم أنه خلق كلاماً في غيره كسائر ما خلقه من المخلوقات، بخلاف كونه حياً
عالمًا قادرًا^(٢)، أو مدركاً عند البصريين؛ فان ذلك ثبت له لذاته سواء خلق
شيئاً أو لم يخلقه؛ ولهذا كان عام التعلق، لا يختص بمعلوم دون معلوم، كما
تختص الإرادة والكلام بمراد دون مراد، وأمور دون مأمور.

الأصهباني
- كالرازي - متردد
بين الفلسفة
والاعتزال

وهذا القدر الذي أثبتته من كونه متكلماً أمر^(٦) لا ينازعه فيه معتزلي، بل
ولا متفلسف الهبي يقر بالنبوات في الجملة، كما يقر بها المتفلسفة الذين
حقيقة أمرهم أنهم يؤمنون ببعض الصفات^(٧) / ويكفرون ببعض، كما أن الميهود
والنصارى يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض .

ولقائل أن يقول: أن هذا السؤال ليس لازماً له في مسألة "الكلام"، بل
وفي سائر المسائل، فانه لم يثبت شيئاً من الصفات القائمة بنفسه، وإنما أثبت^(٩)
أحكام الصفات وأثبت الأسماء، والمعتزلة توافق على الأسماء والأحكام، بل والفلاسفة
أيضاً توافق على إطلاق ما ذكره من الأسماء والصفات؛ فلا يكون في هذا الاعتقاد

ص ٥٢

(١) السبع : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : السبعة .

(٢) ن : وقد يم يزيد .

(٣) كذا في (ك) ، وفي (ن) : قد برا ، وفي (خ ، س) : قادراً قد برا .

(٤) له : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) خ ، س : ولهذا كان هذا .

(٦) ن ، ك : أمراً ناهياً .

(٧) الصفات : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : صفاتها .

(٨) ان : في (ك) فقط . وأمام هذا الموضع كتب في هامش (س) : مطلب اعتراض على المصنف .

(٩) ن : بنفسها .

فرق بين مذهب الصغائية أهل الاثبات : كابين كلاب والأشعري وأتباعهما ولا بين المعتزلة : كأبي علي (١) وأبي هاشم (٢) وأبي الحسين البصري (٣) وأمثالهم ، بل هذا الاعتقاد مشترك بين المعتزلة والأشعرية وغيرهم من الطوائف .
يبين هذا أنه لم يذكر في اعتقاده ما تتميز به الأشعرية عن المعتزلة :
ولا ذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ولا ذكر مسألة " البرؤية " : وأن رؤية الله جائزة في الدنيا واقعة في الآخرة ؛ ولا ذكر أيضا مسائل " القدر " : وأن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مرید للكائنات ؛ ولا ذكر أيضا مسائل " الأسماء والأحكام " : وأن الفاسق لا يخرج عن الايمان بالكيفية ، ولا يجب انفاذ الوعيد ، بل يجوز العفو عن أهل الكبائر ؛ ولا ذكر مسائل " الامامة والتفضيل " .

وكل هذه الأصول تذكر في مختصرات المعتقدات التي يصنفها متأخرو الأشاعرة : " كالعقيدة القدسية " لأبي حامد ، و " العقيدة البرهانية المختصرة من ارشاد أبي المعالي " (٨) ونحوهما ، فضلا عن الاعتقاد الذي يذكره أئمة

- (١) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد الجبائي (٢٣٥-٣٠٣) ، نسبه الى جيسا من قرى البصرة ، من أئمة معتزلة البصرة ، واليه تنسب فرقة الجبائية منهم . انظر عنه : وفيات الأعيان ٢٦٧/٤-٢٦٩ ؛ البداية والنهاية ١٢٥/١١ ؛ لسان الميزان ٢٧١/٥ ؛ الأعلام ٢٥٦/٦ ؛ تاريخ التراث العربي ٢٥٦-٢٧٥/٤/١ .
- (٢) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٧٧-٣٢١) من كبار المعتزلة من أهل البصرة ، عاش ببغداد وتوفي فيها ، يسمى أتباعه " البهشمية " . انظر : تاريخ بغداد ٥٥/١١-٥٦ ؛ وفيات الأعيان ١٨٣/٣-١٨٤ ؛ لسان الميزان ١٦/٤ ؛ الأعلام ٧/٤ ؛ تاريخ التراث العربي ٧٨/٤/١ ؛ وانظر آرائه وآراء والده في الملل والنحل للشهرستاني ٩٨/١-١٠٨ .
- (٣) سبقت ترجمة أبي الحسين البصري ، ص ٢٦٣ ت ٥ .
- (٤) ما تتميز : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : ما يتميز .
- (٥) ن : الا .
- (٦) يصنفها : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : يصنفونها .
- (٧) كتب الامام أبو حامد الفزالي عقيدة لأهل القدس ، سماها " الرسالة القدسية في قواعد العقائد " ، ثم أودعها في الفصل الثالث من كتاب قواعد العقائد ضمن كتابه " احياء علوم الدين " ١٠٤/١-١١٥ .
- (٨) راجعت عددا من المراجع في ترجمة أبي المعالي الجويني ، وفي أسامي الكتب ، فلم تذكر مختصرا لكتاب " الارشاد " .
- (٩) ن ، ك : تذكره .

الأشعرية : كالقاضي أبي بكر وذويه ، فانهم يزيدون على ذلك اثبات الصفات
الخبرية ، واثبات العلو وأمثال ذلك ، فضلا عن الاعتقاد الذي ذكره الأشعري
في " المقالات " عن أهل السنة وأصحاب الحديث ، فان فيه جملا مفصلة ،
فضلا عما يذكره السلف والأئمة الكبار من الاثبات والتفصيل ، المبين للسنة ،
الفاصل بينها وبين كل بدعة .

ولهذا كان أصحاب هذا المصنف مع انتسابهم الى الأشعري ، انما هم
في باب الصفات مترون بما تقر به المعتزلة (٢) ، لا يقرون بما تقر به الأشعرية (١) *
من الزيادات ، وبحوث أبي عبد الله بن الخطيب تعطيمهم ذلك ؛ فان الوقف (٤)
والحيرة (٥) ظاهر على كلامه في اثبات الصفات ، ومسألة " الروية " و " الكلام "
وأمثالهما ، بخلاف مسائل " القدر " فانه جازم فيها بمخالفة المعتزلة .
وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة ضرار بن عمرو وحسين النجار (٦)
وأمثالهما ، ممن كان يقر بالقدر ولكنه في الصفات بين المعتزلة والأشعرية .
أو تشبه (٧) طريقة الواقفية : الذين كانوا يقولون في القرآن ، فلا يقولون : هو مخلوق
ولا غير مخلوق . وكلام أئمة السنة في ذم هؤلاء ، وكلام متكلمي الصفاتية - كالأشعري
وغيره - في ذلك مشهور معروف . (٨)

(١) ن : يقر به . (في الموضوعين) .

* - * ما بين النجمتين ساقط من (س) .

(٢) خ : بما تقر به المعتزلة من الاثبات .

(٣) ك : ولا يقرون .

(٤) ك : الوقت .

(٥) ن : والجبرية .

(٦) ن : وطريقة حسين .

(٧) ن : شبه .

(٨) انظر كلام أئمة السنة في ذم الواقفة في كتاب " السنة " للإمام أحمد بن حنبل (ضمن مجموعة

شذرات البلاطين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين) ، ص ٤٩ ، ٥١ ، وكتاب " السنة " لعبد الله

ابن أحمد بن حنبل (ط . السلفية بمكة ١٣٤٩ هـ) ، ص ٣٦ - ٣٧ ، وانظر " مطح في الجهميسة "
أخذ من كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ضمن

مجموعة عقائد السلف) ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ١١١ .

وانظر كلام الأشعري في كتابه " الابانة عن أصول الديانة " ، ص ٣٤ (ط . السلفية ، القاهرة

١٣٩٧ هـ) ، وكتابه " مقالات الاسلاميين " ١ / ٣٤٦ .

/ فان قيل : فالمعتزلة لا تقر بمنكر ونكير^(١) ، والصراط ، والميزان ، ونحو ذلك ما ذكره هذا المصنف .

قيل : المعتزلة في ذلك على قولين : منهم من يثبت ذلك ، ومنهم من ينفيه . على أن ما ذكره ليس فيه ما يدل^(٢) على اثبات هذه الأمور ، وإنما فيه الاقرار بكل ما أخبر به الرسول^(*) من هذه الأمور ، وليس في المعتزلة ولا غيرهم من المسلمين من يقول : لا أقر بما أخبر به الرسول^(*) .

بل كل مسلم يقول : ان ما أخبر به الرسول فهو حق يجب تصديقه به .^(٣) وكل المسلمين من أهل السنة والبدعة يقولون : " آمنت بالله [وما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله^(٤)] وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله " فانه متى لم يقر بهذا فهو كافر كفرا ظاهرا ، ولا يتميز بهذا^(٥) القول المجمل مذهب أهل السنة عن غيرهم .

ولهذا لا يكتفي امام من أئمة السنة بمجرد هذا ، ومن نقل عن الشافعي وغيره أنه اكتفى بهذا فقد كذب عليه ، وإنما هذا قول بعض المتأخرين ، وهو قول صحيح ، لا يخالف فيه الا كافر ، لكن العلم بالسنة مفضلا مقام آخر .

فالمبتدع اذا نازع السني لا ينازعه في تصديق الرسول في كل ما أخبر به^(٣) ، لكن [المنكر لشيء من السنة] ينازع [فيه] : هل أخبر بذلك الرسول أم لا ؟ وهل خبره على ظاهره أم لا ؟ . وهو لم يثبت لاهذا ولا هذا ، ان هما من علم النقل ودلالة الألفاظ ، وليس فيما ذكره شيء من هذا وهذا .

(١) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب ، المعتزلة لا تقر بمنكر ونكير .

(٢) خ ، س : ما دل .

(*) ما بين النجمتين ساقط من (ن) .

(٣-٢) ما بينهما : (وكل المسلمين . . . في كل ما أخبر به) ساقط من (خ ، س) .

(٤) ما بين القوسين المعكوفين ساقط من (ك) .

(٥) ن : هذا بهذا .

(٦) كذا في (ن) ، وفي (خ ، س) : لكن المنكر لذلك ينازع فيه هل ، وفي (ك) لكن ينازع هل .

كما أن كلامه في التوحيد ليس مبنياً على أصول الأشعرية ولا أصول المعتزلة، بل على أصول المتفلسفة، فهو متردد بين الفلسفة والاعتزال، وأخذ من بحوث المنتسبين إلى الأشعرية كالرازي ونحوه ما قد يقوله هؤلاء وهؤلاء. وكذلك يحكي عنه خواص أصحابه أنه كان في الباطن يميل إلى ذلك،^(١) وقد ظهر ذلك في خواص المحدثين من أصحابه كالقشيري وغيره.^(٢) ومعلوم أنه تكلم بمبلغ علمه، وحسب اجتهاده، ونهاية عقله، وغاية نظره؛ ولكن المقصود أن تعرف المقالات والمذاهب، وما هي عليه من الدرجات والمراتب، ليعطى كل ذي حق حقه، ويعرف المسلم أين يضع رجله.

إذا تبين هذا، فنحن نبيه على ما يميز به أهل السنة عن المعتزلة، ومن هو أبعد عن الحق منهم كالمفلسفة، فنقول: إذا ثبت بهذا الدليل أنه سبحانه^(٤) متكلم، وثبت أن الرسل أخبروا بذلك - فنقول: الذي أخبر به الرسل أنه متكلم بكلام قائم بنفسه، هذا هو الذي بينته،^(٥) وهذا هو الذي فهمه عنهم أصحابهم، ثم تابعوهم بإحسان،^(*) بل علموا هذا من دين الرسل بالاضطرار^(*)، ولم يكن في صدر الأمة وسلفها من ينكر ذلك، وأول من ابتدع خلاف ذلك الجعد بسن درهم، ثم صاحبه الجهم بن صفوان.

صفة الكلام الذي
أخبرت به الرسل

(١) ن : وهو .

(٢-٣) ما بينهما ساقط من (خ، س) .

ذكر المترجمون للأصبهاني أن تقي الدين القشيري كان يحضر درسه بقوص. انظر مثلاً طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨ / ١٠١ .

وهو الحافظ أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، ولد سنة ٦٢٥ بمدينة ينابيع، ونشأ بقوص سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وصنف فيه مصنفات عديدة، ودرس في أماكن كثيرة وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥، توفي سنة ٧٠٢ بالقاهرة .

انظر: تذكرة الحفاظ ٤ / (١٤٨١-١٤٨٤)؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩ / ٢٠٧-٢٤٩؛ البداية والنهاية ١٤ / ٢٧؛ شذرات الذهب ٦ / ٥-٦؛ الأعلام ٦ / ٢٨٣ .

(٣) ن : يعرف .

(٤) سبحانه: ساقطة من (خ، س)، وفي هامش (س) كتب أمام هذا الموضوع: مطلب اثبات الكلام على مسلك أهل السنة .

(٥) بينته: كذا في (خ)، وفي (ن): نشبته، وفي (س، ك): نبينه .

(*)-*) ما بينهما ساقط من (خ، س) .

(٦) ن، ك: دليل، ولعل الصواب ما أثبتته .

وكلاهما قتل ؛ أما الجعد بن درهم -الذي كان يقال :انه معلم مروان بن محمد
آخر خلفاء بني أمية ، وكان يقال له الجعدى نسبة الى الجعد - فانه قتله خالد بن
عبد الله القسرى ، / ضحى به بواسط يوم النحر ؛ وقال : أيها الناس ضحوا تقبل
الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم
خليلا ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا . ثم نسرزل
فدبحه .

وكانوا^(١) أول ما أظهروا بدعتهم قالوا : ان الله لا يتكلم ولا يكلم . كما حكى
عن الجعد ، وهذا^(٢) حقيقة قولهم ؛ فكل من قال : " القرآن مخلوق " فحقيقة قوله
أن الله لم يتكلم ولا يكلم^(٤) ، ولا يأمر ولا ينهى ، ولا يجب . فلما رأوا ما في ذلك من
مخالفة القرآن والمسلمين قالوا : انه يتكلم مجازا : يخلق شيئا يعبر عنه^(٥) ،
لا أنه في نفسه يتكلم . فلما شنع المسلمون عليهم قالوا : يتكلم حقيقة ، ولكن
المتكلم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره ، فكسل^(٦) من أحدث كلاما ولو
في غيره كان متكلمًا بذلك الكلام حقيقة ، وقالوا : المتكلم من فعل الكلام لان قام
به الكلام . وهذا الذي استقر عليه قول المعتزلة .

وهم يموهون^(٧) على الناس فيقولون : أجمع المسلمون على أن الله متكلم -
[وربما قالوا : أجمع المسلمون على أن الله متكلم حقيقة^(٨)] ولكن اختلفوا في معنى
" المتكلم " هل هو من فعل الكلام ؟ أو من قام به الكلام ؟ . وما زعموه^(٩) من أن المتكلم
يكون متكلمًا بكلام قائم بغيره ، قول خرجوا به عن العقل والشرع واللفظة .

-
- (١) ن : فكانوا .
 - (٢) خ ، س : ولا تكلم .
 - (٣) ك : وهذه .
 - (٤) ولا يكلم : كذا في (ك) . وفي (خ ، س) : ولا يتكلم . وسقطت العبارة من (ن) .
 - (٥) ن : بخلق شي . يعبر به .
 - (٦) ن : وكل .
 - (٧) ن : فهم يقولون .
 - (٨) ما بين المعكوفين زيادة في (ن) فقط .
 - (٩) ن : وما زعموا .

وكان قدما الصغائية من السلف والأئمة والكلابية والكرامية والأشعرية

يحققون هذا المقام ، ويبينون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم فيه .^(١)

ولكن الرازي ونحوه أعرض عنه ، وقال : هذا بحث لفظي . وزعم أنه قليل

الغائبة ، ثم سلك مسلكا ضعيفا في الرد عليهم ، قد بيناه في غير هذا

الموضع .^(٢)

موقف الرازي من
رد الصغائية على
الجهمية
مذهبهم في
الكلام

وهذا غلط عظيم جدا من وجهين :

أحدهما - أن المسألة اذا كانت سمعية ، وأنت انما أثبت أنه متكم بأن

الرسل بلغت أمره ونهيه الذي هو كلامه - كان من تمام ذلك البحث عن

مراد الرسل بكونه آمرا ناهيا متكلما : هل مرادهم بذلك أنه خلق كلاما في غيره ،

أو أنه قام به كلام تكلم به ؟ . والدلائل السمعية مقرونة بالبحث عن ألفاظ الرسل

ولفاتهم التي بنها خاطبوا الخلق ، فصارت^(٣) هذه المقدمة هي الركن المعتمد في

الرد على المعتزلة ، كما سلكه قدما الصغائية وأئمتهم ، بل هي الركن المعتمد

في معنى كونه متكلما اذا ثبت ذلك بالطرق السمعية .^(٤)^(٥)

(١) ويبينون : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : ويشبتون .

(٢) في كتاب الأربعين ، ص ١٧٦ عقد الرازي فضلا " في اثبات كونه تعالى متكلما " وذكر ص ١٧٧

قول المعتزلة " انه تعالى اذا أراد شيئا أو كره شيئا خلق هذه الأصوات المخصوصة فيسي

جسم من الأجسام لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريدا لذلك الشيء المعين أو كارهها

له ، أو كونه حاكما به بالنفي أو بالاثبات ، فهذا هو المراد من كونه تعالى متكلما " .

وقال بعد هذا مباشرة : " وقد نازعهم أصحابنا فيه ، وقالوا : انه يمتنع أن يكون متكلما بكلام قائم

بالغير ، كما أنه يمتنع أن يكون متحركا بحركة قائمة بالغير ، وساكننا بسكون قائم بالغير .

وعندى أن هذه المنازعة ضعيفة ، لأن هذه المنازعة اما أن تكون في المعنى أو

في اللفظ . . . الخ " .

(٣) ن : وصارت .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٥) ن : بالطريق .

الثاني - أن المسألة ليست لغوية فقط ، بل كون الصفة إذا قامت بمحلها : هل يعود حكمها على ذلك المحل أو على غيره . هو من البحوث العقلية النافعة في هذا المقام .

كلام السلف في ذلك كما نقله البخاري في خلق الأفعال

والسلف رضي الله عنهم عرفوا حقيقة المذهب ، وردوه بناءً على هذا الأصل ، كما ذكره البخاري في كتاب " خلق الأفعال " ، قال : " وقال ابن مقاتل : سمعت ابن المبارك يقول : من قال : (انني أنا الله لا اله الا أنا) مخلوق ، فهو كافر ، ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك " وقال : " (٧) / أنا / لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية " وقال سليمان بن داود الهاشمي : من قال : القرآن مخلوق . فهو كافر ؛ وان كان القرآن مخلوقاً - كما زعموا - فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار ان قال : (أنا ربكم الأعلى) . وزعموا أن هذا

ص ٥٥

- (١) ن ، خ : ذكر .
- (٢) في كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموعة " عقائد السلف " ، ص ١١٩ .
- (٣) ك : في كتاب خلق الأفعال وقال قال .
- (٤) هو أبو الحسن محمد بن مقاتل المروري ، سكن بغداد ، ثم جاور بمكة ومات بها سنة ٢٢٦ . روى عن ابن المبارك وطبقته ، روى عنه البخاري وأحمد بن حنبل وأبو حاتم وأبو زرعة ، قال أبو حاتم : صدوق .
- انظر: الجرح والتعديل ١٠٥ / ٨ ؛ تاريخ بغداد ٢٧٥ / ٣ - ٢٧٦ ؛ تهذيب التهذيب ٤٦٨ / ٩ - ٤٦٩ ؛ شذرات الذهب ٥٩ / ٢ .
- (٥) سورة طه : ١٤ ، في جميع النسخ : اني . والمثبت من " خلق أفعال العباد " .
- (٦) خلق أفعال العباد : لا ينبغي .
- (٧) أي ابن المبارك ، في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٠ وبين هذا القول والقول السابق أقوال أخرى له .
- (٨) خلق أفعال العباد : وأنا .
- (٩) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٦ .
- (١٠) هو أبو أيوب سليمان بن داود بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي ، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٢١٩ ، قال عنه ابن سعد : ثقة ، كتب عنه البغداديون ورووا عنه .
- انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٤٣ / ٧ ؛ الجرح والتعديل ١١٣ / ٤ ؛ تاريخ بغداد ٣١ / ٩ - ٣٢ ؛ تهذيب التهذيب ١٨٧ / ٤ - ١٨٨ ؛ شذرات الذهب ٤٥ / ٢ .
- (١١) ن ، ك : ان القرآن .
- (١٢) ك : تخلد .
- (١٣) سورة النازعات : ٢٤ .

مخلوق . ومن قال : ^(١) انني : ^(٢) انا الله لا اله الا انا فاعبدي ، هذا ^(٣) أيضا .
قد ادعى ما ادعى فرعون ، فلم صار فرعون أولى بأن يخلد في النار من هذا ،
وكلاهما ^(٤) عنده مخلوق . فأخبر بذلك أبو عبيد ^(٥) فاستحسنه وأعجبه .

قال البخاري ^(٦) : " وقال أبو الوليد ^(٨) : سمعت يحيى بن سعيد ^(٩) ، وذكر
له أن قوما يقولون : القرآن مخلوق . فقال : كيف يصنعون به (قل هو الله أحد) ^(١٠)
كيف يصنعون ^(١٢) بقوله : (انني انا الله لا اله الا انا) ^(١٣) .

- (١) خلق أفعال العباد : والذي قال .
- (٢) في جميع النسخ : اني . والمثبت من " خلق أفعال العباد " .
- (٣) ك : فاعبدي ، مخلوق فهذا .
- (٤) خلق أفعال العباد : وكلاهما .
- (٥) هو الامام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، ولد بهراة سنة ١٥٧ ورحل الى بغداد
ومصر ، ومات بمكة سنة ٢٢٤ ، كان حافظا للحديث وعلما ، عارفا بالفقه ، رأسا في اللغة ، اماما
في القراءات ، ذيا مصنفا ، ولي قضاء الشفورمدة .
انظر : الجرح والتعديل ٧ / ١١١ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٣ - ٤١٦ ؛ طبقات الحنابلة ١ / ٢٥٩ -
٢٦٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٧ - ٤١٨ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢ / ١٥٣ - ١٦٠ ؛
البداية والنهاية ١٠ / ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ تهذيب التهذيب ٨ / ٣١٥ - ٣١٨ ؛ شذرات الذهب
٢ / ٥٤ - ٥٥ ؛ الأعلام ٥ / ١٧٦ .
- (٦) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٢ . قبل الكلام السابق بصفحات .
- (٧) ن ، ك : قال .
- (٨) لعلمه أبو الوليد هشام بن عبد الملك الباهلي مولا هم الطيالسي (١٣٣ - ٢٢٧) ، من أهل البصرة
وتوفي فيها ، وهو أحد أعلام المحدثين الثقات ، روى عنه البخاري وأبو داود وغيرهما .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٣٠٠ ؛ الجرح والتعديل ٩ / ٦٥ - ٦٦ ؛ تهذيب الكمال
في أسماء الرجال ٣ / ١٤٤٢ - ١٤٤٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ الأعلام ٨ / ٨٧ .
- (٩) خلق أفعال العباد : يحيى بن سعيد يقول .
ولعل المقصود الامام أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي (١٢٠ - ١٩٨) من أهل
البصرة ، العارفين بالحديث ونقلته ، قال عنه ابن سعد : كان ثقة مأمونا رفيعا حجة .
انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٢٩٣ ؛ الجرح والتعديل ١ / ٢٣٢ - ٢٥١ ؛ تهذيب الكمال في أسماء
الرجال ٣ / ١٤٩٨ - ١٥٠٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩٨ - ٣٠٠ ؛ الأعلام ٨ / ١٤٧ .
- (١٠) خلق أفعال العباد : تصنعون .
- (١١) سورة الصمد : ١ ، (ن ، ك) : (قل هو الله أحد . الله الصمد) .
- (١٢) خلق أفعال العباد : تصنعون .
- (١٣) سورة طه : ١٤ .

وروى عن وكيع بن الجراح^(١) أنه قال^(٢): " لا تستخفوا بقولهم: "القرآن مخلوق". فإنه من شر قولهم، انما يذهبون الى التعطيل^(٣) ."

ومعنى كلام السلف أن من قال: ان كلام الله مخلوق. فحقيقة قوله أن الله تعالى لا يتكلم، وأن المحل الذي قام به " انني أنا الله لا اله الا أنا" هو المدعى الالهية؛ كما أن فرعون لما قام به: " أنا ربكم الأعلى " كان مدعيا للربوبية .

وكلام السلف مبني على ما يعلمونه من أن الله خالق أفعال العباد وأقوالهم، واذ كان كلامه ما خلقه في غيره كان كل كلام كلامه، وكان كلام فرعون كلامه، أن المتكلم من قام به الكلام، فلا يكون متكلمًا بكلام يكون في غيره؛ كسائر الصفات والأفعال، فإنه لا يكون عالما بعلم يقوم بغيره، ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره، ولا حيا بحياة تقوم بغيره؛ وكسائر الموصوفين، فان الشيء لا يكون حيا عالما قادرا بحياة أو علم أو قدرة تقوم بغيره، ولا يكون متحركا أو ساكنا بحركة أو سكون يقوم بغيره، كما لا يكون متلونا بلون يقوم بغيره .

وهنا^(٥) أربع مسائل: مسألتان عقليتان، ومسألتان سمعيتان لفويتان .

الأولى - أن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل، فكان هو الموصوف بها؛ فالعلم والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك الموصوف هو العالم، أو القادر، أو المتكلم، أو المتحرك، أو الساكن^(٨).

(١) هو الامام أبو سفيان وكيع بن الجراح بن طريح بن عدى الرواسي، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ وتوفي بغيد راجعا من الحج سنة ١٩٧، أحد أئمة المحدثين، كان حافظا فقيها ورعا زاهدا .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٤/٦؛ الجرح والتعديل ٢١٩/١-٢٣٢؛ تاريخ بغداد ٥١٢-٤٩٦/١٣؛ طبقات الحنابلة ٣٩١/١-٣٩٢؛ تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١-٣٠٩؛ الأعلام ١١٧/٨؛ تاريخ التراث العربي ١٧٩/١/١-١٨٠ .

(٢) في خلق أفعال العباد، ص ١٢٨ .

(٣) خلق أفعال العباد: وانما .

(*) ما بينهما (من قال . . . كلامه ان) ساقط من (خ ، س) .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (ن) .

(٥) ن: وهذا . وفي هامش (س) كتب أمام هذا الموضوع: مطلب، أربع مسائل تتعلق بالصفات .

(٦) أو: في (خ) فقط .

(٧) أو: سقطت من (س، ك) .

(٨) س: والساكن .

اجماع العلماء^(١).

ومن قال: الصفات تنقسم الى صفات ذاتية ، وفعلية . ولم يجعل الأفعال
تقوم به - فكلامه فيه تلبيس ، فانه سبحانه لا يوصف بشي* لا يقوم به . وان سلم
أنه يتصف بما لا يقوم به فهذا هو أصل الجهمية ؛ الذين يصفونه بمخلوقاته،
ويقولون : انه متكلم ومريد ، وراض و غضبان ، ومحب ومبغض ، وراحم لمخلوقات
يخلقها منفصلة عنه لا بأمر تقوم بذاته* .

اذا تبين ذلك^(٢) فالسلف لما علموا هذا علموا أن قول من قال : (انني
أنا الله لا اله الا أنا^(٤)) ، مخلوق . يوجب أن يكون هذا الكلام كلاما للشجرة ،
لا كلاما لله ؛ لأنه قام بالشجرة لم يقم بالله . كما أن كلام فرعون قام به ،
وان كان الله خالق ذلك كله ، فانه خالق العباد وأفعالهم وكلامهم .

وهذا أيضا ما يبين أنه لو كان من يخلق الكلام في غيره متكلمًا لوجب
أن يكون كل كلام في الوجود كلامه ، وهذا يقوله غالبية الجهمية الاتحادية :
كصاحب " الفصوص " ونحوه فانه يقول :

(١) قال البخارى في كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموع عقائد السلف ، ص ٢١٠ : " فالفعل
انما هو احدات الشئ " ، والمفعول هو الحدث " واستدل لذلك من القرآن والسنة ، ثم قال
(ص ٢١١) : " وكذلك تؤدى جميع لفات الخلق من غير اختلاف بينهم ، وانما هو الفاعل
والفعل والمفعول ، فالفعل صفة ، والمفعول غيره ، وبيان ذلك في قوله تعالى : (ما أشهد تسم
خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) [سورة الكهف : ٥١] ولم يرد بخلق السموات
نفسها ، وقد ميز فعل السموات من السموات ، وكذلك فعل جملة الخلق " .
وقال (ص ٢١٢) : " واختلِف الناس في الفاعل والمفعول والفعل ، فقالت القدرية : الأفعال كلها
من البشر ليست من الله ، وقالت الجبرية : الأفعال كلها من الله ، وقالت الجهمية : الفاعل
والمفعول واحد ، ولذلك قالوا : لكن [كذا ولعل الصواب : كن] مخلوق ، وقال أهل العلم :
التخليق فعل الله ، وأفعالنا مخلوقة . . . الخ " .

(٢) ك : يقوم .

(٣) ك : اذا تبين هذا .

(٤) سورة طه : ١٤ . في جميع النسخ : قول من قال : اني . . .

(٥) من : في (ك) فقط .

(٦) ن : غلاة .

وكل كلام في الوجود كلامه .: سواً علينا نشره ونظامه (١)
ومعلوم أن هذا الكلام أعظم من كفر اليهود والنصارى، كما ذكر ابن المبارك (٢)
وغيره من السلف . (٤)

وأيضاً فإن الله تعالى قد أنطق أشياء : كما قال تعالى : (يوم تشهد
عليهم أسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) . (٦) وقال : (حتى إذا ماجأوها شهد
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) . (٧) فهو منطق كل شيء وخالسق
نطقه . ولا نزاع أنه خالق النطق في غير الحي المختار، وإنما تنازعنا القدرية في
خلق أقوال الأحياء وأفعالهم . (٩)

(١) قال ابن عربي في كتاب " البتوحات المكية " ١٤٠ / ٤ ط . دار الكتب العربية الكبرى بمصر : " ولكن
الله قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه ، والعبد ما هو الا بقواه ، فما هو
الا بالحق ، فظاهره صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة ، فهو من حيث
الصورة من جملة من يسبح بحمده وهو من حيث باطنه كما ذكرنا . . . " الي أن قال (١٤١ / ٤) :

ألا كل قول في الوجود كلامه .: سواً علينا نشره ونظامه
يعم به أسمع كل مكنون .: فمنه اليه بدوه وختامه
ولا سماع غير الذي كان قائلاً .: فمندرج في الجهر منه اكتتامة
فتستره أفاظنا بحروفها .: فما فيه من ضوء فذاك ظلامه
فما ظنكم بالنور فيه اذا بدا .: وقد ملأ الجو القسيح غمامه

لأنه القائل : (أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) ، ولما كان الأمر على ما ذكرناه في نفسه طلب
منا أن نخلص العبادة له ، لأن بالعبادة نكون عبيداً ، وما نكون عبيداً الا بهويته ، فنخلص
المعبودية ، وتخليصها أن تقول له : أنت هو بانانيتك ، وأنت هو في أنا نيتي ، فما ثم الأنت ،
فأنت المسمى ربا وعبداً . . . " الي آخر الكلام المعروف عنه ، نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا
وعقولنا .

(٢) كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : من كفر عباد الأصنام .

(٣) ك : كما ذكره ابن مبارك .

(٤) عبارة " كما ذكر ابن المبارك وغيره من السلف " : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) خ ، س : وأيضاً فالله قد .

(٦) سورة النور : ٢٤ ، ٢٥ .

(٧) سورة فصلت : ٣٠ ، ٢١ .

(٨) ن : وهو .

(٩-٩) ما بين الرقمين ساقط من (خ ، س) .

(١٠) تنازعنا : كذا في (ن) ، وفي (ك) : تنازعت .

فان كان حقيقة كلامه ما خلقه في غيره من الكلام فهذا^(١) جميعه كلامه، وما في هذا الكلام المخلوق من ضمير المتكلم / اما أن يعود، الى خالقه أو السويء محله .

ص ٥٧

فان عاد الى خالقه كانت شهادة الأعضاء شهادة الله ؛ وكان قول فرعون : " أنا ربكم الأعلى " قولا لله^(٢) ؛ وكان قولهم لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قولا لله^(٣) ؛ وكان قول الجلود : " أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " بمعنى أنطقت نفسي ! ولم يكن فرق عندهم بين " نطق " و " أنطق " .

وان عاد الضمير الى محله كان الكلام المخلوق في الشجرة : انني أنا الله لا اله الا أنا . كلاما للشجرة ، فتكون الشجرة هي الغائلة : انني أنا الله لا اله الا أنا . وهذا حقيقة قولهم ؛ لما ثبت من أن الكلام كلام لمن قام به ، فيكون ضمير المتكلم فيه عائدا الى محله .

ولما كان هذا المعنى مستقرا في فطر الناس وعقولهم كان السلف يقصدون بمجرد قولهم : " القرآن كلام الله " الرد على هؤلاء الجهمية الذين حقيقة قولهم أن القرآن ليس كلام الله ، وانما هو كلام لجسم مخلوق ، وحقيقة قولهم أن الله لم يكلم موسى ، وانما كلمه مخلوق من مخلوقاته .

قال البخارى^(٥) : " قال عبد الرحمن بن عفان^(٦) سمعت سفيان بن عيينه في السنة^(٨)

(١) ن : وهذا .

(٢) خ ، س : قولا لله أنا ربكم الأعلى .

(٣) خ ، س : لم شهدتم قولا لله لم شهد علينا .

(٤) خ ، س : كان قول السلف لمجرد .

(٥) في كتاب " خلق أفعال العباد " ص ١٢٣ .

(٦) خلق أفعال العباد : وقال .

(٧) قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٥٧٩/٢ " عبد الرحمن بن عفان عن أبي بكر بن عياش كذبه

يحيى بن معين " وأضاف ابن حجر في لسان الميزان ٤٢٣/٣ - ٤٢٤ : " في ثقات ابن

حيان : عبد الرحمن بن عفان السرخسي ، سكن بغداد ، يروى عن السماك والفضيل بن عياض

الرقاق والحكايات " .

وانظره : أيضا تاريخ بغداد ٢٦٤/١٠ - ٢٦٥ ، وقد أورد أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٩٦/٧

هذا الخبر بسند ، عن أبي بكر عبد الرحمن بن عفان .

(٨) عبارة " في السنة " ساقطة من " خلق أفعال العباد " .

التي ضرب فيها المريسي ، فقام ابن عيينة من مجلسه مفضيا ، قال : ^(٢) ويحككم .
القرآن كلام الله ، قد صحبت الناس وأدركتهم ؛ هذا عمرو بن دينار ، وهذا ابن
المنكدر ^(٤) - حتى ذكر منصوراً ^(٥) والأعمش ^(٦) ومسمرين كدام ^(٧) - فقال ابن عيينة : قد
تلكوا في الاعتزال والرفض والقدرة ، وأمرونا ^(٨) باجتناّب القوم ، فما نعرف القرآن
الا كلام الله ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ، وما أشبه ^(٩) هذا القول بقول
النصاري ، لا تجالسوهم ، ولا تسمعوا كلامهم ^(١٠) .

- (١) ن : التي مات .
(٢) خلق أفعال العباد : فقال .
(٣) هو الامام الحافظ أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي مولا هم المكي الأثرم ، ولد سنة ٤٦ هـ وسمع
ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم ، كان ثقة ثباتاً ، وكان مفتي أهل
مكة في زمانه ، توفي سنة ١٢٦ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٧٩/٥ - ٤٨٠ ؛ الجرح والتعديل ٢٣١/٦ ؛ تذكرة
الحفاظ ١١٣/١ - ١١٤ ؛ تهذيب التهذيب ٢٨/٨ - ٣٠ ؛ الأعلام ٧٧/٥ .
(٤) هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز القرشي
التيمي المدني ، ولد قبل سنة ٦٠ هـ ، وسمع أبا هريرة وابن عباس وجابراً وأنس بن مالك وغيرهم
مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل ، توفي سنة ١٣٠ . انظر :
الجرح والتعديل ٩٧/٨ - ٩٨ ؛ تذكرة الحفاظ ١٢٧/١ - ١٢٨ ؛ تهذيب التهذيب ١١٢/٩
٤٧٥ - ٤٧٢ ؛ شذرات الذهب ١٧٧/١ - ١٧٨ ؛ الأعلام ١١٢/٧ .
(٥) هو الامام الحافظ المتقن أبو عتاب منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي ، أخذ عن
كبار التابعين ، وتوفي بالمدينة سنة ١٣٢ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٣٧/٦ ؛ الجرح والتعديل ١٧٧/٨ - ١٧٩ ؛ تذكرة
الحفاظ ١٤٢/١ - ١٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ٣١٢/١٠ - ٣١٥ ؛ شذرات الذهب ١٨٩/١
؛ الأعلام ٣٠٥/٧ .
(٦) الامام الحافظ أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولا هم ، يلقب بالأعمش (٦١-١٤٨) ، سكن
الكوفة وتوفي بها وكان عارفاً بالقراءة والفرائض والحديث ، من ثقات التابعين ، لكنه يدلس .
انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٤٢/٦ - ٣٤٤ ؛ الجرح والتعديل ١٤٦/٤ - ١٤٧ ؛ تاريخ
بغداد ٣/٩ - ١٣ ؛ تذكرة الحفاظ ١٥٤/١ ؛ تهذيب التهذيب ٢٢٢/٤ - ٢٢٦ ؛ شذرات
الذهب ٢٢٠/١ - ٢٢٣ ؛ الأعلام ١٣٥/٣ .
(٧) هو الامام الحافظ مسمري بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي الكوفي ، كان ثقة ثباتاً
في الحديث ، توفي بالكوفة سنة ١٥٢ أو ١٥٥ .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٤/٦ - ٣٦٥ ؛ الجرح والتعديل ٣٦٨/٨ - ٣٦٩ ؛ تذكرة
الحفاظ ١٨٨/١ - ١٩٠ ؛ تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ - ١١٥ ؛ شذرات الذهب ٢٣٨/١ -
٢٣٩ ؛ الأعلام ٣١٦/٧ .
(٨) خلق أفعال العباد : وأمروا .
(٩) خلق أفعال العباد : ما أشبه .
(١٠) خلق أفعال العباد : ولا تجالسوهم .

(*) وابن عبيدة أخرج هذا القول عن الرفض والاعتزال ؛ لأن المعتزلية أولاً الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية ، وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد وانكار القدر . وإنما حدث فيهم نفي الصفات بسمه هذا ولهذا لما ذكر الامام أحمد بن حنبل في " رده على الجهمية " قول جهم ، قال : " فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره " . واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاف والنظام وأشباههما من أهل الكلام .

وأما الرافضة فلم يكن في قدامتهم من يقول بنفي الصفات ، بل كان الفلو في التجسيم مشهورا عن شيوخم : هشام بن الحكم وأمثاله .^(٤) وقال البخاري :^(٥) " حدثني الحكم بن محمد الطبري - كُتبت عنه بمكة - قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : أدركت مشيختنا^(٦) منذ سبعين سنة - منهم عمرو ابن دينار - يقولون : القرآن كلام الله ، وليس بمخلوق " .

(*) مابين النجمتين ساقط من (خ ، س) .

(١) هو امام القدرية والمعتزلة أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب - ويقال : ابن ثوبان ، ويقال : ابن كيسان - التيمي مولا هم من أبناء فارس ، ولد في بلخ سنة ٨٠ ، وعاش في البصرة ، وتلمذ على الحسن البصري ثم اعتزله مع واصل بن عطاء ، ذمه أئمة الجرح والتعديل لبدعته وكذبه في الحديث ، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده ، مات بطريق مكة سنة ١٤٢ أو ١٤٣ أو ١٤٤ . انظر : الجرح والتعديل ٦/٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣ - ٢٨٠ ؛ البداهة والنهاية ١٠/٧٨ - ٨٠ ؛ شذرات الذهب ١/٢١٠ - ٢١١ ؛ الأعلام ٥/٨١ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٤/٢٠ - ٢١ .

(٢) في الرد علي الزنادقة والجهمية ، ص (٦٦ - ٦٧ ضمن مجموع عقائد السلف) : " وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية " .
(٣) ك : وأشباههم .

(٤) ك : ابن الحكيم . وهو أبو محمد هشام بن الحكم ، مولى بني شيبان ، كوفي سكن بغداد ، تنسب اليه والي هشام بن سالم الجواليقي فرقة الهشامية من الرافضة ، في كتاب الفهرست للنديم : " توفي بعد نكبة البرامكة بمدينة مستترا ، وقيل في خلافة السامون " .

انظر الفهرست ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ لسان الميزان ٦/١٩٤ ؛ ضحى الاسلام ٣/٢٦٨ - ٢٦٩ ؛ الأعلام ٨/٨٥ . وانظر ما ذكرته عن الهشامية فيما تقدم ، ص ١٢ ت ٣ .
(٥) في بداية كتاب " خلق أفعال العباد " ضمن مجموعة " عقائد السلف " ص ١١٧ .

(٦) هو أبو مروان الحكم بن محمد الطبري ، نزيل مكة ، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/٤٣٨ - ٤٣٩ وقال : " ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مات سنة بضع عشرة ومائتين " وانظر عنه أيضا الجرح والتعديل ٣/١٢٧ .

(٧) ن ، خلق أفعال العباد : مشايخنا .

قلت : كان المرسي قد صنف كتابا في نفي الصفات ^(١) ، وجعل يقرؤه بمكة في أواخر حياة ابن عيينة ، فشاع بين علماء أهل مكة ذلك ، وقالوا : صنف كتابا في التعطيل . فسمعوا في عقوبته وحبسه ، وذلك قبل أن يتصل بالمؤمن ويجرى من المحنة ماجرى .

وقول ابن عيينة : ما أشبه هذا الكلام بكلام ^(٢) النصارى ! هو كما قال - كما / قد بسط في غير هذا الموضع - فان عيسى مخلوق ، وهم يجعلونه نفس الكلمة ، لا يجعلونه المخلوق بالكلمة . وأيضا ^(٣) قائمة النصارى - كفشتكين أحد فضلائهم الأَكْبَار - ^(٤) يقولون : ان الله ظهر في صورة البشر مترايبا لنا ، كما ظهر كلامه ^(٥) لموسى في الشجرة ، فالصوت المسموع هو كلام الله وان كان خلقه في غيره ؛ وهذا المرئى هو الله وان كان قد حل في غيره .

قال البخارى : ^(٨) وقال علي بن عاصم : ^(٩) ما الذين قالوا بان لله ولدا ^(١١)

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : مطلب ، المرسي صنف كتابا في نفي الصفات .

(٢) ن : يقول .

(٣) ك : نصارى .

(٤) ن : الكبار .

(*) مابين النجمتين ساقط من (خ ، س) .

(٥) ن : كما ظهر لموسى كلامه .

(٦) هو : ليست في (ن) .

(٧) ن : خالقه .

(٨) في " خلق أفعال العباد " ، ص ١٢١ .

(٩) هو الحافظ أبو الحسن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولا هم (١٠٥ - ٢٠١) أصله من واسط ، سكن بغداد وحدث بها ، كان اماما ورعا صالحا ، ولكن أنكروا عليه كثرة الخطأ والغلط .

انظر : الجرح والتعديل ٦/١٩٨ - ١٩٩ ؛ تاريخ بغداد ١١/٤٤٦ - ٤٥٨ ؛ تذكرة الحفاظ

١/٣١٦ - ٣١٧ ؛ تهذيب التهذيب ٧/٣٤٤ - ٣٤٨ ؛ شذرات الذهب ٢/٢ ؛ الأعلام

٤/٢٩٧ .

(١٠) خلق أفعال العباد : وقال علي : ان الذين .

(١١) خ ، س ، خلق أفعال العباد : ان .

أَكْفَرُ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا : ان الله لا يتكلم . قال :^(١) وقال علي بن عبد الله - يعني -
ابن المديني - : القرآن كلام الله ، من قال : انه مخلوق فهو كافر لا يصلي خلفه .^(٢)
قال :^(٣) وقال أبو الوليد : من قال : القرآن مخلوق ، فهو كافر ، ومن لم يعتقد
قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو خارج من الاسلام . قال :^(٥) وقال أبو عبيد
: نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوماً^(٧) أضل في كفرهم منهم ،
واني لأستجهل من لا يكفرهم ، الا من لا يعرف كفرهم . قال :^(٨) وقال معاوية بن
عمار : سمعت جعفر بن محمد يقول : القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق . وهذا^(٩)
^(١٠)

(١) في " خلق أفعال العباد " ، ص ١٢٢ .

(٢) عبارة " يعني ابن المديني - زيادة من ابن تيمية للايضاح .

وهو الاجام أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيج السعدي مولا هيم ، المعروف بابن
المديني ، أصله من المدينة ، ولد بالبصرة سنة ١٦١ ، وحدث في بغداد ، وتوفي بسامرا سنة
٢٣٤ ، كان علما في معرفة الحديث والعلل ، ومناقبة كثيرة ، الا أنه أجاب في محنة القول
بخلق القرآن ثم ندم ورجع .

انظر: الجرح والتعديل ٦/١٩٣-١٩٤ ؛ تاريخ بغداد ١١/٤٥٨-٤٧٣ ؛ طبقات الحنابلة
١/٢٢٥-٢٢٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٨-٤٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ٧/٣٤٩-٣٥٧ ،
شذرات الذهب ٢/٨١ ؛ الأعلام ٤/٣٠٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١-٢٠٤-٢٠٥ .

(٣) في خلق أفعال العباد ، ص ١٢٣ .

(٤) ك : عن .

(٥) بعد القول السابق مباشرة .

(٦) خلق أفعال العباد : قال أبو عبد الله .

(٧) قوما : ليست في " خلق أفعال العباد " .

(٨) خلق أفعال العباد ، ص ١٢٠ قبل القول السابق بصفحات .

(٩) هو معاوية بن عمار بن أبي معاوية الدهني ، نسبة الى دهن قبيلة من بجيلة ، من أهل الكوفة ،
صدوق .

انظر: الجرح والتعديل ٨/٣٨٥ ؛ ميزان الاعتدال ٤/١٣٧ ؛ تهذيب التهذيب ١٠/٢١٤-٢١٥ .
(١٠) هو الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يلقب بجعفر
الصادق ، ولد سنة ٨٠ بالمدينة وعاش وتوفي بها سنة ١٤٨ ، وهو محدث وفقه ، وثقه الشافعي
ويحيى بن معين وأبو حاتم ، لكن البخاري لم يخرج له .

انظر: الجرح والتعديل ٢/٤٨٧ ؛ تذكرة الحفاظ ١/١٦٦-١٦٧ ؛ ميزان الاعتدال ١/١٤٤ ؛
تهذيب التهذيب ٢/١٠٣-١٠٥ ؛ شذرات الذهب ١/٢٢٠ ؛ الأعلام ٢/١٢٦ ؛ تاريخ
التراث العربي ١/٣-٢٦٧-٢٧٣ .

(١١) خلق أفعال العباد : وليس .

باب واسع كبير منتشر في كتب السنة والحديث ، فهذا تمام ما قرره (١) في مسألة
" الكلام " .

فصل (٢)

وللناس طرق أخرى في اثبات كون الله متكلماً (٣) ؛ منها ما في القرآن من
الاخبار عن ذلك ، كقوله تعالى : (قال الله (٤) و (يقول الله (٥) ، وقوله : (وكلم
الله موسى تكليماً (٦) . وقوله : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه (٧) .
وما ذكره في القرآن من كلمته وكلماته ، كقوله تعالى : (ولولا كلمة سبقت
من ربك (٩) ، وقوله : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً (١٠) .
وما فيه من ذكر مناداته ومناجاته ، كقوله : (ونادينا من جانب الطور
الأيمن وقريناه نجياً (١١) ، وقوله : (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم
ترعون) (١٢) ، (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) (١٣) ، (وان نادى ربك
موسى أن ائت القوم الظالمين) (١٤) .
وما في القرآن من ذكر انبائه وقصصه ؛ كقوله : (قد نبأنا الله من أخباركم) (١٦) .
وقوله : (نحن نقص عليك أحسن القصص) (١٧) .

طرق أخرى في
اثبات كون الله
متكلماً :
١- الطرق
السمعية

- (١) ن : ما قرره .
- (٢) كلمة " فصل " : ليست في (خ ، س) .
- (٣) عبارة " في اثبات كون الله متكلماً " ساقطة من (خ ، س) .
- (٤) سورة المائدة : ١١٥ .
- (٥) في القرآن : (والله يقول) سورة الأحزاب : ٤ .
- (٦) سورة النساء : ١٦٤ .
- (٧) سورة الأعراف : ١٤٣ .
- (٨) في جميع النسخ : كلمة . ولعل الصواب ما أثبتته .
- (٩) سورة يونس : ١٩ .
- (١٠) سورة الأنعام : ١١٥ . في جميع النسخ : (وتمت كلمات) . وهو خطأ ، وآخر الآية : (. . .) .
- (١١) لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم .
- (١٢) سورة مريم : ٥٢ .
- (١٣) سورة القصص : ٦٢ . والآية ساقطة من (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : (ويوم يناديهم أين شركائي الذي كنتم ترعون) .
- (١٤) سورة الشعراء : ١٠٠ .
- (١٥) سورة القصص : ٦٥ .
- (١٦) سورة التوبة : ٩٤ .
- (١٧) سورة يوسف : ٣ .

ومافي القرآن من ذكر حديثه [وقوله^(١)] ، كقوله : (الله لا اله الا هو)
ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً^(٢) . وقوله : (الله
نزل أحسن الحديث)^(٣) ، [وقوله^(٤)] : (قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور)^(٥) .
[ومافيه^(٦)] من [أن^(٧)] القول منه ؛ كقوله^(٨) : (ولكن حق القول مني
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)^(٩) .

وما ذكر في القرآن أنه منه ، أو ما أضيف اليه : فان كان عينا قائمة بنفسها
أو أمراً قائماً بتلك العين - كان مخلوقاً ؛ كقوله في عيسى : (وروح منسأه)^(١٠) ،
وقوله : (وسخرلكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه)^(١١) / وقوله : (وما بكم
من نعمة فمن الله)^(١٢) .

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها ، ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له
كالقول والعلم^(١٤) .

والأمر اذا أريد به المصدر كان^(١٥) من هذا الباب ؛ كقوله تعالى : (ألا له
الخلق والأمر)^(١٧) . وان أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول ؛ كقوله
تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)^(١٩) .

-
- (١) وقوله : ساقطة من (ن ، ك) .
 - (٢) سورة النساء : ٨٧ .
 - (٣) سورة الزمر : ٢٣ .
 - (٤) وقوله : في (ن) فقط .
 - (٥) سورة الأنعام : ٧٣ . في (ك) جاءت هذه الآية بعد آية السجدة الآتية .
 - (٦) عبارة " ومافيه " ساقطة من (ك) .
 - (٧) أن : ساقطة من (ن ، ك) .
 - (٨) ك : وقوله .
 - (٩) سورة السجدة : ١٣ . في (ك) بعد هذه الآية : وقوله تعالى : (قوله الحق وله الملك) الآية .
 - (١٠) سورة النساء : ١٧١ .
 - (١١) سورة الجاثية : ١٣ .
 - (١٢) س ، ك : وقوله تعالى .
 - (١٣) سورة النحل : ٥٣ .
 - (١٤) ن ، ك : فكأ لقول .
 - (١٥) س ، ك : اذا أريد به المصدر كان المصدر .
 - (١٦) تعالى : ليست في (ن ، خ) .
 - (١٧) سورة الأعراف : ٥٤ .
 - (١٨) تعالى : ليست في (ن ، خ) .
 - (١٩) سورة النحل : ١ .

وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه^(١) ، وعلم الله^(٢) ؛ وبين عبد الله ، وبين الله ، وناقاة الله ، وقوله : (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا^(٣)) .
وهذا أمر معقول في الخطاب^(٤) ؛ فاذا قلت : " علم فلان وكلامه ومشيئته " لم يكن شيئا بائنا عنه^(٥) ، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به ، فاذا أضيفت اليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف ، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير ، لا له^(٦) .

واعلم أن الاستدلال على الكلام يمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات ، لأن ما أخبر الله به عن نفسه من قوله وكلامه ، ونبيه وقصصه ، وأمره ونهيه وتكليمه ، وندائه ومناجاته ، وأمثال ذلك - أضعاف أضعاف ما أخبر به من كونه سميعا بصيرا .

وأياضا فانه نوع الاخبار عن كل نوع من أنواع الكلام ، وحتى ذلك ، وكسره في مواضع ، ولا يحصى^(٨) ما في القرآن من ذلك الا بكلفة .

ومن المعلوم بالاضطرار أن المخاطبين لا يفهمون من هذا الكلام عند الاطلاق أنه خلق صوتا في غيره ، وانما يفهمون منه [أنه^(٩)] هو الذي تكلم بذلك وقاله^(١٠) ،

(١) سبحانه : ليست في (ن ، خ) .

(٢) ن : وحكم الله .

(٣) سورة مريم : ١٧ .

(٤) ن : معقول بمعنى الخطاب .

(٥) في (خ) بعد عبارة " بائنا عنه " اشارة للهامش وكتب فيه : " وانذا قلت : عبده ومملوكه ونحو ذلك كان ذلك شيئا بائنا عنه " .

(٦) صفة : ساقطة من (ن) .

(٧) لا له : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) لا لغيره .

(٨) خ : فلا يحصى .

(٩) أنه : ساقطة من (س ، ك) .

(١٠) س : وقال .

كما قالت عائشة في حديث الافك : "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يتلى"^(١). فلو كان المراد بهذه الجمل الكثيرة التعظيمة البينسية الصريحة خلاف مفهومها ومقتضاها لوجب بيان ذلك ؛ ان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

ثم لا يقدر أحد أن يحكي عنهم أنهم جعلوا الكلام كلاما لمن أحدثه في غيره ، بل لا يوجد في كلامهم قال ويقول ، وتكلم ويتكلم^(٢) ، الا اذا كان الكلام قائما بذاته .

وانا احتجت الجهمية من المعتزلة ونحوهم بأن أحدنا انما كان متكلماً لأنه فعل الكلام قيل : هولم يحدثه في غيره ، ولم يباين كلامه نفسه ، وأنتم تجعلون الكلام المباين للمتكلم كلاما له .^(٣)

فان قالوا : ولا نعقل الكلام الا كلاما لمن فعله بمشيئته وقدرته ، فان كلام أحدنا لم يكن كلاما له لمجرد قيامه بذاته ، بل لكونه فعله .^(٤)

قيل : أما كلام أحدنا فهو قائم به ، وهو تكلم به في ذاته ومشيئته وقدرته ، فهو قد جمع الوصفين : أنه قائم بذاته ، وأنه تكلم به بمشيئته وقدرته .^(٥)

(١) ورد قول عائشة هذا في حكايتها رضي الله عنها لقصة الافك ، في صحيح البخارى (فتح البارى ٨ / ٤٥٤ رقم ٤٧٥٠) كتاب التفسير ، باب : (لولا ان سمعتموه فلتم مايكون لنا أن نتكلم بهسذا سبحانك هذا بهتان عظيم) [سورة النور : ١٦] ؛ وصحيح مسلم ٤ / ٢١٣٥ رقم ٢٧٧٠ كتاب التوبة ، باب في حديث الافك وقبول توبة القاذف ، وسنن أبي داود (عون المعبود ١٣ / ٦١) كتاب السنة ، باب في القرآن ، ومسند أحمد (طه . الحلبي) ٦ / ١٩٧ .
ولغظ البخارى : " وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحييا يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يروني الله بها " .

(٢) ك : تكلم . (بسقوط الواو) .

(٣) ن : قيل : الواحد مالم .

(٤) ك : البائن .

(٥) ن : فلا يعقل .

(٦) ك : بمجرد .

(٧) ك : أحد .

(٨) ن : يتكلم .

(٩) ن : وهو .

(١٠) به : ساقطة من (ن) .

فليس جعلكم الكلام كلامه لمجرد كونه فعله بأولى من جعل غيركم الكلام كلاما له لمجرد كونه قائم بذاته ^(١) .

ص ٦٠

/ وهذا موضع تنازعت فيه الصفاتية بعد اتفاقهم على تضليل الجهمية من الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم - على قولين مشهورين ، حتى القائلون بأن الكلام معنى قائم بنفس المتكلم وراة الأصوات تنازعوا في ذلك ، كما ذكره أبو محمد بن كلاب فيما حكاه عنه أبو بكر بن فورك .

قال ابن فورك ^(٢) : " فأما صريح عبارته [- يعني عبارة ابن كلاب -] وما نص عليه في كتاب " الصفات الكبير " ^(٤) في تحقيق الكلام ، فانه قال : فأما الكلام فانه على ما شاهدناه ^(٥) منه معنى قائم بالنفس : فقوم يزعمون أنه نعت لها ، وقوم يزعمون أنه فعل من أفعالها ، الا أنه ^(٦) يعبر عنه بالألفاظ والكتاب والايما ، وكل ذلك قد يسمى كلاما وقولا لأدائه ما يؤدى عن تلك المعاني الخفيات .

وكذلك أبو بكر عبدالعزيز ذكر في كتابه ما ذكره القاضي أبو يعلى ^(٧) عنه أن أصحاب الامام أحمد تنازعوا في معنى قولهم : القرآن غير مخلوق . هسل المراد به أنه صفة لازمة له كالعلم والقدرة ؛ أو أنه يتكلم اذا شاء ^(٨) ويسكت اذا شاء .

وهذه المسألة متعلقة بمسألة " قيام الأفعال بذاته المتعلقة بمشيئته " هل يجوز أم لا ؟ كالاتيان ، والمجيب ، والاستواء ، ونحو ذلك ، وتسمى ^(٩) مسألة حلول الحوادث ^(١١) . وكل طائفة من طوائف الأمة وغيرهم فيها على قولين ، حتى الفلاسفة لهم فيها قولان : لمتقدميهم ومتأخريهم ^(١٣) ، وذكر أبو عبد الله

مسألة قيام الأفعال الاختيارية بالله

- (١) ن : قائما .
- (٢) بحثت عن هذا النص في كتاب " مشكل الحديث وبيانه " لابن فورك ، ط . الثانية حيدرآباد ١٣٩١ هـ - ١٩٧٠ م - فلم أجده .
- (٣) جملة " يعني عبارة ابن كلاب " في (ن) فقط ، وهي من ابن تيمية للايضاح .
- (٤) ك : الصفات الكبيرة .
- (٥) خ ، س : شاهدنا .
- (٦) ك : أنهم .
- (٧) ن : أبو علي ، وهو خطأ ، وقد نقل ابن تيمية ما يشير اليه هنا فيما تقدم ص ٢٠١ .
- (٨) ن : أو أنه يتكلم بمشيئته . (٩) ن ، خ : يجوز . (١٠) ن : ونحو ذلك ، ويلقبها بعض المتكلمين .
- (١١) علق نعمان الألويسي في هامش (س) مايلي : " أقول : قد ذكرهذه المسألة شيخ الاسلام الموفف في كثير من كتبه ، ولا سيما في كتابه " الرد على ابن المطهر الحلي " فارجم اليه . نعمان " .
- (١٢) ن : وغيرهم هم . (١٣) عبارة " لمتقدميهم ومتأخريهم " ساقطة من (خ ، س) .

الرازي أن جميع الطوائف تلزمهم هذه المسألة وان لم يلتزموها^(١).
وأول من صرح بنفيها الجهمية من المعتزلة ونحوهم ، ووافقهم على ذلك
أبو محمد بن كلاب وأتباعه كالচারث المحاسبي^(٢) وأبي العباس القلانسي وأبي
الحسن الأشعري^(٣) ، ومن وافقهم^(٤) من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي الوفا
ابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني ، وهو قول طائفة من متأخري أهل الحديث
كأبي حاتم المستي^(٥) والخطابي ونحوهما^(٦).

(١) قال الرازي في كتاب الأربعين ، ص ١١٨ : " المسألة العاشرة في بيان أنه تعالى يمنع أن يكون محلا
للحوادث ، المشهور أن الكرامية يجوزون ذلك ، وسائر الطوائف ينكرونه ، ومن الناس من قال : ان
أكثر طوائف العقلاء يقولون بهذا المذهب ، وان كانوا ينكرونه باللسان ."
ثم ذكر (ص ١١٨ - ١١٩) أقوال المعتزلة والأشعرية والفلاسفة ، وقال : " فاذا حصل الوقوف على
هذا التفصيل ، ظهر أن هذا المذهب قال به أكثر فرق العقلاء ، وان كانوا ينكرونه باللسان ."
وقال (ص ١٢٠) : " واعلم أن الصفات على ثلاثة أقسام :
أحدها - صفات حقيقية عارية عن الإضافات ، كالسواد والبياض .
وثانيها - الصفات الحقيقية التي تلزمها الإضافات كالعلم والقدرة ، وذلك لأن العلم صفة حقيقية
تلزمها اضافة مخصوصة الى المعلوم ، وكذا القدرة . . .
وثالثها - الإضافات المحضة والنسب المحضة ، مثل كون الشيء قبيح غيره ، وبعد غيره ، ومثل كون الشيء
يمينا لغيره أو يسارا له ، فانك اذا جلست على يمين انسان ، ثم قام ذلك الانسان ، وجلس فسي
الجانب الآخر منك ، فقد كنت يمينا له ثم صرت الآن يسارا له ، فهنا لم يقع التغير في ذاتك ،
ولا في صفة حقيقية من صفاتك ، بل في محض الإضافات .
انذا عرفت هذا ، فنقول : اما وقوع التغير في الإضافات فلا خلاص عنه ، وأما وقوع التغير في الصفات
الحقيقية ، فالكرامية يشتبون وسائر الطوائف ينكرونه"

(٢) عن الحارث كتب في هامش (س) : مدفون في جامع الأصفية في الرصافة ببغداد قرب الجسر .

(٣) في هامش (س) : الأشعري مدفون في السيف ببغداد قرب الشريعة في الكرخ .

(٤) ن : ومن وافقهم على ذلك .

(٥) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي ، ولد في
بست من بلاد سجستان ، وتنقل في الأقطار ، ثم عاد الى بلده ومات بها سنة ٣٥٤ ، وهو أحد
الحفاظ ، وصاحب الصحيح المسمى " التقاسيم والأنواع " .

انظر : تذكرة الحفاظ / ٣ - ٩٢٠ - ٩٢٤ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٥٠٦ - ٥٠٨ ؛ البداية والنهاية

١١ / ٢٥٩ ؛ لسان الميزان ٥ / ١١٢ - ١١٥ ؛ الأعلام ٦ / ٧٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ /

٣٨٠ - ٣٨٣ .

(٦) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي سمع ببغداد والبصرة
ونيسابور ، وتوفي بمدينة بست سنة ٣٨٨ ، وهو فقيه ، ومحدث ، صاحب تصانيف ، منها غريب
الحديث ، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود .

انظر : وفيات الأعيان ٢ / ٢١٤ - ٢١٦ ؛ تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠١٨ - ١٠٢٠ ؛ البداية والنهاية

١١ / ٣٢٤ ؛ الأعلام ٢ / ٢٧٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ٤٢٧ - ٤٢٩ .

وكثير من طوائف أهل الكلام^(١) يثبتها كالهشامية^(٢)، والكرامية، والزهيرية^(٣)،
وأبي معاذ التومني^(٤) وأمثالهم، كما ذكره الأشعري عنهم في "المقالات" وهو*
قول أساطين الفلاسفة المتقدمين*^(٥)، وأبي البركات صاحب "المعتبر" وغيره من
المتأخرين^(٦).

وهو قول جمهور أئمة الحديث، كما ذكره عثمان بن سعيد الدارمي، وإمام
الأئمة أبو بكر بن خزيمة وغيرهما عن مذهب السلف والأئمة، وكما ذكره شيخ
الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري^(٨) وأبو عمر بن عبد البر النمري. وقاله طوائف من
أصحاب أحمد: كالخلال^(٩) وصاحبه^(٩) وابن حامد^(١٠) وأمثالهم، وقاله داود بن علي
الأصفهاني^(١١) وأتباعه، وهو مقتضى ما ذكره عن السلف والأئمة من الصحابة
والتابعين وتابعيهم، إلى عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والبخاري صاحب
"الصحيح" وأمثالهم، وعليه يدل كلام السلف.

-
- (١) خ، س: من طوائف الكلام.
(٢) ن: تثبتها كالهشامية.
(٣) والزهيرية: ساقطة من (س)، ولعل المراد بهم المنتسبون إلى زهير الأثرى المتقدم ذكره ص ٣٤١.
(٤) ن: والزهيرية والمعاذية.
(*) ما بينهما ساقط من (خ، س).
(٥) الفلاسفة: كذا في (ن)، وفي (ك): فلاسفة.
(٦) وأبي: كذا في (ن)، وفي (خ، س، ك) وكأبي.
(٧) ن: وغيرهم من المتأخرين. وفي (خ، س، ك): وأمثاله من المتفلسفة.
(٨) ن: أبو عثمان، س: ابن اسماعيل.
(٩) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد، المعروف بفلام أو صاحب الخلال، تقدمت ترجمته، ص ١٧٨ ت ٣.
(١٠) ن، ك: وأبي حامد، وتقدمت ترجمة أبي عبد الله الحسن بن حامد، ص ٢٥٠ ت ٤.
(١١) هو الفقيه المجتهد أبو سليمان داود بن علي بن خلف، أصله من أصبهان، وولد بالكوفة سنة ٢٠٠
ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة ٢٧٠، أخذ العلم عن اسحاق بن راهوية وأبي ثور وغيرهما، وهو
إمام أهل الظاهر، وله مصنفات، وكان ورعا زاهدا.
انظر: تاريخ بغداد ٣٦٩/٨ - ٣٧٥؛ وفيات الأعيان ٢٥٥/٢ - ٢٥٧؛ تذكرة الحفاظ ٥٧٢/٢ -
٥٧٣؛ البداية والنهاية ٤٧/١١ - ٤٨؛ لسان الميزان ٤٢٢/٢ - ٤٢٤؛ الأعلام ٣٣٣/٢ -
تاريخ التراث العربي ٢٥٢/٣/١ - ٢٥٣.
(١٢) ن: وهو معنى ما ذكر فيه.

فهو^(١) إذا قالوا: المتكلم / من قام به الكلام ، وهو يتكلم بمشيئته
 وقدرته . خصموا المعتزلة ، وانقطعت حججهم عنهم ؛ فانهم اعتبروا الوصفين
 جميعا ، فمن جعل المتكلم من قام به الكلام^(٢) وان لم يكن متكلما بمشيئته وقدرته ،
 أو جعله من فعله بمشيئته وقدرته وان لم يكن قائما به حذف أحد الوصفين^(٣) .
 ولا ريب أن الطرق الدالة على الاثبات والنفي اما السمع واما العقل ؛
 أما السمع فليس مع النفاة منه شي * ، بل القرآن والأحاديث هي من جانب
 الاثبات : كقوله تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)^(٥) .
 وقوله تعالى : (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين)^(٦) . وقوله : (وكل
 اعلموا فسرى الله علمكم ورسوله والمؤمنون)^(٧) . وقوله : (خلق السموات والأرض في
 ستة أيام ثم استوى على العرش)^(٨) . وقوله : (ثم استوى الى السماء وهي دخان)^(٩) .
 وقوله : (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات
 ربك)^(١٠) . وأمثال ذلك مما في القرآن فانه كثير جدا .
 وكذلك الأحاديث الصحيحة : كقوله عليه الصلاة والسلام^(١١) ، لما صلى بهم
 صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل : (أتدرون ماذا قال ربكم
 الليلة ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (فانه قال : أصبح من عبادى مؤمن بسى
 وكافر بى)^(١٢) ، وما يذكره من خطابه للعباد يوم القيامة ، وخطابه للملائكة ، وأمثال ذلك .

- (١) ن : وهو لا .
- (٢) عبارة " فمن جعل المتكلم من قام به الكلام " جاءت في آخر احدى الصفحات في مخطوطة (خ) وتحتها
 ختم الوقف كما هو على صفحة عنوان هذه المخطوطة : " هذا وقف سلطان الزمان . . . الخ " .
- (٣) ن : بحذف . ك : لحذف .
- (٤) تعالى : ليست في (ن ، خ) (في الموضعين) .
- (٥) سورة يس : ٨٢ .
- (٦) سورة القصص : ٦٥ .
- (٧) سورة التوبة : ١٠٥ .
- (٨) سورة الأعراف : ٥٤ . وأول الآية : (ان ربكم الله الذى خلق . . .) .
- (٩) سورة فصلت : ١١ .
- (١٠) سورة الأنعام : ١٥٨ .
- (١١) الصحيحة : ساقطة من (ن) .
- (١٢) ن : صلى الله عليه وسلم . وسقطت من (خ) .
- (١٣) خ ، س : صلاة الحديبية .
- (١٤) ن : وكافر . ك : وكافر بالكوكب . وقد تقدم تخريجه ، ص ٢٢٢٧ ت ٢ .

بل كل ماتحتج به المعتزلة على أن القرآن مخلوق من نحو هذا^(١)، فأنه لا يدل على أنه بائن منه ، وإنما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته^(٢)، فيمكن^(٣) هو^(٤) التزاهم ويكون قولهم متضمنا للإيمان بجميع ما أنزله الله مما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته ، وعلى أن كلامه غير مخلوق ، بخلاف غيرهم فإنه يقرر بعض النصوص ويرد بعضها بتحريف أو تفويض^(٤). ومن جملة متكلمي بمشيئته وقدرته^(٥)، وقال^(٦) : " أن كلامه قائم به " زال عنه هذا كله ، والمنازع لهم يحتاج أن يقرر بالمعقل امتناع ذلك ، ثم يبين أنه يمكن تأويله .

فأما الطرق العقلية فالمشبتون يقولون : انها من جانبهم دون جانب النفاة . كما تزعم النفاة أنها من جانبهم - وذلك أنهم قالوا : ان قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال ، كما أن ما يقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ، ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك ، كما أن قدرته على أن يبدع الأشياء صفة كمال ، والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق . وقالوا : الحي لا يخلو عن هذا ، والحياة هي المصححة لهذا ، كما هي المصححة لسائر الصفات ، واذنا قدر حي لا يقدر على أن يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الزمن^(٧) والأخرس ، / كما أنه اذا قدر حي لا يسمع ولا يبصر كان أصم أعمى . فما من طريق يسلكه الصفاتية في اثبات صفاته الا يسلك هو^(٨) هو^(٩) نظيره من اثبات ذلك .

ولاريب أن النفاة نوعان^(١٠) :

أحدهما - وهم الأصل - المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فهو^(١١) ينفسون

نفاة قيام الأفعال
الاختيارية بالله
نوعان :
١- الجهمية
والمعتزلة

- (١) - (١) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
(٢) أي السلف .
(٣) خ ، س : فان من جملة .
(٤) خ ، س : فان من جملة .
(٥) في لسان العرب ، مادة " زمن " : " رجل زمن ، أي مبتلى بين الزمان ، والزمان : العاهة " .
(٦) ن : سلك .
(٧) أي السلف .
(٨) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) مطلب ، النفاة نوعان وقول الفريقين .
(٩) ن : وهو^(١١) .

الصفات مطلقا ، وحجتهم على نفي قيام الأفعال به من جنس حججهم على نفي قيام الصفات به ،^(١) وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا ، كما صرحوا بذلك ، وليس لهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث^(٢) .

وأما مثبتة الصفات الذين ينفون الأفعال الاختيارية القائمة به كابن كلاب والأشعري ، فانهم فرقوا بين هذين^(٣) بأنه لو جاز قيام الحوادث به لم يخل منها^(٤) لأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث . وبهذا استدلوا على حدوث الأجسام ، لأنها لا تخلو من الأعراض الحادثة : كالحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق^(٥) .

٢- ابن كلاب
والأشعري

فأجابهم الأولون بثلاثة أجوبة :^(٦)

مناقشة المثبتة
للنوع الثاني

أحدها - أن استدلالكم بقيام الأفعال به على حدوثه هو نظير استدلال المعتزلة بقيام الصفات به على حدوثه ، وقالوا : الصفات أعراض ، والأعراض لا تقوم إلا بجسم . ففرقتم أنتم بين الصفات وهي اللازمة وبين الأعراض ، وهو فرق صوري ، يرجع في الحقيقة إلى الاصطلاح ؛ فان جاز أن تقوم به الصفات التي هي أعراض في غيره ولا يكون جسما محدثا - جاز أن تقوم به الأفعال التي هي حركات في غيره ولا يكون جسما محدثا ، وهذا الزام .

الثاني - قالوا لهم : لانسلم أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ، وقد اعترف أبو عبد الله الرازي وأبو الحسن الآمدي ونحوهما بفساد هذا الأصل ، وعليه بنى الأشعري وأصحابه كلامهم في مسألة " امتناع قيام الحوادث به " ومسألة " القرآن "

ونحوهما من المسائل .

- (١-١) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
- (٢) الاختيارية : ساقطة من (خ ، س) .
- (٣) ن : فزأوا من .
- (٤) من : منه .
- (٥) كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : لا يخلو منه ومن .
- (٦) خ ، س : لأنها لا تخلو من الحركة والسكون . فقط .
- (٧) من قوله هنا : " فأجابهم الأولون " التي قوله في صفحة ٤٥٠ : " وفي النفي تشبيه له بما ينفي عنه هذه الصفات " . ساقط من (ن) .

الثالث - هب أنه لا يخلو عنه وعن ضده ، وأن ذلك يستلزم تعاقب الحوادث ، لكن لانسلم أن ذلك يستلزم حدوث ما قام به ، قالوا : والدليل الذي ذكرتموه على حدوث العالم من هذا الوجه دليل ضعيف ، وقد ألزمكم الفلاسفة فيه الزاما لم تنفصلوا عنه ، ولا يمكنكم الانفصال عنه الا بتجوير ذلك على القديم .

فانهم قالوا : ما حدث بعد أن لم يكن فلا بد له من سبب حادث ، فان ذلك الحادث ممكن ، والممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر الا بمرجح ، والمرجح ان لم يجب حصول الممكن عند حصوله لم يكن مرجحا تاما فافتقر الى تمامه ؛ ثم القول في حدوث ذلك التمام كالقول في حدوث الأول ، فلا بد من مرجح تام يجب عنده الحادث ، فلا بد لكل حادث من سبب تام يحصل / الحادث عند تمام ذلك السبب : فاذا كان العالم محدثا بعد أن لم يكن ، ولم يحدث سبب يقتضي حدوثه - فلم يكن حين ابداعه أمر يوجب ترجيحه لم يكن قبل ابداعه ، بل الحالان سواء - فليزِم ترجيح الحدوث بلا مرجح . وهذا الموضوع هو أصعب المواضع ^(١) على المتكلمين في بحثهم مع الفلاسفة في مسألة " حدوث العالم " ، وهذه الشبهة أقوى شبه الفلاسفة ، فانهم لمسا رأوا أن الحدوث يمتنع الا بسبب حادث ؛ قالوا : والقول في ذلك الحوادث كالقول في الأول .

وقال هو^(٢) هو "المثبتة لقيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى : وعلى أصلنا يبطل كلام الفلاسفة ؛ فانه يقال لهم : أنتم تجوزون قيام الحوادث بالقديم ؛ ان الغلك قديم - عندكم - والحركات تقوم به ، وتجاوزون حوادث لا أول لها ؛ وتعاقب الحركات على الشيء لا يستلزم حدوثه ، واذا كان كذلك فلم لا يجوز ^(٣) أن يكون الخالق للعالم له أفعال اختيارية تقوم به يحدث بها الحوادث ، ولا يكون تسلسلها وتعاقبها دليلا على حدوث ما قامت به .

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضوع : مطلب صعب .

(٢) خ : قال . بدون الواو .

(٣) ك : فلم يجوز .

قال هو "لأصحابهم الذين أثبتوا حدوث العالم بهذه الطريقة^(١) :
[هذه الطريقة^(٢)] تسلط عليكم الفلاسفة في مسألة " حدوث العالم " ؛ فانكم اذا
أثبتتم حدوث العالم ، وقلتم : المحدث لا بد له من محدث ، لأن تخصيص
الحوادث ببعض الأوقات دون بعض لا بد له من مخصص - قال لكم الدهريسة :
فأنتم تجوزون الحدوث من غير سبب حادث يقتضي التخصيص ببعض الحوادث
دون بعض .

فان قلتم : القديم يخص مثلا عن مثل بلا سبب أصلا . جوزتم تخصيص
أحد المثبتين على الآخر بغير مخصص ، وهذا يفسد عليكم اثبات العلم بالصانع ،
وهو المقصود بطريقكم ، فسلكتم طريقا لم تحصل المقصود من العرفان ، وسلطتم
عليكم أهل الضلال والعدوان ، كمن أراد أن يفزو العدو بغير طريق شرعي ؛
فلا فتح بلادهم ، ولا حفظ بلادهم ، بل سلطهم حتى صاروا يحاربونه بعد أن كانوا
عاجزين عنه .

ولهذا! ذم السلف والأئمة أهل الكلام المحدث المخالف للكتاب والسنة ؛
ان كان فيه من الباطل في الأدلة والأحكام ما أوجب تكذيب بعض ما أخبر به
الرسول وتسلط العدو على أهل الاسلام .^(٣)

وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه الأمور الكبيرة العظيمة ، بل نبهنا^(٤)
عليها تنبيها مختصرا بحسب ما يحتله هذا المقام ؛ فان الكلام في مسألة " الكلام "
حير عقول أكثر الأنام : الذين ضعفت معرفتهم واتباعهم لما بعث الله به رسله
الكرام .^(٥) ولهم طرق سمعية في تقريره يطول ذكرها .

(١) ك : الطرق .

(٢) عبارة " هذه الطريقة " في (خ) فقط .

(٣) وتسلط : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : وتسلط .

(٤) العظيمة : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : العظام .

(٥) س : رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .

وأما الطرق العقلية فمن وجوه (١):

أحدها- أن الحي اذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده : كالسكوت والخرس، وهذه آفة يتنزه الله عنها، فتعين اتصافه بالكلام، وهذا المسلك يسلكونه في اثبات كونه سميما بصيرا أيضا ؛ فانه اذا كان حيا ولم يكن سميما بصيرا لزم اتصافه بضد ذلك من الصم والعمى .

الثاني - أن الكلام صفة كمال . وهنا من جعله صفة لا تتعلق بمشئته واختياره : جعله كالعلم والقدرة ، ومن قال : انه يتعلق بمشئته وقدرته ، قال : كونه متكما يتكلم اذا شاء صفة كمال . وقد يقول بطرد ذلك في كونه فاعلا الأفعال الاختيارية القائمة بنفسه ، ويجعل هذا كله من صفات الكمال ، وقد يقول : القدرة على ذلك هي صفة الكمال ؛ ان الكمال لا يجوز أن يفارق الذات ، فانه لم يسزل ولا يزال كاملا مستحقا لجميع صفات الكمال ؛ فالقدرة على كونه يقول ماشاء ويفعل ماشاء صفة كمال ، فالقدرة وحدها غير القدرة مع ما يقرن بها من المقدور (٢) وهذا يبني على أن ما يقوم به من ذلك : هل كنه مسبوق بالعدم أو لم يسزل ذلك يقوم به ؟ وفيه لهم قولان :

أحدهما - أنه مسبوق بالعدم ، كما تقوله الكرامية وغيرهم .
والثاني - أنه ليس مسبوqa بالعدم ، وهو مذهب أكثر أهل الحديث ، وكثير من أهل الكلام والفقه والتصوف .

الثالث - أن يقال : المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ، والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال هو في المخلوق [فهو] (٣) مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى . ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات والجماد الذي لا يتكلم ، وذلك صفة نقص ، ان المتكلم أكمل من غيره . قال تمالسى في زم من يعبد

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضوع : مطلب ، الطرق العقلية لاثبات صفة الكلام .

(٢) ك : المقدورية .

(٣) فهو : فسي (خ) فقط .

من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر: (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا^(١)). وقال في الآية الأخرى : (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهدى بهم سبيلا^(٢)). وقال تعالى : (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم^(٣)). فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء ، إذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقى ، فالنطق والقسرة صفة كمال .

والفرق بين هذه الطريق وبين التي قبلها أن هذه استدلال بما في المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به ، وأنه يمتنع أن يكون مضاهيا للناقص؛ والأولى أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هي هي ، مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات لا متناع النقى عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى .

الفصل

ص ٦٥

قال [المصنف^(٤)] : " والدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات " .

دليل الأصبهاني
على اثبات السمع
والبصر
شرح ابن تيمية .

قلت : اثبات كونه سميعا بصيرا ، وأنه ليس هو مجرد العلم بالسموعات والمرئيات ، هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة : من السلف والأئمة ، وأهل الحديث والفقه والتصوف ، والمتكلمين من الصفاتية : كأبي محمد بن كلاب ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشمري وأصحابه .
وطائفة من المعتزلة البصريين ، بل قدماؤهم على ذلك ، ويجعلونه سميعا بصيرا لنفسه ، كما يجعلونه عالما قادرا لنفسه . واثبات ذلك كاثبات كونه متكلماً ، بل هو أقوى من بعض الوجوه ، فان المعتزلة البصريين يشبتون مدركا ، مثل كونه عليما قديرا ، بخلاف كونه متكلماً فانه من باب كونه خالقا .

(١) سورة طه : ٨٩ .

(٢) سورة الأعراف : ١٤٨ .

(٣) سورة النحل : ٧٦ .

(٤) المصنف : زيادة في (س) .

طرق اثبات
السمع والبصر
الطريق الأول .

وللناس في اثبات كونه سميعا بصيرا طرق :

أحدها - السمع ^(١) - كما ذكره - وهو ما في الكتاب والسنة من وصفه بأنه

سميع بصير .

ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى ؛ لأن الله فرق بين

العلم وبين السمع والبصر، وفرق بين السمع والبصر ؛ وهو لا يفرق بين علم وعلم

لتنوع المعلومات .

قال تعالى : (واما يترغبنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه هو

السميع العليم) ^(٢) . وفي موضع آخر : (انه سميع عليم) ^(٣) . وقال : ^(٤) (وان عزموا

الطلاق فان الله سميع عليم) ^(٥) ؛ ذكر سمعه لأقوالهم ، وعلمه ليتناول باطن

أحوالهم . وقال لموسى وهارون : (انني معكما أسمع وأرى) ^(٦) .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر : (ان الله

يأمركم أن تؤءوا والأمانات الى أهلها وانما حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل ان الله نعماء يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) ^(٧) ؛ ووضع ابهامه

على أنه ، وسبأته على عينه ^(٨) . ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة ، لا تمثيل

الخالق بالمخلوق ، فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك .

(١) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : الطريق الأول .

(٢) سورة فصلت : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٠٠ .

(٤) وقال : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : قال تعالى .

(٥) سورة البقرة : ٢٢٧ .

(٦) سورة طه : ٤٦ .

(٧) سورة النساء : ٥٨ .

(٨) روى الحديث أبو داود في سننه (عون المعبود ١٣ / ٢٧) كتاب السنة ، باب في الجهمية ، وابن

حيان في صحيحه (الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمر علاء الدين الفارسي ١ / ٢٨٤)

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان) ، (موارد الظمان الى زوائد ابن حبان ، ص ٢٨٤) ، والحاكم نسي

المستدرك ١ / ٢٤ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ، ص ٤٢ - ٤٣ ، واللالسكائي في شرح أصول اعتقاد

أهل السنة والجماعة ٣ / ٤١٠ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، ص ١٧٩ . بأسانيدهم عن عبد الله

بن يزيد المقرئ عن حرملة بن عمران التجيبي عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة عن أبي

هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وقد احتج مسلم بحرملة بن عمران وأبي يونس ،

والباقون متفق عليهم " . وذكر الذهبي ان الحديث على شرط مسلم ، وذكر ذلك أيضا اللالسكائي ٣ /

الطريق الثاني^(١) - أنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو العمى والعمى - كما قالوا مثل ذلك في الكلام - وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميعا بصيرا متكما هو الحياة ، فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك ؛ فالجمادات^(٢) لا توصف بذلك لانتهاء الحياة فيها ، واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك ، فان لم يتصف به لزم اتصافه بأضداده بناء على أن القابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحدهما ؛ ان لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لاصفة لها ، وهو وجود جوهر - بلا عرض يقوم به .

ص ٦٦

وقد علم بالاضطرار / امتناع خلو الجواهر عن الأعراض ، وهو امتناع خلو الأعيان والذات عن الصفات ، وذلك بمنزلة أن يقدر المقدر جسما ؛ لا متحركا ولا ساكنا ، ولا حيا ولا ميتا ، ولا مستديرا ولا زا جوانب .

ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم على انكار زعم من زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الأعراض ، وهو الذي يحكى عن [بعض^(٣)] قدما الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور ، ويذكر هذا عن شيعة أفلاطون ، وقد رد ذلك عليهم أرسطو وأتباعه .

وقد بسطنا الكلام في الرد على هؤلاء في غير هذا الموضع ، وبيننا أن ما يدعيه شيعة أفلاطون من اثبات مادة في الخارج خالية عن جميع الصور ، ومن اثبات خلاء موجود غير الأجسام وصفاتها ، [ووجود مدة موجودة وهو جوهر غير الأجسام وصفاتها^(٤)] ، ومن اثبات المثل الافلاطونية ؛ وهو اثبات حقائق كليسة خارجة عن الذهن غير مقارنة للأعيان الموجودة - كل ذلك أمور ذهنية جردها الذهن وانتزعها من الحقائق الموجودة المعينة ، فظنوها ثابتة في الخارج عن أذهانهم .

(١) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع : الطريق الثاني .

(٢) فالجمادات : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : فالجمادات .

(٣) بعض : ساقطة من (ك) .

(٤) خ : ما يدعونه .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ك) .

كما ظن قداماءهم الفيثاغورية أن العدد أمر موجود في الخارج ، بسـل
ومأظنه أرسطو وشيعته من اثبات مادة في الخارج مفايرة للجـسـم المحسوس وصفاته ،
واثبات ماهيات كلية للأعيان مقارنة لأشخاصها في الخارج - هو أيضا من باب
الخيال ؛ حيث اشتبه عليه مافي الذهن بما في الخارج ، وفرق بين الوجود
والماهية في الخارج .

وأصل ذلك أن الماهية - في غالب اصطلاحهم - اسم لما يتصور في
الأذهان ، والوجود اسم لما يوجد في الأعيان . والغسق بين مافي الذهن ومافي
الخارج لا يمتاز فيه عاقل فهمه ، لكنهم بعدها ظنوا أن في الخارج ماهية للشيء
الموجود مفايرة للشخص الموجود في الخارج .

وهذا غلط ؛ بل مافي النفس - سواء سمي وجودا ذهنيا^(١) ، أو ماهية
ذهنية ، أو غير ذلك - هو مفاير لما في الخارج ، سواء سمي ذلك وجودا أو
ماهية أو غير ذلك . وأما أن يقال : ان في الخارج في الجوهر المعين الموجود -
كالانسان مثلا - جوهرين : أحدهما ماهيته^(٢) والآخر وجوده - فهذا باطل ؛
كبطلان قولهم : ان فيه جوهرين : أحدهما مادته والآخر صورته ؛ وكقولهم : انه
مركب من الحيوانية والناطقة .

فان الحيوانية والناطقة ان أرادوا أنها جوهران : وهما الحيوان
والناطق - فالشخص المعين هو الحيوان وهو الناطق ، وليس^(٣) هنا شخصان :
أحدهما حيوان والآخر ناطق . وان أرادوا نفس الحياة والناطق ، فهذا^(٤) صفتان
قائمتان بالانسان ، وصفة الموصوف قائمة به قيام المرض بالجوهر ، والجوهر لا يتركب
من أعراضه القائمة به ، ولا يكون وجود أعراضه سابقا لذاته . والكلام على هذا
مبسوط في غير هذا الموضع .

(١) س : وجودا أو ذهنيا .

(٢) ماهيته : كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : ماهية .

(٣) س : ليس (بدون الواو) .

(٤) فهذا : كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : فهذا .

/ والمقصود هنا أن أرسطو وأتباعه وأمثاله من أهل الفلسفة أنكروا على من جوز منهم وجود مادة بلا صورة، فهم مع أصناف أهل الكلام وسائر العقلاء متفقون على امتناع خلو الجسم عن جميع الصفات والأعراض، وإن جوز ذلك الصالحي ابتداء^(٢) فلم يجوزه دوماً، والجمهور منعه ابتداءً ودوماً.

وإنما تنازع الناس في استلزامه لجميع أجناس الأعراض؛ فقول: إنه لا بد أن يقوم به من الأعراض المتضادة واحد منها^(٣)، وما لا ضد له لا بد أن يقوم به واحد من جنسه، وهذا قول الأشعري ومن اتبعه.

وقيل: لا بد أن يقوم به الأكوان؛ وهي الحركة أو السكون، والاجتماع أو الافتراق^(٤)؛ ويجوز خلوها عن غيرها، وهو قول البصريين من المعتزلة. وقيل: يجوز خلوها عن الأكوان دون الألوان، كما يذكر الكسبي وأتباعه من اليفداديين منهم، وهو لا قد يتنازعون في قبول الشيء من الأجسام لكثير^(٥) من الأعراض، ويتفقون على

(١) خ: وأمثالهم.

(٢) الصالحي أحد رجال المعتزلة، ذكره صاحب المنية والأمل، ص ٧٨ بقوله: "أبو الحسين محمد ابن مسلم الصالحي، وكان عظيم القدر في علم الكلام، وكان يميل إلى الأرجاء، وله في ذلك مناظرات مع أبي الحسين الخياط" ولم يذكر وفاته، ونحن أيضاً لانعرف وفاة الخياط على وجه التحديد، لكن الخياط شيخ للكسبي المولود سنة ٢٧٣ والمتوفي سنة ٣١٩، وأبرز آراء الصالحي قوله بجواز خلو الجوهر عن الأعراض ابتداءً، أي وجود الجوهر خالياً عن الأعراض، ثم حدث فيه الأعراض، وقوله إن الإيمان هو المعرفة بالقلب. وقد ذكر الأشعري آراءه بالتفصيل في مقالات الإسلاميين (ط. ريتز) الصفحات ١٣٢-١٣٣، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٦، ١٩٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٩-٣١١، ٣١٢، ٣١٧، ٣٣٢، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٩٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٥، ٥٦٦، ٥٦٨-٥٧٠، ٥٦٩.

(٣) س: منهما.

(٤) ك: والافتراق.

(٥) هو أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي الكسبي، نسبة إلى بني كعب، من أهل بلخ أقام ببغداد مدة طويلة انتشرت فيها كتبه ومقالاته، ثم عاد إلى بلخ وتوفي فيها سنة ٣١٩، وكانت ولادته سنة ٢٧٣، وهو أحد مشايخ المعتزلة اليفداديين، وتنسب إليه الطائفة الكسبية منهم، له كتب.

انظر: تاريخ بغداد ٣٨٤/٩؛ البداية والنهاية ١١/١٦٤؛ لسان الميزان ٣/٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام ٤/٦٥-٦٦؛ تاريخ التراث العربي ١/٧٧-٧٨.

(٦) ك: بكثير.

امتناع خلو الجسم عن العرض وضده بعد قبوله له ؛ وذلك لأن خلو الموصوف
عن الضدين اللذين لا ثالث لهما مع قبوله لهما ممنوع في العقول^(١) .
وبهذا يتبين أن الحي القابل للسمع والبصر والكلام أما أن يتصف
بذلك ، وأما أن يتصف بضده وهو الصم والبكم والخرس ؛ ومن قدر خلوه عنهما
فهو مشابه للقرامطة الذين قالوا : لا يوصف بأنه حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ،
ولا قادر ولا عاجز . بل قالوا : لا يوصف بالايجاب ولا بالسلب ، فلا يقال : هو حي
عالم ، ولا يقال : ليس بحي عالم ؛ ولا يقال : هو عليم قدير ، ولا يقال : ليس بقدير
عليم ؛ ولا يقال : هو متكلم مريد ، ولا يقال : ليس بمتكلم مريد . قالوا : لأن في
الاثبات تشبيها بما ثبت له هذه الصفات ، وفي النفي تشبيهه له بما ينفي
عنه هذه الصفات^(٢) .
^(٣) .

مقالة ابن حزم في
أسماء الله
والرد عليها

وقد قاربهم في ذلك من قال من متكلمة الظاهرية كابن حزم : ان أسماء^(٤)
الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم^(٥)

- (١) انظر الخلاف في مسألة تمرى الجواهر عن الأعراض في كتاب " الارشاد " للجبيني ، ص ٢٢ - ٢٤ .
- (٢) تشبيه : كذا في جميع النسخ ، بدون اعمال " أن " ، فيكون العطف عطف جمل ، لا عطف مفردات .
- (٣) هنا ينتهي الساقط من (ن) الذي بدأ في صفحة ٤٤١ ، وجاء فيها : " . . . والاجتماع
والافتراق فاطرد شيخ الاسلام الكلام الى أن قال : وقد قاربهم في ذلك . . . " .
- (٤) الامام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فارسي الأصل ، ولد
بقرطبة سنة ٣٨٤ ونشأ في نعمة ورياسة ، وكان أبوه من الوزراء ، وولي هو وزارة بعض الخلفاء
من بني أمية بالأندلس ، ثم تركها واشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية ثم أقبل على
العلم ، فكان شافعيًا ثم انتقل الى مذهب الظاهر وتعصب له وصنف فيه ورد على مخالفيه ،
وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا في آيات وأحاديث الصفات ، بسبب تضلعه أولا من علم
المنطق ، توفي بلبلة بالأندلس سنة ٤٥٦ هـ .

انظر: اللباب ٢٩٧/١ ؛ وفيات الأعيان ٣/٣٢٥ - ٣٣٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٣/١١٤٦ - ١١٥٥ ؛
البداية والنهاية ١٢/٩١ - ٩٢ ؛ لسان الميزان ٤/١٩٨ - ٢٠٢ ؛ شذرات الذهب
٣/٢٩٩ - ٣٠٠ ؛ الأعلام ٤/٢٥٤ - ٢٥٥ .

- (٥) ن : أن الأسماء ، وفي (خ ، س) : وقد قاربهم في ذلك متكلمة الظاهرية أن أسماء .
- (٦) التي : في (ك) فقط .

ولا قدرة ؛ وقال^(١) : ولا فرق بين الحي وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلاً^(٢) .
ومعلوم أن مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات ؛ فانا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والعليم والقدير^(٣) والملك
والقدوس والغفور ، وأن العبد اذا قال : " رب اغفر لي وتب علي ، انك أنت
التواب الغفور " كان قد أحسن في مناجاة ربه ؛ وانما قال : " اغفر لي وتب
علي ، انك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب " . لم يكن محسناً في مناجاته ؛
وأن الله أنكر على المشركين الذين امتنعوا^(٤) من تسميته " بالرحمن " ؛ فقال
تعالى : (وانما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا
وزادهم نفورا^(٥)) ؛ وقال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في أسماءه سيجزون ما كانوا يعملون^(٦)) ؛ وقال تعالى :
ص ٦٨

(١) وقال : ساقطة من (خ ، س) .
(٢) في هامش (س) كتب مايلي : " مطلب في الظاهرية ، وقال المصنف الامام ابن تيمية قدس سره أيضا
في كتابه " الرد على ابن المطهر " ما بعضه وملخصه : زعم ابن حزم الظاهري أن أسماء الله
تعالى الحسنى لا تدل على المعاني فلا يدل عليم على علم ، ولا قدير على قدرة ، بل هي أعلام
محضة . وقال : انما قلنا : عليم يدل على علم ، وقدير على قدرة لزم من اثبات الأسماء اثبات
الصفات ، وهذا مأخذ ابن حزم فانه من نفاة الصفات ، مع تعظيمه للحدِيث والسنة والامام أحمد ،
ودعواه في ذلك أن الذي يقوله في ذلك هو مذهب أحمد وغيره ، وغلط في ذلك بسبب أنه أخذ
شيئا من أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه ، ولم يبين لهم من يبين لهم [كذا فسي
هامش (س) ، وهو يوافق نسخة من منهاج السنة ، ذكرها المحقق في الهامش ، وأثبت في الصلب
: ولم يتفق له من يبين له [خطأهم ، ونقل المنطق بالاسناد عن متى [ستأتي ترجمة مستى
النصراني المنطقي في كتابنا هذا ، ص ٥٦٣] ، قالوا : فانما قلنا : موجود وموجود ، لسزم
التشبيه ، فهذا أصل غلط هو " القائلين ، انتهى " .

قلت : والنص مع اختلاف يسير في كتاب منهاج السنة ٢/٤٦٨-٤٦٩ تحقيق الدكتور محمد رشاد
سالم .
وانظر مقالة ابن حزم في الفصل حيث قال (٢ / ١٢٠) : " واما اطلاق لفظ الصفات لله تعالى
عز وجل فمحال لا يجوز . . . بل هي بدعة منكرة " . ثم قال (٢ / ١٢٩) : " اننا لانفهم من قولنا :
قدير وعالم " اذا أردنا بذلك الله تعالى ، الا مانفهم من قولنا " الله " فقط ؛ لأن كل ذلك
أسماء أعلام ، لا مشتقة من صفة أصلا ، لكن اذا قلنا : " هو الله تعالى بكل شي " عليم ، ويعلم الغيب " .
فانما يفهم من كل ذلك أن ههنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شي ، ولا يفهم منه البتة
أن له علما هو غيره ، وهكذا نقول في يقدر ، وفي غير ذلك كله " .

- (٣) كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : بين الحي والقدير والعليم .
(٤) ن : في مناجاته .
(٥) ن : لم يكن قد أحسن .
(٦) ن : فان الله تعالى قد أنكر على المشركين الذين قد منعوا .
(٧) سورة الفرقان : ٦٠ .
(٨) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب (١) ؛ وقال تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيانما تدعوا فله الأسماء الحسنى) (٢) .

ومعلوم أن الأسماء اذا كانت أعلاما وجامدات لا تدل على معنى - لم يكن فرق فيها بين اسم واسم ، فلا يلحد أحد في اسم دون اسم ، ولا ينكر عاقل اسما دون اسم ، بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا ، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه ، وانما امتنعوا عن بعضها .

وأياضا فالله له الأسماء الحسنى دون السوآى ، وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيء بمعناه ، فلو كانت [الأسماء] (٤) كلها بمنزلة الأعلام الجامدات - التي لا تدل على معنى - لم تنقسم الى حسنى وسوآى ، بل هذا القائل لسو سمي معبوده بالميت والماجز والجاهل ، بدل الحي والمالم والقادر لجاز ذلك عنده .

فهذا ونحوه قرمطة ظاهرة من هو لا الظاهرية ، الذين يدعون الوقوف مع الظاهر ، وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته ، مع ادعائهم الحديث ومذهب السلف ، وانكارهم على الأشعري وأصحابه أعظم انكار . ومعلوم أن الأشعري وأصحابه أقرب الى السلف والأئمة ومذهب أهل الحديث في هذا الباب من هو لا بكثير .

(١) سورة الرعد : ٣٠ .

(٢) سورة الاسراء : ١١٠ .

(٣) ن : ولا .

(٤) الأسماء : في (ن) فقط .

(٥) لو سمي معبوده : كذا في (ك) ، وفي (س) ؛ لو سمي معبوده عبده ، وفي (خ) : لو سمي عبده ، وفي

(ن) : لو سمي الله تعالى عنده ؛

(٦) ن : والأئمة أهل .

وأیضا فهم يدعون أنهم یوافقون أحمد^(١) بن حنبل ونحوه من الأئمة فسی
مسائل " القرآن " و " الصفات " ، وینكرون علی الأشعری وأصحابه ، والأشعری
وأصحابه أقرب الی أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة فی مسائل " القرآن " و
" الصفات " منهم تحقیقا وانتسابا .

أما تحقیقا فمن عرف مذهب الأشعری وأصحابه ، ومذهب ابن حزم وأمثاله
من الظاهرية فی باب الصفات - تبین له ذلك ، وعلم هو وكل من فهم المقاليتين
أن هؤلاء الظاهرية الباطنية أقرب الی المعتزلة ، بل الی الفلاسفة من الأشعرية
وأن الأشعرية أقرب الی السلف والأئمة وأهل الحدیث منهم^(٢) .

وأیضا فان امامهم داود وأكابر أصحابه كانوا من المثبتين للصفات ،^(٤)
علی مذهب أهل السنة والحدیث ، ولكن من أصحابه طائفة سلكت مسلك المعتزلة
وهؤلاء وافقوا المعتزلة فی مسائل الصفات ، وان خالفوهم فی القدر والوعید^(٤) .

وأما الانتساب ، فانتساب الأشعری وأصحابه الی الامام أحمد خصوصا ،
وسائر أئمة أهل الحدیث عموما - ظاهر مشهور فی كتبهم كلها .

ومافی كتب الأشعری ما یوجد مخالفا للامام أحمد وغيره من الأئمة ، فیوجد
فی كلام كثير من المنتسبين الی أحمد كأبي الوفاء ابن عقيل وأبي الفرج ابن الجوزی^(٦)

(١) ن : موافقون لأحمد .

(٢) خ ، س : ومذهب الظاهرية تبين .

(٣) منهم : ساقطة من (خ ، س) .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٥) أهل : ليست فی (خ ، س) .

(٦) الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي التيمي البكري المعروف بابن الجسوزي
(قيل : ان الجوزي نسبة الی فرضة من فرض البصرة ، يقال لها : جوزة) ، مولده ووفاته بیفداد
وتراوحت الأقوال فی سنة مولده بین ٥٠٨ و ٥١٢ ، ووفاته سنة ٥٩٧ ، صنف فی التفسیر
والحدیث والتاریخ والوعظ وغير ذلك .

ذكر ابن رجب فی الذیل علی طبقات الحنابلة ، أن للناس فیهِ كلاما من وجوه ، منها میله السی
التأویل فی بعض كلامه ، قال : وكان معظما لأبي الوفاء ابن عقيل یتابعه فی أكثر ما یجده عنده ،
وكلاهما مضطرب تلون آراؤه .

انظر : البداية والنهاية ١٣ / ٢٨ - ٣٠ ؛ الذیل علی طبقات الحنابلة ١ / ٣٩٩ - ٤٣٣ ؛ شذرات
الذهب ٤ / ٣٢٩ - ٣٣١ ؛ الأعلام ٣ / ٣١٦ - ٣١٧ .

وصدقة بن الحسين وأمثالهم - ما هو أبعد عن قول أحمد / والأئمة من قول
الأشعري وأئمة أصحابه .

ص ٦٩

ومن هو أقرب إلى أحمد والأئمة - من مثل ابن عقيل وابن الجوزي
ونحوهما - كأبي الحسن التميمي ، وابنه أبي الفضل التميمي ، وابن ابنه رزق الله
التميمي ، ونحوهم ، وأئمة أصحاب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني ،
وشيخه أبي عبد الله ابن مجاهد ، وأصحابه كأبي علي بن شاذان وأبي محمد بن
اللبان ، بل وشيوخ شيوخه كأبي العباس الغلاني وأمثاله ، بل والحافظ

(١) هو أبو الفرج صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي (٤٧٧-٥٧٣)
قال عنه ابن رجب " تفقه على أبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن الزاغوني ، وقرأ علم الجسد
والكلام والمنطق والفلسفة والحساب ومتعلقاته من الفرائض وغيرها . . . وسبب شبه المتكلمين
والمفلسفة كان يقع له أحيانا حيرة وشك يذكرها في أشماره ، ويقع له من الكلام والاعتراض
[على الأندار] ما يقع " .

انظر: البداية والنهاية ١٢/١٢-٢٩٨-٢٩٩ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٣٩-٣٤٢ ؛
شذرات الذهب ٤/٢٤٥ ؛ الأعلام ٣/٢٠٢ .

(٢) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (ن) كلمة " بلغ " .

(٣) ن : وهو أقرب .

(٤) هو أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي ، كان فقيها حنبليا ، له يد
في علوم كثيرة ، ولد سنة ٣٤١ أو ٣٤٢ وتوفي سنة ٤١٠ . ببغداد .

انظر: تاريخ بغداد ١١/١٤-١٥ ؛ طبقات الحنابلة ٢/١٧٩ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي
، ص ٦٢٦ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣-٢٤٠-٢٤١ .

(٥) هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد (٤٠٠-٤٨٨) قال
عنه ابن رجب : " المقري ، المحدث ، الفقيه ، الواعظ ، شيخ أهل العراق في زمانه " .

انظر: طبقات الحنابلة ٢/٢٥٠-٢٥١ ؛ مناقب الامام أحمد لابن الجوزي ، ص ٦٣٢ ؛ البداية
والنهاية ١٢/١٥٠ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١/٧٧-٨٥ ؛ الأعلام ٣/١٩ .

(٦) أبي عبد الله بن مجاهد : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد .

(٧) هو أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان البغدادي ، ولد سنة
٣٣٩ ، وتوفي سنة ٤٢٦ ، متكلم أشعري ، حنفي الغرور .

انظر: تاريخ بغداد ٧/٢٧٩-٢٨٠ ؛ تبين كذب المفترى ، ص ٢٤٥-٢٤٦ ؛ الجواهر المضية
في طبقات الحنفية ١/١٨٦-١٨٧ .

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البكري الوائلي ، المعروف بابن اللبان ،
من أهل أصبهان ، سمع بها وببغداد وبمكة ، صحب أبا بكر الباقلاني ودرس عليه

الأصلين ، ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الاسفراييني ، وله مصنفات ، توفي بأصبهان سنة
٤٤٦ .

انظر: تبين كذب المفترى ، ص ٢٦١-٢٦٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/٧٢-٧٣ ؛
البداية والنهاية ١٢/٦٦ ؛ الأعلام ٤/١٢١ .

أبو بكر البيهقي وأمثاله - أقرب الى السنة من كثير من أصحاب الأشعري^(١)
المتأخرين، الذين خرجوا عن كثير من قوله الى قول المعتزلة، أو الجهمية^(٢) أو
الفلاسفة ؛ فان كثيرا من متأخري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله الى قول
المعتزلة أو الجهمية^(٣) أو الفلاسفة ؛ إذ صاروا واقفين في ذلك، كما سنبه عليه .
وما في هذا الاعتقاد المشروح^(٤) هو موافق لقول الواقعة ، الذين لا يقولون
بقول الأشعري وغيره من متكلمة أهل الاثبات ، وأهل السنة والحديث والسلف ،
بل يشبثون ما وافقه عليه المعتزلة البصريون ، فان المعتزلة البصريين يشبثون ما في
هذا الاعتقاد ، ولكن الأشعري وسائر متكلمة أهل الاثبات - مع أئمة السنة
والجماعة - يشبثون الروئية ، ويقولون : القرآن غير مخلوق ، ويقولون : أن الله^(٥)
حي بحياة ، عالم بعلم ، قادر بقدره ، وليس في هذا الاعتقاد شيء من هذا
الاثبات .

وقد رأيت اعتقادا مختصرا لصاحب مصنف هذا الاعتقاد المشروح ، وهو^(٨)
مشهور بالعلم والحديث ، وهو في الظاهر أشعري عند الناس ، ورأيت اعتقاده
على هذا النمط ؛ ذكر فيه أن الله متكلم أمر ناه - كما يوافق عليه المعتزلة
- ولم يذكر أن القرآن غير مخلوق ، ولا أثبت الروئية ، بل جعلها مما يتأول^(٩) .
وكان يميل الى الجهمية الذين ناظروا أحمد بن حنبل وسائر أئمة السنة في مسألة^(*)
" القرآن " ، ويرجح جانبهم ، وحكى عنه ذم وسب لأحمد بن حنبل .
وهو بنى اعتقاده وركبه من قول الجهمية ومن قول الفلاسفة الغائلين بقدم
المقول والنفوس ، وهو من جنس القول المضاف الى ديكراطيسس^(*) ، وليس

(١) خ ، س : الى هو لا .

(٢) أو الجهمية : ساقطة من (خ ، س) . (في الموضعين) .

(٣) ن : أو .

(٤) المشروح : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) أهل : ساقطة من (ن) .

(٦) ن : وأما الأشعري . . . فانهم يشبثون .

(٧) ان : ساقطة من (ن) .

(٨) خ ، س : لصاحب هذا المصنف ، وهو .

(٩) مما يتأول : كذا في (ن) ، وفي (ك) : مما تتأول . وفي (خ ، س) : قد تتأول .

(*)-*) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(١٠) عنه : كذا في (ن) ، وفي (ك) : عنهم .

هذا مذهب الأشعرية ، بل هم متفقون على أن القرآن غير مخلوق ، وعلى أن الله يرى في الآخرة .

وان قيل : ان في ذلك تدليسا أو خطأ أو غير ذلك . فليس المقصود هنا تصويب قائل معين ولا تخطئته ، ولا بيان ما في مقالته من الخطأ والصواب ، وموافقة السلف ومخالفتهم ، بل أن تعلم ^(١) مقالة كل شخص على حقيقتها ، ثم الحق يجب اتباعه بما أقام الله عليه من البرهان .

قد ينتسب
الشخص السي
مذهب معين
دون أن يحقق
هذا الانتساب

ثم هذا الاعتقاد المشروح مع ^(٢) أنه ليس فيه زيادة على اعتقاد المعتزلة البصريين ؛ فاعتقاد المعتزلة البصريين خير منه ، فان في هذا المعتقد من اعتقاد المتفلسفة في التوحيد ما لا يرضاه المعتزلة ، كما نبهنا عليه فيما تقدم ، وبيننا ^(٣) أن ما ذكره / من التوحيد ودليله هو مأخوذ من أصول الفلاسفة ، وأنه من أبطل الكلام .

ص ٧٠

وهذه الجمل نافعة ؛ فان كثيرا من الناس ينتسب الى السنة أو الحديث ، أو اتباع مذهب السلف أو الأئمة ^(٤) ، أو مذهب الامام أحمد أو غيره من الأئمة ، أو قول الأشعري أو غيره - ويكون في أقواله ما ليس بموافق لقول من انتسب اليهم ، فمعرفة ذلك نافعة جدا .

كما تقدم في الظاهرية الذين ينتسبون الى الحديث والسنة ، حتى أنكروا ^(٥) القياس الشرعي المأثور عن السلف والأئمة ، ودخلوا في الكلام الذي يذمه السلف والأئمة ، حتى نفوا حقيقة أسماء الله ^(٦) وصفاته ، وصاروا مشابهين للقرامطة الباطنية ، بحيث تكون مقالة المعتزلة في أسماء الله أحسن من مقالتهم ، فهم مع دعوى الظاهر يقرمطون في توحيد الله وأسمائه .

(١) تعلم : كذا في (خ) ، وفي (ن) : نعلم ، وفي (س ، ك) : يعلم .

(٢) خ ، س : هذا المعتقد مع .

(٣) ك : وبيناه .

(٤) ن : والأئمة .

(٥) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب انكار القياس عند الظاهرية .

(٦) ن : أسماء الله الحسنی .

وأما السفسطة في العقلية فظاهرة ؛ فانه من المعلوم بصريح العقل امتناع ارتفاع النقيضين ^(١) جميعا ، وأنه لا واسطة بين النفي والاثبات ، فمن قال : انه لا يصف الرب بالاثبات ؛ فلا يقول : " انه حي عليم قدير " ولا يصفه بالنفي ؛ فلا يقول : " ليس بحي عليم قدير " - فقد امتنع عن النقيضين جميعا ، والامتناع عن النقيضين كالجمع بين النقيضين ؛ فان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان .

وهذا ما رأيت قد اعتمد عليه أئمة القرامطة ، كصاحب كتاب " الأقاليد الملوكية " أبي يعقوب السجستاني ^(٢) ؛ فانهم قالوا : نحن لم نجتمع بين النقيضين ؛ فنقول : انه حي وليس بحي . بل رفعنا النقيضين ؛ فقلنا : لا موصوف ولا لا موصوف .

مقالة أبي يعقوب
السجستاني
القرمطي في كتابه
" الأقاليد
الملوكية " في رفع
النقيضين عن
الله تعالى

قال هذا القرمطي المصنف - الذي رأيت من أفضل هؤلاء القرامطة - :
" الاقليد العاشر : في أن من عبد الله بنفي الصفات والحدود لم يعبد حقا عبادته ، ان عبادته واقعة لبعض المخلوقين ؛ فان قوما من الأوائل وجماعة من فرق الاسلام لم يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يعرفوه بحقيقة المعرفة ؛ فقالوا : ان الله غير موصوف ولا محدود ولا منعوت ولا مرئي ولا في مكان . وتوهموا أن هذا المقدار تمجيد لله عز وجل وتعظيم له ، وأنهم قد تخلصوا من الشرك والتشبيه وان اذاهم قد وقعوا في الحيرة والتيه ^(٣) ، لأنهم لما نفوا الصفات والحسود والنعوت عن الباري تقدست عظمته ، لئلا يكون بينه وبين خلقه مشابهة ولا مماثلة : فنحن نسألهم بعد عن الموصوف والمحدود والمنعوت من خلقه ؟ أهو الصفة والحسد والنعوت أم الموصوف غير صفته ، والمحدود غير حده ، والمنعوت غير نفعه ؟ .

(١) ك : نقيضين .
(٢) أمام هذا الكلام كتب في هامش (س) : مطلب من كتب القرامطة كتاب " الأقاليد الملوكية " [كذا] . وقد تقدمت ترجمة أبي يعقوب هذا ، ص ٢٧٧ ت ٣ ، وذكر له عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين ١٩٦/٢ كتاب " المقاليد " وقال : " منه مخطوطة في المكتبة المحمدية بنسة الهمدانية " .
(٣) ن : نحن لا نجتمع .
(٤) عز وجل : ساقطة من (ن) .
(٥) ن : والتشبيه .

فان قالوا : ان الصفة هي الموصوف ، والحد هو المحدود ، والنعته هو المنعوت ، لزمهم أن يقولوا : ان السواد هو الأسود ، والبياض هو الأبيض . وان قالوا : الموصوف غير صفته ، والمنعوت غير نعته ، والمحدود غير حده ، وهو - أعني الموصوف والمحدود والمنعوت جميعا - مخلوق هذا الخالق السذى / ص ٧١
نزهتموه عن الصفة والحد والنعته - أشركتم الخالق بالمخلوق الذى هو الصفة والحد والنعته في باب أنها غير الموصوف [والخالق غير الموصوف] ^(١) عندكم وان جاز أن يشارك المخلوق الخالق في وجه من الوجوه لم لا يجوز أن يشاركه في جميع الوجوه؟ .

قال : " فإذاً من عبد الله بنفي الصفات واقع في التشبيه الخفي ، كما أن من عبده بسمة الصفات واقع في التشبيه الجلي " .
ثم أخذ يرد على المعتزلة ، لكن رد عليهم ما أثبتوه من الحق ، واحتج عليهم بما وافقوه فيه من النفي ، فانه بهذا الطريق تمكنت القرامطة الزنادقة الملاحدة من افساد دين الاسلام ؛ حيث احتجوا على كل مبتدع بما وافقهم عليه من البدعة : من النفي ^(٢) والتعطيل ، وألزموه لازم قوله ، حتى قرروا التعطيل المحض .
قال القرمطي : " ومن أظم ^(٣) ما أتت به طائفة من أهل هذه النحلة فسي اقامة رأيهم من أن المبدع سبحانه غير موصوف ولا منعوت أنهم أثبتوا له الأسمي التي لا تتعري ^(٤) عن الصفات والنعوت ؛ فقالوا : انه سميع بالذات ، بصير بالذات ، عالم بالذات . ونفوا عنه السمع والبصر والعلم ، ولم يعلموا أن هذه الأسمي اذا لزم ذاتا من الذوات لزمته الصفات التي من أجلها وقعت الأسمي ؛ ان لو جاز أن يكون عالما بغير علم ، أو سميما بغير سمع ، أو بصيرا بغير بصر ؛

(١) ما بين المعكوفين ساقط من (س ، ك) .

(٢) ك : رده .

(٣) ن : في النفي .

(٤) ن : ومن أعظم أظم .

(٥) ن : لا تتعير .

لجاز أن يكون الجاهل مع عدم العلم عالما ، والأعمى مع فقد البصر بصيرا ،
والأصم مع غيبوبة السمع سميعا . فلما لم يجز ماوصفناه صح أن العالم انما
صار عالما لوجود العلم ، والبصير لوجود البصر ، والسميع لوجود السمع^(١) .
قال : "فإن قال قائل منهم : انما نفينا عن البصير البصر إذ كان اسم " البصير"^(٢)
متوجها نحو ذات الخالق ، لأننا هكذا شاهدنا أن من كان اسمه " البصير " يلزمه^(٣)
من أجل البصر أن يجوز عليه العمى ، ومن كان اسمه " السميع " يلزمه من أجل
السمع أن يجوز عليه الصمم ، ومن كان اسمه العالم يلحقه من أجل العلم أن
يجوز عليه الجهل ؛ والله تعالى لا يلحق به الجهل والعمى والصمم ، فنفتينا
عنه مايلزم بزواله ضده .^(٤)

يقال له : ليس علة وجوب العمى البصر ، ولا علة وجوب الصمم السمع ،
ولا علة وجوب الجهل العلم ، ولو كانت العلة فيه مانكرناه كان واجبا أنه متى
وجد البصر وجد العمى ، أو متى وجد السمع وجد الصمم ، أو متى وجد العلم
وجد الجهل . فلما وجد البصر في بعض ذوى البصر من غير ظهور عمى به ، ووجد
السمع كذلك في بعض ذوى السمع من غير وجود صمم يتبعه ، ووجد العلم في
بعضهم من غير وجود جهل به - صح أن العلة في ظهور الجهل والصمم والعمى
ليس هو العلم والسمع والبصر ، بل إمكان قبول الآفة^(٥) في بعض ذوى العلم
والسمع والبصر .

والله تعالى ذكره ليس بسحل الآفات ، ولا الآفات بداخلة عليه ، فهو^(٦)

إذا كان اسم " العالم " و " السميع " / و " البصير " يتوجه نحو ذاته^(٨) [أن يكون]^(٩)

ص ٢٢

(١) ن : والبصير انما صار بصيرا .

(٢) س : إذ لو كان .

(٣) س ، ك : لزمه .

(٤) أمام هذا الموضع في هامش (خ) كتب " بلغ مقابلة بحسب الطاقة " .

(٥) ك : بل في قبول إمكان الآفة .

(٦) ن : ولا للآفات مداخلة عليه ، وهو .

(٧) خ ، س : فهو إذا ان كان .

(٨) ن : يتوجه وجود ذاته .

(٩) عبارة " أن يكون " ليست في النسخ الأربع ، ولعلها ساقطة .

ذا علم وسمع وبصر ، فتعالى الله عما أضاف إليه الجهلة المفترون من هذه^(١)
الأسامي بأنها لازمة له لزوم الذوات^(٢) ، بل هذه الأسامي ملة تتوجه نحو الحدود
المنصوية - من العلوى والسفلى^(٣) ، والروحاني والجسماني - لمصلحة العباد ،
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال : " ويقال لهم : ان كان الاستشهاد الذى استشهدتموه صحيحا ، فان
الاستشهاد الآخر الذى لا يفارق الاستشهاد الأول مظه في باب الصحة ، لأنكم
ان كنتم هكذا شاهدتم أن من كان عالما من أجل علمه ، أو سميعا من أجل
سمعه ، أو بصيرا من أجل بصره - جاز عليه الجهل والعمى والصمم ، فنحن
كذلك شاهدنا أن من كان عالما فان العلم سابقه^(٤) ، ومن كان بصيرا كان البصر
قرينه ، ومن كان سميعا كان السمع شهيداً .

فان جاز لكم أن تتعدوا حكم الشاهد على الفائب^(٥) في أحدهما ؛ فتقولوا
: جاز أن يكون في الفائب عالم بغير علم ، وبصير بغير بصر ، وسميع بغير سمع -
جاز لنا أن نتعدى حكم الشاهد على الفائب في الباب الآخر ؛ فنقول : اننا
وان كنا لم نشاهد عالما بعلم الا وقد جاز عليه الجهل ، وبصيرا بالبصر الا وقد
جاز عليه العمى ، وسميعا بالسمع الا وقد جاز عليه الصمم [الا أنه يجوز^(٦) أن
يكون في الفائب عالم بعلم لا يجوز عليه الجهل ، وبصير بالبصر لا يجوز عليه العمى ،
وسميع بالسمع لا يجوز عليه الصمم^(٧) ، والا فما الفصل ؟ ولا سبيل لهم السى
التفصيل بين الاستشهادين فاعرفه .

(١) خ : المفرون ، ك : المفترون .

(٢) ن : الذات .

(٣) ن ، خ : من العلوى والسفلى .

(٤) ن : كان .

(٥) ن : أن تتعدوا حكم الشاهد تارة على الفائب .

(٦-٦) ما بينهما ساقط من (ن) .

(٧) عبارة " الا أنه يجوز " ليست في النسخ الأربعة ، ولعلها ساقطة .

(٨-٨) ما بينهما ساقط من (ن) .

تعليق ابن تيمية (١) فليتدبر المؤمن العليم كيف ألزم هو "لا" الزنادقة الملاحدة المنافقون ، الذين هم أكثر من اليهود والنصارى ومشركي العرب - للمعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات نفي أسماء الله الحسنى ، وأن تكون أسماؤه الحسنى لبعض المخلوقات ، فيكون المخلوق هو المسمى بأسمائه الحسنى .

كقولهم في "الأول والآخِر والظاهر والباطن" : ان الظاهر هو محمد الناطق ، والباطن هو علي الأساس ، ومحمد هو الأول ، وعلي هو الآخِر . وتأويلهم قوله تعالى : (بل يدها مبسوطتان) (٢) . أن اليد الواحدة هو محمد ، والأخرى علي ؛ وقوله تعالى : (تبت يدا أبي لهب) (٣) . أن يديه هما أبو بكر وعمر لكونهما كانا مع أبي لهب في الباطن ، فأمرهما بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، فعجزا عن ذلك ، فأنزَل الله (تبت يدا أبي لهب) . وأمثال هذه التأويلات المعروفة عن القرامطة (٤) .

وأصل كلامهم استدلالهم بما يزعمونه من نفي التشبيه ، والزامهم لكل من وافقهم على شيء من النفي بطرد مقالته ، واتباع لوازمها ، ولازمها التعميط الذي يقصدونه .

قال القرمطي : " وأيضاً فمن نزه خالقه عن الصفة والحد والنعمة ، ولم يجرده عما لاصفة له ولا حد ولا نعمة - فقد أثبت به ما لم يجرده عنه ؛ وإذا كان إثباته لمعبوده ينفي الصفة والحد والنعمة فقط (٦) كان إثباته مهملًا غير معروف ؛ لأن ما لاصفة له ولا حد ولا نعمة / ليس هو الله بزعمه فقط ، بل هو والنفس والعقل وجميع الجواهر البسيطة من الملائكة وغيرهم .

عود إلى مقالة أبي يعقوب السجستاني

ص ٧٣

(١) ن : قلت : فليتدبر .

(٢) سورة المائدة : ٦٤ .

(٣) سورة المسد : ١ .

(٤) حاولت الحصول على كتب للقرامطة ، استخرج منها هذه الأقوال ، وما تمكنت .

(٥) ك : ينفي .

(٦) ك : فقد .

(٧) س : بزعمهم .

والله تعالى أثبت من أن يكون اثباته مهملًا غير معلوم ، فإنَّ الإثبات الذي يليق بمجد المبدع ، ولا يلحقها الإهمال ، هو نفي الصفة ونفي أن لصفة ، ونفي الحد ونفي أن لا حد ، لتبقى هذه العظمة لمبدع العالمين ، إذ لا يحتمل أن يكون معه لمخلوق شركة في هذا التقديس ، وامتنع أن يكون الإثبات من هذه الطريق مهملًا فاعرفه .

قال : " فان قال : ان من شريطة القضايا المتناقضة أن يكون أحد طرفيها صدقا والآخر كذبا ؛ فقولكم : " لا موصوف ولا لا موصوف^(٣) قضيتان متناقضتان ، لا بد لاحدهما من أن تكون صادقة والآخرى كاذبة .^(٤)

يقال له : غطت في معرفة القضايا المتناقضة ، وذلك أن القضايا المتناقضة : أحد طرفي النقيض منه موجب والآخر سالب ؛ فان كانت القضية كلية موجبة كان نقيضها جزئية سالبة ؛ كقولنا : كل انسان حي . وهو قضية كلية موجبة ، نقيضه لا كل انسان حي .

فلما كان من شرط النقيض أنه لا بد أن يكون أحد طرفيها موجبة والآخر^(٥)

سالبة - رجعنا الى قضيتنا في المبدع : هل نجد فيها هذه الشريطة ؟ فوجدناها في كلتا^(٦) طرفيها لم توجب له شيئا ، بل كلتا طرفيها سالبتان ؛ وهي قولنا : لا موصوف ولا لا موصوف . فهي اذا لم يناقض بعضها بعضا .

(١) ن : بحد .

(٢) ن ، خ : هذا .

(٣) ن ، ك : فقولكم : لا موصوفة ولا لا موصوفة .

(٤) خ ، س : لا بد لاحدهما من أن يكون صادقا والآخر كاذبا .

(٥) ن : كانت نقيضته ، خ : كان نقيضه .

(٦) ن : النقيضين .

(٧) أنه لا بد أن يكون : كذا في (ن) ، ونفي (خ ، س ، ك) : من أنه لا بد من أن يكون .

(٨) ن : والآخرى .

(٩) ك : كلتي .

(١٠) ن ، ك : يوجب .

(١١) ن : سالبان .

وانما تتناقض القضية في هذا الموضع ؛ أن نقول : له صفة ^(١) وأن ليس له صفة ، أو أن نقول : له حد وأن لا حد له ، ^(٢) أو أنه في مكان ^(٣) وأنه لا في مكان . فليزنا حينئذ اثبات لاجتماع طرفي النقيض على الصدق .
فأما اذا كانت القضيتان سالبتين : احدهما سلب الصفة اللاحقة بالجسمانيين ، والأخرى نفي الصفة اللازمة للروحانيين - كان من ذلك تجريد الخالق عن سمات المربوبين وصفات المخلوقين " .

قال : " فقد صح أن من نزه خالقه عن الصفة والحد والنعمة واقع في التشبيه الخفي ، كما أن من وصفه وحده وبعثه واقع في التشبيه الجلي " .

قلت : فهذا حقيقة مذهب القرامطة ، وهو قد رد على من وصفه منهم بالنفي دون الاثبات ، ونفي النفي ؛ قال : " لأن في الاثبات تشبيها له بالجسمانيين وفي النفي تشبيها له بالروحانيين " . وهي العقول والنفوس عندهم ، انها موصوفة عندهم بالنفي دون الاثبات ، ولهذا يقولون : بسائط ليس فيها تركيب عقلي من الجنس والفصل ، كما أنه ليس فيها تركيب الأجسام .

وظن هذا الملحد وأمثاله أنهم بسذلك خلصوا من الالزامات ، ومعلوم عند من عرف حقيقة قولهم أن هذا القول من أفسد الأقوال شرعا وعقلا ^(٤) ، وأبعدها عن مذاهب المسلمين واليهود والنصارى . بل مع ما قد حققوه من الفلسفة ، وعرفوه من مذاهب أهل الكلام ، وادعوه من العلوم الباطنة ، ومعرفة التأويل ، ودعوى العصمة في أئمتهم - وقد قرروا أنا لا نقول بالجمع ^(٥) بين النقيضين ، فليس في قولنا محال .

ص ٧٤

(١) ن : وأنه .

(٢) ن : انه له حد أو انه لا حد له .

(٣) ن : أو أنه .

(٤-٤) مابين الرقمين ساقط من (خ ، س) .

(٥) ن : عقلا وشرعا .

(٦) مذاهب : كذا في (ن) ، وفي (خ ، س ، ك) : مذهب .

(٧) ك : الجمع .

فيقال لهم : ولكن سلبتم النقيضين جميعا ، وكما أنه يمتنع الجمع بين
النقيضين فيمتنع الخلو من النقيضين ، فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان .
ولهذا كان المنطقيون يقسمون الشرطية المنفصلة الى مانعة الجمع ، ومانعة
الخلو ، ومانعة الجمع والخلو ؛ فالمانعة من الجمع والخلو كقول القائل : هذا ^(١) -
الشيء اما أن يكون موجودا واما أن يكون معدوما ، واما أن يكون ثابتا واما أن
يكون متغيرا ^(٢) ، فتفيد الاستثناءات ^(٤) الأربعة ، لكنه موجود فليس بمعدوم ، أو هو
معدوم فليس بموجود ، أو ليس بموجود فهو معدوم ، أو ليس بمعدوم فهو
موجود . وكذلك ما كان من الاثبات بمنزلة النقيضين ، كقول القائل : هذا المعدوم
اما شفع واما وتر . فكونه شفعا ووترا لا يجتمعان ولا يرتفعان .
وهو لا ادعو اثبات شيء يخلو عنه النقيضان ، فان جوزوا خلوه عن
النقيضين جاز اجتماع النقيضين فيه . وهذا مذهب أهل الوحدة القائلين ^(٥)
بوحدة الوجود : كصاحب " الفصوص " ، وابن سبعين . وابن أبي المنصور ، وابن الفارض ^(٦) ^(٧)

- (١) ك : ومانعتا .
 - (٢) هذا : ساقطة من (ك) .
 - (٣) ن ، ك : منغيا .
 - (٤) ن : فنقيده الأسباب .
 - (٥) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : بحث العلاج وغيره .
 - (٦) وابن أبي المنصور : هذا الاسم ساقط من (ن) .
- وقد ذكر البغدادي في كتابه هدية العارفين ٣١٣/١ هذا الرجل بقوله : " الشيخ صفى
الدين الحسين بن علي المعروف بابن أبي منصور الصوفي المالكي ، ولد سنة ٥٩٥ وتوفي سنة
٦٨٦ ، صنف كتاب الرسالة " .
- (٧) هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن علي بن المرشد بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد
والدار والوفاة ، قدم أبوه من حماة الى مصر فقطنها ، وصار يثب الفروض للنساء على الرجال بين
يدى الحكام فغلب عليه التلقب بالفارص ولد عمر بالقاهرة سنة ٥٧٦ ، وتوفي فيها سنة
٦٣٢ ، وهو من أعلام الصوفية الاتحادية ، وله شعر يصرح فيه بالاتحاد .
- انظر : وفيات الأعيان ٣/٣٥٤ - ٤٥٦ ؛ ميزان الاعتدال ٣/٢١٤ - ٢١٥ ؛ البدايعة
والنهاية ١٤٣/١٣ ؛ لسان الميزان ٤/٣١٧ - ٣١٩ ؛ شذرات الذهب ٥/١٤٩ - ١٥٣ ؛
الأعلام ٥/٥٥٥ .

والقنوي^(١)، وأمثالهم؛ فان قولهم وقول القرامطة من مشكاة واحدة، والاتحادية قد يصرحون باجتماع النقيضين، وكذلك يذكرون مثل هذا عن الحلّاج^(٢)، والحلاج لما دخل بغداد كانوا ينادون عليه: هذا داعي القرامطة. وكان يظهر للشيعة أنه منهم، ودخل على ابن نوبخت رئيس الشيعة^(٣) ليتبعه، فطالبه بكرامات عجز عنها^(٤).

- (١) هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف القنوي الرومي، صاحب ابن عربي الطائي، وله تصانيف في تصوف الاتحادية، وتوفي بقونية سنة ٦٧٢ أو ٦٧٣.
- انظر: الوافي بالوفيات ٢/٢٠٠؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٤٥؛ الطبقات الكبرى للشمراني ١/١٧٧؛ الأعلام ٦/٣٠.
- (٢) هو أبو مغيث - وقيل: أبو عبد الله - الحسين بن منصور بن محي الحلّاج، كان جده محسي مجوسيا من أهل فارس، ونشأ الحسين بواسطة، وقيل: بتستر، ودخل بغداد وخالط الصوفية فيها، ثم طاف البلاد، واتصل بالقرامطة، وقصد الهند، وتعلم أنواعا من السحر، ثم عاد إلى بغداد وقد ظهرت زندقته حيث قتل عليها سنة ٣٠٩.
- انظر: طبقات الصوفية للسلمي، ص ٣٠٧-٣١١؛ تاريخ بغداد ٨/١١٢-١٤١؛ المنتظم لابن الجوزي ٦/١٦٠-١٦٤؛ وفيات الأعيان ٢/١٤٠-١٤٧؛ البداية والنهاية ١١/١٣٢-١٤٤؛ لسان الميزان ٢/٣١٤-٣١٥؛ الأعلام ٢/٢٦٠؛ تاريخ التراث العربي ١/٤١٣-١٣٧/٠.
- ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة صغيرة، في "الجواب عن سؤال عن الحلّاج هل كان صديقا أو زنديقا"، نشرها الدكتور محمد رشاد سالم ضمن المجموعة الأولى من "جامع الرسائل"، ص ١٨٧-١٩٩.
- (٣) هو أبو سهل اسماعيل بن علي بن اسحاق بن نوبخت البغدادي، من متكلمي الشيعة الامامية وكبار مصنفهم، توفي سنة ٣١١.
- انظر: الفهرست لابن النديم، ص ٢٢٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/٣٢٨-٣٢٩؛ لسان الميزان ١/٤٢٤؛ معجم المؤلفين ٢/٢٧٩.
- (٤) نقل ابن الجوزي في المنتظم ٦/١٦١-١٦٣ قول أبي بكر الصولي في الحلّاج: "وكان ظاهره أنه ناسك صوفي، فاذا علم أن أهل بلدة يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون الامامة صار اماميا، وأراهم أن عنده علما من امامتهم، أو رأى أهل السنة صار سنيا...".
- وقيل انه كان يدعو في أول أمره إلى الرضا من آل محمد، فسعي به ففرض، وكان يسرى الجاهل شيئا من شعبذته، فاذا وثق به دعا إلى أنه اله، فدعا فيمن دعاه أبا سهل بن نوبخت، فقال له: أنبت في مقدم رأسي شعرا.
- وقال الخطيب في تاريخ بغداد ٨/١١٢ "لما قدم الحلّاج بغداد يدعو، استفوى كثيرا من الناس والرواساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله من طريقهم، فراسل أبا سهل ابن نوبخت يستفويه... فقال: أنا مبتلى بالصلح وبالخضاب لستر المشيب، فان جعل لي شعرا، ورد لحيتي سوداء بلا خضاب، آمنت بما يدعوني إليه كائنا ما كان، فلما سمع الحلّاج جوابه أيس منه وكف عنه".

ومقالات أهل الضلال كلها تستلزم الجمع بين النقيضين، أو رفع النقيضين جميعا، لكن منهم من يعرف لازم قوله فيلزمه، ومنهم من لا يعرف ذلك . وكسل أمرين لا يجتمعان ولا يرتفعان فهما في المعنى نقيضان، لكن هذا ظاهر نفسي الوجود والعدم .

وقول مثبتة الحالين^(١) الذين يقولون : لا موجودة ولا معدومة^(٢) . هو شعبة من مذهب القرامطة ، وانما التحقيق أنها ليست موجودة في الأعيان، ولا منتفيسة في الأذهان .

ومن الأمور الثبوتية ما يكونان بمنزلة الوجود والعدم ؛ كقولنا : أن العدد^(٣) اما شفع واما وتر، وقولنا : أن كل موجودين^(٤) اما أن يقرنا في الوجود أو يتقدم أحدهما على الآخر، وكل موجود^(٥) اما قائم بنفسه واما قائم بغيره، وكل جسم^(٥) اما متحرك واما ساكن، واما حي واما ميت، وكل حي^(٥) اما عالم واما جاهل، واما قادر واما عاجز، واما سميع واما أصم، واما بصير واما أعمى^(٦) . بل وكذلك^(٧) كل موجودين فاما أن يكونا متجانسين^(٨) واما أن يكونا متباينين^(٩)، وأمثال هذه القضايا . وكل من رام سلب هذين جميعا كان من جنس القرامطة الرافعة للنقيضين . لكن التناقض قد يظهر باللفظ ؛ كما اذا قلنا : اما أن يكون واما أن لا يكون . وقد يظهر / بالمعنى ؛ كما اذا قلنا : اما قائم^(١٠) بنفسه واما قائم بغيره . وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع ، بل قد زدنا في جواب السائل عما هو مقصوده ، لكن نبهنا على أصول نافعة جامعة^(١١) .

ص ٧٥

- (١) مثبتة الحالين ؛ كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب : مثبتة الحال ، أو مثبتة الأحوال ، وسبق لسي تعليق على نظرية الأحوال ، ص ٧٥ ت ٦ .
- (٢) ن : لا معدومة ولا موجودة .
- (٣) ان : ليست في (ن) ، (في الموضوعين) .
- (٤) س : فاما .
- (٥) اما : كذا في (ك) ، وفي (ن ، خ ، س) : فاما (في المواضع الثلاثة) .
- (٦) س ، ك : واما أعمى واما بصير .
- (٧) ن : بل وكل .
- (٨) ن ، خ : متباينين .
- (٩) ن : متناسبين .
- (١٠) س ، ك : اما قديم .
- (١١) ن : جامعة نافعة .

الطريق الثالث لأهل النظر في اثبات السمع والبصر - أن السمع والبصر من صفات الكمال - فإن الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم ؛ وهذا معلوم بضرورة العقل - وإذا كانت صفة كمال فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا ، والله منزّه عن كل نقص .

(*) وكل كمال محض لانقص فيه فهو جائر عليه ، وما كان جائزا عليه من صفات الكمال فهو ثابت له ، فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه ، فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ، وهذا مستنع ؛ وان لم يتوقف كماله الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ما ينزه عنه فانه يستلزم نقضا يجب تزويجه عنه . (٣)*

وأیضا فلو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه ؛ ومن المعلوم في بداية العقول أن المخلوق لا يكون أكمل من الخالق ، ان الكمال لا يكون الا بأمر وجودي ، والعدم المحض ليس فيه كمال ، وكل [كمال^(٤)] موجود للمخلوق فالله خالقه ، ويمتنع أن يكون الوجود الناقص مبدعا وفاعلا للوجود الكامل ؛ ان من المستقر في بداية العقول أن وجود العلة أكمل من وجود المعلول ، دع وجود الخالق البارئ الصانع ، فانه من المعلوم بالاضطرار أنه أكمل من وجود المخلوق المصنوع المنفوعول .

وقد بسطنا الكلام على مثل هذه الطريقة في غير هذا الموضع ، وبيننا أن الله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه قياس الأولى ، كما جاء بذلك القرآن ، وهو الطريق

(١) أمام هذا الكلام كتب في هامش (س) : مطلب الطريق الثالث لأهل النظر . قلت : وقد بدأ الكلام في الطريق الثاني ، ص ٤٤٧ .
 (٢) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
 (٣) ك : وهذا مستنع ان لم يتوقف كمال .
 (٤) في النسختين (ن ، ك) : له ، ولعل الصواب ما أثبتته .
 (٤) كمال : في (ن) فقط .

الشي كان يسلكها السلف والأئمة كأحمد وغيره من الأئمة ؛ فكل كمال ثبت للمخلوق^(١) فالخالق أولى به ، وكل نقص ينزه عنه مخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه ، كما قال تعالى : (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)^(٢) . وقال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون . للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم)^(٣) . وقوله تعالى : (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون)^(٤) .

وذلك لأن صفات الكمال أمور وجودية ، أو أمور سلبية مستلزمة لأمر وجودية ؛ كقوله تعالى : (الله لا اله الا هو / الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم)^(٥) . فنفي السنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية ؛ وكذلك قوله : (وما ربك بظلام للعبيد)^(٦) . استلزم ثبوت العدل ؛ وقوله : (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض)^(٧) . استلزم كمال العلم ؛ ونظائر ذلك كثيرة ، وأما العدم المحض فلا كمال فيه .

وإذا كان كذلك ، فكل كمال لانقص فيه بوجهه^(٨) ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين :

أحدهما - أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل

- (١) ن : الذي .
- (٢) ن ، س : يسلكه .
- (٣) سورة الروم : ٢٨ .
- (٤) سورة النحل : ٥٨ - ٦٠ .
- (٥) سورة النحل : ٦٢ .
- (٦) سورة البقرة : ٢٥٥ .
- (٧) سورة فصلت : ٤٦ .
- (٨) س ، ك : وقوله تعالى .
- (٩) سورة سبأ : ٣ . وفي سورة يونس : ٦١ : (وما يعزب عن ربك من مثاقيل ذرة في الأرض ولا في السماء) . وقد وردت الآية في جميع النسخ : (لا يعزب عنه مثاقيل ذرة في الأرض ولا في السماء) . وهذا خطأ .
- (١٠) عبارة " لانقص فيه بوجهه " ساقطة من (خ ، س) .
- (١١) ن : يثبت .

للعدم المحدث المربوب .

الثاني - أن كل كمال فيه فانما استفاده من ربه وخالقه ، فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له ، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى .

وقد قال الله تعالى : (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بسل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ^(١) . وهذا المثل وأن كان يفيد الدعاء الى عبادة الله وحده دون عبادة ماسواه ، ونفي عبادة الأوثان لوجود هذا الفرقان ؛ فاذا علم انتفاء التساوى بين الكامل والناقص ، وعلم أن الرب أكمل من خلقه - وجب أن يكون أكمل منهم وأحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والأخرى .

الطريق الرابع ^(٤) في اثبات السمع والبصر والكلام - أن نفي هذه الصفات

نقائص مطلقا ، سواء نفيت عن حي أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ^(٥) ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ، ولا يعبد ، ولا يدعى ؛ كما تسأل الخليل : (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا) ^(٦) . وقال ابراهيم لقومه : (هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينظرونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ^(٧) . وقال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) ^(٨) .

(١) سورة النحل : ٧٥-٧٦ .

(٢) ن : ان (بدون الواو) .

(٣) ن : ونفي عبادة اله ثان .

(٤) أمام هذا الكلام كتب في هامش (ن) : مطلب الطريق الرابع .

(٥) كذا في (ك) ، وفي (خ ، س) : شيئا ، وفي (ن) : أن يحدث شيئا .

(٦) سورة مريم : ٤٢ .

(٧) سورة الشعراء : ٧٢-٧٤ .

(٨) سورة الأعراف : ١٤٨ .

وقال تعالى : (فقالوا هذا السهم واله موسى فنسي . أفلا يرون ألا يرجع اليهم
قبولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)^(١) .

وهذا لأنه من المستقر^(٢) في الفطر أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون
ربا معبودا ، كما أن مالا يفني شيئا ولا يهدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا
معبودا ؛ ومن المعلوم أن خالق العالم هو الذى ينفع عباده بالرزق وغيره
ويهدىهم ، وهو الذى يملك أن يضرهم بأنواع الضرر . فان هذه الأمور من
جملة / الحوادث التي يحدثها رب العالمين ؛ فلو قدر أنه ليس محدثا لهما
كانت حادثة بغير محدث ، أو كان محدثها غيره . وإذا كان محدثها غيره
فالقول في أحداث ذلك الغير كالقول في سائر الحوادث ، فلا بد أن تنتهي
الى قديم لا محدث [له]^(٣) .

ص ٧٧

ولذلك^(٤) من المستقر في العقول أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن
صفات الكمال ، لأنه لا يسمع كلام أحد ، ولا يبصر أحدا ، ولا يأمر بأمر ، ولا ينهى
عن شيء ، ولا يخبر بشيء ؛ فان لم يكن كالحى الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو
شر منه ، وهو الجماد الذى ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم . ونفى قبول
هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز ، وأقرب^(٥) الى اتصاف المعدوم من يقبلها
واتصف بأضدادها ؛ ان الانسان الأعمى أكمل من الحجر ، والانسان الأبكم أكمل
من التراب ، ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات .

وإذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة أنه من أعظم النقائص والعيوب
وأقرب شيئا بالمعدوم - كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه
النقائص والعيوب من كل ما ينفى عنه ، وأن اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات .

(١) سورة طه : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) ن : لأنه مستقر .

(٣) له : ساقطة من (ك) .

(٤) خ : فلذلك ؛ س : فكذلك .

(٥) ن : والعجز وهو أبلغ وأقرب .

وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة ؛ فان الثانية مبنية على أنه حي فلا بد من اتصاف بها أو بضعها ، والثالثة مبنية على أنها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها ، وأما هذه فمبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعائب ومذام يمتنع وصف الرب بها . والله سبحانه وتعالى أعلم .^(٢)

فصل

ثم قال المصنف : " والدليل^(٣) على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه " .

دليل الأصهباني على نبوة الأنبياء

قلت : هذه الطريقة هي من أشهر الطرق عند أهل الكلام والنظر ، حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات .

شرح ابن تيمية تعدد دلائل النبوة

ولاريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء ، لكن كثير من هؤلاء بل كل من بنى ايمانه عليها يظن أن لاتعرف نبوة الأنبياء الا بالمعجزات ، ثم لهم في تقرير دالة المعجزة على الصدق طرق متنوعة ، وفي بعضها من التنازع والاضطراب ماستنبه عليه ، والمتزم كثير من هؤلاء انكار خرق المعاديات لفسير الأنبياء ، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك .

١- دلالة المعجزات

وللنظار هنا طرق متعددة ؛ منهم من لا يجعل المعجزة دليلا ، بل يجعل الدليل استواء ما يدعو اليه وصحته وسلامته من التناقض ، كما يقوله طائفة من النظار ؛ ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا / وهذا ؛ ومنهم من يجعل المعجزة دليلا ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة ، وهذا أصح الطرق .

ص ٢٨

(١) ن : فأما .

(٢) عند هذا الحد تنتهي مخطوطة (ن) ، وتحل محلها مخطوطة (ط) ، وأصل المخطوطتين واحد الا أن (ن) تنقطع هنا بينما تستمر (ط) الى نهاية الكتاب (راجع مقدمة التحقيق في الكلام عن هاتين المخطوطتين) .

(٣) ط : فصل الدليل .

(٤) ط ، ك : قال شيخ الاسلام ابن تيمية .

(٥) ط ، ك : هي من أم .

(٦) ط : بل أكثر .

(٧) تقرير : ساقطة من (ط) .

(٩) ط : واستلزم .

(١٠) ط : دون .

(٨) انظر فيما سيأتي ، ص ٦٠٩ .

ومن لم يجعل طريقها^(١) الا المعجزة اضطر لهذه الأمور التي فيها
تكذيب لحق أو تصديق لباطل^(٢) .

ولهذا^(٣) كان السلف والأئمة يذمون الكلام المبتدع ؛ فان أصحابه يخطئون
اما في مسائلهم . واما في دلائلهم ، فكثيرا ما يثبتون دين المسلمين في الايمان
بالله وملائكته^(٤) وكتبه ورسله على أصول ضعيفة ، بل فاسدة ، ويلتزمون لذلك لوازم
يخالفون بها السمع الصحيح والعقل الصريح .

وهذا حال الجهمية من المعتزلة وغيرهم ؛ حيث أثبتوا حدوث العالم
بحدوث الأجسام ، وأثبتوا ذلك بحدوث صفاتها التي هي الأعراض ، فاضطرهم
ذلك الى القول بحدوث كل موصوف ، فنفوا عن الله الصفات ؛ وقالوا بأن القرآن
مخلوق ، وأنه لا يرى في الآخرة ، وقالوا ؛ انه لا مابين ولا محايث^(٥) . وأمثال ذلك
من مقالات النفاة التي تستلزم التعطيل ، كما قد بسطنا في غير هذا الموضع .

وليس الأمر كذلك ؛ بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة ؛ فان المقصود
انما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه ، نانه اذا^(٦) قال : " اني رسول الله " .
فهذا الكلام اما أن يكون صدقا واما أن يكون كذبا ؛ وان شئت قلت : هذا
خير ؛ فاما أن يكون مطابقا للمخبر^(٧) ، واما أن يكون مخالفا له ، سواء كانت
مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ ؛ ان قد يظن الرجل في نفسه أو غيره
أنه رسول الله ، غير متعمد للكذب^(٨) ، بل خطأ وضلال^(٩) ؛ مثل كثير ممن يتمثل
له الشيطان ويقول : " اني ربك " ، ويخاطبه بأشياء ، وقد يقول له : أحللت لك

٢- دلالة نسوع
مايات به النبي
من الخبر والأمر
٣- دلالة شخص
النبي : صفاته
وأحواله

(١) خ ، س : طريقا . ط : ومن يجعل طريقا .

(٢) ط : تكذيب بحق أو تصديق بباطل .

(٣) ولهذا : ساقطة من (خ ، س) .

(٤) وملائكته : في (ك) فقط .

(٥) ط ، س : ولا مجانبا . وفي هامش (س) كتب : ولا مجازبا .

(٦) ط : أو كذبه فانذا .

(٧) ط : وان شئت قلت : اما أن يكون مطابقا .

(٨) ط : الكذب ، س : لكذب .

(٩) خ ، س : وضلالا .

ما حرمت على غيرك ، وأنت عبدى ورسولي ، وأنت أفضل أهل الأرض . وأمثال هذه
 الأكاذيب ، فان مثل هذا قد وقع لكثير من الناس .
 فاذا كان مدعي الرسالة [اذنا^(١)] لم يكن صادقا فلا بد أن يكون كاذبا ؛
 عمدا أو ضللا فالتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى^(٢)
 النبوة ، فكيف بدعوى النبوة ! .

ومعلوم أن مدعي الرسالة اما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم ، واما أن
 يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ؛ ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله
 عليه وسلم - لما بلغهم الرسالة ودعاهم الى الاسلام - : " والله لا أقول لك
 كلمة واحدة ؛ ان كنت صادقا فأنت أجل في عيني^(٤) من أن أرد عليك ، وان
 كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك^(٥) " . فكيف يشبهه أفضل الخلق^(٦)
 وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم ، وما أحسن قول حسان :
 لو لم تكن فيه آيات مبينة . . . كانت بديهته تأتيك بالخبر^(٧)

(١) اذا : ساقطة من (ط ، ك) .
 (٢) هو : ليست في (ط) .
 (٣) ك : الله تعالى .
 (٤) في عيني : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) في السيرة النبوية لابن هشام في خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة
 من ثقيف ، ٦٠ / ٢ - ٦١ : " قال ابن اسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي
 قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، عمد الى نفر من ثقيف ، هم يومئذ
 سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن عمير . . . فجلس
 اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم الى الله . . . فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب
 الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ! وقال الثالث :
 والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك
 الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينيغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف " .

(٦) ط : وكيف .
 (٧) البيت في ديوان حسان بن ثابت (٤٨٢ / ١) " تحقيق الدكتور وليد عرفان " ، نقلا عن الفاضل
 للمبرد ، ولفظه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة . . . كانت بدهته تنبيك بالخسبر
 وقد رجعت الى كتاب الفاضل ، ص ٩ - ١٠ وفيه يقول المبرد : ويروى أن حسانا أشد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في كلمة له يقول فيها [وذكر البيت] فأعجب بذلك صلى الله عليه وسلم
 وأثاب حسانا ودعا له .

/ وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحوان الشياطين^(١) عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين الا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز^(٢). فان الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمرهم، ويأمرهم بأمرهم، ولا بد أن يفعل أمورا؛ والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه^(٣) وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة. بل كل شخصين ادعى أمرا من الأمور: أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد^(٥) أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة؛ ان الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور^(٦). كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عليكم بالصدق؛ فان الصدق يهدي الى البر، وان البر يهدي الى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا؛ واياكم والكذب؛ فان الكذب يهدي الى الفجور، وان الفجور يهدي الى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)^(٨).

(١) ط : الشيطان .

(٢) أمام هذا الموضوع كتب في هامش (ط) : قول .

(٣) ك : ويخبر عنه .

(٤) ك : وما يخبر عنه .

(٥) خ : لا بد .

(٦) ط : البر، والكذب مستلزم الفجور .

(٧) ك : الله تعالى .

(٨) الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١٠/٥٠٧ رقم ٦٠٩٤) كتاب الأدب، باب قول الله

تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ؛ وصحيح مسلم ٤/٢٠١٢-٢٠١٣ رقم ٢٦٠٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ١٣/٢٣٣-٢٣٤) كتاب الأدب ، باب التشديد في الكذب ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوزى ٦/١٠٦-١٠٧) البر والصلة ، باب ماجاء في الصدق والكذب ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ٥/٢٣١ رقم ٢٦٣٨ ، ٦/٧٨ رقم ٤١٠٨ . لكن أول الحديث عند البخارى (ان الصدق يهدي الى البر . . .) دون ما قبله ، وكذا قوله : (وان الكذب يهدي الى الفجور) وهذا يوافق رواية عند مسلم .

ولهذا قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أئيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعرا* يتبعهم الفياورون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون)^(١) . بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ، ولا شاعر ؛ حيث كانوا يقولون : ساحر وشاعر . فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر ، يلقون اليهم السمع وأكثرهم كاذبون .

فهو لا الكهان ونحوهم وان كانوا يخبرون أحيانا بشي* من المفيات ويكون صدقا ، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك ، وليسوا بأنبياء ؛ ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد : (قد خبأت لك خبيثا) . وقال : هو الدخ - قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (اخسأ ، فلن تعدو قدرك) . يعني انما أنت كاهن ، كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (يا أتيني صادق وكاذب ، وقال : أرى عرشا على الماء . وذلك هو عرش الشيطان ، كما ثبت مثل ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم)^(٢) .

(١) سورة الشعرا* : (٢٢١-٢٢٦) .

(٢) ط : تنزل .

(٣) ط : أن الشياطين انما تنزل على الكاذب فانهم يلقون .

(٤) خ ، س : فيكون .

(٥) لما : ساقطة من (ط) .

(٦) ط ، ك : قال .

(٧) ط : وقال .

(٨) مثل : ليست في (ط) .

(٩) ورد عدد من الأحاديث في خبر ابن صياد ؛ منها حديث أبو عمر في صحيح البخاري (فتح الباري ٢١٨/٣ رقم ١٣٥٤) كتاب الجنائز ، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبي الاسلام ، وكرر بالأرقام ٣٠٥٥ ، ٦١٧٣ ، ٦٦١٨ ، وصحيح مسلم ٢٢٤٤/٤ رقم ٢٩٣٠ كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب ذكر ابن صياد ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٤٧٨/١١ - ٤٨٢) كتاب الفتن والملاحم ، باب خبر ابن صياد ؛ وسنن الترمذي (تحفة الأحوذى ٥١٨/٦ - ٥٢٠) الفتن ، باب ماجاء في ذكر ابن صياد ؛ وسنن أحمد (ط . المعارف) ١٧٢/٩ - ١٨٠ رقم ٦٣٦٤ - ٦٣٦٤ .

وفيه أن عمر بن الخطاب انطلق مع النبي صلى الله عليه وسلم في رهط قبل ابن صياد . . . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد : (أتشهد أنني رسول الله ؟) فنظر اليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول الأمين ، فقال ابن صياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشهد أنني رسول الله ؟ فرفضه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (آمنت بالله وبرسله) ثم قال له = /

وبين الله تعالى^(١) أن الشعراء يتبعهم الغاؤون، والغاوى الذى يتبع
هواه وشهوته، وان كان ذلك مضرا له في العاقبة؛ قال تعالى: (ألم تر أنهم
في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) . فهذه صفة الشعراء ، كما
أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين . فمن عرف الرسول وصدق ووفى
ومطابقة قوله لعلمه عليم / علما يقينا أنه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب^(٢) .

ص ٨٠

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة ، حتى فسي
المدعين للصناعات والمقالات : كالفلاحة والنساجة والكتابة ، وعلم النحو
والطب والفقه وغير ذلك . فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة الا
والتغريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة . وكذلك من أظهر
قصدا وعملا : كمن يظهر الديانة والأمانة والنصيحة والمحبة وأمثال ذلك من
الأخلاق فانه لا بد أن يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة .^(٦)

= / رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ترى ؟) قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب . فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خلط عليك الأمر) ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اني
قد خبأت لك خبيثا) فقال ابن صياد : هو الدخ . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ ،
فلن تعدو قدرك) .

ومنها حديث أبي سعيد الخدرى ، في صحيح مسلم برقم ٢٩٢٥ ، وسنن الترمذى ٥٢٠ / ٦ -
٥٢١ ، ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٦٦ / ٣ ، وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد
: (ما ترى ؟) قال : أرى عرشا على الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ترى عرش
ابليس على البحر) .

ونحو حديث أبي سعيد حديث جابر بن عبد الله في صحيح مسلم برقم ٢٩٢٦ ، ومسند أحمد
(ط . الحلبي) ٣٦٨ / ٣ ، ٣٨٨ .

ومنها حديث عبد الله بن مسعود عند مسلم برقم ٢٩٢٤ ، وأحمد (ط . المعارف) ٢١٦ / ٥ رقم
٣٦١٠ .

(١) الله تعالى : ليست في (خ ، س) .

(٢) ك ، س : لعلمه .

(٣) كذا في (ك) ، وفي (ط) : بشاعر ولا كاذب ، وفي (خ ، س) : بشاعر ولا كاهن .

(٤) خ ، س : فما من مدعى .

(٥) في ذلك : ساقطة من (خ ، س) .

(٦) خ ، س : يبين .

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها ، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال ؛ فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ! ولا يتبين (١) صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة ! لاسيما والعالم لم يخل من آثار نبي (٢) من لدن آدم الى زماننا ، وقد علم جنس ماجأت به الأنبياء (٤) والمرسلون ، وما كانوا يدعون اليه ويأمرون به ، ولم تزل آثار المرسلين في الأرض ، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ماجأت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل .

فلو قدر أن رجلا جاء في زمان امكان بعث الرسل ، وأمر بالشرك وعبادة الأوثان ، وأباحت الفواحش والظلم والكذب ؛ ولم يأمر بعبادة الله ولا بالايمن (٦) باليوم الآخر - هل كان مثل هذا يحتاج أن يطالب بمعجزة ، أو يشك في كذبه أنه نبي ، ولو قدر أنه أتى بما يظن أنه معجزة لعلم أنه من جنس المخاريق أو الفتن والمحنة . ولهذا لما كان الدجال يدعي الالهية لم يكن ما يأتي به دالا على صدقه ؛ للعلم بأن دعواه متنتعة في نفسها ، وأنه كذاب . وكذلك من نشأ في بني اسرائيل ، معروفنا بينهم بالصدق والبر والتقوى ؛ بحيث قد خبر خبرة باطنة ، يعلم منها تمام عقله ودينه ، ثم أخبر بأن الله نبأه وأرسله اليهم - فان هذا لا يكون أولى بالرد من أن يخبرنا الرجل الذي لا يشك في عقله ودينه وصدقته أنه رأى رؤيا . (٩)

(١) يتبين : كذا في (ك) ، وفي (ط ، خ ، س) : يبين .

(٢) ك : لا يخلو .

(٣) ط : من شي* بآثار نبي . خ : من نبي ، س : من آثار من نبي .

(٤) س : . . . به من آثار الأنبياء .

(٥) ك : واباحة .

(٦) بالايمن : ساقطة من (خ ، س) .

(٧) أنه نبي : ساقطة من (خ ، س) .

(٨) بالرد : ساقطة من (خ ، س) .

(٩) ط : وصدقته ودينه .

وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه تنازع الناس في أن خير الواحد :^(١)
هل يجوز أن يقترن به من القرائن والضمائم ما يفيد معه العلم ؟ . ولا ريب
أن المحققين من كل طائفة على أن خير الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به
من القرائن ما يحصل معه [العلم]^(٢) الضروري بخير المخبر ، بل القرائن
وحدها قد تغيد العلم الضروري ؛ كما يعرف الرجل رضا الرجل وغضبه ، وحبه
وبغضه ، وفرحه وحزنه ، وغير ذلك مما في نفسه - بأمر تظهر على وجهه
قد لا يمكنه التعبير عنها .

كما قال تعالى : (ولو نشأ لأريناكم فلمعرفتهم بسيماهم) . ثم قال :
(ولتعرفنهم في لحن القون)^(٣) . فأقسم أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن
القول ، وعلق معرفتهم بالسيما على المشيئة ؛ لأن ظهور ما في نفس الانسان
من كلامه أبين من ظهوره على صفحات وجهه . / وقد قيل : ما أسر أحد سريرة
الا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . فاذا كان مثل هذا يعلم
به ما في نفس الانسان من غير اخبار ؛ فاذا اقترن بذلك اخباره كان أولسى
بحصول العلم .

ولا يقول عاقل من العقلاء : ان مجرد خبر الواحد ، أو خير كل واحد
يفيد العلم ، بل ولا خير كل خمسة أو عشرة ، بل قد يخبر ألف أو أكثر^(٤)
من ألف ويكونون كاذبين اذا كانوا متواطئين .

واذا كان صدق المخبر أو كذبه يعلم بما يقترن به من القرائن ، بل في
لحن قوله وصفحات وجهه ، ويحصل بذلك علم ضروري لا يمكن المرء أن يدفعه
عن نفسه - فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله ؛ كيف يخفى صدقه وكذبه !^(٥)

-
- (١) تنازع الناس : ساقطة من (خ ، س) .
 - (٢) العلم : ساقطة من (ك) .
 - (٣) سورة محمد : ٣٦ .
 - (٤) مجرد : ساقطة من (ط) .
 - (٥) ط : الألف .
 - (٦) س : وأكثر .
 - (٧) ط : يخفى هذا .

أم كيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوده من الأدلة لا تعد ولا تحصى!.

وإذا كان الكاذب إنما يوتى^(٢) من وجهين: إما أن يتعمد الكذب، وإما أن يلبس عليه؛ كمن يأتيه الشيطان^(٣) - فمن المعلوم الذي لا ريب فيه أن مسن الناس من يعلم منه أنه لا يتعمد الكذب، بل كثير من خبره الناس وجربوه من شيوخهم ومعاملهم يعلمون منهم علما قاطعا أنهم لا يتعمدون الكذب، وإن كانوا يعلمون أن ذلك ممكن، فليس كل ما علم إمكانه جوز وقوعه؛ فإنا نعلم أن الله قادر على قلب الجبال ياقوتا، والبحار دما، ونعلم أنه لا يفعل ذلك. ونعلم من حال البشر^(٤) من حيث الجملة أنه يجوز أن يكون أحدهم يهوديا ونصرانيا ونحو ذلك، ونعلم مع هذا أن هذا لم يقع، بل ولا يقع من أشخاص^(٥)، وأن من أخبرنا^(٦) بوقوعه منهم كذبتاه قطعا، ونحن لانكر أن الرجل^(٧) قد يتغير؛ ويصير متعمدا الكذب^(٨) بعد أن لم يكن كذلك، لكن إذا استحال وتغير ظهر ذلك لمن يخبره ويطلع على أمره.

ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها^(٩) تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم
استدلال خديجة رضي الله عنها
بالمسلك الشخصي أنه الصادق البار؛ قال لها لما جاءه الوحي: (إني قد خشيت على عقلي).
فقلت: [له^(١٠)] كلا، والله لا يخزيك الله! إنك لتصل الرحم، وتصدق
الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نواصب الحق^(١١).

- (١) س: وكذبه ولا يتميز.
- (٢) ك: يأتي.
- (٣) ط: تأتيه الشياطين.
- (٤) ط: دما، ونعلم من حال اليقين.
- (٥) ك: الأشخاص.
- (٦) ط: ونعلم مع هذا أن هذا لا يقع مع أشخاص يصرفهم، بل ولا يقع ومن أخبرنا.
- (٧) ط: أن الفعل.
- (٨) ط: للكذب، ك: للكذب.
- (٩) رضي الله عنها: في (ك). فقط.
- (١٠) له: في (ط) فقط.
- (١١) عن عائشة أم المؤمنين قالت: أول ما بدئني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حيب إليه الخلا، وكان يخلو بفار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعمد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: (ما أنا بقارى) قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني)، =

فهو لم يخف من تعمد الكذب ؛ فانه يعلم من نفسه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكذب ، لكن خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارض سوء - وهو المقام الثاني - فذكرت خديجة ما ينفي هذا ؛ وهو ما كان مجبولاً عليه من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم والأعمال ؛ وهو الصدق المستلزم للعدل ، والاحسان الى الخلق . ومن جمع فيه الصدق والعدل والاحسان لم يكن ممن يخزيه الله .

وصلة الرحم ، وقرى الضيف ، وحمل الكل ، واعطاء المعدوم ، والاعانة على نواب الحق - هي من أعظم أنواع البر والاحسان . وقد علم من سنة الله أن من جبلة الله على الأخلاق المحمودة ، ونزهه عن الأخلاق الذمومة فانه لا يخزيه .

وأيضاً فالنبوة في الآدميين هي من عهد / آدم عليه السلام ؛ فانه كان نبياً ، وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار ، وقد علم جنس ما يدعو اليه الرسل ، وجنس أحوالهم ؛ فالمدعي للرسالة في زمن الامكان اذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل^(٢) علم أنه ليس منهم ، وان أتى بما هو من خصائص الرسل علم أنه منهم^(٣) . لا سيما اذا علم أنه لا يد من رسول منتظر ، وعلم أن لذلك الرسول صفات متعددة تميزه عن سواه ؛ فهذا قد يبلغ بصاحبه الى العلم الضروري بأن

ص ٨٢

= / فقال : اقرأ . . .) .

فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : (لقد خشيت على نفسي) فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتمين على نواب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرأ تنصر في الجاهلية . . . الخ ، وسيستشهد ابن تيمية بأخسر الحديث بعد قليل .

الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١ / ٢٢ رقم ٣) كتاب بدء الوحي ، باب كيف بسدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ٨ / ٧١٥ رقم ٤٩٥٣ كتاب التفسير ، سورة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ، ١٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ رقم ٦٩٨٢ كتاب التعبير ، باب أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ؛ وصحيح مسلم ١ / ١٣٩ - ٤٣ رقم ١٦٠ كتاب الايمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسند أحمد (ط . الحلبي) ٦ / ٢٢٣ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(١) ك : ما .

(٢) س : الرسل .

(٣) ط ، خ : تبين أنه منهم .

هذا هو الرسول المنتظر، ولهذا قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .^(١)

استدلال النجاشي
ورقة بن نوفل
بالمسلك النوعي لما استخبرهم عما يخبر به ، واستقرأهم القرآن فقرأوه عليه ؛ قال : ان هذا
والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .^(٢)

وكذلك قبله ورقة بن نوفل ؛ لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما
رآه ، وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الانجيل بالعبرانية ، فقالت لسه^(٣)
خديجة : يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك مايقول ، فأخبره النبي صلى الله
عليه وسلم بخبره ، فقال : هذا هو الناموس الذى كان يأتي موسى ، وان قومك
سيخرجوك .^(٤) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أو مخرجي هم ؟) . قال : نعم^(٥)
لم يأت أحد بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا
موثرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي .^(٦)^(٧)^(٨)

استدلال هرقل
بالمسلك الشخصي
والمسلك الثاني - الشخصي ، استدلل به هرقل ملك الروم ؛ فان النبي
صلى الله عليه وسلم لما كتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام طلب هرقل^(٩)

- (١) سورة البقرة : ١٤٦ .
- (٢) ورد ذلك في حديث الهجرة الذى روته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه أحمد في
المسند (ط . المعارف) ١٨٣ / ٣ رقم ١٢٤٠ ، (ط . الحلبي) ٢٩١ / ٥ .
- (٣) وورد في حديث عمرو بن العاص في المسند (ط . الحلبي) ١٩٨ / ٤ قول النجاشي لعمرو : " أتسألني
أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى ، لتقتله " .
- (٤) ط : بما رأى .
- (٥) خ ، س : بالعربية . وكلاهما صحيح انظر فتح البارى ١ / ٢٥٠ .
- (٦) خ ، س : أى عم ، وكذا هو في أحد روايات مسلم .
- (٧) خ : بما رأى .
- (٨) خ ، س : سخرجونك .
- (٩) ط ، ك : فقال .
- (١٠) ط ، خ ، س : فلم .
- (١١) ط : يلبث .
- (١٢) هذا معنى آخر حديث عائشة الذى تقدم أوله قبل صفحات .
قال البخارى في صحيحه (فتح البارى ٦ / ٤٢٢) : " الناموس : صاحب السرا الذى يطلع به
يستره عن غيره " . وكتب أمام هذا الموضع في هامش (خ) : بلغ مقابلة .
(هرقل : ساقطة من (خ ، س)) .

من كان هناك من العرب ، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش فسي
تجارة الى غزة ، فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فسأل^(١)
أبا سفيان وأمر الباقيين^(٢) ان كذب أن يكذبوه ، فصار يجدهم موافقين له^(٣)
في الاخبار .

فسألهم^(٣) ؛ هل كان في آباءه ملك ؟ فقالوا : لا ؛ وهل قال هذا القول
أحد قبله ؟ فقالوا^(٥) : لا ؛ وسألهم أهو ذو نسب فيكم ؟ فقالوا^(٦) : نعم ؛ وسألهم
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقالوا : لا ، ماجرنا عليه كذبا ؛
وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه ؛
وسألهم هل يزيدون أم ينقصون ؟ فذكروا أنهم يزيدون ؛ وسألهم هل يرجع أحد
منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ؟ فقالوا : لا ؛ وسألهم هل
قاتلتهم ؟ فقالوا^(٧) : نعم ؛ وسألهم عن الحرب بينهم وبينه ، فقالوا : يدال علينا
المرء ويدال عليه الأخرى ؛ وسألهم هل يفدر ؟ فذكروا أنه لا يفدر ؛ وسألهم
بماذا يأمركم ؟ فقالوا : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وينهانا عما
كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا / بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فهذه أكثر
من عشر مسائل .

ص ٨٣

(١) خير كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، والتحاور بين هرقل وأبي سفيان بن حرب عن
رسول الله ودعوته ، رواه ابن عباس عن أبي سفيان وأخرجه البخاري (فتح الباري ١ / ٣١ - ٣٣ رقم
٧) كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ١٠٩ / ٦ - ١١١ رقم ٢٩٤١ كتاب
الجهاد ، باب دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى الاسلام والنبوة ، ٢١٤ / ٨ - ٢١٥ رقم
٤٥٥٣ كتاب التفسير ، باب (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا
الله) ؛ وسلم ٣ / ١٣٩٣ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٢ كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم الى هرقل يدعوه الى الاسلام ؛ وأحمد في مسنده (ط . المعارف) ٤ / ١١٠ - ١١٣ .

(٢) خ ، س : الباقي .

(٣) خ : فصاروا يجدونه ، ط : فصاروا يسألونهم .

(٤) خ ، س : سألهم .

(٥) ك : قالوا .

(٦) س ، ك : قالوا .

(٧) فقالوا : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : قالوا .

ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الدلالة ؛ وأنه سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فأجابوا منتفياً ، وسألهم عن علامات الصدق فوجدوا ثابتة ؛ فسألهم هل كان في آباءه ملك ؟ فقالوا : لا . قال : قلت : ^(١) فلو كان في آباءه ملك ، لقلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل قال هذا القول فيكم أحد قبله ؟ فقلت : لا ، فقلت : لو قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل ائتم بقول قيل قبله . ولا ريب أن اتباع الرجل لعادة آباءه ، واقتداءه بمن كان قبله كثيراً ما يكون في الآدميين ، بخلاف الابتداء بقول لم يعرف في تلك الأمة قبله ، وطلب أمر لا يناسب حال أهل بيته ؛ فان هذا قليل في العادة ، لكنه قد يقع . ولهذا أردفه بقوله : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقالوا : لا ، قال : فقد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله .

وذلك أن مثل هذا يكون كذبا محضاً يكذب به لغير عادة جرت ، وهذا لا يفعله الا من يكون من شأنه أن يكذب . فان ^(٢) لم يكن من خلقه الكذب قط ، بل لا يعرف منه الا الصدق ، وهو يتورع أن يكذب على الناس - كان تورعه عن أن يكذب على الله أولى وأحق ^(٣) . والانسان قد يخرج عن عادته في نفسه السيئة عادة بني جنسه ، فانما انتفى هذا وهذا كان هذا أبعد عن الكذب وأقرب السيئة .

ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق ؛ فقال : وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرفهم ؟ فقلت ^(٤) : ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل .

-
- (١) خ ، س : لو .
 - (٢) ط : القول فيكم .
 - (٣) ط : يبتدئه .
 - (٤) ك : فاناً .
 - (٥) ط ، خ : أولى وأولى .
 - (٦) ط : فقال : وسألتك . . . فقلت .

وهذه علامة^(١) من علامات الرسل ، وهو اتباع الضعفاء لهم ابتداء^(٢)؛ قال
الله تعالى حكاية عن قوم نوح : (قالوا أنؤمن لك واتبعك الإِرنلون) . وقالوا^(٣) :
(وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي)^(٤) . وقال تعالى في قصة
صالح : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون)^(٥) . وقال تعالى في قصة شعيب : (قال
الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا
أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم بعد ان نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء
الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وأنت خير الفاتحين)^(٦) .

ثم قال هرقل^(٧) : وسألتكم أيزيدون أم ينقصون ؟ فقلتم^(٩) : بل يزيدون .
وكذلك الايمان حتى يتم ، وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له
بعد أن يدخل فيه ؟ فقلتم^(١٠) : لا . وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته
القلوب لا يسخطه أحد .

فسألهم عن زيادة أتباعه ودوامهم / على اتباعه ، فأخبروه أنهم يزيدون
ويدومون ، وهذا من علامات الصدق والحق ؛ فان الكذب والباطل لا بد أن ينكشف
في آخر الأمر ، فيرجع عنه أصحابه ، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه .

ص ٨٤

-
- (١) وهذه علامة : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : قال : فهذه علامات .
 - (٢) لهم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : له .
 - (٣) سورة الشعراء : ١١١ .
 - (٤) سورة هود : ٢٧ .
 - (٥) سورة الأعراف : ٧٥ ، ٧٦ . الملأ : ساقطة من (خ ، س) . و (من قومه) : ساقطة من (خ ، س ، ك) .
 - (٦) سورة الأعراف : ٨٨ ، ٨٩ . ك : بعد أن نجانا .
 - (٧) ثم : ساقطة من (س) .
 - (٨) هرقل : ساقطة من (خ ، س) .
 - (٩) ط : وسألتك هل يزيدون أم ينقصون ؟ فقلت .
 - (١٠) ط : وسألتك هل يرتد . . . فقلت .

ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبئ الكذاب لا يدوم إلا مدة
سيرة؛ وهذه من بعض حجج ملوك النصارى^(١) - الذين يقال: أنهم من ولسند
قيصر هذا أو غيرهم - حيث رأى رجلاً يسب النبي صلى الله عليه وسلم من رؤوس
النصارى ويرميه بالكذب، فجمع علماء النصارى، وسألهم عن المتنبئ الكذاب:
كم تبقى نبوته؟ فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء أن الكذاب المغترى^(٢)
لا يبقى إلا كذا وكذا سنة؛ مدته^(٣) قريبة إما ثلاثين سنة أو نحوها، فقال لهم:
هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة^(٤) - أو ستمائة سنة - وهو ظاهر
مقبول متبوع، فكيف يكون هذا كذاباً! ثم ضرب عنق ذلك الرجل:
وسألهم هرقل^(٥) عن محاربه ومسالمة؛ فأخبروه أنه في الحرب تارة يغلب
كما غلب يوم بدر، وتارة يغلب كما غلب يوم أحد؛ وأنه إذا عاهد لا يفدر؛
فقال لهم: وسألتم كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول^(٦)؛ يدال علينا
المرة وتدال عليه الأخرى. وكذلك الرسل تنبئ وتكون العاقبة لها؛ قال:
وسألتم هل يفدر؟ فقلتم^(٧): إنه لا يفدر. وكذلك الرسل لا تغدر.

فهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم؛ أنه تارة ينصرهم
وتارة يبنتليهم، وأنهم لا يفدرون - علم أن هذا من علامات الرسل. فإن سنة^(٨)
الله في الأنبياء والمؤمنين أنه يبنتليهم بالسراء والضراء^(٩)، لينالوا درجة الشكر

(١) في هامش (س) كتب: بعض حجج ملوك النصارى.

(٢) المغترى: ليست في (خ، س).

(٣) مدة: كذا في (ط)، وفي النسخ الأخرى: لمدة.

(٤) سنة: ليست في (خ، س).

(٥) هرقل: ساقطة من (خ، س).

(٦) قال الجوهري في الصحاح "مادة" دول: "الدولة في الحرب: أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول" كذا شكلت بكسر الدال وضمها، ونص صاحب "مختار الصحاح" على أنها بكسر الدال.

(٧) ط: وسألتك هل يفدر؟ فقلت.

(٨) ط: وأن.

(٩) في هامش (س) كتب: مطلب سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أنهم يبنتلون في السراء والضراء.

والصبر؛ كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذى نفسي بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراة شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) (١).

بيان القرآن لحكم
إدالة العدو على
المؤمنين فسي
معركة أحسد

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحسد من الحكمة؛ فقال: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحق الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (٢).

فمن الحكم تمييز المؤمن من غيره، فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر وليهم وعدوهم، (٦) إذ الجميع يظهر الموالاة، فإذا غلبوا ظهر عدوهم؛ (٧) قال تعالى: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنون. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون. الذين / قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) (٨).

ص ٨٥

(١) في صحيح مسلم ٢٢٩٥/٤ رقم ٢٩٩٩ كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير؛ عسبن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن... الخ) .

وهو في مسند أحمد (ط. الحلبي) ٢٣٢/٤، ٣٣٣، ٦، ١٥، ١٦ بلفظ (عجباً لأمر المؤمن) - ولفظ (عجباً من قضاء الله للمؤمن) - إن أمر المؤمن كله خير...) .
وفي المسند (ط. الحلبي) ١١٢/٣، ١٨٤، عن أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (عجباً للمؤمن إن الله لم يقض قضاء إلا كان خيراً له) .

(٢) قد : ساقطة من (س) .

(٣) سورة آل عمران : ١٣٩-١٤١ .

(٤) ط : الحكمة .

(٥) س ، ك : عن .

(٦) س : لم يظهر لهم عدوهم ، ك : لم يظهر لهم وليهم وعدوهم .

(٧) ط : فإذا ظهروا غلب عدوهم .

(٨) سورة آل عمران : ١٦٦-١٦٨ . في (ك) : لو أطاعونا ماتوا وماقتلوا .

وقال تعالى : (ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . الى قوله : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين . وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)^(١) . وقال تعالى : (ما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب)^(٢) . وأمثال ذلك .

ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء ، فان منزلة الشهادة منزلة عليّة فسي الجنة ، ولا بد من الموت ، فموت العبد شهيدا أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ، ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه ، والله لا يحب الظالمين .

ومن ذلك أن يحض الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب ، فانهم اذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطفياں وضعف الايمان ما يوجب لها العقوبة والهوان ؛ قال تعالى : (انما نطى لهم ليزدادوا اثما)^(٣) . وقال تعالى : (ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى)^(٤) .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع نفيئها الرياح تقومها تارة وتيلها أخرى ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لاتزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجفافها مرة واحدة)^(٥) .

(١) سورة الممتكوت : ١-٣ ، ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران : ١٧٨ .

(٤) سورة العلق : ٧ ، ٦ . في (ط) قدمت هاتان الآيتان قبل آية سورة آل عمران .

(٥) ك : تقييها .

(٦) ك : انجفافها .

(٧) ورد بهذا المعنى حديث أبي هريرة في صحيح البخارى (فتح البارى ١٠ / ١٠٣ رقم ٥٦٤٤) كتاب المرضى ، باب ماجاء في كفاية المرض ، وصحيح مسلم ٤ / ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٩ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مثل المؤمن كالزرع ، ومثل الكافر كشجر الأرز ؛ ومسند أحمد (ط. المعارف) ١٢ / ١٧٨ رقم ٧١٩٢ ، ١٤ / ٢٢١ رقم ٧٨٠١ .

وحد يث كعب بن مالك في صحيح البخارى رقم ٥٦٤٣ ، وصحيح مسلم رقم ٢٨١٠ ، ومسند أحمد

(ط. الحلبي) ٣ / ٥٤٥٤ ، ٦ / ٣٨٦ .

وحد يث جابر في المسند (ط. الحلبي) ٣ / ٣٤٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ - ٣٩٥ = /

وسئل صلى الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : (الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأئمة فالأئمة ؛ يبئلى الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه رقة يخفف عنه ، وان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، ولا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وأهله وماله ، حتى يلقي الله وليس عليه خطيئة^(١) .

وقد قال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب)^(٢) . وقال تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)^(٣) .

وفي الأثر فيما روى عن الله تعالى : (يا ابن آدم ! البلاء يجمع بيني وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك) . وفي الأثر أيضا أنهم اذا قالوا للمريض اللهم ارحمه . يقول الله : (كيف أرحمه من شيء به أرحمه !)^(٥) .

وقد شهدنا أن العسكر اذا انكسر خشع لله وذلل وتاب الى الله من الذنوب ، وطلب النصر من الله ، وبرى من حوله^(٦) وقوته متوكلا على الله ؛ ولهذا ذكرهم الله بحالهم يوم بدر ، وبحالهم يوم حنين ؛ فقال : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)^(٨) . وقال تعالى : / (لقد نصركم الله نفسى مواطن كثيرة ويوم حنين ان أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها . وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)^(٩) .

ص ٨٦

= / والأرز واحدته أرزة ، قيل هو شجر الصنوبر ، وقيل غير ذلك ، والمقصود أنه شجر صلب لا يحركه هبوب الرياح ، انظر : فتح الباري ١٠ / ١٠٢ ، شرح مسلم للنووي ١٢ / ١٥٢ - ١٥٣ ، الصحاح مادة " أرز " .

(١) عن سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يا رسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال : (الأنبياء ثم الصالحون ... الخ " بمعنى ما ذكر ابن تيمية .

أخرج الحديث الترمذي (تحفة الأخوان ٧ / ٧٨ - ٧٩) الزهد ، باب في الصبر على البلاء ، وقال عنه : " حديث حسن صحيح " ، وابن ماجه ٢ / ٣٣٤ ، رقم ٤٠٢٣ . كتاب الغتن ، باب الصبر على البلاء ، وأحمد (ط . المعارف) ٣ / ٤٥ - ٤٦ ، رقم ١٤٨١ ، وكرر بالرقام ١٤٩٤ ، ١٥٥٥ ، ١٦٠٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٤ . (٣) سورة آل عمران : ١٤٢ . (٤) ط : خ : بيروى . (٥) ط : من شيء أرحمه به ، ولم أقف على هذين الأثرين . (٦) ط : من الله بحوله . (٧) خ ، س : وحالهم . (٨) سورة آل عمران : ١٢٣ . (٩) سورة التوبة : ٢٥ ، ٢٦ .

(١) وشواهد هذا الأصل كثيرة ، وهو أمر يجده الناس بقلوبهم ، ويحسونه ويعرفونه من أنفسهم ومن غيرهم ، وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها ، والأخبار المتواترة لمن سمعها .

ثم ذكر حكمة أخرى فقال : (ويمحق الكافرين) . وذلك أن الله سبحانه إنما يعاقب الناس بأعمالهم ، والكافر إذا كانت له حسنات أطعمه الله بحسناته في الدنيا ، فإذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره ، والكفار إذا أدلوا يحصل لهم من الطفيلان والمدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحسق ، ففي ادالتهم ما يحقهم الله به .

وأما الفدر فان الرسل لا تفدر أصلا ، ان الفدر قرين الكذب ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان) .^(٢) وفي الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه قال :]^(٣) (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا أوتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) .^(٤)

(١) طء ك : ويخشونه .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، وهو في صحيح البخارى (فتح البارى ١/٨٩ رقم ٣٣) كتاب الايمان ، باب علامة المنافق ، وكرر بالأرقام ٢٦٨٢ ، ٢٧٤٩ ، ٦٠٩٥ ؛ وصحيح مسلم ١/٧٨-٧٩ رقم ٥٩ كتاب الايمان ، باب بيان خصال المنافق ؛ وسنن النسائي ١/٢٠٢ كتاب الايمان ، علامة المنافق ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحوذى ٧/٣٨٣-٣٨٤) الايمان ، باب في علامة المنافق ؛ ومسند أحمد (طء الحلبي) ٢/٣٥٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٦ .

(٣) أنه قال : ساقطة من (ك) .

(٤) في (طء) جاء هذا الحديث قبل الحديث الذى سبقه .

روى الحديث عبد الله بن عمرو ، وأخرجه البخارى (فتح البارى ١/٨٩ رقم ٣٤) كتاب الايمان ، باب علامة النفاق ، وكرر بالرقمين ٢٤٥٩ ، ٣١٧٨ ؛ ومسلم ١/٧٨ رقم ٥٨ كتاب الايمان ، باب بيان خصال المنافق ؛ وأبو داود (عون المعبود ١٢/٤٤٣) كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ؛ والنسائي ١/٢٠٢ كتاب الايمان ، علامة المنافق ؛ والترمذى (تحفة الأحوذى ٧/٣٨٥) الايمان ، باب في علامة المنافق ؛ وأحمد في المسند (طء المعارف) ١/٤٨ رقم ٦٧٦٨ ، ١١/٩٤-٩٥ رقم ٦٨٦٤ ، ١١/١٠٨-١٠٩ رقم ٦٨٧٩ .

وما ذكره ابن تيمية هو لفظ البخارى رقم ٣٤ ، الا أنه في الصحيح قدم قوله (إذا ائتمن خان) على قوله : (إذا حدث كذب) ، ولم ترد عبارة (وإذا ائتمن خان) في سائر هذه المواضع ، وورد بدلا عنها (وإذا وعد أخلف) .

قلت : الفدر ونحوه داخل في الكذب ؛ كما قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)^(١) . وقال تعالى : (ألم تر الى الذين ناققوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون . لكن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون)^(٢) . فالفدر يتضمن كذبا في المستقبل ، والرسل صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك ، فكان هذا من العلامات .

قال : وسألتكم عما يأمر به ، فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم . وهذه صفة نبي ، وقد كنت أعلم أن نبيا يبعث ، ولم أكن أظن أنه منكم^(٣) ، ولوددت أني أخلص اليه ، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت اليه ، وان يكن ما تقول^(٤) حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب ، وهو حينئذ كافر ، من أشد الناس بغضا وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو سفيان : / فقلت لأصحابي - ونحن خروج - : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، انه يخافه^(٥) ملك بني الأصفر . ومازلت موقنا بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام وأنا كاره^(٦) .

ص ٨٧

(١) خ ، س : فجر ، بل الفدر .

(٢) سورة التوبة : ٧٥ - ٧٧ .

(٣) سورة الحشر : (١١ ، ١٢) .

(٤) ك : قال : وسألتك بما يأمركم فذكرت .

(٥) خ ، س : أظنه منكم .

(٦) س ، ك : ما يقول .

(٧) ط : انه ليخافه ؛ خ ، س : انه ليعظمه .

(٨) أمام هذا الموضع كتب في هامش (خ) : بلغ مقابلة .

(١) قلت : فمثل هذا السؤال والبحث أفاد هذا العاقل^(٢) اللبيب علما
جازما بأن هذا هو النبي الذي ينتظره .
وقد اعترض على هذا بعض من لم يدرك غور كلامه وسوءه كالمازري ونحوه^(٤)
وقال : انه بمثل هذا لاتعلم النبوة ، وانما تعلم بالمعجزة .
وليس الأمر على ما قال ؛ بل كل عاقل سليم الفطرة اذا سمع هذا
السؤال والبحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته ، واستنباطه
ما يميز به^(٥) هل هو صادق أو كاذب ؟ ، وأنه بهذه الأمور تميز له ذلك .
وما ينبغي أن يعرف أن ما يحصل في القلب لمجموع أمور ، قد لا يستقل^(٧)
بعضها به ، بل كل ما يحصل للانسان من شبع ورى وسكر وفرح وغم بأمر مجتمعة
لا يحصل ببعضها ، لكن بعضها قد يحصل بعض الأمر^(٨) ، وكذلك العلم بمجرد^(٩)
الاخبار ، وما جربه^(١٠) من التجربات ، وما في نفس الانسان من الأمور ؛ فان الخبر^(١١)
الواحد يحصل في القلب نوع ظن ، ثم الآخر يقويه ، الى أن ينتهي الى العلم ، حتى
يتزايد ويقوى^(١٢) ؛ وكذلك ما يجربه الانسان من الأمور ، وما يراه من أحوال الشخص ،
وكذلك ما يستدل به على كذبه وصدقه .

(١) قلت : ساقطة من (خ ، س) .

(٢) س ، ك : أفاده .

(٣) ط : العاقل .

(٤) خ : كالمأزري . وأمام هذا الموضوع كتب في هامش (س) : مطلب اعتراض بعض العلماء على ما استدل
به هرقل .

والمأزري هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (نسبة الى مازر بليسة
بجزيرة صقلية) الفقيه المالكي ، المحدث ، أحد أئمة زمانه ، له تصانيف في عدد من الفنون ، توفي
سنة ٥٣٦ بالمهدية ، عن ٨٣ سنة .

انظر : وفيات الأعيان ٢٨٥ / ٤ ؛ الوافي بالوفيات ١٥١ / ٤ ؛ شذرات الذهب ١١٤ / ٤ ؛ الأعلام

٢٧٧ / ٦ .

(٥) خ ، س : ما يميز .

(٦) ط : يميزه ، خ ، س : يميز .

(٧) س ، ك : قد يستقل .

(٨) ط ، ك : العلم .

(٩) ط : بخبره ، خ : بمخبر .

(١٠) س : وما جرى به .

(١١) خ ، س : المخبر .

(١٢) ك : فيقوى .

وأيا فان الله سبحانه وتعالى أبقى^(١) في العالم الآثار الدالة على ما فعله
بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة ، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة ؛ وذلك أيضا
معلوم بالتواتر : كتواتر الطوفان ، واغراق فرعون وجنوده^(٢) .

من دلائل النبوة
٤- دلالة عاقبة
النبي ومتبعيه
ومكذبيهم

والله تعالى كثيرا ما يذكر ذلك في القرآن ؛ كقوله : (وان يكذبوك فقد
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . وقوم ابراهيم وقوم لوط . وأصحاب مدین وكذب
موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكتناها
وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها ويتر معظلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في
الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى
الابصار ولكن تعني القلوب التي في الصدور^(٣) . وقال تعالى : (وم أهلكنا
قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيى . ان نسي
ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد^(٤)) .

بيان القرآن
لذلك

وقال تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل
أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف
كان عقاب^(٥)) . الى قوله تعالى : (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم
الله / بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق . ذلك بأنهم كانت تأتيهم
رسلم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب^(٦)) . الى قوله
سبحانه : (انا للنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد^(٧)) .

ص ٨٨

(١) خ ، س : أتقن .

(٢) خ ، س : فرعون وغيره .

(٣) سورة الحج : ٤٢-٤٦ .

(٤) سورة ق : ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) سورة غافر : ٥ .

(٦) سورة غافر : ٢١ ، ٢٢ .

(٧) سورة غافر : ٥١ .

الى قوله تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون)^(١) . الى قوله تعالى : (أفلم يسيرا فسي الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرجوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن . فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم ايمانهم لاسما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)^(٢) .

ولما ذكر في سورة الشعراء قصص الأنبياء ، نبيا بعد نبي : كقصة موسى وابراهيم ونوح ومن بعده ، يقول في آخر كل قصة : (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم) : كقوله تعالى : (فلما تراءوا الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معي ربي سيهدين . فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأرسلنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم)^(٣) . وكذلك قال في آخر كل قصة ، الى أن قال في قصة شعيب : (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم . ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم)^(٤) .

وقال تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد . وشود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب . ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب)^(٥) .

(١) سورة غافر : ٢٨ .

(٢) سورة غافر : ٨٢ - ٨٥ .

(٣) سورة الشعراء : ٦١ - ٦٨ .

(٤) سورة الشعراء : ١٨٩ - ١٩١ .

(٥) سورة ص : ١٢ - ١٤ .

وقال تعالى في قوم شعيب : (فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين . وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم . ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال / نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) .^(١)

وقال تعالى : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) .^(٢)

ص ٨٩

فهو سبحانه يذكر ما ظهر للموحدين من مساكنهم التي كانت حول أهل مكة ؛ فان عامة من قص الله نبأه من الرسل وأمهم بعثوا حول مكة : كهود باليمن ، وصالح بالحجر من ناحية الشام ، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويونس ولوط وأنبيا بني اسرائيل بأرض الشام^(٥) ومصر والجزيرة وما يليها من العراق .

وقال تعالى لما قص قصة قوم لوط : (فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . ان في ذلك لآيات للمتوسمين . وانها لبسبيل مقم . ان في ذلك لآية للمؤمنين . وان كان أصحاب الأيكة لظالمين . فانتقمنا منهم وانهم لبامام مبين) .^(٦) وقال تعالى

-
- (١) سورة العنكبوت : ٣٧-٤٣ .
 - (٢) سورة الأحقاف : ٢٧ ، ٢٨ .
 - (٣) خ ، س : يذكر ما يبين .
 - (٤) ونوح : ساقطة من (س) .
 - (٥) ط : بالشام .
 - (٦) سورة الحجر : ٧٣-٧٩ .

(١) : (وان لوطا لمن المرسلين . ان نجيناها وأهله أجمعين . الا عجزوا فسي
الفابرين . ثم دمرنا الآخرين . وانكم لتعمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا
تعقلون) . (١) وقال تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) . (٢)
وقال تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم
في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم
كعصف مأكول) . (٤) وقال تعالى : (لايلاف قريش . ايلانهم رحلة الشتاء والصيف .
فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . (٥)
وقال تعالى : (قد كان لكم آية في فتنتين التقتا . فئة تقاتل في سبيل الله
وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى المين والله يوئيد بنصره من يشاء ان فسي
ذلك لعبرة لأولي الأبصار) . (٦) وقال تعالى : (هو الذي أخرج الذين كفروا من
أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم
حصونهم من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) . (٧)
وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير
للذين اتقوا أفلا تعقلون . حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . لقد كان في قصصهم
عبرة لأولي الأبواب ماكان حديثا يغفرى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . (٨)

(١) سورة الصافات : ١٣٣-١٣٨ .

(٢) سورة الذاريات : ٣٥-٣٧ .

(٣) طه : وقد قال .

(٤) سورة الفيل : ١-٥ .

(٥) سورة قريش : ١-٤ .

(٦) سورة آل عمران : ١٣ .

(٧) سورة الحشر : ٢ .

(٨) سورة يوسف : ١٠٩-١١١ .

ومثل هذا في القرآن متعدد / في غير موضع ، يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم ، وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن للعاقبة ، وقصص من كفر بهم وكذبهم ، وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة ؛ وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم ، وكذب من خالفهم وفجوره .

ثم إنه سبحانه بين ^(١) أن ذلك يعلم بالبصر ، أو السمع ، أو بهما ، فالبصر والمشاهدة لمن رآهم ، أو رأى آثارهم الدالة عليهم ؛ كمن شاهد أصحاب الفيل وما أحاط بهم ، ومن شاهد آثارهم بأرض الشام واليمن والحجاز ، وغير ذلك : كآثار أصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك ^(٢) .

تعلم أحوال
وعاقبة الأنبياء
ومخالفيهم
بالبصر والسمع
وبهـ

والسمع فبالأخبار التي تغيد العلم ؛ كتواتر الأخبار بما جرى من قصة موسى وفرعون وغرق فرعون في القلزم ^(٤) ، وكذلك تواتر الأخبار بقصة الخليل مع النمرود ، وتواتر الأخبار بقصة نوح واغراق أهل الأرض ، وأمثال ذلك من الأخبار المتواترة عند أهل الملل وغير أهل الملل ^(٥) ، مع أن في بعض قصص من تواترت به هذه الأخبار ما يحصل العلم بخبرهم ^(٦) .

واشتراك البصر والسمع ، كما يشاهد بعض الآثار وتواتر الأخبار ^(٧) ،

يبين الحال ، كما تشاهد السفن ويعلم بالخبر أن ابتداءها كان سفينة نوح ^(٨) ؛

(١) خ : يبين .

(٢) ط : وغير ذلك .

(٣) من : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : في .

(٤) في لسان العرب مادة " قلزم " : " القلزمة : ابتلاع الشيء . . . يقال : تقلزمه اذا ابتطعه والتهمه ، وبحر القلزم مشتق منه ، وبه سمي القلزم لالتهامه من ركيه ، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله " .

ويذكر ياقوت في معجم البلدان ٣٨٨/٤ والمقريزي في الخطط المقرئية ٢١٣/١ أن بلدة القلزم خربت ، وأن موضعها هو الذي يعرف اليوم بالسويس .

(٥) عبارة " وغير أهل الملل " : ساقطة من (ط) .

(٦) خ ، س : بخبره .

(٧) وتواتر الأخبار مما : كذا في (ط) ، وفي (ك) : من تواتر الأخبار وما ، وفي (خ ، س) : وتواتر الأخبار ما .

(٨) س ، ك : نشاهد .

كما قال تعالى : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله مايركبون) . وقوله تعالى : (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) . وكذلك يشاهد أرض الحجر وما فيها من البيوت المنقورة في الجبال ، ويعلم بالخبر تفصيل الحال ، وأمثال ذلك .^(١) وبالجملة فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول : بأنهم رسل الله . وأن أقواما اتبعوهم ، وأن أقواما خالفوهم ، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين ، وجملة العقاب لهم ، وعاقب أعداءهم - هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها . ونقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها ، وأخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية : كأبقراط^(٢) وجالينوس ، وبطليموس ، وسقراط^(٣) وأفلاطون^(٤) وأرسطو^(٥) وأتباعه . فكل عاقل

(١) سورة يس : ٤١ ، ٤٢ . في جميع النسخ : أولم يروا أنا حملنا . . . الخ .

(٢) ط : وقال .

(٣) سورة الحاقة : ١١ ، ١٢ .

(٤) وكذلك يشاهد . . . ويعلم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : وكذلك نشاهد . . . ونعلم .

(٥) ط : انه رسول الله ، خ ، س : بأنه رسول الله .

(٦) أبقراط ، أو بقراط ، رأس الأطباء اليونانيين في عصره ، ويعدونه السابع من الأطباء الثمانية الكبار ، عاش ٩٥ سنة وتوفي سنة ٣٥٧ ق م .

انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ١٦ - ٢٠ ؛ الملل والنحل للشهرستاني ٣ / ٢٤ - ٢٨ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٩٠ - ٩٥ ؛ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ٤٣ - ٥٧ .

(٧) جالينوس امام الأطباء اليونانيين في عصره ، وهو الثامن من أطباهم الثمانية الكبار ، ولد حوالي سنة ١٣٠ م وتوفي حوالي سنة ٢٠٠ م .

انظر : الفهرست للنديم ، ص ٣٤٧ ؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ٤١ - ٥٠ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ١٢٢ - ١٣٢ ؛ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ١٠٩ - ١٤٩ .

(٨) بطليموس ، أو بطليموس القلوزي ، الفلكي اليوناني الشهير ، وصاحب كتاب " المجسطي " في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك .

انظر : الفهرست ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ؛ طبقات الأطباء والحكماء ، ص ٣٥ - ٣٨ ؛ الملل والنحل ٣ / ٣٣ - ٣٤ ؛ تاريخ الحكماء ، ص ٩٥ - ٩٨ .

(٩) سقراط فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ١٦٤ ت ٢ .

(١٠) أفلاطون فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ١٦٤ ت ٣ .

(١١) أرسطو فيلسوف يوناني ، تقدمت ترجمته ، ص ٣٨ ت ٦ .

يعلم أن نقل أخبار الأنبياء وأممهم وأعدائهم أكثر وأكثر من نقل أخبار مثل هؤلاء ؛ فان أخبار الأنبياء وأتباعهم ينقلها من أهل الملل من لا يحصي عدده الا الله ، ويدونونها في الكتب ، وأهلها من أعظم الناس تدينا بوجوب الصدق وتحريم الكذب ، وفي العادة المشتركة بينهم وبين سائر بني آدم ما يمنع اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب ، بل ما يمنع اتفاقهم على كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ، وفي عاداتهم الخاصة ودينهم الخاص برهان آخر أخص من الأول وأكمل .

وهذا معلوم على سبيل التفصيل^(١) من حال أمتنا ؛ فانا نعلم علما ضروريا بالنقل المتواتر من عادة / سلف الأمة ودينهم الموجب للصدق والبيان ، المانع من الكذب والكتمان - ما يوجب علما ضروريا لنا بما تواتر لنا عنهم ، وبانتفاء أمور لو كانت موجودة لنقلوها . وأهل الكتابين قبلنا^(٢) عندهم من التواتر^(٣) بجمل الأمور^(٤) ما يحصل به المقصود في هذا الموضع .

وان كان قد يجي كذب أو كتمان في بعض التفاصيل من أهل الكتابين قبلنا ومن بعض أمتنا ؛ فهذا هو أقل بكثير مما يقع من الكذب والكتمان بأخبار الفرس واليونان والهند وغيرهم ، من ينقل أخبار ملوكهم وعلمائهم ونحو ذلك .

وما من عاقل يسمع الخبر عن هؤلاء وعن هؤلاء^(٥) ، كما هو موجود في هذا الزمان في الكتب والألسنة ؛ الا ويحصل له من العلوم الضرورية بأحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم ، أعظم مما يحصل من العلوم بأحوال ملوك

(١) ط : التفضيل .

(٢) ك : قلنا .

(٣) خ ، س : المتواتر .

(٤) في جميع النسخ : بحمل بالحاء ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٥) ط ، ك : قبلنا وفي .

(٦) ط : امتنا ، وهو .

(٧) ط : نقل .

(٨) ط : سمع .

(٩) ط : وهوؤلاء .

الفرس والروم وعلماهم وأولياهم وأعدائهم ، وهذا بين ولله الحمد .
ولولا أن هذا الجواب انما كان القصد به الكلام على هذه العقيدة
المختصرة لكان البسط لي في هذا الموضوع أولى من ذلك ؛ فان هذه المقامات
تحتل بسطا عظيما^(١) ، لكن نبهنا^(٢) على مقدمات نافعة ؛ فان أكثر أهل الكلام
مقصرون في حجج الاستدلال على تقرير ما يجب تقريره من التوحيد والنبوة^(٤)
تقصيرا كثيرا جدا ، كما أنهم كثيرا ما يخطئون فيما يذكرونه من المسائل^(٥) .
ومن لا يعرف الحقائق يظن أن ما ذكره هو الغاية في أصول الدين ،
والنهاية في دلائله ومسائله ؛ فيورثه ذلك مخالفة الكتاب والسنة ، بسط
وصريح^(٧) السقل في مواضع ؛ ويورثه استضعافا لكثير من أصولهم ، وشكنا فيما
ذكره من أصول الدين واسترابة ، بل قد يورثه ترجيحها لأقوال من يخالف
الرسول من متللفة وصاهيين وشركيين^(٨) ونحوهم ؛ حتى يبقى في الباطن منافقا
زنديقا ، وفي الظاهر متكلميا يذب عن النبوات .
ولهذا قال أحمد وغيره من قال^(٩) من السلف : علماء الكلام زنادقة ،
وما ارتدى أحد بالكلام الا كان في قلبه غل على أهل الاسلام .^(١٠) لانهم بنوا
أمرهم على أصول فاسدة أوقعتهم في الضلال . وليس هذا موضع بسط هذا ،
وقد بسطنا في غير هذا الموضوع .^(١٢)

- (١-١) ما بينهما ساقط من (ط) .
(٢) ط : وقد نبهنا .
(٣) ط : يذكر فيه .
(٤) ط : يذكر فيه .
(٥) ط ، خ : ولصريح .
(٦) س : في أصولهم .
(٧) ط ، خ ، س : متللفة وصاهيين وشركيين .
(٨) س : متللفة وصاهيين وشركيين .
(٩) ممن قال : ليست في (ط) .
(١٠) نقل السيوطي في صون المنطق والكلام ، ص ١٢٨ عن كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب ،
قول أحمد : علماء الكلام زنادقة ؛ ونقل (ص ١٥٠) عن كتاب " الانتصار لأهل الحديث "
لأبي المظفر السمعاني ، قول أحمد : أئمة الكلام زنادقة .
وفي كتاب " جامع بيان العلم وفضله " لابن عبد البر ١ / ٩٥ : " وقال أحمد بن حنبل رحمه الله
: انه لا يطلع صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظري في الكلام الا وفي قلبه دغل " .
(١١) ط : قلت ؛ وذلك أنهم .
(١٢) خ ، س : فقد ، ط : فانا .

ماتواتر من أحوال الأتبياء يدل على صدقهم من وجوه
والمقصود هنا أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدا متنوعة ، ونحن اليوم
إذا علمنا بالتواتر أحوال الأتبياء وأولياءهم وأعدائهم ؛ علمنا ، علما يقينا أنهم^(١)
كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة :

١- صدق أخبارهم عن عاقبتهم وعاقبة أعدائهم
منها أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم ، وخذلان أولئك ،
وبقاء العاقبة لهم ، أخبارا كثيرة في أمور كثيرة ، وهي كلها صادقة ، لم
يقع في شيء منها تخلف^(٢) ولا غلط ، بخلاف من يخبر به من ليس متبعا
لهم ممن تنزل عليه الشياطين ، أو يستدل على ذلك بالأحوال الفلكية
وغيره ، وهو لا بد أن يكونوا كثيرا ؛ بل الغالب من أخبارهم الكذب ، وان
صدقوا أحيانا^(٣) .

٢- نصر الله لهم واهلاك عدوهم
ومن ذلك أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم واهلاك عدوهم ؛ إذا عرف
الوجه الذي حصل عليه ؛ كحصول الفرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر
خلف موسى وقومه - كان هذا مما يورث علما ضروريا أن الله تعالى أحدث
هذا نصرا لموسى عليه السلام وقومه ، ونجاة لهم ؛ وعقوبة لفرعون وقومه ،
ونكالا لهم . وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام ، وكذلك قصة الغيل وغير
ذلك .

٣- احكام ما جاءوا به من الخبر والأمر
ومن الطرق أيضا أن^(٤) من تأمل ما جاءت به الرسل عليهم السلام فيما
أخبرت به وما أمرت به علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر الا عن أعلم الناس^(٥)
وأصدقهم وأبرهم ، وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب ؛^(٦)

(١) س : يقينا .
(٢-٣) ما بينهما (أخبارا كثيرة . . . وان صدقوا أحيانا) ساقط من (خ ، س) .
(٣) تخلف : كذا في (ك) ، وفي (ط) : تخلق .
(٤) ط : إذا حصل .
(٥) ان : ساقطة من (ط) .
(٦) ك : ما جاء .
(٧) خ ، س : من .
(٨) للكذب : ساقطة من (س) .

مفتر على الله يخبر عنه بالكذب الصريح ، أو مخطئ ، جاهل ضال يظن أن الله تعالى أرسله ولم يرسله .

وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروا به من الاحكام والاتقان، وكشف الحقائق، وهدى الخلائق، وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلا - ما يبين أنهم^(١) من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باينوا،^(٢) بها أعلم الخلق ممن سواهم^(٣)؛ فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال . وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة الخلق على ما يفهمهم ومنع ما يضرهم؛ ما يبين أن ذلك صدر عن راحم بار يقصد غاية الخير والمنفعة^(٤) للخلق .

وإذا كان ذلك يدل على كمال علمهم ، وكمال حسن قصدهم؛ فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذبا على الله؛ يدعى عليه هذه الدعوى العظيمة، التي لا يكون أفجر من صاحبها إذا كان كاذبا متعمدا، ولا أجهل منه ان كان مخطئا .

وهذه الطريق تسلك جملة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتفصيلا في حق واحد واحد بعينه^(٧)، فيستدل المستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه، ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلا . والعلم بجنس الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب، معلوم بالفطرة والعقل الصريح، بل جمل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم، ولذلك يسمى ذلك معروفا ومنكرا^(١٠)، فاذا علم أنه فيما علم الناس أنه حق وأنه خير؛

(١) ط: في .

(٢) خ، س: والخيرة .

(٣) خ، س: من .

(٤) بار: كذا في (ك)، وفي النسخ الأخرى: بره .

(٥) ط: أخص .

(٦) ط: ان .

(٧) ط: في حق واحد بعينه .

(٨) المستدل: ساقطة من (س) .

(٩) اتفق: كذا في (ك)، وفي النسخ الأخرى: اتفقت .

(١٠) ط: سمي معروفا .

هو أعلم منهم به ، وأنصح الخلق فيه ، وأصدقهم فيما يقول - علم بذلك أنه صادق عالم ناصح ، لا كاذب ولا جاهل ولا غاش .

وهذه الطريق يسلكها كل أحد بحسبه ، ولا يحتاج في هذه الطريق الى أن يعلم (١) أولاً خواص النبوة وحقيقتها وكيفيةها ، بل أن يعلم أنه صادق بار فيما يخبر به ويأمر به ، ثم من خبره يعلم حقيقة النبوة والرسالة .

/ وقد سلك آخرون من المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة وغيرهم طريقاً أخرى تشبه هذه من وجه دون وجه ؛ وهو أن يعلم النبوة أولاً ، وأنها موجودة في بني آدم ، وأنهم محتاجون اليها ، ويعلم صفاتها ، ثم يعلم عين النبي .

ثم المتكلمون من المعتزلة وغيرهم يوجبون النبوة على الله تعالى (٣) على طريقتهم (٤) في ايجاب ما يوجبونه عليه ، والمتفلسفة (٥) قد يوجبون ذلك على طريقتهم (٤) فيما يجب وجوده في العالم ، وغيرهم يوجب ذلك لما علم من عاداته في حكيمته ورحمته واعطائه الخلق ما يحتاجون اليه .

وبالجملة ، فيعملون نوعها في العالم ، ثم يعلمون الواحد من الجنس بثبوت حقيقة النوع فيه ، وهذه الطريقة (٧) يسلكها كثير من المتكلمة والمتصوفة (٨) والمتفلسفة والعمامة وغيرهم .

لكن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله أدركوا من النبوة بقدر ما أعطتهم موادهم الفلسفية ، التي علموا بها أن النبي يكون له كمال القوة العلمية ، وكمال قوة السمع والبصر ، وكمال قوة النفس ؛ بحيث يعلم ويسمع ويبصر ما يقصر غيره عنه ، ويفعل في العالم بهيمته ما يعجز غيره عنه .

ص ٩٣
مسالك الناس
في الاستدلال
على النبوة

مذهب ابن سينا
في حقيقة النبوة

- (١) ط : يتعلم .
- (٢) ط ، خ : المتكلمة .
- (٣) تعالى : ليست في (خ ، ط) ، وفي (س) : على الله جل وعز .
- (٤) خ : طريقهم . (في الموضوعين) .
- (٥) قد : ساقطة من (خ ، س) .
- (٦) ط : من النوع .
- (٧) الطريقة : كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : الطريق .
- (٨) خ ، س : المتكلمة المتصوفة .

وهو^(١) " يجعلون نفس النبوة ثلاثة أمور :

- أحدها - أن تكون له قوة عقلية ، بل نسبة^(٢) ينال بها العلم من غير تعلم .
والثاني - أن تكون له قوة خيالية ، يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة ،
خالية ، موثقة ، من أجناس منام النائم ، يرى في نفسه ضوءاً ؛ وذلك هو
الرسالة عندهم ، ويسمى [في نفسه صوتاً^(٣)] ؛ وذلك هو كلام الله عندهم .
الثالث - أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر في العالم^(٤) .
^(٥)

وهذه الأقوال الثلاثة تحصل لخلق كثير ، هم دون رتبة الصالحين ، فضلا عن
النبوة ، ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة ، فصار كثير منهم يطلب أن يصير
نبيا ، كما جرى للسهروردي المقتول ولابن سبعين ، ولهذا كان ابن
سبعين يقول : لقد زدت في حديث " قال (لاني بعدى) " - نبي عربي .^(٦)

- (١) من قوله : " وهو^(١) " يجعلون . . . " الى قوله في ص ٥٠٤ : " فهو^(١) " يقولون ان " ساقط من (خ ، س) .
(٢) بل نسبة : كذا في النسختين (ط ، ك) ، وأحسب أنها محرفة عن " قدسية " .
(٣) ما بين المعكوفين ليس في (ط ، ك) ، ولعل الصواب اثباته .
(٤) ك : توؤشو .

(٥) ورد هذا المعنى في عدد من كتب ابن سينا ، ففي كتاب النجاة تكلم عن النفس في فصول ، منها :
" فصل في طرق اكتساب النفس الناطقة للعلوم " قال فيه (ص ١٦٦ - ١٦٧) " واعلم أن التعلم -
سواء حصل من غير المتعلم ، أو حصل من نفس المتعلم - متفاوت ؛ فان من المتعلمين من يكون
أقرب الى التصور ، لأن استعداده الذي قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى ، فان كان ذلك
الانسان مستعدا للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي " حدسا " .
وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس ، حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كبير
شيء ، والى تخريج وتعليم ، بل يكون شديد الاستعداد لذلك ، كأن الاستعداد الثاني حاصل
له ، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه .

وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ، ويجب أن تسمى هذه الحال من الفعل الهيولاني
" عقلا قدسيا " ، وهو من جنس العقل بالملكة ، الا أنه رفيع جدا ، ليس مما يشترك فيه الناس كلهم .
ولا يبعد أن تفيض هذه الأفعال المنسوبة الى الروح القدسي لقوتها واستعلائها فيضانا على
" المتخيلة " أيضا ، فتحاكيها المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذي
سلفت الاشارة اليه " .

ثم قال : (ص ١٦٨) : " وهذا ضرب من النبوة ، بل أعلى قوى النبوة ، والأولى أن تسمى هذه القوة
" قوة قدسية " وهي أعلى مراتب القوى الانسانية " .

(٦) هذه العبارة وردت في عدد من الأحاديث :

ففي صحيح البخاري (فتح الباري ٤٩٥ / ٦ رقم ٣٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن
نبي اسرائيل ؛ وصحيح مسلم ١٤٧١ / ٣ رقم ١٨٤٢ كتاب الامارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة
الخلافة الأولى فالأول ؛ ومسنده أحمد (طه المعارف) ١٠٩ / ١٥ رقم ٧٩٤٧ ، عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، / =

وهو^١ . يجعلون النبوة ، انما هي من جنس واحد وقوة النفس ، نسي العلم والقدرة ، لكن يقول : بينهما من الفصل بارادة النبي الخبير، وارادة الساحر الشر ، ويقولون : الملك والشيطان قوى ، لكن قوة الملك قوة سالحة، وقوة الشيطان قوة فاسدة .

وأما من يقول : الملائكة والجن هم جنس واحد ، لا فرق بينهما في الصفات . فهو^(١) يقولون : ان هذا القدر^(٢) يحصل نوع منه لغيرهم من الأولياء ، لكن يحصل لهم ما هو دون ذلك . وهذا على طريقة عقلاء المتفلسفة الذين يفضلون النبي على الفيلسوف والولي ، كابن سينا وأمثاله .

= / وانه لا نبي بعدى (. . .) .

وفي صحيح البخارى (فتح البارى ١١٢/٨ رقم ٤٤١٦) كتاب المفازى ، باب غزوة تبوك ، وصحيح مسلم ١٨٧٠/٤ - ١٨٧١ رقم ٢٤٠٤ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي) .

وبمعنى حديث سعد ، روى الترمذى في سننه (تحفة الأحمدي ٢٣٥/١٠) المناقب ، مناقب علي ابن أبي طالب ، وأحمد في مسنده (ط . الحلبي) ٣٣٨/٣ حديثا عن جابر بن عبد الله . وبمعناه أيضا روى أحمد (ط . الحلبي) ٣٢٢/٣ حديثا عن أبي سعيد الخدرى ، وروى ٣٦٩/٦ ، ٤٣٨ حديثا عن أسماء بنت عميس .

وفي سنن أبي داود (عون المعبود ٣٢٢/١١ - ٣٢٤) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأحمدي ٤٦٦/٦) الفتن ، باب ماجاء ولا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون ؛ ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٢٧٨/٥ حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : (. . .) وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدى) .

وفي المسند (ط . المعارف) ١٠/١٤٢ - ١٤٣ رقم ٦٦٠٧ ، ١١/١٩٣ رقم ٦٩٨١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع ، فقال : (أنا محمد النبي الأمي - قاله ثلاث مرات - ولا نبي بعدى) .

وفي المسند (ط . الحلبي) ٣/٢٦٧ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبي) .

(١) ط : واحد نضر الصفات وهو^١ .

(٢) هنا ينتهي ماسقط من (خ ، س) الذى بدأ صفحة ٥٠٣ وجاء الكلام فيها كذا : وهذا

القدر . . . الخ .

(١) وأما غلاتهم ، كالفارابي وأمثاله الذين قد يفضلون الفيلسوف على النبي
- كما يفضل أشباههم ، كابن عربي الطائي صاحب " الفتوحات ، المكية " و " فصوص
الحكم " وغيرها ؛ فانهم يفضلون الولي على النبي ، / وكان يدعي أنه يأخذ^(*)
من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، الذي يوحى به الى النبي ؛ وأن الملك
على أصلهم هو الحال الذي في نفس النبي ، والنبي بزعمهم يأخذ عن ذلك
الحال ، والحال يأخذ عن العقل ، ثم زعم هذا أنه يأخذ عن العقل الذي
في هذا الخيال ، فلهذا قال : انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك
ما يوحى به الى النبي - فهو "أ" شاركوهم في أصل طريقهم .^{(٣)*}

ص ٩٤

- (١) في كتاب " آراء أهل المدينة الفاضلة " للفارابي ما يشير الى ذلك ، فهو يقول (ص ٦٨) : " والقوة
المتخيلة متوسطة بين الحاسة وبين الناطقة " .
ثم يقول (ص ٧٦) : " ولا يمتنع أن يكون الانسان اذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال ، فيقبل
في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة . . . فيكون له بما قبله من المعقولات
نبوة بالأشياء الالهية " .
ثم يقول (ص ٨٤) : " وانما يكون ذلك الانسان انسانا قد استكمل ، فصارعلا ومعقولا بالفعل ،
قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال على ذلك الوجه الذي قلنا . . . وأن يكون عقله
المنفعل قد استكمل بالمعقولات كلها حتى لا يكون ينفي عنه منها شي . . . " .
الى أن يقول (ص ٨٦) : " . . . فيكون الله عز وجل يوحى اليه بتوسط العقل الفعال ، فيكون
ما يفيض من الله تبارك وتعالى الى العقل الفعال ، يفيضه العقل الفعال الى عقله المنفعل ،
بتوسط العقل المستفاد ، ثم الى قوته المتخيلة ، فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيمًا
فيلسوفًا ومتفعلًا على التمام ، وما يفيض منه الى قوته المتخيلة نبيا . . . " .
(٢) فانهم : ساقطة من (خ) .
(*)- (مابينهم) (وكان يدعى . . . ما يوحى به الى النبي) ساقط من (خ ، س) .
(٣) في كتاب " الفتوحات المكية " ٢ / ٢٥٢ عنون ابن عربي " الباب الخامس والخمسون ومائة في معرفة
مقام النبوة وأسرارها " و صدر هذا الباب بهذا البيت من الشعر :
بين الولاية والرسالة برزخ . . . فيه النبوة حكمها لا يجهل
وقال (٢ / ٢٥٣) : " فالنبوة والرسالة من حيث عينها وحكمها مانسخت ، وانما انقطع الوحي
الخاص بالرسول والنبي من نزول الملك على أذنه وقلبه . . . " .
ويتحدث عن رؤيا رآها فيقول " ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقتا على عيني . . . ومع
غلقه ما ينحجب عني ما وراءه الا أنه لا قدم لأحد فيه الا الكشف " .
ثم قال : (وللأولياء في هذه النبوة مشرب عظيم كما ذكرنا . . . فهذا هو الفرقان بين النسبي
والولي في النبوة ، فيقال فيه : " نبي " ، ويقال في الولي : " وارث " .
والوراثة نعت الهي ، فانه قال عن نفسه انه (خير الوارثين) ، فالولي لا يأخذ النبوة من النبي الا بعد
أن يرثها الحق منهم ثم يلقيها الى الولي ، ليكون ذلك أتم في حقه ، حتى ينتسب في ذلك الى الله ،
لا الى غيره . . . فالأولياء هم أتباع الرسل يمثل هذا السند العالي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه " .

= /

لكن عظم ضلالهم وجهلهم بقدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،
مع أن أصل معرفة هؤلاء بقدر النبوة معرفة ناقصة بترأ^(١)، بل من عرف

=/ وقال في "الفتوحات" ١٨٣/٤ " . . . ويرجع الحكم الى الله الذي نخر اليه بلا واسطة، فالذي ينتج الفرار اليه لا يقدر قدره، فانه كشف محمدي، يربى على كشف الرسل من حيث هم رسل عليهم السلام، فيثبتهم هذا الفار في أماكنهم، ويجوز بكشفه فوق رتبة خطاب التكليف ."
وقال في فصوص الحكم ١/ ٦١-٦٤: " فأما المنح والهبات والعطايا الذاتية، فلا تكون أبدا الا عن تجل الهي، والتجلي من الذات لا يكون أبدا الا بصورة استعداد المتجلي له، وغير ذلك لا يكون، فاذن المتجلي له مارأى سوى صورته في مرآة الحق، وما رأى الحق، ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه مارأى صورته الا فيه . . . فهو مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسمائه، وظهور أحكامها، وليست سوى عينه، فاختلط الأمر وأنبهم . . . ، وهذا هو أعلى علم باللله، وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولي الخاتم، حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء، فان الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدا .

فالمرسلون من حيث كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه الا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء!

وان كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدر في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا اليه، فانه من وجه يكون أنزل، كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا اليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم، وفي تأبير الفخل .

فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة، وانما نظر الرجال الى التقدم في رتبة العلم بالله، هنالك مطلبهم، وأما حوادث الأركان فلا تعلق لخواطهم بها، فتحقق ما ذكرناه .

ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن، وقد كمل سوى موضع لبنه، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها الا كما قال: لبنه واحدة .
وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضه، فيرى اللبنتين، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين . . .

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول . . .

فخاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه، فانه الولي الرسول النبي، وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب .

(١) ط: بقدر الأصابع أن .

(٢) ط: تبرأ .

ما جاءت به الأنبياء ، وما يذكرونه في قدر النبوة ، علم أنهم آمنوا ببعض
 ما جاءت به الرسل^(١) وكفروا ببعض ، فكما أن اليهود والنصارى آمنوا ببعض
 الأنبياء وكفروا ببعض ، فهو لا آمنوا ببعض صفات النبوة وكفروا ببعض ؛
 ولهذا قد يكون فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى ، وقد يكون في اليهود
 والنصارى من هو أكفر منهم ، بحسب ما آمن به كل من هؤلاء^(٢) مما جاءت
 به الرسل ، وما كفروا به^(٣) .

كلام ابن تيمية
 عن الغزالي

وأبو حامد كثيرا ما يسلك هذه الطريق في كتبه ، لكنه لا يوافق
 المتفلسفة على كل ما يقولونه ، بل يكفركم ببعض ، ويضلهم في موضع ، وان كان
 في الكتب المضافة اليه ما قد يوافق بعض أصولهم ، بل في الكتب التي يقال :
 انها " مضمون بها على غير أهلها"^(٤) . ما هو فلسفة محضة ، مخالفة لدين
 المسلمين واليهود والنصارى ، وان كانت قد عبر عنها بعبارات اسلامية .
 لكن هذه الكتب ، في الناس من يقول : انها مكذوبة على أبي حامد ؛
 ومنهم من يقول : بل رجع عنها .

ولاريب أنه صرح في مواضع ببعض^(٥) ما قاله في هذه الكتب ، وأخبر نسي

(١) ط : الأنبياء .
 (٢) ما : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : بما .
 (٣) ط : وما .
 (٤) يشير ابن تيمية الى كتابين للغزالي ، هما " المضمون به على غير أهله " ، و " المضمون
 الصغير " ، وقد طبعا .
 (٥) ط ، خ : بنقيض .
 وفي هامش (ن) علق نعمان الأوسي بما يلي :
 " مطلب عبارات من الامام الغزالي اعلم أن شيخ الاسلام ابن تيمية ذكر عن بعض العبارات
 المقدوحة للامام الغزالي ، ثم أثنى عليه في كثير من تأليفاته . وقد تقدم في ذلك غير واحد ،
 وتأخر عنه أيضا غيره ، فمن ذلك الامام الشعراي فقد قال في كتابه " الأنوار القدسية"
 مانصه : " واعلم أنه لم يسلم أحد من التفكر في ذات الله تعالى مع النهي عن التفكر ، حتى
 الغزالي رحمه الله تعالى ، وخطأه العارفون في جميع ما قاله ، وهو مستول عن ذلك ؛ لأنه
 رجح عقله عن ايمانه ، وحكم نظره في علم ربه ، وكذا في قوله : ان الله تعالى يعرف من
 غير نظر نسي العالم " انتهى ، وجل الذي لا يفغل الحكيم العليم ، فليحفظ .
 الفقير نعمان " .

" المنقذ من الضلال " وغيره من كتبه؛ بما في ذلك من الضلال، وذكر كيف كان طلبه للعلوم أولاً^(١)؛ حتى قال^(٢) : " أقبلت بجد بليغ، أتأمل في المحسوسات والضروريات، وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها، فانتهي بي طول التشكك^(٤) الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ". وأخذ يتبع الشك فيها^(٥)، وذكر بعض شبه السوفسطائية في الحسيات^(٦) الى أن قال^(٧) : " فلما خطرت لي هذه الخواطر، وانقدحت في النفس، حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر، ان لم يمكن دفعه الا بدليل، ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية . واداً^(٨) لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل، فأعزل هذا الداء^(٩)، وزام قريبا من شهرين، أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال، لايحكم المنطق والمقال . حتى شفى الله

-
- (١) في كتاب " المنقذ من الضلال " (تحقيق الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد . ط . دار الأندلس، ١٩٨٠ م) بعد مقدمة المحققين يبدأ الفزالي الكتاب ، ص ٧٧ بقوله - بعد الحمد لله والصلاة على رسوله - : " أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أثبت اليك غايصة العلوم وأسرارها، وغائصة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق . . . الخ . وسأقبل - ان شاء الله - ما يورده شيخ الاسلام من نصوص الكتاب على هذه الطبعة . وقد لاحظت أن مخطوطة (س) قوبلت على نسخة من " المنقذ من الضلال " وعدلت تبعاً لها " أو ذكر ما في هذه النسخة في الهامش على أنها نسخة أخرى .
- (٢) المنقذ من الضلال، ص ٨٤ . وفي هامش (س) : مطلب كلام أبي حامد في كتاب " المنقذ " .
- (٣) المنقذ . . . فأقبلت .
- (٤) جميع النسخ : التسلسل، والمثبت من (المنقذ) .
- (٥) المنقذ : وأخذت تتسع للشك فيها . وذكر المحققان أن في بعض النسخ : وأخذ يتسع هذا الشك فيها .
- (٦) في " المنقذ " ، ص ٨٤ - ٨٦ .
- (٧) المنقذ، ص ٨٦ .
- (٨) جميع النسخ : خطر . والمثبت من (المنقذ) .
- (٩) المنقذ : يكن .
- (١٠) المنقذ : فاذا .
- (١١) ط : الرأي ، خ ، س : الدوا .
- (١٢) المنقذ : النطق .

تعالى عني ذلك المرض والاعلال^(١)، وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت
الضروريات / العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ذلك، ينظم دليلـ
وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر^(٢) ، وذلك النور هو محتساح
أكثر المعارف". قال^(٣) : " فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة
فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة".

الى أن قال^(٤) : " والمقصود من هذه الحكاية^(٥) أن يعلم كمال الجد نفسي
الطلب ، حتى انتهى الى طلب مالا يطلب ، لأن الأوليات ليست مطلوبة؛
فانها حاضرة ، والحاضر اذا طلب بعد واختفى^(٦) ."

قال^(٩) : " ولما كفاني الله تعالى هذا المرض^(١٠) انحصرت أصناف الطالبين^(١١)
عندى في أربع فرق : المتكلمون ، وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظـر؛
والباطنية ، وهم يدعون أنهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاعتباس من
الامام المعصوم ؛ والفلاسفة ، وهم يزعمون أنهم أصحاب المنطق والبرهـان؛
والمصوفية ، وهم يدعون أنهم خاصة^(١٢) الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة .
والصوفية ، وهم يدعون أنهم خاصة^(١٣) الحضرة ، وأهل المشاهدة والمكاشفة .

انحصار الفرق
الطالبة للحق
عند الفيزالي :
في أربع

- (١) المنقذ : . . . تعالى من ذلك المرض. وذكر المحققان أن في بعض النسخ : عن ذلك المرض والاعتدال .
- (٢) ك : الصدور .
- (٣) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٨٦ - ٨٧ .
- (٤) المنقذ ، ص ٨٨ .
- (٥) المنقذ : الحكايات .
- (٦) المنقذ : أن يعمل .
- (٧) المنقذ : فان .
- (٨) المنقذ : فقد . أمام هذا الموضع في هامش (س) : بلغ .
- (٩) المنقذ ، ص ٨٩ .
- (١٠) في (س) وضع على كلمة " كفاني " سهم وكتب في الهامش : نسخة ، شفاني . وفي المنقذ : ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضلـه وسعة جوده ، وذكر المحققان أن في نسخة : ولما كفاني الله موثونة هذا المرض .
- (١١) في هامش (س) : مطلب مقاله في أصناف الطالبين .
- (١٢) المنقذ : أنهم أهل .
- (١٣) المنقذ : خواص .

فقلت في نفسي : الحق لا يمدو هذه الأصناف الأربعة ، فهؤلاء^(١) هم
السالكون سبيل طلب الحق ، فان شد الحق عنهم فلا يبتسئ في درك الحق
مطمع .

كلام الفزالي عن هذه الفرق
الى أن قال :^(٢) " فابتدأت^(٣) لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ما عندهم
هو هؤلاء الفرق ، مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثنا بتعليمات
الباطنية ، وربما بطريق الصوفية " .

١- المتكلمون
قال :^(٤) " ثم اني ابتدأت بعلم الكلام ، فحصلته وعقلته ، وطالعت كتب
المحققين منهم ، وصنفت فيه ما أرت أن أصنف ، فصادفته علما وافيا بمقصود
، غير واف بمقصودي . وانما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة ، وحراستها
عن تشويش المبتدعة ؛ فقد ألقى الله تعالى الى عبادہ ، على لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم ، عقيدة هي الحق ، على ما فيه صلاح دينهم وديانهم ، كما
نطق بمقدماته القرآن والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا
مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق على أهلها ؛
فأنشأ الله تعالى طائفة من المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة ، بكلام
مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثه ، على خلاف السنة المشهورة .
الى أن قال :^(٥) " وكان أكثر حرصهم في استخراج مناقضات الخصوم ، ومواءمتهم
بلوازيمهم وسلماتهم " .^(٦)

(١) هم : ساقطة من (س ، ك) ، وفي (ط) : الأربعة فهم .

(٢) المنقذ ، ص ٩٠ .

(٣) فابتدأت : كذا في (ط ، ك) ونسخة من المنقذ ؛ وفي (خ ، س) ونسخة أخرى من المنقذ
فانتدبت ، وفي أصل المنقذ : فابتدرت .

(٤) بعد الكلام السابق مباشرة ، ص ٩١-٩٢ .

(٥) ط : البدعة ، المنقذ : أهل البدعة . وفي هامش (س) : مطلب ما قاله في بيان مقصود علم الكلام

وحاصله .

(٦) صلى الله عليه وسلم : ليست في " التنقذ " .

(٧) أهل : ليست في (س ، المنقذ) .

(٨) من : ليست في (المنقذ) .

(٩) بعد الكلام السابق بخمسة سطور ، المنقذ ، ص ٩٢ .

(١٠) المنقذ : خوضهم . وفي هامش (س) : نسخة ، خوضهم .

(١١) المنقذ : بلوازيمهم وسلماتهم .

الى أن قال: ^(١) " فلم يكن الكلام في حقيقي كافيًا ، ولا لدائي ^(٢) الذي أشكوه شافيا " . الى أن قال ^(٣) : " فلم يحصل منه ما يحوو بالكيفية ظلمات الحيرة فسي اختلافات الخلق ، ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيري ، بل لا أشك ^(٤) فسي حصول ذلك لطائفة ، ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات " .

٢- الفلاسفة الى أن قال: ^(٥) ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام ، بعلم الفلسفة ، وعلمت يقينا أنه لا يقف على نساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم في أصل العلم ^(٦) ، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة " .

الى أن قال: ^(٧) " لم أزل حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتبليس ، وتحقيق وتخيل اطلاعا لم أشك فيه . فاسمع الآن حكايتهم وحكاية حاصل علومهم ، فاني رأيتهم أصنافا ، ورأيت علومهم أقساما ، وهم على كثرة أصنافهم تلزمهم ^(٨) وصمة الكثر والالحاد ، وان كان بين القدماء منهم والأقدمين ، وبين الأواخر منهم والأوائل ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه " .

ثم قال: ^(٩) " اعلم أنهم على كثرة فرقهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام: الدهريون ، والطبايعيون ، والالهيون ^(١٠) .

- (١) المنقذ ، ص ٩٢ . بعد الكلام السابق بسطر واحد ، هو قول الفزالي: " وهذا قليل النفع في حقيق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا أصلا " .
- (٢) المنقذ ، الذي كنت .
- (٣) المنقذ ، ص ٩٣ . بعد الكلام السابق بأربعة سطور .
- (٤) المنقذ ، بل لست أشك .
- (٥) المنقذ ، ص ٩٤ . بعد الكلام السابق بسطرين ونصف . وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب ماقاله أبو حامد في أحاصيل الفلسفة .
- (٦) المنقذ : في أصل ذلك .
- (٧) المنقذ ، ص ٩٥ .
- (٨) س ، المنقذ : . ثم لم أزل أواظب على التفكير [كذا في (س) ، وفي المنقذ : التفكير] فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، أعادته وأردده ، واتخذت غوائله وأغواره حتى اطلعت .
- (٩) ط ، ك : فاستمع .
- (١٠) جميع النسخ : حكايته . والمثبت من (المنقذ) . (١١) خ ، س ، المنقذ : يلزمهم .
- (١٢) المنقذ ، ص ٩٦ . بعد الكلام السابق مباشرة .
- (١٣) س ، المنقذ : كثرة فرقهم [كذا في (س) ، وفي (المنقذ) : فرقهم] واختلاف مذاهبهم .
- (١٤) المنقذ : والطبايعيون .

الصف الأول - الدهريون ، وهم طائفة من الأقدمين ، جحدوا الصانع المدير ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك^(١) ، ولم يزل الحيوان من نطفة ، والنطفة من حيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا ، وهو "هؤلاء"^(٢) [هم] الزنادقة .

الصف الثاني - الطبيعيون ، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة ، وعن عجائب الحيوان والنبات .

الى أن قال : " الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ، ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام^(٣) قوى الحيوان ، به فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتعتمد^(٤) ، ثم اذا انعدمت فلا تعقل^(٥) اعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تمود ، فجدوا الآخرة ، وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فانحل عنهم اللجام^(٦) ، وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام .

وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر ، وهو هؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وان آمنوا بالله وصفاته .^(٧)

الصف الثالث - الالهيون ، وهم المتأخرون^(٨) مثل سقراط ، وهو أستاذ أفلاطون ، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس ، وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم

(١) س ، المنقذ ، كذلك بنفسه بلا صانع .

(٢) هم : ساقطة من (ك) .

(٣) المنقذ : والصف .

(٤) ط ، ك : أكثر .

(٥) المنقذ ، ص ٩٧ - ٩٩ : بعد الكلام السابق بستة سطور .

(٦) قوام : ساقطة من (ط) .

(٧) ط : القوة الكاملة .

(٨) ط : فيعدم ، س : وبعض نسخ المنقذ - كما ذكر المحققان في هامشته - : فينعدم .

(٩) ط ، خ ، س : انعدم . (١٠) ط ، س : المنقذ : فلا يعقل .

(١١) خ ، س : وللمعصية عقاب ، فانحل عندهم .

(١٢) س ، ك : بالله تعالى .

(١٣) خ ، س ، ك : والصف .

(١٤) س ، المنقذ : المتأخرون منهم .

المنطق، وهذب لهم العلوم، وخر لهم مالم يكن مخمرا من قبل، وأوضح لهم ما كان أحجى من علومهم^(١).

وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم، وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم. ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من / الالهيين ردالم يسر يقصر فيه، حتى تبرأ عن جميعهم، إلا أنه استبقى أيضا من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها.

فوجب تكفيرهم، وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي وأمثالهما^(٢). على أنه لم يتم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين، وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم، ومالا يفهم كيف يرد أو يقبل! ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر في [ثلاثة]^(٣) أقسام: قسم يجب التكفير به، وقسم يجب التبديع به، وقسم لا يجب انكاره أصلا، فلنفضله.

ثم ذكر أنها ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، والهيئية، وسياسية، وخلقية. وتكلم على ذلك بما ليس هذا موضعه، وقد بينا الكلام على ذلك في غير هذا الموضوع.

الى أن قال^(٤): "ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهمه^(٥)،

-
- (١) في هامش (س) كتب: في نسخة المنقذ المطبوعة ما كان فجا. وفي (المنقذ): . . . من قبل: وانضح لهم ما كان فجا.
- (٢) المنقذ: قبلهم.
- (٣) المنقذ: وغيرهما. وفي بعض النسخ - كما ذكر المحققان - : وأمثالهم.
- (٤) ك: ومن لا يفهم.
- (٥) ثلاثة: زيادة من (المنقذ).
- (٦) المنقذ: التفكير به.
- (٧) في المنقذ، ص ١٠٠ - ١١٦. وأمام هذا الموضوع في هامش (س): مطلب ما قاله في أقسام علومهم.
- (٨) المنقذ، ص ١١٧ - ١١٨.
- (٩) جميع النسخ: وتفهمه. والمثبت من (المنقذ).

وتزييف ما تزيف منه علمت أن ذلك أيضا غير واف بكمال الفرض ، وأن العقل^(٢) ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات.

٣ - الباطنية ثم ذكر مذهب الباطنية ، وتبسيهم^(٣) ، " وأنه ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء^(٤) ، بل هم مع عجزهم عن اقامة البرهان على تعيين^(٦) الامام المعصوم^(٧) [طالما جربناهم^(٨)] فصدقناهم في الحاجة الى التعليم ، والى المعلم المعصوم ، وأنه هو الذي عينوه ، ثم سألتناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم ، وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها ، فضلا عن القيام بحلها . فلما عجزوا أحالوا على الامام الفائب ، وقالوا : لا بد من السفر اليه . والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم والتبجح بالظفر بس^(١١) ، ولم يتعلموا منه شيئا أصلا ، كالمتمضخ^(١٣) بالنجاسة يتعب في طلب الماء ، حتى اذا وجده لم يستعمله ، وبقي مضمخا بالخبائث^(١٥) . ومنهم من ادعى شيئا من علمهم ، وكان حاصل ما ذكره [شيئا^(١٧)] من^(١٨)

- (١) المنقذ : ما يزيّف .
- (٢) خ ، ك : فان .
- (٣) في المنقذ ، ص ١١٨ - ١٢٧ . والنص التالي في المنقذ ، ص ١٢٧ - ١٢٩ هكذا : بل المقصود أن هؤلاء ليس معهم . . الخ . وأمام هذا الموضوع في هامش (س) : مطلب مقاله في مذهب التعلم وغائلته .
- (٤) ط : الأوائل .
- (٥) ط ، ك : ثم ، بدلا من بل .
- (٦) ط ، س ، ك : عن .
- (٧) المعصوم : ليست في (خ ، س) (المنقذ) .
- (٨) ما بين المعكوفين زيادة من (المنقذ) . وفي هامش (س) : طالما جربناهم . وهذا يوافق بعض نسخ (المنقذ) كما ذكر المحققان في هامشه .
- (٩) ك : صدقناهم .
- (١٠) هو : ليست في (المنقذ) .
- (١١) ك : والنجاح ، المنقذ : وفي التبجح .
- (١٢) خ ، س ، ك : في الظفر به .
- (١٣) ط ، خ : كالمتمضخ . وهي توافق نسخة من (المنقذ) كما في هامشه . جاء في لسان العرب مادة " مضخ " : " التضمخ : التطبخ بالطيب وغيره ، والاكثر منه " .
- (١٤) المنقذ : متضمخا .
- (١٥) ط : بالنجاسة ، ك : فاذا وجد ما يستعمله بقي مضمخا بالنجاسة .
- (١٦) المنقذ : فكان .
- (١٧) شيئا : ساقطة من (ك) .
- (١٨) من : ساقطة من (المنقذ) .

ركيك فلسفة فيثاغورس؛ وهو رجل من قدماء الأوائل، ومذهبه أرك^(١) مذاهـب
الفلاسفة، وقد رد عليه أرسطاطاليس، بل استرك^(٢) كلامه واستغزله، وهـو
المحكي في كتاب "رسائل اخوان الصفا"، وهو على التحقيق حشو الفلسفة .
فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم، ثم يتبع لمثل ذلك^(٤)
العلم الركيك المستغث، ويظن أنه^(٥) ظفر بأقصى مقاصد العلوم، فهو لاء أيضا
جربناهم^(٦) وسبرنا باطنهم وظاهرهم^(٧)، فرجع حاصلهم الى استدراج العـوام
وضغفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم، ومجادلتهم في انكارهم الحاجة
الى التعليم، بكلام قوى مفحم، حتى اذا ساعدهم على الحاجة / الى المعلم
مساعد، وقال: هات علمه، وأفدنا من تعليمه ! . وقف وقال: الآن، اذا سلمت
لي هذا فاطلبه، فانما غرضي هذا القدر فقط. ان علم أنه لو زاد على
ذلك لا فتضح، ولعجز عن حل أدنى المشكلات، بل عجز عن فهمه، فضلا عن
جوابه .

ص ٩٨

٤- الصوفية قال: " ثم اني لما فرغت من هذه^(١٠) [العلوم]^(١١) أقبلت بهمتي على طريق
الصوفية وعلمت أن طريقهم انما يتم^(١٢) بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم قطع^(١٣)

- (١) ط، خ، ك : أول .
- (٢) ك : استدرك . واسترك : استضعف، راجع لسان العرب مادة " ركك " .
- (٣) رسائل : ليست في (ط، المنقذ) .
- (٤) ط: العلم يتبع لذلك، س، المنقذ : العلم ثم يقنع بمثل ذلك .
- (٥) المنقذ : بأنه .
- (٦) ط: وهو لاء أيضا خبرناهم .
- (٧) المنقذ : طاهرهم وباطنهم .
- (٨) وقال : كذا في (خ، س)، وفي (ط، ك) : فقال : وفي (المنقذ) : وقف، قال .
- (٩) في المنقذ، ص ١٣٠ - ١٣٤ . وترك ابن تيمية بينه وبين النص السابق ما يلي " فهذه حقيقة
حاليهم، فأخبرهم تقلهم، فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضا " .
- (١٠) ط: هذا .
- (١١) العلوم : زيادة من (المنقذ) . وهي في (س) بالهامش .
- (١٢) المنقذ : طريقتهم انما تتم .
- (١٣) ط: علمهم، وهي توافق نسخة من (المنقذ) كما ذكر المحققان في هامشه .

عقبات النفس ، والتزهر عن أخلاقها المذمومة وصافتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى ، وتحليته بذكر الله ..

وكان العلم أيسر علي من العمل ؛ فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل : " قوت القلوب " لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمتفرقات المنثورة عن الجنيد ، والشبلي ، وأبي يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، وغير ذلك من كلام المشايخ ، حتى اطلعت على كثير من مقاصدهم العلمية ، وحصلت مايمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، وظهر لسي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم ، بسبل بالسنن

(١) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) ، نشأ بمكة وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦ هـ ، صوفي ، من أشهر رجال السالمية .
طبع كتاب " قوت القلوب " بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠ هـ .
انظر ما ذكرته ، ص ٢٤ ت ٣ ، وانظر :

تاريخ بغداد ٨٩/٣ ؛ تلبس ايليس ، ص ١٦٤-١٦٥ ، ٢١٠ ؛ وفيات الأعيان ٣٠٣/٤ - ٣٠٤ ؛ ميزان الاعتدال ٦٥٥/٣ ؛ لسان الميزان ٣٠٠/٥ ؛ الأعلام ٢٧٤/٦ ؛ تاريخ التراث العربي (المجلد الأول) ١٦٨/٤ - ١٧٠ .

(٢) أبو بكر الشبلي ، اختلف في اسمه ، فقيل : دلف بن جعفر ، وقيل : دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس ، وقيل غير ذلك ، أصله من قرية " شبله " بخراسان ، وولد بسامرا سنة ٢٤٧ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

كان في أول أمره واليا في بعض نواحي الري ، ثم ترك الولاية وانضم الى الصوفية حتى صار مشايخهم .

انظر : حلية الأولياء ٣٦٦/١٠ ؛ تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤ - ٣٩٧ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٥٦ - ٤٦١ ؛ وفيات الأعيان ٢٧٣/٢ - ٢٧٦ ؛ البداية والنهاية ٢١٥/١١ - ٢١٦ ؛ شذرات الذهب ٣٣٨/٢ ؛ الأعلام ٣٤١/٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١٥٥/٤/١ .

(٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، أصله من " بسطام " بلدة بين خراسان والعراق ، وتوفي فيها سنة ٢٦١ هـ ، كان جده مجوسيا فأسلم ، وأبو يزيد أحد مشايخ الصوفية ، حكى عنه شطحات بدع بها .

انظر : طبقات الصوفية ، ص ٦٧ - ٧٤ ؛ حلية الأولياء ٣٣/١٠ - ٤٢ ؛ وفيات الأعيان ٥٣١/٢ ؛ ميزان الاعتدال ٣٤٦/٢ - ٣٤٧ ؛ البداية والنهاية ٣٥/١١ ؛ شذرات الذهب ١٤٣/٢ - ١٤٤ ؛ الأعلام ٢٣٥/٣ ؛ تاريخ التراث العربي ١٢٥/٤/١ - ١٢٧ .

(٤) ط : وغير ذلك من المشايخ ، المنقذ : وغيرهم من المشايخ .

(٥) س ، المنقذ : على كنه مقاصدهم .

(٦) المنقذ : فظهر .

(٧) في الرسالة القشيرية ٢٧١/١ " ومن جملة مايجرى في كلامهم [أي كلام الصوفية] الذوق ، والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوفات ، وبوابة الواردات ، وأول ذلك الذوق ، ثم الشرب ، ثم الري .
فضفاً معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني ، ووفاء منازلهم يوجب لهم الشرب ، ودوام مواسلاتهم يقتضي لهم الري "

(١) والحال وتبدل الصفات .

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشيع وأسبابهم
وشروطهما وبين أن يكون صحيحا شعبان^(٢) ؛ وبين أن يعرف حد السكر ؛ وأنه
عبارة عن حالة تحصل من استيلاء^(٤) أبخرة تتصاعد من المعدة الى معسدان
الفكر، وبين أن يكون سكران^(٥) ؛ بل السكران لا يعرف حد السكر وأركانه^(٦) ، وهو
سكران وماعه من علمه شيء ؛ والطبيب يعرف حد السكر وأركانه وماعه من
السكر شيء ، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة [وأسبابها^(٨)] وأدويتها
وهو ناقد الصحة^(٩) .

فكذلك الفرق بين أن يعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها، وبين
أن يكون حاله الزهد وعزوف^(١٤) النفس عن الدنيا .

فعلت يقينا أنهم أرباب أحوال ، لا أصحاب أقوال^(١٥) ، وأن ما يمكن تحصيله
بطريق العلم قد حصلته ، ولم يبق الا مالا سبيل اليه بالتعلم والسماع^(١٧) ، بل

-
- (١) في الرسالة القشيرية (١/ ٢٣٦) : " والحال عند القوم ، معنى يرد على القلب ، من غير تعمد منهم ،
ولا اجتلاب ، ولا اكتساب لهم ، من طرب أو حزن ، أو بسط أو قبض ، أو شوق ، أو انزعاج ،
أو هيبة ، أو احتياج .
- (٢) س : وشعبان ؛ المنقذ : بين أن تعلم . . . وبين أن تكون صحيحا وشعبان .
- (٣) ك : تحصل عن .
- (٤) ط : استعلاء .
- (٥) المنقذ : وبين أن تعرف حد السكر . . . وبين أن تكون .
- (٦) وأركانه : كذا في (ك) ؛ وفي (النسخ الأخرى ، المنقذ) : حد السكر وعلمه .
- (٧) المنقذ : والصاحي .
- (٨) وأسبابها : زيادة من (المنقذ) ، وهي في (س) بالهامش .
- (٩) ط ، خ ، هـ : للصحة .
- (١٠) المنقذ : فرق .
- (١١) ك : من . (في الموضوعين) .
- (١٢) المنقذ : أن تعرف . . . وبين أن تكون .
- (١٣) ك : حالة ؛ (النسخ الأخرى ، المنقذ) : حالك .
- (١٤) ك : عزوف [يسقط الواو] .
- (١٥) المنقذ : أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال .
- (١٦) س ، المنقذ : فقد .
- (١٧) المنقذ : بالسماع والتعلم .

بالذوق والسلوك^(١)، وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها، والمسالك التي سلكتها في تفتيشي^(٢) عن صنف العلوم الشرعية والعقلية - ايمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر.

وهذه الأصول الثلاثة^(٣) كانت^(٤) رسخت في نفسي بلا دليل^(٥)؛ بل بأسباب وقراءن وتجارب، لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها، وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة الا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، والتجاني عن دار الفرور، والاناية الى دار الخلود، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يستم الا بالاعراض عن الجاه والمال^(٦).

ص ٩٩ / وذكر حاله في خروجه عن ذلك، ومجيئه الى الشام، ثم الحجاز^(٧)؛ الى أن قال^(٨) : " وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور، لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة^(٩)، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقتهم^(١٠) أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشريعة^(١١) من العلماء - ليفيروا شيئاً من

-
- (١) ط: بل بالدين والسلوك.
 - (٢) ط، س، المنقذ: التفتيش.
 - (٣) س، المنقذ: فهذه الأصول الثلاثة من الايمان.
 - (٤) المنقذ: كانت قد.
 - (٥) ط: مجرد، س: بلا دليل معين مجرد؛ المنقذ: لا بدليل معين محرر.
 - (٦) في هامش (س) أضيف من (المنقذ) مايلي والهرب عن [المنقذ: من] الشواغل والعلائق ثم لاحظت أحوالي فاذا [المنقذ: فاذا أنا] منغمس في العلائق.
 - (٧) في المنقذ، ص ١٣٤-١٣٩.
 - (٨) المنقذ، ص ١٣٩.
 - (٩) المنقذ: وانكشفت.
 - (١٠) ط: الخاصة، خ، ك: لطرق الله تعالى الخاصة.
 - (١١) ط، المنقذ: وطريقهم.
 - (١٢) المنقذ: الشرع.

(١) سيرتهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلاً؛
فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في باطنهم وظاهرهم مقتبسة من نور مشكاة^(٣)
النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .^(٤)
الى أن قال :^(٥) " وما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم ، حقيقة
النبوة وخاصيتها " .^(٦)

كلام الغزالي في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها ؛ فقال :^(٧) " اعلم
حقيقة النبوة والاستدلال عليها أن جوهر الانسان من أول الفطرة خلق خاليا ساذجا ، لاخير معه من^(٩)
عوامل الله تعالى ، والعوامل كثيرة ، لا يحصيها الا الله ؛ كما قال سبحانه :^(١٠)
(وما يعلم جنود ربك الا هو) .^(١١)

ثم ذكر ما يدركه بالحواس ، ثم بالتمييز ، " ثم يترقى في طور آخر ،^(١٣)
فيخلق له العقل ، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات ، وأمورا
لا توجد في الأطوار التي قبله . ووراء العقل طور آخر ينفث فيه عين^(١٤)
أخرى ؛ يبصر بها الغيب ، وما سيكون في المستقبل ، وأمورا أخرى^(١٥) ،^(١٦)

-
- (١) المنقذ : سيرهم .
 - (٢) المنقذ : في ظاهرهم وباطنهم .
 - (٣) ط : من مشكاة نور .
 - (٤) جميع النسخ : فليس . والمثبت من (المنقذ) .
 - (٥) المنقذ ، ص ١٤٣ .
 - (٦) ط ، خ ، ك : وخاصيتها .
 - (٧) المنقذ ، ص ١٤٤ . وأمام هذا الموضع في هامش (س) : مطلب فيما قاله في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها .
 - (٨) المنقذ : في أول .
 - (٩) المنقذ : لاخير .
 - (١٠) المنقذ : الا الله تعالى ، كما قال .
 - (١١) سورة المدثر : ٣١ .
 - (١٢) في المنقذ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ؛ والنص التالي في المنقذ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .
 - (١٣) المنقذ : الى .
 - (١٤) المنقذ : طورا آخر تتفتح .
 - (١٥) خ ، س ، ك : وأمور .
 - (١٦) س ، المنقذ : آخر .

العقل معزول عنها كعزل قوة الحس عن مدركات التمييز، وكما أن المميز
لو عرض عليه مدركات العقل لأبأها واستبعدتها^(٣)، فكذلك بعض العقلاء
أبوا مدركات النبوة واستبعدوها^(٤). وذلك عين الجهل؛ إذ لا تستند له^(٥)
إلا أنه طور لم يبلفه، ولم يوجد في حقه، فظن أنه غير موجود فسي
نفسه. والأكسه^(٦) لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الألوان والأشكال، وحكى
له [ذلك]^(٨) ابتداءً، لم يفهمها ولم يقرب بها.

وقد قرب الله تعالى ذلك إلى خلقه، بأن أعطاهم أنموذجاً من^(٩)
خاصية النبوة، وهو النائم، إذ النائم يدرك ما سيكون في الغيب،^(١١)
أما صريحاً، وأما في كسوة^(١٥) مثال يكشف عنه التعبير.

تشبيه الغزالي
النبوة بالمنامات

وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه، وقيل له: "إن من الناس من
يسقط مفشياً عليه كالعيت، ويزول إحساسه وسمعه وبصره، فيدرك الغيب".
لأنكره ولأقام^(١٦) البرهان على استحالاته؛ وقال: القوى الحساسة أسباب
الادراك، فمن لا يدرك الأشياء^(١٧) مع وجودها وحضورها، فبأن لا يدرك مع
ركودها أولى^(١٨).

- (١) خ، ك: لعزل؛ س، المنقذ: كمزلة قوة التمييز عن [كذا في (س)]، وفي المنقذ: من [ادراك
المعقولات، وكمزلة قوة الحس. والزيادة في (س) مكتوبة بالهامش.
- (٢) المنقذ: عرضت.
- (٣) خ، ك: لأبأها واستبعدتها.
- (٤) خ، ك: فاستبعدوها.
- (٥) المنقذ: لهم.
- (٦) المنقذ: فيظن.
- (٧) الأكسه: الذي يولد أعمى. انظر "الصحاح" مادة "كه".
- (٨) ذلك: زيادة من (س، المنقذ).
- (٩) ك: وقد قرب الله منها ذلك إلى خلقه؛ المنقذ: وقد قرب الله تعالى على خلقه.
- (١٠) المنقذ: نمودجا.
- (١١) ط: خاصته، خ، س، ك: خاصة. والمثبت من (المنقذ).
- (١٢) المنقذ: وهو النوم.
- (١٣) ك: لم يدرك.
- (١٤) المنقذ: من.
- (١٥) كسوة: كذا في "المنقذ"، وفي (ط، خ، س، ك): كسوة.
- (١٦) المنقذ: وأقسام.
- (١٧) الأشياء: كذا في (المنقذ)؛ وفي (نسخة منه وط، خ، س، ك): الشيء.
- (١٨) س، المنقذ: أولى وأحق.

وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة ، فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي ، يحصل فيه عين أخرى يبصر بها أنواعا من المعقولات؛ / الحواس (٣) معزولة عنها ؛ فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين أخرى (٢) ، لها نسور يظهر في نورها الغيب ، وأمور لا يدركها العقل .

والشك في النبوة ، اما أن يقع في امكانها ، أو في وجودها ووقوعها (٤) ، أو في حصولها لشخص معين .

ودليل امكانها وجودها (٥) ، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل : كعلم الطب والنجوم ؛ فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها (٦) بالتجربة ؛ فمن الأحكام النجومية مالا يقع الا في كل ألف سنة مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ! ، وكذلك خواص الأدوية .

فتبين بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق لا ادراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة ، لا أن النبوة [عبارة] عنها فقط (٧) ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها (٨) خواص كثيرة سواها ، وما ذكرناها فقطرة من بحرها ، انما ذكرناها لأن معك أنموذجا منها ، وهي مدركاتك في النوم ، ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم .

-
- (١) المنقذ : قياسي .
(٢) أخرى : ليست في (المنقذ) في الموضعين .
(٣) المنقذ : والحواس .
(٤) خ ، س ، ك : أو وقوعها . والمثبت من (المنقذ) .
(٥) المنقذ : ووجودها .
(٦) جميع النسخ : اليه . والمثبت من (المنقذ) .
(٧) خ : لا أن النبوة عنها فقط ؛ ك : لا أن النبوة عينها فقط .
(٨) خ ، ك : وله .
(٩) وما ذكرناها : كذا في (خ) ؛ وفي (ط ، س ، ك) : وما ذكرناه ؛ وفي (المنقذ) : وما ذكرناه .
(١٠) المنقذ : نموذجاً منها ، وهو .

فأما^(١) معجزات الأنبياء فلا^(٢) سبيل اليها للعقلاء^(٣) ببضاعة العقل أصلا ،
وأما ماعداها من خواص النبوة ، فانما يدركه بالذوق من^(٤) سلك^(٥) طريق التصوف
، لأن هذا انما فهمته بأنموذج رزقته وهو النوم ، ولولاه ما صدقت به^(٦) ؛
فان كان للنبي خاصة ليس لك منها أنموذج ، فلا^(٧) تفهمها أصلا ، فكيف
تصدق بها ! وانما التصديق بمد التفهيم^(٨) ، وذلك الأنموذج يحصل في أول^(٩)
طريق التصوف ، فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ، ونوع من التصديق
بما لم يحصل بالقياس اليه ، فهذه الخاصة الواحدة تكفيك للايمان بأصل
النبوة .

استدلال الغزالي
على النبوة بأحوال
مدعيها وتضعيفه
طريق المعجزات
فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا ؛ فلا يحصل اليقين
الا بمعرفة أحواله ، اما بالمشاهدة ، أو بالتواتر والتسامع ، فانك اذا عرفت
الطب والفقه ، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم ، وسماع
أقوالهم ، وان^(١٠) لم تشاهدهم ؛ فمعرفة^(١١) كون الشافعي فقيها ، وكون جالينوس
طبيبا معرفة^(١٢) بالحقيقة ، لا بالتقليد ؛ بأن تتعلم شيئا من الطب والفقه ،^(١٣)
^(١٤)

- (١) خ ، س ، المنقذ : والنجوم وهي .
- (٢) المنقذ : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا .
- (٣) المنقذ : وأما ماعدا هذا من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق من سلوك .
- (٤) س ، المنقذ : لما .
- (٥) المنقذ : ولا .
- (٦) المنقذ : الفهم .
- (٧) س ، المنقذ : أوائل .
- (٨) ط : الخصلة ، ط ، س ، المنقذ : الخاصة .
- (٩) ط ، خ ، ك : ان . بسقوط الواو .
- (١٠) س ، المنقذ : ولا تعجز أيضا عن معرفة .
- (١١) ط ، ك : معروف .
- (١٢) س ، المنقذ : لا بالتقليد عن الغير .
- (١٣) ط : تعلم .
- (١٤) المنقذ : من الفقه والطب .

وتطالع كتبهما وتصانيفهما ، فيحصل لك علم ضروري بحالهما .
وكذلك (١) اذا فهت معنى النبوة ، فأكثر النظر في القرآن والأخبار ،
يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة ،
واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات ، وتأثيرها في تصفية القلوب ، وكيف
صدق في كذا وكذا (٥) ؛ فاذا جريت ذلك في ألف ، وألفين ، وآلاف ، حصل لك
علم ضروري لا تتماهى فيه .

فمن هذا القبيل (٧) اطلب اليقين بالنبوة ، لا من قلب العصا شعباناً ،
وشق القمر ؛ فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ، ولم تنضم اليه القرائن
الكثيرة / الخارجة عن حد الحصر ، ربما ظننت أنه سحر وأنه تخيل ، وأنه
من الله تعالى اضلال ؛ فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء .

ويرد عليك أسئلة المعجزات ، فاذا كان مستند ايمانك كلاماً منظوماً (١٤)
في وجه دلالة المعجزة ينجزم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال والشبه (١٧)
عليها ، فليكن مثل هذه الخوارق احدى القرائن والدلائل (١٨) في جملة نظرك ،

ص ١٠١

-
- (١) س ، المنقذ : فكذلك .
 - (٢) المنقذ : فأكثرت .
 - (٣) المنقذ : يصل .
 - (٤) خ ، ك : في .
 - (٥) المنقذ : وكيف صدق صلى الله عليه وسلم في قوله : (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) ، وكيف صدق في قوله : (من أعان ظالماً سلطه الله عليه) ، وكيف صدق في قوله : (من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله تعالى هموم الدنيا والآخرة) .
 - (٦) المنقذ : ولا .
 - (٧) س ، المنقذ : الطريق .
 - (٨) ط ، خ ، ك : طلب .
 - (٩) المنقذ : تنظم .
 - (١٠) حد : في (ط ، ك) فقط .
 - (١١) المنقذ : وتخييل .
 - (١٢) المنقذ : وترد .
 - (١٣) ط ، خ ، س : أسولة . وفيها ميم (ط) : ط [كأنها رمز لنسخة أخرى] أسئلة .
 - (١٤) المنقذ : الى كلام منظوم .
 - (١٥) ط : ينحزم ، ك : ينحزم ، خ : فينجزم ، س ، المنقذ : ولعل الصواب ما أثبتته .
 - (١٦) جميع النسخ : من ، والمثبت من (المنقذ) .
 - (١٧) س ، المنقذ : والشبهه .
 - (١٨) المنقذ : احدى الدلائل والقرائن .

حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعمين ؛ كالسذى
يخبره جماعة بخبر متواتر ، لا يمكنه أن يقول : اليقين ^(١) مستفاد من قول واحد
معين . بل من حيث لا يدري ، ولا يخرج عن جملة ذلك ، ولا تتعمين ^(٢) الاحاد ،
فهذا هو الايمان القوى العلمي . وأما الذوق ^(٣) فهو كالمشاهدة والأخذ
باليد ، ولا يوجد الا في طريق الصوفية .

قال ^(٤) : " ثم اني ^(٥) واطبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين ،
وبان لي في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها ، وبان لي من
حقيقة الذوق أن للانسان ^(٦) بدنا وقلبا - وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي
محل معرفة الله تعالى ، دون اللحم الذى يشاركه فيه الميت والبهيمة -
وأن البدن له صحة بها سعادته ، ومرض فيه هلاكه ، وأن القلب كذلك له صحة
وسلامة ، ولا ينجو الا من أتى [الله] ^(٨) بقلب سليم ، وله مرض فيه هلاكه ان لم
يتدارك ، كما قال تعالى : ^(٩) (في قلوبهم مرض) ^(١٠) .

وأن الجهل بالله سم مهلك ^(١١) ، وأن معصية الله تعالى - بمتابعة الهوى
- داء ^(١٢) المرض ، وأن معرفة الله تعالى تزيقه المحيي ، وطاعته - بمخالفة

(١) المنقذ : لا يمكنه أن يذكر أن اليقين .

(٢) المنقذ : بتعمين .

(٣) ك : الذوق .

(٤) المنقذ ، ص ١٥١ - ١٥٢ . بينه وبين الكلام السابق قوله : فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف في
الغرض الذى أقصده الآن ، وسأذكر وجه الحاجة اليه .

(٥) س ، المنقذ : انى لما .

(٦) س ، المنقذ : . . . لا أحصيها ، مرة بالذوق ، ومرة بالسلم البرهاني ، ومرة بالقبول الايماني أن
للانسان . وهو في (س) بالهامش .

(٧) المنقذ : معرفة الله ، دون اللحم والدم الذى يشارك .

(٨) لفظ الجلالة (الله) ؛ ليس في (ك) . (٩) س ، المنقذ : هلاكه الأبدى الأخرى كما قال .

(١٠) سورة البقرة : ١٠ .

(١١) س : سمه المهلك .

(١٢) في " الصحاح " مادة " ترق " : " الترياق ، بكسر التاء : دواء السموم ، فارسي
مغرب " .

الهوى - دواؤه الشافي ، وأنه لاسبيل الى معالجته - بازالة مرضه ، وكسب صحته - (١) - الا بأدوية ، كما لاسبيل الى معالجة البدن الا بذلك .

وكما أن أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها ، لا يدركها (٢) العقلاء ببضاعة العقل ، بل يجب فيها تقليد الأطباء الذين أخذوها عن الأنبياء ، الذين اطلقوا بخاصية النبوة على خواص الأشياء - فكذلك بان لي على الضرورة أن أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الأنبياء ، لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء ، بل يجب فيها تقليد الأنبياء ، الذين أدركوا تلك الخواص [بنور النبوة (٤)] ، لا ببضاعة العقل .

وكما أن الأدوية تركيب من أخلاط مختلفة النوع والمقدار ، وبعضها ضعف لبعض في الوزن ، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر من قبل الخواص ، (٥) فكذلك العبادات التي هي أدوية القلوب ، مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار ؛ حتى ان السجود ضعف الركوع ، وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر ، (٨) ولا يخلو عن سر من الأسرار ، هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة .

ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط بطريق العقل / لها حكمة ، أو ظن أنها ذكرت على الاتفاق ، لاعت سر الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصة .

ص ١٠٢

-
- (١) ط : معالجته الا بازالة سبب مرضه ، وليست صحته .
 - (٢) ك : لا تدركها .
 - (٣) المنقذ : بأن .
 - (٤) بنور النبوة : زيادة من (المنقذ) . وهي في هامش (س) .
 - (٥) المنقذ : البعض في الوزن المقدار .
 - (٦) س ، المنقذ : سر هو من قبيل .
 - (٧) س ، المنقذ : أدوية داء القلوب .
 - (٨) س : نصف صلاة الظهر في المقدار ، المنقذ : نصف صلاة السمر في المقدار . وكتب أمام هذا الموضوع في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .
 - (٩) ك : وظن .

وكما أن في الأدوية أصولاً هي أركانها، وزوائد هي متماتها، لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها، كذلك السنن والنوافل لتكميل آثار أركان العبادات .

وعلى الجملة فالأنبياء^(٢) أطباء أمراض القلوب ، وأما^(٣) فائدة العقل وتصرفه أن عرفنا ذلك ، وشهدت بصدق النبوة ، ويعجز نفسه عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ^(٥) بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى القاعدين ، وتسليم العرض المتحيرين إلى الأطباء المشفقين ، فإلى ههنا مجرى العقل ومخطأه^(٦) ، وهو معزول عما بعد ذلك ، إلا عن تفهيم ما يليق به الطبيب إليه . فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة ، في مدة الخلوة والعزلة .

ثم رأينا فتور الاعتقاد^(٨) في أصل النبوة ، ثم في حقيقة النبوة ، ثم في العمل بما شرحته النبوة ؛ وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ، ونظرت^(١٠) إلى أسباب فتور الخلق ، وضمف إيمانهم بها^(١١) ، فإذا هو أربعة : سبب من الخائضين في علم الفلسفة ، وسبب من الخائضين في طريق التصوف ، وسبب من المنتسبين إلى دعوى التعليم ، وسبب من معاملة المتوسمين من العلماء^(١٢) فيما بين الناس .

فإني تتبعت مدة آحاد الخلق ، أسأل من يقصر منهم في متابعتهم^(١٣) الشرع ، وأسأله عن شبهته^(١٤) ، وأبحث عن عقيدته وسره ، وأقول له : مالك

(١) المنقذ : كذلك النوافل والسنن متمات لتكميل . (٢) المنقذ : فالأنبياء عليهم السلام .

(٣) س ، المنقذ : وإنما .

(٤) كذا في (ك) ، وفي (ط) : ويعنى نفسه ، وفي (خ) : وسهل بصدق للنبوة ويعنى نفسه ؛ وفي (س) : المنقذ : وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالمجزء .

(٥) وأخذ : كذا في (س) ، المنقذ : ؛ وفي (ط ، خ ، ك) : وأخذنا .

(٦) ط ، خ ؛ وعطاؤه . وهذا يوافق نسخة من المنقذ كما في هامشه .

(٧) المنقذ : تفهم .

(٨) ط : ثبوت . (٩) س ، المنقذ : الاعتقادات .

(١٠) المنقذ : فنظرت . (١١) بها : ليست في (المنقذ) .

(١٢) المنقذ : الموسومين بالعلم . في لسان العرب ، مادة " وسم " : " الشيخ المتوسم : المتحلي بسمعة الشيوخ " .

(١٣) المنقذ : من أن يقصر . (١٤) ط : متابعتهم للشرع ، وأسأله شبهته .

(١٥) س ، المنقذ : وقلت .

تقصر فيها ؟ فان كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعد لها ، وتبيعها بالدنيا ؛
فهذه حماقة ؛ فانك لا تتبع الاثنين بواحد ، فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام
معدودة ! ، وان كنت لا تؤمن فأنت كافر ، فدير لنفسك ^(١) في طلب الايمان ،
وانظر ما سبب كفرك الخفي : الذى هو مذهبك باطنا ، وهو سبب جرأتك ^(٢)
ظاهرا ، وان كنت لا تصرح به ، تجملا بالايمان ، وتشرفا بذكر الشرع ^(٣) .
فقائل يقول : هذا ^(٤) أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر
بذلك ، وفلان من المشهورين بين الفضلاء لا يصلي ، وفلان يشرب الخمر ،
وفلان يأكل الأموال من الأوقاف ^(٥) وأموال اليتامى ، وفلان يأكل أدرار السلطان
ولا يحترز من الحرام ^(٦) ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . وهلم جرا
الى أمثاله .

وقائل ثان يدعي علم التصوف ، فيقول : اني بلغت مبلغا ترقيت ^(٨) عن

الحاجة الى العبادة .

وقائل ثالث تعلل ^(٩) بشبهة أخرى من شبهات أهل الاباحة ، وهم الذين

ضلوا عن طريق التصوف ^(١٠) .

وقائل رابع لقي أهل التعليم ، ويقول ^(١١) : الحق مشكل ، والطريق اليه

عسير منسد ^(١٢) ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض ،

(١) المنقذ : نفسك .

(٢) س ، ك : جراتك .

(٣) المنقذ : الشرع .

(٤) المنقذ : ان هذا .

(٥) خ ، ك : من .

(٦) س ، المنقذ : أموال الأوقاف .

(٧) س ، المنقذ : عن .

(٨) المنقذ : التصوف ، ويزعم أنه قد بلغ مبلغا ترقى .

(٩) س ، المنقذ : يتفلسل .

(١٠) المنقذ : وهو لا هم الذين ضلوا عن التصوف .

(١١) س ، المنقذ : فيقول .

(١٢) ط : بعيد ، المنقذ : والطريق متعسر .

وأدلة العقول متعارضة ، فلا ثقة برأى أهل الرأي ، والداعي الى التمسيم
متحکم لاحجة له ، فكيف ندع اليقين بالشك ؟^(١)

وقائل خامس يقول : لست أفضل هذا تقليدا ، ولكنني قرأت علم الفلسفة ،
وأدرکت حقيقة / النبوة ، وأن حاصلها يرجع الى المصلحة والحكمة^(٢) ، وأن المقصود
من تعبداتها ضبط عوام الخلق ، وتقييدهم^(٣) عن التقاتل والتنازع والاسترسال
في الشهوات ، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف ،
وانما أنا من الحكماء ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها ، مستغن فيها عن التقليد .
هذا منتهى ايمان من قرأ فلسفة الالهيين منهم ، ويعلم ذلك مسن^(٤)
كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي ، وهو^(٥) [هم] المتجملون منهم بالاسلام^(٦) .
وربما يرى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر الجماعات والصلوات^(٧) ،
ويعظم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وأنواعا من
الفسق والفجور . واذ قيل له : ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي ؟
فربما يقول : رياضة الجسد ، وعادة البلد^(٨) ، وحفظ المال والولد ؛ وربما قال :
" الشريعة صحيحة ، والنبوة حق " ، فيقال له : فلم تشرب الخمر؟ فيقول :
انما نهى عن الخمر لأنها تورث المداوة والبغضاء ، وأنا بحكمتي محترز عن
ذلك ، واني أقصد به تشديد خاطري .

حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له ، كتب فيها أنه عاهد الله تعالى
على كذا وكذا ، وأن يعظم الأوضاع الشرعية ، ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا
يشرب الخمر تلهيا ، بل تداويا وشفويا^(٩) .

- (١) المنقذ : ادع .
- (٢) المنقذ : الى الحكمة والمصلحة .
- (٣) المنقذ : وتقيدهم .
- (٤) س ، المنقذ : وتعلم .
- (٥) هم : ساقطة من (س ، ك) .
- (٦) منهم : ساقطة من (المنقذ) .
- (٧) ط ، س ، المنقذ : ترى .
- (٨) المنقذ : لرياضة الجسد ، ولعادة أهل البلد .
- (٩) له : ليست في (المنقذ) .
- (١٠) الخمر : ليست في (المنقذ) .

وكان منتهى حالته في صفاء الايمان والتزام العبادات، أن استثنى^(١)
شرب الخمر لغرض التشفي، فهذا ايمان من يدعي الايمان؛ منهم*^(٢)
الى [أن]^(٥) ذكر [أبو حامد]^(٦) ما رد به على أهل التعليم، وأهمل
الاباحة، قال^(٧) : " وأما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة ، حتى أنكر أصل
النبوة ، فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة ، بدليل وجود خواص
الأدوية والنجوم وغيرها^(٨) ، وانما قدسنا هذه المقدمة لأجل ذلك ، وأوردنا
الدليل من خواص النجوم والطب^(٩) لأنه من نفس علمهم ، ونحن نبين لكل عالم
يقن من العلوم ، كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات^(١٠) مثلا من نفس
علمه ، برهان النبوة^(١١) .

وأما من أثبت النبوة بلسانه ، وسوى أوضاع الشرع على الحكمة ، فهو
على التحقيق كافر بالنبوة ، وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص، يقتضي
طالعه أن يكون متبوعا ، وليس هذا من النبوة في شيء* ، بل الايمان بالنبوة
أن يقر باثبات طور وراء^(١٢) طور العقل ، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات

- (١) س ، المنقذ : وتشافيا فكان .
- (٢) ك : يستثنى .
- (٣) ذكر محققا (المنقذ) أن كلمة (التشفي) وردت في جميع النسخ التي اعتمدا عليها ، لكنهما وضعا بدلا منها (التشافي) .
- (٤) كذا في (ط) ، وفي (خ ، س ، ك) : منهم ، وقد انخدع ، وفي (المنقذ) : منهم وقد انخدع بهم جماعة ... الخ .
- (٥) أن : ساقطة من (ك) .
- (٦) أبو حامد : في (ط) فقط .
- (٧) في المنقذ ، ص ١٦١ ؛ يقول : " أما الذين ادعوا الحيرة من أهل التعليم ، فعلاجهم ما ذكرناه في كتاب " القسطاس المستقيم " ، ولا تطول بذكره في هذه الرسالة ، وأما ما توهمه أهل الاباحة ، فقد حصرنا شبههم في سبعة أنواع ، وكشغناها في كتاب " كيمياء السعادة " واما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة ... الخ .
- (٨) المنقذ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٩) المنقذ : وغيرها .
- (١٠) المنقذ : واننا أوردنا .
- (١١) المنقذ : خواص الطب والنجوم .
- (١٢) قال أحمد الخفاجي في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ص ١٨١ : " طلسم : لفظ يوناني ، لم يمر به من يوثق به ، وكونه مقلوبا من سلسط وهم لا يعتمد به . وفي السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفصلة الأرضية ، لأجل التمكن من اظهار ما يخالف المادة ، والمنع مما يوافقها " .
- (١٣) خ ، س : لأجل برهان .
- (١٤) ط : متبوعا .
- (١٥) طور : في (ك) فقط .

خاصة ، والعقل معزول عنها ، كعزل اللمس عن ادراك الأصوات ^(١) ، وجميع الحواس عن ادراك المعقولات ، فان لم يجوز ^(٢) هذا فقد أفتنا البرهان علسى امكانه ، بل على وجوده .

وأخذ يستدل بالخواص الموجودة في الطبيعيات على امكان خواص ثابتة في الشرعيات ، وأن تلك اذا لم تعرف بقياس العقل فكذلك الأخرى ^(٣) . قال :
" وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة " .

ص ١٠٤ قال : ^(٤) " والعجب أنا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لصدقوا باختلاف ^(٥) هذه الأوقات ؛ فنقول : أليس يختلف الحكم والظالم ^(٦) ؟ بأن تكون الشمس في وسط السماء ، أو في الطالع ، أو في الغارب ، حتى بنوا ^(٧) علسى هذا في تسييراتهم اختلاف الهيلاج ^(٨) ، وتفاوت الأعمار والآجال ، فلا فرق ^(٩) بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ، ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب .

فلم يكن لتصديقه سبب ^(١٠) ، الا أن ذلك سمعه بعبارة منجم ، جرب كذبه ^(١١)

- (١) المنقذ : كعزل البصر عن ادراك الألوان ، والسمع عن ادراك الأصوات .
- (٢) خ : يحسن . وأمام هذا الموضع في هامشها : بلغ مقابلة .
- (٣) في المنقذ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ . والنص التالي في المنقذ ، ص ١٦٤ .
- (٤) المنقذ ، ص ١٦٤ - ١٦٧ بعد الكلام السابق مباشرة .
- (٥) باختلاف : كذا في (ط ، ك) ، وفي (خ ، س) : اختلاف ، وفي المنقذ : لعقلوا اختلاف .
- (٦) س ، المنقذ : في الطالع ، وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كتب كلمة : بلغ .
- (٧) المنقذ : بينوا .
- (٨) الهيلاج : كذا في (خ ، س) وفي (ط ، ك) : الصلاح ، وفي (المنقذ) : العلاج ، وذكر المحققان أن في بعض النسخ : الهيلاج ، بالمهملة .
- قال الخوارزمي في " مفاتيح العلوم " ، في التعريف بمصطلحات علم النجوم ، قال ، ص ١٧٦ : " الهيلاج : أحد الهيلاج الخمسة : وهي الشمس ، والقمر ، والظالم ، وسهم السعادة ، وجزء الاجتماع أو الاستقبال ، وهي أدلة العمر ، وذلك أنها تسيير الى السمود والنحوس . ومعنى التسيير : أن ينظر كم بين الهيلاج وكم بين السمود أو النحس ؛ فيؤخذ لكسل درجة سنة ، فيقال : تصييه السعادة أو النكبة الى كذا وكذا سنة " .
- (٩) س ، المنقذ : ولا .
- (١٠) المنقذ : فهل لتصديقه .
- (١١) المنقذ : يسمعه .
- (١٢) المنقذ : لعله جرب .

مائة مرة ولا يزال يعاود^(١) تصديقه، حتى لو قال له المنجم^(٢): إذا كانت الشمس في وسط السماء، ونظر إليها الكوكب الفلاني^(٣)، [والطالع هو البرج الفلاني^(٤)]: فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك الثوب^(٥)! فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت، وربما يقاسي فيه البرد الشديد، وربما سمعه من منجم قد جرب كذبه مرات!

فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع، ويضطر الى الاعتراف بأنها خواص، معرفتها معجزة لبعض الأنبياء^(٦)؛ كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق، مؤيد بالمعجزات، لم يعرف قط بالكذب! ولم لا يتسع لامكان^(٧) هذه الخواص في أعداد الركعات، ورمي الجمار، وعدد أركان الحج، وسائر تعبدات الشرع! ولم نجد^(٨) بينها وبين خواص الأدوية والنجوم فرقا أصلا.

فان قال: قد جربت شيئا من النجوم، وشيئا من الطب، فوجدت بعضه صادقا، فانقدح في نفسي تصديقه، وسقط عن قلبي استبعاده ونفرته، وهذا لم أجربه، فبم أعلم وجوده وتحققه^(٩)، وان أقررت بامكانه.

فأقول: انك لا تقتصر على تصديق ما جربته، بل سمعت أخبار الجريسين^(١٠) وقلدتهم، فاسمع أقوال الأولياء^(١١) فقد جربوه، وشاهدوا الحق في جميع ماورد به

(١) المنقذ: يعاد.

(٢) المنقذ: المنجم له.

(٣) جميع النسخ: اليه، والمثبت من (المنقذ).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (المنقذ)، وهو في (س) بالهامش.

(٥) ط، ك: قتلت في ذلك الوقت.

(٦) المنقذ: فكيف.

(٧) المنقذ: ولم لا يتسع لامكانه. فان أنكر فلسفي امكان. س: بالكذب، فان أنكر فلسفي امكان.

(٨) المنقذ: لم يجد.

(٩) المنقذ: من.

(١٠) المنقذ: وهذا لم أجربه به [كذا] فيما أعلم وجوده وتحقيقه لم [كذا].

(١١) ط: أقوال الأنبياء فيما جربوه؛ المنقذ: أقوال الأنبياء فقد جربوا. وقد راجعت طبعتهما آخرين للمنقذ، هما (ط. الدكتور عبد الحلیم محمود)، ص ١٦٤، و (ط. مكتب النشر العربي بدمشق ١٣٥٣-١٩٣٤)، ص ١٦١، ووردت كلمة "الأنبياء" فيهما، وسناقش ابن تيمية، ص ٥٣٨ هذا القول على أن الكلمة "الأولياء".

الشرع ، أو أسلك^(١) سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك .
على أنني أقول : وان لم تجرب ، فيقتضي^(٢) عقلك بوجوب التصديق والاتباع
قطعا ؛ فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب ، ومرض^(٤) ، وله والد مشفق ،
حاذق بالطب ، يسمع دعواه ، في معرفة الطب منذ عقل ، فعجن له والده
دوا^(٥) ؛ وقال : " هذا يصلح لمرضك ، ويشفيك من سقمك " فانا يقتضيه
عقله - وان كان الدوا^(٦) كريها ، مر المذاق - أن يتناول أو يكذب ؟ ويقول :
" أنا لا أعرف^(٧) مناسبة هذا الدوا^(٧) لتحصيل الشفاء ، ولم أجربه " فلا شك
أنك تستحقه ان فعل ذلك ، فكذلك^(٨) يستحقك أهل البصائر في توقعك .

فان قلت : فبم أعرف شفقة النبي^(٩) ومعرفته بهذا الطب ؟
فأقول : وبم عرفت شفقة أبيك ؟ فان ذلك أمر ليس محسوسا ، بل
عرفتها بقرائن أحواله ، وشواهد أعماله ، في موارد ومصادره^(١٢) ، علما ضروريا
لا تتماهى فيه^(١٣) .

ومن نظر في أقوال رسول الله^(١٤) صلى الله عليه وسلم ، وماورد من الأخبار
في اهتمامه بإرشاد الخلق ، وتلطفه في حق الناس بأنواع [الرفق و] اللين
واللطف ، الى تحسين الأخلاق واصلاح ذات البين ، وبالجملة الى ما يصلح به

-
- (١) س ، المنقذ : واسلك .
 - (٢) س ، المنقذ : تجربه .
 - (٣) ك : فيقتضي .
 - (٤) المنقذ : فمرض .
 - (٥) المنقذ : فقال .
 - (٦) المنقذ : مرا كريه المذاق .
 - (٧) المنقذ : لا اعقل .
 - (٨) ط ، المنقذ : وكذلك .
 - (٩) المنقذ : فبم .
 - (١٠) المنقذ : النبي صلى الله عليه وسلم .
 - (١١) ك : أمرا ؛ المنقذ : وليس ذلك أمرا محسوسا .
 - (١٢) ط ، خ ، المنقذ : في مصادره وموارده .
 - (١٣) ك : لا يتماهى .
 - (١٤) المنقذ : الرسول .
 - (١٥) خ ، س : بأنواع الرفق واللطف ؛ ط : بأنواع الدين واللطف ؛ ك : بأنواع اللين واللطف ، والمثبت
من (المنقذ) .

دينهم وديانهم - حصل له علم ضروري بأن شفقتة على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده .

وإذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال ، والى عجائب الفيض التي أخبر عنها^(٢) في القرآن على لسانه وفي الأخبار ، والى ما ذكره في آخر الزمان ، وظهر ذلك كما ذكره - [علم^(٤)] علما ضروريا أنه بلغ الطور الذي وراء العقل ، وانفتحت له العين التي ينكشف منها الفيض ، والخواص والأشور التي لا يدركها العقل .

وهذا^(٦) هو منهاج تحصيل العلم الضروري بصدق النبي صلى الله عليه وسلم [فجرب^(٩)] ، وتأمل في القرآن وطالع الأخبار ، الى أن تعرف ذلك بالعيان . وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ، ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان .

تعليق ابن تيمية قلت : فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد وغيره ، تفضي أيضا الى العلم من النبوة والتصديق منها ، بأكثر من القدر الذي تقر به المتفلسفة ؛ وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل للصوفية ، وأنهم يشهدون بتحقيق ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونفع ما أمر به ، فهذا أيضا حق في كثير مما

(١) المنقذ : شفقتة صلى الله عليه وسلم .

(٢) المنقذ : الذي أخبر عنه .

(٣) وظهر : كذا في (ط ، ك) ؛ وفي (خ ، س) : وظهر ؛ وفي (المنقذ) : فظهر .

(٤) علم : ساقطة من (ط ، ك) .

(٥) س ، المنقذ : الفيض الذي لا يدركه الا الخواص .

(٦) المنقذ : فهذا .

(٧) خ ، س ، ك : يحصل .

(٨) المنقذ : بتصديق .

(٩) فجرب : زيادة من (س ، المنقذ) .

(١٠) س ، المنقذ : وتأمل القرآن ، وطالع الأخبار تعرف [كذا في س ؛ وفي المنقذ تعرف] .

(١١) خ : في شبه .

(١٢) خ ، س : يقربه .

(١٣) خ ، س : في أن . وفي هامش (س) علق بخط مغاير ما يلي : " قوله : في أن ، في هذه العبارة نقص ، ولعل الصواب وفي أن ما أخبر به وأمر به ما يستوجب التصديق بنبوته . أو نحو ذلك مما يجعل للمباراة معنى . "

أخبر به وأمر به ، ثم اذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه ؛
كمن سلك طريقاً^(١) من العلم بغن من الغنون ، اذا رأى كلاماً متكلم في ذلك
العلم ، ورآه يحقق ما عنده ، ويأتي بزيادات لا يستطيعها - فانه يعلم بما
رآه من مزيد تحقيقه لما شاركه في أصل معرفته أنه أعلم منه بما وراء ذلك ؛
كمن نظر في الطب اذا رأى كلام بقراط ، ومن نظر في النحو اذا رأى كلام
الخليل وسيبويه ، ومن نظر في العلوم الدينية اذا رأى كلام أئمة السلف .^(٢)
وكذلك^(٤) من سلك مسلك^(٥) الزهد والعبادة اذا بلغه سير زهاد السلف^(٦)
وعبادتهم ، ومن ولى الناس وساسهم^(٧) اذا رأى سيرة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وعمر بن عبد العزيز ونحوهما .^(٨)

فهذا كله ما يبين له عظمة قدر هؤلاء* ، وأنهم كانوا أئمة في هذه
الأمر ، وفيما يصلح ويجب من ذلك ، ويعلم كل أحد الفرق بين سيرة الفعيرين
وسيرة الحجاج^(٩) والمختار بن أبي عبيد^(١٠) ونحوهما ؛ بل يعلم الفرق بين

- (١) ط : كمن قرأ طرفاً ، خ : كمن شدا طرفاً .
- (٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء* ، المعروف بسيبويه ، امام النحاة ، ولد بقرية
من قرى شيراز يقال لها البيضاء* ، ثم قدم البصرة ، وبدأ بطلب الحديث ، ثم صحب الخليل بن
أحمد فبرع في النحو ، وألف فيه " الكتاب " ، توفي سنة ١٨٠ على الراجح ، وقيل ان عمره ٣٣ سنة
! والله أعلم .
- انظر : طبقات النحويين واللفويين ، ص ٦٦-٧٢ ؛ تاريخ بغداد ١٢/١٩٥-١٩٩ ؛ وفيات
الأعيان ٣/٤٦٣-٤٦٥ ؛ البداية والنهاية ١٠/١٧٦-١٧٧ ؛ الأعلام ٥/٨١ .
- (٣) ك : كلامه . وأمام هذا في هامش (س) : مطلب ، أهل كل فن يعلمون المتقدم في ذلك الفن .
- (٤) خ : ولذلك .
- (٥) مسلك : ساقطة من (خ ، س) .
- (٦) ك : زهاد .
- (٧) ط : وسياستهم .
- (٨) رضي الله عنه : ليست في (ط) .
- (٩) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، ولد سنة ٤ بالطائف ونشأ
بها ، ثم انتقل الى الشام ، حيث عينه عبد الملك قائداً لعسكره ، وبعثه لقتال عبد الله بن الزبير فقتله
سنة ٧٣ ، فاستنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم ولاه العراق فثبت الامة وأقام
فيها عشرين سنة ، وفتح فيها فتوحات كثيرة ، حتى وصلت جيوشه الى بلاد الهند والسند .
كان جباراً مقداماً على سفك الدماء ، مات بواسط سنة ٩٥ هـ انظر : سيرته وأخباره في كتب التاريخ ،
وانظر بوجه خاص : تاريخ الطبري ٦/٤٩٣ ، الكامل لابن الأثير ٤/٥٨٣-٥٨٧ ، وفيات الأعيان ٢/
٢٩-٥٤ ، البداية والنهاية ٩/١١٧-١٣٩ ، تهذيب التهذيب ٢/١٨٠ ، تقريب التهذيب ١/
١٥٤ ، الأعلام ٢/١٦٨ .
- (١٠) أبو اسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، من أهل الطائف ، أرسله عبد الله بن =

سيرة بني أمية^(١) وبني العباس ، وبين سيرة بني بويه وبني عبيد ، وأمثال ذلك .
كذلك يعلم الفرق بين نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] وموسى وعيسى عليهما
السلام^(٢) ، وبين مسيلمة والأسود العنسي وأمثالهما بأدنى تأمل .

وهذه الطريق ينقسم الناس فيها الى عام وخاص ، بسبب علمهم بالخير
والشر ، والصدق والكذب ، ونحو ذلك ؛ وهذه تغيد العلم القطعي بأن الأنبياء
أكل الخلق وأفضلهم ، وأنه لا يصلح لأحد أن يعارضهم برأيه ، ولا يخالفهم
بهواه . لكن لا يغيد العلم بحقيقة النبوة إلا أن يعترف أن النبي / أعلم منسه^(٣) ،
ص ١٠٦
فلا يمكنه أن يقول : هو أعلم منه .

فكل من حصل له من المخاطبات والمشاهدات ما يحصل للأولياء ، فانه
يعلم أن الذى للأنبياء فوق الذى له من ذلك ؛ كعمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٤) ،
فانه قد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : (انه قد كان في الأمم
قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فعمرو) . وقال صلى الله عليه وسلم

= / الزبير الى الكوفة ، فغلب عليها ، وتتبع قتله الحسين ، فقتل عددا من رؤسائهم ، وأرسل جيشا
الى عبيد الله بن زياد وقتله سنة ٦٥ ، ثم خلع ابن الزبير ، فتوجه اليه مصعب - وهو أمير البصرة
لاخيه عبد الله - فنشبت بينهما معارك انتهت بقتل المختار وأصحابه سنة ٦٧ .
كان المختار كذا يزع أن الوحي يأتيه ، وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم : (ان في ثقيف كذا ابسا
ومبيرا) رواه مسلم ١٩٧٢ / ٤ رقم ٢٥٤٥ ان المختار هو الكذاب ، والحجاج هو المبير .
انظر كتب التاريخ في حوادث سنة ٦٥ - ٦٧ ، وبوجه خاص تاريخ الطبري ؛ الكامل لابن الأثير
٢٢٨ / ٤ - ٢٢٨ ؛ البداية والنهاية ٢٦٤ / ٨ - ٢٩٢ ؛ لسان الميزان ٦ / ٦ - ٧ ؛ الأعلام ١٩٢ / ٧ .
(١) ك : أبي أمية .

(٢) عليهما السلام : ساقطة من (خ) ، وفي (ك) : محمد وموسى وعيسى عليهم السلام .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) . وأمام هذا الموضوع في هامش (س) : مطلب هذه الطريق لا تغيد
العلم بحقيقة النبوة .

(٤) س ، ك : الله تعالى ، في الموضعين .
(٥) الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخارى (فتح البارى ٥١٢ / ٦ رقم ٣٤٦٩) كتاب أحاديث
الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد ٤٢ / ٧ رقم
٣٦٨٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب .
وعن عائشة في صحيح مسلم ١٨٦٤ / ٤ رقم ٢٣٩٨ كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر
رضي الله عنه ؛ وسنن الترمذى (تحفة الأئمة ١٠ / ١٨٢) المناقب ، مناقب أبي حفص
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وسند أحمد (ط . الحلبي) ٥٥ / ٦ .
في صحيح مسلم : " قال ابن وهب : تفسير محدثون ملهون " وفي سنن الترمذى : " أخبرني بمعش
أصحاب ابن عيينة عن سفيان ابن عيينة قال محدثون يعني ملهون " .
وفي إحدى روايات البخارى لحديث أبي هريرة ، بدل محدثون : (يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء " .

(١) : (ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه) . وفي الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) .
وكان عمر بهذا يعلم أن ما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والملائكة ، وما يخبر به من الغيب ، وما يأمر به وينهى عنه - أمر زائد على قدره ومجاوز لطاقته ؛ بل يتجدد بينه وبين ذلك من التفاوت ما يعجز القلب واللسان عن معرفته وتبينه .^(٣)

بل كان عمر بما حصل له من المكاشفة والمخاطبة ؛ يعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أكمل منه معرفة ويقينا ، وأتم صدقا وأخلاقا ، وأعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فكان خضوع عمر - هذا الذي هو أفضل الأولياء المحذنين الملهمين المخاطبين - لأبي بكر الصديق ؛ كخضوع^(٦)

(١) الحديث عن ابن عمر، أخرجه الترمذى في سننه (تحفة الأحمدي ١٠ / ١٦٩) المناقب، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال عنه : " حسن صحيح غريب " . وأحمد في مسنده (ط . المعارف) ٧ / ١٥٥ رقم ٥١٤٥ ، ٧٧ / ٨ ، رقم ٥٦٩٧ .
وعن أبي هريرة ، أخرجه أحمد في المسند (ط . الحلبي) ٢ / ٤٠١ ، وفيهما " جعل " بدل " ضرب " .
وعن أبي زر ، أخرجه أبو داود في سننه (عون المعبود ٨ / ١٧٩ - ١٨٠) كتاب الخراج والفتي والأمانة ، باب في تدوين العطاء ؛ وابن ماجه في سننه ١ / ٤٠١ رقم ١٠٨ المقدمة ، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأحمد في مسنده (ط . الحلبي) ٥ / ١٦٥ ، ١٧٧ ، ولفظه (ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به) وأخرجه أحمد ٥ / ١٤٥ بلغظ (ان الله عز وجل ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه) .

(٢) يذكر ابن تيمية هذا الحديث في كتبه منسوبا للترمذى ، ووجدت في سنن الترمذى (تحفة الأحمدي ١٠ / ١٧٣) المناقب ، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٤ / ١٥٤ عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كان نبي بعدى لكان عمر بن الخطاب) . وقال عنه الترمذى " حديث حسن غريب " .
ووجدت اللفظ الذي ذكره ابن تيمية في كتب الموضوعات عن بلال وعقبة بن عامر وعبد الله بن جبير وأبي هريرة ، وتبين هذه الكتب أن هذه أحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر : الموضوعات لابن الجوزي ١ / ٣٢٠ - ٣٢١ ؛ اللآلئ المصنوعة للسيوطي ، ص ٣٠٢ ؛ الفوائد المجموعة للشوكاني ، ص ٣٣٦ .

(٣) ط : خ ؛ وبيانه .

(٤) ط : جعل له .

(٥) ط : خ ؛ وكان .

(٦) من قوله هنا : " لأبي بكر الصديق " . الى قوله في صفحة ٥٣٩ : " بل ولا لبراهيم وعيسى ، فضلا عن أن يكون " يستفرد في (ط) صفحة ٢١٢ وهي ظهرا ، و صفحة ٢١٣ وهي وجه ، وقد فسأت المصور أخذ صورة لهما .

من رأى غيره من شاركه في فنه أكمل منه : كخضوع الأختفش لسيبويه ، وزفر لأبي
حنيفة ، وابن وهب لمالك ، ونحو ذلك ؛ أو خضوع فقهاء المدينة لسعيد بن
المسيب ، وعلماء البصرة للحسن البصري ، وفقهاء مكة لعطاء بن أبي رباح .^(١)
وإذا كان هذا مثل عمر مع أبي بكر - لأن أبا بكر صديق ، يأخذ ما يأخذ
عن الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام ، الذي قد عصم أن يستقر فيما جاء به
خطأ ، فهو لخبرته بحال صديق النبي بهذه المثابة ، وكل من كان عالمًا

- (١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء ، المعروف بالأختفش الأوسط من أهل بلخ ،
سكن البصرة ، وهو أحد نحاتها ، صاحب الخليل ، وأخذ النحو عن سيبويه ، وصنف كتبًا كثيرة
في اللغة والأدب ، منها كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على ما كان قد وضعه الخليل ،
توفي سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢١ .
انظر : انباه الرواة ٢/٣٦-٤٣ ؛ طبقات النحويين ، ص ٧٢-٧٤ ؛ وفيات الأعيان ٢/٣٨٠ -
٣٨١ ؛ البداية والنهاية ١٠/٢٩٣ ؛ الأعلام ١٠١/٣-١٠٢ .
- (٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء ، ولد بمصر سنة ١٢٥ وتوفي فيها سنة
١٩٧ ، محدث ، فقيه ، عابد ، من أصحاب الإمام مالك .
انظر : الجرح والتعديل ٥/١٨٩-١٩٠ ؛ ترتيب المدارك للقاضي عياض ٢/٤٢١-٤٣٣ ؛ تذكرة
الحفاظ ١/٣٠٤-٣٠٦ ؛ الديباج المذهب ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٧١-
٧٤ ؛ الأعلام ٤/١٤٤ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٣-١٤٤-١٤٥ .
- (٣) الإمام الكبير أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي ، ولد
سنة ١٣ وتوفي سنة ٩٤ بالمدينة ، وهو من سادات التابعين علماء وزهدا .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/١١٩-١٤٣ ؛ الجرح والتعديل ٤/٥٩-٦١ ؛ تذكرة
الحفاظ ١/٥٤-٥٦ ؛ المسبر ١/١١٠ ؛ تهذيب التهذيب ٤/٨٤-٨٨ ؛ شذرات الذهب
١/١٠٢-١٠٣ ؛ الأعلام ٣/١٠٢ ؛ تاريخ التراث العربي ١/٦٧-٦٨ .
- (٤) الإمام الكبير أبو سعيد الحسن بن يسار البصري ، ولد بالمدينة سنة ٢١ ونشأ بها ، وسكن
البصرة وتوفي فيها سنة ١١٠ ، وهو أحد كبار علماء التابعين ، فقيه ، زاهد ، شجاع ،
فصيح .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/١٥٦-١٧٨ ؛ الجرح والتعديل ٣/٤٠-٤٢ ؛ تذكرة
الحفاظ ١/٧١-٧٢ ؛ البداية والنهاية ٩/٢٦٦-٢٦٧ ؛ تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣-
٢٧٠ ؛ الأعلام ٢/٢٢٦-٢٢٧ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١-٧٢/١ ، ٩/٤-١٤ .
- (٥) الإمام الكبير أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان الفهري القرشي ، مولا هم
ولد باليمن ، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم وتوفي فيها سنة ١١٤ ، روى
عن عدد من الصحابة .
انظر : طبقات ابن سعد ٥/٤٦٧-٤٧٠ ؛ الجرح والتعديل ٦/٣٣٠-٣٣١ ؛ تذكرة الحفاظ
١/٩٨ ؛ البداية والنهاية ٩/٣٠٦-٣٠٩ ؛ تهذيب التهذيب ٧/١٩٩-٢٠٣ ؛ الأعلام
٤/٢٣٥ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١-٧٢-٧٤ .

بالصحابة ؛ يعلم أن عمر رضي الله عنه ^(١) كان متأدباً معظماً يقلبه لأبي بكر رضي الله عنه ، مشاهداً ^(٢) أنه أعلى منه إيماناً و يقيناً - فكيف يكون حال عمر وغيره مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛! وإذا كان هذا حال أفضل المحذيين المخاطبين فكيف حال سائرهم ؛! فلا ^(٣) ريب أن الرجل كلما عظمت ولايته ، وعظم نصيبه من انكشاف الحقائق له ؛ كان تعظيمه للنبوته أعظم ، والناس في هذه الطريق متفاوتون بحسب درجاتهم .

لكن طريق الصوفية لا ينتهز بانكشاف جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل ولا بأكثره ، بل عامة ما يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أبداً بكر ^(٥) وعمر - فضلا عن غيرهما - أن يعلمه بدون خبره ، وإن كان عند المخبرين علم بجمل ذلك ، أو أصله ؛ لكن ما يخبر به من التفصيل لا يعلم بدون خبره أصلاً .

خطأ الفزالي فيما ادعاه للكشف الصوفي من خصائص

وما يوجد في كلام أبي حامد أو غيره ^(٧) من أن الكشف يحصل ذلك ، وقول القائل : ان الأولياء شاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع ^(٨) . ليس بسديد ؛ بل لا يزال الأولياء مع الأنبياء في إيمان بالغيب ، ولا يتصور أن الولي / يعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة .

ص ١٠٧

وأفضل الأولياء أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ونحوهم ، وليس في هؤلاء من شاهد ما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا سمع أحد منهم

(١) س ، ك : الله تعالى .

(٢) س : رضي الله تعالى عنه متأدب معظم . . . مشاهد .

(٣) ك : ولا .

(٤) خ : تنهض .

(٥) ك : أبو بكر .

(٦) س : بجمل .

(٧) ك : وغيره . وأمام هذا الموضوع في هامش (س) : مطلب اعتراض على أبي حامد .

(٨) خ ، س : فقول .

(٩) سبق كلام الفزالي هذا ص ٥٣١ - ٥٣٢ .

كلام الله الذى كلم به نبيه ليلة المعراج ، ولا سمع عامة الأنبياء - فضلا عن الأولياء - كلام الله كما سمعه موسى بن عمران ، ولا كلم الله تكليما لداود وسليمان ، بل ولا لابراهيم وعيسى ؛ فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لأحد من الأولياء .

والايمان بكل ماجاء به الأنبياء واجب ، فانهم معصومون ، ولا يجيب الايمان بكل مايقوله الولي ، بل ولا يجوز ؛ فانه مامن أحد من الناس الا يؤخذ من كلامه ويترك ، الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن سب نبيا من الأنبياء قتل ، وكان كافرا مرتدا ، بخلاف الولي ؛ قال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل اليهنا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) . وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فيمنسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) .

فان قيل : ففي قراءة ابن عباس : (ولا يحدث) .

-
- (١) ك : بل ولا ابراهيم ولا عيسى .
(٢) من قوله هنا : " والايمان بكل ماجاء به الأنبياء " الى قوله في صفحة ٥٤٠ : " عن الأئم قبلهم " ساقط من (خ ، س) .
(٣) سورة البقرة : ١٢٦ .
(٤) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٥) سورة الحج : ٥٢ .
(٦) ذكر هذه القراءة البخارى في صحيحه تعليقا ، فقال (فتح البارى ٤٢ / ٧) : " قال ابن عباس رضي الله عنهما : من نبي ولا يحدث " .
وذكر ابن حجر في فتح البارى ٥١ / ٧ أن سفيان بن عيينة أخرجه في أواخر جامعه ، وذكر ابن حجر والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٦ / ٤ أن عبد بن حميد أخرجه أيضا ، ولغظه عن عمرو بن دينار قال : كان ابن عباس يقرأ (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا يحدث) .
قال : ابن حجر " واسناده الى ابن عباس صحيح " .

قيل : هذه القراءة ليست متواترة ، ولا معلومة الصحة ، ولا يجوز الاحتجاج
بها في أصول الدين .

وان كانت صحيحة فالمعنى أن المحدث كان فيمن كان قبلنا ، وكانوا
يحتاجون اليه ، وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان اليه كذلك .
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج الي غير محمد صلى الله عليه وسلم ،
ولهذا كانت الأمم قبلنا لا يكفيهم نبي واحد ، بل يحيلهم هذا النبي في بعض
الأمر على النبي الآخر ، وكانوا يحتاجون الي عدد من الأنبياء ، ويحتاجون الي
المحدث . وأمة محمد أغناهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم عن غيره من
الأنبياء والرسل ، فكيف لا يغنيهم عن المحدث ! ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
: (انه قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي أحد فعمرو) .
فعلق ذلك " بان " (، ولم يجزم به ؛ لأنه علم استغناء امته عن محدث ، كما
استغنت عن غيره من الأنبياء ، سواء كان فيها محدث أو لا ، وكان ذلك
لكمالها برسولها الذي هو أكمل الرسل وأجلهم ، وهو " لا " كيعض في أمته
عن الأمم قبلهم .

وقد وقع في كلام أبي حامد وغيره نحو من هذا في مواضع أخره ، حتى
ذكر : فيما يتأول وما لا يتأول " : أن ذلك لا يعلم الا بتوفيق الهي ، يشاهد
به الحقائق على ماهي عليه ، ثم ينظر في السمع والألفاظ / الواردة فيسه ،

ص ١٠٨

-
- (١) ط : أن المحدث من كان .
 - (٢) ك : وعن .
 - (٣) ك : أو كان ، ط : من الأنبياء أن يكون فيها محدثا أو لا يكون ، أو كان . ولمعمل
الصواب ما أثبتته .
 - (٤) كذا في النسختين (ط ، ك) ، ويبدو أن في الكلام تحريفا ، ولعمل أصل العبارة : الذي
هو أكمل الرسل وأجلهم ؛ وهذا أمر تختص فيه أمته .
 - (٥) هنا نهاية الكلام الساقط من (خ ، س) الذي بدأ صفحة ٥٣٩ .
 - (٦) وغيره : ساقطة من (خ ، س) .
 - (٧) أخر : ساقطة من (خ) . وفي (ط) : نحو من هذا الكلام الذي . . . [بياض بقدر كلمتين] .

(١) فما وافق مشهوده أقره ، وما خالفه تأوله . (٢) وذكر في موضع آخر " أن الواحد من الأولياء قد يسمع كلام الله سبحانه ، كما سمعه موسى بن عمران " . (٣) وأمثال هذه الأمور .

- (١) خ ، س : شهوده .
- (٢) تحدث الغزالي في كتاب " أحياء علوم الدين " ١٠٣ / ١ - ١٠٤ (الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد) عن التأويل واختلاف الناس فيه ، فذكر أن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حسم باب التأويل ، وادعى الغزالي أن أحمد استثنى من ذلك ثلاثة أحاديث أوردها الغزالي ، ثم ذكر أن طوائف فتحوها باب التأويل فمنهم مقتصد وهم الأشعرية ، وزاد عليهم المعتزلة وأسرف في ذلك الفلاسفة .
- ثم قال الغزالي (١٠٤ / ١) : " وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله ، وبين جمود الحنابلة دقيق غامض ، لا يطلع عليه الا الموفقون ، الذين يدركون الأمور بنور الهي ، لا بالسمع ، ثم اذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ماهي عليه ، نظروا الى السمع والألفاظ الواردة ، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه ، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد ، فلا يستقر له فيها قدم ، ولا يطمئن له موقف " .
- (٣) حاولت أن أجد هذه الكلمة للغزالي فما تمكنت ، لكن الغزالي في كتاب " مشكاة الأنوار " عقد فصلاً " في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة . . . " قال في أوله : " ومعرفة هذا يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ، لكنني أشير اليهما بالرمز والاختصار .
- أحدهما - في بيان سر التمثيل ومنهاجه ، ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الأمثلة ، ووجه كيفية المناسبة بينها ، وكيفية الموازنة بين عالم الشهادة التي منها تتخذ طينة الأمثال ، وعالم الملكوت الذي منه تستنزل أرواح المعاني .
- والثاني - في طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها .
- وقال في كلامه في القطب الأول (ص ٦٩) : " علم التعبير يعرفك منهاج ضرب المشال ، لأن الرويا جزء من النبوة ، أما ترى أن الشمس في الرويا تعبيرها السلطان . . . " .
- ويذكر (ص ٦٩ - ٧٠) ألفاظاً من الآيات الواردة في قصة موسى عليه السلام ، مبيناً المعاني التي تشير اليها هذه الألفاظ ، فيذكر " الطور " و " الوادي " و " الوادي الأيمن " و " شاطئ الوادي الأيمن " و " النار " و " الخبر " و " الجذوة والقبس والشهاب " و " الاصطلاء " و " الوادي المقدس " و " خلق النعلين " .
- ومن ذلك قوله (ص ٧٠) : " وان كان المتلقنون من الأنبياء بعضهم على محض التقليد لما سمعه ، وبعضهم على حظ من البصيرة ، فمثال حظ العقلد الخير ، ومثال حظ المستبصر الجذوة والقبس والشهاب ، فان صاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الأحوال ، ومثال تلك المشاركة الاصطلاء ، وانما يصطلي بالنار من معه النار ، لا من يسمع خبرها " .
- وقال في كلامه في القطب الثاني - مراتب الأرواح البشرية النورانية (ص ٧٧) : " الخامس - الروح القدس النبوي الذي يختص به الأنبياء وبعض الأولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة . . . واليه الإشارة بقوله تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به) الآية .
- وقال (ص ٨١) : " وأما الخامس - وهو الروح القدس النبوي المنسوب الى الأولياء اذا كان في / =

ولهذا تبين له في آخر عمره أن طريق الصوفية لا تحصل مقصوده ،
فطلب الهدى من طريق الاشارة النبوية ^(١) ، وأخذ يشتغل بالبخارى ومسلم ،
ومات في أثناء ذلك على أحسن أحواله ^(٢) ، وكان كارها ما وقع في كتبه من نحو
هذه الأمور : مما أنكره الناس عليه ، حتى قال المازري وغيره ما معناه : " أن
كلامه يؤثر في الايمان بالنبوة ، فينقص قدرها " أو نحو هذا .

وكذلك ما ذكره من أن النبوة انفتاح قوة أخرى فوق العقل ؛ ولا ريب ^(٤)
أن هذا ما يكون للنبي ، وليست النبوة قوة تدرك بها الأمور ، وإنما يشبهه ^(٥)
هذا أصول الفلاسفة ، الذين يزعمون أن الفيض دائم من العقل الفعال ، وإنما
يحصل في القلوب بسبب استعداد ^(٦) الأشخاص ؛ فأى عبد كان استعداده أتم
كان الفيض عليه أتم ، من غير أن يكون من الملأ الأعلى سبب يخص شخصا
دون شخص بالخطاب والتكليم .

وليس هذا مذهب المسلمين ، بل ولا اليهود ولا النصارى ، بل هو لاء
كلهم - الا من أُلحد منهم - متفقون على أن الله سبحانه خص موسى بالتكليم ،
دون هارون وغيره ، وأنه يخص بالنبوة من يشاء من عباده ، لا أنه بمجرد
استعداده تفيض عليه العلوم من غير تخصيص الهي ^(٨) .

/ = غاية الصفاء والشرف فيالحرى أن يعبر عن الصافي البالغ الاستعداد ، بأنه يكاد زيته يضيء
ولولم تمسه نار ، ان من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الأنبياء
وفي الأنبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة " .

(١) خ : الأثارة . وفي هامش (س) : مطلب في الشناء على الفزالي .
(٢) نقل السبكي في طبقات الشافعية الكبرى كلاما طويلا لعبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٩) في الفزالي
ومنه قوله (٢١٠ / ٦) : " وكانت خاتمة أمره اقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين : البخارى ومسلم " . وانظر الطبقات ٦ / ٢١٥ .

(٣) ط : وهذا ما .

(٤) خ ، س فلا .

(٥) خ ، س : يدرك .

(٦) ط : يحصل من .

(٧) خ ، س : الفعال ، وإنما ذلك بحسب استعداد .

(٨) تفيض : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى يفيض . وأمام هذا في هامش (خ) : بلغ مقابلة .

وهنا صار الناس ثلاثة أصناف :

صنف يقولون : ليست النبوة الا مجرد انباء^(١) الله^(٢) للعبيد ، وهو
تعلق كلامه به ؛ كما يقولون : ان الأحكام الشرعية ليست الا مجرد خطاب
الله^(٢) المتعلق بأفعال المكلفين ، من غير أن يكون للفعل في نفسه صفة اقتضت
تخصيصه بالحكم^(٣) ؛ وكذلك يقول هو^(٤) : ليس للنبي في نفسه صفة اقتضت
تخصيصه بالنبوة . وهذا يقوله طوائف من متكلمة أهل الاثبات^(٥) القدريين ،
أصحاب جهنم وأبي الحسن وغيرهما^(٥) ، الذين يخالفون المعتزلة والفلاسفة فيما
يقولونه في فعل الرب وحكمه^(٦) .

ان المتفلسفة يقولون بالطبع والعلة الموجبة^(٧) ، والمعتزلة يقولون
بالاختيار المتضمن لشريعة عقلية ألزموه بها في التعديل والتجويز ونحو ذلك^(٨) ،
والمنتسبون إلى السنة والجماعة من الكلابية والأشعرية والكرامية ، وسائر
المنتسبين إلى السنة والجماعة - يردون عليهم الأصول التي فارقوا بها أهل
السنة والجماعة^(٩) من التكذيب بالقدر^(١٠) ، والصفات ، وتخليد أهل الكبائر ؛ كما
يردون على المتفلسفة ما فارقوا به المسلمين^(٩) .

(١) ط : ايتاء .

(٢) س ، ك : الله تعالى .

(٣) ط : بالحكمة .

(٤) خ ، س : قول .

(٥-٥) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

وابن تيمية يقسم القدرية إلى أربعة أصناف ، ويذكر القائلين بالجبر مثل الجهنم وأبي الحسن
الأشعري صنفا منها ، انظر المجلد الأول من الفهارس العامة لمجموع فتاوى ابن تيمية (ط .

الرياضي) ، ص ١٤٧ ، ١٥١ .

(٦) ط : وحكمته .

(٧) ط : المرجئة .

(٨) والتجويز : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : والتجويز .

(٩-٩) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(١٠) ط ، ك : والجماعة بالتكذيب من القدر . ولعل الصواب ما أثبتته .

لكن لهؤلاء في مسائل الحكمة والمصالح ، وتعليل الأفعال والأحكام ، وهل للأفعال صفات يدرك بها حسنها وقبحها - نزاع ليس هذا موضع تفصيله ، وإنما نذكره مجملا .

ومعلوم أن الانباء والارسال من باب كلام الله / تعالى ، وكذلك الأمر والنهي هو من باب-كلام^(٢) الله تعالى ، والأمر متعلق بالفعل ، والارسال والانباء متعلق بالرسول والنبى .

وللناس في هذا وهذا^(٣) ثلاثة أقوال :

أحدها - أنه ليس ذلك الا مجرد كلام الله المتعلق بذلك ، أو تعلق الخطاب بذلك ، وهو من الصفات النسبية الاضافية عندهم ؛ قالوا لأنه ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية ، وهذا قول هؤلاء^(٥) .

والقول الثاني - أن ذلك يعود الى صفة قائمة بالنبى بالفعل .

والقول الثالث - أن ذلك يتضمن الأمرين ؛ فالحكم الشرعي يتضمن خطاب الشارع وصفة قائمة بالفعل ، والنبوة تتضمن خطاب الرب وتتضمن صفة قائمة بالنبى أيضا ، وهذا معنى قول السلف والأئمة وجمهور المسلمين^(٦) .

[والثاني قول من يقول ذلك من الفلاسفة والمعتزلة ، لكن المعتزلة يعود عندهم^(٨) حسن الفعل وقبحه الى صفة فيه توجب الحمد والذم ، وخطاب الشارع كاشف لها ، لا مثبت لها . والمتفلسفة عندهم يعود ذلك الى صفة نسي

(١) ط : ومعلوم أن الله هو الذى أرسل الرسل ونبأهم والرسول مبلغ للكلام الله .

(٢) كلام : ساقطة من (ط) .

(٣) وهذا : ليست في (س) .

(٤) خ ، س : أن .

(٥) خ ، س : الاضافية ان ليس لمتعلق .

(٦ - ٦) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٧) ط ، ك : خطاب الرب لتضمن ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٨) ط ، ك : وجمهور المسلمين والفلاسفة والمعتزلة أيضا يثبتون أيضا صفة (كذا في ك) ، وفي (ط) :

صفة قائمة (حسن الفعل وقبحه . ، خ ، س : الى صفة قائمة بالنبى بالفعل ، وهذا قول من

يقول ذلك من الفلاسفة والمعتزلة . . . الخ . ولعلي مصيب فيما أثبت .

الفعل توجب كمال النفس أو نقصها^(١) ؛ ولذلك^(٢) يقولون : ان النبوة هي كمال
للنفس^(٣) الناطقة ، تستعد به لأن تفيض عليها المعارف من العقل الفعال ،
من غير أن يكون هناك خطاب حقيقي لله تعالى ، ولكن كلام الله سبحانه
عندهم هو ما يحدث في نفس النبي من أصوات ، يسمعها في نفسه ، لا خارجا
عن نفسه ؛^(٤) والملائكة عبارة عن أشكال^(٥) نورانية ، يراها تكون في نفسه
لا خارجا عن نفسه^(٦) ، كما يرى النائم في منامه صورا يخاطبها وكلاما يسمعه
وذلك في نفسه . ولهذا جعل أبو حامد هذا طريقا لهم الى اثبات النبوة ،
كما سلك ابن سينا وغيره^(٦) .

ولاريب أن كل ما يقربه مقر من الحق فان أهل الايمان يقرون به ،
لكن يعلمون أشياء فوق ذلك لا يعلمها أهل الباطل ، فما علمته المتفلسفة من
هذه الأمور لا ينكرها أهل الايمان ، لكن ينكرون عليهم اقتصارهم في التصديق
عليها .

وقد بسطت الكلام على هذا^(٧) في "جواب المسألة الخراسانية" ، التي
سئلت فيها عما يتعلق بالقرآن العظيم^(٨) ، وكلام الله سبحانه وتعالى^(٩) ؛
وذكرت مراتب تكليم الله تعالى لخلقه ، وأنها درجات ، وأن المتفلسفة
أقروا ببعض الدرجات دون بعض . بل لعلهم لم يتجاوزوا أدنى الدرجات وهي
درجة الالهام وما يناسبه ، وما أعطوا هذه الدرجة حقها .^(١٠)

(١) س : ونقصها .

(٢) ط : وكذلك .

(٣) ط : النفس .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (س) .

(٥) أشكال : كذا في (خ) ، وفي (ط ، ك) : أشغال .

(٦-٦) ما بينهما ساقط من (خ ، س) ، وهو في (ك) ، وفي (ط) : طريقا لهم كما سلك مثل ذلك ابن
سينا وغيره .

(٧) س ، ك : على هذه المسألة . وفي هامش (ن) : مطلب ، بسط الكلام على هذه المسألة في جواب
المسألة الخراسانية .

(٨) العظيم : ليست في (ط ، خ) .

(٩) ط : بالقران من كلام .

(١٠) جميع النسخ : درجات . ولعل الصواب ما أثبتته .

وأما المعتزلة فهم خير منهم^(١)، فانهم يقولون بأن الله تعالى كلاما منفصلا خارجا عن نفس الرسول، كما أن له ملائكة منفصلين، عن نفس الرسول، وليست هي العقول والنفوس التي تزعمها المتفلسفة والقرامطة، بل يقولون بما أخبر به القرآن من أصناف الملائكة وأوصافهم، لكنهم مع هذا لا يقولون بأن لله كلاما قائما به، فحقيقته^(٢) مذهبهم أن الله سبحانه لا يتكلم، وإنما^(٣) يخلق كلاما^(٥) في غيره.

ص ١١٠

ولما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون: ان الله تعالى لا يتكلم، أو يتكلم مجازا. لكن المعتزلة امتنعت من هذا الاطلاق؛ وقالوا: انه متكلم، أو يتكلم حقيقة^(٦). لكنهم فسروا ذلك بأنه خلق كلاما في غيره، فلم ينازعوا قدما الجهمية في حقيقة المذهب، وإنما نازعوه في اللفظ. والسلف والأئمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم عرفوا أن هذا كفر، وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة، وأنه يمتنع أن يكون متكلماً^(٧) بكلام لا يقوم به، بل بغيره؛ كما يمتنع أن يكون عالما بعلم لا يقوم به، بل بغيره؛ وأن يكون قادرا بقدرة لا تقوم به، بل بغيره. وأنه لو كان كذلك لكان ما يخلقه من الكلام في مخلوقاته كلاما له، وقد قال تعالى: (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء^(٨))؛ وقال عز وجل: (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)^(٩). بل قد ثبت أن الله خالق كل شيء؛ فيجب أن يكون - على قولهم - كل كلام في الوجود كلامه.

(١) في هامش (ط) كلمة قول، وفي هامش (س): مطلب، ترجيح المعتزلة على الفلاسفة.

(٢) خ، س: يزعمها، ط: تدعيها.

(٣) خ، س: وحقيقة.

(٤) ك: إنما.

(٥) س، ك: كلامه.

(٦) خ، س: أو متكلم.

(٧) س، ك: متكلم.

(٨) سورة فصلت: ٢١.

(٩) سورة يس: ٦٥.

(١٠) على قولهم: في (ك) فقط.

وقد أفصح بذلك الاتحادية ، الذين يقولون : الوجود واحد . كابن عربي صاحب " الفصوص " ونحوه ، وقالوا :^(١)

وكل كلام في الوجود كلامه . : . سواء علينا نشره ونظامه^(٢)

ومذهبهم منتهى مذهب الجهمية ، وهو في الحقيقة تعطيل الخالق .

والقول بأن هذا الوجود هو الوجود الواجب ، كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة ؛ فان قول هؤلاء هو قول أولئك ، وهو قول فرعون الذى أظهره ، لكن فرعون وغيره من الدهرية لا يقولون : هذا الوجود هو الله . وهوؤلاء^(٣) بجهلهم يقولون : ان الوجود هو الله .

وقد أضلوا طوائف من الشيوخ^(٤) الذين لهم عبادة وزهادة ، حتى انه كان ببيت المقدس رجل من أعبد الناس وأزهدهم ، وكان طول ليله يقول : الوجود واحد ، وهو الله ؛ ولا أرى الواحد ، ولا أرى الله .

وهؤلاء^(٥) سلكوا في كثير من أصولهم ما ذكره أبو حامد ، وبنوا على ما في كتابه " المضمون به " وغيره من أصول الفلاسفة المكسوة بعبارة الصوفية ، فالأمور التي أنكرها عليه علماء المسلمين ما عليها هؤلاء^(٦) ، حتى جعل ابن سبعين الناس خمس طبقات ، أدناها الفقيه ، ثم المتكلم الأشعري ،

(١) ط، خ : صاحب " فصوص الحكم " .

(٢) تقدم هذا البيت ، ص ٢٦٤ والاشارة الى وجود نحوه في كتاب " الفتوحات المكية " لابن عربي ١٤١/٤ .

(٣) ط : لجهلهم .

(٤) في هامش (س) : مطلب قد ضل طوائف من الشيوخ .

(٥) خ ، س : هؤلاء .

(٦) ط : ما ذكره أبو حامد وغيره في المضمون به . وفي هامش (س) كتب : على غير أهله .

(٧) ط ، ك : عبادة .

(٨) ط : ما هؤلاء عليها ، خ ، س : ما هؤلاء عليها .

ثم الفيلسوف ، ثم الصوفي ، ثم الخامس هو المحقق (١).

وهو^(٢) لا يجعلون ما أشار اليه أبو حامد من الكشف هو ما حصل لهم ،
وأنه لتقيده^(٣) بالشريعة لم يصل الى القول بوحدة الوجود ، وهم ينتقصونه
بما يحمده عليه المسلمون من الأقوال التي اعتصم فيها بالكتاب والسنة ،
[بل^(٣)] وبالأقوال^(٤) التي يعلم صحتها بصريح العقل ، ويرون أن ذلك هو
الذي حجه عن أن يشهد حقيقتهم^(٥) التي / هي وحدة الوجود ، وإنما طمعوا
فيه هذا الطمع لما وجدوه في الكلام المضاف اليه ما يوافق أصول الجهمية المتفلسفة^(٦)
ونحوهم .

(١) تقوم فكرة كتاب " بد العارف " لابن سبعين ، على تقسيم الناس الى خمس مراتب : الفقيه ، والمتكلم
الأشعري ، والفيلسوف ، والصوفي ، والمحقق المقرب ، وبيان مذاهب المراتب الخمس - كما يقول ابن
سبعين في مقدمة الكتاب ، ص ٣٠ - في " الحد ، والألفاظ الدائرة بين الطلبة ، والمطالب
الأصلية ، والمعاني المنطقية ، ومعرفة العلم والمعلوم ، والعقل والعالم والنفس " .
وقد تكلم عن حقيقة العلم بكلام تضمن شطحات غير واضحة المعنى ، من ذلك قوله (ص ٩٣) : "والذي
أقوله : ان من لم يعرف نفسه فحقيق عليه أن لا يعرف غيره ، وحقيقة العلم تتبين عند معرفة العقل
والنفس وماهيتها ، والوجود المطلق والمعقيد ، . . . والوقوف عند خبرين لا غير وهما يقام ويقعد ،
والحلول على رتبتين وهما له وبه ، والحركة في موضعين هما عنده واليه ، والوقار مع كلمتين وهما
كن وان هب ، والاتقدا^٤ برجلين وهما صاحب الوسيلة وبقائل : (بلن ولكن ليظمن قلبي) ،
والحضور مع ذاتين وهما ذاتي وذاته ، ويفرض فرضين وهما لا انية لي وهو هو ، . . . ويسافر
الى بلدين : أحدهما يسمى يشرب النهاية ، والأخرى تسمى بالرفيق الأعلى وما هو اليه ، وحينئذ
تفرض الخطوط ، ويبدأ بذكر معاني العلم وما هو وحقيقته ، ويدخل في عباد الله الصالحين ،
وتظهر أشياء لا من جنس ما يكتسب ويزهد " .
ثم يقول (ص ٩٤ - ٩٥) : " . . . أردت بذلك أن ننبهك على تخليط العلماء وغلظهم وسفسطهم
ومغالطتهم . . . وتفضيل المحقق وبره بحقه . . . ونذكر لك مذهب الفقهاء والأشعرية والفلاسفة
وأهل الحق والمقربين . . . ونبرز أنموذجاً يشوقك ويشير عليك وينبهك حتى يحملك إليك ، وبك
تصعد الى الملأ الأعلى ، وتسجد في مقعد الصدق ، وتحفظ وتلبس ثوب البقاء بحضرة الحق ،
وتعود لابل ولا لك ، وكأنك أنت ، وأنت العدم ، وكأنك هو وهو الوجود . . . وتصعق مع
السادة الخاطبون والجامعون ، وتقرأ عند ماتفيق : الحمد لله الذي أماتنا وأحيانا وأنا اليه
راجعون " .

(٢) طه : لتقيده .

(٣) بل : ساقطة من (س ، ك) .

(٤) طه : والأقوال .

(٥) طه : تحقيقتهم .

(٦) لما : كذا في (ك) ، وفي (ط ، خ ، س) : بما .

(١) والمقصود هنا أن المعتزلة خير من المتفلسفة ، حيث يثبتون لله ،
كلاما منفصلا ، ويقولون : ان الرسالة والنبوة تتضمن نزول كلام لله ^(٢) ، منفصل
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ينزل عليه ^(٣) ، كما يقول ذلك سائر المسلمين .
ثم قد يقول من يقول من المعتزلة : ان النبوة جزء على عمل متقدم ، وان النبي
لما قام بواجبات عقلية ، أكرمه الله عليها بالنبوة ، مع كون النبي متميزا
بصفات خصه الله بها ^(٤) .

وهذا القول موافق في الجملة لقول أكثر الناس ؛ وهو أن النبوة
والرسالة تتضمن كلام الله ^(٥) ، الذي ينزل على رسوله ونبيه ؛ وأنه مع ذلك
مختص بصفات اختصه الله بها ^(٦) ، دون غيره ^(٧) ؛ وأنه لا يكون النبي والرسول
كسائر الناس في العقل والخلق وغير ذلك ، بل هو متميز عن الناس بذلك ،
والنبوة فضل الله يؤتيه من يشاء ، لكن مع ذلك ، الله أعلم حيث يجعل
رسالاته ^(٨) .

وما ذكره أبو حامد ، فيه من تقرير النبوة في الجملة ، على الأصول التي
يسلمها المتفلسفة ويعرفونها ؛ ما ينتفع به من كان متفلسفا محضا ، فإن
ذلك يوجب [له ^(٩)] أن يدخل في الاسلام نوع دخول ؛ وكلام أبي حامد في
هذا ونحوه يصلح أن يكون برزخا بين المتفلسفة وبين أهل الملل من المسلمين
واليهود والنصارى ، فالمتفلسفة تنتفع به حيث يصير عندهم من الايمان والعلم
مالا يحصل لهم بمجرد الفلسفة .

- (١) س ، ك : لله تعالى .
(٢) كلام لله ؛ كذا في (خ) ، وفي (س ، ك) : كلام الله تعالى ، وفي (ط) : كلام الله نزل به ملك .
(٣-٣) ما بينهما ساقط من (ط) .
(٤) س ، ك : الله تعالى . في المواضع الثلاثة .
(٥) لقول : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : قول .
(٦) ط : في أن .
(٧) س ، ك : الله سبحانه .
(٨) ط ، خ : ينزله .
(٩) س ، ك : الله تعالى .
(١٠) كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : دون غيره من الأنبياء .
(١١) رسالته : كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : رسالاته .
(١٢) له : زيادة في (ط) فقط .

(١) وأما من كان مسلماً يريد أن يستكمل العلم والايان ، فان ذلك يضره من وجه ، ويرده عن كثير من كمال الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وان كان ينفعه من حيث يحول بينه وبين الفلسفة المحضة . الا أن يكون حسن الظن بالفلسفة دون أصول الاسلام ، فانه يخرج به الى الالحاد المحض ، كما أصاب ابن عربي الطائي وابن سميعين وأمثالهما .

وقد أخبر هو بما حصل له من السفطة ، وأنه انحصرت فرق الطالبين عنده في أربع فرق : المتكلمين ، والباطنية ، والفلاسفة ، والصوفية .
ومعلوم أن هذه الفرق كلها حادثة بعد عصر الصحابة ، بل وبعد عصر التابعين ، بل انما ظهرت وانتشرت بعد القرون الثلاثة : الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم .

ثم الفلاسفة والباطنية هم كفار، كفرهم ظاهر عند المسلمين، كما ذكر هو وغيره ، وكفرهم ظاهر عند أقل من له علم وايمان من المسلمين ، اذا عرفوا حقيقة قولهم . لكن لا يعرف كفرهم من لم يعرف حقيقة قولهم ، وقد يكون قد تشبث ببعض أقوالهم من لم يعلم أنه كفر، فيكون / معذورا لجهله .

نقد الغزالي في
حصره الفرق
في أربع

ص ١١٢

(١) خ ، س : فانه يضره ذلك .

(٢) خ ، س : المتكلمون .

(٣) قال الغزالي عن الفلاسفة في خاتمة كتاب " تهافت الفلاسفة " ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ : " تكفيرهم لا بد منه في ثلاث مسائل :

احداها - مسألة قدم العالم .

والثانية - قولهم : ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص .

والثالثة - انكارهم بعث الأجساد وحشرها " .

وذكر ذلك أيضا في كتاب " المنقذ من الضلال " ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

وقال الغزالي عن مذهب الباطنية في كتاب " فرائح الباطنية " ، ص ٣٧ : " أما الجملة ، فهو أنه مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض " .

وانظر أيضا ، ص ١٤٦ " الباب الثامن في الكشف عن فتوى الشرع في حقهم من التكفير وسفك الدم " .

(٤) ط : من لا .

(٥) ط : يعرف .

لكن المتكلمة والصوفية فيهم ممن له علم وإيمان طوائف كثيرون ، بل في من يعد من الصوفية - مثل الفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، وإبراهيم بن أدهم ، ومعمرف الكرخي ، وأمثالهم - من هو من خيار المسلمين وساداتهم عند المسلمين ؛ وفي عصرهم حدث اسم "الصوفية" ، وظهر الكلام أيضاً .^(١)

وكلام السلف والأئمة في ذم البدع الكلامية في العلم ، والبدع المحدثه في
فضيل الصحابة وذم ما أحدث من الكلام والزهد والعبادة ، مشهور كثير مستفيض .
والزهد

ولم يتنازع أهل العلم والإيمان فيما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من

قوله: (خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .^(٢)

(١) كذا في (ط) ، وفي (خ ، س) ولكن المتكلمون والصوفية ممن ، وفي (ك) : ولكن في المتكلمين والصوفية ممن .
(٢) هو أبو سليمان عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العنسي الداراني ، أحد أئمة العلماء العالمين الزاهدين ، أصله من واسط ، سكن داريا : قرية من قرى دمشق وتوفي فيها سنة ٢٠٥ أو ٢١٥ .
انظر : طبقات الصوفية ، ص ٧٥-٨٢ ؛ تاريخ بغداد ١٠/٢٤٨-٢٥٠ ؛ وفيات الأعيان ٣/١٣١
: البداية والنهاية ١٠/٢٥٥-٢٥٩ ؛ الأعلام ٣/٢٩٣-٢٩٤ .

(٣) هو أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد التميمي ، أحد مشاهير العباد الزهاد ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ، وتوفي سنة ١٦٢ .

انظر : طبقات الصوفية ، ص ٢٧-٣٨ ؛ تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٦٧-١٩٦ ؛ البداية والنهاية ١٠/١٣٥-١٤٥ ؛ الأعلام ١/٣١ .

(٤) هو أبو محفوظ معمرف بن فيروز ، وقيل : معمرف بن الفيرزان الكرخي ، نسبته إلى كرخ ببغداد ، حيث ولد ، نشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠ أو ٢٠٤ ، وهو أحد المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا .

انظر : طبقات الصوفية ، ص ٨٣-٩٠ ؛ تاريخ بغداد ١٣/١٩٩-٢٠٩ ؛ طبقات الحنابلة ١/٣٨١-٣٨٩ ؛ وفيات الأعيان ٥/٢٣١-٢٣٣ ؛ الأعلام ٧/٢٦٩ ؛ تاريخ التراث العربي ١/١٠٨-١٠٩ .

(٥) أيضا : ساقطة من (خ ، س) .

(٦) س ، ك : الله تعالى .

(٧) ورد بهذا المعنى عدد من الأحاديث ، منها حديث عمران بن حصين ، في صحيح البخاري ٥/

٢٥٨-٢٥٩ رقم ٢٦٥١ كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جورا إذا أشهد ، وكرر بالأرقام ٣٦٥٠ ، ٦٤٢٨ ، ٦٦٩٥ ؛ وصحيح مسلم ٤/١٩٦٤-١٩٦٥ رقم ٢٥٣٥ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ؛ ومسند أحمد (ط . الحلبي) ٤/٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ . وهو في سنن أبي داود والترمذي أيضا .

وحديث عبدالله بن مسعود ، في صحيح البخاري ٥/٢٥٩ رقم ٢٦٥٢ ، وكرر بالأرقام ٣٦٥١ ، ٦٤٢٩ ، ٦٦٥٨ ، ١٩٦٢/٤-١٩٦٣ رقم ٤٥٣٣ ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ٥/٢٠٩ رقم ٣٥٩٤ ، وكرر بالأرقام ٣٩٦٣ ، ٤١٣٠ ، ٤١٧٣ ، ٤٢١٧ ، وهو في سنن الترمذي وابن ماجه .

وحديث أبي هريرة ، في صحيح مسلم ٤/١٩٦٣-١٩٦٤ رقم ٢٥٣٤ ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) =/

١٢/٩٠ رقم ٧١٢٣ .

وكل من له لسان صدق ، من مشهور بعلم أو دين ؛ معترف بأن خير هذه الأمة
هم الصحابة ، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم ؛ ولم يكن في زمتهم^(٣)
أحد من هذه الصنف الأربعة .

ولا تجد اماما في العلم والدين - كالك ، والأوزاعي ، والثوري ، وأبي حنيفة ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ؛ ومثل الفضيل ، وأبي سليمان ،
ومعروف الكرخي ، وأمثالهم - الا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا^(٤) فيه مقتديين
بعلم الصحابة ، وأفضل علمهم ما كانوا^(٤) فيه مقتديين بعمل الصحابة ، وهم يسرون أن
الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب .

والذين اتبعوهم من أهل الأئمة النبوية ؛ وهم أهل الحديث والسنة ، العالمون
بطريقهم ، المتبعون لها ؛ وهم أهل العلم بالكتاب والسنة في كل عصر ومصر ، فهؤلاء
الذين هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين لم يذكرهم أبو حامد .
وذلك لأن هؤلاء لا يعرف طريقهم الا من كان خيرا بعماني القرآن ، خيرا
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيرا بآثار الصحابة ، فقيها في ذلك ، عاملا
بذلك ؛ وهؤلاء هم أفضل الخلق من المنتسبين الى العلم والعبادة .

وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء ، ولا تلقى عن هذه
الطريقة ، ولا كان خيرا بطريقة الصحابة والتابعين ، بل كان يقول عن نفسه :

= / وحد يث عائشة ، في صحيح مسلم / ٩٦٥ / ٤ رقم ٢٥٣٦ ؛ وسند أحمد (ط . الحلبي) ١٥٦ / ٦ .
وحد يث النعمان بن بشير ، في سند أحمد (ط . الحلبي) ٢٢٧٦ ، ٢٢٧٧ ، ٢٢٧٨ .
وحد يث بريدة في سند أحمد (ط . الحلبي) ٣٥٠ / ٥ ، ٣٥٢ .
وقد تنوعت صيغ الخيرية في هذه الأحاديث ، وأقربها الى ما ذكره ابن تيمية احدى روايات مسلم
لحد يث عمران ، وهي (خير هذه الأمة القرن الذين بعثت فيهم) ، ورواية مسلم وأحمد لحد يث
أبي هريرة (خير امتي القرن الذين بعثت فيهم) .
وقد قال عمران في حديثه : " فلا أدري أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة " ،
ووقع مثل هذا الشك أيضا في احدى روايات مسلم لحد يث ابن مسعود ، ورواية مسلم وأحمد لحد يث
أبي هريرة ، ورواية أحمد لحد يث بريدة .

- (١) ط : بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . وكل من له في الأمة .
- (٢) لهم : ساقطة من (س) .
- (٣) كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : زمانهم .
- (٤) خ ، س : أن يكونوا . في الموضوعين . (٥) س : مهتدين .
- (٦) من : ساقطة من (ط) .
- (٧) ط ، ك : الآثار . وفي هامش (س) : مطلب ، لم يذكر أبو حامد مع الفرق الأربع من هو أفضل منهم
وهم أتباع الكتاب والسنة .
- (٨) خ ، س : وذلك .
- (٩) س ، ك : الله تعالى .

أنا مزجى البضاعة في الحديث^(١). ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة،
والحكايات الموضوعة، مالا يعتمد عليه من له علم بالآثار؛ ولكن نفعه اللس^(٢)
بما وجد في كتب الصوفية والفقهاء من ذلك؛ مما^(٥) وجد في كتب أبي طالب،
ورسالة القشيري وغير ذلك؛ ومما^(٥) وجد في كتب أصحاب الشافعي ونحو ذلك؛
فخيار ما يأتي به ما يأخذه من هو^(٥) وهو^(٥).

ومعلوم أن^(٨) طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء؛ أكل من طريقة أبي
القاسم القشيري، ومن طريقة أبي طالب والحارث، ومن طريقة / أبي المعالي
وأمثاله. وأولئك الأئمة كانوا أعلم بطريقة الصحابة، واتبع لها، من أتباعهم،
فالقاضي أبو بكر الباقلاني وأمثاله أعلم بالأصول والسنة، واتبع لها، من أبي
المعالي وأمثاله؛ والأشعري، والقلانسي، ونحوهما، أعلى طبقة في ذلك من
القاضي أبي بكر؛ وعبد الله بن سعيد بن كلاب، والحارث المعالي، أعلى طبقة
في ذلك من هو^(٥)؛ ومالك، والأوزاعي، وحماد بن زيد، والليث بن سعد،
وأمثالهم، أعلى طبقة من هو^(٥)؛ والتابعون أعلى من هو^(٥)، والصحابة أعلى
من التابعين.

ص ١١٣

- (١) قال الغزالي في آخر رسالة " قانون التأويل " ، ص ١٦ (ط . الأولى ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) :
"بضاعتي في علم الحديث مزجاة".
(٢) ولكن : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : ولكنه .
(٣) من ، ك : الله تعالى .
(٤-٤) ما بينهما ساقط من (ط) .
(٥) ك : وما . في الموضوعين .
(٦) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الطك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري ،
الشافعي الأشعري الصوفي ، ولد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة ٤٦٥ بنيسابور .
وقد طبعت الرسالة القشيرية بتحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود والدكتور محمود بن الشريف ،
نشرت في الكتب الحديثة ، القاهرة ، وعلق ابن تيمية على مواضع من الرسالة في كتابه الاستقامة .
انظر عن القشيري ومصنفاته : تاريخ بغداد ٨٣/١١ ؛ تبين كذب المغتري ، ص ٢٧١-٢٧٦ ؛
العبر ٢٥٩/٣ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ١٥٣/٥-١٦٢ ؛ البداية والنهاية ١٠٧/١٢ ؛
شذرات الذهب ٣١٩/٣-٣٢٢ ؛ الأعلام ٥٧/٤ .
(٧) أصحاب : ساقطة من (س) .
(٨) خ ، س : ومعلوم من أن .

وكذلك أبو طالب المكي يأخذ عن شيخه ابن سالم^(١)، وابن سالم يأخذ^(٢)
عن سهل بن عبد الله التستري^(٣)؛ وسهل أعلى درجة عند الناس من أبي طالب؛
ثم الفضيل^(٤)، وأبو سليمان، وأماليهما، أعلى درجة من سهل وأماليهما^(٥)؛ وأيوب
السختياني^(٦)، وعبد الله بن عون^(٧)، ويونس بن عبيد^(٨)، وغيرهم من أصحاب الحسن^(٩)،
أعلى طبقة من هؤلاء^(١٠)؛ وأويس القرني^(١٠)، وعامر بن عبد قيس^(١١)،

(١) أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري، شيخ السالمية، توفي سنة ٣٥٦ على ما ذكره
ابن الأثير في الكامل ٥٨٢/٨، وقال عنه الذهبي في العبر ٣٢٠/٢: "وهو آخر أصحاب
سهل التستري وفاة؛ وقد خالف أصول السنة في مواضع، وبالغ في الاثبات في مواضع،
وعمر دهرًا، وبقى إلى سنة بضع وخمسين".

- (٢) ط: أخذ .
(٣) ط: القشيري، وهو خطأ .
(٤) ك: الفضل، وهو خطأ .
(٥) ط: من أبي طالب وأماليه .
(٦) الامام الحافظ أبو بكر أيوب بن أبي تيمية كيسان السختياني البصري، من الموالي، كان ثقة
ثبتًا كثير العلم، مات بالبصرة سنة ١٣١، وله ٦٣ سنة .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤٦/٧ - ٢٥١؛ تذكرة الحفاظ ١/١٣٠-١٣٢؛ تهذيب
التهذيب ١/٣٩٧-٣٩٩؛ الأعلام ٢/٣٨ .
(٧) هو الحافظ الثقة أبو عون عبد الله بن عون بن أربطبان المزني مولاهم البصري كان امامًا في معرفة
السنة، ورعا، مات سنة ١٥١ .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦١/٧؛ الجرح والتعديل ٥/١٣٠-١٣١؛ تذكرة
الحفاظ ١/١٥٦-١٥٧؛ الأعلام ٤/١١١ .
(٨) هو الامام الحجة أبو عبد الله - أو أبو عبيد - يونس بن عبيد بن دينار العبدي (مولى لعبد
القيس) البصري، من العباد وحفاظ الحديث الثقات، توفي سنة ١٣٩ أو ١٤٠ .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٠/٧؛ الجرح والتعديل ٩/٢٤٢؛ تذكرة الحفاظ
١/١٤٥-١٤٦؛ تهذيب التهذيب ١/٤٤٢-٤٤٥؛ الأعلام ٨/٢٦٢؛ تاريخ السراة
العربي ١/١/١٦١ .
(٩) ط: أصحاب أبي الحسن، وهو خطأ، والمقصود أصحاب الحسن البصري .
(١٠) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، أحد النساك العباد، أصله من اليمن، أدرك حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع
علي، والراجح أنه قتل فيها .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦١/٦ - ١٦٥؛ لسان الميزان ١/٤٧١-٤٧٥؛ الأعلام ٢/٣٢٢ .
(١١) أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، عامر بن عبد الله بن عبد قيس، من بني العنبر، تابعي، اشتهر
بالنسك، سكن البصرة، ومات ببیت المقدس في خلافة معاوية .
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٣/٧ - ١١٢؛ تهذيب التهذيب ٥/٧٧؛ الأعلام
٣/٢٥٢-٢٥٣ .

وأبو مسلم الخولاني^(١)، وأمثالهم، أعلى طبقة من هؤلاء^(٢)؛ وأبو ذر الغفاري،
وسلمان الفارسي، وأبو الدرداء^(٣)، وأمثالهم، أعلى طبقة من هؤلاء^(٤).
ومعلوم أن كل من سلك إلى الله جل وعز^(٥) علما وعملا بطريق ليست مشروعة،
موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها - فلا بد أن يقع فسي
بدعة قولية أو عملية؛ فإن السائر إذا سار على غير الطريق المهيَّج فلا بد
أن يسلك بِنِيَّاتِ الطريق^(٦)، وإن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهدا
فيه مخطئا مفعورا له خطأ، وقد يكون ذنبا^(٧)، وقد يكون فسقا، وقد يكون كفرا.
بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل؛ فإنها أقوم الطرق، ليس
فيها عوج؛ كما قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم^(٨)). وقال
عبد الله بن مسعود: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ، وخط خطوطا عن
يمينه وشماله، ثم قال: (هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه)؛ ثم قرأ: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله^(٩)). وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا

(١) أبو مسلم عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني، من خولان باليمن، تابعي فقيه زاهد، أسلم
قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، ورحل إلى
الشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٠ أو ٦٢، ذكر أنه ألقاه الأسود العنسي في النار فلم تضره.
انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٨/٧؛ تذكرة الحفاظ ٤٩/١؛ البداية والنهاية
١٤٦/٨؛ تهذيب التهذيب ٢٣٥/١٢-٢٣٦؛ الأعلام ٧٥/٤.

(٢) ط: من هؤلاء؛ فالتابعون.

(٣) جل وعز: ليست في (ط، خ).

(٤) ك: بينات الطريق؛ وفي هامش (س): في نسخة ثنيات الطريق، الثنية: العقبة أو طريقها،
أو الجبل أو الطريقة فيه، قاموس. أ. هـ.

قلت: في "لسان العرب" مادة "هيج": "طريق مهيج: واضح واسع بين" وفي مادة "بني":
"بنيات الطريق: هي الطرق الصغار تشعب من الجادة، وهي الترهات".

(٥) ط: وقد يكون يفعله ديناً.

(٦) سورة الاسراء: ٩.

(٧) س، ك: الله تعالى.

(٨) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٩) والحدِيث في مسند الإمام أحمد (ط. المعارف) ٨٩/٦-٩٠ رقم ٤١٤٢، ٤١٤٣، ١٩٩/٦، ١٩٩ رقم ٤٤٣٧،
وقال أحمد شاكر: "استاده صحيح"؛ وصحيح ابن حبان (موارد الظمان، ص ٤٣٠-٤٣١)؛
ومستدرك الحاكم ٣١٨/٢، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وسنن الدارمي
٦٨-٦٧/١؛ وتفسير الطبري (ط. المعارف) ٢٣٠/١٢.

يقولون : الاعتصام بالسنة نجاه^(١) . ولهذا قيل : مثل السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وهو يروى عن مالك^(٣) .
ومن سلك الطريق الشرعية النبوية [الالهية]^(٤) لم يحتج في إثباتها^(٥) السي
أن يشك في إيمانه الذي كان عليه قبل البلوغ ، ثم يحدث نظرا يعلم به وجود
الصانع ؛ ولم يحتج التي أن يبقى شاكا مرتابا في كل شيء ، وإنما كان مشل
هذا يعرض لسئل الجهم بن صفوان وأمثاله ، فانهم ذكروا أنه بقى أربعين
يوما لا يصلي ، حتى يثبت أن له ربا يعبد^(٦) ؛ فهذه الحال^(٨) كثيرا ما تعرض
للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمة .

وأما المؤمن / المحض فيعرض له الوسواس ؛ فتعرض له الشكوك^(٩)
والشبهات ، وهو يدفعها عن قلبه ، فان هذا لا بد منه ؛ كما ثبت في الصحيح
أن الصحابة قالوا : يا رسول الله ، ان أهدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق
حتى يصير حممة ، أو يخرب من السماء الى الأرض ، أحب اليه من أن يتكلم
به . فقال : (أو قد وجدتموه ؟) . قالوا : نعم . قال : (ذلك صريح الإيمان)
وفي السنن من وجه آخر ، أنهم قالوا : ان أهدنا ليجد في نفسه ما يتعاطم

ص ١١٤

(١) رواه الدارمي في سننه ١ / ٤٤ ، المقدمة ، باب اتباع السنة ، بسنده عن الزهري .

(٢) خ : مثال السنة مثال ؛ س : مثال السنة مثل .

(٣-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) ، وقد ذكر السيوطي في كتاب " صون المنطق والكلام " ، ص ٥٢ أن أبا اسماعيل النهروني أخرجه عن مالك في كتابه " ذم الكلام " .

(٤) الالهية : ليست في (ك) .

(٥) خ ، س : اثباته .

(٦) ط : ثبت عنده .

(٧) أورد الامام أحمد في " الرد على الزنادقة والجهمية " (ضمن مجموع عقائد السلف ، ص ٦٥-٦٦)
مناظرة جرت بين الجهم وأناس من المشركين السننية جحدوا فيها الاله ، قال : " فتحير الجهم
فلم يدر من يعبد أربعين يوما " . وذكر البخاري في " خلق أفعال العباد " (ضمن مجموع عقائد
السلف ، ص ١٢٠) أن الجهم خصمه بعض السننية فشك فأقام أربعين يوما لا يصلي . وأنظر
أيضا التسعينية لابن تيمية ، ص ٣٢-٣٥ (ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى شيخ الاسلام
ابن تيمية ، ط . كردستان ، القاهرة) .

(٨) ك : الحالة .

(٩) ط : لتعرض الشكوك .

(١٠) ط ، ك : أفقد .

أن يتكلم به . فقال : (الحمد لله ، الذي رد كيدك الى الوسوسة)^(١) .

قال غير واحد من العلماء : معناه أن ماتجدونه في قلوبكم من كراهة [هذا] الوسواس^(٢) ، والنفرة عنه ، وبغضه ، ودفعه ؛ هو صريح الايمان . وهذا من الزيد الذي قال الله فيه : (فأما الزيد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفخ الناس فيمكت نفسي الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)^(٣) . وهذا مذكور في غير هذا الموضع ؛ وكلام^(٤) السلف والأئمة فيما أحدث من الكلام ، وما أحدث من الزهد ، مبسوط في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن تعرف مراتب الناس في العلم بالنبوة ، ومعرفة قدرها ، وتعدد الطرق في ذلك ؛ وأن عامة الطرق التي سلكها الناس في ذلك هي طرق مفيدة نافعة ، لكن تختلف مقادير فوائدها ومنافعها ، وفيها ما يضر من وجه ، كما ينفع من وجه ، وفيها ما ينتفع به من كان عديم الايمان أو ضعيف الايمان ،

(١) في صحيح مسلم (١ / ١١٩) رقم ١٣٢ كتاب الايمان ، باب بيان الوسوسة في الايمان وما يقوله من وجدها ؛ وستن أبي داود (عون المعبود ١٤ / ١٤) كتاب الأدب ، باب في رد الوسوسة ؛ وسند أحمد (طه الحلبي) ٣٩٧ / ٢ ، ٤٤١ ، عن أبي هريرة ، قال : جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه : انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به . قال : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الايمان) . هذا لفظ مسلم .

وفي سنن أبي داود ١٥ / ١٤ ؛ وسند أحمد (طه المعارف) ٣٥١ / ٣ ، رقم ٢٠٩٧ ، ٥٩ / ٥٩ رقم ٣١٦١ عن ابن عباس قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله : اني أحدث نفسي بالشئ ، لأن آخر من السماء ، أحب الي من أن أتكلم به ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذي رد كيدك الى الوسوسة) .

هذا لفظ رواية المسند رقم ٢٠٩٧ ، وأول الرواية رقم ٣١٦١ عن ابن عباس أنهم قالوا : يا رسول الله انا نحدث أنفسنا بالشئ ، لأن يكون أحدنا حممة أحب اليه من أن يتكلم به ؟ .

حممة يعني فحمة ، وقد صحح أحمد شاكر اسناد الحديث .

(٢) هذا الوسواس : كذا في (طه) ، وفي (خ ، س) : هذه الوسواس ، وفي (ك) : من كراهة الوسواس .

(٣) من ، ك : الله تعالى .

(٤) سورة الرعد : ١٧ . وفي هامش (خ) : بلخ .

(٥) طه : فكلام .

(٦) طه ، ك : يعرف .

فيحصل به له (١) بعض الايمان ، أو يقوى ايمانه ؛ وان كان ذلك يضر من كان قوى
الايمان ، ويكون رجوعه اليه ردة في حقه ؛ بمنزلة من كان معتصما بحبل قسوى ،
وعروة وثقى لا انفصام لها ؛ فاعتاض عن ذلك بحبل ضعيف ، يكاد ينقطع به ؛
وهذا باب يطول وصف حال الناس فيه .

وأما ما ذكره أبو حامد من أن هذه الطريقة التي سلكها تفيد العلم
الضروري بالنبوة ، دون طريقة المعجزات (٢) ؛ فالإنسان خبير بما حصل له من العلم
الضروري وغيره ، وليس هو خبيرا بما حصل لغيره من ذلك ، وكثير من أهل
النظر والكلام يقولون نقيض هذا ؛ يقولون : لا يحصل العلم بالنبوة الا بطريقة
المعجزات دون غيرها ، كما قال ذلك أكثر أهل الكلام (٣) ومن اتبعهم ، كالقاضي
أبي بكر ، والقاضي أبي يعلى ، وأبي المعالي ، والمازري ، وأمثال هؤلاء . والتحقيق
ما عليه أكثر الناس ، أن العلم بالنبوة يحصل بطرق متعددة : المعجزات وغير
المعجزات ، ويحصل له العلم الضروري بها ، كما ذكره أبو حامد ، بل يحصل له
العلم الضروري بالنبوة على الجمل كما ذكره (٤) .

وعامة من حصر العلم بهذا أو غيره في طريق معينة ، وزعم أنه لا يحصل
بغيرها ، فانه يكون مخطئا ، وهذا كثيرا ما يسلكه كثير من أهل الكلام في اثبات
العلم بالصانع ، أو اثبات حدوث العالم ، أو اثبات التوحيد ، / أو العلم
بالنبوة ، أو غير ذلك ؛ يسلك أحدهم طريقا يزعم أنه لا يحصل العلم الا بهما ،
وقد تكون طريقا فاسدة ، وربما قدح خصومه في طريقه الصحيحة ، وادعوا أنها فاسدة .

تعليق على قول
الغزالي ان
طريقته تفيد
العلم بالنبوة
دون طريقة
المعجزات

ص ١١٥

(١) له : ساقطة من (خ ، س) .

(٢) انظر فيما سبق ، ص ٥٢٢ - ٥٢٤ .

(٣) ذلك : ساقطة من (خ ، س) .

(٤) ط : كثير من أهل الكلام .

(٥) ط : بالنبوة على ما ذكره .

(٦) ك : وهذا كثير ما سلكه .

وكثيرا ما يكون سبب العلم الحاصل في القلب ، غير الحجة الجدلية التي
يُنظر بها غيره ؛ فان الانسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات ، بطرق
وأَسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها ، ولو استحضرها لا توافقه عبارته على (٢)
بيانها ؛ ومع هذا فاذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك ، قد لا يعلم
دليلا يدل به غيره ، اذا لم يكن ذلك الغير شاركة في سبب العلم ؛ وقد
لا يمكنه التعبير عن الدليل ان تصوره ، فالدليل الذي يعلم به المناظر شي (٤) ،
والحجة التي يحتج بها المناظر شي (٤) آخر ؛ وكثيرا ما يتفقان كما يفترقان (٥) ؛
وليس هذا موضع بسط ذلك ، وانما المقصود التنبيه على تعدد طرق العلم
بالنبوة (٦) وفيرها .

وكلام أكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة ، فيحمد
كلام الرجل بالنسبة الى من دونه ، وان كان مذموما بالنسبة الى من فوقه ، ان
الايان يتفاضل ، وكل له من الايمان بقدر ما حصل له منه .

ولهذا كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة ، وتكفيره
لهم ، وتعظيم النبوة ، وغير ذلك ؛ ومع ما يوجد فيه [من] (٧) أشياء صحيحة
حسنة ، بل عظيمة القدر نافعة - يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية ، وأُمر
أُضيفت اليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة ؛ المخالفة للنبوة ، بل المخالفة
لصريح العقل . حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب ؛

تَكلم العلماء
في الغزالي

-
- (١) ط : بسبب .
 - (٢) خ ، س : لا تواتيه . في لسان العرب ، مادة " أتى " : " المواتاة : حسن المطاوعة والموافقة " .
 - (٣) خ ، س : في .
 - (٤) ط : الناظر (في الموضوعين) .
 - (٥) ط : ولا (بدلا من كما) ، خ : كما قد .
 - (٦) ط : طرق العلم في العلم بالنبوة .
 - (٧) من : ليست في (ط ، خ ، س ، ك) ، ولعل الصواب اثباتها .
 - (٨) يوجد كذا في (ك) ، وهي ساقطة من (خ ، س) ، وفي (ط) : ولهذا كان أبو حامد يوجد . . . وغير ذلك مما يوجد فيه أشياء . . . نافعة ويوجد .

كرفيقه أبي اسحاق المرغيناني^(١)، وأبي الوفاء بن عقيل^(٢)، و[بني] القشيري^(٣)
والطرطوشي^(٤)، وابن رشد، والمازري، وجماعات من الأوليين، حتى ذكر ذلك الشيخ

(١) ط: المرغيناني؛ خ، س: حتى تكلم فيه جماعات كرفيقه أبي اسحاق المرغيناني وعلما العراق.
وقد رجعت لترجمة الغزالي في كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي، وفي كتاب "طبقات الشافعية
الكبرى" للسبكي، وتصفت كتاب "سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه" لعبد الكريم العثمان،
ولم يرد في هذه الكتب ذكر للمرغيناني لارقيقا للغزالي ولا متكلما فيه.
وشيخ الاسلام ابن تيمية ذكره في عدد من كتبه فيمن تكلم في الغزالي، لكن كناه هنا "أهبا
اسحاق"، وفي كتاب "النبوات" ص ٨٢ "أبا نصر"، وفي كتاب "درء تعارض العقل والنقل
٦/٢٣٩" "أبا الحسن"، وفي هذه المواضع الثلاثة يذكر أنه رفيق للغزالي.
وكناه بأبي الحسن أيضا في موضعين من كتاب "الصفدية" ١/٢١٠، ٢٥٠، وقال في الموضع
الأول: انه من أصحاب أبي المعالي، وقال في الثاني: انه من أتباع أبي المعالي الجويني.
وهناك أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني (نسبة الى مرغينان من نواحي
فرغانة)، ولد سنة ٥٣٠، وتوفي سنة ٥٩٣، وهو أحد أئمة الحنفية، صنف في الفقه والفرائض
 وغيرها.

انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/٣٨٣-٣٨٤؛ الفوائد البهية في تراجم الحنفية،
ص ١٤٠-١٤٤؛ الأعلام ٤/٢٦٦.
لكن هذا المرغيناني متأخر قليلا، لا يمكن أن يكون صاحبا للغزالي المتوفي سنة ٥٠٥، ولا للجويني
المتوفي سنة ٤٧٨ من باب أولى.

(٢) وأبي الوفاء بن عقيل: ساقطة من (خ، س).
(٣) وبني القشيري: كذا في (خ، س)، وفي (ط، ك): والقشيري. وفي كتاب "الصفدية" قال ابن
تيمية في نفس الموضوع (١/٢١٠): "... وكما تكلم فيه أهل بيت القشيري وأتباعه"، وفي (١/٢٥٠)
"وأنكروا عليه... كما فعل أتباع أبي القاسم القشيري...".
وقال في كتاب النبوات، ص ٨٢ "وأبو نصر القشيري وغيره ذموه على الفلسفة... الخ"، وذكر أيضا
أبا نصر القشيري فيمن ذم الغزالي في درء تعارض العقل والنقل ٦/٢٣٩.
وقد تقدمت ترجمة أبي القاسم القشيري، وأبو نصر هذا ابنه، وهو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن
هوازن القشيري، شافعي، أشعري، واعظ، توفي بنيسابور سنة ٥١٤، تقدمت الإشارة الى الفتنة
التي وقعت بسببه ببغداد بين الحنابلة والأشاعرة.
انظر: تبيين كذب المفتري، ص ٣٠٨-٣١٧؛ العبر ٤/٣٣؛ طبقات الشافعية الكبرى ٧/١٥٩-
١٦٩؛ شذرات الذهب ٤/٤٥؛ الأعلام ٣/٣٤٦.
(٤) ط: والطرطوسي.

وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي ويعرف بابن
أبي رندقة، الفقيه المالكي الزاهد، أصله من طرطوشة مدينة شرق الأندلس، نشأ بها، ثم تحول
لغيرها من بلاد الأندلس وصحب القاضي أبا الوليد الباجي، ثم رحل الى المشرق، وأقام بالشام
مدة، ثم سكن الاسكندرية وتوفي فيها سنة ٥٢٠ وكانت ولادته حوالي سنة ٤٥١.

انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٦٢-٢٦٥؛ العبر ٤/٤٨؛ الديباج المذهب، ص ٢٢٦-٢٢٨؛
شذرات الذهب ٤/٦٢؛ شجرة النور الزكية ١/١٢٤-١٢٥؛ الأعلام ٧/١٣٣-١٣٤.

(٥) عبارة "وجماعات من الأوليين": ساقطة من (خ، س).

أبو عمرو بن الصلاح^(١) " فيما جمعه من طبقات أصحاب الشافعي " ، وقرره الشيخ^(٢) أبو زكريا النووي^(٣) .

كلام ابن الصلاح في الفزالي
قال في هذا الكتاب^(٤) : " فصل ، لبيان^(٥) أشياء مهمة أنكرت على الامام الفزالي في مصنفاته ، ولم يرتضها أهل مذهبه وغيرهم ، من الشذوذ فسي تصرفاته : منها قوله في مقدمة المنطق في أول " المستصفي " : " هذه مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً^(٦) .

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان - أو ابن موسى - الكردى ، المعروف بابن الصلاح ، ولد في شرخان قرب شهر زور سنة ٥٧٧ هـ ، وتفقّه وسمع الحديث في الموصل وخراسان وغيرها ، ثم استوطن دمشق وبها توفي سنة ٦٤٣ هـ ، كان بارعا في الفقه الشافعي وفي الحديث وعلومه ، شاركا في فنون عدة .

انظر : وفیات الأعيان ٣/٢٤٣-٢٤٥ ؛ تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٠-١٤٣٣ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٢٦-٣٢٦ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٦٨-١٦٩ ؛ شذرات الذهب ٥/٢٢١-٢٢٢ ؛ الأعلام ٤/٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) ط : وكلمه عنه .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين الحزامي النووي ، ولد سنة ٦٣١ بنسوى : بليدة من أعمال حوران قرب دمشق ، وقدم دمشق وأقام بها ، توفي سنة ٦٧٦ شافعي ، أحد الأعلام في الفقه والحديث .

انظر : تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٠-١٤٧٤ ؛ طبقات الشافعية الكبرى ٨/٣٩٥-٤٠٠ ؛ البداية والنهاية ١٣/٢٢٨-٢٢٩ ؛ شذرات الذهب ٥/٣٥٤-٣٥٦ ؛ الأعلام ٨/١٤٩-١٥٠ .
(٤) سأقابل النصوص التالية على نسخة خطية للكتاب في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (الرقسم العام ٣٩٧١ ، رقم التصنيف ٢٢٥ / ٩٠٠) وعنوانه " كتاب منتخب طبقات الشافعيين : منتخب من كتاب الامام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح ، انتخبه الامام أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي ، وفيه من زياداته " .

وهذه المخطوطة غير مرقمة ، وجاءت ترجمة الفزالي في بداية الثلث الثاني منها تقريبا .

(٥) س : فصل بيان ؛ ك : فصل في بيان .

(٦) كتب الفزالي في أول كتاب " المستصفي من علم الأصول " (ط . الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م . المكتبة التجارية بصر) الجزء الأول من ص ٧ الى ص ٣٥ مقدمة منطقية قال في أولها : " نذكر في هذه المقدمة مدارك العقول وانحصارها في الحد والبرهان ، ونذكر شرط الحد الحقيقي ، وشرط البرهان الحقيقي وأقسامهما على منهاج أوجز ما ذكرناه في كتاب " محك النظر " وكتاب " معيار العلم " .

ولمست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ، ولا من مقدماته الخاصة به ، بل هي مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً

قال الشيخ أبو عمرو: سمعت الشيخ العماد بن يونس، يحكي عن
يوسف الدمشقي - مدرس النظامية ببغداد،^(٣) وكان من النظائر المعروفين^(٤)
- أنه كان ينكر هذا الكلام؛ ويقول: فأبو بكر وعمر، وفلان وفلان لا يعني أن
أولئك السادة^(٥) عظمت حظوظهم من الثلج^(٦) واليقين، ولم يحيطوا به هذه
المقدمة وأسبابها.^(٧)

قال الشيخ أبو عمرو: فذكرت بهذا ما حكى صاحب "كتاب الامتاع"^(٨)
والمؤانسة^(٩) - يعني أبا حيان التوحيدى^(١٠) - أن الوزير ابن الفرات احتفل^(١١)

- (١) أبو عمرو: ليست في "منتخب".
- (٢) هو أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة، الملقب عماد الدين، ولد سنة ٥٣٥ بقلعة
اربل، ونشأ بالموصل حيث تفقه على والده، ثم رحل الى بغداد فتفقه بها على يوسف الدمشقي
وغيره، وعاد الى الموصل ودرّس بها في عدة مدارس، وانتهت اليه رئاسة الشافعية بالموصل،
وتوفي بها سنة ٦٠٨.
- انظر وفيات الأعيان ٢٥٣/٤ - ٢٥٥؛ العبر ٢٨/٥ - ٢٩؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
١٠٩/٨ - ١١٣؛ البداية والنهاية ٦٢/١٣؛ الأعلام ١٦٠/٧.
- (٣) منتخب: نظامية بغداد.
- (٤) هو يوسف بن عبدالله بن بندار الدمشقي، ولد بدمشق سنة ٤٩٠، وتفقه ببغداد، وبرع في
المذهب الشافعي، درّس في النظامية وغيرها، وكان أشعريا مناظرا، توفي سنة ٥٦٣.
- انظر: البداية والنهاية ١٢/٢٥٥؛ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٤/٢ - ٢٥.
- (٥) في "منتخب" بعد كلمة "السادة" علق بخط مفاير: الذين.
- (٦) في لسان العرب مادة "ثلج": "وثلجت نفسي بالشيء ثلجا، وثلجت ثلج وثلج ثلوجا، اشتفت
به واطمأنت اليه، وقيل: عرفته وسرت به".
- (٧) ط: شيئا وبها، منتخب: وأشباهاها.
- (٨) أبو عمرو: ليست في "منتخب".
- (٩) ط، ك: قد ذكرت؛ منتخب: تذكرت.
- (١٠-١١) ما بينهما من ابن تيمية للأيضاح.

وأبو حيان هو علي بن محمد بن العباس التوحيدى، (قيل: نسبة الى نوع من التمر يسمى
"التوحيد"، وقيل: نسبة الى توحيد الله على طريقة المعتزلة في زعمهم أنهم أهل التوحيد،
شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري، كان معتزليا فيلسوفا، صوفيا، أدبيا، رمي بالزندقة، توفي في
حدود سنة ٣٨٠.

انظر: معجم الأدباء ٥/١٥ - ٢٥؛ لسان الميزان ٣٨/٧ - ٤١؛ بغية الوعاة ١٩٠/٢ - ١٩١؛
الأعلام ٣٢٦/٤.

وقد طبع كتابه "الامتاع والمؤانسة" في ثلاثة أجزاء، بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (ط.
لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م القاهرة).

(١١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، ولاءه المقتدر بالله العباسي الوزارة
وعزله مرات، وفي آخرها سنة ٣١٢ عزله وقتله، وكان داهية، أدبيا كريما.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٢١ - ٤٢٩؛ البداية والنهاية ١١/١٥١ - ١٥٢؛ الأعلام ٣٢٤/٤.

مجلسه ببغداد ، بأصناف من الفضلاء ، من المتكلمين وغيرهم ، وفي المجلس
 متى ، الفيلسوف النصراني ؛ فقال الوزير : / أريد أن ينتدب منكم انسان
 لمناظرة متى ، في قوله : انه لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل ، والحجسة
 من الشبهة ، والشك من اليقين ، الا بما حوينا من المنطق ، واستفدناه من
 واضعه على مراتبه . قانتدب له أبو سعيد السيرافي - وكان فاضلا في علوم
 غير النحو - فكلسه (٥) في ذلك حتى أفحمه وفضحه " قال : (٦) " وليس هذا موضع
 التطويل بذكره " . (٧)

قال الشيخ أبو عمرو : (٨) وغير خاف استغناء العقلاء والعلماء قبل واضع
 المنطق أرسطاطاليس وبعده ومعارفهم الجمة عن تعلم المنطق ، وانما المنطق
 عندهم ، بزعمهم : آلة قانونية صناعية ، تعصم الذهن من الخطأ . (١١) وكل ذي
 ذهن صحيح منطقي بالطبع " .

- (١) منتخب : وغيرهم وفيهم الأشعري .
 (٢) هو أبو بشر متى بن يونس - أو ابن يونان - نصارني من أهل دير قنى (دير قريب من بغداد) ، نزل
 ببغداد ، وانتهت اليه رئاسة المنطقيين في عصره ، له كتب ، توفي سنة ٣٢٨ .
 انظر : الفهرست للنديم (ط . مصر) ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ؛ تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٣٢٣ ؛
 عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ، ص ٣١٧ .
 (٣) منتخب : مراتب .
 (٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (نسبة الى سيراف بليدة من أرض فارس) ،
 سكن ببغداد ، وولي القضاء بها نيابة ، وكان عالما باللغة والنحو والقراءات والفرائض والحساب
 وغير ذلك ، له شرح كتاب سيوييه ، وهو ينتحل في الفقه مذهب أبي حنيفة ، ونسبه بعضهم الى
 الاعتزال ، وكان أبوه مجوسيا فأسلم ، توفي أبو سعيد سنة ٣٦٨ ببغداد ، وعمره ٨٤ سنة .
 انظر : طبقات النحويين واللغويين ، ص ١١٩ ؛ تاريخ بغداد ٧ / ٣٤١ - ٣٤٢ ؛ معجم الأدباء
 ١٤٥ / ٨ - ٢٣٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٧٨ - ٧٩ ؛ البداية والنهاية ١١ / ٢٩٤ ؛ الأعلام ٢ / ١٩٥ -
 ١٩٦ ط ١ : غير النجوم ، وكله .
 (٥) ط ١ : قال أبو محمد . والكلام التالي في " منتخب " بعد الكلام السابق مباشرة .
 (٦) خبر هذه المناظرة وتفصيلها في كتاب " الامتاع والمؤانسة " لأبي حيان ج ١ ص ١٠٧ - ١٢٨ .
 وفي هامش (س) وهامش (ك) ذكر أن ياقوتا الحموي ذكر هذه المناظرة في كتابه " معجم الأدباء " .
 في ترجمة أبي سعيد السيرافي ، وهو كذلك ج ٨ ص ١٩٠ - ٢٢٨ نقلا عن أبي حيان .
 (٨) قال الشيخ أبو عمرو : ليست في " منتخب " .
 (٩) ك : مع معارفهم .
 (١٠) قانونية : ليست في " منتخب " .
 (١١) ط ، منتخب : عن .

قال^(١) " فكيف غفل الغزالي عن حال شيخه امام الحرمين ، ومن قبله ، من كل امام هو له مقدم ، ولمحله في تحقيق الحقائق رافع وموعظ ، ثم لسم^(٣) يرفع أحد منهم بالمنطق رأساً ، ولا يبنى عليه في شيء من تصرفاته أساساً . ولقد أتى بخلطه المنطق بأصول الفقه بدعة ، عظم شؤمها على المتفهمة ، حتى كثر فيهم بعد ذلك المتفلسفة ، والله المستعان ."^(٦)

كلام المازري في الغزالي قال : " ولأبي عبدالله المازري ، الفقيه ، المتكلم ، الأصولي ، وكان اماماً محققاً ، بارعاً في مذهبي مالك والأشعري ، وله تصانيف في فنون ، منها^(٨) شرح الارشاد والبرهان " لامام الحرمين - رسالة يذكر فيها حال الغزالي وحال كتابه " الاحياء " ، أصدرها في حيوة الغزالي ، جواباً لما كوتب به من القرب والشرق ، في سوءه عن ذلك عند اختلافهم في ذلك ؛ فذكر فيها ما اختصاره :^(١١)

- (١) بعد الكلام السابق مباشرة .
- (٢) منتخب : فمن .
- (٣) منتخب : وموعظ ، لم لم .
- (٤) الأس : أصل البناء ، وكذلك الأساس . انظر " البصاح " مادة " أسس " .
- (٥) ط : عظيم .
- (٦) خ ، س : حتى كثر بعد ذلك منهم المتفلسفة . وفي (خ) بعد كلمة " كثر " سهم يشير للهامش وكتب فيه : فيهم .
- (٧) بعد الكلام السابق مباشرة .
- (٨) ط ، خ : منها في .
- (٩) في هامش (س) : قال الشيخ أحمد بن عيسى بن زروق المالكي المغربي الفاسي - المتوفى على ما في كتاب الدوح الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عمر حسين المعروف بابن عسكر سنة تسعمائة وثلاثين - في كتابه " تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوى الوصول " مانصه " قاعدة ، حذر الناصحون من " تلبيس ابليس " لابن الجوزي ، و " فتوحات الحاتي " ، بل كل كتبه أو جلها ، وكابن سبعمين ، وابن الفارض ، وابن أجلا ، وابن دوسكين ، والعفيف التلمساني ، والايكي العجمي ، والأسود الأقطع ، وأبي اسحاق التحيبي ، والششتري ، ومواضع من " الاحياء " للغزالي ، جلها في " المهلكات " منه ، و " النفخ والتسوية " له ، و " المضمون به على غير أهله " و " معراج السالكين " له ، و " المنقذ " ، ومواضع من " قوت أبن طالب المكسي " ، وكتاب السهروردي ونحوهم .
- فلزم الحذر من موارد الغلط ، لا تجتنب الجملة ومعاداة العلم ، ولا يتم ذلك الا بثلاث : قريحة صادقة ، وفطرة سليمة ، وأخذ ما بان وجهه وتسليم معاداه ، والا هلك الناظر فيه باعترافه على أهل ، أو أخذ الشيء على غير وجهه فافهم " انتهى . الفقير م ي .
- (١٠) خ : حياة ، ط : في حال حياة ، ك : في حال حيوة .
- (١١) منتخب : من المغرب والمشرق .
- (١٢) س : ما اقتضاه .

أن الفزالي كان قد خاض في علوم ، وصنف فيها ، واشتهر بالامامة نسي
(١) اقليمه حتى تضاعف له المنازعون ؛ واستبحر في الفقه وفي أصول الفقه ، وهو
بالفقه أعرف .

وأما أصول الدين فليس بالمستبحر فيها ، شغله عن ذلك قراءته علوم
الفلسفة ، وكسبته قراءة الفلسفة جراءة^(٢) على المعاني ، وتسهيلا للهجوم
على الحقائق ؛ لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، وليس لها شرع يزعمها ، ولا
تخاف من مخالفة أئمة تتبعها ، فلذلك خامره ضرب من الإدلال على المعاني
فاسترسل فيها استرسال من لا يبالي بغيره .

قال :^(٤) وقد عرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على قراءة " رسائل
اخوان الصفا " ؛ وهذه الرسائل هي احدى وخمسون رسالة ، كل رسالة
مستقلة بنفسها ؛ وقد ظن في مؤلفها ظنون ، وفي الجملة هو - يعني^(٥) واضع
الرسائل^(٥) - رجل فيلسوف ، قد خاض في علوم الشرع ، فمزج ما بين العلمين ،
وحسن الفلسفة / في قلوب أهل الشرع بآيات وأحاديث يذكرها عندها .

ص ١١٧

ثم انه كان في هذا الزمان المتأخر فيلسوف يعرف بابن سينا ، مثلاً
الدنيا تاليف^(٦) في علوم الفلسفة ، وكان ينتمي الى الشرع ، ويتحلل بحليمة
المسلمين ، وأداه قوته في علم الفلسفة الى أن تلطف^(٧) جهده في رد أصول
العقائد الى علم الفلسفة ، وتم له من ذلك ما لم يتم لغيره من الفلاسفة .

قال :^(٨) " ووجدت هذا الفزالي يعول عليه في أكثر ما يشير اليه في علوم
الفلسفة ، حتى انه في بعض الأحيان ينقل نص كلامه من غير تقييد ،

(١) منتخب : في اقليمه ، وبرع .

(٢) ط : فيه .

(٣) خ ، منتخب : جراءة .

(٤) ط ، منتخب : وقال .

(٥-٥) ما بينهما زيادة من ابن تيمية للايضاح .

(٦) خ ، منتخب : تواليف .

(٧) منتخب : يلطف .

(٨) بعد الكلام السابق مباشرة .

(٩) س : الأحيان .

وأحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا ؛ لكونه أعلم بأسرار الشرع منه ، فعلى ابن سينا ومؤلف "رسائل اخوان الصفا"؛ عول الفزالي في علم الفلسفة .

قال : وأما مذاهب المتصوفة ^(٣) فلست أدري على من عول فيها ، ولا من ينتسب ^(٤) اليه في علمها . قال : وعندى أنه على أبي حيان التوحيدى الصوفى عول في مذاهب الصوفية ؛ وقد أعلمت أن أبا حيان هذا ألف ديوانا عظيما في هذا الفن ، ولم يصل الينا منه شيء ^(٥) .

ثم ذكر أن في " الاحياء " فتاوى ميناها على مالا حقيقة له ، مثل ما استحسن في قص الأظفار أن يبدأ بالسبابة ؛ لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة ، ثم بالوسطى لأنها ناحية اليمين ، ثم باليسرى على هيئة دائرة . وكان الأصابع عنده دائرة ، فاذا أدار أصابعه مر عليها مرور الدائرة ، حتى يختم بابهام اليمنى ، هكذا حدثني به من أثق به عن الكتاب ^(٦) .

(١) منتخب : من .

(٢) س : مذهب .

(٣) ط : الصوفية .

(٤) منتخب : من عول عليه فيها ، ولا الى من ينسب .

(٥) ط ، ك : عول على .

(٦) ط ، خ : منتخب : الينا شيء منه .

(٧) منتخب : حدثني بمضى من .

(٨) قال الفزالي في " احياء علوم الدين " ١ / ١٤١ : " ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهام اليمنى ، وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام [قال العراقي في " المغني عن حمل الأسفار " بهامش " الاحياء " : " لم أجد له أصلا ، وقد أنكره أبو عبدالله المازري في " الرد على الفزالي " وشنع عليه به "] ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة . . . فالذى لاح لي فيه - والعلم عند الله سبحانه - أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ، ثم على اليمنى خمسة أصابع ، والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ، ثم بعدها ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها ؛ إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين [وقال بعد كلام رجح فيه أن الوسطى هي التي على اليمين لا الابهام] ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة ، فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة ، الى أن يعود الى المسبحة ، فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامها ، ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم . . . "

قال: ^(١) " فانظر الى هذا [الخياط^(٢)] كيف أفاده قراءة الهندسة وعلم الدوائر وأحكامها أن نقله الى الشرع، فأفتى به المسلمين ".
قال: ^(٤) " وحمل الي بعض الأصحاب من هذا الاملاء الجزء الأول، فوجدته يذكر فيه أن من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم، مات مسلماً اجماعاً ^(٧) ومن تساهل في حكاية الاجماع في مثل هذا، الذي الأقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ما قال؛ فحقيق^(٩) أن لا يوثق بكل ما نقل، وأن يظن به التساهل في رواية ما لم يثبت عنده صحته ".
قال: ^(١١) " ثم تكلم المازري في محاسن " الاحياء " ومزاهه، ومنافعه ومضاره، بكلام طويل، ختمه بأن لم يكن عنده من البسطة في العلم ما يعتصم به من غوائل هذا الكتاب فان قراءته لاتجوز له، وان كان فيه ما ينتفع به؛ ومن كلان عنده من العلم ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب، ويعلم ما فيه من

في " منتخب " بعد الكلام السابق مباشرة .
(٢) الخياط: كذا في (خ، س)، وفي (ط): الخياط؛ وفي " منتخب " يمكن قراءتها الخياط، بالياء؛ وسقطت من (ك) .
(٣) منتخب: ينقله .
(٤) ط: حين .
(٥) في هامش " منتخب " يعرف، وفوقها حرف (خ) وهو يعني أن هذه اللفظة في نسخة أخرى .
(٦) منتخب: الباري تعالى .
(٧) يقول الفزالي في احياء علوم الدين ١ / ٢١ " . . . فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً، فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما، وهو قول: لا اله الا الله محمد رسول الله . وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحريير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً . . . فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت " . ثم يقول ٢٢ / ١: " وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر، فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك، فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم، وأنه مرثي، وأنه ليس محلاً للحوادث؛ الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعاً " .

- (٨) ك: مثله .
(٩) ط: فخليق .
(١٠) ط، ك: ما ينقل .
(١١) في " منتخب " بعد الكلام السابق مباشرة .
(١٢-١٣) ما بينهما ساقط من (ط) .

الرموز ، فيجتنب مقتضى ظواهرها ، ويكل أمر مؤلفها الى الله تعالى ، ان كانت (١)
كلها تقبل التأويل - فقرائه له (٢) سائفة ، وينتفع به ؛ اللهم الا أن يكون
قارئه ممن يقتدى به ويفخر به ، فانه ينهى عن قراءته ، وعن مدحه والثناء عليه . (٣)
قال : ولولا أن علمنا أن (٤) املائنا هذا انما يقرؤه الخاصة ، ومن عنده
علم يأمن به على نفسه ؛ لم نتبع محاسن / هذا الكتاب بالثناء ، ولم نتعرض
لذكرها ؛ ولكننا نحن أنما من التفجير ، ولثلا يظن أيضا من يتمصب للرجل
أنا جانبنا الانصاف في الكلام على كتابه ، ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لثلا
يقبل نصيحتنا . قال الشيخ أبو عمرو : هذا آخر ما نقلناه عن المازرى . (٥)

ص ١١٨

قلت : ما ذكره المازرى في مادة أبي حامد من الصوفية ، فهو كما قال
المازرى عن نفسه : لم يدر على من عول فيها ؛ ولم يكن للمازرى من الاعتناء
بكتب الصوفية وأخبارهم ومذاهبهم ماله من الاعتناء بطريقة الكلام ، وما يتبعه من
الغلسفة ونحوها ؛ فلذلك لم يعرف ذلك ؛ ولم تكن مادة أبي حامد من كلام
أبي حيان التوحيدى وحده ، بل (٦) ولا غالب كلامه منه ؛ فان أبا حيان تغلب
عليه الخطابة والفصاحة ، وهو مركب من فنون أدبية وفلسفية وكلامية وغير
ذلك ؛ وان كان قد شهد عليه بالزندقة غير واحد ، وقرنوه بابن الراوندى ، (٧)
كما ذكر ذلك ابن عقيل وغيره . (٨)

تعقيب ابن تيمية
على كلام المازرى

(١) ان : كذا في : (ط ، منتخب) ، وفي (خ ، س ، ك) : وان .
(٢) خ ، س ، منتخب : لها . وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة "قويل" .

(٣) ك : من .

(٤) ط : أنا علمنا أن ، ك : علمنا أنا ان .

(٥) س ، ك : وهذا ؛ منتخب : نصيحتنا والله أعلم ، هذا .

(٦) بل : ساقطة من (خ ، س) .

(٧) خ ، س : وان .

(٨-٨) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٩) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى ، أو ابن الراوندى (نسبة الى راوند قرية من
قرى قاشان بنواحي أصبهان) سكن بغداد ، أحد مشاهير الزنادقة ، كان أولا من المعتزلة ثم
تزندق واشتهر بالاحاد وصف فيه كتباً ، توفي سنة ٢٩٨ ، ويقال : ان أباه كان يهوديا فأظهر
الإسلام . المنتظم ٩٩/٦ - ١٠٥ ؛ وفيات الأعيان ٩٤/١ - ٩٥ ؛ الوافي بالوفيات ٢٣٢/٨ - ٢٣٨ ؛
البداية والنهاية ٣٤٦/١٠ - ٣٤٧ ، ١١٢/١١ - ١١٣ ؛ لسان الميزان ٣٢٣/١ - ٣٢٤ ؛
الأعلام ٢٦٧/١ - ٢٦٨ .

وانما كان غالب استمداد أبي حامد من كتاب أبي طالب المكي ، الذي سماه " قوت القلوب " ؛ ومن كتب الحارث المحاسبي : [الرعاية^(١)] وغيرها ، ومن رسالة القشيري ؛ ومن منشورات وصلت اليه من كلام المشايخ .^(٢)
 ومانقله في " الاحياء " عن الأئمة في ذم الكلام ، فانه نقله من كتاب أبي عمرو ابن عبد البر في " فضل العلم وأهله " ؛ ومانقله فيه من الأدعية والأذكار نقله^(٤) من كتاب " الذكر " لابن خزيمة^(٥) ، ولهذا كانت أحاديث هذا الباب جيدة^(٣) .

وقد جالس من اتفق له من مشايخ الطرق^(٦) ، لكنه يأخذ من كلام الصوفية في الغالب ما يتعلق بالأعمال والأخلاق والزهد والرياضة والعبادة ، وهي التي يسميها " علوم المعاملة " ؛ وأما التي يسميها " علوم المكاشفة " ، ويرمز اليها في " الاحياء " وغيره^(٧) ، ففيها يستمد^(٨) من كلام المتفلسفة وغيرهم^(٩) ؛ كما في " شكاة الأنوار " و " المضمون به على غير أهله " ^(١٠) وغير ذلك .

- (١) الرعاية : ساقط من (س ، ك) .
 وقد طبع كتاب " الرعاية لحقوق الله " للحارث المحاسبي ، غير مرة ، منها (ط . السعادة) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وعبد القادر أحمد عطا .
 (٢) سبق ذكر الرسالة القشيرية والترجمة لصاحبها ص ٥٥٣ ت ٠٦ .
 (٣-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
 (٤) ك : ونقله .
 (٥) ذكر سزكين في تاريخ التراث العربي ١ / ٤ / ٣٣ كتابا لابن خزيمة ، عنوانه " بيان شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة عن النبي " وأشار الى وجود نسخة خطية منه في الظاهرية ، فعلمه المقصود بكتاب " الذكر " .
 (٦) الطرق : كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : الطريق .
 (٧) وغيره : ساقطة من (خ ، س) : في مقدمة احياء علوم الدين ١ / ١٠ - ١١ يعلل الغزالي طريقته في ترتيب الكتاب بقوله : " . . . لأن العلم الذي يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة وعلم المكاشفة ، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به ، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط ، دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب ، وان كانت هي غاية معصن الطالبين ، ومطمح نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق اليه ، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه ، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايما على سبيل التمثيل والجمال ، علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فما لهم سبيل الى العدل وعن نهج التأسى والافتداء " .
 (٨) س : مستمد .
 (٩) ط : الفلاسفة .
 (١٠) في هامش (س) : كتاب " المضمون به على غير أهله " اشتمل على التصريح بقدم العالم ، ونفي علم القديم بالجزئيات ، ونفي الصفات ؛ وكل واحدة من هذه كفر ، ووصف أبو بكر المالكي كتابا في رده ، ومن الناس من أنكر نسبته للإمام الغزالي ، بل قال : انه مختلق عليه . كما في " كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون " م . ي .

وبسبب خلط التصوف بالفلسفة ، كما اختلطت الأصول بالفلسفة ؛ صار
(١) ينسب الى التصوف من ليس هو موافقا للمشايخ المقبولين ، الذين لهم نسي
الأمة لعنان صدق رضي الله عنهم ، بل يكون مهابنا لهم في أصول الايمان ،
كالايمان بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر ، ويجعلون هذه مذاهب الصوفية ، كما
يذكر ذلك ابن الطفيل صاحب "رسالة حي بن يقظان" (٢) ، وأبو الوليد بن رشد
الحفيد ، وصاحب "خلع العلم" (٣) ، وابن عربي صاحب "الفتوحات" و "فصوص الحكم"
وابن سبعين .

وأمثال هؤلاء ممن يتظاهر بمذاهب مشايخ الصوفية (٤) وأهل الطريق ،
وهو في التحقيق منافق زنديق ، ينتهي الى القول بالحلول والاتحاد ، واتباع
القرامطة أهل الاحاد ، ومذهب الاباحية الدافعين للأمر والنهي والوعيد
والوعيد ، ملاحظين لحقيقة القدر ، التي لا يفرق فيها بين الأنبياء والمرسلين

- (١) ط، ك : وبسبب خلطه التصوف بالفلسفة كما خلط .
(٢) ط، خ : ينسب .
(٣) س ، ك : الله تعالى .
(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي المغربي ، كان طبيبا أدبيا ، توفي
بمراكش سنة ٥٨١ .
انظر : الوافي بالوفيات ٣٧/٤ ؛ الأعلام ٢٤٩/٦ ؛ معجم المؤلفين ١٠/٢٥٩ .
وقد طبعت رسالة "حي بن يقظان" غير مرة ، ومنها طبعة بتحقيق الدكتورين جميل صليبا
وكامل عياد ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٦٢ م .
(٥) وصاحب خلع العلم : كذا في (ط، ك) ، وسقطت هذه العبارة من (خ ، س) .
ولعل المقصود صاحب "خلع النملين" .
وهو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ، الصوفي الأندلسي ، رومي الأصل من بلاد شلسب ،
ادعى الزهد ، وساح في البلاد ، وتسمى بالامام ، وطلب فاخطف ، ثم هاجر الى الموحديين
متبرئا من دعاويه فوثقوا به ، وولوه بلده "شلب" فعاد الى الخلافة فقتل سنة ٥٤٦ .
انظر : الحلة السيرا لمحمد بن عبد الله القضائي المعروف بابن الأبار ، تحقيق حسين مؤنس
الطبعة الأولى ١٩٦٣م القاهرة ١٩٧٢/٢ - ٢٠٢ ؛ الأعلام ١/١١٦ .
وقد ذكر أبو العلاء عفيفي في تعليقه على كتاب "فصوص الحكم" لابن عربي ، ص ٥٥-٥٦ أنه
توجد نسخة خطية لكتاب "خليع النملين" مع شرحه لابن عربي عليه في مكتبة أبا صوفيا
باستامبول .

- (٦) خ ، س : التصوف .
(٧) ط : في التحقيق يخلط بالفلسفة أو .
(٨) خ : الرافعين .

وبين كل كفار عنيد ، أو قائلين ^(١) / مع ذلك بنوع من الحقائق البدعية ، غير عارفين بالحقائق الدينية الشرعية ، ولا سالكين مسلك أولياء الله الذين هم بعد الأنبياء خير البرية . فهم في نهاية تحقيقتهم يسقطون الأمر والنهي والطاعة والعبادة ، مشاقين للرسول ، متبعين غير سبيل المؤمنين ؛ ويفارقون سبيل أولياء الله المتقين ، الى سبيل أولياء الشياطين ، ثم يقولون بالحلول والاتحاد ، وهو غاية الكفر ونهاية الالحاد . ^(٣)

ولهذا في كلام المشايخ العارفين ، كأبي القاسم الجنيد وأمثاله ؛ من بيان أن التوحيد هو افراد الحدوث عن القدم ، ونحو ذلك ؛ ومن بيان وجوب اتباع الأمر والنهي ، ولزوم العبادة الى الموت - ما يبين به أن أولئك السادة المهتدين حذروا ^(٤) من طريق هؤلاء الملحدين .

ولهذا نجد هؤلاء كاهن عربي وابن سبعين وأمثالهما يردون على مثل الجنيد وأمثاله من أئمة المشايخ ، ويدعون أنهم ظفروا في التحقيق بنهاية الرسوخ ، وانما ظفروا بتحقيق الالحاد ، والدخول في الحلول والاتحاد . وما زال شيوخ الصوفية المؤمنون يحذرون من مثل هؤلاء الملبسين ، كما حذر أئمة الفقهاء من سبيل أهل البدعة والنفاق من أهل الفلسفة والكلام ونحوهم ، حتى ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في أول " حلية الأولياء " ^(٦) ،

(١) ط، ك : كل جبار عنيد ، وقائلين .

(٢) س : الأولياء .

(٣) ط : وهو في .

(٤) س : ممن حذروا .

(٥) ط، خ : تجد .

(٦) هو الحافظ المشهور أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الصوفي ، ولد سنة ٣٣٦ بأصبهان ، وتوفي بها سنة ٤٣٠ ، سمع الكثير في عدد من البلدان ، وصفه الكثير ، ومن ذلك كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، و " دلائل النبوة " و " ذكر أخبار أصفهان " .

انظر: وفيات الأعيان (١/٩١-٩٢) ؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٢-١٠٩٧ ؛ ميزان الاعتدال ١/١١١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/١٨-٢٥ ؛ البداية والنهاية ١٢/٤٥ ؛ الأعلام

وأبو القاسم القشيري في "رسالته" : "دع من هو أجل منهما ، وأعلم منهما^(١) بطريق الصوفية ، وأقل غطاء ، وأبعد عن الاعتماد على المنقولات الضعيفة ، والمنقولات^(٢) المبتدعة .

قال أبو نعيم في أول "الحلمية"^(٣) : "أما بعد - أحسن الله^(٤) توفيقك - فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما اهتمت ، من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة ؛ وبعض أحاديثهم وكلامهم ؛ من أعلام^(٥) المحققين من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحبتهم ، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، من عرف الأدلة والحقائق ، وباشر الأحوال والطرائق ، وساكن الرياض والحدائق ، وفارق العوارض والعلائق ، وتبرأ من المنتقعين^(٦) والمتعمقين ، ومن أهل الدعاوى من المتسوفين^(٧) ، ومن الكسالى والمتشيطين ، المتشبهين بهم في اللباس والمقال ، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال .

وذلك لما بلغك من بسط ألسنتنا وألسنة أهل الفقه والأثر^(٩) في كسل الأقطار^(١٠) والأمصار ، في المنتسبين اليهم من الفسقة الفجاءة والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ماحل بالكذبة من الوثيعة والانكار ، بقادح في منقبة السجرة الأخيار ، وواضع من درجة الصفوة الأخيار^(١١) . بل في اظهار البرائة من الكذابين ، والنكير على الخونة الباطلين - نزاهة الصادقين ، ورفعة^(١٢) / المحققين .

ص ١٢٠

- (١) منها : ساقطة من (خ ، س) .
- (٢) طءك : والمنقولات . في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .
- (٣) كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ٣ / ١ - ٤ ، (ط . السعادة بمصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) .
- (٤) سءك : الله تعالى .
- (٥) خ : حلية : المتحققين .
- (٦) طءك : المنقطعين . وفي هامش (حلية) أن في نسخة : والمتقنين .
- (٧) طءك : المسوفين .
- (٨) حلية : من . بدون الواو .
- (٩) حلية : من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار .
- (١٠) طءخ : حلية : القطر .
- (١١) س : الأخيار ، حلية : الأبرار .
- (١٢) خ ، س ، ك : الحشوية .
- (١٣) حلية : للصادقين ، ورفعة للمحققين .

ولولم نكشف^(١) عن مخازي المبطلين وساوهم ديانة ، للزنا ابايتها
 واشاعتها حمية وصيانة ، ان لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت
 والذكر المشهور ؛ فقد كان جدى محمد بن يوسف رحمه الله^(٢) ، أحد من يسر
 الله^(٤) به ذكر بعض المنقطعين اليه^(٥) ، وكيف نستجيز نقيصة أولياء الله
 تعالى^(٧) ومؤمن بهم مؤمن بحاربة ربه^(٨) .

ثم أسند حديث أبي هريرة^(٩) الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله^(١٠) قال : من آذى لي ولياً) - وفي
 الرواية الأخرى (من عادى لي ولياً - فقد آذنته بالحرب ، ومات قرب الي عبدي
 بشي^(١٢) أفضل من أرا^(١٣) ما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى
 أحبه ، فاذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويسره
 التي يبطن بها ، ورجله التي يمشي بها^(١٣) ، فبني يسمع ، وبني يبصر ، وبني يبطن ،
 وبني يمشي ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعانني لأعيزنه ، ولما ترددت
 عن شيء أنا فاعله تردى عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره
 مساءته ، ولا يد له منه)^(١٤) .

-
- (١) طه ك : ينكشف .
 - (٢) حلية : محمد بن يوسف البنا ، وهو أبو عبيد الله محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد بن عبد الرحمن
 الثقفي البنا الأصهباني ، جد والد أبي نعيم لأمه ، كان رأساً في التصوف له مصنفات في ذلك ،
 توفي سنة ٢٨٦ .
 انظر : ذكر أخبار اصهبان لأبي نعيم ٢ / ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ صفة الصفوة ٤ / ٨٣ - ٨٤ ؛ الوافي
 بالوفيات ٥ / ٢٤٤ .
 - (٣) س ، ك : الله تعالى .
 - (٤) س ، ك : الله تعالى ، حلية : أحد من نشر الله عز وجل .
 - (٥) حلية : النبي ، وعمر به أحوال كثير من المقبلين عليه .
 - (٦) طه ك : يستجيز ، خ : تستجيز .
 - (٧) تعالى : ليست في (طه ، خ) .
 - (٨) حلية : بحاربة الله .
 - (٩) بعد الكلام السابق مباشرة حلية (١ / ٤ - ٥ بحاربة الله وهو ما حدثنا ابراهيم بن محمد ابن حمزة .
 الخ .
 - (١٠) س ، ك : الله تعالى . في الموضعين .
 - (١١) ولياً : ساقطة من (خ ، س) .
 - (١٢) طه : بمثل أرا .
 - (١٣) طه : عليها . وكتب في الهامش : الأصل بها .
 - (١٤) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص ٢٣٣ ت ١ .

مذهب السلف في مسائل الأحكام
قلت : فذم أهل العلم والايان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف ، هو لمن خرج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الأقوال أو الأعمال باطنا أو ظاهرا ، ومدحهم هو لمن وافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه ، كالعاصي الذي يعلم أنه عاص ؛ فهو مدوح من جهة موافقته ، مذموم من جهة مخالفته . وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن سلك سبيلهم في مسائل " الأسماء والأحكام " .

مذاهب الفرق المخالفة
والخلاف فيها أول خلاف حدث في مسائل الأصول ؛ حيث كفرت الخوارج بالذنب ، وجعلوا صاحب الكبيرة كافرا مخلدا في النار ؛ ووافقهم المعتزلة على زوال جميع ايمانهم واسلامهم وعلى خلوده في النار ، لكن نازعوه في الاسم ، فلم يسموه كافرا ، بل قالوا : هو فاسق لامؤمن ولا مسلم ولا كافر ؛ نزله منزلة بين المنزلتين . فهم وان كانوا في الاسم الى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج .

الشبهة المشتركة بين مخالفي السلف في هذه المسائل والعقاب ، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ، بل اما لهذا واما لهذا ؛ فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها ، وقالوا : الايمان هو الطاعة ، فيزول بسزوال بعض الطاعة ؛ ثم تنازعا هل يخلفه الكفر ؟ على القولين .
ووافقهم المرجئة والجهمية على أن الايمان يزول كله بسزوال شيء منه ، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص ، وقالوا : ان ايمان الفساق كايان الأنبياء والمؤمنين .

- (١) من : قلت : ان ذم ، ك : قلت : قد ذم . وفي هامش (س) : مطلب ان ذم أهل العلم هو لمن خرج عما جاء به الرسول .
(٢) من : لمن خرج مما ، ك : من خرج عما .
(٣) ط : ك : والأعمال .
(٤) ك : الله تعالى .
(٥) اسلامه وعلى : ساقطة من (خ ، س) .
(٦) ولا مسلم : ساقطة من (خ ، س) .
(٧) ط : هو أنهم .
(٨) في هامش (س) : مطلب مسألة أن الايمان هل يزيد وينقص .

لكن فقهاء المرجئة قالوا : انه الاعتقاد والقول ، وقالوا : انه / لا بد من أن يدخل النار من فساق الملة من شاء الله .^(١) كما قالت الجماعة ؛ فكان خلاف كثير من كلامهم للجماعة انما هو في الاسم ، لا في الحكم .

وقد بسطنا الكلام على ذلك^(٢) في غير هذا الموضع ، وبيننا الفرق بين دلالة الاسم مفردا ودلالته مقرونا بغيره ، كاسم " الفقير " و " المسكين " ؛ فانسه اذا أفرد أحدهما يتناول^(٤) معنى الآخر ؛ كقوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله)^(٥) . فانه يدخل فيهم المساكين ؛ وقوله تعالى : (فكفارته اطعام عشرة مساكين)^(٦) . فانه يدخل فيهم الفقراء ؛ وأما اذا قرن بينهما كقوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين)^(٧) ، فهما صنفان .

وكذلك قوله تعالى : (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)^(٨) . يدخل في المعروف كل واجب ، وفي المنكر كل قبيح ؛ والقبايح هي السيئات ، وهسي المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش ؛ فاذا قال : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)^(٩) . وقال : (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)^(١٠) . فخص بعض أنواع المنكر بالذكر ، وعطف أحدهما على الآخر - صارت دلالة اللفظ عليه نصا مقصودا بطريق المظاہقة ، بعد أن كانت بطريق العموم والتضمن ،

(١) س : ك : الله تعالى .

(٢) ط : وكان كثير من خلافهم .

(٣) ط : على هذا ، وفي هامش (س) : قوله : وقد بسطنا الكلام . نعم بسط في كتاب " الايمان " ، وهو كتاب مفصل قد طبع في الهند ومصر ، وقد طالعت مرارا فالفيتها كنزا من كنوز العلم جزى الله مؤلفه خيرا .

(٤) خ : س : تناوله .

(٥) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(٦) سورة المائدة : ٨٩ . في جميع النسخ : وقوله تعالى : أو اطعام . . . وهو خطأ .

(٧) سورة التوبة : ٦٠ .

(٨) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٩) سورة العنكبوت : ٤٥ .

(١٠) خ : أو قال .

(١١) سورة النحل : ٩٠ .

سواء قيل : انه داخل في اللفظ العام أيضا ، فيكون مذكورا مرتين ، أو قيل : انه باقترانه بالاسم العام تبين أنه لم يدخل في الاسم العام ؛ لتغير الدلالة بالافراد والتجرد وبالاقتران^(١) والاجتماع كما قدمنا .

وهكذا اسم " الايمان " ؛ فانه تارة يذكر مفردا مجردا ، لا يقرب بالعمل^(٢) الواجب ، فيدخل فيه العمل الواجب تضمننا ولزوما ؛ وتارة يقرب بالعمل ، فيكون العمل^(٣) حينئذ مذكورا بالمطابقة والنص ، ولفظ " الايمان " يكون مسلوب الدلالة^(٤) عليه حال الاقتران ، أو دالا عليه .

كما في قوله تعالى : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)^(٥) ، وقولسه سبحانه لموسى عليه السلام : (انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)^(٦) ، وقوله تعالى : (اطل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة)^(٧) . ونظائر ذلك كثيرة^(٨) .

فالأعمال داخلية في الايمان تضمننا ولزوما في مثل قوله تعالى : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا)^(٩) ، وفي مثل قوله سبحانه : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)^(١٠) ، وقوله عز وجل : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وانا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)^(١١) . وأمثال ذلك من الكتاب والسنة .

- (١) ط : والافتراق ؛ خ ، س ، ك : وبالاقتراق . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٢) ط : لا يقترب .
- (٣) خ ، س : فيكون في العمل .
- (٤) خ ، س : تكون الدلالة .
- (٥) سورة الأعراف : ١٧٠ .
- (٦) سورة طه : ١٤ .
- (٧) سورة العنكبوت : ٤٥ .
- (٨) كثيرة : ساقطة من (خ ، س) .
- (٩) سورة الأنفال : ٢ - ٤ .
- (١٠) سورة الحجرات : ١٥ .
- (١١) سورة النور : ٦٢ .
- (١٢) ط : في .

ومن استقرأ ذلك علم أن الاسم الشرعي ، كالايمان ، والصلاة ، والوضوء ،
والصيام ، لا ينفيه الشارع عن شيء / الا لانتفاء ما هو واجب فيه ، ^(١) لا لانتفاء
ما هو مستحب فيه . ص ١٢٢

وأما قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) .
ونحو ذلك ؛ فالعمل مخصوص بالذكر اما توكيدا ، واما لأنه بالاقتران تفسيرت
دلالة الاسم . ^(٤)

فهذا موقف يزول فيه كثير من النزاع اللفظي في ذلك .

وأياضا فان الايمان يتنوع بتنوع ما أمر الله به العبد ، ^(٦) فحين بعثت
الرسول لم يكن الايمان الواجب ، لا اقرارا ولا عملا ^(٧) ، مثل الايمان الواجب في
آخر الدعوة ؛ فانه لم يكن يجب ان ذاك الاقرار بما أنزله الله بعد ذلك ،
من الايجاب والتحریم والخبر ، ولا العمل بموجب ذلك . بل كان الايمان الذي
أوجبه الله ^(٨) يزيد شيئا فشيئا ، كما كان القرآن ينزل شيئا فشيئا ، والدين يظهر
شيئا فشيئا ، حتى أنزل الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً) . ^(٩)

وكذلك العبد أول ما يهلهه خطاب الرسول ^(١٠) انما يجب عليه الشهاداتتان
فاذا مات قبل أن يدخل عليه وقت صلاة لم يجب عليه شيء غير الاقرار ،
ومات ^(١٢) مؤمنا كامل الايمان الذي وجب عليه ، وان كان ايمان غيره السندي

- (١) لا : ساقطة من (خ ، س) .
- (٢) سورة البينة : ٧ .
- (٣) ط : يخصص ، خ : مخصص .
- (٤) طءك : اما توكيد ، واما لأن الاقتران لا يغير دلالة الاسم .
- (٥) سءك : الله تعالى .
- (٦) خءس : العبد منه .
- (٧) ك : الواجب ولا الاقرار ولا العمل .
- (٨) سءك : الله تعالى . (في الموضعين) .
- (٩) سورة المائدة : ٣ .
- (١٠) سءك : الرسول عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
- (١١) ط : فلم ، خءس : ولم .
- (١٢) ط : ومات مات ، خءس : مات .

دخلت عليه الأوقات أكمل منه .^(١)

فهذا إيمانه ناقص كنقص دين النساء ، حيث قال النبي صلى الله عليه^(٢)
وسلم : (انكن ناقصات عقل ودين ؛ أما نقصان عقلكن فشهادة امرأتين بشهادة
رجل واحد ، وأما نقصان دينكن فان احداكن اذا حاضت لم تصل^(٣) ، ومعلوم
أن الصلاة حينئذ ليست واجبة عليها ، فهذا^(٤) نقص لا تلائم عليه المرأة ، لكن^(٥)
من جعل كاملا كان أفضل منها ؛ بخلاف من نقص شيئا مما وجب عليه .

فصار النقص في الدين والايان نوعين : نوعا لا يذم العبد عليه ، لكونه
لم يجب عليه لمجزه عنه حسا أو شرعا ، واما لكونه مستحبا ليس بواجب ؛
ونوعا يذم عليه ، وهو ترك الواجبات .

فقول النبي صلى الله عليه^(٦) وسلم لجارية معاوية بن الحكم السلمي ؛ لسا

(١) خ ، س : الأوقات عليه .

(٢) س ، ك : الله تعالى .

(٣) روى البخارى في صحيحه (فتح البارى ١/٤٠٥ رقم ٣٠٤) كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، عن أبي سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو في فطر الى المصلى ، فمر على النساء ، فقال : (يا معشر النساء تصدقن . . .) وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن) قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟) قلن : بلى قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى ، قال : (فذلك من نقصان دينها) .

وأخرجه مسلم في صحيحه ١/٨٦-٨٧ رقم ٨٠٤٧٩ ، كتاب الايمان ، باب بيان نقصان الايمان بنقص الطاعات ، وبيان اطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ككفر النعمة والحقوق - عن عبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة .
وأخرجه أبو داود (عون المعبود ١٢/٤٣٨) كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ، عن عبد الله بن عمر .

وأخرجه الترمذى (تحفة الأئمة ٧/٣٥٧-٣٥٩) الايمان ، باب في استكمال الايمان والزيادة والنقصان - عن أبي هريرة .
وأخرجه ابن ماجه ٢/١٣٢٦-١٣٢٧ رقم ٤٠٠٣ كتاب الفتن ، باب فتنة النساء ، عن عبد الله بن عمر .

وأخرجه أحمد في المسند (ط . المعارف ٧/٢١٣-٢١٤ رقم ٥٣٤٣) عن عبد الله بن عمر ، (ط . الحلبي ٢/٣٧٣) عن أبي هريرة .

(٤) ط ، ك : وهذا .

(٥) خ ، س : نقص لا يلام عليه لكن .

(٦) س ، ك : الله تعالى .

قال لها : (أين الله ؟) ، قالت : في السماء ؛ قال : (من أنا ؟) ، قالت : أنت رسول الله ؛ قال : (اعتقها ، فانها مؤمنة)^(١) . - ليس فيه حجة على أن مسن وجبت عليه العبادات فتركها ، وارتكب المحظورات ؛ يستحق الاسم المطلق ، كما^(٢) استحقته هذه التي لم يظهر منها بعد ترك مأمور ولا فعل محظور .

ومن عرف هذا تبين أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لهذه : انها مؤمنة . لا ينافي قوله : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)^(٤) .

(١) ورد هذا في حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه ، أوله ، . قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله وآخره ، قال : وكانت لي جارية ، ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية ، فاطلمت ذات يوم فاذا الذي يب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بني آدم ، أسف كما بأسفون ، لكنني صككتها صكة ، فأنتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعظم ذلك علي ، قلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : (انتسني بها) فأنتيته بها ، فقال لها : (أين الله ؟) قالت : في السماء . قال : (من أنا ؟) قالت : أنت رسول الله - قال : (اعتقها ، فانها مؤمنة) .

الحديث في صحيح مسلم ١/٣٨١-٣٨٢ رقم ٥٣٧ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من اباحة ؛ وسنن أبي داود (عون المعبود ٣/٩٨-١٠٣-٢٠٣ كتاب الصلاة ، باب تشييت العاطس في الصلاة ، ٩/١٠٦-١٠٧ كتاب الايمان والندور ، باب في الرقية المؤمنة ، سنن النسائي ٣/١٣-١٤ كتاب السهو ، الكلام في الصلاة ؛ مسند أحمد (ط . الحلبي) ٥/٤٤٧، ٤٤٨ .

والحديث في موطأ مالك ٢/٧٧٦-٧٧٧ رقم (٨) كتاب العتق والولا ، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، لكن مالكا سمي راوي الحديث عمر بن الحكم ، وأورد قصة الجارية فقط ، دون أول الحديث ، وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اعتقها) دون قوله : (فانها مؤمنة) . وفي موطأ مالك رقم (٩) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رجلا من الأنصار جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية له سود وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اعتقها) دون قوله : (فانها مؤمنة) ، وكذا رواه أحمد في المسند (ط . المعارف) ١٥/٣١-٣٢ رقم ٧٨٩٣ بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سود . . . الخ .

(٢) ط : التي (بدلا من كما) .
(٣) من ، ك : الله تعالى .

(٤) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه البخاري (فتح الباري ٥/١١٩ رقم ٢٤٧٥) كتاب المظالم ، باب النهي بخير ان صاحبه ، وتكرّر بالأرقام ٥٥٧٨ ، ٦٧٧٢ ، ٦٨١٠ ؛ ومسلم ١/٧٦-٧٧ ارادة نفي كماله ؛ وأبو داود (عون المعبود ١٢/٤٤٣-٤٤٧) كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ؛ والنسائي ٨/٥٧-٥٨ كتاب قطع السارق ، تعظيم السرقة ، ٨/٢٨٠-٢٨١ كتاب الأشربة ، ذكر الروايات المغلطات في شرب الخمر ؛ والترمذي (تحفة الأحوذى ٧/٣٧٤ - ٣٧٥) الايمان ، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن ؛ وابن ماجه ٢/١٢٩٨-١٢٩٩ رقم ٣٩٣٦ =

فان ذلك نفي عنه الاسم لانتفاء بعض ما يجب عليه من ترك هذه الكبائر،
وتلك لم تترك واجبا تستحق بتركه أن تكون هكذا .

ويتبع هذا أن من آمن بما جاء به الرسل مجملا ، ثم بلفظ مفصلا فأقر
به / مفصلا وعمل به ؛ كان قد زاد ما عنده من الدين والايان بحسب ذلك ؛
ومن أذنب ثم تاب ، أو غفل ثم ذكر ، أو فرط ثم أقبل ؛ فانه يزيد دينه
وايمانه بحسب ذلك ، كما قال من قال من الصحابة ، كعمير بن حبيب الخطمي^(٢)
وغيره^(٣) : الايمان يزيد وينقص . قيل له : فما زيادته ونقصانه ؟ قال : اذا حمدنا
الله وذكرناه وسبحناه فتلك^(٥) زيادته ، واذا غفلنا ونسينا وأضعنا فذلك
نقصانه . فذكر زيادته بالطاعات وان كانت مستحبة ، ونقصانه بما أضعه من واجب
وغيره .

ص ١٢٢

اقتضاه
التصديق العمل
وأياضا فان تصديق القلب يتبعه عمل القلب ، فالقلب اذا صدق بما
يستحقه الله^(٦) من الألوهية ، وما يستحقه الرسول من الرسالة ؛ تبع ذلك لامحالة
محبة الله ورسوله ، وتعظيم الله ورسوله^(٧) .

= / كتاب الفتن ، باب النهي عن النهية ؛ وأحمد (طه المعارف) ٤١ / ١٣ رقم ٧٣١٦ .
ورود الحديث عن ابن عباس ، أخرجه البخاري (فتح الباري ٨١ / ١٢ رقم ٦٧٨٢) كتاب الحدود
باب السارق حين يسرق ، وتكرر برقم ٦٨٠٩ . والنسائي ٥٧ / ٨ كتاب القسامة ، ماجا في كتاب
القصاص . . . الخ .

ورود عن عائشة ، أخرجه أحمد (طه الحلبي) ١٣٩ / ٦ .

(١) خ : ذاك .

(٢) عمير بن حبيب بن خماسة بن جويبر الأنصاري الخطمي ، بايع تحت الشجرة ، مدني .

انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٥٣١ / ٦ ؛ الجرح والتمديد ٣٧٥ / ٦ - ٣٧٦ ؛ الاستيعاب ٣ /

١٢١٣ / ٤ - ٧١٤ - ٧١٥ . وقد روى قول عمير ، الآجري في " الشريعة " ، ص ١١١ - ١١٢ .

(٣) روى ابن ماجة في سننه ٢٨ / ١ رقم (٧٣) و (٧٥) المقدمة ، باب نبي الايمان ، عن أبي هريرة
وابن عباس وأبي الدرداء ، قولهم : الايمان يزيد وينقص ، وانظر كتاب " الشريعة " ، ص ١١٢ ، ١١٨ .

(٤) ونقصانه : ساقطة من (خ ، س) .

(٥) طه ك : فذلك .

(٦) س ه ك : الله تعالى .

(٧) طه خ ، س : من محبة .

(٨) س ه ك : محبة الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وتعظيم الله عز وجل ورسوله .

والطاعة لله ورسوله أمر لازم لهذا التصديق ، لا يفارقه الا لعارض مسن
كبر أو حسد أو نحو ذلك ،^(١) من الأمور التي توجب الاستكهار عن عبادة الله^(٢)
والبغض لرسوله^(٣) ونحو ذلك ، من الأمور التي توجب الكفر، ككفر اليهين، وفرعون
وقومه، واليهود ، وكفار مكة ، وغير هؤلاء^(٤) من المعاندين الجاحدين .

ثم هؤلاء إذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان
وغير ذلك ، فانه قد يطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق ؛ كما قال
تعالى : (وان قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون أنني رسول الله
اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم^(٥)) . فهو هؤلاء كانوا عالمين فلما زاغوا أزاغ الله
قلوبهم . وقال موسى لفرعون : (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات
والأرض بصائر^(٦)) . وقال تعالى : (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
وما كيد فرعون الا في تباب^(٧)) . الى قوله^(٨) : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار^(٩)) .

وقال تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون^(١٠)) . فبين
سبحانه أن مجيء الآيات لا يوجب الايمان بقوله تعالى : (وما يشعركم أنها اذا
جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) . أي فتكون هذه الأمور الثلاثة^(١١) :

- (١) خ ، س : ونحو ذلك ، ط : وغير ذلك .
- (٢) س ، ك : عبادة الله تعالى .
- (٣) كذا في (خ) ، وفي (ط) : لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي (س ، ك) لرسوله عليه الصلاة والسلام .
- (٤) ط : الخائضين .
- (٥) سورة الصف : ٥ .
- (٦) سورة الاسراء : ١٠٢ .
- (٧) سورة غافر : ٣٧ .
- (٨) س ، ك : قوله سبحانه .
- (٩) سورة غافر : ٣٥ . قبل الآية السابقة بآية واحدة . وجاء في (خ ، س ، ك) : على قلب كل متكبر جبار .
- (١٠) سورة الأنعام : ١٠٩ .
- (١١) خ : الايمان وقال تعالى .
- (١٢) خ : أي فيكون هذان الأمران ؛ س : أي فيكون هذا الأمر .

أن لا يؤمنوا ، وأن نقلب أفئدتهم وأبصارهم ، وأن نذرهم في طغيانهم يعمهون .
أي وما يدريكم أن الآيات إذا جاءت تحصل هذه الأمور الثلاثة .

وبهذا المعنى تبين أن قراءة الفتح أحسن ، وأن من قال : (أن) المفتوحة
بمعنى (لعل) ؛ فظن أن قوله : (ونقلب أفئدتهم) كلام مبتدأ - (٣) لم يفهم
معنى الآية ؛ وإذا جعل (ونقلب أفئدتهم) داخلا في خير (أن) ، تبين معنى
الآية ، فان كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم ، لكن قد يحصل تقليب
أفئدتهم / وأبصارهم وقد لا يحصل ؛ أي فما يدريكم أنهم لا يؤمنون ، والمراد
وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، بل نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم
يؤمنوا به أول مرة ، والمعنى وما يدريكم أن الأمر بخلاف ما تظنون من إيمانهم
عند مجيء الآيات ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ، فيعاقبون على ترك الإيمان
أول مرة بعد وجوبه عليهم ، اما لكونهم عرفوا الحق وما أقروا به ، أو تمكنوا من
معرفة فلم يطلبوا معرفته ، ومثل هذا كثير .

ص ١٢٤

والمقصود هنا أن ترك ما يجب من العمل بالعلم الذي هو مقتضى
التصديق والعلم ، قد يفضى الى سلب التصديق والعلم ؛ كما قيل : العلم
يهتف بالعمل ، فان أجابه والا ارتحل . وكما قيل : كنا نستعين على حفظ العلم
بالعمل به .

فما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول (٥) اذا لم يتبعه موجهه
ومقتضاه من العمل قد يزول ، ان وجود العلة يقتضي وجود المعلول ، وعدم
المعلول يدل على عدم العلة ، فكما (٦) أن العلم والتصديق سبب لـ (٨)

(١) خ ، س : وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم .

(٢-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٣) ط : فلم .

(٤) بالعلم الذي : ساقطة من (ط) .

(٥) ط : الرسل .

(٦) يدل على : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : يقتضي .

(٧) ط : كما .

(٨) ط : الارادة .

والعمل ، فعدم الارادة والعمل يدل على عدم العلم والتصديق .

(٢) ثم ان كانت العلة تامة ، فعدم المعلول دليل يقتضي عدمها ، وان كانت سببا قد تخلف معلولها ، كان له بخلفه اشارة على عدم المعلول قد يتخلف مدلولها .

وأیضا فالصدق الجازم في القلب يتبعه موجه بحسب الامكان ، كالارادة الجازمة في القلب ، فكما أن الارادة الجازمة في القلب اذا اقترنت بها القدرة حصل بها المراد أو المقذور من المراد لامحالة ، [ومتى] (٤) كانت القدرة حاصلة ولم يقع الفعل كان الحاصل هما ، لا ارادة جازمة ، وهذا هو الذي عني عنه ، فكذلك التصديق الجازم ، اذا حصل في القلب تبعه عمل من عمل القلب لامحالة ، لا يتصور أن ينفك عنه ، بل يتبعه الممكن (٥) من عمل الجوارح ، فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب علم أنه ليس بتصديق جازم ، فلا يكون ايمانا .

لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه ، لعارض من الأهواء كالكبر والحسد ونحو ذلك من أهواء النفس ، لكن الأصل أن التصديق يتبعه الحب ، (٦) واذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له ؛ ولهذا قال الصحابة : كل من يعصى الله فهو جاهل . وقال ابن مسعود : كفى بخشية الله علما ، وكفى بالاغترار جهلا . (٧)

- (١) يدل على عدم : كذا في (ط) ، وفي التسخ الأخرى : سبب لعدم .
(٢-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) والكلمات الأخيرة غير مفهومة ، ولعلها تستقيم على هذا النحو : ..
أشارة على عدم قوة سبب المعلول . ان العلة الناقصة قد يتخلف معلولها .
(٣) تخلف : كذا في (ط) ، وفي (ك) : يتخلف .
(٤) ومتى : ساقطة من (ك) .
(٥) ك : الحاصل هي .
(٦) ط : تبعه عمل القلب .
(٧) ط : بل معه ما أمكن .
(٨) خ ، س : المعارض .

(٩-١٠) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
وقد روى الدارمي في سننه (١/٢٩٠، ١٩١) عن مسروق قال : " كفى بالمرء علما أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه " وروى (١/٨١) عن ابن عباس قال : " من يخشى الله فهو عالم " .

ولهذا كان التكلم بالكفر من غير اكراه كفرا في نفس الأمر، عند الجماعة وأئمة الفقهاء حتى المرجئة، خلافا للجهمية ومن اتبعهم. ومن هذا الباب سب الرسول ^(١) وبغضه، وسب القرآن وبغضه، وكذلك سب الله ^(٢) وبغضه، ونحو ذلك مما ليس من باب التصديق والتكذيب، بل من باب الحب والتعظيم والموالاة، أو البغض والمعاداة والاستخفاف ^(٣).

ص ١٢٥ / ولما كان إيمان القلب له موجبات في الظاهر، كان الظاهر دليلا على إيمان القلب ثبوتا وانتفاء؛ كقوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية ^(٤)، وقوله: (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) ^(٥) وأمثال ذلك.

وبعد هذا فنزاع المنازع في أن الإيمان في اللغة هل هو اسم لمجرد التصديق دون مقتضاه، أو اسم للأمرين - يؤول إلى نزاع لفظي؛ وقد يقال: إن الدلالة تخطف بالافراد والاقتران ^(٦).

من الناس من يسلم بأن الإيمان في اللغة هو والتصديق يكون باللسان ويكون بالجوارح، والقول يسمى تصديقا والعمل التصديق ثم يقول إن التصديق يكون بالقول والعمل أيضا والناس منهم من يقول: إن أصل الإيمان في اللغة التصديق، ثم يقول: والتصديق يسمى تصديقا؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل

(١) من، ك: الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢) من، ك: الله سبحانه.

(٣) ك: مما ليس من باب التصديق والحب والتعظيم والموالاة، بل من باب التكذيب والبغض والمعاداة والاستخفاف.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

(٥) من، ك: وقوله جل وعز.

(٦) سورة المائدة: ٨١.

(٧) ط: والاقتران.

(٨) ط: لقول.

(٩) من، ك: الله تعالى.

تزني وزناها المشي ، والقلب يتنى ويشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(١) .
وقال الحسن البصرى : ليس الايمان بالتنى ولا بالتحلي^(٢) ، ولكن بما وفر فسي
القلب ، وصدقه العمل^(٣) .

ومنهم من يقول : بل الايمان هو الاقرار ، وليس هو مرادنا للتصديق ؛
فان التصديق يقال على كل خير عن شهادة أو غيب ، وأما الايمان فهو
أخص منه ؛ فانه قد قيل لخبر اخوة يوسف : (وما أنت بمؤمن لنا)^(٤) . وقيل :
(يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين)^(٥) . ان الايمان بالنبي^(٦) تصديق به ، والايمان له
تصديق له ؛ ذلك في الخبر^(٧) ، وهذا في المخبر .

ويقال :- لمن قال : الواحد نصف الاثنين ، والسما فوق الأرض - قد صدقته^(٨)
ولا يقال : آمنت له ؛ ويقال : اصدق بهذا . ولا يقال : أوؤمن به . ان لفظ
" الايمان " افعال من الأمن ، فهو يقتضي طمأنينة وسكونا ، فيما من شأنه أن يستريب
فيه القلب فيخفق ويضطرب ، وهذا انما يكون في الاخبار بالمفريات لا بالمشاهدات
والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع .

وانما المقصود أن فقهاء المرجئة ، خلافهم مع الجماعة خلاف يسير ،
وبعضه لفظي ، ولم يعرف بين الأئمة المشهورين بالفتيا خلاف الا في هذا ؛

(١) ورد معنى هذا الحديث عن أبي هريرة مطولا ومختصرا ، أوله : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : (ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لامحالة ، فالعينان ... الخ) .
أخرجه البخارى في صحيحه (فتح البارى ١١ / ٢٦٦ رقم ٦٢٤٣) كتاب الاستئذان ، باب زنا
الجوارح دون الفرج ، ١١ / ٥٠٢ - ٥٠٣ رقم ٦٦١٢ كتاب القدر ، باب (وحرام على قريصة
أهلكناها أنهم لا يرجعون) ؛ وسلم في صحيحه ٤ / ٢٠٤٦ ، ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٢ كتاب القدر ،
باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره ؛ وأبو داود في سننه (عون المعبود ٦ / ١٨٨ -
١٨٩) كتاب النكاح ، باب في ما يؤمر به من فض البصر ؛ وأحمد في مسنده (ط . المعارف)
١٤٧ / ١٤ رقم ٩٢ / ١٦٠٧٢٠٥ ، وكرر برقم ٨١٩٩٦ ، ٨٣٣٨ ، ٨٥٠٧ ، ٨٥٢٠ ، ٨٥٨٢ ، ٨٥٨٣ .

(٢) بالتحلي ولا بالتنى .
(٣) رواه عن الحسن ، الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل ، ص ٤٢ - ٤٣ ، وأورد الشيوطي
في " الجامع الصغير " حديثا عن أنس ، وجاء عنه في شرحه فيض القدير ٥ / ٣٥٦ : " حديث منكسر
... وقد روي معناه بسند جيد عن الحسن من قوله ، وهو الصحيح " .
(٤) سورة يوسف : ١٧ .

(٥) من : ك : بالنبي عليه الصلاة والسلام .

(٦) ك : في ذلك الخبر .

(٧) ك : والسما فوق الأرض . قد صدقت .

(٨) ك : والسما فوق الأرض . قد صدقت .

فان ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين : كحماد بن أبي سليمان^(١)، وصاحبه أبي حنيفة ، وأصحاب أبي حنيفة .

وأما قول الجهمية - وهو أن الايمان مجرد تصديق القلب دون اللسان - فهذا لم يقله أحد من المشهورين بالامامة ، ولا كان قديما^(٢) يضاف هذا الى المرجئة ، وانما وافق الجهمية عليه طائفة من المتأخرين من أصحاب الأشعري ، وأما ابن كلاب ، فكلامه يوافق كلام المرجئة ، لا الجهمية .

وآخر الأقوال حدوثا في ذلك قول الكرامية ؛ أن الايمان اسم للقول باللسان وان لم يكن معه اعتقاد القلب . وهذا القول أفسد الأقوال ، لكن أصحابه لا يخالفون في الحكم ، فانهم يقولون : ان هذا الايمان باللسان / دون القلب هو ايمان المنافقين ، وانه لا ينفع في الآخرة .

وانما أوقع هؤلاء كلهم ما أوقع الخوارج والمعتزلة ، في ظنهم أن الايمان لا يتبعض ، بل اذا ذهب بعضه ذهب كله . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض ، وأنه ينقص ولا يزول جميعه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان^(٤) .

(١) هو أبو اسماعيل حماد بن أبي سليمان واسم أبي سليمان مسلم ، مولى ابراهيم بن أبي موسى الأشعري ، كوفي ، روى عن أنس و ابراهيم النخعي وعدد من متقدمي التابعين ، وروى عنه الشورى وشعبة وغيرهما ، وهو مستقيم في الفقه ، ضعيف في الحديث : صدوق لا يحفظ ، وكان مرجسيا ، مات سنة ١٢٠ أو ١١٩ .

انظر: التاريخ الكبير للبخارى ٣/ ١٨-١٩ ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٣٢-٣٣٣؛ الجرح والتعديل ٣/ ١٤٦-١٤٨ ؛ تهذيب التهذيب ٣/ ١٦-١٨ ؛ تاريخ التراث العربي ١/ ٣/ ٢٠-

(٢) : فيضاف .

(٣) من ءك : الله تعالى .

(٤) طءك : من الايمان .

وقد ورد بهذا المعنى عدد من الأحاديث :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبه من خردل من ايمان . . . الخ) .

أخرجه البخارى ١/ ٢٢ رقم ٢٢ كتاب الايمان ، باب تفاضل أهل الايمان في الأعمال ؛ ومسلم ١/

١٢٢ رقم ١٨٤ كتاب الايمان ، باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار .

ورود حديث أبي سعيد هذا مطولا ، أوله قال : قلنا يا رسول الله هل نرى يوم القيامة ؟ قال :

(هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانتا صحوًا ؟) فذكر فيه الرواية ، وكشف الساق ، والعرض ، ونصب الصراط ، والمرور عليه ، وسقوط من يسقط ، وشفاعة المؤمنين في اخوانهم ، وقول الله سبحانه /

فالأقوال في ذلك ثلاثة :

الخوارج والمعتزلة نازعوا في الاسم والحكم ، فلم يقولوا بالتبعيض لا في الاسم ولا في الحكم ، فرفعوا عن صاحب الكبيرة اسم " الايمان " بالكلمة ، وأوجبوا له الخلود في النار^(٢) .

وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لا في الحكم ؛ فقالوا : يجوز أن يكون مثابا معاقبا ، محمودا مذموما ؛ لكن لا يجوز أن يكون معه بعض الايمان دون بعض .

وكثير من المرجئة والجهمية من يقف في الوعيد ، فلا يجزم بنفوذ الوعيد في حق أحد من أرباب الكبائر ، كما قال ذلك من قاله من مرجئة الشيعة والأشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره . ويذكر عن غلاتهم أنهم نفوا الوعيد

= / وتعالى : (اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه) .
أخرجه البخارى (فتح البارى ١٣ / ٤٢٠ - ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ؛ ومسلم ١ / ١٦٧ - ١٧١ رقم ١٨٣ كتاب الايمان ، باب معرفة طريق الرومية .
وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)
وفي رواية (من ايمان) مكان (من خير) .
الحديث في صحيح البخارى (فتح البارى ١ / ١٠٣ رقم ٤٤) كتاب الايمان ، باب زهادة الايمان ونقصانه ؛ وصحيح مسلم ١ / ١٨٢ رقم ١٩٣ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

وورد هذا الحديث أيضا مطولا ، وفيه خير الشفاعة العظمى : شفاعة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف ، أوله عن أنس قال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : (اذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض . . .) وفيه (فأقول : يا رب أمي أمي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من ايمان فأخرجه من النار) .
رواه البخارى (فتح البارى ١٣ / ٤٧٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥١٠) كتاب التوحيد ، باب كلام السرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ؛ ومسلم ١ / ١٨٢ - ١٨٤ رقم ١٩٣ كتاب الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة .

(١) كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : بالكلمة اسم الايمان .

(٢) النار: كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : النيران . وأمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة " قوبل " .

بالكفية ، لكن لا أعلم معيناً معروفاً أذكر عنه هذا القول ،^(١) ولكن حكى هذا عن مقاتل بن سليمان ، والأشبه أنه كذب عليه^(٢) .

وأما أئمة السنة والجماعة فعلى اثبات التبعية في الاسم والحكم ، فيكون مع الرجل بعض الايمان لآله ، ويثبت له من حكم أهل الايمان وثوابهم بحسب مامعه ، كما يثبت له من العقاب بحسب ماعليه ، وولاية الله^(٣) بحسب ايمان العبد وتقواه ، فيكون مع العبد من ولاية الله^(٣) بحسب مامعه من الايمان والتقوى ، فان أولياء الله^(٤) هم المؤمنون المتقون ؛ كما قال تعالى : (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(٥) .

وعلى هذا فالمأول الذي أخطأ في تأويله ، في المسائل الخيرية والأمرية ، وان كان في قوله بدعة يخالف بها نصاً أو اجماعاً قديماً ، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك ، بل قد أخطأ فيه ، كما يخطئ المغتبي والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاد . - يكون أيضاً مثاباً من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى ، غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه ، وان كان معفو عنه . ثم قد يحصل منه^(٦) تفريط في الواجب أو اتباع لهوى يكون ذنباً منه ، وقد يقوى فيكون كبيرة ، وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله بها رسوله ،

(١-١) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، عاش في البصرة ، قدم بغداد وحدث بها ، وتوفي بالبصرة سنة : ١٥٠ ، كان مفسراً وأصحاب الحديث يتقون حديثه وينكرونه . قال ابن حزم في الفصل ٤ / ٢٠٥ : " وقال مقاتل بن سليمان - وكان من كبار المرجئة - : لا يضر مع الايمان سيئة جلت أو قلت أصلاً ، ولا ينفع مع الشرك حسنة أصلاً . . . وكان يقول : ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان " .

وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٣ / ٧ ؛ الجرح والتعديل ٣٥٤ / ٨ - ٣٥٥ ؛ تاريخ بغداد ١٣ / ١٦٠ - ١٦٩ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ١٧٢ - ١٧٥ ؛ الأعلام ٧ / ٢٨١ ؛ تاريخ السترات العربي ١ / ١ / ٨٥ - ٨٦ .

(٣) من ، ك : الله تعالى . في الموضعين .

(٤) من قوله هنا : " فان أولياء الله . . . " الى قوله في صفحة ٥٩١ : " . . . بل ومن حال المخبريين مصدقهم " ساقط من (ط) .

(٥) سورة يونس : ٦٢ .

(٦) تعالى : ليست في (خ) .

(٧) من ، ك : فيه .

(٨) من ، ك : الله عز وجل .

ويعاندها مشاقاً^(١) للرسول من بعد ماتين له الهدى ، متبعاً غير سبيل المؤمنين ؛ فيكون مرتداً منافقاً ، أو مرتداً ردة ظاهرة . فالكلام في الأشخاص لابد فيه من هذا التفصيل .

وأما الكلام في أنواع الأقوال والأعمال باطنياً وظاهراً من الاعتقادات والآراء وغير ذلك ، فالواجب فيما تنوزع فيه [من]^(٢) ذلك / أن يرد النسي الله والرسول ، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق ، وما خالفه فهو باطل ، وما وافقه من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل فهذا هذا^(٣) .

ص ١٢٢

والمقصود هنا أن أهل العلم والايان في تصديقهم لما يصدقون به ، وتكذيبهم لما يكذبون به ، وحمدهم لما يمدونه ، وذمهم لما يذمونه - متفقون على هذا الأصل . فلهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المنتسبين إلى الفقه والزهد ، يذمون البدع المخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والأعمال ، من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف ونحوهم ؛ وإن كان في أولئك من هو مجتهد ، له أجر على اجتهاده ، وخطؤه مفسور له .

وقد ثبت^(٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال : (خير القرون الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)^(٥) . فكان القرن الأول من كمال العلم والايان على حال لم يصل إليها القرن الثاني وكذلك الثالث .

وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والايان ، وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها ، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب ؛ فلهذا

(١) من : مشاقاً .

(٢) من : ساقطة من (س ، ك) .

(٣) ك : فهذا هو .

(٤) ك : يثبت .

(٥) س ، ك : الله تعالى .

(٦) تقدم تخريج هذا الحديث ، ص ٥٥١ هـ ٧ .

حدث أولاً بدعة الخوارج والشيعة ، ثم بدعة القدرية والمرجئة ، وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية ، حتى قال ابن المبارك ، ويوسف بن أسباط^(١) ، وطائفة من العلماء ، من أصحاب أحمد وغيرهم : ان الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة ، بل هم زنادقة .

وهذا مع أن كثيراً من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة ، بل قبلوا كلام الزنادقة جهلاً وخطأ ؛ قال الله تعالى : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأضعوا خلالكم بينفونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)^(٢) . فأخبر أن نبي المؤمنين من هو مستجيب للمناققين ، فما يقع فيه بعض أهل الايمان من أمور بعض المناققين هو من هذا الباب .

والمقصود هنا أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن أمته لا تبقى على ضلالة ، بل اذا وقع منكر من لبس حق بباطل أو غير ذلك ؛ فلا بد أن يقيم الله تعالى من يميز ذلك . فلا بد من بيان ذلك ، ولا بد من اعطاء الناس حقوقهم ؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها^(٦) : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم . رواه أبو داود وغيره^(٧) .

وهذا الموضوع لا يحتمل من السعة ، وكلام الناس في مثل هذه الأمور التي وقعت ممن وقعت منه ، بل المقصود التنبيه على جمل ذلك ، لأن هذا

(١) هو أبو محمد يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي ، نزل قرية بين حلب وانطاكية ، كان عابداً صاحب سنة ، الا أنه يغلط في الحديث ، قال عنه البخاري : دفن كتبه فكان لا يجزيه حديثه كما ينبغي ، مات سنة ١٩٥ .

انظر : التاريخ الكبير ٣٨٥/٨ ؛ الجرح والتعديل ٢١٨/٩ ؛ ميزان الاعتدال ٤٦٢/٤ ؛ تهذيب التهذيب ٤٠٧/١١ - ٤٠٨ .

(٢) سورة التوبة : ٤٧ .

(٣) من ، ك ؛ فأخبر سبحانه .

(٤) من ، ك ؛ الله تعالى .

(٥) تعالى : ليست في (خ) .

(٦) من ، ك ؛ الله تعالى . (في الموضعين) .

(٧) تقدم تخريجه ، ص ٤٠٨ ت ٩ .

محتاج اليه في هذه الأوقات ؛ فكتب الزهد والتصوف فيها من جنس ما في كتب
الفقه والرأى ؛ وفي كلاهما / منقولات صحيحة وضعيفة ، بل ، وموضوعة ؛ ومقالات
صحيحة وضعيفة ، بل وباطلة . وأما كتب الكلام ففيها من الباطل أعظم من
ذلك بكثير ، بل فيها أنواع من الزندقة والنفاق ، وأما كتب الفلسفة فالباطل غالب
عليها ، بل الكفر الصريح كثير فيها .

ص ١٢٨

وكتاب " الاحياء " له حكم نظائره ، ففيه أحاديث كثيرة صحيحة ، وأحاديث
كثيرة ضعيفة أو موضوعة ؛ فان مادة مصنفه في الحديث والآثار ، وكلام السلف
وتفسيرهم للقرآن ؛ مادة ضعيفة . وأجود ماله من المواد المادة الصوفية ، ولو
سلك فيها مسلك الصوفية أهل العلم بالآثار ، النبوية ، واحترز عن تصوف
المتفلسفة الصاهئين ، لحصل مطلوبه ، ونال مقصوده ؛ لكنه في آخر عمره سلك
هذأ السبيل . وأحسن ما في كتابه - أو من أحسن ما فيه - ما يأخذه من كتاب
أبي طالب في " مقامات العارفين " ونحو ذلك ، فان أبا طالب أخير بذوق
الصوفية حالا ، وأعلم بكلامهم وآثارهم سمعا ، وأكثر مباشرة لشيوخهم الأكابر .

عود الى الكلام
عن الغزالي

والمقصود هنا أن طرق العلم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ^(٢) بسبل
وتفاوت الطرق في معرفة قدر النبوة والنبي ؛ متعددة تعددا كثيرا ، ان النبي
يخبر عن الله سبحانه ^(٣) أنه قال ذلك ؛ اما اخبارا من الله ، ^(٤) واما أمرا
أو نهيا ^(٥) ، ولكل من حال المخبر ، والمخبر عنه ، والمخبر به ، بل ومن حال
المخبرين ؛ ^(٦) صدقهم ومكذبهم - دلالة على المطلوب ، سوى ما ينفصل عن ذلك من
الخوارق ، وأخبار الأولين والهواتف ، والكهان ، وغير ذلك .

عود الى الكلام عن
طرق العلم
بصدق النبي

- (١) خ : هذه .
- (٢) س ، ك : النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .
- (٣) سبحانه : ليست في (خ) .
- (٤) س ، ك : الله تعالى .
- (٥) خ ، س : واما أمرا ونهيا .
- (٦) هنا ينتهي الساقط من (ط) وقد بدأ في صفحة ٥٨٨ .

دلالة حال المخبر (١) مطلقاً يعلم (٢) صدقه وكذبه بأمر كثيرة لا يحصل العلم بآحادها كما يحصل العلم بمخبر الأخبار المتواترة ، بل بمخبر الخبر الواحد السني احتف بخبره قرائن أفادت العلم .

ومن هذا الباب علم الانسان بعدالة الشاهد والمحدث والمفتي ، حتى يزكهم ويفتي بخبرهم ويحكم بشهادتهم ، وحتى لا يحتاج الحاكم في عدالة كل شاهد الى تزكيته ، فانه لو احتاج كل مزك الى مزك لزم التسلسل ، بل يعلم صدق الشخص تارة باختباره ومباشرته ، وتارة باستفاضة صدقه بين الناس . (٣)

ولهذا قال العلماء : ان التعديل (٤) لا يحتاج الى بيان السبب ، فان كون الشخص عدلاً صادقاً لا يكذب ؛ لا يتبين بذكر شي معين ، بخلاف الجرح فانسه لا يقبل الا مفسراً عند جمهور العلماء لوجهين :
أحدهما - أن سبب الجرح ينضبط .

الثاني - أنه قد يظن مالم يس جرح جرحاً .

وأما كونه صادقاً متحريراً للصدق لا يكذب ، فهذا لا يعرف بشي واحد حتى يخبر به ، وانما يعرف ذلك من خلقه وعاداته ، بطول المباشرة له والخبرة له ؛ ثم اذا استفاض ذلك عند عامة / من يعرفه كان ذلك طريقاً [للعلم] (٥) لمن لم يباشره ، كما يعرف الانسان عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وظلمهم الحجاج . ولهذا قال الفقهاء : ان العدالة والغسق يثبت بالاستفاضة ، وقالوا في الجرح المفسر : يجرحه بما رآه أو سمعه أو استفاض عنه . (٦)

ص ١٢٩

(١) ط: والمخبر .

(٢) في (خ) شكلت هذه العبارة هكذا : فالْمُخْبِرُ مطلقاً يعلم .

(٣) في هامش (خ) : بلغ مقابلة حسب الطاقة .

(٤) خ ، س : ولهذا اتفق العلماء على أن التعديل .

(٥) للعلم : ساقطة من (ك) .

(٦) ط: المقر بجرحه .

وصدق الانسان في العادة مستلزم لخصال البر، كما أن كذبه مستلزم لخصال الفجور ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (عليكم بالصدق ، فان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ؛ وإياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)^(٣) .

وكما أن الخبر المتواتر يعلم لكونه خبر^(٤) من يمتنع في العادة اتقاقهم وتواطؤهم على الكذب ، والخبر المنكر المكذب يعلم لكونه^(٤) لم يخبر به من يمتنع في العادة اتقاقهم على الكتمان - فخلق الشخص وعادته في الصدق والكذب يمتنع في العادة أن يخفى على الناس ، فلا يوجد أحد يظهر تحسرى الصدق وهو يكذب اذا أراد ؛ الا ولا بد أن يتبين كذبه^(٧) .

فان الانسان حيوان ناطق ؛ فالكلام له وصف لازم ذاتي لا يفارقه ، والكلام اما خبر واما انشاء ، والخبر أكثر من الانشاء وأصل له ، كما أن العلم أعم من الارادة وأصل لها ، والمعلوم أعظم من المراد ؛ فالعلم يتناول الموجود والمعدوم ، والواجب والممكن والمنتع ، وما كان وما سيكون ، وما يختاره العالم وما لا يختاره ، وأما الارادة فتختص ببعض الأمور دون بعض . والخبر يطابق العلم ، فكل ما يعلم يمكن الخبر به ، والانشاء يطابق الارادة ؛ فان الأمر اما محبوب يؤمر به ، أو مكروه ينهى عنه ، وأما ما ليس بمحبوب ولا مكروه فلا يؤمر به ولا ينهى عنه .

-
- (١) س ، ك : الله تعالى .
 - (٢) خ ، س : وما يزال . (في الموضعين) .
 - (٣) تقدم تخريجه ، ص ٤٧٤ ت ٨ .
 - (٤-٤) ما بينهما ساقط من (ط) .
 - (٥) خ ، س : أخير ؛
 - (٦) خ ، س : ولا .
 - (٧) خ ، س : يتبين صدقه .

وانا كان كذلك فالانسان اذا كان متحريرا للصدق عرف ذلك منه^(١)، وانا كان يكذب أحيانا لغرض من الأغراض ، لجلب ما يهواه ، أو دفع ما يبغضه أو غير ذلك^(٢)؛ فان ذلك لا بد أن يعرف منه ، وهذا أمر جرت به العادات كما جرت بنظائره ، فلا تجد أحدا بين طائفة من الطوائف طالت مباشرتهم له ، الا وهم يعرفونه : هل يكذب أو لا يكذب .

ولهذا كان من سنة القضاة اذا شهد عندهم من لا يعرفونه كان لهم أصحاب مسائل ، يسألون عنه جيرانه ومعامله ونحوهم ، ممن له به خبرة ، فمن خبر شخصا خيرة باطنة فانه^(٣) يعلم من عاداته علما يقينيا^(٤) أنه لا يكذب ، لاسيما في الأمور العظام .

ومن خبر عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج^(٥) ، ويحيى بن سعيد / القطان^(٦) ، وأحمد بن حنبل ،

ص ١٣٠

(١) منه : ساقطة من (خ ، س) .

(٢) س : وغير ذلك .

(٣) ط : باطنة فقد .

(٤) ط : يقينا .

(٥) الحافظ الحجة أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد المتي الأزدى مولا هم (٨٢ - ١٦٠) ولد ونشأ بواسط ، ثم انتقل الى البصرة ، وسكنها الى أن توفى بها ، وهو زاهد ورع ، من أئمة رجال الحديث ، كان في غاية المعرفة بصحيح الآثار وسقيمها وناقليها ، قيل : انه أول من تكلم في الرجال ، وكان أيضا عالما بالأدب والشعر .
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨٠ / ٧ - ٢٨١ ؛ الجرح والتعديل ١ / ١٢٦ - ١٢٧ ؛ تاريخ بغداد ٩ / ٢٥٥ - ٢٦٦ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٦٩ - ٤٧٠ ؛ تذكرة الحفاظ ١ / ١٩٣ - ١٩٤ ؛ البداية والنهاية ١٠ / ١٣٢ - ١٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ٤ / ٣٣٨ - ٣٤٦ ؛ الأعلام ٣ / ١٦٤ ؛ تاريخ التراث العربي ١ / ١ / ١٦٨ - ١٦٩ .

(٦) في هامش (س) : يحيى بن سعيد بن فروخ القطان من أهل البصرة ، أحد الحفاظ المتقنين ، والعلماء العاطلين ، سمع أبا جعفر الخطمي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم ؛ وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي والامام أحمد ويحيى بن معين وغيرهم .
قدم بغداد وحدث بها وكان يعرف بالأحول [الأصل : بالأحوال] قال ابن معين : وكان يفتي بقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى . وولادته سنة مائة وعشرين وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة . وقد ترجم في الكتب التاريخية بترجمة طويلة رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه . الفقير نعمان البغدادي .

وأضعاف أضعافهم ؛ حصل عنده علم ضروري من أعظم العلوم الضرورية أن الواحد من هؤلاء لا يعتمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تواترت عنده أخبارهم من أهل زماننا وغيرهم ؛ حصل له هذا العلم الضروري ، ولكن قد يجوز على أحدهم الغلط الذي يليق به .

ثم خير الفاسق والكافر، بل ومن عرف بالكذب ؛ قد تقترن به قرائن تفيد علما ضروريا أن المخبر صادق في ذلك الخبر، فكيف ممن عرف منسبه الصدق في الأشياء^(٣) !

فمن كان خبيرا بحال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ مثل زوجته خديجة ، وصديقة أبي بكر، اذا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه أو سمعه، حصل له علم ضروري بأنه صادق في ذلك ، ليس هو كاذبا في ذلك .

ثم أن النبي لا بد أن يحصل له علم ضروري بأن ما أتاه صادق أو كاذب، فيصير اخباره عما علمه بالضرورة كاخبار أهل التواتر عما علموه بالضرورة .

وأياها فالمتنبى الكذاب كسيلمة والعنسي ونحوهما ؛ يظهر لمخاطبه من كذبه في أثناء الأمور أعظم مما يظهر من كذب غيره ، فانه اذا كان الاخبار عن الأمور المشاهدة لا بد أن يظهر فيه كذب الكاذب ؛ فما الظن بمن يخبر عن الأمور الغائبة التي تطلب منه .

ومن لوازم النبي التي لا بد منها الاخبار عن الغيب الذي أنبأه الله به^(٨) ، فان من لم يخبر عن غيب لا يكون نبيا ؛ فاذا أخبرهم المتنبى^(٩) عن الأمور الغائبة عن حواسهم ، من الحاضرات والمستقبلات والماضيات ؛ فلا بد أن يكذب فيهما ،

(١) س ، ك : الله تعالى .

(٢) عنده : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : عنه .

(٣-٣) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٤) خ ، س : ومن .

(٥) س : الله تعالى . في الموضعين .

(٦) ان : ساقطة من (خ ، س) .

(٧) ط : بمخالطته ، خ : لسخالطيه .

(٨) س ، ك : الله تعالى .

(٩) المتنبى : ساقطة من (خ ، س) .

(١٠) ط : عن مشاهدتهم .

ويظهر لهم كذبه ؛ وان كان قد يصدق أحيانا في شيء ، كما يظهر ككذب الكهان والمنجمين ونحوهم ، وكذب المدعين للدين والولاية ، والشيخة بالباطل ، فان الواحد من هؤلاء ، وان صدق في بعض الوقائع ؛ فلا بد أن يكذب في غيرها ، بل يكون كذبه أغلب من صدقه ، بل تتناقض أخباره وأوامره ، وهذا أمر جرت به سنة الله التي لن تجد لها تبديلا ؛ قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)^(١) .

وأما النبي الصادق المصدوق فهو فيما^(٢) فهو فيما^(٣) يخبر به عن الغيوب ، توجد أخباره صادقة مطابقة ، وكلما زادت أخباره ظهر صدقه ، وكلما قويت مباشرته وامتحانه ظهر صدقه ، كالذهب الخالص الذي كلما شبك خلص وظهر جوهره ، بخلاف المغشوش فانه عند المحنة ينكشف ويظهر أن باطنه خلاف ظاهره . ولهذا جاء في النبوات المتقدمة أن الكذاب لا يدوم أمره أكثر من مدة قليلة ، اما ثلاثين سنة واما أقل ؛ فلا يوجد مدعي النبوة كذاب^(٤) الا ولا بد أن ينكشف ستره ويظهر أمره ؛ والأنبيا الصادقون لا يزال يظهر صدقهم ، بل الذين يظهرون العلم ببعض الفنون ، والخبرة / ببعض الصناعات ، والصلاح والدين والزهد ؛ لا بد أن يتميز هذا من هذا وينكشف ، فالصادقون يدوم أمرهم ، والكذابون ينقطع أمرهم ، هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا .

ص ١٣١

(١) سورة النساء : ٨٢ .

(٢) ط : والمصدوق ، خ ، س : المصدق .

(٣) فيما : ساقطة من (س) .

(٤) ط : من .

(٥) ط : ظهر وخلص .

(٦) ك : كذاها .

(٧) ط : هذا ما .

دلالة حال المخبر به وأما المخبر عنه وبه^(١) ، فالنبي يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا ، أو أنه أمر بكذا ؛ فلا بد أن يكون خبره صدقا وأمره عدلا ؛ (وتنت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)^(٣) .

والأمور التي يخبر بها ويأمر بها ، تارة تنبه العقول على الأمثال والأدلة العقلية التي يعلم بها صحتها ، فيكون ما علمته العقول بدلالته وإرشاده - من الحق الذي أخبر به^(٥) ، والعدل الذي أمر به - شاهداً^(٧) بأنه هاد ومرشد^(٨) معلم للخير ، ليس بمضل ولا مغو ولا معلم للشر .

وهذه حال الصادق البر دون الكاذب الفاجر ، فان الكاذب الفاجر لا يتصور أن يكون ما يأمر به عدلا ، وما يخبر به حقا . وانا كان أحيانا يخسبر ببعض الأمور الغائبة ، لشيطان يقترن به^(٩) يلقي اليه ذلك ، أو غير ذلك ؛ فلا بد أن يكون كاذبا فاجرا ؛ كما قال تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)^(١٠) . وهذا بيان لأن الذي يأتيه ملك لاشيطان ، فان الشيطان لا ينزل على الصادق البار مادام صادقا بارا ؛ ان لا يحصل مقصوده بذلك ، وانما ينزل على من يناسبه في التشيطان^(١١) وهو الأفك^(١٢) الأثيم ، [والأفك الكذاب^(١٣)] ، والأثيم الفاجر .

(١) وبه : ساقطة من (خ ، س) .

(٢) ط ، ك : كالنبي .

(٣) سورة الأنعام : ١١٥ . والآية ساقطة من (خ ، س) .

(٤) ط : فتكون بها علمية العقول .

(٥) ط : خصر به .

(٦) والعدل : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : والخبر .

(٧) ك : شاهد ، ط : بينا هذا .

(٨) ك : ومرشد .

(٩) ط : كشيطان يعتربه ، ك : كشيطان يقترن به .

(١٠) سورة الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣ . في جميع النسخ : قل هو أنبئكم . . . وهو خطأ .

(١١) ط : يناسبه الشيطان .

(١٢) الأفك : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : الكاذب .

(١٣) والأفك الكذاب : في (ط) فقط .

وتارة يخبر النبي ^(١) بأمر ويأمر بأمر ، لا يتبين للعقول ^(٢) صدقها ومنفعتيها
في أول الأمر ، فاذا صدق الانسان خبره وأطاع أمره ؛ وجد في ذلك من
البيان للحقائق ، والمنفعة والفوائد ؛ ما يعلم به أن عنده من عظيم العلم
والصدق والحكمة ما لا يعلمه الا الله ^(٣) ؛ أعظم مما يتبين به ^(٤) صدق الطبيب
اذا استعمل ما يصفه من الأدوية ، وصدق العاقل ^(٥) المشير اذا استعمل ما يراه من
الآراء ، وأمثال ذلك ، فحينئذ يحصل للنفس علم ضروري بكمال عقله وصدقته .
فاذا أخبر بعد ذلك عن أمور ضرورية يراها أو يسميها ، حصل للنفس
علم ضروري بأنه صادق لا يعتمد الكذب ، وأنه متيقن ^(٦) لما أخبر به ، ليس
فيه خطأ ولا غلط ؛ أعظم مما يتبين به صدق من أخبر عما رآه من الرؤيا ،
أو عما رآه من المعجائب وأمثال ذلك .

فان المخبر ^(٨) انما تأتيه الآفة من تعمد الكذب ، أو الخطأ ؛ بأن يظن
الأمر على خلاف ما هو عليه ؛ فما كان ^(٩) من العلوم الضرورية التي كلما دامت
قويت وظهرت وزادت ، زال ^(١٠) احتمال الخطأ ؛ وما كان يتحرى الصدق السدى ^(١١)
يعلم معه بالضرورة انتفا ^(١٢) تعمد الكذب ؛ هو وغيره من الأمور السدى
يعلم معها انتفا ^(١٣) تعمد الكذب - يزيل ^(١٥) معه احتمال تعمده .

وأما العلم بالعدل فيما يؤمر به ، وبالعدل الفضل ^(١٦) فيما يأمره ^(١٤) ؛ فهذا

ص ١٣٢

- (١) النبي : ساقطة من (ط) .
- (٢) ط : لا يتبين العقول .
- (٣) س ، ك : الله تعالى .
- (٤) خ ، س : له .
- (٥) ط ، ك : العقل . ولم يمت الكلمة في (خ ، س) .
- (٦) كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : وحينئذ فيحصل .
- (٧) خ ، س : متبين .
- (٨) ط ، ك : الخبر .
- (٩) ط : وما كان ، س ، ك : فان كان .
- (١٠) ط : ويزيل معه .
- (١١) يتحرى ترك مكانها في (خ ، س) بياضا .
- (١٢) معه : ساقطة من (ط) .
- (١٣) ط ، ك : وانتفا .
- (١٤-١٤) ما بينهما ساقط من (خ ، س) ، وجاء الكلام التالي فيهما هكذا : فأخبره وأمره تعلم تارة ... الخ .
- (١٥) يزيل : كذا في (ط) ، وفي (ك) : ويزيل .
- (١٦) الفضل : كذا في (ط) ، وفي (ك) : الغاضل .

يعلم تارة بما يبينه من الأدلة العقلية ويضربه من الأمثال ، وهذا هو الغالب على ما يذكره الأنبياء^(٢) من أصول الدين علما وعملا . وتارة يظهر ذلك بالتجربة والامتحان ، وتارة يستدل بما علم على ما لم يعلم .
وأبضا فقد علم أن العالم مازال فيه نبوة من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ، فالنبي الثاني يعلم صدقه بأمور :

منها اخبار النبي الأول به ، كما بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(٥) الأنبياء قبله ، وكذلك بشر بالمسيح الأنبياء قبله .

وتارة يعلم صدقه بأن يأتي بمثل ما أتوا به من الخير والأمر ؛ فكان الكذاب الفاجر لا يتصور أن يكون في أخباره وأوامره موافقا للأنبياء ، بل لابد أن يخالفهم في الأصول الكلية التي اتفق عليها الأنبياء ، كالتوحيد والنبوات والمعاد . كما أن القاضي الجاهل أو الظالم لابد أن يخالف سنة القضاة العالمين العادلين ، وكذلك المفتي الجاهل أو الكاذب ، والطبيب الكاذب^(٦) أو الجاهل ؛ فان كل هؤلاء لابد أن يتبين كذبهم أو جهلهم بمخالفتهم^(٨) لما مضت به سنة أهل العلم والصدق ؛ وان كان قد يخالف بعضهم بعضا في أمور اجتهادية ، فانه يعلم الفرق بين ذلك وبين المخالفة في الأصول الكلية التي لا يمكن انحرافها^(٩) .

ولهذا يميز الناس في الأمراء والحكام والمفتين والمحدثين والأطباء

-
- (١) طءك : مما نبينه من الأدلة العقلية ونضربه .
 - (٢) منءك : الأنبياء عليهم السلام .
 - (٣) منءك : من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد .
 - (٤) طءخ : كما بشر بمحمد .
 - (٥) منءك : محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
 - (٦) خءس : والطبيب الحاذق .
 - (٧) خءس : يبين .
 - (٨) طء : لمخالفتهم .
 - (٩) طء : انحرافها .
 - (١٠) طء : يميز الناس ؛ ك : يتميز للناس .

وسائر الأصناف ، بين العالم الصادق - وان خالف غيره من أهل العلم والصدق في أشياء^(١) - وبين من يكون جاهلا أو كاذبا ظالما ، ويفرقون بين هذا وهذا ، كما أنهم يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر من العلم والعدل ما لا يرتابون فيه ، وان كان بينهما منازعات في أمور اجتهادية كالترغيب في العطاء ونحو ذلك .

وأيا فإذا أخبر اثنان عن قضية طويلة ذات أجزاء وشعب ، لم يتواطأ عليهما ، ويمتنع في العادة اتفاقهما فيها على تعمد الكذب أو الخطأ^(٢) - علمنا صدقهما ؛ مثل أن يشهد رجلان واقعة من وقائع الحروب ، أو يشهدا الجمعة أو العيد ، أو موت ملك ، أو تغير دولة ونحو ذلك ، أو يشهدا^(٣) خطبة خطيب ، أو كتابا لبعض الولاة ، أو يطالعا^(٤) كتابا من الكتب أو يحفظاه^(٥) ، ويعلم^(٦) أنهما لم يتواطأ ، ثم يجي أحدهما فيخبر بذلك كنه مفصلا شيئا فشيئا ، ويخبر الآخر^(٧) بمثل ما أخبر به الأول مفصلا شيئا فشيئا ، من غير تواطئ ، فيعلم أنهما صادقان .

حتى لو كان رجلان يحفظان بعض قصائد العرب كقصيدة امرئ القيس^(٨) أو غيرها ، وهناك من لا يحفظها ، وهناك شخصان لا يعرف أحدهما الآخر ، فقال^(٩) الذي لا يحفظها لأحدهما : أنشدنيها . فأنشدها ، ثم طلب الآخر وقال

- (١) ط : الصدق (بدون الواو) ، ك : في الصدق .
- (٢) ك : والخطأ ، ط : اتفاقهما فيها على الكذب ان عمدا علمنا صدقهما ، أخطأ .
- (٣) خ ، س : يشهدان . في الموضوعين .
- (٤) خ ، س : يطالعان .
- (٥) خ ، س : يحفظانه .
- (٦) ويعلم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : ونعلم .
- (٧) ط ، ك : فشيئا من غير تواطئ ، فيعلم أنهما صادقان ، ويخبر الآخر .
- (٨) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، واختلف في اسمه فقيل جندج ، وقيل مليكة ، وقيل عدى ، يمانى الأصل ، مولده بنجد ، جاهلي من أشهر شعراء العرب ، توفي في أنقره سنة ٨٠ ق هـ .

انظر : تهذيب ابن عساكر ٣ / ١٠٤ - ١١١ ؛ الأعلام ٢ / ١١١ - ١٢٠ .

(٩-٨) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

له : أنشد نبيها^(١) . فأنشدها كما أنشد الأول - علم المستمع أنها هي هي^(٢) .
بل وكذلك كتب الفقه والحديث واللغة والطب وغير ذلك .

ص ١٢٣

ولو بعث بعض الملوك رسلاً^(٣) الى أمراكه / ونوابه ، في أمر من الأمور ،
ثم أخبر أحد الرسولين بأنه أمر بأمر - ذكره وفصله - وأخبر الآخر بمثل
ذلك القوم الذين أرسل اليهم ، من غير علم منه بإرسال الآخر - لعلم
قطعاً أن ذلك الأمر هو الذي أمر به المرسل ، وأنهما صادقان ؛ فانه يعلم
علماً ضرورياً أنه يمتنع في الكذب والخطأ أن يتفق في مثل هذا .

ومعلوم أن موسى وغيره من الأنبياء كانوا قبل محمد ، وقد أخبروا عن
الله^(٧) من توحيدهِ وأسمائه وصفاته ، وملائكته ، وأمره ونهيه ، ووعده ووعيدهِ ،
وارسالهِ - بما أخبروا به ؛ ومعلوم أيضاً لمن علم حال محمد صلى الله عليه وسلم^(١٠)
أنه كان رجلاً آمياً ، نشأ بين قوم أميين ، ولم يكن يقرأ كتاباً ، ولا يكتب بخطه
شيئاً ، كما قال تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك
انداً لارتاب المبطلون)^(١١) ؛ وأن قومه الذين نشأ بينهم لم يكونوا يعلمون علوم^(١٢)
الأنبياء ، بل كانوا من أشد الناس شركاً وجهلاً وتبديلاً وتكذيباً بالمعصاة ،
وكانوا من أبعد الأمم عن توحيد الله ، ومن أعظم الأمم اشراكاً بالله^(١٣) - ثم اذا
تدبرت القرآن والتوراة وجدتهما يتفقان في عامة المقاصد الكلية ، من التوحيد
والنبوت ، والأعمال الكلية ، وسائر الأسماء والصفات^(١٤) .

(١) خ ، س : وقيل : أنشدها .

(٢) هي (الثانية) ساقطة من (ط) .

(٣) ط : رسالة ، خ : رسالته .

(٤) ط ، ك : للقوم .

(٥) س ، ك : ومعلوم أن موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء صلوات الله - في (س) : الله تعالى -
عليهم أجمعين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله - في (س) : الله تعالى - عليه وسلم .

(٦) ك : قد .

(٧) س ، ك : سبحانه وتعالى .

(٨) خ ، س : في .

(٩) س ، ك : سيدنا محمد .

(١٠) س : الله تعالى وسلم .

(١١) سورة العنكبوت : ٤٨ .

(١٢) س ، ك : عن توحيد الله سبحانه ، ومن أعظم الأمم اشراكاً بالله عز وجل .

(١٤) سائر : ساقطة من (خ ، س) .

(١٣) ط : علم .

ومن كان له علم بهذا علم علما ضروريا ماقاله النجاشي: ان هذا
والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . وماقاله ورقة بن نوفل: ان هذا
هو الناموس الذى كان يأتي موسى .

قال تعالى: (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثلته ^(١)) ، وقال تعالى: (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك
فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ^(٢)) ، وقال تعالى: (قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ^(٣)) . وأمثال ذلك مما يذكر فيه شهادة الكتب
المتقدمة بمثل ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ^(٤) .

وهذه الأخبار منقولة عند أهل الكتاب بالتواتر ، كما نقل عنهم بالتواتر
معجزات موسى وعيسى عليهما السلام ^(٥) . وان كان كثير مما يدعونه من ^(٦) رق الأمور
لم يتواتر ^(٧) عندهم ، لانقطاع التواتر فيهم ؛ فالفرق بين الجمل الكلية المشهورة ^(٨)
التي هي أصول الشرائع ، التي يعلمها أهل الملل كلهم ؛ وبين الجزئيات
الدقيقة ، التي لا يعلمها الا خواص الناس - ظاهر .

ولهذا كان وجوب الصلوات الخمس ، وشهر رمضان ^(٩) ، وحج البيت ؛ وتحريم
الفواحش والكذب ونحو ذلك - متواترا عند عامة المسلمين ؛ وأكثرهم لا يعلمون
تفاصيل الأحكام والسنن المتواترة عند الخاصة .

(١) سورة الأحقاف : ١٠ .

(٢) سورة يونس : ٩٤ .

(٣) سورة الرعد : ٤٣ .

(٤) س ، ك : نبينا محمد .

(٥) س : الله تعالى .

(٦) عليهما السلام : ليست في (ط ، خ) .

(٧) ك : أدق .

(٨) خ : تتواتر .

(٩) خ ، س : بين الجمل والكلمة .

(١٠) س ، ك : أصل .

(١١) وشهر رمضان : كذا في جميع النسخ ، والمراد صوم شهر رمضان .

فإذا كان في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب ، وفيما ينقلونه بالتواتر؛
ماوافق ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) كان في / ذلك فوائد جليسة ،
هي من بعض حكمة ^(٢) اقرارهم بالجزية :

أحدها - أنه اذا علم اتفاق الرسل على مثل هذا ؛ علم صدقهم فيما أخبروا
به عن الله حيث أخبر محمد ^(٣) بمثل ما أخبر به موسى من غير تواطئ ولا تشاعر .
الثاني - أن ذلك دليل على اتفاق الرسل كلهم في أصول الدين ، كما
يعلم أن رسل الله قبله كانوا رجالا من البشر، لم يكونوا ملائكة ، فلا يجعل
محمد ^(٤) وحده هو الذى جاء بها ؛ كما قال تعالى : (قل ما كنت بدعا من الرسل) .
وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير
للذين اتقوا أفلا تعقلون . حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . لقد كان في
قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه
وتفصيل كل شيء . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . ^(٦)

الثالث - أن هذه آية ^(٧) على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث أخبر
بمثل ما ^(٩) أخبرت به الأنبياء من غير تعلم من بشره ، وهذه الأمور هي من
الغيب ، قال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا
قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) ، وقال تعالى ^(١٠) : (ذلك من أنباء
الغيب نوحيها اليك وما كنت لديهم ان أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) . ^(١١)

- (١) س ، ك : نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .
- (٢) ط ، ك : حكمه .
- (٣) س ، ك : أخبروا به عن الله تعالى حيث أخبر محمد عليه الصلاة والسلام .
- (٤) س ، ك : سيدنا محمد صلى الله [س : الله تعالى] عليه وسلم .
- (٥) سورة الأحقاف : ٩ .
- (٦) سورة يوسف : ١٠٩ - ١١١ .
- (٧) ط : أن الدليل .
- (٨) كذا في (خ) ، وفي (ط) نبوة محمد ، وفي (س ، ك) : نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .
- (٩) ط : أخبر بها .
- (١٠) - (*) ما بينهما ساقط من (ط) .
- (١٠) سورة هود : ٤٩ .
- (١١) سورة يوسف : ١٠٢ .

وقال تعالى : (وما كنت بجانب الغربي ان قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكننا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر وماكنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين . وماكنت بجانب الطور ان نادينا ولكن رحمة من ربك لتتذرع قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتيت مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين . ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يومئسون . واذنا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يومئذ أجروهم / مرتين بما صبروا ويدرون بالحسنة السيئة وما رزقناهم ينفقون . واذنا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)^(١) .

ص ١٣٥

وكثير^(٢) من أهل الكتاب آمنوا بمثل هذه الطريق^(٣) ؛ قال تعالى : (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان ليكون ويزيدهم خشوعا)^(٤) ، وقال تعالى : (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب)^(٥) ، وقال تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد)^(٦) .

(١) سورة القصص : ٤٤ - ٥٥ .

(٢) خ ، س : فكثر .

(٣) الطريق : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : الطرق .

(٤) سورة الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .

(٥) سورة الرعد : ٣٦ .

(٦) سورة سبأ : ٦ .

ولاريب أن منكري النبوات لهم شبه : منها انكار أن يكون رسول الله بشرا ، ومنها دعوى أن الذي يأتيه شيطان لاطك ، وغير ذلك . وكل ذلك قد أجاب الله عنه في القرآن^(١) ، وقرر ذلك بأبلغ تقرير ؛ لكن جواب هذا السؤال لا يتسع لبسط ذلك^(٢) .

قال تعالى : (الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجا أن أوحينا الى رجل منهم . أن أنذر الناس)^(٣) ، وقال تعالى : (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض مائة مائة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)^(٤) .

وقال تعالى : (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين . وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)^(٥) . بين أن الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل ؛ إذ لا يستطيعون الأخذ عن الملك على صورته ، ولو كان في صورة رجل لعاد اللبس وقالوا : أبعث الله بشرا رسولا ! .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)^(٦) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون . بالبينات والزبر)^(٧) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا قبلك الا رجلا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)^(٨) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام

(١) س : ك : أجاب الله تعالى عنه في القرآن العظيم .

(٢) ك : لبسط ذلك في القرآن .

(٣) سورة يونس : ٢٤١ .

(٤) سورة الاسراء : ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) سورة الأنعام : ٧ - ٩ .

(٦) ط : بين سبحانه .

(٧) سورة يوسف : ١٠٩ .

(٨-٨) ما بينهما في (خ) فقط .

(٩) سورة النحل : ٤٣ ، ٤٤ .

وما كانوا خالدين (١). فأمر سبحانه بمسألة أهل الذكر؛ ان ذلك مما تواتر عندهم أن الرسل كانوا رجالا ، وقال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) (٢).

وبالجملة فتقرير النبوات من القرآن أعظم من أن يشرح في هذا المقام؛ ان ذلك هو عماد الدين ، وأصل الدعوة النبوية ، وينبوع كل خير ، وجماع كل هدى .

ص ١٣٦

دلالة حال المخبر عنه (٣) وأما حال المخبر عنه (٥) ، فان النبي والرسول يخبر عن الله بأنه أرسله (٦) ولا أعظم فرية ممن يكذب على الله (٩) ؛ كما قال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الي ولم يوح اليه شي * ومن قال سأنزل مشل ما أنزل الله) . نكر هذا بعد قوله : (وما قدروا الله حق قدره ان قالوا ما أنزل الله على بشر من شي * قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباءكم قل الله ثم نزلهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك صدق الذي بين يديه ولتندر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون . ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الي ولم يوح اليه شي * ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) (١٠).

-
- (١) سورة الأنبياء : ٨٠، ٧٠ .
 - (٢) سبحانه : ليست في (ط) .
 - (٣) سورة الرعد : ٣٨ .
 - (٤) خ ، س : تقرير .
 - (٥) ط : وأيضا حال المخبر .
 - (٦) س ، ك : الله تعالى .
 - (٧) بأنه أرسله : في (ك) فقط .
 - (٨) خ ، س : فلا .
 - (٩) س ، ك : الله جل وعز .
 - (١٠) سورة الأنعام : ٩١ - ٩٣ .

فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافى للنبوة بقوله : (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) . وذلك الكتاب ظهر معه من الآيات البينات ، واتبعته (١) من الأنبياء ، والمؤمنين ، وحصل له (٢) ما لم يحصل لغيره ؛ فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر وأظهر من أن تنكره (٣) بخلاف الانجيل وغيره .

(٤) وأيضاً فإنه أصل والانجيل تبع له ، فمن ذلك الخبر به وعنه ، الا فيما أحله المسيح ، و [في] هذا (٥) يقول سبحانه : (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا) (٦) . أى القرآن والتوراة ، وفي القراءة الأخرى : (قالوا ساحران) أى محمد وموسى .

وكذلك قوله : (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا) الآية (٧) ، وكذلك قوله : (أمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) (٨) ، وكذلك قول الجن : (انما سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والسبيل طريق مستقيما) (٩) .

ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن ، وهي أكبر من غيرها ، وتبسط أكثر من غيرها ، قال عبد الله بن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عن بني اسرائيل (١٠) .

- (١) ك : ظهر فيه .
- (٢) س ، ك : من الآيات والبيانات واتبعته كل .
- (٣) له : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : فيه .
- (٤) ك : في غيره .
- (٥) ط ، ك : تذكر .
- (٦-٦) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
- (٧) ط ، ك : وهذا . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٨) سورة القصص : ٤٨ .
- (٩) ط ، ك : أى محمد والقرآن ، والصواب ما أثبت ، انظر كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ٣٠٣ / ١ ، مجموع فتاوى ابن تيمية (ط . الرياض) ٤٤ / ١٦ .
- (١٠) سورة المزمل : ١٥ . وقد تمت الآية ، والتي بعدها قوله تعالى : (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) .
- (١١) سورة هود : ١٢ .
- (١٢) سورة الأحقاف : ٣٠ .
- (١٣) في سنن أبي داود (هون المعبود) ٩٧ / ١ ، كتاب العلم ، باب الحدِيث عن بني اسرائيل . عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى يصبح ، ما يقوم الا الى عظم صلاة .

ولما قرر الصدق بين حال الكذابين بأنهم ^(١) ثلاثة أصناف ؛ ان لا يخلو الكذاب من أن يضيف الكذب الى الله ^(٢) ويقول : انه أنزله ، أو يحذف فاعله ولا يضيفه الى أحد ، أو أن يقول : انه هو الذى وضعه معارضا ؛ فقــــــــال تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شي * ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) .

ص ١٣٢
^(٣) وأما المخبر عنه فانه الله تعالى ، / ولا ريب أنه يعلم من أمور الرب سبحانه ، بما نصبه من الأدلة المعينة الحسية التي يعقل بها ^(٤) بنفسها وبالأمثال المضروبة ، وهي الأقيسة العقلية - ما يمتنع معه خفأ ^(٥) كذب الكاذب ، بل يمتنع معه خفأ ^(٦) صدق الصادق .

فالسجال مثلا ، قد علم بوجوده متعددة ضرورية أنه ليس هو الله ، وأنه كافر مفتر ، واذا كانت دعواه معلوما كذبتها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقا لها ؛ ان العلوم الضرورية لا تقدر فيها الطرق النظرية ، فان الضروريات أصل النظريات ، فلو قدح بها فيها لنز ابطال الأصل بالفرع ، فيبطلان جميعا ، [وأيضاً ^(٧)] فانه يظهر أيضا من عجزه ما ينفي دعواه ^(٨) .

وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعيا للنبوة ؛ يعلم بالاضطرار كذبه ، ^(٩) للعلم الضروري بأن الله سبحانه لا يأمر بهذا ، سوا قيل : ان العقل يعلم به حسن الأفعال وقبحها ، أو لا يعلم به . فليس كل ما أمكن نفي

(١) ط : فانهم .

(٢) س ، ك : الله تعالى .

(٣-٣) ما بينهما ليس في (ط) .

(٤) ط : بما نصه من الأدلة المعينة الحسنة التي يفعل بها .

(٥) ط : بما معه حقا .

(٦) ط : حقا .

(٧) وأيضا : في (ط) فقط .

(٨) ط : أيضا فيما يبقى من معجزة دعواه .

(٩) خ ، س : بالفلم .

(١٠) سبحانه : ليست في (ط ، خ)

العقل وقوعه - وكان الله قادرا عليه - يشك في وقوعه^(١) ، بل نحن نعلم بالضرورة أن البحار لم تنقلب دما ، وأن الجبال لم تنقلب يواقيت ، وأمثال ذلك من المعارف^(٢) ، وإن لم يسند ذلك الى دليل معين ، وإن كنا عالمين بأن الله تعالى قادر على قلب ذلك ، لكن العلم بالوقوع وعدمه شيء ، والعلم بإمكان ذلك من قدرة الله سبحانه شيء^(٥) .

وكل نى فطرة سليمة يعلم بالاضطرار أن الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك ، مما قد يأتي به كثير من الكذابين ، بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية . وهذا باب واسع ، ليس هذا موضع بسطه ، ولكن نذكر ما أشار اليه مصنف العقيدة^(٧) .

فصل

طرق أهل الكلام في تقرير دلالة المعجزة على صدق النبي وطريق المعتزلة
وهذه الطريق^(٩) سلكها أكثر أهل الكلام وغيرهم ، ولهم في تقرير دلالة المعجزة على صدق النبي المعجزة على الصدق طرق :
أحدها - أن اظهار المعجزة على يدي^(١٠) المتنبي الكذاب قبيح ، والله سبحانه منزّه عن فعل القبيح . وهذه الطريق^(١٢) سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقييح ، وطعن فيها من ينكر ذلك .

ثم ان المعتزلة جعلوا هذه أصل دينهم ، والتزموا لها^(١٣) لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة ، بل وصريح العقل في مواضع كثيرة .

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعل الصواب : لا يشك في وقوعه ، أو يشا وقوعه .

(٢) المعارف : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : المعادن .

(٣) تعالى : ليست في (ط ، خ) .

(٤) ط : في .

(٥) سبحانه : ليست في (ط ، خ) .

(٦) تعالى : ليست في (ط ، خ) .

(٧-٧) ما بينهما ساقط من (ط) .

(٨) وهذه : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : فهذه .

(٩) ك : الطرق .

(١٠) س : يد .

(١١) ط : تعالى ، وليست الكلمة في (خ) .

(١٢) ك : الطرق .

(١٣) لها : كذا في (خ) ، وفي النسخ الأخرى : بها .

وحقيقة أمرهم أنهم لم يصدقوا الرسول الا بتكذيب بعض ما جاء به ،
وكأنهم قالوا : لا يمكن تصديقه في البعض الا بتكذيبه في البعض . لكنهم
لا يقولون : انهم يكذبونه في شئ* . بل تارة يطمنون في النقل ، وتارة يتأولسون
المنقول ، ولكن يعلم بطلان ما ذكروه اما ضرورة واما نظرا .

وذلك أنهم قالوا : ^(١) ان السمع مبني على صدق الرسول ، وصدقه [مبني ^(٢)]
على / أن الله ^(٣) منزه عن فعل القبيح ، فان تأييد الكذاب بالمعجزة قبيح ^(٤) ،
والله منزه عنه . قالوا : والدليل على أنه منزه عنه ؛ أن القبيح لا يفعلسه الا
جاهل بقبحه أو محتاج ، [اليه ^(٥)] والله ^(٦) منزه عن الجهل والحاجة ؛
والدليل على ذلك أن المحتاج لا يكون
الا جسما ، والله تعالى ليس بجسم ؛ والدليل على أنه ليس بجسم هو ما دال
على حدوث العالم ؛ والدليل على حدوث العالم أنه أجسام وأعراض وكلاهما
محدث ؛ والدليل على حدوث الأجسام أنها لا تخلو عن الحوادث ، وما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث ، والدليل على ذلك أنها لا تنفك عن الحركة والسكون
وهما حادثان ، لامتناع حوادث لا أول لها .

ثم التزموا لذلك حدوث كل موصوف بصفة ، لأن الصفات هي الأعراض ،
والأعراض لا تقوم الا بجسم ، وقد قام الدليل على حدوث الجسم ؛ فالتزموا لذلك
أن لا يكون لله علم ولا قدرة ؛ وأن لا يكون متكلما قام به الكلام ، بل يكون القرآن
وغيره من كلامه ^(٧) مخلوقا ، خلقه في غيره ؛ ولا يجوز أن يرى لاني الدنيا ولا فسي
الآخرة ؛ ولا هو مبين للعالم ولا محايث ^(٨) ، ولا داخل فيه ولا خارج عنه .

- (١) ان : ساقطة من (خ ، س) .
(٢) مبني : ساقطة من (ك) .
(٣) س ، ك : الله تعالى .
(٤) خ : بالمعجز .
(٥) اليه : في (ط) فقط .
(٦) س ، ك : والله سبحانه .
(٧) س ، ك : كلامه تعالى .
(٨) ط ، س : ولا مجانب ؛ ك : ولا مجانبه .

ثم قالوا أيضا : لا يجوز أن يشاء خلاف ما أمر به ، ولا أن يخلق ^(١) أفعال عباده ، ولا يقدر أن يهدى ضالا ^(٢) ، ولا يضل مهتديا ؛ لأنه لو كان قادرا على ذلك وقد أمر به ولم يعن عليه ، لكان قبيحا منه .

فركبوا عن هذا الأصل التكذيب بالصفات والتكذيب بالقدرة ، وسموا أنفسهم " أهل التوحيد والعدل " ، وسموا من أثبت الصفات [والقدرة] ^(٣) من سلف الأمة وأئمتها " مشبهة " و " مجسة " و " مجبرة " و " حشوية " ، وجعلوا مالكا وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ، وأحمد وأصحابه ، وغيرهم - من هؤلاء الحشوية ، الى أمثال هذه الأمور التي بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضوع . وأصل ضلالهم في القدر أنهم شبهوا المخلوق بالخالق ^(٤) ، فهم مشبهة الأفعال ، وأما أصل ضلالهم في الصفات فظنهم أن الموصوف الذي تقوم به الصفات لا يكون الا محدثا .

وقولهم من أبطل الباطل ؛ فانهم يسلمون أن الله حي عليم قدير ، ومن المعلوم ^(٥) أن حيا بلا حياة ، وعلما بلا علم ، وقديرا بلا قدرة - مثل متحرك بلا حركة ، وأبيض بلا بياض ، وأسود بلا سواد ، وطويل بلا طول ، وقصير بلا قصر ، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة التي يدعى فيها ^(٦) نفي المعنى المشتق منه ، وهذا مكابرة للعقل والشرع واللغة .

الثاني - أنه أيضا ^(٧) من المعلوم أن الصفة اذا قامت بمحل ؛ ناد حكما على ذلك المحل لا ^(٨) على غيره ، فاذا خلق سبحانه كلاما في محل وجب أن يكون

(١) ط : ولا خارج عنه ولا يمكنه أن يخلق .

(٢) ك : ضالا .

(٣) والقدرة : في (ط) فقط .

(٤) س ، ك : بالخالق سبحانه .

(٥) ط : ومعلوم .

(٦) ط : تدعى عليها .

(٧) ط : الثاني أيضا أنه .

(٨) ط : ساقطة من (ك) .

ذلك المحل هو المتكلم به ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى : (اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني^(١)) . ويكون كل ما أنطقه الله^(٢) من المخلوقات ، كلامه كلاما لله^(٣) . وبسط هذا له موضع غير هذا^(٤) / والمقصود هنا ما يتعلق بتقرير النبوة .

ص ١٣٩

الآيات الدالة على الحكمة والرحمة تقسّر من غير بناء على أصل المعتزلة ، بما علم من حكمة الله^(٥) في مخلوقاته ، ورحمته تنزيه الله عن تأييد الكذاب ببريته ، وسنته في عبادته^(٦) ؛ فان ذلك دليل على أنه لا يؤيد كذابا بمعجزة بالمعجزة لا معارض لها .

ويمكن بسط هذه الطريقة وتقريرها بما ليس هذا موضعه ؛ فانه كما علم بما في مصنوعاته من الاحكام والاتقان أنه عالم ، وبما فيها من التخصيص أنه يريد . فيعلم بما فيها من النفع للخلائق أنه رحيم ، وبما فيها من الغايات المحمودة أنه حكيم .

والقرآن يبين آيات الله الدالة على قدرته ومشيئته ، وآياته الدالة على انعامه ورحمته وحكمته ، ولعل هذا أكثر في القرآن كقوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)^(١٢) ، وقوله تعالى :^(١١)

(١) سورة طه : ١٤ .

(٢) من ، ك : الله تعالى .

(٣) من ، ك : لله تعالى .

(٤) ط : موضع آخر غير هذا .

(٥) ط : وقد سلك طوائف آخرون من نظار المسلمين تقرير النبوة بالمعجزة ، يمكن تقرير سبحانه .

(٦) خ ، س : اما لما علم .

(٧) من ، ك : الله تعالى .

(٨) ط : ومشيئته .

(٩) ك : في أنه .

(١٠) ك : وبما أن .

(١١) تعالى : ليست في (خ) (في الموضعين) .

(١٢) سورة البقرة : ٢١ ، ٢٢ .

(أفرايتم ماتنون . أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم السموات
ومانحن بمسيوقين . على أن نبدل أمثالك وننشئك فيما لا تعلمون . ولقد علمت
النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرايتم ماتحروثون . أ أنتم تزرعون أم نحن
الزارعون . لو نشاء جعلناه حطاما فظلمت تفكهنون . انا لمفرمون . بل نحن
محرمون . أفرايتم الماء الذي تشربون . أ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن
المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرايتم النار التي تـورون .
أ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا
للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم (١) .

وقوله (٢) : (ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا .
وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم
سما شادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء شاججا .
لنخرج به حيا . ونباتا . وجنات الغافا (٣) ، وقوله (٤) : (فلينظر الانسان الى طعامه .
أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فانبثنا فيها حيا . وعنا وقضبا .
وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم (٥) ، وقوله (٦) :
(أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرا تأكل منه أنعامهم
وأنفسهم أفلا يهتدون) (٧) .

وهو سبحانه في سورة الرحمن يقول في عقب كل آية : (فبأى آلاء ربك
تكذبان) . وهو يذكر فيها ما يدل على خلقه وعلمه وقدرته ومشيتته ، وما يدل
على انعامه ورحمته وحكمته .

-
- (١) سورة الواقعة : ٥٨ - ٧٤ .
 - (٢) س ، ك : وقوله سبحانه .
 - (٣) سورة النبأ : ٦ - ١٦ .
 - (٤) س ، ك : وقوله عز وجل .
 - (٥) سورة عبس : ٢٤ - ٣٢ .
 - (٦) ط : وقوله تعالى ، س ، ك : وقوله جل وعز .
 - (٧) سورة السجدة : ٢٧ .

وكذلك ذكر في مخاطبة الرسل للكفار ، كقوله سبحانه: ^(١) (قال فمن ربكما
ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شي خلقه ثم هدى . قال فما بال القسرون
الأولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل / ربي ولا ينسى . الذى جعل لكسم
الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من
نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى) . ^(٢) ومثل هذا
في القرآن كثير .

ص ١٤٠

وما فطر فيه ^(٣) من المخلوقات دل على ذلك ، وفي نفس الانسان عبرة تامة ،
فان من نظر في خلق أعضائه وما فيها من المنافع له ، وما في تركيبها من الحكمة
والمنفعة ؛ مثل كون ماء العين مالحا ليحفظ شحمة العين من أن تدوب ، وماء
الأذن مرا ليمتنع الذهب من الولوج ، وماء الغم عذبا ليطيب ما يعض من
الطعام ، وأمثال ذلك - علم علما ضروريا أن خالق ذلك له من الرحمة والحكمة
ما يبهر العقول ، مع ما في ذلك من الدلالة على المشيئة .

ثم اذا استقرأ ما يجده في نوع الانسان ؛ من أن كل من عظم ظلمه
للخلق واضراره ^(٥) لهم كانت عاقبته عاقبة سوء ، ^(٦) وأتبع اللعنة والذم ؛ ومن عظم
نفعه للخلق واحسانه اليهم كانت عاقبته عاقبة خير ، ^(٧) وأمثال ذلك - استدل
بما علم على ما لم يعلم ؛ حتى يعلم أن الدولة ذات الظلم والجبن والبخل
سريعة الانقضاء ، كما قال تعالى : (مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فسي
الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا) ^(٨) ،

(١) ط : تعالى : وليست الكلمة في (خ) .

(٢) سورة طه : ٤٩ - ٥٤ .

(٣) ط : نظر .

(٤) ط : ليمتنع .

(٥) ك : وضراره .

(٦-٧) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٧) ط : خير واسع .

(٨) سورة التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

وقال: (١) ها أنتم هؤلاء * تدعون لتنتفخوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٢).

كذلك سنته في الأنبياء الصادقين وأتباعهم من المؤمنين، وفي الكذابين والمكذابين بالحق؛ أن هؤلاء ينصرهم ويبقى لهم لسان صدق في الآخريين، وأولئك ينتقم منهم ويجعل عليهم اللعنة .

فيهذا وأمثاله يعلم أنه لا يوعيد كذا بما معجزة (٣) لامعارض لها؛ لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ماتمنعه رحمته، وفيه من سوء العاقبة ماتمنعه حكمته، وفيه من نقض (٤) سنته المعروفة وعادته المطردة ماتعلم به مشيئته (٥).

قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين) (٦)، وقال تعالى: (ولولا أن شبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً . إذأ لأزقتك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً) (٧)، وقال تعالى: (أم يقولون افتري على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) - ثم قال - (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) (٨)، وقال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (٩)، وقال تعالى: (وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) (١٠)، (١١) جاء الحق وما يهدى الباطل وما يعبد) (١٢).

ص ١٤١

(١) س، ك : وقال عز وجل .

(٢) سورة محمد : ٣٨ .

(٣) س، ك : بالمعجزة .

(٤) خ، س : وفيها .

(٥) ط : نقض .

(٦) ماتعلم : كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: ماتمتنع .

(٧) سورة الحاقة : ٤٤-٤٧ .

(٨) سورة الاسراء : ٧٤، ٧٥ .

(٩) سورة الشورى : ٢٤ .

(١٠) سورة الانبياء : ١٨ .

(١١) سورة الاسراء : ٨١ .

(١٢) سورة سبا : ٤٩ .

فصل

طريق الأشاعرة
وموافقهم

وهذه الطريق لم يسلكها أبو الحسن الأشعري وأصحابه ومن وافقه من فقهاء المذاهب، كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل^(٢)، وابن الزاغوني؛ والأستاذ أبي المعالي، وصاحبه الأنصارى^(٣)، والشهرستاني^(٤)، وأمثالهم؛ وأبي الوليد الباجي^(٥)، والمازرى، ونحوهم - بناءً على أنهم لا يرون تنزيه الرب سبحانه عن^(٦) فعل من الأفعال، لأنهم قد علموا أن له أن يفعل ما يشاء، وهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقلين؛ حتى يقولوا: إن الفعل الفلاني قبيح، وهو منزه عن فعل القبيح. بل عندهم أن الظلم غير مقدور؛ إن الظلم التصرف^(٨) في ملك غيره، فمهما فعل كان تصرفاً في ملكه، فلم يكن ظلماً.

- (١) كذا في (خ)، وفي (ط، س): فقهاء المذهب؛ ك: علماء المذهب.
- (٢) ط: وابن عقيل في بعض المواضع.
- (٣) هو أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن اسماعيل الأنصارى النيسابورى، الشافعى الأشعري، صاحب أبي المعالي الجويني وأبي القاسم القشيري، وكان فقيهاً زاهداً، شرح كتاب "الارشاد" للجويني، ومات سنة ٥١٢هـ.
- انظر: تبیین کذب المفترى، ص ٣٠٧؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٦/٧ - ٩٩؛ شذرات الذهب ٣٤/٤؛ الأعلام ١١٢/٣.
- (٤) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي الأشعري، ولد سنة (٤٧٩) بشهرستان وتوفي فيها سنة ٥٤٨هـ، أخذ عن أبي القاسم الأنصارى وأبي نصر القشيري، وكان اماماً مبرزاً في علم الكلام والنظر، صنف كتاب "الملل والنحل" و"نهاية الاقدام في علم الكلام" وغيرهما.
- انظر: وفيات الأعيان ٢٧٣/٤ - ٢٧٥؛ طبقات الشافعية الكبرى ١٢٨/٦ - ١٣٠؛ لسان الميزان ٢٦٣/٥ - ٢٦٤؛ شذرات الذهب ١٤٩/٤؛ الأعلام ٢١٥/٦.
- (٥) هنا يبدأ الاضطراب في (ط)، الذي ذكرته في مقدمة التحقيق، ص ٧٤، فقد جاء فيها هنا (ص ٢٩٠): والشهرستاني وأبو [كذا] الوليد الباجي ونحو ذلك، والايان بالرسائل يتضمن الايمان بالكتب... الخ [شرح الأصبهانية، ص ٦٢٩] بينما جاء النص الذي نحن بصدده الآن، ص ٣٠٨ كذا: وذوات (الر) و (حم) (طس) [شرح الأصبهانية، ص ٣٢٩] والمازرى ونحوه بناءً على أنهم لا يرون... الخ.
- (٦) سبحانه: ليست في (ط، خ).
- (٧) ط: يقولون.
- (٨) ط: غير مقدور، إن حقيقة الظلم عندهم مستنع لذاته في سنة الله، وأن كل ما يقدر عليه فليس نسمة ظلماً، إن الظلم عندهم.

بل يقولون : انه يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء ، ولا يجعلون للأفعال صفات باعتبارها يكون الحسن والقبح ، وانتهى ما أثبتوه من الصفات بالعقل الى أنه حي عليم قدير مرید ، وأثبتوا مع ذلك (٢) أنه سمع بصير متكلم . فأما الرحمة والحكمة ونحو ذلك فلم يثبتوها بالعقل ، بل قد ينفون الحكمة التي هي الغايات والمقاصد في أفعاله ، ويمنعون أن يفعل شيئاً لأجل شيء ، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ، فان المقصود هنا التنبيه على طرق الناس في النبوة ، والكلام عليها بحسب المعدل والانصاف ، لا بسط الكلام في كل ما تنازعوا فيه .

ومسألة " التحسين والتقيح العقلين " هي مما تنازع فيها عامة الطوائف ، فقال بكل من القولين طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية ، ومن قال بالاثبات من الحنبلية أبو الحسن التميمي ، وأبو الخطاب (٦) ومن قال بالنفي أبو عبدالله بن حامد ، وصاحبه القاضي أبو يعلى ، وأكثر أصحابه . ومسألة " حكم الأعيان قبل ورود الشرع " هي في الحقيقة من فروعها ، وقد قال فيها بالحظر أو الإباحة أعيان من هذه الطوائف .

مسألة التحسين والتقيح العقلين

(١) ط ، س : والقبيح . وزاد في (ط) : بل معين القبيح عندهم هو المنهى ، والله لا ينهى ، ويقولون : ان ما علم أنه لا يفعله فانا نعلمه بالخير [كذا] فقط ، لا بمجرد العقل ، ولكنهم قد يحتجون أيضاً على الواقع بمعادنه [كذا] في خلقه وأمره ، وأصل قولهم أنهم سلكوا في اثبات القدر سواً [كذا] من سلك الجهم ، كما فعل ذلك أبو الحسن ، وان كان ما زعم في بعض الأمور انما يبقى نزاعاً لفظياً أو غيره ، ولكن لم يوافقوا جهما على نفي الصفات ، بل أثبتوها ، وكان أبو الحسن وابنه [؟] يثبتونها تارة بالعقل وتارة بالسمع .

(٢) ط : مع ذلك بالعقل .

(٣) ط : بالعقل ، يثبت قد ماؤهم حي عليم قدير مع ذلك بالعقل .

(٤) س ، ك : كما . وفي هامش (س) : مطلب الحسن والقبح .

(٥) س ، ك : ومن .

(٦) ط : وأبو الخطاب ، ومن الشافعية أبو علي بن أبي هريرة .

وأبو الخطاب هو محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوناني البغدادي ، أحد أعيان المذهب الحنبلي ولد سنة ٤٣٢ ، تفقه بالقاضي أبي يعلى ، وسمع الكثير ، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع ، وتوفي ببغداد سنة ٥١٠ .

انظر: البداية والنهاية ١٢ / ١٨٠ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١١٦ - ١٢٧ ؛ الأعلام

٥ / ٢٩١ .

(٧) س ، ك : ومن .

وأما الحنفية فالغالب عليهم القول بالتحسين والتقبيح العقلين، وذكروا ذلك نصاً عن أبي حنيفة^(١)، وأهل الحديث فيها أيضاً على قولين، وممن قال بالاثبات أبو نصر السجزي^(٣)، وصاحبه الشيخ أبو القاسم سعد بن عيسى الزنجاني .

فأما ما اختلفت به القدرية فهذا لا يوافقهم عليه أحد من هؤلاء، ولكن هؤلاء هم وجمهور الفقهاء، بل وجمهور الأمة يرون أن للأفعال صفات تتعلق الأمر والنهي بها / لأجلها .

ص ١٤٢

وملخص ذلك أن الله إذا أمر بأمر فانه حسن بالاتفاق، وإذا نهى عن شيء فانه قبيح بالاتفاق؛ لكن حسن الفعل وقبحه^(٧) اما أن ينشأ من نفس الفعل، والأمر والنهي كاشفان؛ أو ينشأ من نفس تعلق الأمر والنهي به^(٨)؛ أو من المجموع .

فالأول - هو قول المعتزلة، ولهذا لا يجوزون نسخ العبادة قبل دخول وقتها؛ لأنه يستلزم أن يكون الفعل الواحد حسناً قبيحاً. وهذا قول أبي الحسن التيمي من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء .

والثاني - قول الأشعرية ومن وافقهم من الظاهرية وفقهاء الطوائف، وهو هؤلاء^(١١) يجعلون علل الشرع مجرد أمارات، ولا يثبتون بين العلل والأفعال مناسبة. لكن هؤلاء الفقهاء متناقضون في هذا الباب، فتارة يقولون

(١) س، ك : أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

(٢) س، ك : ومن .

(٣) س، ك : أبو النصر .

(٤) ط، ك : سعيد .

(٥) ط : تتعلق، ك : يتعلق .

(٦) س، ك : الله تعالى .

(٧) ط : وقبحه .

(٨) ط : بها .

(٩) ط : قبيح .

(١٠) - (١) ما بينهما ساقط من (س) .

(١١) ط : فهو هؤلاء .

(١٢) ط : بين العلل والأقوال مناسبات ولكن .

بذلك موافقة للأشعرية المتكلمين ، وهم في أكثر تصرفاتهم يقولون بخلاف ذلك ، كما يوجد مثل هذا^(١) في كلام فقهاء المالكية والشافعية والحنبلية .
وأما أن يكون ذلك ناشئاً^(٢) من الأمرين ، وهذا مذهب الأئمة ، وعليه تجرى تصرفات الفقهاء في الشريعة ، فتارة يؤمر بالفعل لحكمة تنشأ من نفس الأمر دون الأمر به ، وهذا هو الذي يجوز نسخه قبل التمكن ، كما نسخت الصلاة ليلة المعراج من خمسين إلى خمس ، وكما نسخ أمر إبراهيم بذبح ابنه^(٣) .

وبالجملة فجمهور الأئمة على أن الله منزه عن أشياء هو قادر عليها ، ولا يوافقون^(٥) هؤلاء على أنه لا يتره عن مقدور الظلم الذي نزه الله عنه نفسه في القرآن ، وحرمه على نفسه ، وهو قادر عليه ؛ وهو هضم الانسان من حسناته ، أو حمل سيئات غيره عليه ، كما قال تعالى : (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً)^(٩) .

(١) ط : مثل ذلك .

(٢) ط : والحنبلية ، ومن أثبت المناسبات في علل الشرع في مناظرتهم ، مع قولهم بأن الله لا يأمر بشيء لشيء ، فانه يقول : علمنا ذلك بالاستقراء ، وأن ذلك عادة الشارع ، كما يقال مثل ذلك في استقراء عاداته في الخلق ، فيقولون : علمنا أن نفع الخلق مقرون بالحكمة من الشارع ، مع قولنا : انه لم يخلق المنافع لينتفع بها العباد ، ويقولون : علمنا أن حصول المصالح في الشريعة مقرون بامثال أمر الشارع ، وان كنا نقول : انه لم يشرع الشريعة لمصالح العباد ، وهذا قول حذاقهم كالأمدى وغيره .
وأما الضرب الثالث أن ذلك ناشئ .

(٣) س ، ك : ابنه عليهما السلام . وزاد في (ط) : وتارة لحكمة تنشأ من الفعل نفسه ان [كذا] الأمر ، وتارة لحكمة من الفعل حصلت بالأمر ، وكثيراً ما في الفعل من الحكمة الناشئة منه ومن أمر الشارع تجتمع به ، وانا قيل : ليس لتعلق . . . [بياض بقدر كلمتين] بالقول جهة ثبوتية ، قيل : القول نوعان : طلبى وخبرى ، فأما الخبرى فلا يورث في الخبر عنه صفة لم تكن ، وأما الأمور به فقد يكتسبه صفة أما في أمر الدين فظاهر ، وأما التشريع فهو كذلك في أمر الشارع وبدره [بلانقاط] في أمر غيره ، وهذا كتنازع الناس في أمر المعاد ، فرد عليهم النظائر من جهة السمع بطريقتين أحدهما . . . [شرح الأصبهانية ص ٦٣٣] ، والكلام التالي ورد في (ط) صفحة ٢٩٦ : بسين نوع ونوع ، ولا يبين نفاقاً ولا يثبت اثباتاً . وبالجملة فجمهور الأئمة . . . الخ .

(٤) س ، ك : الله تعالى .

(٥) ط ، خ ، س : لا يوافقون . بدون الواو .

(٦) س ، ك : الله سبحانه .

(٧) ط ، خ ، س : هو . بدون الواو .

(٨) تعالى : ساقطة من (خ ، س) .

(٩) سورة طه : ١١٢ .

وهؤلاء الجمهور لا يوافقون المعتزلة على قولهم: ان الله لم يخلق
أفعال العباد، ولا شاء الكائنات. بل يقولون: ان الله خلق كل شيء، وما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن. لكنهم مع هذا يثبتون لفعله حكمة، وينزهونه
عن القبائح.^(٣)

وهذا قول الكرامية وغيرهم من أهل الكلام، وهو قول أكثر الصوفية،
وأكثر أهل الحديث وجمهور السلف والأئمة، وجمهور المسلمين والنظار، لكن
ليس هذا موضع بسطه.

وهؤلاء يسلكون في اثبات النبوة ماسلكه ابن عقيل وغيره في مواضع أخرى
ان أثبت حكم الله تعالى فيها، حيث قال: "النبوات واسطة بين الله وبين
خلقه، في الأفعال والتروك المتضمنة لمصالح المكلفين، والثقة بها طريقها
ماسبق في علومنا، باستدلالنا على أن الباري حكيم لا يؤيد كذابا بالمعجزة،
ولا يمكن من معجزاته الا من صدق فيما يخبر به عنه.

فلما علمنا ذلك وتحققناه حصلت لنا الثقة بمن تكاملت فيه شرائط
النبوة وعلمنا أنه سفير فيما بيننا وبين الله/ وأنه رسوله، فما أخبرنا به
عنه قبلناه من غير تكشف عليه بمقولنا، ولا نضرب له الأمثال بأرائنا وعاداتنا،
بل نعتقد أنه جاء من عند من حكمته فوق حكمتنا، وتدبيره فوق تدبيرنا.

ولا يمتنع في العقل، ولا تمنع الحكمة من أن يجعل الأنبياء مذكريين
للعقلاء، وموظفين لهم، ومرشدين الى الأصلح الذي لا يدرك بالعقل، ولا يبلغ

ص ١٤٣

(١) ط: وهو هؤلاء الجمهور يوافقون، خ، س: وهو هؤلاء يوافقون.

(٢) س، ك: الله تعالى.

(٣) ط: لفعلة حكمته وينزهونه عما نزه الله عنه.

(٤) ط، خ: من أهل الكلام أيضا.

(٥) خ، س: وأكثر أهل الحديث وجمهور الفقهاء والعامّة.

(٦-٦) ما بينهما في (ك) وهو في (ط) هكذا: في مواضع أخر اذا أثبت الله الحكم. وسقط من (خ، س).

(٧) س، ك: الله تعالى.

(٨) خ، س: بالمعجز.

(٩) س، ك: الله تعالى.

(١٠) ط، ك: فيما.

(١١) ط: فلا يمنع.

كنهه بالرأى والفحص ، وما هذا الا كما جعل بعض العقلاء حكيمًا واعظًا
مذكرًا مؤدبًا ، وبعضهم يحتاج الى مذكر ومؤدب ، ولا أجد منع من ذلك ؛
فثبت حسن الرسالة بالعقل ، ولأن^(١) لله^(٢) في الأفعال والتروك أسراراً من
المصالح التي لا يعلمها العقلاء ولا يدركونها بعقولهم ، فاحتاجوا^(٣) الى النبوة .
قلت^(٤) : والمقصود هنا أن من لم ينزهه عن فعل مقدور له ؛ بل جوز^(٥)
أن يفعل كل ما يمكن ؛ ولم يثبت لفعله حكمة ، غير تعلق الحكم بالمفعولات ،
وتعلق المشيئة بها - فانه احتاج^(٦) في دلالة المعجزة على الصدق الى غير تلك
الطريق ، فسلكوا طريقين ، سلك كلا [منهما] طائفة^(٧) من أهل الكلام والفقهاء ،
من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد^(٨) :

عود للكلام على
طريق الأشاعرة
وموافقيهم

أحدهما - وهو قول^(٩) أكثر شيوخهم المتقدمين - أن وجه دلالة
المعجزة على صدق مدعي النبوة ؛ امتناع تعجيز الاله عن نصب الدلالة
على صدق الرسل ؛ فان تصديقهم ممكن ، وذلك معلوم بالضرورة والاستدلال ،
ولا دليل الى التصديق الا خلق المعجزات ؛ وظهورها^(١٠) على يد الكذاب يبطل
دليل صدقهم ، فلا يبقى في المقدور طريق يصدقون به ، فيلزم عجز الاله
عن الممكن ، وذلك ممتنع .

وقد عول على هذه الطريقة أبو الحسن الأشعري وأصحابه ، كالأستاذين
أبي اسحاق^(١١) ، وأبي بكر بن فورك ؛ وكذلك القاضي أبو بكر في مواضع من كتبه ،
وكذلك القاضي أبو يعلى ، وأبو الحسن بن الزاغوني^(١٢) .

- (١) ط : ذلك ، ولا يجوز مع الرسالة بالعقل لأن .
- (٢) س ، ك : لله جل وعز .
- (٣) ط : فيحتاجوا .
- (٤) قلت : ساقطة من (خ ، س) .
- (٥) خ ، س : مقدور له وجوز .
- (٦) ط : ولم يثبت لفعله وأمره ، بل لم يثبت سوى نسبة متعلقة وحكمة يتعلق بالمعنى الممتد فانه احتاج .
- (٧) س : سلك كل منهما طائفة ؛ ط ، ك : سلك كل طائفة .
- (٨) وأحمد : ساقطة من (ط) .
- (٩) ط : وهي طريقة ، خ ، س : احدهما وهي قول .
- (١٠) ط : بظهورها ، ك : و بظهورها .
- (١١) ط : كالأستاذ ابن أبي اسحاق ، وتقدمت ترجمة أبي اسحاق الاسفراييني ، ص ٢٢٣ ت ٦ .
- (١٢) بن الزاغوني : في (ك) فقط .

الطريق الثاني ، وهي التي اختارها أبو المعالي وأتباعه ، وقال :
إنها الطريقة المرضية عند القاضي أبي بكر. وهي التي أشار إليها أبو الحسن
في "الأمالى" ، وهي طريقة أبي محمد الصابوني^(٢) ونحوه من الحنفية - أن
المعجزات تدل من حيث نزلت^(٣) منزلة التصديق بالقول ، والعلم بذلك يقع
ضروريا بقرائن أحوال ، كالعلم بخجل الخجل ، ووجل الوجل ، وغضب الغضبان ،
وجرأة الجسور ،^(٤) ونحوى كلام المخاطب المتكلم ؛ ولا يتوقف العلم بما هذا
سبيله على نظر واستدلال فيقبل عليه اعتراض^(٥).

قالوا : ووجه ذلك أن الفعل الخارق للعادة ؛ إذا علم أنه من قبل
الله ؛^(٦) وأنه خارق للعادة ؛ وأنه سبحانه فعله عند دعوى الرسالة والطلب ،
أو عند قول جار مجرى الطلب ،^(٧) أما معينا واما غير معين من المعجزات ؛^(٨)
وأنه متعلق بالدعوى ومطابق لها ؛^(٩) وأن الله تعالى سامع / لدعوى النبوة
عليه ، وعالم بها في مواضع أهل لغة الرسول ، ثم فعل ما يدعيه الرسول أنه
له من فعله - علم أنه قاصد بذلك الى تصديقه ، وأن ما يفعله من الآيات
في مثل هذه الحال قائم مقام تصديقه له بالقول : صدق ،^(١١) أنا أرسلته .
على وجه يفهم الأمة التي يدعى فيها النبوة أنه قول صدق به من قبله .^(١٢)

ص ١٤٤

- (١) وهي : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : هي .
- (٢) أبو محمد أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني البخارى ، من الحنفية ، ألف في أصول الدين كتاب " البداية " وغيره ، توفي سنة ٥٨٠ بهجرا .
انظر : الجواهر المضية ١/١٢٤ ؛ تاج التراجم في طبقات الحنفية ، ص ١٠ ؛ الفوائد البهية ، ص ٤٢ ؛ الأعلام ١/٢٥٣ - ٢٥٤ .
- (٣) خ ، س : تنزلت .
- (٤) س : وجراءة الحسود ؛ ط : وحرارة الحر ، ك : وحرارة الحر .
- (٥) ط : فيثقل عليه اعراض .
- (٦) س ، ك : الله تعالى .
- (٧-٧) ما بينهما ساقط من (ط) .
- (٨) ك : وعند .
- (٩) ط : يتعلق بالدعوى ويطلق لها .
- (١٠) ط ، ك : أنه ليس .
- (١١) صدق : ساقطة من (ط) .
- (١٢) ط : أنه يعمل صدق به من أرسله .

بل التصديق له بالفعل أبعد من دخول الشبهة والاجتمال فيه ، وهو جار مجرى قول مدع الرسالة على زيد : ان كنت^(١) رسولك ، وصاحبك فاكتسب بذلك رقعة ، أو اركب ، أو قم ، أو اقم . وما جرى مجرى ذلك من الأفعال الظاهرة للحواس ،^(٢) التي يعلم تصديقه بها اذا فعلها ، فاذا فعل زيد ذلك قام مقام قوله : صدق ، هو رسولي وصاحبي . الذي يعلم ضرورة قصد السى تصديقه به ، وهذا^(٣) واجب لامحالة . قالوا^(٤) : وليس يمكن أن تدل المعجزات على صدق الرسل الا على هذه الطريقة ، فهي كذلك جارية مجرى أدلة الأقوال^(٥) . هذا حاصل كلام القاضي أبي بكر بن الباقلاني في أحد قوليه ، وأبى المعالي ونحوهما .

وضربوا لذلك مثلا^(٧) ، فقالوا : اذا تصدى ملك للناس ، وتصدر لتلج^(٨) عليه رعيته وأتباعه وغيره ، واحتفل المجلس واحتشد ، وقد أرهق الناس شغل شاغل ، فلما أخذ كل مجلسه ، وترتب الناس على مراتبهم ؛ انتصب واحد من خواص الناس ، وقال : معاشر الأشهاد قد حدث بكم أمر عظيم ، وأظلكم خطب جسيم^(١٠) ، وأنا رسول الملك اليكم ، وموئمتنه لديكم ، ووقيبه

-
- (١) س : كتب . ولم تنقظ في (خ) .
 - (٢) أمام هذا الموضع في هامش (ط) كلمة : قويل .
 - (٣) ط ، خ ، س : هذا . بدون الواو .
 - (٤) خ ، س : قال .
 - (٥) ط : الأفعال .
 - (٦) خ ، س : احدى .
 - (٧) يبدو أن ابن تيمية يلخص الكلام في الطريق الثاني من كتاب " الارشاد " للجويني ، وقد يكون كتاب " الارشاد " المطبوع ناقصا ، وقد ورد فيه ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ : " والمرضى عندنا أن المعجزة تدل على الصدق من حيث تتنزل منزلة التصديق بالقول ، وغرضنا يتبين بفرض مثال ، فنقول : اذا تصدر ملك للناس . . . الى آخر المثل الذي يذكره ابن تيمية الآن .
 - (٨) خ ، س : ليلج .
 - (٩) وأتباعه وغيره : ساقطة من (خ ، س) ، وفي (ط) بعد كلمة " وأتباعه " بياض بقدر كلمة ، ولعليل صواب الكلمة : وغيرهم .
 - (١٠) أمام هذا الموضع في هامش (خ) : بلسخ مقابلة حسب الطاقة .

عليكم ، ودعواي هذه بمرآى من الملك ومسمع ، فان كنت أيها الملك صادقا
في دعواي ؛ فخالف عادتك ، وجانب سجيتك ، وانتصب في خدرك قاعما ثم^(١)
اقعد . ففعل الملك ذلك على وفق دعواه ، وموافقة هواه ؛ فيثبثن الحاضرون
علم الضرورة بتصديق الملك اياه ، وتزويل الفعل الصادر منه منزلة القول
المصرح بالتصديق .

فهذه العمدة في ضرب المثال ، فان تعسف متعسف في الصورة التي
فرضنا الكلام فيها ، وزعم أنه لا يحصل العلم بتصديق الملك لمن يدعي
الرسالة كان ذلك جحدا منه لما علم اضطرارا ، فانا نعلم ببديهة العقول
عند ما قدمناه من القرائن حالا ومقالا ؛ أن أحدا من الذين شهدوا وشاهدوا
لايستريب في تصديق الملك لمدعى الرسالة ، ولا يعرض أحد منهم بعد ظهور
الأمارات على تشكيك النفس وترديد القول ، ولا تحوجهم قضية الحال الى سببر
ونظر وإطالة فكر ، بل يستوى النظر والذين لا خبرة لهم في النظر.^(٣)

فصل

قال المصنف^(٤) : " والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على
دليل الأصفهاني
على نبوة محمد
صلى الله عليه
وسلم
نبوة نبينا [محمد]^(٥) صلى الله عليه وسلم القرآن ، المعجز نظمه ومعناه " .
شرح ابن تيمية
ص ١٤٥
قلت : قد تبين أن النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح
الأقوال ، وأما / نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانها تعلم بطرق^(٧)
كثيرة ؛ منها المعجزات ، ومعجزاته منها القرآن ومنها غير القرآن ، والقرآن

- (١) خ ، س : في خدرك وسهرك ، ثم ؛ وفي الارشاد (ص ٣٢٥) : في صدرك وبهوك ، ثم .
- (٢) ط : وهذه ؛ ك : فهذا .
- (٣) في جميع النسخ : النظر الذين . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٤) ط : قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني في عقيدته المتقدمة .
- (٥) محمد : ساقطة من (ك) .
- (٦) س ، ك : محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام .
- (٧) ك : تعرف .

معجز بلسفظة ونظمه ومعناه ، واعجازه يعلم بطريقتين : جملى وتفصيلي .
أما الجملى فهو أنه قد علم بالتواتر أن محمدا صلى الله عليه وسلم^(١)
ادعى النبوة ، وجاء بهذا القرآن ، وأن في القرآن آيات التحدى والتعجيز ،
كقوله تعالى : (أم يقولون شاعر نترى به ريب المنون . قل ترىوا فاني معكم
من المتريبين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون
تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)^(٢) ، فتحداهم
هنا أن يأتوا بمثله ، وقال في موضع آخر : (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات)^(٣) ،
وقال في موضع آخر : (فاتوا بسورة من مثله)^(٤) .

وأخبر مع ذلك أنهم لن يفعلوا فقال : (وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم
صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار)^(٥) ، بل أخبر أن جميع
الانس والجن اذا اجتمعوا لا يأتون بمثله فقال : (قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً)^(٦) .

وقد علم أيضا بالتواتر أنه دعا قريشا خاصة والعرب عامة ؛ وأن جمهورهم
في أول الأمر كذبوه وآذوه ، وآذوا أصحابه^(٧) ، وقالوا فيه أنواع القول ، مثل
قولهم : هو ساحر ، وشاعر ، وكاهن ، ومعلم ، ومجنون ، وأمثال ذلك ؛ وعلم أنهم
كانوا يعارضونه - ولم يأتوا بسورة من مثله ، وذلك يدل على عجزهم عن معارضته ،
لأن الارادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة .

(١) س ، ك : الله تعالى .

(٢) سورة الطور : ٣٠ - ٣٤ .

(٣) سورة هود : ١٣ . في جميع النسخ : (فياتوا بعشر . . .) وهو خطأ .

(٤) سورة البقرة : ٢٣ . في جميع النسخ : (فليأتوا بسورة . . .) وهو خطأ .

(٥) سورة البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) سورة الاسراء : ٨٨ .

(٧) ك : الصحابة .

(٨) ط : لا يعارضوه .

ومعلوم أن ارادتهم كانت من أشد الارادات على تكذيبه وابطصال
حجته، وأنهم كانوا أحرص الناس على ذلك، حتى قالوا فيه ما يعلم أنه باطل
بأدنى نظر، وفيلسوفهم الكبير الوحيد (فكر وقدر)^(١) ثم نظروا ثم عيّن
ويسروا ثم أدير واستكبر . فقال ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول
البشر)^(٢) .

وليس هذا موضع ذكر جزئيات القصص ، ان المقصود ذكر ما علم بالتواتر؛
من أنهم كانوا من أشد الناس حرصا ورغبة على اقامة حجة يكذبونه بها ، حتى
كانوا يتعلقون بالنقض مع وجود الفرق ؛ فانه لما نزل (انكم وماتعدون ممن
دون الله حسب جهنم)^(٣) عارضوه بالمسيح ، حتى فرق الله^(٤) بينهما بقوله :
(ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)^(٥) . وقال تعالى :
(ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أأللهتنا خسير أم
هو ماضيوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)^(٦) . فمن عارضوا خبره^(٧) بمثل
هذا كيف يدعون معارضة القرآن وهم يقدرون على ذلك .

* وقوله : (ماتعدون) . خطاب للمشركين ، لم يدخل فيه أهل الكتاب ،
ولا / تناول اللفظ المسيح ، كما يظنه ظان من الظانين ، بل هم عارضوه
بالمسيح من باب القياس ؛ يقولون : اذا كانت الأنبياء من حسب جهنم لأنها
معبودة كذلك المسيح ، وهذا كما قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا)

ص ١٤٦

- (١) سورة المدثر : ١٨ .
 - (٢) سورة المدثر : ٢١ - ٢٥ .
 - (٣) سورة الأنبياء : ٩٨ .
 - (٤) س ، ك : الله تعالى .
 - (٥) سورة الأنبياء : ١٠١ .
 - (٦) سورة الزخرف : ٥٧ .
 - (٧) ط : فمن عارض أخبره .
 - (٨) ك : كيف لا يدعون . . . وهم لا يقدر .
- (*) ص ٦٢٦ ، * ص ٦٢٧ (ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

فانهم جعلوه مثلا لآلهتهم ، ولم يورد^(١) لشمول اللفظ كما يظن ذلك بعض المصنفين في الأصول . ولهذا بين الله الفرق بين المسيح وبين آلهتهم بأن المسيح عبد الله يستحق الثواب ، ولا يظلم بذنب غيره ، بخلاف الحجارة ؛ فان^(٢) في جعلها حسب^(٣) جهنم اهانة لهم^(٤) بذلك من غير ظلم^(٥) [لها] .
ثم انتشرت دعوته في أرض العرب ثم في سائر الأرض ، الى هذا الوقت وآيات التحدى قائمة متطوعة ؛ وما قدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل .
ولما جاء مسيلمة ونحوه بما أتوا به ، يزعمون أنهم أتوا بمثله ؛ كان ما أتوا به من المضحك ، التي لا تحتاج^(٦) المعرفة بانتفاء مماثلتها^(٧) الى نظر ، وذلك كمن جاء الى الرجل الغارس الشجاع ذى اللامة^(٨) التاسمة ، فأراد أن يبارزه بصورة مصورة ربطها على الفرس ؛ كقول مسيلمة : يا ضدع بنت ضدعين ، [نقي] كم تنقنين^(٩) ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ؛ رأسك في الماء ، وذنبك في الطين . وقوله أيضا : الغيل وما أدراك ما الغيل ؛ له زلوم طويل ، ان ذلك من خلق ربنا الجليل^(١٠) . وأمثال ذلك .

ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبي بكر ، وسألهم أن يقرأوا له شيئا من قرآن مسيلمة ، فاستعنوه فأبى أن يعفيهم ، حتى قرأوا شيئا من هذا . فقال لهم الصديق : ويحكم ! أين يذهب بعقولكم ! ان هذا كلام لم يخرج من ال . أى من رب ؛ فاستفهمهم^(١١) استفهام المنكر عليهم ، لغرط التباين ، وعدم الالتباس ،

(١) يورد : كذا في (ط) ، وفي (ك) : يورد وه .

(٢) ط ، ك : وان . ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) ك : وأن في جعلهم من الأنبياء حسب .

(٤) ط ، ك : له ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٥) لها : في (ط) فقط .

(٦) ط : لا يحتاج في .

(٧) ك : مماثلها .

(٨) في لسان العرب " مادة " لأم " : " واللأم : الشديد من كل شي واللامة ، مهموز : الدرع ،

وقيل : السلاح ، ولامة الحرب : أداتها ، وقد يترك الهمز تخفيفا ، ويقال للسيف لامة ، وللرمح لامة ،

وانما سمي " لامة " لأنها تلائم الجسد وتلازمه ، وقال بعضهم : اللامة : الدرع الحصينة ، سميت

" لامة " لاحكامها وجود حلقها . (٩) ك : ضدعين ، كم تنقنين

(١٠) ك : لجليل ، وقوله : يا ضدع . . . الخ ذكره الطبري في تاريخه ٣ / ٢٨٤ ، ٣٠٠ ، وابن كثير فسي

البداية والنهاية ٦ / ٣٢٦ ، وقوله : الغيل . . . الخ ذكره ابن كثير ٦ / ٣٢٦ .

(١١) ك : فاستفهمهم .

وظهور الافتراء على هذا الكلام ، وأن الله لا يتكلم بمثل هذا الهذيان .
(*) وأما الطرق فكثيرة جدا ، متنوعة من وجوه ؛ وليس كما يظنه بعض الناس
(٢) أن معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته ؛ وقول بعضهم : انه من جهة
فصاحته ، وقول بعضهم : من جهة اخباره بالغيوب ، الى أمثال ذلك ؛ فان
كلا من الناظرين قد يرى وجها من وجوه الاعجاز ، (٤) وقد يريد الحجر (٥)
وان لم ير غيره ذلك الوجه ، واستيعاب الوجوه ليس هو ما يتسع له شرح
هذه العقيدة (*).

فصل

قال المصنف : " ثم نقول : كل ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من
عذاب القبر ، ومنكر ونكير ، وغير ذلك من أحوال (٧) القيامة ، والصراف ، والسيران ،
والشفاعة ، والجنة والنار - فهو حق ؛ لأنه ممكن ، وقد أخبر به الصادق فيلزم
صدقه " .

كلام الأصبهاني
عن اليوم الآخر

شرح ابن تيمية والكلام على هذا في فصول :

ص ١٤٧ أحدها - أن يقال : أن (٨) / هذه العقيدة اشتملت على الكلام في الايمان
بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر ، ولا ريب أن هذه الأصول الثلاثة هي أصول
الايمان الخيرية العلمية ، وهي جميعها داخلية في كل ملية ، وفي ارسال كسل
رسول ، فجميع الرسل اتفقت عليها ، كما اتفقت على أصول الايمان العملية أيضا ،

- (١) من ، ك : الله سبحانه وتعالى .
- (*) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .
- (٢) طء ك : وأن . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٣) ط : يروى .
- (٤) طء ك : الأحجار . ولعل الصواب ما أثبت .
- (٥) كذا في النسختين (طء ك) ولعل معنى الكلام ان من يرى وجها من وجوه الاعجاز دون غيره ، قد
يريد أيضا الحجر ، فلا يرتضى وجها آخر غيره .
- (٦) من ، ك : الله تعالى .
- (٧) ك : أهوال .
- (٨) ان : في (ك) فقط .
- (٩) ط : ورسوله .

مثل ايجاب عبادة الله^(١) وحده لا شريك له ، وايجاب الصدق والعدل وبر الوالدين ، وتحريم الكذب والظلم والفواحش ؛ فان هذه الأصول الكلية علما وعملا هي الأصول التي اتفقت عليها الرسل كلهم .

والسور التي أنزلها الله على نبيه^(٢) قبل الهجرة ، التي يقال لها : "السور المكية" ، تضمنت تقرير هذه الأصول ، كسورة الأنعام ، والأعراف ، وذوات (الر) و (حم) ، و (طس) ، ونحو ذلك^(٣) .

والايان بالرسول يتضمن الايمان بالكتب ، وبمن نزل بها من الملائكة . وهذه الخمسة هي أصول الايمان المذكورة في قوله تعالى : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین) ، وفي قوله عز وجل : (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللا بعيدا)^(٤) .

وهي التي أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل في صورة أعرابي ، وسأله عن الايمان ؛ فقال : (الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) . والحديث قد أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، وأخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ، وهو من أصح الأحاديث ، فتلك الثلاثة تتضمن هذه الخمسة^(٥) .

(١) من : ك : الله تعالى .
(٢) من : ك : أنزلها الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام .
(٣) ط : وذوات (الر) و (حم) و (طس) والمازرى ونحوه بناء على أنهم لا يرون . وهذا الكلام موضعه فيما سبق ، ص ٦١٦ ، أما قوله هنا : ونحو ذلك ، والايمان بالرسول يتضمن . . . الخ فقد ورد في (ط) قبل صفحات (ص ٢٩٠) هكذا : والشهرستاني وأبو الوليد الباجي ونحو ذلك والايمان بالرسول يتضمن . . . الخ .

(٤) تعالى : ليست في (ط ، خ) .
(٥) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٦) عز وجل : ليست في (ط ، خ) .
(٧) سورة النساء : ١٣٦ .
(٨) هذا بعض من حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان والساعة وأشراطها .

وهو عن أبي هريرة ، في صحيح البخارى (فتح البارى ١ / ١١٤ رقم ٥٠) كتاب الايمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان . . . الخ ، ٥١٣ / ٨ رقم ٤٧٧٧ كتاب التفسير ، باب (ان الله عنده علم الساعة) [لقمان : ٣٤] ؛ وصحيح مسلم / =

والله تعالى أنزل سورة البقرة ، وهي سنام القرآن ، وجمع فيها معالم الدين وأصوله وفروعه ، (*) الى أمثال ذلك ، فان النظر (٢) فيها وجه من وجوه الايجاب (*) .
ولما ذكر في أولها أصناف الخلق ، وهم ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ؛ أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين ، فقرر هذه الأصول الثلاثة : " الايمان بالله ، ثم الرسالة ، ثم اليوم الآخر ؛ (*) فانه أنزل أربع آيات في المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، ويضع (٤) عشرة آية في صفة المنافقين ، ثم قال تعالى تقريرا للنبي صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) . الى قوله تعالى :

= / ٣٩ / ١ - ٤٠ رقم ٩ كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام والاحسان . . . الخ .
وأول الحديث ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس ، فأناه رجس ، فقال : ما الايمان ؟ قال : (الايمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلغائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث) هذا لفظ البخاري .
وعند مسلم في رواية (أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه وبلغائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر) .
وزاد في رواية أخرى (وتؤمن بالقدر كله) .

وعن عمر بن الخطاب ، في صحيح مسلم ٣٦ / ١ - ٣٨ رقم ٨ ؛ وسنن أبي داود (عون المعبون ١١٢ / ٤٥٩ - ٤٦٤) كتاب السنة ، باب في القدر ؛ وسنن النسائي ٨ / ٨٨ - ٨٩ كتاب الايمان ، باب نعت الاسلام ؛ وسنن الترمذي (تحفة الأحوذى ٣٤٢ / ٧ - ٣٤٩) الايمان ، باب ماجاء في وصف جبرائيل للنبي صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام ؛ ومسند أحمد (طه المعارف) ١ / ٣١١ - ٣١٢ رقم ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
وأول الحديث عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني . . . وفيه عن عبد الله بن عمر حدثني أبي عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . . . وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الايمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) .
كذا في (ك) ، وفي النسخ الأخرى : التي هي سنام القرآن .

(١) روى الترمذي في سننه (تحفة الأحوذى ١٨١ / ٨) فضائل القرآن ، باب ماجاء في سورة البقرة وآية الكرسي ، بسنده عن حكيم بن جبير عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء سنام ، وان سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي " . وقال الترمذي (١٨٢ / ٨) : " هذا حديث غريب ، لا نعرفه الا من حديث حكيم بن جبير ، وقد تكلم فيه شعبية ، وضعفه " .

وفي صحيح ابن حبان (مؤلف الطمان ، ص ٤٢٧) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان لكل شيء سناما ، وان سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلا لم يدخسها الشيطان بيته ثلاثة أيام) ، وفي مسند أحمد (طه الحلبي) ٢٦ / ٥ عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (البقرة سنام القرآن وذروته . . . الخ) .

وسنام كل شيء أعلاه ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٩٠ ، لسان العرب مادة " سنام " .
(٢) ط : أصوله ، بسقوط واو العطف . (*) ما بينهما ساقط من (خ ، س)
(٣) ط : الناظرين . (٤) ط ، ك : ويضعة . والصواب ما أثبتته .

(*)- (*)- (*) ص ٦٣٠ - ٦٣١ (ما بينهما ساقط من (خ ، س)) .

(بسورة من مثله) . فانه ذكر التحدى هكذا^(٢) في غير موضع من القرآن .

الفصل الثاني - أن مسائل " ما بعد الموت " ونحو تلك ، الأشعري

وأتباعه ومن وافقهم من أهل المذاهب الأربعة ، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ؛ يسمونها " السمعيات " ، بخلاف باب الصفات والقدر .

وذلك / بناء على أصلين : أحدهما - أن هذه لا تعلم الا بالسمع ، والثاني - أن ما قبلها يفلم بالعقل .

ص ١٤٨

وكثير منهم ، أو أكثرهم يضم الى ذلك أصلا آخر ؛ وهو أن السمع لا يعلم صحته الا بتلك الأصول التي يسمونها " العقلية"^(٣) ، مثل اثبات حدوث العالم ونحو ذلك . وأما محققوهم فيقولون : ان العلم بحدوث العالم ليس من الأصول التي تتوقف صحة السمع عليها ، بل يمكن العلم بصحة السمع ، ثم يعلم بالسمع خلق السموات والأرضي ونحو ذلك .

وأما الأصلان الأولان فنازعهما فيهما طوائف ، مثل أمر المعاد ؛ فانه قد ذهب طوائف الى أنه يعلم بالعقل أيضا ، وهذا قاله طوائف من المعتزلة ، ومن غير المعتزلة أيضا من أتباع^(٥) الأئمة الأربعة ، حتى من أصحاب أحمد كابن عقيل وغيره .

والفلاسفة الالهيون يشبتون معاد النفوس بالعقل ، وقد وافقهم علسي اثبات معاد الأرواح بالعقل طوائف من أهل الكلام والتصوف وغيرهم ، وان كان هؤلاء يشبتون معاد الأبدان أيضا ، اما بالسمع واما بالعقل ؛ فالمقصود أن

(١) الآيات هي (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون . وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) . سورة البقرة : (٢١-٢٣) .

(٢) خ ، س : وهكذا .

(٣) ط : سموها .

(٤) ك : بالعقلية .

(٥) ط : من المعتزلة والكرامية ومن غير المعتزلة وغيرهم ، ومن أهل الحديث والتفسير والتصوف والفقهاء وغيرهم فيه طوائف من أتباع . وانظر أول الكتاب (ص ٢٠) .

(٦) حتى : ساقطة من (ط) .

العقل عندهم قد يعلم به اما معاد الأرواح واما المعاد مطلقا، وأما انكار الفلاسفة لمعاد الأبدان فهذا مما اتفق أهل الملل على إبطاله .

الفصل الثالث - أن من انتسب الى الملل منهم ، من المسلمين واليهود والنصارى ؛ هم مضطربون فيما جاءت به الأنبياء في المعاد ، فالمحققون منهم يعلمون أن حججهم على قدم العالم ونفي معاد الأبدان ضعيفة ، فيقبلون ^(١) من الرسل ما جاءوا به ؛ ومنهم قوم واقفة متحيرون لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم ؛ ومنهم قوم أصروا على التكذيب ، ثم زعموا أن ما جاءت به الرسل هو أمثال مضمرة لتفهم المعاد الروحاني ^(٢) .

وهؤلاء إذا حقق عليهم الأمر صرحوا بأن الرسل تكذب لمصلحة العالم ، وانا حسنوا العبارة قالوا : انهم يخيلون الحقائق في أمثال خيالية ^(٣) . وقالوا : ان خاصة النبوة تخيل الحقائق للمخاطبين ، وانه لا يمكن خطاب الجمهور الا بهذا الطريق . كما يزعم ذلك الفارابي وأمثاله ^(٤) .

مع أن الفارابي له في معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة : تارة يقول : لاتعاد . وينكر المعاد بالكلية ، وتارة يقول : انها تعاد ، وتارة يفرق بين الأنفس العالمة والجاهلة ؛ فيقر بمعاد العالمة دون الجاهلة ^(٥) .

ولهم في تفضيل النبي على الفيلسوف أو بالعكس نزاع ؛ فعقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضل النبي على الفيلسوف ، وأما غلاتهم فيفضلون الفيلسوف .

(١) ط : فينقلون .

(٢) ط ، خ : عن .

(٣) لتفهم : كذا في (ط) ، وفي النسخ الأخرى : لتفهم .

(٤-٤) ما بينهما ساقط من (خ ، س) .

(٥) للمخاطبين : ساقطة من (خ ، س) .

(٦) ط : الفارابي وابن سينا وأمثالهما .

(٧) ط : دون الجاهلة ، وهذا قول طائفة منهم .

ولاريب أن أوليهم^(١) ليس لهم في النبوات كلام محصل^(٢)، وكلامهم في
الالهيات قليل، وانما توسع القوم في الأمور الطبيعية والرياضية، ومصنفات
معلمهم الأول أرسطو: عامتها من ذلك^(٣)، والذي / فيها من الالهيات أمر
في غاية الغلة مع اضطرابه وتناقضه .

ص ١٤٩

فاذا عرف ذلك، فما جاء به السمع^(٤) من أمر المعاد قرره عليهم
النظار بطريقتين: أحدهما- ببيان الكلام الصريح في اثبات معاد الأبدان،
وتفاصيل ذلك . والثاني- أن العلم بأن الرسل جاءت بذلك علم ضروري،
فان كل من سمع القرآن والأحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين^(٥)

(١) ط: أولهم .
(٢) ط: كلام محصل، فانه ليس في كتب أرسطو كلام في النبوات، ولا في القوة القدسية والخواص
الثلاثة، ولا في ذكر الملل ولا غير ذلك، وانما يوجد ذلك في كلام ابن سينا وأمثاله ممن رأيته
أن يجمع بين ما جاءت به الأنبياء وبين كلام سلفه المشائين [كتب في الأصل (ط) المسامس،
بلا نقاط] .

(٣) ط: أرسطو موجودة في ذلك .
(٤) تنفرد (ط) هنا بزيادة تقع في صفحاتها ٢٩٤ - ٢٩٦ هذا نصها: فما جاء به السمع في العلم
أو في علم الرب هل هو... [بياض بقدر كلمتين، وكتب أمامه في الهامش: بياض بالأصل]
يوثر في المعلوم أو أنه فعال لا يوثر في المعلوم، فكثير من المتفلسفة يدعي أن العلم فعلي،
وعلى هذا جعلوا نفس عنايته ومشيتته في مجرد علمه بانتظام العالم، وأن كذلك [لعل الصواب:
ذلك] العلم بالنظام هو الموجب للنظام، وأكثر أهل الكلام يقولون: بل العلم يطابق المعلوم
لا يكتسبه صفة كما يقوله من تقدم ذكره في القول .

والتحقيق أن العلم نوعان: علم العالم ما ليس يبعد زواله كعلمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله وأيامه،
فهذا العلم يطابق المعلوم، لا يكتسبه صفة، ولا يوثر فيه، وان حصل لنا بهذا العلم محببة
المعلوم [لعل الصواب: المعلوم] وحصل بذلك محبته لنا ورضاه واثابته فنفس العلم ليس مؤثرا
في وجود المعلوم .

والنوع الثاني علمنا ما نقدر عليه من فعالنا بهذا، فهذا العلم يوثر في المعلوم وهو شرط في
وجوده، ولولا تصورنا لأفعاله الاختيارية لما علمناها، وعلم الله لمخلوقاته له تأثير فيها، وهو
شرط في وجودها، فانه سبحانه وتعالى خلق الأشياء بإرادته، والارادة لا تكون الا في حي يتصور

مرايه، ولهذا قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .
ولكن ليس مجرد العلم موجب الوجود المعلوم بدون المشيئة والقدرة، كما يقول ذلك ابن سينا ونحوه
من المتفلسفة، حيث يجعلون نفس العلم هو نفس القدرة والارادة، ويجعلون العلم والقدرة
والارادة هي نفس الرب العالم القادر المختار، فيجعلون هذه الصفة هي الأخرى، ويجعلون...
[بياض بقدر كلمة، لعلها الصفة] هي الموصوفات [كذا] ولعل الصواب: الموصوف [فان التصور
التمام بهذا] [لعل الصواب: لهذا] القول يوجب العلم القطعي بأنه باطل .

وأما علم الرب تعالى بنفسه المقدسة فهذا علم يطابق المعلوم، لا يوثر في وجوده في القول في أنسه
متعلق القول هل له في القول صفة ثبوتية، ويتعلق [لعل الصواب: ومتعلق] العلم هل له في العلم
صفة ثبوتية يفصل فيه بين نوع ونوع ولا يبين نفاقا [كذا] ولا يثبت اثباتا .

وبعد هذه الزيادة مباشرة، قوله: وبالجملة فجمهور الأئمة على أن الله منزه عن أشياء... الخ [شرح
الاصحاحانية، ص ٦١٩].
اما كلام ابن تيمية هنا فهو يرد في (ط) صفحة ٣١٣ هكذا: وهذا كتنازع الناس في أمر المعاد، فرد
عليهم النظار من جهة السمع بطريقتين . (٥) ط: تبيان . (٦) ط: والأحاديث النبوية .

لذلك ، علم بالاضطرار أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بمعاد الأبدان ،
وأن القدح في ذلك كالقدح في أنه^(١) جاء بالصلوات الخمس ، وصوم شهر
رمضان ، وحج البيت العتيق ، ونحو ذلك .

والقرامطة الباطنية - وهم من الفلاسفة - أنكروا هذا وهذا ، وزعموا أن
هذه كلها رموز وإشارات إلى علوم باطنة ، كما يقولون : إن الصلاة معرفة
أسرارنا ، والصيام كتمان أسرارنا ، والحج زيارة شيوخنا المقدسين ، ونحو ذلك
ما هو مذكور في الكتب الموءلفة في " كشف أسرارهم وهتك أستارهم " .
ولهؤلاء القرامطة صنفت " رسائل اخوان الصفا^(٢) " ، وهم الذين يقال لهم :
الاسماعيلية ؛ لانتسابهم إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر^(٣) . قال ابن سينا : كان
أبي وأخي من أهل دعوتهم ، ولهذا اشتغلت بالفلسفة^(٤) .

وأما الفلاسفة الذين لم يدخلوا في القرامطة المحضة ؛ فهم لا ينكثرون
العبادات والشرائع العملية ؛ بل قد يوجبون اتباعها والعمل بها ، لاسيما
من دخل منهم في التصوف أو الكلام . لكن منهم من يوجب اتباعها على العامة
دون الخاصة ، أو يوجبها^(٥) من غير الوجه الذي أوجبها الرسول ، كما يجوزون
أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يأتي بشريعة أخرى ، ويقولون :
إن أحدهم يخاطبه الله^(٦) كما خاطب موسى بن عمران ، ويعرج به كما عرج بالنبي
صلى الله عليه وسلم ، وأمثال هذه المقالات التي كثرت لما ظهرت الفلسفة السني^(٨)
أفسدت طوائف من أهل التصوف والكلام^(٩) .

(١) ط : بأنه .

(٢) انفردت (ط) هنا بزيادة هذا نصها : صنفت لبني عبيد ، لما بنوا القاهرة في رمز ، زعم أنها مأخوذة
عن جعفر بن محمد ، وهو جاهل ، فإن جعفر بن محمد توفي سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهذه الرسائل
صنفها جماعة متأخرون بعد أخذ التصوف بعض سواحل الشام ، كما ذكر ذلك في الرسائل ، وكان
ذلك في أثناء المائة الرابعة لما ظهرت دولة بني عبيد واضطرب كثير من أمراء الإسلام ، وبنو عبيد
هم الذين يقال .

(٣) محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، تنسب إليه الطائفة الاسماعيلية ويزعمون أن دور الامامة
انتهى إليه بعد وفاة أبيه سنة ١٣٨ توفي حوالي سنة ١٩٨ .

انظر : تلميس ايليس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ منهاج السنة ٢ / ٣٥٩ - ٣٦٠ (تحقيق الدكتور رشاد
سالم) ؛ الأعلام ٦ / ٣٤ ، وانظر فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٥٨ - ٦٣ .

(٤) انظر فيما تقدم ، ص ٣٨ ت ١ . (٥) ط : يوجبوها .

(٦) س ، ك : الله سبحانه وتعالى . (٧) ط : يخاطب .

(٨) س ، ك : الله تعالى .

(٩) زادت (ط) هنا مايلي : وكذلك القرامطة في ضرب الشرائع على عامتهم ، لكن مقرونة بالرفض ، فهم كما
قال فيهم أبو حامد : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض .

الفصل الرابع - أنه اذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع ؛ كعذاب القبر، وسوءال منكر وتكبير ، وكالصراط ، والشفاة ، والحوض ، ونحو ذلك ما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضا ، لكن ليس التصريح به في القرآن كالتصريح^(٢) بالجنة والنار، وقيام القيامة ، وحشر الخلق ؛ ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الأبدان أحد من أهل القبلة ، وأنكر هذه الأمور التي جاءت بها الأحاديث المستفيضة ، بل المتواترة عند علماء أهل الحديث^(٣) - طوائف^(٤) من أهل البدع ، اما من المعتزلة واما من الخوارج واما من غيرهما .

الفصل الخامس - أن هذا المصنف وأمثاله ، انما يذكرون الايمان بالسمعيات على طريق الاجمال ؛ وأما العلم بتفصيل ذلك فانما يعرفه من عرف الأحاديث الصحيحة في هذا الباب ، وما جاء في ذلك من آيات القرآن^(٥) ، وتفسيرها الثابت عن الصحابة والتابعين ونحوهم .

الفصل السادس - أنه اذا علم أن محمدا^(٦) رسول الله ، وأن الله^(٧) صدقه في قوله : اني رسول الله اليكم - فالرسول هو المخبر عن المرسل بما أمره أن يخبر به - علم بذلك أنه صادق فيما يخبر به عن الله ، ان الكاذب فيما يخبر به ليس برسول في ذلك ، كما أن الذي لم يرسل بشيء قط هو كاذب في كسل ما يخبر به عن زعم أنه أرسله بالأمر ، كما قال صلى الله عليه وسلم^(٧) :

-
- (١) س ، ك : الله تعالى .
 - (٢) ط : لكن بالتصريح به في القرآن فالتصريح .
 - (٣) بل : ساقطة من (ط) .
 - (٤) ط : عند علماء الأحاديث كأحاديث القيامة والحوض ونحو ذلك .
 - (٥) س ، ك : القرآن الكريم .
 - (٦) س ، ك : محمدا صلى الله عليه وسلم .
 - (٧) س ، ك : الله تعالى . (في المواضع الثلاثة) .

(١) اذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله .

وكما يعلم أنه صادق في قوله : اني رسول الله اليكم . يعلم أنه صادق في قوله : ان الله يقول لكم كذا ، ويأمركم بكذا . فتكذبه في هذا الخسبر المعين كتكذبه في الاخبار بأصل الرسالة ، والطرق التي بها يعلم صدقه في المطلق يعلم بها صدقه في المعين وأولى ؛ فان ما دل^(٣) على الصدق في كل ما يخبر^(٤) به [عن الله دل على الصدق في هذا الخبر المعين . كالمعجزة ، فان^(٥) المعجزة دلت على صدقه في دعواه ، ودعواه : اني صادق على الله فيما أخبر به عنه ، لم يدع الصدق عليه في بعض الأمور التي يخبر بها عنه دون بعض .

بل قال الله فيما أخبر به عنه : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين) ، وقال تعالى : (أم يقولون افتري على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق يكلماته انه عليم بذات الصدور) ، وقال تعالى : (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقران غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) .

(١) في صحيح مسلم ١٨٣٥ / ٤ رقم ٢٣٦١ كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي ؛ وسنن ابن ماجه ٢ / ٨٢٥ رقم ٢٤٧٠ كتاب الرهون ، باب تلقح النخل ؛ ومسند أحمد (ط . المعارف) ٢ / ٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ١٣٩٥ عن طلحة بن عبيد الله قال : مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على رأس النخل ، فقال : (ما يصنع هؤلاء ؟) فقالوا : يلحقونه . . . وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : (ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا ، فخذوا به ، فاني لن أكذب على الله عز وجل) .

- (٢) س ، ك : الله تعالى .
- (٣) س : فان ما يدل .
- (٤) به : ساقطة من (ط ، ك) .
- (٥) س : الخبر وذلك . ولم يظهرها التصوير في (خ) .
- (٦) ط ، ك : وان .
- (٧) س : في دعواه اني صادق في كل ما أخبر به عن الله ، فهي تدل أيضا على صدق بعض ما أخبر به عنه .
- (٨) خ ، س : بل قال فيما أخبر به عن الله .
- (٩) سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٦ .
- (١٠) تعالى : في (ك) فقط . (في الموضعين) .
- (١١) سورة الشورى : ٢٤ .
- (١٢) سورة يونس : ١٥ ، ١٦ .

وقال تعالى : (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره
واذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن شبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً)^(١) ،
(وقال موسى يافرعون اني رسول من رب العالمين . حقيق على أن لا أقول عسى
الله الا الحق)^(٢) .

والرسول الذى يكذب على مرسله [في بعض الأمور]^(٣) مثل الذى يكذب
في أصل الرسالة ، والله عالم^(٤) بحقائق الأمور ، فلا فرق بين اظهار/المعجزة^(٥)
على يد من يكذب في أصل الرسالة أو يكذب فيما يخبر به عن مرسله .

الفصل السابع - أنه اذا ثبت صدقه في كل ما يخبر به عن الله ، فمما^(٦)
أخبر به عنه القرآن ، فانه قد علم بالاضطرار أنه بلغ القرآن عن الله ، وأخبر أن^(٧)
القرآن كلام الله لا كلامه ، ومما أخبر به الله^(٨) في القرآن أن الله أنزل عليه الكتاب
والحكمة ، وأنه أمر أزواج نبيه^(٩) أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله
والحكمة ، وأنه استن على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ؛ ومن المعلوم أن ما يذكر في بيوت أزواج
النبي^(١٠) اما القرآن ، واما ما يقوله من غير القرآن ، وذلك هو الحكمة ، وهو السنة ؛
فثبت أن ذلك مما أنزله الله وأمر بذكره .

-
- (١) سورة الاسراء : ٧٣ ، ٧٤ . في (ط) : (. . عن الذى أوحينا اليك) الى قوله : (نصيراً) .
(٢) سورة الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) عبارة : في بعض الأمور : في (ط) فقط .
(٤) س ، ك : والله تعالى .
(٥) ط : أعلم .
(٦) ك : المعجز .
(٧) س ، ك : الله تعالى .
(٨) س ، ك : الله سبحانه .
(٩) ط : وما أخبر الله به ؛ خ : وما أخبر الله به .
(١٠) خ ، س : وأمر .
(١١) س ، ك : نبيه عليه الصلاة والسلام .
(١٢) س ، ك : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد أمر الله بطاعته في القرآن في آيات كثيرة ، وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ، وقال : (والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) ، وقال : (وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) . فهذا وأمثاله يبين أن الله أوجب اتباعه فيما يقوله وان لم يكن من القرآن .

وأيضاً فرسالته (٨) اقتضت صدقه فيما يخبر به عن الله من القرآن وغير القرآن ، فوجب بذلك تصديقه فيما أخبر به وان لم يكن ذلك من القرآن .

والله سبحانه أعلم (١٠) ، والحمد لله ، والصلاة (١٢) على خاتم رسل الله محمد وآله وصحبه أجمعين (١١) .

-
- (١) س ، ك : الله تعالى .
 - (٢) سورة النساء : ٨٠ .
 - (٣) س ، ك : وقال عز وجل .
 - (٤) سورة النجم : ١-٤ .
 - (٥) س : وقال سبحانه ؛ ك : وقال سبحانه وتعالى .
 - (٦) سورة الحشر : ٧ .
 - (٧) س ، ك : أن الله عز شأنه .
 - (٨) س : وأيضاً الرسالة . ولم يظهرها التصوير في (خ) .
 - (٩) س ، ك : الله تعالى .
 - (١٠) والله سبحانه أعلم : كذا في (ك) ، وفي (ط) : والله سبحانه وتعالى أعلم ، والمعبارة ساقطة من (خ ، س) .
 - (١١-١١) ما بينهما ليس في (ط ، خ) .
 - (١٢) س . والصلاة والسلام .

(أ) فهرس المراجع .

(ب) فهرس الموضوعات .

(فهرس المراجع)

(أ)

- آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي، ط. الثانية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م القاهرة .
- الآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لعبد الرحمن السيوطي، ط. الأولى، المكتبة الحسينية بمصر .
- الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، تحقيق د / فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م القاهرة .
- أبتكار الأفكار، لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدى، مخطوط بمكتبة جامعة الطلك سعود فلم ٣٤ مصور عن مكتبة أيا صوفيا ٢١٦٥ .
- ابن سينا بين الدين والفلسفة، للدكتور/ حمود، غرابة، ط. القاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن قيم الجوزية، ط. الامام بمصر .
- الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- احياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الفزالي، (ط. دار المعرفة، بيروت).
- الأرب المفرد، للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٥هـ .
- الأربعين في أصول الدين، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازى، ط. الأولى، حيدرآباد، ١٣٥٣هـ .
- أرسطوعند العرب، لعبد الرحمن بدوى، ط. القاهرة، ١٩٤٧م .
- الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لعبد الطلك بن عبد الله الجويني، تحقيق د / محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ط. السعادة بمصر ١٩٥٠م .
- أساس التقديس، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازى، ط. كردستان، مصر، ١٣٢٨هـ .

- الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق د / محمد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسن عبد البر، تحقيق / علي محمد البجاوي، ط. مكتبة نهضة مصر، القاهرة .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المعروف بابن الأثير، ط. جمعية المعارف بمصر .
- أسماء مؤلفات ابن تيمية، لابن قيم الجوزية، تحقيق د / صلاح الدين المنجد، ط. دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦ م .
- الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تصحيح وتعليق / محمد زاهد الكوثري، ط. السعادة بمصر .
- اشارات المرام من عبارات الامام، لأحمد بن حسن البياضي، تحقيق / يوسف عبد الرزاق، ط. الحلبي بمصر ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- الاشارات والتنبيهات، لابن سينا، تحقيق د / سليمان دنيا، ط. المعارف بمصر .
- الاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق / علي محمد البجاوي، ط. دار نهضة مصر، القاهرة .
- الأصنام، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكبي، تحقيق الأستاذ / أحمد زكي باشا، ط. الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .
- أصول الدين، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط. الأولى، استانبول ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي، للدكتور محمد علي أبو ريان، ط. بيروت ١٩٦٩ م .
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لغفر الدين الرازي، الناشر مكتبة الكلمات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٢٨ م .
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط. الخامسة، ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين .
- الأعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية، لأبي حفص عمر بن علي السنهزاري، تحقيق د / صلاح الدين المنجد، ط. دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ، ط. الأولى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .

- اغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، لابن القيم، تحقيق / محمد بهيد كيلاني (ط. الحلبي بمصر) ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .
- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تقديم د/ عادل العوا ط. دار الأمانة، الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م بيروت .
- اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الاسلامي .
- الامتاع والموانسة، لأبي حيان التوحيدي، صححه أحمد أمين وأحمد الزبيسن، القاهرة ١٩٣٩م، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- انباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. دار الكتب، ١٩٥٠ - ١٩٧٣م القاهرة .
- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم، لأبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، تحقيق الدكتور / نيجر، ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م .
- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن يحيى المعلي، ط. الأولى، حيدرآباد - الهند .
- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

(ب)

- باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الاسلاميين، لأبي القاسم البلخي الكمبي المعتزلي، تحقيق / فؤاد سيد، ط. دار التونسية للنشر، تونس ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .
- البداية والنهاية في التاريخ، لاسماعيل بن عمر بن كثير، ط. السعادة بمصر .
- سد العارف، لابن سبئين، تحقيق الدكتور / جورج كتورة، ط. دار الأندلس، ودار الكندي، بيروت، ١٩٧٨م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. الحلبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لابن تيمية ، تحقيق /محمد بسن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٣٩٢هـ .

(ت)

- تاج التراجم في طبقات الحنفية ، لقاسم بن قطلوبغا ، ط. العاني - بغداد ١٩٦٢ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي ، ط. الأولى بمصر ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة د /عبد الحلیم النجار ، ط. الثانية ، المعارف بمصر .
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الناشر مكتبة القدسي .
- تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ط. الأولى ١٣٤٩ هـ - ١٩٢١ م .
- تاريخ التراث العربي ، لغواص سزكين ، نقله الى العربية د /محمود فهمي حجازي ، الناشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .
- تاريخ الجهمية والمعتزلة ، لجمال الدين القاسمي ، ط. الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- تاريخ الحكماء : مختصر الزوزني لكتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، ط. مكتبة المثنى ، بغداد .
- تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط. المعارف بمصر .
- تاريخ الفلسفة الغربية ، لبرتراند رسل ، ترجمة د /زكي نجيب محمود ، ط. القاهرة ١٩٥٤ م .
- تاريخ الفلسفة اليونانية ، ليوسف كرم ، ط. السادسة ، القاهرة .
- التاريخ الكبير ، للامام البخاري ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبي المظفر الاسفراييني ، ط. الخانجي بمصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- تبیین كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ط. القدسي ، دمشق ١٣٤٧ هـ .

- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تحقيق الدكتور/ أحمد بكير محمود، ط. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لعبد العظيم بن عبد القوى المنذري، تحقيق/ مصطفى محمد عمارة، ط. الحلبي ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- التسعينية، لابن تيمية، ضمن المجلد الخامس من كتاب مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ط. كردستان، القاهرة ١٣٢٩هـ.
- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي، تحقيق الدكتور/ عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي سرور، القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- تفسير البغوي: معالم التنزيل، للحسين بن مسعود الفراء، بهامش تفسير ابن كثير ط. المنار بمصر ١٣٤٣هـ.
- تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جريسر الطبري، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مراجعة / أحمد محمد شاكر، ط. المعارف، القاهرة. طبعة أخرى، ط. بولاق القاهرة ١٣٢٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط. المنار بمصر، الأولى.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق/ عبد الوهّاب عبد اللطيف، ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- تلخيص البليس، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط. بيروت، ١٣٦٨هـ.
- التمهيد، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الهافلاني، تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي المسوعي، ط. المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧م.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الططسي، ط. ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- تهافت الفلاسفة، للغزالي ، تحقيق الدكتور/ سليمان دنيا ، ط. الرابعة ، دار المعارف بمصر .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، لعبد القادر بدران ، ط. روضة الشمام .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ، ط. الأولى ، حيدرآباد ، الهند .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المسزى ، ط. دار المأمون ، دمشق .
- التوحيد ، لأبي منصور الماتريدي ، تحقيق د / فتح الله خليف ، ط. دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية .
- التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لامام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة ، راجعه محمد خليل هراس ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، القاهرة .

(ج)

- جامع بيان العلم وفضله وما ينفى في روايته وحمله ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، ط. دار الفكر ، بيروت .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب ، ط. الرابعة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، الحلبي .
- الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، ط. الأولى ، حيدرآباد - الهند .
- الجماهير في معرفة الجواهر ، لمحمد بن أحمد البيروني ، ط. الأولى ، حيدرآباد ، ١٣٥٥هـ .
- الجمع بين رجال الصحيحين : الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباني وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم ، لمحمد بن طاهر بن علي المقدسي ، ط. الثانية ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ط. المدني .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصر ، ط. الأولى ، حيدرآباد ، الهند .

(ح)

- الحروف ، لأبي نصر الفارابي ، حققه / محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، ط . دار الوطن بمصر ١٢٩٩ هـ .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط . السعادة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- حياة الحيوان الكبرى ، لمحمد بن موسى الدميري ، ط . الحلبي ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- الحيوان ، لعمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام هارون ، ط . الثانية .

(خ)

- خريف الفكر اليوناني ، لعبد الرحمن بدوي ، ط . الرابعة ، ١٩٧٠ م ، القاهرة .
- الخطط : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأحمد بن عبد الله الخزرجي ، ط . الثانية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط . الاسكندرية ١٩٧١ م .

(د)

- درة تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق / محمد رشاد سالم ، ط . الأولى .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط . الثانية ، حيدرآباد ، الهند ، ١٣٩٢ هـ - ١٣٩٦ هـ .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، ط . الحلبي .
- دلائل النبوة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ط . الثالثة ، حيدرآباد ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى ، ط . الأولى ١٣٥١ هـ بمصر .

- ديوان حسان بن ثابت ، حققه الدكتور/وليد عرفات ، ط. دار صادر ، بيروت .

(ن)

- ذكر أخبار اصبهان ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، ط. لبيد ن
١٩٣٤ م .

- الذيل على طبقات الحنابلة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، تصحيح
/محمد حامد الفقي ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م . ط. السنة المحمدية ، القاهرة .

(ر)

- ربيع الفكر اليوناني ، لعبد الرحمن بدوي ، ط. الرابعة ١٩٦٩ م ، القاهرة .

- رد الامام الدارمي على بشر المريسي ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط. الاسكندرية
١٩٧١ م .

- الرد على الزنادقة والجهمية ، للامام أحمد بن حنبل ، ضمن مجموعة عقائد السلف
ط. الاسكندرية ١٩٧١ م .

- الرد على المنطقيين لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، نشر/عبد الصمد
شرف الدين الكتبي ، ط. بمبای ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

- رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، جمعها وصحها / ب . كراوس ،
الجزء الأول ، ط. القاهرة ١٩٣٩ م .

- الرسالة القدسية ، للغزالي ، ضمن احياء علوم الدين ، ط. دار المعرفة ، بيروت .

- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق/
د . عبد الحلیم محمود ، د . محمود بن الشريف ، ط. دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

- الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ، للحسن بن عبد المحسن أبي عذبة ،
ط. حيدرآباد ١٣٢٢ هـ .

(س)

- بينن ابن ماجة : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق / محمد فواد عبد الباقي
ط. الحلبي ، القاهرة .

- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ، ومعه عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الثانية .
- سنن الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ومعه تحفة الأوزي بشرح جامع الترمذي ، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركوري ، تصحيح / عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. الفجالة ، القاهرة ، الثانية .
- سنن الدارقطني ، للإمام علي بن عمر الدارقطني ، ط. المدينة المنورة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ، تحقيق / عبد الله هاشم يماني ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، المدينة المنورة .
- سنن النسائي (المجتبى) لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي ، ط. الحلبي ، الأولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- السنة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ضمن مجموعة شذرات البلاتين من طبقات كليات سلفنا الصالحين .
- السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، صححه / لجنة من المشايخ برئاسة عبد الله ابن حسن بن حسين آل الشيخ ، ط. السلفية بمكة ، ١٣٤٩ هـ .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ط. الأولى ، مؤسسة الرسالة .
- سيرة الفزالي وأقوال المتقدمين فيه ، لعبد الكريم العثمان ، ط. دار الفكر بدمشق .
- السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام ، تحقيق / مصطفى السقا وآخرين ، ط. الحلبي ، الثانية ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، مصر .
- (ش)
- الشامل في أصول الدين ، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، تحقيق / علي سامي النشار وآخرين ، نشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، القاهرة ، ط. السلفية ١٣٤٩ هـ .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، الناشر مكتبة القدسي ، القاهرة .
- شرح الاشارات والتنبيهات ، للطوسي ، بذييل الاشارات والتنبيهات ، ط. المعارف بمصر .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي تحقيق / د . أحمد سعد حمدان ، ط. العبيكان ، الرياض .
- شرح حديث النزول ، لابن تيمية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، ط. الرياض .
- شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ط. الثانية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، مصر .
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، لأبي منصور الماتريدي ، ط. حيدرآباد ١٣٢١ هـ .
- الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط. السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- الشفاء (الالهيات (٢)) لابن سينا ، تحقيق / محمد يوسف موسى وآخرين ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- الشفاء (المنطق ٥ - البرهان) لابن سينا ، تحقيق الدكتور / أبو العلا عفيفي ، ط. الأميرية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، لأحمد الخفاجي ، تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجي ، ط. الأولى ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- (هـ)
- الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية ، لاسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق / أحمد عبد القفور عطار ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت .
- صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل ، ومعه فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، ط. السلفية ، القاهرة .
- صحيح مسلم : أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- صفة الصفة ، لابن الجوزي ، تحقيق / محمود فاخوري ، محمد رواح قلعة جسي ، ط. دار الوعي بحلب ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، للسيوطي ، تعليق / علي سامي النشار ، ط. الأولى ، السعادة بمصر .

(ض)

- ضحى الاسلام ، لأحمد أمين ، ط. القاهرة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م .

(ط)

- طبقات الأطباء والحكماء ، لابن جلجل : أبي داود سليمان بن حسان ، تحقيق / فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥م .

- طبقات الحنابلة ، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، تصحيح / محمد حامد الفقي ، ط. السنة المحمدية ، القاهرة .

- طبقات الشافعية ، للأسنوي ، تحقيق / عبد الله الجبوري ، ط. الأولى ، الارشاد ، بغداد .

- طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، تحقيق الدكتور / عبد العليم خان ، ط. الأولى ، حيدرآباد - الهند .

- طبقات الشافعية الكبرى ، لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق / عبد الفتاح الحلو ، ومحمود الطناحي ، ط. الأولى ، الحلبي .

- طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريفة ، ط. الخانجي ، القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- طبقات الفقهاء ، للشيرازي ، تحقيق / احسان عباس ، ط. دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٧٠م .

- طبقات الفقهاء الشافعية ، لأبي عاصم محمد بن أحمد العبادي ، ط. ليدن برسيل ١٩٦٤م .

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط. بيروت ١٣٧٦هـ - ١٣٧٧هـ .

- الطبقات الكبرى : لواقع الأنوار في طبقات الأخبار ، لعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، ط. الأولى ، الحلبي ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

- طبقات المفسرين ، لمحمد بن علي بن أحمد الداودي ، تحقيق / علي محمد عسـر ،
الناشر مكتبة وهبة ، ط. الأولى ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- طبقات المفسرين ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق / علي محمد عسـر ،
ط. وهبة ، القاهرة ، الأولى ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
- طبقات النحويين واللقويين ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق / محمد
أبو الفضل ابراهيم ، ط. المعارف بمصر .

(ع)

- العبر في خبر من عبر ، للذهبي ، ط. الكويت .
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ، ط.
الطبي ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد
ابن عبد الهادي ، تحقيق / محمد حامد الفقي ، ط. حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ
- ١٩٣٨ م .
- العقيدة المفيدة : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، لأبي عثمان اسماعيل بن
عبد الرحمن الصاهوني ، الطبعة الأولى ، الحسينية بمصر .
- العقيدة النظامية ، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، تحقيق / د. أحمد
حجازي السقا ، ط. القاهرة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ط.
الرياض .
- عمون الأنبا في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة : أحمد بن القاسم ، تحقيق
د / نزار رضا ، ط. دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

(غ)

- غاية الغرام في علم الكلام ، لأبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، تحقيق
/ حسن محمود عبد اللطيف ، ط. القاهرة ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، لمحمد بن محمد بن الجزري ، ط. الخانجي بمصر
١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

- غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ط. الأولى ، حيدرآباد - الهند .
- (ف)
- الفاضل ، لأبي العباس محمد بن زيد البيرد ، تحقيق / عبد العزيز الميمني ، ط. دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م القاهرة .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط. السلفية .
- الفتوحات المكية ، لابن عربي ، تحقيق د / عثمان يحيى ود / ابراهيم مدكسور ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٢هـ - ١٣٩٥هـ .
- طبعة أخرى ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر .
- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، للدكتور / أحمد فؤاد الأهواني ، ط. الأولى ١٩٥٤م ، الحلبي .
- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، لمحمد صالح الزركان ، ط. دار الفكر .
- الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ط. المدني ، القاهرة .
- فرق الشيعة ، لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، تصحيح ه. ريتز ، استانبول ١٩٣١م .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ، ط. دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- فصوص الحكم ، لابن عربي ، تحقيق د / أبو العلا عفيفي ، ط. الحلبي ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .
- فصائح الباطنية ، لأبي حامد الغزالي ، حققه الدكتور / عبد الرحمن بدوي ، ط. الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، تحقيق / فؤاد سيد ، ط. الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .
- الفقه الأكبر ، لأبي حنيفة ، وشرحه لملا علي القاري ، ط. الأولى ، ١٣٢٣هـ القاهرة .
- الفلسفة عند اليونان ، للدكتورة / أميرة حلبي مطر ، القاهرة ١٩٨٢م .
- القهرست للنديم : أبي الفرج محمد بن اسحاق ، تحقيق / رضا تجدد ، ط. طهران ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

- فهرس دار الكتب المصرية، ط. دار الكتب، القاهرة، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
- فهم القرآن للحارث المحاسبي، تحقيق حسين القوطي، ط. الأولى، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، دار الفكر، بيروت.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبی، تحقيق الدكتور/ احسان عباس، ط. صادر، بيروت.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، ط. الأولى ١٣٢٤هـ - ط. السعادة بمصر.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق / عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط. الثانية ١٣٩٢هـ بيروت.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ط. ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

(ق)

- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. الثالثة، بولاق ١٣٠١هـ.
- قانون التأويل، لأبي حامد الفزالي، تحقيق / محمد زاهد الكوثري، ط. الأولى، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

(ك)

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير: أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، ط. بيروت ١٣٨٥هـ - ١٣٨٦هـ.
- كشف اصطلاحات الفنون، لمحمد علي الفاروقي النبهاني، ط. بيروت.
- كشف الأستار عن زوائد الجزائر على الكتب الستة، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي، ط. الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، ط. الثالثة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٧م.
- الكلميات، لأبي البقاء الحسيني الكسوي، ط. بولاق، القاهرة ١٢٥٣هـ.

(ل)

- اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين بن الأثير الجزري، ط. مكتبة المشفى بهفداد.

- لسان العرب ، لابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور، ط. بيروت .
- لسان الميزان ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الناشر مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني ، تحقيق د / فوقية حسين محمود ، ط. الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، تصحيح وتعليق د / حمود غراية ، ط. الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- الله = كتاب عنوانه " الله " ، لعباس محمود العقاد ، ط. المعارف ، الثانية .
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لمحمد بن أحمد السفاريني ، تعليق / عبد الله بن عبد الرحمن أبابطرس وسليمان بن سحمان وغيرهما ، ط. دار الاصفهاني ، جدة . ١٣٨٠ هـ .

(م)

- المباحث المشرقية ، لأبي عبد الله الرازي ، ط. الأولى ، حيدرآباد ١٣٤٣ هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، الناشر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، ط. الرياض .
- مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق / عبد الصمد شرف الدين ، ط. بمبائى ، الهند ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكام والمتكلمين ، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، ط. مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ م .
- مذاهب الاسلاميين ، للدكتور / عبد الرحمن بدوي ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧١ م .

- مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ، للدكتور/ من .
بينيس ، ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ، ط . القاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، لأبي محمد
عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الشافعي اليمني المكي ، ط . الأولى ،
حيدرآباد ١٣٣٩ هـ .
- مروج الذهب ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي ، تحقيق / محمد
محي الدين عبد الحميد ، ط . السعادة بمصر .
- المستدرک علی الصحیحین فی الحديث ، للحاكم : أبي عبد الله محمد بن عبد الله
النيسابوري ، وفي زيله تلخيص المستدرک ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ،
ط . الأولى ، حيدرآباد - الهند ١٣٣٤ هـ .
- مسند الامام أحمد بن حنبل ، ط . الحلبي .
طبعة أخرى ، بتحقيق / الشيخ أحمد شاکر ، ط . المعارف ، القاهرة .
- مسند الامام الشافعي ، بهامش الجزء السادس من كتاب " الأم " ، ط . الأولى ،
بولاق بمصر ١٣٢٤ هـ .
- مشكاة الأنوار ، للفرزالي ، تحقيق د / أبو العلا عفيفي ، ط . دار القومية ، القاهرة ،
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- المطالب العالیه ، لأبي عبد الله الرازي ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، علم الكلام
(م) ٤٥ .
- معالم أصول الدين ، لأبي عبد الله الرازي ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر
مكتبة الكلمات الأزهرية ، القاهرة .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق / أحمد يوسف نجاستي
ومحمد علي النجار ، ط . دار الكتب ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م ، القاهرة .
- المعتمد ، لأبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا ، ط . الأولى ، حيدرآباد ١٣٥٧ هـ .
- المعتمد في أصول الدين ، للقاضي أبي يعلى ، حققه الدكتور / وديع زيدان حداد ،
دار المشرق ، بيروت .
- معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، ط . دار المأمون .

- معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي ، ط. دار صادر ، بيروت .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق/مصطفى السقا، ط. الأولى ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م ، القاهرة .
- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، ط. الترتيقي بدمشق .
- معيار العلم ، للفرزالي ، تحقيق للدكتور/ سليمان دنيا ، ط. المعارف بمصر ١٩٦١م .
- مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي ، تقديم الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، ط. دار النهضة العربية ، القاهرة .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زادة : أحمد بن مصطفى ، ط. الأولى هيدرآباد - الهند .
- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- ملحق في الجهمية ، أخذ من كتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ضمن مجموعة عقائد السلف ، ط. الاسكندرية .
- الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، بهامش كتاب الفصل ، ط. دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- منازل السائرين ، لأبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، ط. الأولى ، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م بمصر .
- مناقب الامام أحمد بن حنبل ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق د / عبد الله بن عبد المحسن التركي ود / علي محمد عمر ، ط. الخانجي بمصر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- منتخب طبقات الشافعيين لابن الصلاح ، انتخبه أبو زكريا النووي ، مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، الرقم العام ٣٩٧١ ، رقم التصنيف ٢٢٥ / ٩٠٠ .
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لابن الجوزي ، ط. هيدرآباد ١٣٥٧هـ .
- المنقذ من الضلال ، لأبي حامد الفرزالي ، تحقيق د / جميل صليبا ، ود / كامل عياد ، ط. دار الأندلس ، التاسعة ١٩٨٠م .

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور /محمد رشاد سالم ، ط. المدني ، القاهرة .
- المنية والأمل ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق د /علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي ، ط. دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢م .
- موارد الظمان الى زوائد ابن حبان ، لأبي بكر الهيثمي ، تحقيق /محمد عبد السرزاق حمزة ، ط. السلفية .
- المواقف في علم الكلام ، لعبد الرحمن بن أحمد الايجي ، ط. عالم الكتب ، بيروت .
- الموضوعات ، لابن الجوزي ، تحقيق /عبد الرحمن محمد عثمان ، ط. الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م .
- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. الحلبي .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق /علي محمد الجاوي ، ط. الحلبي ، الأولى .

(ن)

- النبوات ، للشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، ط. دار الفكر .
- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والالهيية ، لابن سينا ، ط. الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن يوسف بن تغرى بـــــــــــــردى الأتابكي ، ط. الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .
- نكت السهيمان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق /أحمد زكي بك ، القاهرة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١م .
- نهاية الاقدام في علم الكلام ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تصحيح الفرد جيوم ، ط. لندن ١٩٣٤م .
- نهاية العقول في دراية الأصول ، لأبي عبد الله الرازي ، مخطوط بدار الكتسب المصرية ، علم الكلام ٧٤٨ .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بسن
محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي
ط. الحلبي ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .

(هـ)

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لاسماعيل باشا
الهفدادي ، ط. استانبول ١٩٥١م .

(و)

- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار النشر
فرانز شتايز بفيسان ، ١٣٨١ - ١٣٩١هـ .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن
خلكان ، حققه د / احسان عباس ، ط. دار صادر .
-

(فهرس الموضوعات)

رقم الصفحة	الموضوع :
٨١-١	- مقدمة التحقيق .
٢٤-٢	- المبحث الأول - ترجمة الأصبهاني وابن تيمية .
٨-٢	- ترجمة الأصبهاني .
٢	- اسمه .
٢	- مولده .
٢	- طلبه العلم ، وأعماله .
٦	- وفاته .
٦	- صفاته .
٧	- كتبه .
٢٤-٩	- ترجمة ابن تيمية .
٩	- اسمه .
٩	- مولده .
٩	- طلبه العلم ، وصفاته .
١٣	- جهاده وشجاعته .
٢٠	- نشاطه العلمي ومناظراته وسجنه .
٢٢	- وفاته .
٢٣	- كتبه .
٦٣-٢٥	- المبحث الثاني - عرض وتبويب لمباحث الأصبهانية وشرحها .
٢٥	- العقيدة الأصبهانية .
٦٣-٢٥	- شرح الأصبهانية .
٨١-٦٤	- المبحث الثالث - توثيق الكتاب ومنهج تحقيقه .
٦٤	- توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف .
٦٥	- عنوان الكتاب وحجمه .
٦٧	- تاريخ تأليف الكتاب .
٦٩	- وصف نسخ الكتاب .
٧٩	- منهج التحقيق .

الموضوع:	كتاب " شرح الأصبهانية "	رقم الصفحة
- سبب ومكان وتاريخ تأليف " شرح الأصبهانية " .		١
- العقيدة الأصبهانية		٢-٤
- شرح الأصبهانية		٤-٦٣٨
- ما ذكره الأصبهاني من مسائل قهوه حق في الجملة .		٤
- " المرید " و " المتكلم " ليسا من الأسماء الحسنى ، ومعناها حق		٥
- اتفاق السلف على أن الله متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق		٧
- وكذلك الإرادة .		٧
- معنى قول السلف عن القرآن : منه بدأ واليه يعود .		٨
- فساد قول من يقول : كلام الله مخلوق .		١٣
- تطور مذهب الجهمية في كلام الله .		١٥
- اختصار الأصبهاني هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاتية .		١٨
- متابعة الأصبهاني للرازي في طريقة الاستدلال على الصفات السبع		
- واقتصاره عليها .		٢١
- السمع والعقل أثبتا صفات أخرى مع هذه السبع .		٢٥
- مذهب السلف في صفات الله .		٢٥
- مناقشة من يثبت بعض الصفات دون بعض .		٢٧
- اثبات القرآن دلائل الربوبية بالطريق العقلي .		٢٨
- أقوال الناس في محبة الله .		٢٩
- ضلال من قدم العقل على النقل .		٣٠
		٣٣-٣٢
		٣٢
- استمرار في مناقشة من يثبت بعض الصفات دون بعض .		٣٢
		٣٢-٣٤
		٣٤
- الأحكام التي يذكرها أهل السنة في عقائدهم المختصرة .		٣٤
- الأصبهاني لم يستوف هذه الأحكام ، وما ذكره أشار إلى دليله		
- إشارة مختصرة .		٣٦
		٣٧
		٣٧-٥٠
		٥٠-٣٧

دليل الأصبهاني على وجود الخالق

شرح ابن تيمية

٤٧	- هذا الدليل مبني على مقدمتين :
٢٧	- المقدمة الأولى - أن الممكنات موجودة .
٢٨	- طريقة ابن سينا في اثبات واجب الوجود .
٢٨	- تعليق ابن تيمية .
٤٠	- مشابهة طريقة الأصبهاني لطريقة ابن سينا وأتباعه .
٤٠	- تقرير ابن تيمية لهذه المقدمة .
٤٢	- المقدمة الثانية - أن الممكن لا يبد له من واجب .
	- شرح قول الأصبهاني على الممكنات : واستحالة وجودها بممكن
٤٦	آخر . . . الخ .
٤٨	- سعة طرق اثبات الخالق .
٨٩-٥٠	فصل
٥٠	دليل الأصبهاني على وحدانية الخالق
١٣٤-٥٠	شرح ابن تيمينة
	- متابعة الأصبهاني للمتفلسفة في الاستدلال على الوحدة انية بنفسه
٥٠	التركيب .
٥١	- اعتماد الفلاسفة في نفي الصفات على حجة التركيب .
٥١	- فساد هذه الحجة من وجوه :
٥١	- الوجه الأول .
٥٢	- الوجه الثاني .
٥٢	- الوجه الثالث .
٥٤	- الوجه الرابع .
٥٥	- أنواع الدور .
٥٥	- الصواب أن الدور العقلي نوعان .
٥٦	- أنواع التركيب عند الفلاسفة .
	- تناقض الفلاسفة في قولهم باستلزام الله لمفعولاته وامتناع استلزامه
٥٩	لصفاته .
٦١	- الكثرة هي التركيب .
	- فلال الفلاسفة في لفظ " واجب الوجود " كضلال المعتزلة في لفظ
٦٢	" القديم " .

رقم الصفحة

الموضوع :

- ٦٦ - اضطراب كلام الرازي في " الكثرة " .
- ٦٦ - كلام الرازي في كتاب " الأربعة " في نفي الكثرة .
- ٦٧ - تعليق ابن تيمية .
- ٦٨ - كلام الرازي في كتاب " نهاية العقول " في وقوع الكثرة .
- ٧٠ - تعليق ابن تيمية .
- ٧١ - حيرة أهل الكلام وشكهم .
- ٧٣ - مذهب الفلاسفة في علم الله .
- ٧٧ - معاني مسمى " واجب الوجود " .
- ٧٩ - الوجه الخامس .
- ٨١ - الوجه السادس .
- ٨١ - الوجه السابع .
- ٨٥ - توحيد الرسل .
- ٨٦ - عود لبیان دلیل الأصبهاني على الوحدةانية .
- ٩٨-٨٩ فصل
- ٨٩ - أنواع التوحيد .
- ٨٩ - توحيد الصفات .
- الفرق بين مسلك ابن سينا ونحوه ومسلك سلفهم اليونانيين فسي
- ٨٩ - الالهيات .
- ٩١ - العلم الأعلى هو العلم بالله تعالى .
- ٩٨-١٣٤ فصل
- ٩٨ - توحيد الربوبية .
- ٩٨ - قول الثنوية .
- ٩٩ - قول النصارى .
- ١٠٣ - صحة دليل التمانع ، وخطأ الآمدى في الاعتراض عليه .
- ١٠٥ - اقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية .
- ١٠٦ - قالب شرك الأمم من سببين :
- ١٠٦ - ١- تعظيم قهور وتماثيل الصالحين .
- ١١٠ - ٢- عبادة الكواكب .

رقم الصفحة

الموضوع :

- ١١٣ - تقرير القرآن لتوحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الالهية .
- ١١٥ - مقدمة في بيان امتناع وجود العالم عن خالقين متماثلين .
- ١٢٠ - ظهور امتناع وجود خالقين من وجوه :
- ١٢٠ - الوجه الأول .
- ١٢٣ - الوجه الثاني .
- ١٢٤ - الوجه الثالث .
- ١٢٤ - لازما تقدير خالقين متفاضلين :
- ١٢٤ - اللازم الأول - زهاب كل اله بما خلق .
- ١٢٨ - قول بعض الفلاسفة : ان الرب موجب بذاته .
- ١٣١ - اللازم الثاني - علو بعضهم على بعض .
- ١٣٣ - فساد قول الثنوية .
- ١٢٤-٢٦٠ فصل
- ١٣٤ - مسألة حدوث العالم .
- ١٣٤ - اغفال الأصبهاني هذه المسألة .
- انكار أئمة الاسلام طريقة الجهمية وموافقهم في اثبات الصانع وحدث العالم .
- ١٣٥ -
- ١٣٧ - بطلان دعوى المتكلمين أن طريقتهم طريقة ابراهيم عليه السلام .
- ١٣٨ - استطالة الفلاسفة الدهرية عليهم بهذه الطريقة .
- ١٤٠ - بيان حدوث كل ماسوى الله .
- ١٤١ - بيان امتناع قدم شي مع الله .
- ١٤٣ - تجويز ابن سينا وأتباعه وجود ممكن قديم واجب بغيره .
- ١٤٦ - نظرية الفيض عند الفلاسفة الدهرية .
- ١٤٧ - قولهم في حركة الظلك .
- ١٤٧ - حقيقة قولهم أن الحوادث تحدث بلا محدث .
- ١٤٩ - قول الجبرية الأشاعرة في طبائع الأجسام .
- ١٥٠ - نفي الأشاعرة للأسباب والحكم .
- ١٥١ - قول القدرية المعتزلة .

- ١٥٢ - قول الفلاسفة أفسد من قول القدرية والجبرية من وجوه .
- ١٥٤ - دلالة القرآن على اثبات الأسباب في أفعال الله .
- ١٥٥ - دلالة القرآن على اضافة آثار المخلوقات من الحيوان والجماد اليها .
- ١٥٧ - دلالة القرآن على اثبات حكم الله في خلقه وأمره .
- ١٥٩ - مشروعية استعمال قياس الأولى في ذات الله وصفاته .
- ١٦٠ - عود للكلام على مذهب الفلاسفة الدهرية في الحوادث .
- كلام أبي عبد الله الرازي في كتاب " المطالب العالمة " عن أفعال الله .
- ١٦٢ -
- ١٦٣ - تعليق ابن تيمية .
- ١٦٣ - أقوال الفلاسفة في أفعال الله .
- كلام أبي البركات ابن ملكا في " المعتبر " عن أفعال الله ، وأقوال الفلاسفة فيها .
- ١٦٧ -
- ١٧٥ - تعليق ابن تيمية .
- ١٧٧ - أقوال ومرويات السلف والمقارئين لهم في بيان مذهبهم في أفعال الله .
- ١٨٢ - تنازع من أقوالهم ومروياتهم في كتب متفرقة .
- ١٨٦ - قول الأشعري في كتاب " المقالات " .
- ١٨٧ - قول أبي عثمان الصابوني النيسابوري في رسالته في " السنة " .
- ١٩٠ - قول البيهقي في كتاب " الأسماء والصفات " .
- ١٩١ - قول حرب الكرماني في مصنفه في " مسائل أحمد واسحاق " .
- ١٩٢ - قول الخلال في كتاب " السنة " .
- ١٩٣ - قول عبد الله بن أحمد في كتاب " السنة " .
- ١٩٥ - قول البخاري في كتاب " خلق أفعال العباد " .
- ٢٠٠ - قول أبي عبد الله بن حامد في كتابه في " أصول الدين " .
- ٢٠١ - قول أبي بكر عبد العزيز في كتاب " المقنع " .
- ٢٠١ - قول القاضي أبي يعلى في كتاب " ايضاح البيان في مسألة القرآن " .
- ٢٠٢ - قول أبي اسماعيل الأنصاري في كتاب " مناقب الامام أحمد " .
- ٢٠٣ - لفظ " السكوت " وماورد فيه من الآثار وأقوال العلماء .
- ٢٠٥ - قول أبي الحسن الكرجي في كتاب " الفصول " .
- ٢٠٩ - قول الحارث المحاسبي في كتاب " فهم القرآن " .

- ٢١١ - قول محمد بن الهيصم في كتاب " جمل الكلام " .
- ٢١٢ - قول الدارمي في " النقض على المريسي " .
- ٢١٩ - دلالة الآيات على أفعال الله .
- ٢٢٦ - دلالة الأحاديث على أفعال الله .
- ٢٣٨ - بطلان مذهب الحرثانيين .
- ٢٤١ - عرض أبي عبد الله الرازي لمذهب الحرثانيين في " المحصل " .
- ٢٤٤ - تعليق ابن تيمية .
- ٢٤٨ - فساد مذهب الحرثانيين من وجوه .
- ٢٤٨ - الوجه الأول .
- ٢٤٩ - الوجه الثاني .
- ٢٥٠ - الوجه الثالث .
- ٢٥٠ - الوجه الرابع .
- ٢٥١ - الوجه الخامس .
- ٢٥٣ - عود للكلام عن ابن سينا وأمثاله .
- ٢٥٦ - التزام الجهمية وأتباعهم في مناظرة هؤلاء معان فاسدة .
- ٢٤٢-٢٦٠ فصل
- ٢٦٠ - طرق أهل الكلام في اثبات الصانع .
- ٢٦٤ - استدلال أهل الكلام على حدوث الأجسام .
- ٢٦٧ - أقوال الناس في دوام الحوادث :
- ٢٦٧ - قول الطائفة الأولى .
- ٢٦٨ - القول الأول .
- ٢٦٨ - القول الثاني .
- ٢٦٩ - قول الطائفة الثانية .
- ٢٦٩ - هذه الطائفة نوعان .
- ٢٦٩ - النوع الأول .
- ٢٧٠ - النوع الثاني .
- ٢٧١ - العلة والمعلول عند أرسطو .
- ٢٧١ - العلة والمعلول عند ابن سينا وأمثاله .
- ٢٧٣ - رد الفلاسفة باطل المتكلمين في هذه المسألة بهاطل .

٢٧٣

- بطلان قول الفلاسفة .

٢٨٧

- قول الطائفة الثالثة .

- استمرار في بيان بطلان مذهب ابن سينا وأمثاله في العلية

٢٨٧

والمعلول .

٢٨٩

- كلام ابن سينا في الحركة .

٢٩١

- تعليق ابن تيمية .

٢٩٢

- المناقشة التفصيلية لكلام ابن سينا .

٣٠٣

- الرازي يورد اشكالا على كلام ابن سينا في الحركة .

٣٠٣

- تعليق ابن تيمية .

٣٠٥

- عود على الاشكال الذي أورده الرازي .

٣٠٦

- تعقيب ابن تيمية .

٣٠٧

- كلام الرازي في حقيقة الحركة .

٣٠٨

- تعليق ابن تيمية .

٣٠٨

- عود لكلام الرازي .

٣١٠

- تعريف متقدمي الفلاسفة للحركة .

٣١٠

- تعليق ابن تيمية .

٣١٤

- عود لمناقشة استدلال أهل الكلام على حدوث الأجسام .

٣١٨

- ذم السلف للكلام .

٣٢٢

- أعظم مآذمه السلف كلام الجهمية .

٣٢٣

- محنة القول بخلق القرآن .

٣٢٤

- منزلة ابن كلاب .

٣٢٥

- منزلة أبي الحسن الأشعري .

٣٢٨

- منزلة أبي عبد الله بن كرام .

٣٢٨

- مشاركة روهوس الكلام المتأخرين للمتقدمين في أصل ضلالهم .

٣٢٩

- سبب تسلط أهداء الاسلام على أهل الكلام .

٣٣٠

- صور من هذا التسلط .

- موافقة السالمية لأصل المعتزلة والكلابية ، وقولهم في القرآن بقول

٣٣١

مركب من مذهبيهما .

- ٣٣٣ - عود لبيان منزلة ابن كلاب والأشعري .
- ٣٣٥ - افتراق الكلابية والسالمية في معنى قولهم : " القرآن قديم العين " .
- ٣٣٨ - بطلان احتجاج من يقول : ان القرآن احداث محمد أو جبريل .
- ٣٤٠ - تلخيص لأقوال الفرق في كلام الله .
- ٣٤٤-٣٤٢ فصل
- ٣٤٢ - طريقة القرآن في اثبات الصانع .
- ٣٤٥-٣٤٤ فصل
- ٣٤٤ دليل الأصبهاني على علم الله
- ٣٤٥-٣٤٤ شرح ابن تيمية
- ٣٩٤-٣٤٦ فصل
- ٣٤٦ دليل الأصبهاني على قدرة الله
- ٣٩٤-٣٤٦ شرح ابن تيمية
- ٣٤٨ - الفرق بين القدرة والقوة .
- ٣٤٩ - لفظ " الاختيار " .
- ٣٥٠ - من طرق السلف في اثبات القدرة والقوة .
- نقد قول المتكلمين " بالقادر المختار " وقول الفلاسفة " بالموجب بالذات " .
- ٣٥١
- ٣٥٢ - معنى القادر المختار عند السلف .
- ٣٥٤ - انكار بعض المتكلمين للأسباب والحكم .
- ٣٥٧ - حجج الرازي على نفي الحكمة عن أفعال الله وأحكامه والجواب عنها .
- ٣٥٧ - الحجة الأولى .
- ٣٥٨ - الجواب عنها من وجوه .
- ٣٥٨ - الوجه الأول .
- ٣٥٨ - الوجه الثاني .
- ٣٥٩ - الوجه الثالث .
- ٣٥٩ - الوجه الرابع .
- ٣٦٠ - الوجه الخامس .

٣٦٠

- الوجه السادس .

٣٦٢

- الوجه السابع .

٣٦٢

- الوجه الثامن .

٣٦٢

- الوجه التاسع .

٣٦٣

- الوجه العاشر .

٣٦٣

- الحجة الثانية .

٣٦٣

- الأجوبة عنها .

٣٦٣

- الجواب الأول .

٣٦٥

- الجواب الثاني .

٣٦٥

- الجواب الثالث .

٣٦٥

- الجواب الرابع .

٣٦٦

- الارادة نوعان .

٣٦٩

- الحجة الثالثة .

٣٦٩

- الجواب عنها من وجوه .

٣٦٩

- الوجه الأول .

٣٧٠

- الوجه الثاني .

٣٧٠

- الوجه الثالث .

٣٧٠

- الوجه الرابع .

٣٧١

- الوجه الخامس .

٣٧١

- الحجة الرابعة .

٣٧٢

- الجواب عنها من وجوه .

٣٧٢

- الوجه الأول .

٣٧٢

- الوجه الثاني .

٣٧٢

- الوجه الثالث .

٣٧٢

- الحجة الخامسة .

رقم الصفحة	الموضوع :
٣٧٣	- الجواب عنها .
٣٧٣	- الشر في خلق الله يذكر في القرآن على ثلاثة وجوه .
٣٧٩	- طريقة القرآن في صفات الله تعالى اثباتا ونفيا .
٣٨١	- تضمن النفي اثبات الكمال .
٣٨١	- بيان ذلك في آية الكرسي .
٣٨٣	- أمثلة أخرى .
٣٨٤	- طريقة العادلين عن الكتاب والسنة في صفات الله .
٣٨٤	- مناقشتهم .
٣٨٩	- قدح الرازي في حجة المعتزلة على القول برعاية الحكمة .
٣٩٢	- رد ابن تيمية .
٣٩٦-٣٩٥	فصل
٣٩٥	دليل الأصبهاني على " حياة الله "
٣٩٥	شرح ابن تيمية
٣٩٥	دليل الأصبهاني على " ارادة الله "
٣٩٥	شرح ابن تيمية
٤٣٢-٣٩٧	فصل
٣٩٧	دليل الأصبهاني على كون الله متكلماً
٤٤٥-٣٩٧	شرح ابن تيمية
٣٩٧	- تنوع الأقيسة وما يستعمل منها في حق الله تعالى .
٣٩٨	- قياس الأولى .
٣٩٩	- بطلان أقيسة أهل الفلاسفة والكلام .
٤٠٠	- مثال ذلك قول الفلاسفة : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .
٤٠٣	- قول الفلاسفة عن واجب الوجود : انه وجود مطلق بشرط الاطلاق .
٤٠٤	- عود للكلام على قول الفلاسفة : الواحد لا يصدر عنه الا واحد .
٤٠٩	- عود لشرح دليل الأصبهاني على كون الله متكلماً .
٤١٢	- يمكن اثبات الكلام بطريق أعم مما ذكره الأصبهاني .
٤١٤	- الأصبهاني - كالرازي - متردد بين الفلاسفة والاعتزال .
٤١٨	- صفة الكلام الذي أخبرت به الرسل .

الموضوع :	رقم الصفحة
- موقف الرازي من رد الصفاتية على الجهمية مذهبهم في الكلام .	٤٢٠
- كلام السلف في ذلك كما نقله البخاري في " خلق الأفعال " .	٤٢١
فصل	٤٢٢-٤٤٥
- طرق أخرى في اثبات كون الله متكلما :	٤٢٢
١- الطرق السمعية .	٤٢٢
- مسألة قيام الأفعال الاختيارية بالله .	٤٢٦
- نفاة قيام الأفعال الاختيارية بالله نوعان :	٤٤٠
١- الجهمية والمعتزلة .	٤٤٠
٢- ابن كلاب والأشعري .	٤٤١
- مناقشة المثبتة للنوع الثاني .	٤٤١
٢- الطرق العقلية .	٤٤٤
فصل	٤٤٥-٤٧١
دليل الأصهباني على اثبات السمع والبصر	٤٤٥
شرح ابن تيمية	٤٤٥-٤٧١
- طرق اثبات السمع والبصر .	٤٤٦
- الطريق الأول .	٤٤٦
- الطريق الثاني .	٤٤٧
- مقالة ابن حزم في أسماء الله والرد عليها .	٤٥٠
- قد ينتسب الشخص الى مذهب معين دون أن يحقق هذا الانتساب .	٤٥٦
- مقالة أبي يعقوب السجستاني القرمطي في كتابه " الأقاليد الطلوتية " في رفع النقيضين عن الله تعالى .	٤٥٧
- تعليق ابن تيمية .	٤٦١
- عود الى مقالة أبي يعقوب السجستاني .	٤٦١
- الرد على أبي يعقوب السجستاني .	٤٦٣
- الطريق الثالث .	٤٦٧
- الطريق الرابع .	٤٦٩

رقم الصفحة	
٦٠٩-٤٧١	دليل الأصبهاني على نبوة الأنبياء
٤٧١	شرح ابن تيمية
٦٢٤-٤٧١	
٤٧١	- تعدد دلائل النبوة .
٤٧١	١- دلالة المعجزات .
٤٧٢	٢- دلالة نوع ما يأتي به النبي من الخبر والأمر .
٤٧٢	٣- دلالة شخص النبي : صفاته وأحواله .
٤٧٩	- استدلال خديجة رضي الله عنها بالمسلك الشخصي .
٤٨١	- استدلال النجاشي وورقة بن نوفل بالمسلك النوعي .
٤٨١	- استدلال هرقل بالمسلك الشخصي .
٤٨٦	- بيان القرآن لحكم ادلة العدو وعلى المؤمنين في معركة أحد .
٤٩٢	٤- دلالة عاقبة النبي ومتبعيه ومكذبيه .
٤٩٢	- بيان القرآن لذلك .
٤٩٦	- تعلم أحوال وعاقبة الأنبياء ومخالفهم بالبصر والسمع وبهما .
٥٠٠	- ما تواتر من أحوال الأنبياء يدل على صدقهم من وجوه .
٥٠٠	١- صدق اخبارهم عن عاقبتهم وعاقبة أعدائهم .
٥٠٠	٢- نصر الله لهم واهلاك عدوهم .
٥٠٠	٣- احكام ما جاء به من الخبر والأمر .
٥٠٢	- مسالك الناس في الاستدلال على النبوة .
٥٠٢	- مذهب ابن سينا في حقيقة النبوة .
٥٠٥	- مذهب الفارابي وابن عربي .
٥٠٧	- كلام ابن تيمية عن الغزالي .
٥٠٨	- حكاية الغزالي لسيرته العلمية .
٥٠٩	- انحصار الفرق الطالبة للحق عند الغزالي في أربع .
٥١٠	- كلام الغزالي عن هذه الفرق .
٥١٠	١- المتكلمون .
٥١١	٢- الفلاسفة .
٥١٤	٣- الباطنية .
٥١٥	٤- الصوفية .

- ٥١٩ - كلام الفزالي في حقيقة النبوة والاستدلال عليها .
- ٥٢٠ - تشبيه الفزالي النبوة بالمنامات .
- ٥٢٢ - استدلال الفزالي على النبوة بأحوال مدعيها ، وتضعيفه طريق المعجزات .
- ٥٢٣ - تعليق ابن تيمية .
- ٥٣٨ - خطأ الفزالي فيما ادعاه للكشف الصوفي من خصائصه .
- ٥٤٢ - مشابهة قول الفزالي لقول الفلاسفة في حقيقة النبوة .
- ٥٥٠ - نقد الفزالي في حصره الفرق في أربع .
- ٥٥١ - فضل الصحابة ، ودم ما أحدث من الكلام والزهد .
- ٥٥٨ - تعليق على قول الفزالي : ان طريقته تفيد العلم بالنبوة ، دون طريقة المعجزات .
- ٥٥٩ - تكلم العلماء في الفزالي .
- ٥٦١ - كلام ابن الصلاح في الفزالي .
- ٥٦٤ - كلام المازري في الفزالي .
- ٥٦٨ - تعقيب ابن تيمية على كلام المازري .
- ٥٧٤ - مذهب السلف في مسائل الأسماء والأحكام .
- ٥٧٤ - مذاهب الفرق المخالفة .
- ٥٧٤ - الشبهة المشتركة بين مخالفي السلف في هذه المسائل .
- ٥٧٥ - دلالة اسم " الايمان " مفردا ومقرونا بالعمل .
- ٥٧٧ - زيادة الايمان من جهة أمر الله ومن جهة فعل العبد .
- ٥٨٠ - اقتضاء التصديق بالعمل .
- ٥٨٤ - من الناس من يسلم بأن الايمان في اللغة هو التصديق ، ثم يقول : ان التصديق يكون بالقول والعمل أيضا .
- ٥٨٥ - ومنهم من يقول : ان الايمان هو الاقرار وليس التصديق .
- ٥٩١ - عود الى الكلام عن الفزالي .
- ٥٩١ - عود الى الكلام عن طرق العلم بصدق النبي .
- ٥٩٢ - دلالة حال المخبر .
- ٥٩٧ - دلالة حال المخبر به .

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع :</u>
	- فوائد توافق كتب أهل الكتاب مع ما أخبر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .
٦٠٣	
٦٠٥	- شبه منكرى النبوات وجواب القرآن عنها .
٦٠٦	- دلالة حال المخبر عنه .
٦٠٨	- أصناف الكذابين .
٦١٥-٦٠٩	فصل
٦٠٩	- طرق أهل الكلام في تقرير دلالة المعجزة على صدق النبي .
٦٠٩	- طريق المعتزلة .
	- الآيات الدالة على الحكمة والرحمة تقرر تنزيه الله عن تأييد الكذاب بالمعجزة .
٦١٢	
٦٢٤-٦١٦	فصل
٦١٦	- طريق الأشاعرة وموافقيهم .
٦١٧	- مسألة التحسين والتقبيح العقليين .
٦٢١	- عود للكلام على طريق الأشاعرة وموافقيهم .
٦٢٨-٦٢٤	فصل
٦٢٤	دليل الأصبهاني على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
٦٢٨-٦٢٤	شرح ابن تيمية
٦٢٨-٦٢٨	فصل
٦٢٨	كلام الأصبهاني عن اليوم الآخر
٦٢٨-٦٢٨	شرح ابن تيمية في فصول
٦٢٨	- الفصل الأول .
٦٣١	- الفصل الثاني .
٦٣٢	- الفصل الثالث .
٦٣٥	- الفصل الرابع .
٦٣٥	- الفصل الخامس .
٦٣٥	- الفصل السادس .
٦٣٧	- الفصل السابع .
٦٥٧-٦٣٩	- فهرس المراجع .
٦٧٢-٦٥٨	- فهرس الموضوعات .